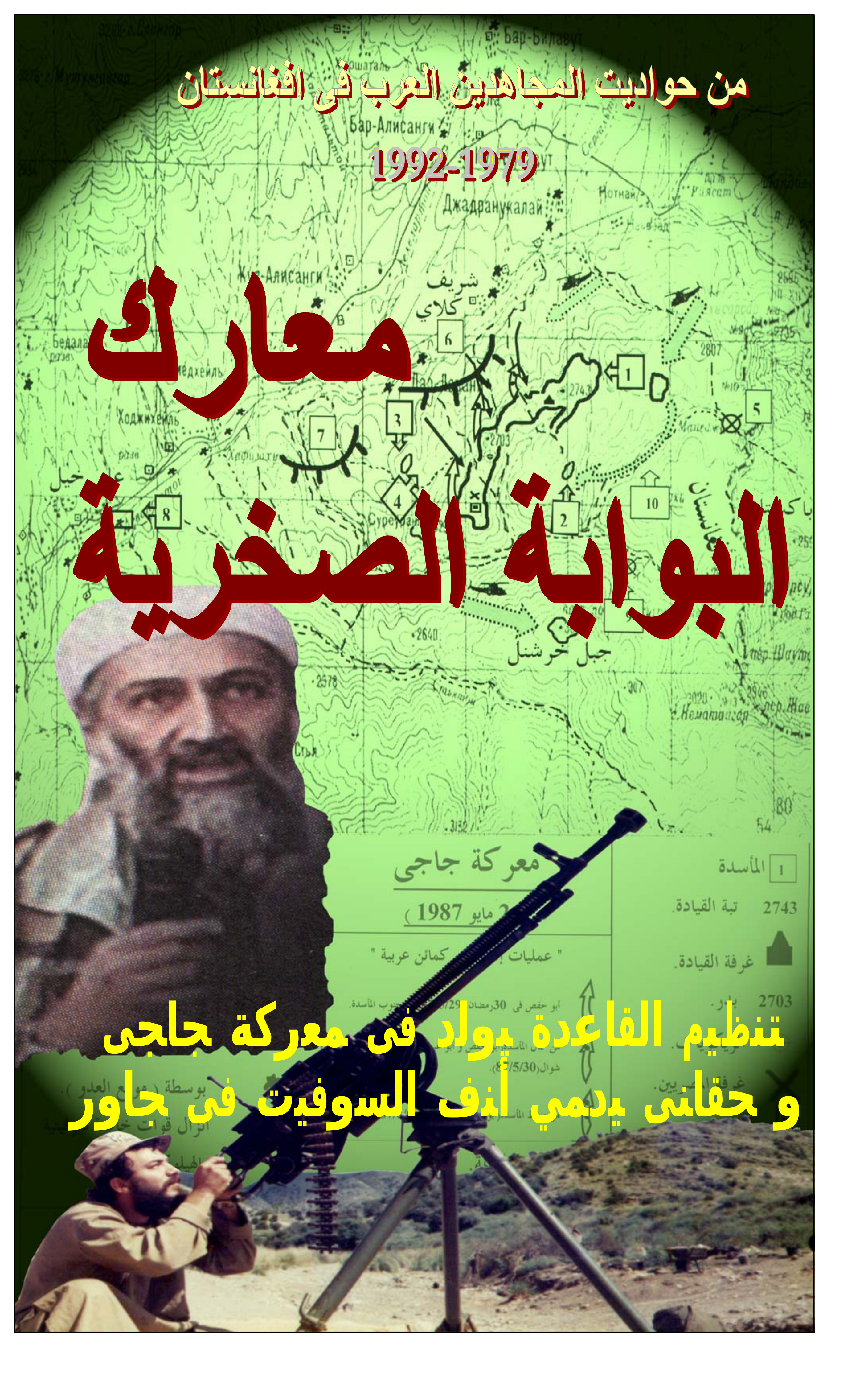

من حواديت المجاهدين العرب فى افغانستان
1992-1979
معارك
البوابة الصخرية
معركة جاجى
المأسدة
تبة القيادة
غرفة القيادة
تنظيم القاعدة يولد فى معركة جاجى
و حقانى يدمي أنف السوفيت فى جاور

الكاتب في سطور

_ مصطفى حامد .
ـ من مواليد مصر عام 1945 محافظة الشرقية/ مدينة بلبيس.
ـ تخرج من جامعة الأسكندرية كلية الهندسة عام1969
ـ عمل في الصحافة خلال فترة السبعينات ،في عدد من الصحف الأهلية في أبو ظبي .
ـ كتب عن الجهاد الأفغاني وشارك فية منذ عام 1979 قبل التدخل السوفيتي .
ـ في 1985 أقام مع أسرته في باكستان . وعمل هناك مديراً لمكتب صحيفة الإتحاد الظبيانية حتي عام 1986 .
ـ أقام في أفغانستان منذ عام 1993 وحتي الحملة الأمريكية عام 2001م .
ـ تعرف عن قرب علي عدد من الشخصيات العربية الهامة التي عملت في القضية الأفغانية مثل الدكتورعبدا عزام وتميم العدناني وأسامة بن لادن الذي يعتبره صديقاً شخصياً له .
ـ له مجموعة من الكتب لم تنشر جميعها . وتدور حول تجربة العرب في الجهاد الأفغاني ، الذي عاصره منذ بدايته وحتي نهايته .
ـ تعرف عن قرب علي حركة طالبان ، وأميرها الملا محمد عمر ، وربطته بهم علاقة طيبة .
ـ من قندهار عمل مراسلاً لقناة الجزيرة القطرية لمدة عام ، إلي ما قبل الحرب الأمريكية علي أفغانستان .

الفهـ ـ ـ ـ ـرس

الجزء الأول:

الجزء الثانى

ملحق المقالات

خرائط

الصور

الجزء الأول

بدأ التسجيل عام 1995م فى
معسكر الفاروق/ خوست _ باكتيا

سنوات عاصفة

إنتقلت بالعائلة إلى إسلام أباد في فبراير 1985، وكانت نقلة كاملة في حياة جميع أفراد الأسرة. وبداية لفترة حافلة بالأحداث،والحماس. بالنكسات والإنتصارات، بالموت والحياة.
فأحد الأطفال تحول بعد ذلك بحوالى ثلاث سنوات تقريباً إلى شهيد، وطفلتنا الأولى كبرت وتزوجت مجاهداً ثم أصبحت أما.عشر سنوات كاملة عاصفة ومجيدة إنتهت بمطاردات أمنية من الشرطة الباكستانية،وفرار جماعي للأسرة إلى اليمن. فقط بقيت أنا لاجئاً في جبال أفغانستان، فيما تبقى من معسكرات العرب في منطقة خوست.
الأطفال الثمانية لم ينقطع شعورهم لحظة بأنهم في مغامرة مثيرة ومبهجة. حتى في تلك الأوقات التي كانوا فيها تحت طلقات النيران وتهديد عصابات الحدود في مدينة ميرانشاة.
فقط بعدما قُتِلَ أخوهم (خالد) في جاور تساءل الصغار منهم بنفاذ صبر متى يعود خالد من الجنة؟يكفي هكذا!!.
بعد وصولى الى إسلام آباد، مجموعتنا العربية الصغيرة وعددها ثلاثة من الشباب ، إنتقلوا هم أيضاً إلى إسلام أباد، بعد أن (إفتضح) أمر تعاونهم معي وأصبحوا تحت وطأة ضغوط نفسية من زملائهم الشباب في بشاور. فأصبح لنا بعد فترة قصيرة جداً (مكتباً سريا) عبارةعن بيت من طابقين، الجزء العلوي خصصناه للمكتبة والأرشيف. والجزء السفلي للمعيشة و الضيافة.
قدمت طلب إعتمادي كمراسل صحفي في باكستان عن (جريدة الاتحاد) إلى وزارة الإعلام، وتمت الموافقة بعد خمسة أشهر تقريباً. ولكن ذلك لم يمنع من حضوري عدة إجتماعات في وزارة الإعلام عقدها الوزير للمراسلين الأجانب بخصوص الإنتخابات النيابية التي كانت على وشك البدء. كذلك حضرت لقاءين للرئيس ضياء الحق مع المراسلين الأجانب. وهالني أن أجد من المعلومات التفصيلية والشاملة عما يحدث في أفغانستان ما لم أكن أتوقعه على الإطلاق.
فقد وجدت أن الإدارة الحقيقية (للجهاد) في إسلام أباد، وكل ما أحتاجه من معلومات أو معظمها كنت أجده هناك، خاصة في المجال السياسي، وليس العسكري الذي لم يكن مكتملاً أو دقيقاً في إسلام أباد إلا في دوائر خاصة جداً لم تكن تذيع ما لديها للصحف. بالطبع زاد إحتقاري لبشاور وذلك للتهريج المضلل الذي يحياه إخواننا العرب هناك.
كانت السفارة الأمريكية في إسلام أباد تتولى تعبئة الصحافة العالمية بالمعلومات عن طريق مركزها الثقافي، وتقريره الإستخباري الإسبوعي كل ثلاثاء للمراسلين الأجانب، والذي كان يقدم للجمهور مسبوقاً بعبارة شهيرة أصبحت مثلاً : (صرح دبلوماسي غربي في إسلام أباد أن... إلخ).
كانت تجربتي الأولى كمراسل في دولة أجنبية، وجاء الوقت أن أكتب في الصحافة بإسمي واضحاً، بعد أن كتبت لعدة سنوات عن أفغانستان بدون توقيع، قدمتها صحيفة الإتحاد أحياناً بعبارة (أفادت مصادر قريبة من المجاهدين الأفغان) .
كانت الصورة كما أراها آنذاك رهيبة وتنذر بكارثة وكتبت ذلك في تقارير للمهتمين من أبناء

الأمة على شكل تقارير خاصة كالتي إستعرضنا بعضها،ولكن جاء الوقت أن أكتب بعض ذلك على الملأ وعلى صفحات جريدة قوية واسعة الإنتشار.
كان يمكنني أن أركب الموجة السائدة آنذاك فأُصبح صحفياً مرموقاً، أو (كاتباً إسلامياً شهيراً) ولكنني لم أكن ذكياً بما فيه الكفاية على قول أحد المعارف، ولحسن الحظ أنني كنت كذلك.
فازداد رصيدي من الهجمات والسباب والتشكيك وتهديدات القتل. أحد الأذكياء من الإستخبات العربية في إسلام أباد وما أكثرهم وكأنه لمس ورطتي مع الأحزاب الأفغانية، وموقفي المناوئ لهم، فحاولوا نصب شباك الصيد وأفلت عدة مرات بفضل ا ، رغم قلة حيلتي. ولما كنت لم أستوعب حكمة أتحفني بها صحفي باكستاني كان ضابطاً سابقاً في الإستخبارات العسكرية حين قال : إن 40% من الصحفيين هم عملاء للإستخبارات الأمريكية، بينما 40% آخرون عملاء للإستخبارات السوفييتية، ويتبقى20% فقط وهؤلاء لا فائدة فيهم ! ! . ضحكت للنكتة، ولكنها لم تكن نكتة، وحيث أنني لم أفهم، فقد وجدت نفسي في نهاية الحرب مطلوب أمنياً من طرف السلطات الباكستانية بناء على طلب من السفارة المصرية لسبب ما زلت أجهله حتى الآن وهذا ما يؤكد أنني حقاً لست ذكياً بما فيه الكفاية.
مضت على الحرب الأفغانية خمس سنوات.وكان ضياء الحق يعيد صياغة بلاده سياسياً.
وكانت عملية صعبة، وساعدني رصدها منذ أن بدأت بانتخابات 1985 على أن أفهمها بشكل جيد، فقد كانت الأمور السياسية لباكستان ما زالت غامضة بالنسبة لي.
وبدأ ضياء الحق أيضاً في إعادة صياغة سياسة أفغانية لبلاده في وضع إقليمي ودولي غاية في التعقيد والخطورة.
التصعيد العسكري السوفييتي في أفغانستان جعل ضياء الحق أكثر حذراً، وأكثر تشدداً في مقابل حلفائه الأمريكان، وبدأ كلاهما يفقد الثقة في الآخر.
مع أكبر الشركاء الإقليميين لضياء الحق في القضية الأفغانية ،وهم السعوديون، كانـت العلاقـة أيضاً ينقصها الثقة. وكثيراً ما تلقى ضياء الحق ضربات تحت الحزام من سيده الأكبر (أمريكا) وحليفه الإقليمي الأكبر (السعودية).
ربما أرادت السعودية طوال الحرب الأفغانية أن تثبت للأمريكان بأنها أكثر فائدة في تنفيذ المخططات الأمريكية في المنطقة الإسلامية من باكستان فحاولت مراراً أن تخترق المجالات الباكستانية الخاصة أو المحرمة. وتوقع الحرج بالسلطات الباكستانية أمام السيد الأمريكي، حتى تفوز بنصيب أكبر من الثقة والإعتمادية من الأمريكان.
وحاول الطرفان (أمريكا والسعودية) إرغام باكستان على إتخاذ خطـوات عدائيـة واضـحة ، وحتى دخول الحرب بشكل سافر ضد إيران لإنقاذ العراق من ورطتها ولتقصير أمد الحرب في الخليج، إذا دخلتها باكستان إلى جانب العراق فتقع إيران بين فكي كماشة رهيبة لن تستطيع مقاومتها طويلاً.
لكن ضياء الحق رفض، وقال إنها دعوة لتدمير بلاده فالجهة الإيرانية من الحدود هي الجهة الوحيدة الصديقة. فدخول الحرب ضد إيران سيجعله مطوقاً بثلاثة دول كبيرة: السوفييت في أفغانستان ثم الهند و إيران. فليس أمامه وقتها إلا البحر وهو أيضاً تحت سيطرة التفوق البحري الهندي.لتأديب ضياء الحق لجأت أمريكا والسعودية إلى إجراءات كثيرة.. منها تمويل أحزاب المعارضة، التي بدأ صوتها يعلو مع تزايد التواجد الأمريكي المرافق للأزمة الأفغانية، ثم مولوا بكثافة حزب الشعب بقيادة (بي نظير بوتو) حتى جذبوها من الفلك السوفييتي إلى الدائرة

الأمريكية وكان مفهوماً لدى كثيرين أنها الرهان الأمريكي القادم.
ثم صعدوا الإضطرابات الداخلية خاصة صدامات الشيعة والسنة التي مولتها السعودية وكونت لها نظاماً كاملاً للفتنة داخل باكستان، له علماء ومساجد ومنظمات شبابية مثل منظمة (سيباه صحابة) وأشتعلت الصدامات الطائفية في لاهور وكراتشي ومناطق حدودية مع أفغانستان.
وكانت قمتها عملية إغتيال (عارف الحسيني) أكبر علماء الشيعة وقتها وحسب معلومات وقتها، فإن الملحق العسكري السعودي هو الذي موّل ورتب العملية ثم ترك باكستان نهائياً بعد تنفيذها بأيام.العمليات الثأرية للشيعة طالت محافظ الإقليم الحدودي فضل الحق الذي أغـتيل عام 1991 والإتهامات كانت تشير إلى الشيعة حتى أن إغتيال ضياء الحق نفسه دارت أقاويل بأنها عملية ثأرية للشيعة لوجود شخص شيعي في طاقم قيادة الطائرة.
المهم أن ضياء الحق إبتز الأمريكان إلى أقصى ما يمكنه وإلى أبعد مما كان يمكنهم القبول به لولا خطورة موقع ضياء الحق وباكستان في قضية أفغانستان التي كانت أهم موقعه في تاريخ الحرب الباردة بين الكتلتين. لأجل ذلك فعندما توصلت أمريكا إلى صيغة تسوية مقبولة مع السوفييت نسفت ضياء الحق تعبيراً عن ضيقها منه.
وعملية الإنتخابات التي غطيتها صحفياً كأول عمل لي في باكستان كانت إنتخابات نظيفة لم تزورها الحكومة، بشهادة الجميع ولأول مرة في باكستان على حد قول العارفين، وكانت على أساس غير حزبي. وأفادتني كثيراً في بلورة فكرتي عن (الديمقراطية) وكونها لعبة للأغنياء فقط هكذا هي عندنا في عالمنا المتخلف وهي كذلك أيضاً عن أصحابها الأصليين، الشيء المختلف هو طريقة الدفع وكميته.عرفت لماذا يحب الشعب الباكستاني الإنتخابات ويتحمس لها فهي فرصة نادرة ، وربما وحيده ، كي يخرج كبار الأغنياء جزء من ثروتهم إلى الفقراء.
فالطرف الأول يريد كرسي في البرلمان والطرف الثاني يحتاج إلى ثمن صوته كي يشتري قطعة من اللحم للأولاد أو كسوة جديدة بدلاً من الأثمال البالية.
إكتشفت أيضاً أن المراسل الصحفي شخصية محترمة جداً إجتماعياً ورسمياً، خاصة إذا كان من الجنس الأبيض، أما ملونو العالم الثالث فيأتون في مرتبة لاحقة، أما أصحاب اللحى الأفغانية من أمثالي (وكنت وحيداً وقتها) فقد حجزت الدرجة الثالثة بالكامل لحسابي. وظللت بها منفرداً حتى قِبض علي في الرابع من يناير1993.فوضعت يدي في أغلال ثقيلة وأمضيت ليلتين في السجن البارد، ومن وقتها وأنا على قارعة الطريق (أو الجبل) ولم أفقد بطاقة الإعتماد الصحفية فقط بل وجواز السفر أيضاً وتحولت من مراسل محترم.. إلى طريد في الجبال.

****

بالطبع كان إرتباطي الأساسي هو مع جماعتنا في أبوظبي التي تحاول أن تنشيء برنامجاً طموحاً باسم (مكتب الإتصال الإسلامي) سنناقشه فيما بعد. ولكن نورد الآن أول تقرير أرسلته لهم من موقعي الجديد، ثم نناقش بعدها ما ورد فيه.. يقول التقرير:

الإتحاد الأمريكي الجديد

بدأت الأحزاب الأفغانية العاملة في بشاور في دفع فواتير أخطائها السياسية طوال المرحلة الماضية.وتمثل الخطأ الجوهري لهذه التنظيمات في الإكتفاء بدور مكاتب التصدير والاستيراد.بمعنى تحولها إلى مكاتب لاستقبال المساعدات الخارجية ثم إعادة توزيعهاعلى

المجاهدين في الداخل.وهكذا تحول القادة إلى مجرد أصحاب توكيلات. وأدى هذا الوضع الشاذ إلى النتائج التالية:

1- إنقطاع صلة الزعماء بالجهاد وبالأرض الأفغانية.

2- إنعدام سيطرة الزعماء على أتباعهم في الداخل.

3- كراهية من بالداخل للزعماء... وعدم ثقة الزعماء بمن بالداخل.

4- تنامي نظرة المجاهدين والمهاجرين إلى الزعماء كإنتهازيين بنوا زعاماتهم وسلطانهم على دماء الشهداء وخراب الديار وإكتفوا بالجلوس في المنفى حيث الحياة الرغيدة والخلافات الحمقاء فيما بينهم.

5- شعور زعماء الجبهات أن تحكم زعماء الأحزاب فى مصادر الإمداد حرم الجهاد والمجاهدين من بروز قيادة طبيعية وشرعية بين المجاهدين المقاتلين في الجبهات.

6- المنظمات الحزبية فى بيشاور إستدرجت مجموعات من قادة الجبهات البارزين والعلماء للعمل في صفوفها فحدث فراغ في الجبهات تم ملؤه بعناصر فاسدة أساءت القيادة وساهمت في تدهور الوضع.

7- صار من الصعب السيطرة على بعض الأوضاع التى تنشأ فى الجبهات مثل تسلل العملاء أو إتصال الحكومة بالمجاهدين والأهالي لشراء الزمم أو القتال بين أتباع التنظيمات، أوالاعتداء على الأهالي بغرض السيطرة وتحصيل الضرائب (العشْر)، بل كثيراً ما ساهم قادة الأحزاب في بشاور في إشتعال المعارك الداخلية بتزويد مندوبيهم بالسلاح مهما ثبت من فسادهم وتورطهم في سفك دماء المسلمين.

8- أصبحت هجرة السكان من الريف ظاهرة وبائية ليس فقط بسبب الغارات الوحشية من جيش الإحتلال، ولكن أيضاً بسبب الفوضى الضاربة في صفوف المقاومة وعدم الإهتمام بتنظيم حياة الأهالي لمواجهة مشاكل الحرب.

بل صار رجال المقاومة مصدر إرهاق للأهالي ففضلوا الفرار من جحيم الحكومة وجحيم المقاتلين الأفغان.

9- أهدرت المعونات القادمة للمقاومة الأفغانية في رشوة القبائل لزيادة عدد الأتباع.

أ- ولم تُستغَل في بناء تنظيم عسكري منظم وقوي.

ب – ولم تستغل فى بناء صناعات عسكرية بسيطة تكفي للإستقلال الذاتي في حالة إنقطاع المعونات في حالة تبدل الأوضاع السياسية مع الحلفاء والممولين لحركة المقاومة.

ج – ولم تُستغَل فى بناء قاعدة إقتصادية كالاستثمار الزراعى الداخلى والخارجى أو النشاط التجاري وغيره لضمان مورد ثابت ومستقل للمقاومة.

وأدى هذا إلى بقاء المقاومة رهينة بمشيئة الممولين الكبار يتحكمون بمصيرها كما يحلو لهم وأدى هذا إلى التطورات الجارية في الوقت الحالي.

<u>التطورات الحالية :</u>

تعيد الأطراف الأساسية في مشكلة أفغانستان ترتيب أوراقها في تلك القضية.

<u>الإتحاد السوفييتي</u>

بقيادته الجديدة يعكف الآن على تحديد سياسته الجديدة في أفغانستان والتي تشير الدلائل

القليلة التي صدرت في الكرملين على أنها ستكون سياسة متشددة. فلقد وجه جورباتشوف تهديداً مبطناً لضياء الحق أثناء زيارة الأخير لموسكو طالباً منه وقف الدعم للمقاومة الأفغانية.
كما تناقلت أوساط المقاومة الأفغانية أنباء عن إعتزام السوفييت زيادة قواتهم إلى رقم النصف مليون جندي وأنهم قد يقومون بعمليات وراء الحـدود لتعقـب المجاهـدين فـي معـسكراتهم وقواعدهم.

الولايات المتحدة

تشعر الولايات المتحدة بالقلق بالنسبة للهدر الكبير في المساعدات التي تتقدم بها للأفغان والتي تصل في مجملها إلى (مليار دولار) فهي تتكفل منفردة بنسبة 70% من نفقات المهاجرين 3.5مليون مهاجر وبنسبة أخرى غير معلومة لا تقل عن النسبة السابقة بالنسبة للمقاتلين. [1]
وقد لاحظت الإدارة الأمريكية بقلق تدني الأداء العسكري للمقاومة بالإضافة إلى الفساد الذي إستشرى على طول خط الإمداد سواء على الجانب الباكستاني أو الجانب الأفغاني.
لهذا قررت الإدارة الأمريكية أن تتدخل بشكل مباشر تقريباً لترتيب الأحزاب الأفغانية بالطريقة التي سنشرحها لاحقاً. [2]

باكسـ ـ ـ ـ ـتان

تمثل المشكلة الأفغانية معضلة أمنية بالنسبة لباكستان، فمن خلالها إتحدت مصالح السوفييت والهند في تحطيم دولة باكستان وما زالت مخاطر قيام الهند بالتنسيق مع السوفييت في عمل هجومي واحد من خلال جبهات كشمير والبنجاب والحدود الأفغانية تهديداً قائماً. وإنتهاكات الحدود الباكستانية من جهة أفغانستان لا تكاد تتوقف. وهي مرشحة للتصعيد في المرحلة القادمة خاصة إذا أضفنا إلى ذلك حالة الفوضى السائدة في المقاومةالأفغانية لافتقارها إلى قيادة حقيقية [3] وربما كانت باكستان مسئولة جزئياً عن هذا الوضع. لهذا فقد إستدارت الإدارة الباكستانية بسرعة لإحكام قبضتها على الأحزاب - الأفغانية بهدف:

1- ألا تنتقل الفوضى الأفغانية وعدوى المواجهات بينها فى الداخل، إلى أراضى باكـستان وما يترتب على ذلك من عواقب وخيمة على أمن باكستان كدولة. خاصة فـي الإقلـيم الحدودي القبائلى المتفجر بطبيعته.
2- أن تكون العمليات العسكرية للمقاومة تابعة لمتطلبات الأمن والدفاع عن باكستان. طالما أن المقاومة الأفغانية ليس لها مخطط سياسي مستقل تسعى إلى تحقيقـه عـن طريـق العمليات العسكرية.
3- ستكون عملية تصرف باكستان بالقضية الأفغانية أكثر يسراً خاصة عند الإتفـاق علـى حل سياسي للقضية قد يحقق الهدوء للحدود الباكستانية، ولكنه لن يكون في مصلحة الشعب الأفغاني أو قضية الإسلام في أفغانستان.

المقاومة الأفغـانية

من المعلوم أن الإتحاد الإسلامي لمجاهدي أفغانستان لم يولد ميتاً وقد أُتحيت له في بداية تكوينه فرصة رائعة ليثبت نفسه على الساحة كاتحاد حقيقي ينظم عملية الجهاد بأكملها. ولكن إندفاع رئيس الإتحاد نحو تثبيت زعامته الشخصية وتكوين جماعة قوية تدين له

شخصياً. وشراء الأتباع والمساعدين من بين صفوف المنظمات الملتحقة بالإتحاد وتحول الإتحاد إلى ساحة للصراع بين الأحزاب وتبادل الإتهامات التي يصعب التثبت من أكثرهـا. حتى أدى الأمر إلى الشلل التام في مؤسسات الإتحاد في الفترة الأخيرة. على أي حال لم يكن أي من زعماء الأحزاب على إستعداد لقيام إتحاد حقيقي والتضحية بزعامته. كذلك كان الإتفاق منذ البادية بين قادة الأحزاب أن هدف الإتحاد بينهم هو مجرد تكوين هيئة لتلقي المعونات ثم توزيعها على باقي الأحزاب.

ولكن سياف أخل بالإتفاق وحاول الإستئثار بالأموال وحل الأحزاب الباقية ليبقى الأوحد على الساحة.

وجاءت التدخلات العربية في محاولة لتثبيت (سياف) وإضفاء القدسية على الإتحاد. وجر الزعماء إلى داخل الكعبة للقسم على القرآن الكريم ولإبقاء الإتحاد على قيد الحياة مهما تكاف الأمر وحل المنظمات جميعها. ولأن مفهوم الإتحاد عند العرب كان مخالفاً تماماً عن مفهم الإتحاد عند القادة الأفغان. فقد أدت التدخلات العربية إلى إيجاد فجوة تتسع باستمرار بين العرب والمنظمات الأفغانية. [4]

آخر محاولة عربية للإبقاء على الإتحاد الحالي جاءت في نوفمبر 1984 بواسطة وفد ضم ممثلى السفارة السعودية في باكستان وأمام الحرم المكي وأعضاء من قدامى الإخوان المسلمين مثل مصطفى مشهور. [5]

وبعد جهود إتفقت اللجنه مع الزعماء الأربعه الكبار سياف/ جاب الدين/ برهان الدين/ يونس خالص، على تكوين قيادة جماعية مشتركة فيما بينهم على أن يتم حل مجلس الشورى الحالي وفي حالة وجود خلاف فيما بين الزعماء يرفع إلى لجنة خاصة بذلك فإن إستعصى على تلك اللجنة يعرض الأمر على لجنة إسلامية عليا ، بالطبع يكون تشكيلها مشابه لتلك اللجنة الإسلامية التي تقدمت بالاقتراح.

- بالطبع أغضب هذا الإتفاق أعضاء مجلس الشورى الذين يجدون في أنفسهم الجهة التشريعة التي من حقها تقرير المسائل الهامة بما فيها تعديل دستور الإتحاد أو قيادته وغير ذلك.

ويرى المجلس أن هذا الإتفاق غير شرعي ويعتبر تدخلاً غير مرغوب فيه من جانب العرب.

- أغضب هذا الإتفاق رؤساء المجموعات الصغيرة المنشقة عن أحزاب أخرى مثل
- نصر ا منصور "حركة إنقلاب إسلامي"، ورفيع ا مؤذن،وقاضي محمد أمين وقد إعتبر هؤلاء أن الإتفاق الجديد حرمهم من الإشتراك في القيادة وقلل من أهميتهم رغم أن إنشقاقهم عن أحزابهم الأصلية كان من أجل إقامة الإتحاد الحالي. ويعتبر نصر ا منصور أهم هؤلاء الثلاثة.

<u>أما ملامح المشروع الأمريكي لتنظيم المقاومة الأفغانية فهي:</u>

1- تجميع كافة المنظمات الأفغانية في كيان واحد. تحتفظ فيه كل منظمة بكيانها المستقل.
2- رئاسة الإتحاد الجديد تكون بالتناوب بين قادة المنظمات مع إعطاء اليد العليا داخل الإتحاد الجديد للتيار القومي.
3- تحول جميع المساعدات العسكرية والمالية إلى الإتحاد الجديد ثم توزع من خلاله على المنظمات.
4- حل مجلس الشورى الحالى.

5- إلغاء الأحزاب الصغيرة (نصر ا / مؤذن/ قاضي أمين).
وقد إنتقل إلى باكستان وفد من مجلس الشيوخ الأمريكي بالتنسيق مع السلطات الباكستانية.
ولم تتضح كافة تفاصيل المشروع الأمريكي لتنظيم إتحاد المقاومة الأفغانية كما لم تعرف صلته بالمشروع العربي السابق الذكر رغم ملاحظة إتفاق المشروعين في نقطتين هما:
أ- حل مجلس الشورى.
ب- إلغاء الأحزاب الصغيرة. 6

الإسلاميون العرب مطلوب إبعادهم ؟

من المرجح ألا تكون الأحزاب الصغرى ومجلس الشورى هما الضحيتان الوحيدتان للمشروع الأمريكي للإتحاد ولكن الوجود العربي الملاصق للمقاومة الأفغانية سيدفع الثمن هو الآخر وقد يجري إستبعاده.
مبدئياً إرتكب العرب عدة أخطاء هامة منها:
1- إرتباطهم بتيار الإخوان المسلمين وممثليه داخل المقاومة الأفغانيـة. ومعـاداة ممثلـى العلماء والدخول في معارك مع بعضهم.
2- تأييد سياف بشكل شخصى رغم معاداة القيـادات لـسياف. وتـدهور شـعبيته داخـل أفغانستان.
4- الدعاية للمذهب السلفى داخل صفوف الأفغان من جانب هؤلاء الذين يتلقون أموالاً من المملكة السعودية وقد ألقيت التبعة على العرب بشكل عام.
وإذا علمنا سيطرة العلماء على الرأي العام الأفغاني ومعاداة هؤلاء العلماء للإخوان المسلمين وللمذهب السلفي ولقيادة سياف. فإنسحبت هذه العداوة بالتالي على كل العرب المتواجدين على الساحة الأفغانية ويضاف إلى هذا الجفاء الذي يكنه الإتحاد الثلاثى (القومي الإتجاه) للتواجد الإسلامي على الساحة والممثل بالعرب. خاصة أنهم تلقوا منهم إتهامات في الفترات السابقة وأنهم،أي العرب، يريدون للقضية الأفغانية أن تبقى ذات توجهات إسلامية صرفة وهو ما يناقض النظرة القومية لهؤلاء الزعماء.
وفي المرحلة الجديدة للإتحاد الأمريكي فإن هؤلاء القادة القوميون ستكون لهم اليد العليا.
ويمكن التنبؤ سلفاً بأن رؤوس العرب المتواجدين على الساحة ستكون مطلبهم الأول.
وأن النفوذ الإسلامي ستجري ملاحقته.
والعجيب أن بعض القادة (المتطرفين) أمثال جلال الدين وبرهان الدين قد طالبا الحكومة الباكستانية إبعاد العرب من بين صفوف الأفغان. 7

مجلس الشورى ونصرا : إلى الآن لم تتضح ردود الفعل الأفغانية بالتفصيل ولكن هناك ردود فعل ظهرت خلال الأيام القليلة الماضية وهي:
أ-إجتمع مجلس الشورى بتاريخ 23 /1985/3 وأدان أي محاولة لحل الإتحاد القائم الذي يستمد شرعيته من قسم الزعماء داخل الكعبة على القرآن الكريم بحل المنظمات وإستمرار الإتحاد.
وأن أي محاولة للإصلاح لا بد أن يوافق عليها أعضاء مجلس الشورى، وقد صدر بيان من مجلس الشورى بهذا المعنى.
ب –شن نصر ا منصور حملة على الإتحاد الأمريكى الجديد وأتهم الزعماء بنقض الإتفاق الذى أقسموا عليه فى الكعبة وأدان أمريكا بأنها تحاول تخريب الجهاد الأفغانى.

وطلب من باكستان التوقف عن دعم هذه المحاولة وأن تستمر في تأييد الإتحاد السابق.
هذا وقد علم من مصادر وثيقة الإطلاع أن جميع الأحزاب قد وافقت على المشروع الأمريكي مع ملاحظة أن هذا الإتحاد يضر بمصالح سياف لأنه سيؤثر كثيراً على قوته والمعنوية التي إكتسبها كرئيس للاتحاد السابق. (8)
وهذا الإتحاد يتناقض مع الخط السياسي المتشدد (لجاب الدين) ولكن على فرض أن سياف وجاب الدين لديهما الرغبة في رفض المشروع فهل سبق لهما وجهزا حزبيهما لمثل هذه الساعة؟.
بالطبع ليس هناك قدرة لدى أي منظمة أفغانية لكي تتخذ قراراً سياسياً مستقلاً وذلك للأسباب التي ذكرناها آنفاً.
ويبقى سؤال هام عن قدرة نصر ا منصور وهو أهم المعارضين وأقواهم والمدعوم حالياً بمجلس الشورى.
هل يمكن لمنصور والمجلس أن يصمدا لإفشال الإتحاد الأمريكي؟
وإذا لم ينجحا في تحويل المسار فماذا يمكن للأحزاب الصغيرة أن تفعل؟
وإذا كان صحيحاً أن سياف وجاب الدين قد وافقا على الإتحاد الجديد فإن الورقة الكبرى تصبح في يد نصر ا منصور وهو يمتلك المميزات التالية:
1_ أن تنظيمة مشهور عنه أنه من التنظيمات الصغيرة، ولكن القريبين من الصورة يعرفون أن هذا التنظيم على درجة لا يستهان بها من القوة والإنضباط وأن نصر ا قد إستطاع أن يتجاوز بحزبه عدة منزلقات وقعت فيها المنظمات الأخرى،ولو أنه لا يمتلك مقومات الإعتماد على النفس.
2_ يمتلك نصر ا ورقة شرعية المتمثلة فى القسم المقدس فى الكعبة، والمتمثلة أيضاً في اللجنة التشريعية (مجلس الشورى). وهذه النقطة تمثل سلاحاً هاماً وسط الأفغان إذا ركز عليها نصر ا منصور.
3_ من السهولة بمكان إذا تشبث نصر ا بموقفه، وحتى إذا تخاذل مجلس الشورى والتنظيمات الصغرى الأخرى، أن يكون بؤرة هامة لتجمع الشباب المتحمس والعلماء المخلصين الذين سيرفضون الإنصياع للتخطيط الأمريكي أو التنصل من قسم تم أداؤه في الكعبة، لمجرد تلبية رغبة أمريكية.
4_ فى حالة إصرار منصور على موقفه سيجد نفسه تلقائياً فى وضع المضطر لنقل مركز ثقل قيادته إلى داخل أفغانستان، وغالباً في منطقة زورمت، الملاصقة لمنطقة صديقه جلال الدين حقاني وفي هذه الحالة سيتاح له عدة مميزات فريدة هي:
أ- بتعاون الثلاثي نصر ا جلال الدين أرسلان رحماني ومعهما قادة باكتيا المتعاطفين معهم سوف يتم لهم السيطرة الكبيرة على هذه المحافظة الهامة.
ب_ ستكون فرصة أولى وكبرى للجهاد أن تكون له قيادة داخل الجبهة تحظى بالتعاطف والاحترام بسبب:
- نصر ا وحلفائه من العلماء وهي الفئة الأكثر إحتراماً لدى الشعب الأفغاني.
- نصر ا من المقاتلين القدماء قبل إندماجه في العمل السياسي.
مجموعة العلماء حول نصر ا خاصة، جلال الدين وأرسلان سيكونون نواة قوة عسكرية

ومعنوية لأنهما من العلماء ومن خبراء القتال.
-المناطق التي يمكن لتلك الكتلة السيطرة عليها ستكون ملاصقة للحدود مع باكستان وهذا سيدفع الحكومة الباكستانية إلى عدم المغامرة بالصدام مع هذا التيار.
كمية السلاح لدى هذا التكتل بل المتوفرة لدى نصر ا تكفي للقتال عدة سنوات ولكن تبقى لديهم مشكلة الذخائر والطعام.
التنبؤ بشيء قطعي يعتبر محاولة سابقة لأوانها ولكن إذا قدر لهذا الإتحاد الأمريكي أن يرى الوجود بالصورة المطروحة حالياً فهو رغم أنه لن يعيش طويلاً ولكنه بمجرد إعلانه ولو لعدة ساعات فسوف يضر بسمعة المجاهدين الإسلامية والعالمية إلى أقصى قدر ممكن ، كما سيؤدي إلى تصدعات خطيرة في صفوف الأحزاب القائمة.
ولكنه قد يؤدي من ناحية أخرى إلى ردود فعل معاكسة قد تؤدي شدتها إلى عودة الجهاد إلى مساره الصحيح.
إن الحل الأمريكي أشبه بجرعة السم التي أُعطيت لمريض لكي تقضي عليه. ولكنها قد تؤدي إلى شفائه من مرض عضال ليبدأ طريق العافية.
(ويمكرون ويمكر ا ، وا خير الماكرين) .
صدق ا العظيم
إسلام أباد في (1985/4/8)

....

<u>ونقدم الآن بعض التعليقات على ما ورد في التقرير السابق:</u>

(1) .. **كانت** الحرب الافغانيه حرباً مجانية بكل معنى الكلمة بالنسبه للولايات المتحدة، خاصة إذا قورنت النفقات الأمريكية بالنتائج الهائلة التي حصلت عليها كنتيجة لتلك الحرب. من ناحية الإنفاق المالي تراوح الإنفاق الأمريكي من 1.5 إلى 3 مليار دولار. ذهب معظمه ا
مرة أخرى إلى الخزينة الأمريكية، كما قال أحد ضباط الإستخبارات العسكرية الباكستانية والذي أُحيل إلى المعاش بعد تلك الحرب مع أنصار ضياء الحق. فقد قال بأن أمريكاأصرت على نقل الأسلحة والعتاد الذي تقدمه هي أو مصر وإسرائيل بواسطة طائرات نقـل تابعـة للجيش الأمريكى ، أى بأغلى وسيلة نقل فى العالم على حد قوله أما مشتريات السلاح التي حولتها أمريكا فقد خُصصت لمعايير سياسية لا إعتبار فيها للإحتياجات العسكرية للأفغان. والأسلحة بشكل عام عتيقة أو منتهية الصلاحية كما الحال بالنسبة لصواريخ سام وإلى حد ما صواريخ ستنجر التي كانت قديمة وخارج الخدمة في الجيش الأمريكي وكثير منها فاسد لا يصلح للإستخدام. وبعد إنسحاب الروس ظهرت الذخائر المفخخة التي تنفجر في أيدي المجاهدين وسوف نذكرها في وقتها بشيء من التفصيل . وبعض الصفقات التي عقدتها أمريكا كانت غامضة تماما مثل تلك الصفقة مع الهند التي تم بموجبها شراء ثلاث آلاف بندقية إنجليزية عتيقة من أيام الإحتلال البريطاني للهند ، وإرسالها للمجاهدين الأفغان (كما جاء في كتاب فخ الدب) ولا يدري أحد الحكمة في تلك الصفقة خاصة وأن الهند كانت متحالفة تماما مع السوفيت في تلك الفترة ، بالطبع لم يستخدم أحد تلك البنادق طوال

الحرب وحتى الآن ، ومازالت داخل مخازن المنظمات الأفغانية.
نعود مرة أخرى إلى قضية الإنفاق الأمريكي على الحرب ونقول أن معظم تمويل تلك الحرب على الجانب العسكري أو الإغاثي جاء من المملكة السعودية خاصة الجانب الرسمي الذي كان ينفق طبقا للتوجهات الأمريكة ونيابة عن ميزانية الإستخبارات الأمريكية التي إستخدمت ميزانية السعودية بكل حرية في معظم عملياتها القذرة في العالم أجمع من أمريكا الجنوبية إلى أفغانستان مرورا بدول إفريقية وآسيوية عديدة .
أما التمويل الشعبي القادم من السعودية فكان الثاني من حيث الأهمية ، وقد إتخذ نفس المسارات الرسمية في معظمها إلا أن نسبة قليلة منه (إنحرفت) نحو الأعمال الصحيحة وأدت إلى نتائج في مصلحة الإسلام والمسلمين . وهذا ما أثار الحكومة الأمريكية والمملكة السعودية وكبحا ذلك التوجه فيما بعد .

(2) ... أثارت الولايات المتحدة بعد نكسات عام 1984م قضية الفساد والسرقات بالنسبة للأسلحة المرسلة إلى الأفغان ، كذلك قضية التمزق السياسي لأحزاب الأفغانية في بيشاور، وهو العامل الذي يضعف الموقف السياسي للقضية في العالم .
التمزق السياسي للأحزاب يرجع في معظمه إلى تمزق الجبهة المساندة للأفغان ، فبينما يقف ضياءالحق موقفا مناوئا من الأمريكان ويحتضن حكمتيار كرهان أساسي، فإن أمريكا تـ رى في جيلاني رهانا غربيا أفضل يضم الملك السابق ظاهر شاه ولا يمانع في حكومة نصف شيوعية . بينما السعودية التي لا تمانع في الحل الأمريكي ولكنها ترى في الإخوان ورقة أكثر نفعا وإختارت سياف للزعامة التي ستحقق أيضا مبدأ المشاركة الواسعة مع الملكيين والماركسيين . في المقابل فإن حلفاء آخرين مثل بريطانيا وفرنسا لهما مقترحات تختلف قليلا في الشكل وإن إتحدت في الجوهر (وهو عدم إسلامية الحكم القادم) بريطانيا رجحت الجيلاني ولكنها لم تمانع في شريحة من المتشددين والمزيد من المعتدلين أما فرنسا فقد يممت شطر الشمال وراهنت على القائد البارز أحمد شاه مسعود والأقلية الطاجيكية .
ضياءالحق شعر أن أمريكا سوف تضغط أكثر من أجل مزيد من السيطرة المباشرة على ما يجري في بيشاور ، أي الأحزاب الأفغانية بل وعلى المجهود العسكري نفسه .
فاتخذ ضياءالحق خطوطا دفاعية حتى يحد من ذلك الهجوم الأمريكي . فلجأ إلى التخلي عن بعض سلطاته (ظاهريا) بواسطة الإنتخابات والبرلمان الجديد وتعيين رئيس وزراء لأول مرة منذ إنقلابه العسكري عام 1977م .
والهدف من ذلك المزيد من القدرة على المناورة تحت حجة أن القرار موزع بينه وبين رئيس الوزراء والبرلمان . وبذلك يمتلك قدرة أكبر على تفادي الضغوط الأمريكية .
ولكنه فشل في تلك اللعبة، في عام1988م قبل إغتياله بعدة أشهر شعر بتآمر رئيس الوزراء عليه فإنقلب على ذلك الوضع الذي أسسه عام 1985م وأصبح ظهره إلى الحائط وكان مستعدا أن يقاتل، دفاعا عن نفسه على الأقل، حتى لو إضطر إلى قلب مائدة القمار على اللاعبين ، فاغتاله الأمريكان قبل أن يتمكن من ذلك .

(3) ... لم يكن ضياء الحق يتخيل إمكانية الحسم العسكري لقضية أفغانستان وبالتالي كان متأكدا من حتمية حل وسط بين أمريكا والسوفييت. يأتي ذلك الحل بعد إنهاك السوفييت

للحصول منهم على تنازلات أكبر في أفغانستان. وكان يرى أن باكستان هي التي سوف تستولي علي تلك التنازلات السوفييتية بشكل مباشر ، على أن يكون التصرف فيها وفقا للمصالح الأمريكية لأن باكستان كلها تبعية أمريكية ولكن الفارق هو أن ضياء الحق وأجهزته سوف يتمتعون بمزيد من الثقل والنفوذ الإقليمي وهو ما يرفع أسهمهم من عائدات الخدمة التي تمنحها لهم الإدارة الأمريكية .

لذا فإن ضياء الحق مع الجنرال أختر عبد الرحمن (مدير المخابرات العسكرية والشخصية الأقوي في البلاد بعد الرئيس) كانا من أنصار تصعيد هادئ للضغط العسكري للحصول على أكبر عائد من التسوية السياسية حين تحين ساعتها وحتى تلك الساعة المنشودة فإنهم يحصلون من أمريكا على أكبر عائد مجزي ، فمثلا:

ـ أصبحت باكستان الدولة الثالثة على جدول المعونة الخارجية الأمريكية بعد كل من إسرائل و مصر .

- تم تحديث الجيش الباكستانى وتقويته بإعتبار أنه خط الدفاع الأول عن مصالح الغـرب إذا تخطى الجيش الأحمر الحدود الأفغانية نحو المياة الدافئة.

- تغاضت أمريكا عن البرنامج النووي الباكستاني الذي قطع أهم خطواته خلال سنوات الحرب الأفغانية حيث أمريكا في أشد الحاجة إلي تنقية الأجواء مع باكستان .

ـ تعاونت أمريكا إلي أقصى حد مع نظام ضياء الحقوق فى نظـام (شـراكة) فـى تجـارة المخدرات الدولية . فقد أدخلت مصانع الهيروين على نطاق واسع ونظمت بشكل مشترك قضايا الزراعة والتصنيع والنقل . كل ذلك تحت ستار (برنامج التعاون المشترك للسيطرة على المخدرات) الذي لم يكن سوى ستار للسيطرة الأمريكية على تلك الثروة مقابل عائد مجز تحصل عليه باكستان . وقد كان محافظ إقليم الحدود الشمالي الغربي "وعاصمته بيشاور" وهو الجنرال فضل الحق هو المسؤول الأول الذي عينه ضياء الحق للإشراف علي ذلك المشروع .

ورغم أن إسمه ذاع عالميا ـ ربما بتسريب أمريكي ـ كأكبر تاجر ومصنع وزارع للمخدرات في العالم، إلا أنه إستمر في عمله حتى آخر لحظة في حياة ضياء الحق .

إذن كان ضياء الحق متأكدا أن موجة الجهاد لا بد أن تتوقف طوعا أو كرها عندما تحين ساعة التسوية التي لن تكون سوى حكم مختلط شيوعي/إسلامي. لذا فقد طالب الجماعة الإسلامية ألا يكون الجهاد شعبيا في باكستان وأن يكتفوا بالمعونات الإنسانية . أما باقي الأحزاب السياسية التي كانت محظورة في عهد ضياءالحق ولكن رموزها باقية ولها قدر لا بأس به من حرية التعبير في الصحف فكانت معارضة لإستمرار القتال وتدعو إلى التسوية السريعة في أفغانستان . قطاع من تلك الأحزاب كان على صلات عقائدية ومالية بالسوفييت، خاصه تلك الأحزاب المحليه في أقاليم الحدود (بلوشستان وصوبة سرحد)

أما الأحزاب الوطنية أي على مستوى البلاد كلها) مثل حزب الرابطة الإسلامية (مسلم ليج) وحزب الشعب (برئاسة بي نظير) فكانا على علاقات تمويلية وسياسية بالولايات المتحدة الأمريكية وسياسيا كانا على طول الخط مع تسوية سريعة من أجل دولة لادينية (علمانية) في أفغانستان .

وكانت بي نظير أكثر حذقا سياسيا فقد لعبت على الحبلين السوفييتي والأمريكي حتى آخر لحظة حين وصلت إلى الحكم . وحتى في ذلك الوقت ، رغم إرتباطها الوثيق بالسيادة

الأمريكية ـ فإنها أبقت على علاقات دافئة مع السوفييت ثم روسيا فيما بعد .
والجدير بالذكر أن وزارة الخارجية الباكستانية كانت دوما غير مستريحة مع السياسة المغامرة للرئيس ضياء الحق. وخلال أحاديث سمعتها من بعض كبار مسؤوليها عبرت الخارجية عن رغبة في إنهاء الحرب الأفغانية في أقرب وقت خشية من أن تؤدي إلى كارثة تهدد وجود باكستان كدولة إذا أطبقت عليها الهند في عمل عسكري مشترك مع السوفييت وكانوا يتوقعون، أو لنقل أنهم كانوا متأكدين، من أنه فى مثل هذا الموقف فإن أمريكا سوف تخذلهم كما فعلت أثناء مأساة إنفصال بنجلادش (باكستان الشرقية) على أيدي الجيش الهندي وبمساندة سوفييتية عام 1971م . لهذا كانت أحاديث موظفي الخارجية الباكستانية عن أحزاب المقاومة الأفغانية تنضح بالإحتقار .

(4)... ما زلت أتعجب لهذا التصرف السعودي ، فلماذا أقحموا هؤلاء السبعة من القادة الأفغان في داخل الكعبة كي يقسموا على القرآن ؟.
لم تكن تلك هي المرة الأولى أو الأخيرة التي إستخدم فيها (السعوديون) الكعبة كورقة سياسية. فليس من المبالغة في شيءالقول بأن الإستغلال السياسي للكعبة هو سبب بقاء الحكم السعودي الذي لا يمتلك من أسباب الشرعية شيئا . بل أن سحب مكة والمدينة من تحت سلطان الخلافة في إسطنبول كان الخطوة الرئيسية في إنهيارها كقيادة دينية سياسية للأمة المسلمة في العالم . وهكذا صرح (لورنس) مهندس ذلك الإنفصال ومنفذه . وبقاء مكة والمدينة تحت حكم آل سعود يعني سيطرة "الصليبية اليهودية" على كل مقدسات المسلمين ، وإبقاء الأمة في حالة شتات وتمزق وتيه أشد من تيه بني إسرائيل في سيناء .
هل كان قسم الزعماء السبعة داخل الكعبة مع علم السعودية أن هؤلاء لن يحترموا أي قسم مهما كانت غلاظته،هل كان ذلك محاولة يائسة لتثبيت حكم رجلهم سياف؟ أومن أجل إحراق هؤلاء القادة على المستوى الإسلامي وحرق سمعة الجهاد معهم كقيمة دينية ؟ ...
أم كان محاولة لإدخال هؤلاء القادة إلى جهنم بطريقة مضمونة وسريعة ؟ .
على أية حال مازال آل سعود يستخدمون الكعبة في (غسيل) القادة المرتدين في بلاد المسلمين وتحويلهم إلى (حجاج) على الطريقة السعودية. فقد فتحت المملكة أبواب الكعبة أمام (بي نظير بوتو) قبل أن تتوجه إلى بلادها تمهيدا لتوليها الحكم قبل إغتيال ضياء الحق بعدة أشهر . ومعروف الدور الذي قامت به تلك المرأة ومازالت ، وهو إمتداد لدور أبيها الذي أعدمه ضياء الحق، وهو نفس دور آل سعود وباقي حكومات الردة العربية وهو دور محاربة الإسلام بل (تجفيف منابعه) كما صرح بذلك أحد منظري الردة وصقورها من المسؤولين العرب .

(5) ... إلتقيت بالأستاذ مصطفى مشهور أثناءزيارته تلك. وبصحبة الدكتورعبد الرحمن الذي كان من القلة التي تدرك هول الإنحراف الحادث وتتمنى إصلاحه . ويرى كما كنا نرى أن (الإخوان) هم الجهة الإسلامية الوحيدة التي يمكنها أن تفعل ما نأمل به . إجتمعنا بالرجل في غرفته الخاصة داخل مبنى الهلال الأحمر الكويتي وشرحت له الموقف ، بعد أن أوضحت له لقائى مع بعض قيادات الإخوان في مصر كانوا قد جاءوا إلى أبو ظبي منذ فترة قصيرة وإجتمعت بهم هناك ، بعد أن قدمني لهم الحاج سيف . فأظهروا تفهما وحماسا،

وطلبوا مني الذهاب إلي بيشاور للإجتماع بالأستاذ مصطفى مشهور لكونه المكلف من قبل الجماعة بموضوع أفغانستان.ملخص ما قلناه هو أن بيشاور لا تمثل الجهاد في شئ بل هي عقبة خطيرة في طريق الجهاد .
وأن دور الإخوان لإصلاح مسيرة الجهاد ينبغي أن يبدأ من داخل الجبهات،فهناك المخلصون وهناك الجهاد. وأن دور الإخوان في أفغانستان ينبغي أن يكون إمتدادا لدورهم في فلسطين.
وأن الشباب العربي الهائم على وجهه في بيشاور وفي أفغانستان يحتاج إلى من ينظمه ويدربه ويستفيد من طاقاته، وليس سوى الإخوان من يفعل ذلك لما لهم من خبرة ولديهم من كوادر .
أطرق الرجل صامتاً لفترة طويلة.. وخيم السكون.. ثم رفع رأسه فجأة وأطلق في وجهي زخات متلاحقة من الأسئلة البوليسية الغاضبة: من أنت؟، ما إسمك؟، ماذا تعمل؟،أين ولدت؟ من أبوك؟، أين تعلمت؟، متى أتيت إلى أفغانستان؟، ماذا تفعل هنا؟ ... إلخ.
أجبت على كل سؤال بهدوء وأدب. فلم أكن مستعداً للغضب. فهذه هى المحاولة الأخيرة مع أكبر مسئول في الاخوان، والمختص بأفغانستان.. ولا بد من الصبر، فهؤلاء هم القادة والأمل المنشود.
أفرغ الاستاذ مشهور جعبته من الاسئلة الغاضبة وهدأ قليلاً ثم قال (جزاكم ا خيراً لقد أديتم ما عليكم)، وفهمنا أن المقابلة قد إنتهت وانه يطلب منا الإنصراف. فغادرنا الغرفة.
تناقشت طويلا مع الدكتور عبدالرحمن، هل إنتهى الأمر عند هذا الحد؟. وأصر هو على أن الأمر لم ينته ولا بد أن نقابل الرجل مرة أخرى في صباح الغد حتى نأخذ منه رداً واضحاً وقطعياً.
في صباح الغد كانت مائدة إفطار ضخمة قد مدت على أرض الصالة في مبنى الهلال الكويتي وجلس عدد من أفراد وفد الوساطة أعرف منهم فقط الدكتور الصواف. وآخرين لم أرهم قبلاً ومن جنسيات خليجية مختلفة خاصة من السعودية والكويت.
إنتهى الإفطار وتهيأ الجمع للتحرك نحو لقاء ضمن إطار(الاصلاح) بين القادة الأفغان وحتي لا تفلت الفرصة مال الدكتور عبدالرحمن وهمس في أذن الأستاذ مشهور قائلاً: ما رأيك فيما قاله أخونا بالأمس؟
وهنا وقعت الواقعة وإنفجر الأستاذ مشهور صائحاً:
إنه يريد أن أفتح جبهة.. هذه ليست سياسة الإخوان.. سياستنا هى الإصلاح بين القادة الأفغان وهم أدرى بشئون بلادهم.. إن تورط الإخوان في أفغانستان سوف يكون ذريعة لضربهم في مصر والبلادالعربية.. نحن نهتم بالدعوة والتربية ولا نريد أن يورطنا الأعداء في مخططات تضر بمصالح الدعوة... إلخ.
سرني أنه قد توقف، فقد إستعجله أفراد وفد الوساطة للذهاب حتي لا يضيع الموعد.
وغادرت مع الدكتور عبدالرحمن وقد عقدت ألسنتنا الدهشة وأنا أسـأل نفـسي وأسـأل صديقي: في أي شيء أخطأت؟.
لم نجد إجابة.. ماذا حدث للإخوان؟ سألت نفسي وتذكرت الحكمة اليائسة التي قالها الزعيم المصري سعد زغلول في مطلع هذا القرن، حين قال: "مافيش فايدة!!.."

(6) .. من عجائب السياسة السعودية أن تتحرك المملكة على الخط الإسلامي (المقدس) لمساندة

وتكملة المجهود الأمريكي غير المقدس. فالإتحاد السباعي الذي أنشأته السعودية لصالح سياف ، وجرجرت سبعة من قادة الأفغان كي يقسموا أيماناً مغاظةً داخل الكعبة للإبقاء على الإتحاد.
كما جرجرت قادة الإخوان، ورموز السلفية السعودية، وإمام الحرم المكي في عقد الإتحاد الأول، فها هي تسوق نفس الفريق للمساعدة في حل نفس الإتحاد، بل وطرد ثلاثة من قادته وحرمانهم من العمل السياسي، بل أيضاً حل مجلس الشورى؟؟؟؟.
وعجيب هذا المسعى السياسي المتطابق بين أعضاء الكونجرس الأمريكي وأعضاء الوفد الإسلامي السعودي/ الإخواني/ السلفي؟؟. وهل ذلك كان إتفاقاً عارضاً تم بدون قصد أم أننا أمام جبهـة واحـدة معاديـة للإسـلام تعمـل فـي مـستويات مختلفـة وبوجـوه متباينـة ولكن ضمن خطة واحدة؟

(7) .. هذه أقدم إشارة أجدها بين أوراقي القديمة بخصوص هذا الموضوع الخطير ، موضوع إبعاد المتطوعين العرب عن الساحة الأفغانية. وهو موضوع لم يثار فى العلن إلا بعد معارك جلال آباد عام 1989 أي بعد إتمام الإنسحاب السوفييتي بعدة أشهر. وبدأت الحملات البوليسية ضد العرب في باكستان منذ شهر مارس 1993. والغريب في تلك الملاحظة أنها تشير إلى أن مطلب إبعاد العرب عن الساحة الأفغانية قد جاء من طرف غير متوقع لدى المسلمين آنذاك وهو طرف المنظمات الأفغانية نفسها، وبالإجماع من المتطرفين الأصوليين، والمعتدلين الغربيين.
وكان الإستثناء الوحيد هو سياف شخصياً لأسبابه المالية المفهومة.
والأغرب من كل ذلك أن أول من تلقى تلك السهام المسمومة كان الدكتور عبدا عزام. الرمز والراية الإسلامية العربية وأقوى الأصوات دفاعاً عن قضية الأفغان في العالم الإسلامي؟؟.
وعلمت فيما بعد أن الدكتور عبدا وصلته تهديدات بالقتل من طرف جماعتي حكمتيار وربانى،فآواه سياف لفترة داخل أحد المعسكرات التابعة له قرب الحدود وهو معسكر (صدى) الشهير، وبقي هناك حتى هدأت العاصفة.
تهمة الوهابية ما زالت تلاحق العرب حتى الآن في أفغانستان،وتهمة مناصره سياف هدأت بعد فتح كابول بعام حيث إنفض العرب من حوله وتحلقوا حول حكمتيار وقاتلوا معه في كابول ضد رباني (رئيس الدولة) ومسعود (وزير الـدفاع) فـساءت صـورة العـرب وإنهارت أكثر من ذي قبل.
أما التنبؤ بأن القادة القوميين سوف تكون لهم اليد العليا فهو لم يكن صحيحاً بشكل كامل. فقد عرقلت باكستان ذلك لكراهيتها للملك ظاهر شاه عدوها التقليدي في أفغانستان،وهوشعار هؤلاء القوميين.
ولكن ذلك التيار تولى قيادة ثاني حكومة مؤقتة تشكلها أحزاب بشاور وقد ترأسها صبغة ا مجددي في فبراير 1989م قبل إتمام الإنسحاب السوفييتي بأيام. ثم تولى مجددي مرة أخرى أول حكومة للمجاهدين في كابول بعد الفتح، وهي الحكومة التي شكلها سياف تحت إشراف "الأمير تركي الفيصل" رئيس المخابرات السعودية.لقد عبر التيار القومي صراحة عن إنتقاداته للعرب ولكنه لم يتحرك إيجابياً ضدهم سواء في باكستان أو داخل أفغانستان.
أما التيار الآخر الأصولي فقد وصلت إيذاءاته للعرب في صور شتى فيها خداعهم

وإستغلالهم فى قتال داخلى ضدالخصوم من الأحزاب(الأصولية)الأخرى وحدث ذلك كثيراً في شمال أفغانستان تحت ستار مقاتلة المنافقين ولم يعلم السذج من المتحمسين العرب أنهم مشتركون في تصفيات حزبية من تلك الشائعة بين الحزب "حزب إسلامي حكمتيار" والجمعية الإسلامية (رباني).

(8) .. كان سياف متخصصاً بارعاً في خداع الدكتور عبدا عزام.. والجمهور العربي الملتف حوله والذي يثق بلا حدود في سياف وفي الدكتورعزام.
ذهبت قبل إعلان (الإتحاد الأمريكي الجديد) إلى الدكتور عبدا عزام، كي أستشيره في تلك الكارثة التي سوف تحل بالجهاد في أفغانستان بل سوف تطال سمعة المجاهدين في العالم أجمع، وأقترح عليه أن يسعى في تجميع المخلصين والرافضين لذلك التدخل الأمريكي، في تجمع واحد (إتحاد) يكون مقره الرئيس وقيادته داخل الأرض المحررة في أفغانستان، على أن يتولى الدكتور عبدا وأنصار الجهاد في العالم العربي في جمع الأموال والإنفاق على ذلك الإتحاد والتخلص من سيطرة باكستان وأمريكا على المجاهدين.
وأخبرته أن قادة الأحزاب الكبيرة كلهم موافقون على (الاتحاد الأمريكي) الجديد.
فانتفض الدكتور عبدا قائلاً:" لا.. إن الشيخ سياف غير موافق وأخبرني أنه لن يدخل الإتحاد الجديد، وسوف يظل متمسكاً بالاتحاد الحالي الذي أقسموا عليه في الكعبة المشرفة، وحتى لو تخلى عنه الجميع فسوف يظل هو في الاتحاد. كما أن حكمتيار أيضاً غير موافق على الاتحاد الجديد، وللأسف فإن برهان الدين وخالص موافقان".
أجبته قائلاً: إن إعتراض سياف على الخطوة الأمريكية هو إعتراض شكلي وحسب علمي فإن القادة الآخرون معترضون على تصميم سياف على أن يحتفظ لحزبه بإسم الإتحاد الأخير وهو (الاتحادالإسلامى لمجاهدى أفغانستان) وأخبروا حكومة باكستان إنهم لن يوافقوا على إحتفاظ سياف بذلك الإسم لمجموعته لأنه سوف يواصل إستغلال الإسم في خداع العرب لجمع الأموال للإتحاد المذكور ويدعي أن الإتحاد باقي حتى لو تركه الآخرون بل سيتهمهم بالمروق عن الدين والحنث بيمين الكعبة. فيلوث سمعتهم من جهة ويسرق الأموال لنفسه من جهة أخرى. والحل كما يرون أن يعود سياف إلى إسم مجموعته القديم (الإتحاد الإسلامي لتحرير أفغانستان) وهو إسم أول إتحاد كان تحت إمرته ولم يكن مدعماً بأي قسم في الكعبة.أما حكمتيار فهو على نفس موقف الآخرين بلا تبديل.
إنزعج الدكتور عبدا من هذا الكلام واعتبره نوع من الإفتراء والتجاوز في حق سياف وأجاب قائل:(هذاغيرصحيح ومخالف للذىسمعته من سياف وحكمتيار حتى أن سياف مستعد للدخول إلى أفغانستان والعمل هناك تاركاً بشاور وباكستان التي تريد أن يكون الجهاد تحت إمرة أمريكا).
قلت له: إن هذا شيء جيد ومكسب هام للجهاد أن يدخل سياف بثقله المالي والمعنوي كرئيس للاتحاد إلى داخل أفغانستان للجهاد واحتجاجاً على التدخل الأمريكي.. إن مولوي نصر ا منصور لديه نفس الفكرة.. فلماذا لا تسعى إلى أن يجتمع الرجلان معاً لتنسيق عمل مشترك ينضم إليهما فيه الإثنان الآخران (قاضي أمين ورفيع ا مؤذن) وهناك على الأقل ثلاثون من أعضاء مجلس الشورى يؤيدون تلك الخطوة.. فهناك إذن قوى لا يستهان

بها لإعلان ميلاد جديد وصحيح للجهاد في أفغانستان. تاركين كل ذلك الخبث في بشاور.
وافق الرجل على الفور وإتفقنا على عقد إجتماع مع مولوي منصور في مكتبنا السري في إسلام آباد. أعطينا عنوان البيت للشيخ عبدا وحددنا موعداً بعد عصر أحد الأيام. حيث يأتي مولوي منصور لوضع تصور نهائي عن المشروع قبل أن يذهب الدكتور عبدا لعرضه على سياف في (بابي) قرب بشاور. في الموعد المحدد وصل الشيخ منصور.. وبعد نصف ساعة وصل الدكتور عبدا ومعه(!!):
أبومازن (الرائد حمود) الملحق العسكري في السفارة السعودية وشاب سعودي آخر لا نعرفه. أُسقِطَ في أيدينا ونحن نرى رجال الإستخبارات السعودية في مقرنا السري لحضور هذه (المؤامرة) السرية لإصلاح مسيرة الجهاد؟؟.
أفراد جماعتنا (السرية) تركوا البيت فوراً وأجريت المباحثات منفرداً مع الدكتور عبدا ومولوي منصور وأبومازن والشخص المجهول.
كان لا بد أن أكمل المشوار مع يقيني أن كل شيء قد ضاع. فها هي اليد السعودية من جديد تمتد في أحشاء العمل الجهادي ! ! .
إستغرق النقاش أكثر من ساعة أعقبها لقاء في اليوم التالي إلى أن تم الاتفاق على أن نتحرك جميعاً في صباح الجمعة لمقابلة سياف في بابي، ولما كنت على حرب مع سياف فقد كان من المقرر أن أبقى في بشاور منفرداً حتى يعود إليها مولوي منصور ويخبرني بالنتائج.

<u>كرامات إستخبارية:</u>

يوم الجمعة في الصباح الباكر كانت سيارتان تقف أمام بيتنا في إسلام أباد، إحداها يسوقها"أبوأكرم" مساعد الدكتور عبدا عزام ويستقلها الدكتور وأبومازن والشيخ منصور فركبت معهم.
إنطلق أبوأكرم مثل القذيفة صوب بشاور، فهرب الدم من جسمي فلم أستمتع بأحاديث أبومازن عن كرامات الجهاد الأفغاني، وهؤلاء الذين هداهم ا من مسئولي السعودية ورجالاتها لخدمة الجهاد، وطائرات السلاح التي تطير من السعودية إلى إسلام آباد ويوافق الباكستانيون على إدخالها بعد إلحاح السفارة السعودية (وبركات الجهاد) ... إلخ.
ويستجيب الدكتور عبدا لهذا الحديث المحبب إلى نفسه، فيسرد عدداً من الكرامات التي سمعها من مجاهدين أفغان.بعض الأسماء التي وردت كنت أعلم عن أصحابها أنهم لصوص متعاونون مع حكومة كابول.
كاد أبوأكرم أن يرسلنا إلى العالم الآخر عدة مرات، ولم يستجب لنصائح الدكتور عبدا بتخفيض السرعة وأظنه أراد إختزال فترة الإستماع إلى الكرامات السعودية. وشعرت بالإرتياح وأنا أنزل من السيارة قبل أن تنحرف يساراً إلى (بابي).
علمت بعد ذلك أن سياف حول الموضوع إلى (لجنة) تضم عدداً من رجاله وعدداً من رجال منصور بهدف حصر الجبهات الموجودة والإمكانات المتوفرة لدى الإتحاد، وجماعة منصور (حركت إنقلاب إسلامي) وإستمر العمل ثلاثة أيام ليل نهار. وفي اليوم الرابع أعلن سياف إنضامه إلى الإتحاد الأمريكي الجديد، بلا قيد أو شرط بعد أن تنازل عن الإسم الشرعي

وعاد إلى الإسم القديم حسب رغبة الزعماء!!.
طبعاً (جلب الدين حكمتيار) الزعيم الأصولي المتشدد وعدو أمريكا الأول في أفغانستان كان الأسبق في الإنضمام. وإن ظل يعلن بمناسبة وبدون مناسبة عن رفضه الإلتقاء بالرئيس الأمريكي (رونالد ريجان) ! !.
الدكتور عبدا عزام لم يحاول الإتصال بي، ومرت عدة أشهر قبل أن أراه مرة أخرى. وإستمر في عمله بنفس الأسلوب القديم وكأن شيئاً لم يكن. . أما مولوي منصور فقد بدأ رحلة من الإنحدار السريع. وذبل دوره الأفغاني بشدة، ثم حاول الإستناد على إيران، فأضره ذلك أكثر مما أفاده. وأظنه دفع حياته ثمناً لذلك التحالف، عندما فجره (مجهولون) داخل سيارته قرب منطقته في جارديز بعد فتح كابل بعدة أشهر وظل الإتهام معلقاً فوق رأس حكمتبار وأسياده فى باكستان. أما هذا الإتحاد الأمريكي فقد عاش أطول فترة إتحادية إذ ظل ثلاث سنوات تقريباً، حتى وقعت إتفاقية جنيف عام 1988 التي تنص على الإنسحاب السوفييتي من أفغانستان. فأمر الأمريكان أحزاب بشاور بتشكيل حكومة منفى أو حكومة مؤقتة، فتم تشكيلها تحت رئاسة المهندس أحمد شاه نائب سـياف الـذى يحمـل الجنسية الأمريكية.
لم يقم الإتحاد الأمريكي بأي دور إتحادي اللهم ذلك الدور الباهت لمنصب الناطق الرسمى الذى يتولاه أحد القادة كل شهرين، وبالنسبة لسياسة التسليح فقد بدأت سياسة جديدة تقضي بتسليم الأسلحة مباشرة إلى قادة المجموعات في داخل أفغانستان.
ولم يكن لذلك نتيجة عملية كبيرة.لأن السرقات الباكستانية إستمرت بالإتفاق مع قادة الـ داخل طالما إستمرت السياسة الجديدة تنفذ بواسطة الاستخبارات الباكستانية. فقط كمية المنازعات في الداخل تزايدت كذلك كمية الفساد. فتحول (الجهاد) إلى وسيلة للحصول على أسلحة وسيارات وأطعمة وأدوية.. كما أصبح الجهاد الحقيقي متعثراً وعسيراً أكثر من أي وقت مضى. وفي ظني أن ذلك كان هدفاً أمريكياً.
ومن الغريب أنه عندما إكتظت الجبهات بالرجال والسلاح والمعدات ضعف الجهاد حتى كاد أن يختنق. وكنا أمام ظاهرة عجيبة من (الفوضى المسلحة) الغارقة في بحور من الفساد والنفوذ الخارجي من الغرب والشرق معاً وجنباً إلى جنب في حالات عديدة.
علمت بعد ذلك أن الأمر لم يكن سهلاً بالنسبة لسياف الذي ظل يناور حتى آخر لحظة من أجل الإحتفاظ بلقب (إتحاد إسلامى مجاهدي أفغانستان) حتى لا يفقد مكانته الأدبية لدى العرب ويستطيع مواصلة الإحتيال عليهم، وظل كذلك حتى وصل السيناتور الأمريكي . الجنرال أختر عبدالرحمن كان يعرف سر المناورة ويعلم أن سياف مسنود في موقفه بالحكومة السعودية. فتحداه بطريقة ملتوية إذ طلب منه أن يأتي بزعيم واحد من قادة الأحزاب يوافق على إستمرارية الإتحاد المزعوم. لم يجد سياف أمامه سوى مولوي منصور مرة أخرى وطالبه بالتضامن مع في اللعبة كي ينضما معاً في التشكيل الجديد محتفظين بالعنوان القديم الذي (يبيض ذهباً عربياً) . رفض منصور المناورة الرخيصة. فأسقط في يد سياف. وعندما طال تأخره حتى أوشكت جلسات السيناتور الأمريكي أن تبدأ مع قادة الأحزاب الأفغانية وسياف لم يعط رده بعد فتلقى تهديداً سافراً من الجنرال أختر عبدالرحمن الذي أبلغه على المكشوف أن أموال الخليج لن تصنع منه زعيماً.. وأنه بجرة قلم ممكن أن يلغي تلك الزعامة ويجعله جالساً في بيته بعيداً عن الملعب!!.

فأتى سياف مذعنا.
الطريف أنني قابلت مهندس أحمد شاه نائب سياف في بشاور وسألته ،قبل حل الإتحاد (المقدس) الذي عقد في الكعبة والدخول في الإتحاد الأمريكي الذي كان على وشك أن يعقده عضو الكونجرس الأمريكي من لجنة الدفاع في المجلس. فأخبرني أن أمريكا لا دخل لها إطلاقاً بموضوع حل الإتحاد الحالي وإنشاء إتحاد جديد.بل السبب هو أن الإتحاد الحالي يعاني من التصدع نتيجة لمشروع جاجي الذي تقدمنا به العام الماضي ومن شكايات جلال الدين من الإتحاد ومنها بدأت المشاكل حتى الآن!!.
تعجبت لهذا التزوير والكذب (الشجاع) الذي يمارسه المهندس في وجهي كأنني لا أعلم ما يدور، ولكنني كنت قد تعودت على تلك الشجاعة السياسية في الكذب في بشاور كما تعودت على شجاعة المجاهدين في الجبهات.
يونس خالص الذي كان أول ناطق رسمي للإئتلاف الجديد كانت له تصورات أخرى.
فهو سعيد كالآخرين بإزاحة سياف متوقعا أن المعونات الإسلامية (السعودية طبعاً) سوف تصب في مجري جديد، فى وعاء موحد، ثم يجرى التقسيم بين المنظمات كما كان مقرراً عند الاتحاد الأول. وقال إن لجانا مشتركة سوف تشكل في نشاطات الصحة والتعليم والإعلام... ما عدا العمل العسكري؟؟؟.
في المقابل يبدي خالص ملاحظة بأن (أمريكا وفرنسا!!) تريدان التعامل مع قادة الداخل بشكل مباشر، بدون وساطة قادة الأحزاب في بشاور. وهو يخشى من أن يؤدي ذلك إلى إضعاف الرباط بين مجاهدي الداخل وقادة بشاور !!!، وعن تمسك سياف بالإتحاد السابق قال أنه بسبب أن كل الأموال تصب في جيبه!. وأنه (خالص) في الإتحاد السابق كان يشغل منصب رئيس اللجنة المالية وصرف أموال لقادة المنظمات بصفتهم رؤساء لجان إتحادية مثل الدفاع والتعليم... إلخ، صرف لهم مئتي مليون روبية باكستانية وطالبهم بما يثبت صرفهم لتلك الأموال وأوجه صرفها فرفضوا جميعاً. ثم تعمدوا مضايقته فطلبوا منه عدم إستلام أو تسليم أموال إلا بتوقيع ثمانية أفراد من ضمنهم قادة المنظمات المنضمة للإتحاد. فاضطر للإستقالة من عمله. وقال خالص وقتها: إذا ترك الحال بين الأحزاب على ما هو عليه فإن الجهاد قد ينتهي كلياً. وأن الأحزاب تنفق المال لتفريق كلمة المجاهدين وليس لتوحيدهم وتقوية الجهاد.
مجلس الشورى القديم حارب آخر معاركه الخاسرة إلى جانب سياف. وبضغوط من قادة الأحزاب الأخرى، إرتدع عدداً منهم عن تأييد سياف، حتى أن الجلسة الأخيرة التي عقدها المجلس المذكور لبذل آخر محاولاته لوقف هدم الاتحاد لم يحضرها سوى 33 عضواً فقط من إجمالي 55 عضواً (كان خمسة قد تركوا المجلس نهائياً للمرض والوفاة)ثم أصدر المجلس بيانا يائساً في السابع والعشرين من مارس1985 أنقله هنا بنص الترجمة العربية التي قام بها الشيخ نصر ا منصور بدون محاولة تعديل الصياغه:

بسم ا الرحمن الرحيم

نحن أعضاء الإتحاد الإسلامي وأعضاء الشورى العالي، نصوب المواد الآتية، لإزدهار وتقدم الجهاد. بإتفاق جميع المنظمات الإسلامية:
1- إن الإتحاد الإسلامى هو الأساس الذى عاهدنا عليه فى بيت ا ، حالفين بكلامه، لا

نسلم أية تحول في هذا.
2- وفق مكاتيب قادة الجهاد و أعضاء الشورى العالى، إنحلت جميع النظمـات فـى هـذه الحلقة، ونحسب أن إحياءها مرة أخرى خطيئة عظيمة ونحسبها ضرراً للجهاد.
3- كل قرار يضر الجهاد ومصالحه مردود عندنا، ولا يمكن قبوله.
4- كل قرار لم يصدره الشورى العالى، ولم يؤيده أعضاؤه. لا يقبل به، ويتحمل مسؤليته الرجال الذين إتخذوا القرار.
5- نتمنى من جميع الدول الإسلامية سيما باكستان الذى هو شريك فى العقيدة وهو يتوجع بأوجاعنا أن يقف معنا وأن يوافق على طلباتنا منه.

التوقيع

....

لا داعي للتعليق على البيان. سوى سذاجة الموقف من باكستان وخطأ هذا التصور (الإخوة في العقيدة)، (ويتوجع بأوجاعنا) هل في عالم السياسة مكان لهذا الكلام؟؟. أفاد منصور أن صبغة ا مجددي أخبره بشأن الإتحاد الامريكي الجديد قبل ستة أشهر من البدء في إنشائه. وأن حكمتيار"الأصولي" حذر منصور من مغبة رفضه للمشروع. وذلك قبل شهر من إعلانه وقال له: "سوف تندم اذا رفضت"!!!.أما إذاعة صوت أمريكا فقد أعلنت قيام الاتحاد الجديد فـي أول إبريـل عـام 1985(وكأنـه كذبـة أبريـل الـشهيرة وقـد كـان كـذلك). الإذاعة البريطانية تأخرت في اعلان النبأ حتى الرابع من إبريل، وفي بشاور لم يعلن النبأ إلا بعد ذلك. وبالنسبة لعرب بشاور والمتحمسين في بلاد العرب وغيرها، فما وصلهم عبـر الاعـلام (الإسـلامي) الـذي إعتـاد الكـذب والتزييـف (للأسـف)!!!! هو أن الإتحاد قائم بشخص سياف وبمن حوله من المخلصين. وان ما حدث هو تمايز في الصفوف!!. وإستمرت القافلة !!

....

أعود الى اليوميات التي كنت أكتبها أحيانا لأجد في يوميات تلك الفترة ما يلي:

<u>يوم الاثنين 85/4/22 م</u>

تم الإتفاق على عقد إجتماع بين الدكتور عبدا عزام ونصر ا منصور، لبحث الموقف الحالي. والإقتراحات العملية لمواجهة التدخل الأمريكي والإتحاد الجديد.

<u>يوم الثلاثاء 4/23 /85م</u>

تم عقد الاجتماع في مكتبنا في إسلام اباد. أحضر الدكتور عبدا عزام شخص سعودي قدمه لنا بإسم (أبوأسامة) وهو الميجور حمود مدير مكتب السفير والملحق العسكري في السفارة السعودية وكنيته (أبو مازن) وبحثت فكرة نقل القيادة إلى داخل أفغانستان.

<u>يوم الأربعاء 85/4/24 م</u>

لقاء آخر في نفس المكان حضره نفس الأشخاص وتم الاتفاق على التالي:
1- نقل القيادة إلى داخل أفغانستان.
2- نقل مصنع الذخائر العائد لنصر ا إلى الداخل أيضاً.
3- إيصال المساعدات الإسلامية إلى القيادة في الداخل.
4- عدم خروج القيادة من أفغانستان وتبقى متحركة داخلها.

يوم الخميس 85/4/25م
في مكتب سياف فى إسلام آباد عقد إجتماع بين سياف وكل من الدكتور عبدا عزام وأبومازن أي أبوأسامة والشيخ نصر ا . ثم طلب سياف تأجيل الإجتماع إلى الغد، والإنتقال إلى بشاور لعقده هناك في حضور أعضاء آخرين في مجلس الشورى والإتحاد. بعد الإجتماع وذهاب منصور، أعرب سياف للدكتور عزام عن عدم ثقته بمنصور!!.
يوم الجمعة 85/4/26م
سافرنا جميعاً في سيارة أبوأكرم مع الدكتور عبدا والشيخ منصور وأبومازن وخلفنا سيارة أخرى تابعة للسفارة السعودية.
في بابي شعر سياف بحماس الشيخ عبدا . فإمتص ذلك الحماس بقوله بعد عشرة أيام سوف أنتقل مع عائلتي إلى داخل أفغانستان ولا أعود أبداً. فإقتنع العرب وهدأوا !!!.
يوم الإثنين 12 مايو 1985 م:
وصل وفد سعودي برئاسة الأمير تركي الفيصل (مدير المخابرات) لبحث موضوع الإتحاد الأمريكي مع المسئولين الباكستانيين وزعماء الأحزاب الأفغانية. تبدأ الإجتماعات غداً.
علمت أن الجنرال أختر عبدالرحمن إجتمع مع قادة الأحزاب الأفغانيين بما فيهم سياف، ووجه لسياف كلاماً شديداً على الملأ وقال: بعض الناس ذهبوا إلى السعودية وتكلموا بكلام غير صحيح.. يا سياف لا تظن أن المال يخلق زعامة.. في إمكاننا القضاء على زعامتك في دقائق.
الثلاثاء 13 مايو 1985 م.
تم الإجتماع بين الأمير تركي ورؤساء الأحزاب وأخبرهم أنه قد استجيبت مطالبهم وأن سياف سوف يتنازل عن إسم الإتحاد وسوف يدخل الإئتلاف الجديد تحت إسم تنظيمه السابق الإتحاد الإسلامي لتحرير أفغانستان وهكذا إنتهت الأزمة.
****
كان التقرير الذي سنورده الآن، في بدايات كتاباتى لصحيفة الإتحاد عن الوضع السياسي للقضية الأفغانية. وهو يتفق من حيث الجوهر فيما كنت أكتبه في التقارير الخاصة التي كنت أوزعها على الأصدقاء القريبين والمهتمين من بين الناشطين العرب. كانت وجهة النظر تلك غريبة ومتهمة في الأوساط العربية الإسلامية. وعانيت من ذلك كثيراً على المستوى الشخصي، خاصة وقد إنتقلت إلى باكستان كي أكتب من إسلام آباد قريباً من بشاور التي كثيراً ما كنت أزورها فأثار ذلك حنق القادة الأفغان وسياف على وجه الخصوص الذي تصدر الحملة ضدي، فتوقف الآخرون عن مهاجمتي لسعادتهم بما حدث لسياف من جراء مقالاتي التي وإن نالت من جميع الزعامات الأفغانية للأحزاب إلا أن ما نال سياف من جرائها كان أعظم لأن صورته في العالم العربي كانت قريبة من التقديس. وفى الواقع فإن مقالاتى قد نالت منها قليلاً.. والأحداث نفسها كشفت عن زيف سياف. الغريب أن أمثال تلك المعلومات في مقالاتي تلك كان منتشراً في صحف باكستان، وبعدة لغات. ولم يجرؤ سياف أو غيره من الإعتراض عليها. ولكن بالنسبة لمقالاتي فلم يكن سياف وحده الذي أشعلها حرباً شعواء ضدي ولكن الإخوان المسلمين (الدوليون) ثم الجماعة الإسلامية في باكستان، ثم المملكة السعودية ورجال مخابراتها في باكستان.
إستنتجت أن هناك حظراً على العقلية الإسلامية العربية، بأن تبقى بعيداً عن فهم الأحداث

على حقيقتها وأن تبقى فقط جماهير صاخبة مندفعة بلا علم أو رؤية صحيحة لواقع الحال.
والأدهى أن السواد الأعظم ممن قَدِموا للقتال من العرب كانوا زاهدين تماماً عن أي رؤية سياسية، وغير قادرين عليها، بل إنهموا من يتعاطاها بالإرجاف وما هو أسوأ منه.
كانت وجهة نظرهم تقول:(جئنا للقتال في سبيل ا في أفغانستان ولا نريد للسياسة أن تفسد علينا ثواب أعمالنا). وقد شجعهم الدكتور عبدا عزام بكل أسف، وإن كان هو شخصياً يتعاطى السياسة العربية والدولية في خطاباته، ولكن عند السياسة الأفغانية يتوقف، بل لا يتورع عن إخفاء الحقائق ويدافع عن الواقع الفاسد لقيادات الأحزاب الأفغانية، وهو أول من يعرف حقيقتهم.
في وضع مثل ذلك كانت محنتي مضاعفة؛ لأن ما يقوله الدكتور عبدا يؤخذ بلا جدال وبكل ثقة من الوسط الإسلامي العربي المجاهد. وكنت أنا على النقيض.. فكانت مأساة طويلة، تعرضت لها طيلة سنوات الحرب وما زالت آثارها باقية إلى الآن.
ولنقرأ هذين المقالين وقد نُشِر كلاهما في جريدة الاتحاد الإماراتية.
****

الحلقة الأولى

في أفغانستان أيضاً.. (رمضان كريم)
حوار أفغاني على طريق مقفر

- كيف يرى المقاتل العجوز قيادته السياسية؟... المسخ ذو الرؤوس السبعة لن يصل إلى نتيجة.. والقوى العالمية تفضل الزعامات الضعيفة وترفض قيادة المقاتلين.
- (الإمام شامل) لم يضع شباكاً لصيد المساعدات في الخارج بل قاتل جيش القيصر أكثر من أربعين عاماً..
- حقيقة صراع القيادات كما يراها مقاتل مخضرم.
- لم يحدث إتحاد ولو لساعة واحدة.. والأموال هي السبب.
- القيادات الحقيقية للشعب الأفغاني تتناقص تدريجياً إما بالاستشهاد - أو الإغتيال أوالحرب النفسية.

رسالة أفغانستان فى30/6/85م
مصطفى حامد

- **إنطلقت** السيارة القديمة تخترق الطريق الضيق الذي يمر في أرض قبائل (وزيرستان) إنها منطقة (حرة) لا يملكها غير العرف القبلي مع تواجد شكلي للسلطة المركزية.
السائق يتشبث بسكان السيارة في محاولة للسيطرة عليها من وعورة الطريق.
في السيارة سبعة مجاهدين ستة منهم لم يتجاوز متوسط أعمارهم الخامسة والعشرين. السابع مجاهد مخضرم عاصر بداية الجهاد وإشتعل رأسه شيباً وإن كان لم يتعد الأربعين عاماً.

على مقهى صغير في إحدى القرى توقف السائق ليعتني قليلاً بسيارته المنهكة وحتى يستمتع الركاب بتعاطي الشاي الباكستاني الأحمر الممزوج بالحليب، بدأ الصديق المخضرم الحديث موجهاً كلامه لي :

(جميل منك أن تحضر لقضاء شهر رمضان معنا فى الجبهة . ستجده مختلفاً تماما عما تعودته في بلادك).كنت أعرف مجاملات الصديق القديم وأقرأ بوضوح ما بين كلماته. وشعرت بالمرارة التي تخفيها المجاملة. أجبته محاولاً تغيير مسار الحديث.

- ما هو البرنامج لرمضان هذا العام؟
- البرنامج عند حقاني؟
- تقصد جلال الدين؟
- ومن غيره؟
- أين مكان المعركة القادمة؟
- ستبدأ المعركة في مدينة خوست القريبة من الحدود الباكستانية. حقاني يوزع رجاله حول المدينة وقد إنضم إليه مقاتلي المنطقة على إختلاف إتصالاتهم الحزبية.
- وإنهيار الإتحاد القائم بين الأحزاب في بشاور ألا يؤثر سلباً على العمليات العسكرية في باكتيا وباقي الولايات؟
- لا أدرى تماماً عن الموقف فى باقى الولايات، أما فيما يخـص باكتيـا فالأثـار الـسلبية محدودة - والسبب؟؟
- السبب أن الصراع بين جماعات المقاتلين يبدأ حين تفتقر المنطقة إلى زعامة قوية. وقيادات الأحزاب في بشاور لا تهتم كثيراً بنوعية الأشخاص الذين تعطيهم السلاح، العامل الأهم بالنسبة لهؤلاء هو زيادة عدد الأتباع حتى أن كثيراً منهم يستخدم قطاع طرق أو أشخاص مزدوجي الولاء للحكومة الشيوعية وللحزب، وفي هذه الحالة تُرتكب مجازر بين جماعات المقاتلين، بل أيضاً ضد المدنيين. وأحياناً تحدث خيانات وتعاون مع قوات الإحتلال من جانب بعض قيادات المقاتلين، وبعضهم إنضم بسلاحه وأعوانه للجيش الروسي
- ولماذا لا يتفق قادة الأحزاب على قائد واحد قوي لكل منطقة؟
- إنها مأساة الرؤوس السبعة.
- وما هى الرؤوس السبعه؟:
- إنهم زعماء الأحزاب الرئيسية السبعة القابعون فى بيشاور، لقد تحولت الثورة الأفغانيـة بواسطتهم إلى مسخ ذو سبعة رؤوس.
- لكنهم حاولوا الإتحاد مراراً. ويبدو أن هناك ضغوطاً تُمارس عليهم لإفشال إتحادهم.
- أنت مخطيء تماماً.. في الواقع أنهم لم يتحدوا ولو لساعة واحدة.لقد حاولوا فقط تكوين جبهة متحدة لجمع المساعدات من الخارج.

والذي يحدث في كل مرة أن القابع على رأس الإتحاد يفوز بنصيب الأسد ويقوي حزبه ونفوذه على حساب الباقين. فيشتد الصراع حتى يتم إسقاطه. ثم تبدأ جولة أخرى للوصول إلى صيغة أفضل لتوزيع المساعدات. وعندها يعلن إتحاد آخر وتستمر الدورة بين إعلان إتحاد وإنفراط إتحاد وهكذا..

- لا شك أنك متحامل كثيراً..إن لمعظم الزعماء السبعة تاريخهم النضالي المشرف. فكيف

تنكر كل هذا التاريخ؟.
ـ أن لا أنكرعليهم تاريخهم..ولكن أنكر حالتهم الراهنة.. وفي تاريخ الثورات أمثلة كثيرة لقيادات بدأت بداية رائعة ثم تحولت تدريجياً إلى عقبة في طريق شعوبها.
ـ ولكن قياداتكم ما زالت، رغم بعض التقصير،تساهم في قيادة الجهـاد ولا أدرى سـبب تحاملك هذا عليهم.
ـ ليس لي سبب شخصي يدعوني لذلك. إنني أقاتل منذ سبعة سنوات متواصلة. منها خمس سنوات أو أكثر ضد الجيش الأحمر. لم يتبق من أصدقائي القدامى سوى القليل جداً. والباقي إستشهدوا. إن أقرب أصدقائي هو الموت لهذا أنا لا أخشى شيئاً. ما زلت أحمل بندقيتي الإنجليزية العتيقة منذ بداية الجهاد حتى الآن رغم أنني أجيد إستخدام كافة الأسلحة الأخرى المتوفرة لدى المجاهدين. تمسكي بالبندقية القديمة له مغزى خاص. ولكن على أية حال لا بد أن نوجه جزءاً أكبر من إهتمامنا لمقاومة الإنحرافات التي بدأت تظهر هنا وهناك وإلا فقدنا كل شيء. ليس للسوفييت مستقبل في أفغانستان وسنحطم الإمبراطورية الروسية كما حطمنا الإنجليز في الماضي القريب ولكن بمثل هذه القيادات التي لدينا لن نصل لشيء مما قاتلنا من أجله تحت راية الجهاد.
ـ هذه مفاجأة أخرى.. أوليست قياداتكم في بشاور إسلامية؟؟.
ـ إنهم يصرخون بأعلى أصواتهم أنهم كذلك.ولكني أبحث منذ سبعة سنوات على دليل عملي واحد يؤكد دعواهم فلم أجد.
إنني مقاتل أعيش على أرض أفغانستان لا أصدق دعوى هؤلاء القادة في بشاور. ببساطة لو أنهم صادقون لجاؤا ليعيشوا معنا على أرضنا.
ـ إنهم في حاجة إلي مراكز آمنة للقيادة في بشاور.
ـ ليس الأمر كذلك أنهم فقط ينصبون الشباك لإصطياد المساعدات وليس لهم شأن بقيادة الجهاد، إن القيادة الحقيقية لا تترك أرض المعركة تحت أي ضغوط. لعلك سمعت عن الإمام شامل في (داغستان) الذي ظل يحارب جيش القيصر لأكثر من أربعين عاما في الجبال.ولم يترك يوما واحدا ليقيم في دولة مجاورة لكي يجمع الأموال ويسمى نفسه زعيماً.
ـ لا شك أنك مرهق من الصيام.
ـ رمضان لم يبدأ بعد وما زلنا في أواخر شعبان.
ـ لماذا أنت عنيف هكذا.
ـ أنت لا تفهمنى حتى الآن. قد أستشهد قريبا ولا أحب أن ألقي ربي كاذبا. وأكره أن أرى دماء الشهداء تتحول إلى أرصدة مالية وتجارة أكاذيب.
ـ إذا كنت لا ترى فى الزعماء السبعة فى بيشاور زعامة حقيقية للجهاد وللشعب الأفغانى فما هي القيادة الحقيقية إذن؟.
ـ فى سؤالك هذا تكمن مأساة الشعب الأفغانى نحن لدينا الآن نوعين من الزعامات.
النوع الأول هو زعامات بشاور التي تستمد قوتها من المعونات التي تتلقاها من الخارج وتجاوبها مع الحكومة المضيفة والحكومات صاحبة السهم الأكبر في المعونات. ونتيجة لركاكة الروابط بين تلك الزعامات والشعب الأفغاني فقد أصبحت واقعة تماما تحت تيارات الضغط الخارجي رغم تشددها اللفظي وضجيج الشعارات الرنانة ولعل التنظيم الأخير للأحزاب والذي أعلن أخيرا في بشاور على أنقاض (الإتحاد الإسلامي لمجاهدي

أفغانستان). هذا التنظيم تم بتدخل خارجي واضح من الحكومة المضيفة ورجال من الكونجرس الأمريكي. وقبول تلك الزعامات بهذا الأمر يعني انها لم تعد تمثل المجاهدين أو الشعب الأفغاني.

- أرى أنك عدت إلى التشدد مرة أخرى.
- لا تحاول تخويفي.. ودعني أكمل.
- حسنا..أكمل.

- النوع الثاني من الزعامات هو القادة الاقوياء داخل الجبهات والذين إلتف حولهم الناس وجعلوهم قادة نتيجة لكفاءتهم وثباتهم وقدراتهم العسكرية. والأهم تواجدهم على أرض المعارك بصفة مستمرة.

لقد إستشهد الكثير من هؤلاء القادة وللأسف فإن من العسير جدا تعويض هذه الخسارة. وآخر من إستشهد منهم كان (ذبيح ا) القائد الشاب في منطقة مزار شريف.

وللأسف أن بعض هؤلاء القادة قتل على يد مجموعات من المجاهدين وبعضهم إغتيل بواسطة الحزب الذي ينتمي إليه لمجرد أنه أراد ترك الحزب. وآخرون أطلقت حولهم الشائعات من قيادات بشاور وتحطمت سمعتهم. وما زالت تسمع من جماعات بشاور شائعات مؤسفة حول هؤلاء القادة للحط من سمعتهم خوفا من أن يتجمع الناس حولهم ويصبحون قيادات ذات خطر على نفوذ قادة الأحزاب في بشاور.

ومن أبرز هؤلاء القادة الميدانيين الآن أحمد شاه مسعود في بانشير الذي حولها إلى قلعة منيعة في وجه السوفييت وأصبح يقود أفضل مجموعات المجاهدين تنظيما وتدريبا في أفغانستان كلها. ومع ذلك تسمع (قادة كبار) من قاعدي بشاور يتهمونه بالتعامل مع الفرنسيين والأمريكان. وأن قتال بانشير غير حقيقي ومجرد إشاعات من صنع الإعلام الغربي لكي يجعل من مسعود بطلا. هناك أيضا جلال الدين حقاني في محافظة باكتيا حيث يقود قبائل هذه المنطقة شديدة المراس والتي تستعصي على القيادة فتحولت تلك القبائل إلى قوة ضاربة هائلة تمكنت من تحطيم فرقتين عسكريتين في باكتيا خلال سنوات الجهاد. قبائل باكتيا لا تجتمع على شئ...ولكنها إجتمعت على حقاني بصفته عالما وبصفته قائد عسكري مظفر يسير على رأس الجيش وليس في المؤخرة. وهاتين الصفتين مكنتا لجلال الدين أن يحول باكتيا ذات الأهمية الإستيراتيجية الفريدة إلى حصن رهيب يفكر الروس ألف مرة قبل الإقتراب منه. هناك أيضا (إسماعيل خان) في محافظة هيرات وهو ضابط جيش سابق ذو قدرة فريدة في التنظيم والقيادة وله أسلوب متطور في القتال. ليس له مكان ويضرب في كل مكان وفي أي وقت. أمثال هذه القيادات رغم كفاءتها إلا أنها ما زالت محصورة في حيزها الإقليمي.

- وما الذي يمنع أن يتحول أحد هؤلاء القادة إلى قائد لحركة الجهاد في أفغانستان كلها؟
- العقبات كثيرة...وأهمها:

أولا صعوبة الإتصال بين أجزاء البلاد المختلفة. ثانيا ضعف الإمكانات المادية المتوفرة لـدى هؤلاء القادة والتي بالكاد تكفي أساسيات الدفاع عن مناطقهم.

ثالثا الرقابة الصارمة التي تفرضها قيادات بشاور على هؤلاء القادة وحصارهم في دورهم المحلي وذلك بتقييد المساعدات الواصلة إليهم ونشر الشائعات والشكوك حولهم.

رابعا إن قضيتنا بشكل عام قد وقعت في دائرة صراع المعسكرين الشيوعي والرأسمالي

وكلاهما لا يوافق على ظهور قيادة مستقلة. فالسوفييت ضموا أفغانستان إلى إمبراطوريتهم بقوة السلاح وأمريكا تتصرف سياسيا في مستقبل أفغانستان عن طريق المال والمساعدات ولا ترضى بغير قيادات متهافتة ضعيفة، لهذا فهي لا ترحب بزعماء مقاتلين. بل ترضى بالسياسيين تجار الشعارات. ويبقى المقاتل في محيطه الضيق لتبقى الحرب مستمرة ولكن بلا نصر لأصحاب القضية الأصليين.

ـ أنت متطرف؟

ـ بل مقاتل سيستشهد قريباً؟

- هل نبقى جالسين؟

- بل نتحرك الآن.

وإنطلقت السيارة في حر الظهيرة. وصمت الجميع وقد غالب النعاس بعضهم. أما صديقي العجوز فقد تعلقت أنظاره بشيء ما على إمتداد الطريق.. إنها جبال أفغانستان بدأت تقترب تدريجياً.. وقد تجمعت سحب بيضاء حول القمم.

****

ملحوظة : تسبب هذا التقرير في ثورة عارمة من جانب سياف ،وربما آخرون،وأطلق ضدي تهديداً جديداً بالقتل. وقال للدكتور عبدا إن هذا الشخص يكفر القادة الأفغان.. وحضر الدكتور عبدا إلى بيتي في إسلام اباد في صباح أحد الأيام وأصر علي أن أذهب معه إلى بيت سياف في إسلام اباد حتى (نتفاهم).. وهناك تركني الدكتور عبدا مع سياف وجلاوزته وحيداً. وكان أول لقاء لنا منذ لقاء جاجي 1984 وحاول أن يكون لطيفاً في البداية ثم تدرج إلى التهديد المبطن..

فإضطررت إلى الإنصراف قبل أن يتطورالموقف.. ومن يومها لم نتقابل أبداً. حتى هذه الساعة (مايو 1995).

****

الحلقة الثانية

القضية الأفغانية على طريق الحل

ـ هدية أمريكا للعهد الجديد في الكرملين ، حل سياسي لقضية أفغانستان.

ـ إعادة تنظيم الأحزاب الأفغانية تمهيداً لإستقبال مرحلة (ما بعد الجهاد).

ـ المجاهدون يقاتلون ببسالة نادرة والسياسيون وضعوا 99% من الأوراق في يد أمريكا.

ـ حصر دور الأحزاب الأفغانية في عملية (التموين) .

ـ تجنيد قيادات من السياسيين الأفغان السابقين لدخول مرحلة التسوية.

إسلام اباد - من مصطفى حامد - في 85/6/31م.

تشير جميع الدلائل المتوفرة أن محادثات جنيف الأخيرة والتي عقدت بإشراف الأمم المتحدة بين باكستان وأفغانستان قد وضعت أقدامها على طريق الحل السياسي للمشكلة الأفغانية. جميع البيانات الرسمية عن تلك المحادثات أشارت إلى التقدم الذي حدث. وقد أفادت معلومات أخرى من مصادر عليمة غير أفغانية حصلت عليها (الإتحاد) أن ما تم إنجازه في

الواقع لتحقيق التسوية السياسية في أفغانستان أكبر بكثير مما تم الإعلان عنه.
لقد أبدت الولايات المتحدة مرونة كبيرة في تفهم رغبات القيادات الجديدة في الكرملين . بخصوص رغبة (جورباتشوف) في الحصول على تسوية سياسية في أفغانستان.
وهي رغبة عبرت عنها القيادات السابقة في موسكو ولاقت تفهماً من الحكومة الباكستانية ولكن التشدد الأمريكي عرقل عملية الوصول إلى حل. [1]
وفي هذه المرة يبدو أن الولايات المتحدة فضلت إعطاء (هدية) لجورباتشوف في بداية عهده الذي يتوقع الأمريكان أن يستمر عدة عقود من الزمن نظراً لحداثة سن الزعيم السوفييتي (54 عاماً فقط) . وأفضل (هدية) ممكنة هي تسوية مشكلة أفغانستان التي تستنزف الميزانية السوفييتية المرهقة.
وقد حصلت (الإتحاد) على معلومات تفيد أن موسكو أرسلت عبر قنوات إيطالية رسائل إلى واشنطن تعرب عن رغبتها في التوصل إلى حل.. كذلك فإن رئيس الوزراء الهندي راجيف غاندي قد حمل رسالة من (جورباتشوف) أبلغها للرئيس ريجان أثناء زيارته الأخيرة للولايات المتحدة أعرب فيها عن رغبته في مساعدة أمريكية في حل المشكلة الأفغانية، وقد بدأت الولايات المتحدة من جانبها،وعبر وسائلها الخاصة، بتهيئة الساحة الأفغانية لإستقبال الحل السياسي القادم. ومن دلائل هذه الإستعدادات التمهيد لإعتراف الحكومة الباكستانية بحكومة كارمل وعقد جولة مفاوضات مباشرة بين الحكومتين في أغسطس القادم. وقد عبر وزير الخارجية الباكستانية عند وصوله إلى بلاده قادماً من جنيف أن حكومته سوف تدخل في مفاوضات مباشرة مع حكومة كابول (إذا كان ذلك ضروريا).
وقد كان الموقف الباكستاني في السابق معارضاً تماماً لتلك الخطوة.
وفي الوقت الحاضر تفرد الصحف الباكستانية صفحاتها لمقالات مطولة من جانب أحزاب المعارضة تطالب بمفاوضات مباشرة مع حكومة كابول. بل إن جمعية علماء باكستان قد طالبت على لسان (مولانا نوراني) زعيمها البارز، بالمفاوضات المباشرة مع حكومة كابول.
بل أكثر من ذلك فإن كثيراً من الآراء ،لشخصيات بارزة غير رسمية، قد طالبـت بعـودة المهاجرين الأفغان إلى بلادهم حتى قبل إنسحاب القوات السوفييتية. [2]
- من أبرز خطوات التمهيد لمرحلة الحل السياسي هو الإجراءات الأخيرة والتي أدت إلى تحجيم منظمات المقاومة الإسلامية في بشاور. وقد تلقت الأحزاب التي كانت توصف في الغرب بأنها (متطرفة) تلقت الضربة الكبرى التي تركتها منهارة سياسياً. أما الأحزاب (المعتدلة) كما توصف في الغرب فقد تحسن موقعها نسبياً كنتيجة لضعف الآخرين.
وقد إتبعت الولايات المتحدة طريقة قاسية في تحطيم الموقف السياسي للأحزاب (المتطرفة) تمثل في الآتي : [3]
أولاً : إستدراج القيادات إلى بشاور وإشعال التنافس فيما بينهم لأجل الحصول على أكبر قدر ممكن من المساعدات والحصول على مراكز القيادة والزعامة.
ثانياً : فتح سجلات المخابرات المركزية ونشر أرقام المعونات المرسلة إلى المقاومة الأفغانية ونشر بعض عمليات المخابرات الأمريكية في إيصال المساعدات إلى المقاومة الأفغانية وذلك بالصور والأفلام التسجيلية.
فأدى ذلك إلى تشويه صورة (المتطرفين) وعزلهم عن الرأي العام الإسلامي وزيادة

عزلتهم عن المقاتلين في داخل أفغانستان.
ثالثاً : التدخل المباشر عبر أعضاء في الكونجرس الأمريكي في إعادة تنظيم أحزاب المقاومة الأفغانية المتطرف منها والمعتدل. وحل الإتحاد الذي كان يترأسه سياف، وضم الجميع في تنظيم جديد وفقاً لمتطلبات المرحلة القادمة كما تراها الولايات المتحدة.
ونتيجة لهذا الإنهيار الذي تعاني منه أحزاب المقاومة في بشاور وضياع دورها السياسي وحصرها في مجال (تموين) القتال بالمساعدات التي تضخ إليها من الخارج،أصبح التصرف السياسي في مصير القضية الأفغانية محصور تماماً في الجانب الأمريكي من ناحية والسوفييتي من ناحية أخرى. وما زالت هناك خطوات على الطريق لتحجيم دور أحزاب المقاومة وزيادة محاصرتها سياسياً تمهيداً لتقليص دورها العسكري عند بداية الحل السياسي ثم إنهائه تقريباً إذا إستقرت خطوات الحل:
وتجري حالياً إتصالات أمريكية بشخصيات أفغانية ذات شهرة عالمية، نتيجة لمناصب شغلوها في المنظمات الدولية أو مناصب وزارية أثناء الحكومات الأفغانية السابقة ،حتى الماركسي منها، وذلك لتكوين كيان سياسي جديد للمقاومة الأفغانية يكون مقبولاً عالمياً من الشرق والغرب ويكون بعيداً عن (الإتجاه الإسلامي المتطرف) الذي يرفع شعار الجهاد الإسلامي في أفغانستان. وهذا التيار يمثله الآن قادة بعض الجبهات داخل أفغانستان ويفتقد إلى التمثيل السياسي الخارجي ويفتقر أيضاً إلى قيادة موحدة مركزيـة داخـل أفغانـستان
أما أحزاب المقاومة الأفغانية السبعة فيجري بحث دورهم في المرحلة القادمة لما بعد إقرار الحل السياسي والغالب أنه سيجري تقسيمهم إلى مجموعتين:
*مجموعة قد تشارك في مناصب ثانوية في حكومة ما بعد الإنسحاب السوفييتي من أفغانستان.
*مجموعة تمثل دور المعارضة للإتفاق وتبقى في بشاور حتى يجري إستخدامها مرة أخرى إذا حصل أي خرق للإتفاق من جانب العناصر الماركسية في نظام كابول.
أي ستظل ورقة ضغط تستخدم عند الحاجة.
- كلا المجموعتين ستستخدمان في تمرير الحل السياسي فهم أكثر الفئات قدرة على إقناع الشعب بإلقاء السلاح بصفتهم كانوا (قادة للجهاد). [4]
وقد وصلت كميات ضخمة من الأموال لبعض الأحزاب في بشاور في فترة مفاوضات جنيف والأغلب أنها إحدى وسائل (الإقناع) المقترحة.
ومن المرجح أن العنف سيكون الوسيلة الأخيرة في إقناع بعض من في الداخل لقبول التسوية. [5]
وقد بدأت تنتشر في صفوف أحزاب المقاومة في بشاور أحاديث يائسة حول مصير (الجهاد) منسوبة إلى زعماء كانوا في السابق متشددين وقد أعتبرت تلك التصريحات تمهيداً نفسياً لقبول التسوية. [6]

ضغوط عسكرية:

عسكرياً ضعفت المقاومة الأفغانية كثيراً عن ذي قبل. السبب الرئيسي كان سوء توزيع المعونات من ذخائر وأسلحة وأموال.. فقد كانت الأحزاب توزع المعونات طبقاً لمعايير ليست عسكرية أو سياسية بل عشائرية. وشراء الأتباع كان هو العامل الأساسي في عملية

التوزيع. هذا بجانب الفساد الذي إستشرى في الهياكل الإدارية، وتخصص بعض الأحـزاب في بيع السلاح ونشاطات أخرى (غير مستحبة).
كل هذا بجانب إنهماك بعض القادة في تصفية خلافاتهم عسكرياً داخل الجبهات مما أثر في الحالة المعنوية للمقاتلين. وقد زادت الهجمات السوفييتية الشرسة ضد مراكز المجاهدين الهامة مما زاد الوضع سوءاً.
وما زالت الهجمات السوفييتية مستمرة على نفس الوتيرة التي بدأت بها في ربيع العام الماضي 1984م وكان آخرها الحملة على محافظة كونار والتي وصلت حتى حدود باكستان حيث فكت الحصار عن حصن(باري كوت) وحطمت كافة مراكز المجاهدين في المقاطعة.
وقد وصفت مصادر محايدة تابعت هذا الهجوم بأن هذا الهجوم (لا يمكن مقاومته) وأن الحل الوحيد أمام المجاهدين هو الإنسحاب. وقد كان هدف السوفييت تحطيم القواعد وتأمين بعض المواقع العسكرية الحساسة ثم عادت القوة من حيث أتت.
وتفيد المعلومات أن السوفييت قد ينفذون عمليات مماثلة ضد المجاهدين في محافظتي (ننجرهار) و(باكتيا) وتعتبر هذه العمليات العسكرية عملية تليين لموقف المعارضين الحقيقيين لأي اتفاق.. وهم المقاتلون في داخل أفغانستان.

توترات الحدود:

كذلك يواصل السوفييت ضغوطهم على حكومة باكستان ووضع حدودها مع أفغانستان في موضع شديد التوتر حتى يستمر تحفز باكستان وحماسها لنجاح الحل السياسي طلباً للسلامة.وقد شهدت مواقع حدودية مثل (شاترال) و(كويتا) هجمات بالطيران والمدفعية دفعت باكستان إلى الإعراب عن نفاذ صبرها. وقد عبر الرئيس الباكستاني عقب زيارته لمدينة (شاترال) الشمالية بعد أن تعرضت لعملية هجوم جوي كبير في الثامن من يونيه الماضي أن بلاده ستعيد النظر في سياسة الصبر التي تتبعها إزاء الإنتهاكات الأفغانية لحدودها.
أما رئيس الوزراء الباكستاني فقد عبر عن إستيائه هو الآخر عند مشاهدته (لآثار العدوان) على موقع قرب مدينة(كويتا) عاصمة بلوشستان وقال صراحة أن القوات المسلحة سترد بالمثل إذا تكررت هذه الإعتداءات.
وقد عبر كثير من العسكريين عن خوفهم أن تتأثر الحالة المعنوية للجيش الباكستاني نتيجة عدم الرد على تلك الإنتهاكات الحدودية.
في الواقع ان كلا الطرفين يحاول إحراز أفضل وضع عسكري ممكن قبل إكتمال المفاوضات. وما زال لدى (المجاهدين الأفغان) قدرات كافية لتوجيه ضربات مؤلمة للقوات السوفييتيه. بل أن بعض قادة الجبهات يشعرون ،رغم كل السلبيات الحالية أنه يمكن دفع السوفييت لترك أفغانستان إعتمادا على العمل العسكري ـ ولكن الضربات التي تلقاها المجاهدون من الخلف أثرت كثيرا في قدراتهم وحرمتهم من تنظيم صفوفهم سياسيا وعسكريا هذا وما زال المجاهدون الأفغان يخوضون المعارك أمام القوات السوفييتية ببسالة نادرة.
بينما وضع السياسيون الافغان 99% من أوراق القضية الافغانية في يد أمريكا.. ووقفوا ينتظرون ومعهم المجتمع الدولي أن يصفر (جردوفيز) ممثل الأمم المتحدة معلنا جولة جديدة من المباراة على أرض جنيف.

والآن الى بعض التعليقات حول التقرير السابق:

(1) .. **سبقت** الإشارة إلى أن الضغوط السوفييتية على المقاومة الأفغانية وباكستان سببت الذعر للرئيس ضياء الحق وكان يفكر جديا في القبول بتسوية مع السوفييت نتيجة لعدم ثقته في المساندة الأمريكية خاصة وأن مأساة تخليها عن باكستان عام 1971م في حربها مع الهند التي أدت إلى إنفصال (بانجلادش) ما زالت في الأذهان.

لكن أمريكا لم تكن لتسمح له بأن يتصرف منفردا في (قضية دولية) من قضايا الحرب الباردة التي تؤثر في صراع المصالح مع السوفييت. وبهذا أجبروه على الإستمرار، وزادوا من جرعات المساعدات المالية له وللمجاهدين، والمساعدات العسكرية أيضا. وكانت الخزينة السعودية غاية في السخاء والإستجابة السريعة كعادتها دوما للأوامر الأمريكية.

وعندما توجه الكرملين للتفاهم المباشر مع البيت الأبيض تغير الحال،وبدأت خطوات التسوية ولكن لماذا إستمرت الحرب بعد ذلك سبع سنوات تقريبا.؟..ذلك لأن إقرار مبدأ التسوية السياسية، أى إقتسام النفوذ بين الكتلتين في المنطقة موضع الصراع (أفغانستان) ، لا يعني أنهم قد توصلوا الى خريطة نهائيةلتفاصيل التسوية. فما زال كل طرف يسعى نحو مزيد من المكاسب والنفوذ على حساب الطرف الآخر.لهذا كان لا بد من إستمرار (الحرب بالوكالة) بين (عملاء) كل طرف حتى تصل الحرب إلى (نقطة توازن) أي حالة من الجمود لا يستطع أي طرف أن ينزع من الطرف الآخر أكثر مما إنتزع.

وهذه هي (نقطة الإتفاق).

لكن الوضع العسكري عام 1985 لم يصل إلى تلك الحالة فكان لا بد من إستمرار الحرب فترة إضافية.

ثانياً .. لا ينبغي أن ننسى الأطراف الثانوية في الصراع.. وهي الأطراف الإقليمية ذات المصالح في نفس الساحة (أفغانستان) والداخلة في الصراع بشكل أو آخر. مثل باكستان وإيران والصين والسعودية. وبلا شك أن باكستان كانت أهم تلك الأطراف، ووصل التهور بضياء الحق أن يكون هو الطرف المقابل للسوفييت في التسوية وأن يقضم هو الجزء الذي لم يتمكن السوفييت من إبتلاعه، ويؤول ذلك كله لأمريكا على مبدأ "العبد وما ملك لسيده" ولكن أمريكا والسوفييت كلاهما توجس من الخيانة الباكستانية.

فضياء الحق قد يتحول إلى (بطل الأمة الإسلامية)، وفاتح أفغانستان في نظر شعوب الإسلام المسحوقة. وقد يتحول إلى نواة تحرك إمبراطوري تقوده باكستان في جنوب ووسط آسيا.

كان ضياء الحق مصراً على رأيه، فكان لا بد من تأديب ضياء الحق والمؤسسة العسكرية في باكستان التي تؤيد وجهة نظره وهي المؤسسة المسيطرة على البلاد .

من هنا نلاحظ تصاعد الضربات السوفييتية عند الحدود الباكستانية ثم تنامي حرب الإرهاب داخل باكستان بشكل خطير.وهى حرب خاضتها المخابرات السوفيتيه، و المخابرات الأفغانية خاد، إضافة لعدة أجهزة استخبارات عربية. ولا ننسى دور الاستخبارات السعودية في تأزيم الوضع الأمني في باكستان وإشعال حرب أخرى مستعرة بين السنة والشيعة،وتدبير عدة إغتيالات على الجانبين حتى صارت حرب أخرى على الجبهة الداخلية تشكل تحدياً خطيراً أمام ضياء الحق ونظامه.

ولا ننسى بالطبع دور (بي نظير بوتو) وتنظيم ذو الفقار التابع لحزبها (حزب الشعب) والذي تعاون تماماً مع السوفييت وبموافقة من أمريكا التي كانت تجهز بوتو كي تحكم باكستان

بعد إزاحة ضياء الحق. والغريب أن ذلك لم يكن سراً بل هو حديث المنتديات السياسية في باكستان في تلك الفترة.
وسوف نستعرض فيما بعد جزءاً من هذه الحرب السرية في باكستان والتي واجهت ضياء الحق وأضرت بنظامه.
ثالثاً : لا ننسى طرفاً آخر خطيراً في تلك المعادلة وهو الشعب الأفغاني ومجاهديه. فرغماً عن كل الصعوبات ما زالت هناك روح جهادية وتحركاً فعالاً وخطيراً داخل الجبهات يتوجه بشكل كامل نحو الحل الإسلامي المفروض بقوة السلاح.
ذلك التوجه سوف يقاتل أي تسوية محتملة من النوع الذي تسعى إليه الكتلتان الدوليتان. لذا لا بد من ضرب هذا التوجه. وكان على الروس الواجب الرئيسي في ذلك. أي أن تقوم بطحن عظام ذلك التيار وقواعده المتناثرة هنا وهناك داخل أفغانستان، خاصة القواعد على الحدود الباكستانية، التي إضافة إلى موقعها الاستراتيجي المتميز ووضعها الجيد من ناحية (اللوجستيك) فإنها تلقى تعاطفاً من ضياء الحق والجيش الباكستاني كخط دفاع أول عن باكستان ضد إختراق سوفييتي عميق للأراضي الباكستانية. و جنرالات باكستان كانوا على قناعة تامة بأن نجاح السوفييت في عبور جبال أفغانستان، لن توقفه إلا (المياه الدافئة) للمحيط الهندي وبحر العرب.
لقد عاصرنا عدة محاولات لطحن المجاهدين في مناطق الحدود خاصة منطقة باكتيا.
وسوف نتعرض لبعضها في هذا الكتاب.
ونشير هنا إلى أن الضغوط على ضياء الحق وجنرلاته قد أثمرت وإضطر لرفع يده عن هذه القلاع الإسلامية، بل وشارك في خيانتها مع جنرالاته.
إن روح الشعب الافغاني العنيدة والمتعلقة بالإسلام والمتمسكة بالثأر مهما كانت النتائج ما كانت تقبل مشاركة الشيوعيين في حكم البلاد بعد كل المجازر وأنهار الدماء التي سالت. بل سيقاومون ذلك حتى آخر رمق.
تلك الروح تحديدا كان من الضروري تحطيمها، وتمريغ الأنف الأفغاني الأشم في التراب، وإرغامه على قبول الدنية في دينه... وعرضه والتصفيق لحكم المرتدين والخونه و...و.. بالإختصار كان من المطلوب والضروري أن يتحول الشعب الأفغاني الى شعب عربي..
كان لا بد إذن من هزائم كثيرة وفادحة وطعنات كثيرة جدا من الخلف وذلك تحديدا هو الدور الأمريكي.
(2) .. الأحزاب المعارضة كانت موجودة وتعبر عن رأيها بحرية ولكن غير مصرح لها رسميا!!!. ومنذ عام 1985 وربما قبله بعام واحد على الأقل كان واضحا ومفهوما أن أمريكا قد استحوذت على كل أو معظم أحزاب المعارضة، وتستخدمها في الضغط على أعصاب الجنرال (ضياء) لجعله أكثر مرونة.
الأحزاب السياسية في باكستان بلا إستثناء معلوم مدى فسادها وإعتمادها على الخارج،فهي ليست سوى سلعة للبيع لمن يدفع أكثر. والأحزاب الإسلامية ليست إستثناء لتلك القاعدة.
(3).. كان كفار الجاهلية الأولى يصنعون آلهتهم من مادة يختارونها، طين، أو صخر. أو عجوة. وبعد أن يملوا من عبادتها يحطمونها أو يأكلونها ثم يصنعون غيرها. وأمريكا في الجاهلية الآخرة تصنع أعداءها... وتظل تحاربهم حتى تحطمهم أو تأكلهم ثم تصنع غيرهم.. وهكذا. من فوائد ذلك العمل:

1_ وجود عدو، هو أمر ضروري للإنسان الغربي والأمة الـصليبية ويقولـون فـي ذلـك (إعطني عدواً،أعطك أمة قوية) . فلسفة الغرب منذ حضارة اليونان هي فلسفةالصراع.
2_ إختيارالعدو وصناعته، ثم التهويل عن مدى قوته وخطورته، وأخيرا تحطيمه في معركة سهلة. يضمن إنتصارا مؤكدا وبلا حرب حقيقية. فترتفع معنويات الشعوب الغربية التي أنهكها الفراغ الروحي وأصبحت حياتها بلا معنى. وهي أزمة تزداد إستحكاما كلما زادت رفاهية تلك الشعوب. ثم إن الأنظمة الغربيه نفسها تكتسب مصداقية لدى شعوبها طالما هي أنظمة توفر الرخاء وتوفر النصر على الأعداء فى آن واحد بلا تكلفة تذكر.

<u>تعليق:</u> (وهذا بالضبط ما فعلته أمريكا فى حروب متتالية هى :حربها ضد صدام حسين " لتحرير الكويت90م" ثم حربها ضد بن لادن عام 2001م واحتلالها أفغانستان – ثم حربها مره آخرى ضد صدام وإسـقاط نظامـه واحـتلال العراق .. والبقيه تأتى والتهديد الامريكى مفتوح على جميع العرب خاصة هؤلاء الواقعين داخل أو على أطراف الحـدود التوراتيه لإسرائيل الكبرى .).

3_ :تشويه العقائد الأخرى خاصة الإسلام وتدميرمعنويات معتنقية.. فهي تختار الجماعات الإسلامية التي تناصبها العداء ثم تضخم من قوتها ثم تخوض ضدها معارك إعلامية مريرة وأخيراً تحطمها.
فتنهار معنويات المسلمين لتلك الهزيمة. التي لم تكن هزيمة فعلية لأنه لم تكن هناك معركة أصلاً. فالذي مثل الإسلام في تلك المسرحية لم يكن إلا أحد الممثلين المستأجرين وهذا ما فعلته أمريكا مع الأصوليين ،أو المتطرفين الأفغان، (سياف حكمتيار،رباني).
وجميعهم عميل من الدرجة الثالثة. لأجهزة إستخبارات من الدرجة الثالثة لدول من نفس الدرجة من عبيد الطاغوت الأمريكي.
ولا يعني ذلك بالطبع أن أي حركة إسلامية سوف تناصبها أمريكا العداء سوف تكون ألعوبة للحصول على نصر أمريكي سهل على الإسلام.ولكن لا بد أن نكون على حذر من المواقف الإعلامية المعلنة، فهي غالباً مضللة، فالإعلام الغربي جزء من جهاز الحرب النفسية الموجه ضد المسلمين. فليس كل أصولي متطرف ،هو كذلك، وربما كان حليفاً وجزء من مسرحية كالتي ذكرناها. وبالمثل ليس السكوت عن طرفٍ آخر يعني أنه صديق للغرب و أمريكا. وإصدار حكم صحيح على الموقف يحتاج إلى دراسة متعمقة وليس مجرد إنطباعاً عاطفياً مأخوذاً عن الإعلام الغربي، ولا حتى "الإعلام الإسلامى ! !" الذي تواطأ على خداعنا في أفغانستان وغيرها.
ونُذكر هنا بتلك اللعبة الشيطانية التي لعبها الغرب مع جمال عبدالناصر في مصر ثم صدام حسين في العراق. وكلاهما ظاهرياً كان على خلاف شديد وحرب سياسية وإعلامية مع الغرب وكان يصنف على أنه من أشد أعداء الغرب في المنطقة.
وضخم الغرب كثيراً من خطورة الزعيمين وهاجمهما كثيراً حتى صدقت الشعوب أن ما ترى وتسمع إنما هو حقيقة.
والنتيجة أن عبدالناصر صنع هزيمة كبرى لمصر والعرب أمام إسرائيل عام 1967م، تلك الهزيمة التي كانت بلا حرب على الإطلاق كما تشهد بذلك جميع الوثائق والروايات عن تلك الحرب. وهكذا أصبح اليهودي الجبان في إسرائيل خرافة عسكرية وجندياً لا يقهر وتحولت إسرائل إلى دولة عظمى. وهي لن تكون كذلك حتى لو حمل كل فرد فيها سلاحاً نووياً.. والسبب هو أنهم يهود.. ويكفي أن تعلم من القرآن من هم اليهود.
أما الصنم الآخر صدام حسين، الذي صنعه الغرب وسلحه وسلطه على شعوب إيران قتلاً

وتدميراً، حتى إذا أنهكته الحرب وقضت على معنويات جيشه وإنضباطه وعلى إقتصاد بلاده حتى صار ركاماً متهاوياً.. إذ الغرب يدفعه نحو الكويت دفعاً ثم يحطمه هناك بعد أن صوره وحشاً عسكرياً لا يقهر في وقت كان فيه مجرد ركام متهاوٍ لا يقدر على حرب ولا يقوى عليها خاصة إذا كانت ضد أسياده وصانعيه.
هذه التمثيلية قدمت أمريكا إلى العالم كقطب أوحد فأعلنت من فوق رمال جزيرتنا العربية نظامها الطاغوتي الجديد، بأموال المسلمين وفوق جثثهم، وعلى حساب الإسلام والمسلمين.
لقد كانت مرة أخرى (نصر بلا حرب) في ذلك النوع من الحروب الوهمية التي تعشقها أمريكا والغرب ويتفوقون في صناعتها والفوز فيها، بواسطة دمى إسلامية، وغير إسلامية.
نذكر أيضاً أن الولايات المتحدة هي التي إختارت الإتحاد السوفييتي كي يلعب أمامها دور (إمبراطورية الشر)، في النظام العالمي الذي إخترعته بعد الحرب العالمية الثانية. وإلا فإن السوفييت كانوا الأكثر إنهاكاً في أوروبا حتى من ألمانيا المهزومة.
وكان تقدير أمريكا أن هذا العدو المنافس الضعيف والشاذ فكراً وسلوكاً لن يكون تهديداً حقيقياً ولكن عدواً من (عجوة) ممكن أكله أو أن أشعة الشمس سوف تصهره ويذوب بلا حرب. ولكنه صهر في أفغانستان وسقط في حرب قادها الأفغان،بالنيابة عن أمريكا والعالم.
4_ ما يحدث الآن في كابول (1995) قريباً من ذلك التصور.. فهناك جزء من المقاومة يحتفظ به الغرب في باكستان للإستفادة منه في المرحلة القادمة وهم تيار المعتدلين.
أما التيار المتطرف فإنقسم إلى جزءين. جزء في السلطة الرسمية (رباني ، سياف)
وجزء في المعارضة المسلحة (حكمتيار) ، والقتال لا يكاد ينقطع بين الفريقين.
ولكل فريق حلفاء من الأجنحة الشيوعية السابقة، والتيارات العرقية والطائفية الأخرى.
وهكذا فإن التيار الأصولي المتطرف يجري (إحراقه) سياسياً في نيران الحرب الأهلية.
التي ما إن تبلغ مداها الذي تحدده أمريكا وفقاً لمصالحها في المنطقة ، حتى تأتي مرحلة لاحقة يشارك فيها المعتدلون مع تيارات ماركسية وعلمانية أخرى سواء تم تقسيم البلاد أو إبقائها موحدة. المهم هو إبعاد الإسلام عن الحكم وإضعافه في نفوس الأفغان، وتأمين بلاد آسيا الوسطى من الزحف الجهادي الذي يمكن أن يتهددها إذا حكم الإسلام الحقيقي تلك البلاد
5_ .. كان وسيظل العنف هو الوسيلة الرئيسة لفرض واقع لا ديني على أفغانستان.
الحملات الروسية، الطعنات الأمريكية الباكستانية السعودية، الحرب الأهلية، الإغتيالات الشخصية، كلها وسائل إتبعها أعداء الإسلام في أفغانـستان ومـا زالـت متبعـة هنـاك.
6_ .. سياف كان أكبر (حائط مبكى) في بشاورعلى الجهاد والأخطاء التي تعترض طريقه والمخاطر التي تكتنفه والمؤامرات التي تحاك ضده، وخذلان المسلمين لذاك الجهاد. وعزمه على المضى إلى النهايه في هذا الطريق حتى لوسارفيه وحيدا وخذله الباقون..الخ.
والعجيب أن تلك البكائية كانت مجزية ماليا الى درجة الجنون. فقد كانت وسيلة فعالة لجذب أموال المتحمسين العرب خاصة في الخليج. كان هناك بكاءون آخرون أقل جودة، ولكنهم ربحوا الكثير أيضا.
7_..لم تمض عدة أشهر على ذلك التقرير حتى شن السوفييت على باكتيا أكبر هجوم لهم حتى ذلك الوقت. وتحمل حقاني العبء الأكبر فيه. وسنعرض لهذه الحملة في وقتها.
أدركت منذ وقت مبكر أهمية محافظة باكتيا من الناحية الاستيراتيجية. ولم يكن لي الفضل

في ذلك، ولكن ضباط مقتدرين قد شرحوا لي ذلك من أمثال (رشيد) و (جولزراك) .
وخاصة الأخير الذي حدثني عن أمثلة تاريخية إستحوذت على خيالي تماما. فقد قال لي ببساطة: باكتيا مفتاح أفغانستان ليس فقط لأهميتها الاستيراتيجية بل أيضا لطبيعة سكانها الجبليين الأشداء المقاتلين . كان يهيم بالمكان وأهله بشاعرية عجيبة إلي جانب فهمه العسكري المتعمق. وقد إنتقلت لي نفس العدوى ولم تفارقني. والعجيب أنها كانت نبؤة صادقة بشكل مذهل. لقد أخبرني بشاعريته القصصية (فهو شاعر وقصصي ومؤرخ) أن نادر شاة إستولى على البلاد من هذا الطريق. لقد إستدعاه الإنجليز من أوروبا، وزودوه بالمال فدخل إلى خوست ودفع جيدا لقبائل باكتيا، وتحرك إلى لوجار ثم كابل التي فتحها وقتل حاكمها (بتشاسقا) الذي إستولى على الحكم ولم يستطع السيطرة على البلاد التى كان الروس على وشك إجتياحها من الشمال.
بعد هذا الحديث بحوالي عشر سنوات تحققت نفس النبؤة، فتحت كابول عن طريق خوست للمرة الثانية.عندما حاولنا إقناع سياف بشن هجوم (إتحادي) شامل في باكتيا، بدل تلك الألعاب النارية عند جدار ذلك البيت في جاجي.صور ذلك على أنه مؤامرة على الجهاد. وصدق العرب ذلك؟؟.
وتساءل مستنكرا (لماذا باكتيا؟). وأراد بذلك الطعن في حقاني بأنه يسعى إلى تكوين حزب خاص والإستفادة من أموال العرب في ذلك. وأن صداقتنا للرجل هي ضمن المؤامرة. وأثبتت الأحداث لاحقا ليس فقط الأهمية الثابتة لمحافظة باكتيا إستراتيجيا وبشريا. بل وأهمية حقاني كقيادة عسكرية ودينية لعبت دورا حاسما في جهاد المسلمين في باكتيا وأفغانستان. بل أنه القائد الوحيد الذي حقق نصرا غير مسبوق، وغير مكرر، بإستيلائه على خوست أحد أهم القلاع من تلك المدن التي تتوقف على سلامتها والحفاظ عليها نظرية أمن النظام الشيوعي في كابول. وبفتح خوست تهاوى النظام بأكلمه في خلال عام واحد تقريبا.
(لماذا باكتيا) كان عنوان ذلك التقرير الخاص الذي وزعته على المهتمين الذين وصلهم أو لم يصلهم تساؤل سياف. ولكن أحدا لم يهتم وكنت معتادا على ذلك. ولم تظفر باكتيا بإهتمام المتطوعين أو المتبرعين العرب، اللهم إلا خلال الكوارث التي حلت بالمحافظة ومجاهديها أو التورطات التي إنزلق فيها العرب بلا قصد مثل معارك أبوعبد ا (بن لادن) في جاجي 1987م.
(لماذا باكتيا؟) نفس التساؤل واجهنا به حاجي دين محمد عندما طالبنا منه مساندة ذلك المشروع العسكري فيها وقال لماذا لا تكون جلال آباد؟. ومن العجيب أن الأحداث سلطت الأضواء على (جلال آباد) وتجربتها العسكرية الفاشلة التي غرق العرب فيها الى الآذان. بأكثر مما سلطت الأضواء على إنتصار (خوست) الرائع.
لقد أثبتت المعارك أن الإجابة الصحيحة كانت فى باكتيا التي لايجادل عاقل مطلع على أهميتها. ولكن العرب ما كان يعنيهم العلم ولا الإطلاع. بل الحماس وإتباع الرجال وليس إتباع الحق.
ولنقرأ سويا هذا التقريرقبل أن تداهمنا معارك باكتيا، ويلاحظ أن التقرير قد كتب بهدف إقناع العرب بالمشاركة في ذلك البرنامج العسكري الموسع والذي رفضه سياف. وغنى

عن الذكر القول بأن رفض سياف كان كافيا لإحباط كل الآمال العظيمة والتوقعات المتفائلة الواردة في التقرير. وحتى عندما دهمت باكتيا حملات سوفييتية صاعقة... لم تجابه بشكل جماعي، إلا في نطاق ضيق، وبعد فوات الوقت المناسب... والعرب في معظمهم غائبون عن الوعي خلف بخور سياف في بشاور.. وخلف الصحافة الإسلامية (للأخوان) وما تكتبه عن أفغانستان في الخليج ومصر.
****

باكتيا....لماذا؟

الأهمية الإستيراتيجية لولاية باكتيا

تقع باكتيا في جنوب وجنوب شرق أفغانستان، بإعتبار أن ولاية باكتيكا جزء من الولاية الأم باكتيا.

وتخترق باكتيا تسعة طرق برية تربط بين البلدين باكستان وأفغانستان وهي نسبة عالية جدا حيث أن مجموع الطرق التي تربط بين البلدين هى أحد عشر طريقا (نقصد ممراً طبيعياً).

أهمية باكتيا بالنسبة لأمن باكستان تحتل مركزا خاصا جدا، حيث توجد عدة ممرات من الممرات التسعة المذكورة تصلح لشن هجوم بري واسع بالمشاة والدبابات. خاصة وأن المناطق الجبلية التى تمر بها تلك الطرق تنتهى فى أفغانستان لتبدأ بعدها المناطق السهلة في باكستان، ومن هنا فإن باكستان تنظر إلى باكتيا بالذات كخط دفاع أول عن أمنها.

وعلى سبيل المثال فإن طريق ممرخيبرله الأهمية الإقتصادية والسياسية الأولى بالنسبة لأفغانستان لأنه الرباط الرئيسي لها بالخارج. ولكنه لا يشكل تهديدا كبيرا لأمن باكستان لأن السلاسل الجبلية الوعرة التي يمر بها الطريق تمتد داخل حدود باكستان حيث يسهل الدفاع عنها كما توجد تحصينات منيعة أقامها الإنجليز في المنطقة منذ الحرب العالمية الثانية تجعل مهمة غزو باكستان عن هذا الطريق مهمة باهظة التكاليف.

ـ وبالنسبة للجهاد فإنه بإستثناء المناطق الغربية من البلاد ومنطقة قندهار فإن باقي المناطق في أفغانستان خاصة كابول ومحافظات الشمال تعتمد أساسا على الإمدادات القادمة عبر باكتيا. لهذا يمكن القول أن باكتيا هي القصبة الهوائية التي يتنفس عبرها الجهاد في أفغانستان وأنه إذا تمكن الشيوعيون (لا قدر ا) من إغلاق تلك القصبة الهوائية لإختنق الجهاد في معظم المناطق الحيوية من البلاد.

والعكس أيضا صحيح فإن تنظيف البؤرالشيوعية في تلك الولاية والتي تستطيع مضايقة طرق إمداد المجاهدين عبرالولاية يعتبركسبا هائلا ودفعا إلى الأمام لقوة الجهاد في باقي أفغانستان.

ـ لهذا فإن المعركة المزمعة في باكتيا لا يمليها الإنسياق العاطفي خلف شخصيات أو طموحات فردية. بل منبثقة أساسا من معطيات عسكرية واستراتيجية أدركها قادة المنطقة العسكريين بالإضافة إلى خبرات عسكرية ممتازة تعمل في اللجنة العسكرية للإتحاد الإسلامي لمجاهدي أفغانستان.

الأهداف العسكرية المنشودة من المعركة:

1 ـ تحرير المراكز الحكومية الواقعة على الممرات التي تخترق الولاية مثل جاجي وغيرها ليصبح الطريق البري سالكا الى كابول بحيث يمكن نقل الامدادات الى المجاهدين

هناك بإستخدام السيارات.
2 ـ تحرير مدينة خوست الحدودية التي تعتبرمركزشيوعي منيع يستخدم كمركزلإثارة القلاقل في باكستان عن طريق توزيع السلاح والمال على القبائل للثورة على الحكومة هناك.
3 ـ تحريرسهول خوست الفسيحة التي يمكن إستغلالها زراعيا وإطعام عدة آلاف من السكان من خيراتها الزراعية الوفيرة. وتلك خطوة هامة في تنفيذ سياسة الهجرة المضادة من باكستان إلى أفغانستان مرة ثانية تحت مظلة عسكرية قوية من جانب المجاهدين.
4 ـ تطهيرالأورجون حيث يوجد مركزحكومي واحد في المدينة التي نجح المجاهدون في إحتلال نصفها في العام الماضي ولكن ظروف الشتاء لم تمكنهم من الإحتفاظ بها في مواجهة هجوم شيوعي إشتركت فيه فرقة عسكرية كاملة وهجوم جوي مكثف.
وتطهيرالأرجون يفتح طرق الإمداد على مصراعيها نحو ولاية غازني ومنها إلى كابول والمحافظات الشمالية.
وضع نواة لقيادة عسكرية ميدانية واحدة للمجاهدين ،رغم إختلاف منظماتهم، تكون قادرة على تطويرالمعركة في المستقبل وإتخاذ الخطوة الثانية بعد تلك المعركة، والتي من المتوقع أن تضع كابول في متناول الضربات القوية المنظمة من جانب المجاهدين.

الأهداف السياسية:

1 ـ الإثبات العملي للنظرية القائلة أن توحيد المجاهدين في جبهات القتال تحت قيادة واحدة عملية أسهل بكثير ـ وأقل تكلفة في الجهد والمال والوقت ـ من كل المحاولات العقيمة التي بذلت في بيشاور حتى الآن والتي منيت بالفشل الذريع رغم محاولات البعض إغماض أعينهم عن الحقائق.
2- عندما تصل حدة المعارك إلى درجة معنية فى باكتيا أثناء تلك العملية، ستجد الأحزاب أنفسها مرغمة على مشاركة مجاهديها في تلك المعركة وتموينهم بالسلاح والطعام وهذا بلا شك يخلق مناخاً طيباً للتعاون قد يكون مدخلاً لتغيير طريقة تصرف القيادات وحرصها على نفوذها الشخصي أكثر من حرصها على مصلحة الجهاد.
3- إشتراك العرب بعمق فى عملية البحث عن تمويل لتلك المعركة ثم المشاركة أيضاً فى تفاصيل عملية شراء مستلزمات المعركة من ذخائر وطعام سيكون بداية لمشاركة حقيقية من جانب العرب في الجهاد الدائر في أفغانستان بدلاً من مشاركتهم الحالية التي تركزت على المناقشات النظرية والخصومات السياسية.
4 ـ فى حال نجاح جهاز الإمداد والتموين المكون من مجاهدين أفغان وعرب سيجرى تثبيت هذا الجهاز وتحويله إلى جهاز عسكري ثابت وتوسيعه ليكون قادراً على إمداد معارك أوسع في مناطق أعمق من أفغانستان.
ولا يخفى ما يعانيه المجاهدون الآن من إنعدام تنظيم تلك العملية وكثيراً ما توقفت معارك كثيرة دفعت فيها كثيراً من الدماء والأموال بدون أن تحقق أهدافها بسبب عدم وجود جهاز مختص يشرف على الإمداد والتموين. وكثيراً ما يقضي قادة المجاهدين عدة أشهر يجولون في بيشاور لتوفير إحتياجات المعارك التي ينوون القيام بها. وقد يقضي بعضهم ستة أشهر أو حتى عام كامل متوقفاً عن القتال بسبب عدم توفر التموين لجبهته.
5 ـ فى أثناء الإعداد لتلك المعركة نشط المجاهدون فى إكمال مصنع الذخائر التابع لهم

لإنتاج بعض الذخائر للأسلحة الثقيلة ليتمكنوا من إستخدامها في تلك المعركة. وهذا يؤكد الحقيقة القائلة أن العمل العسكري إذا كان نشيطاً ومنظماً فإنه يبعث الحياة والابتكار في كل الأنشطة الأخرى خاصة في مجال التصنيع الحربي وصيانة الأسلحة، وهي المشاريع التي يوشك العرب على المشاركة الجادة فيها.

6- في حال نجاح المجاهدين إن شاء ا تعالى في إنجاز كل الأهداف العسكرية من تلك الحملة أو معظمها فيمكنهم في تلك الحالة نقل قيادتهم الجهادية إلى تلك المنطقة الجبلية في باكتيا حيث يمكن أن تتحرك إلى كهوف الجبال كافة الأجهزة السياسية والعسكرية والتموينية والإعلامية وتصبح باكتيا قاعدة حقيقية لتحرير أفغانستان ويقل الإعتماد الخطير على بيشاور المهددة بالانفجار في أي لحظة بعد أن تشعبت بالممارسات الخاطئة من القيادات السياسية للجهاد، وأصبح إحتمال تحولها إلى عمان أو بيروت أمراً غير مستبعد.

7- فى حال إحكام سيطرة المجاهدين تحـت قيـادتهم الإسـلامية المتواجـدة علـى تلـك المنطقة، يصبح مستحيلاً على أي حركة منحرفة عن النهج الإسلامي الصحيح أن تعمل على فرض حل سياسي أو عسكري في أفغانستان يكون غير مرضياً عنه من جانب المجاهدين المسلمين.

أخيراً فإنه للأسباب السابقة الذكر العسكرية والسياسية نسعى بعون ا تعالى إلى التجهيز لتلك المعركة وخوض غمارها طالبين من إخواننا المسلمين في كل مكان وضع كافة إمكانياتهم لإحراز النصر في تلك المعركة الهامة. واثقين بوعد ا **(ولينصرن ا من ينصره إن ا لقوي عزيز) صدق ا العظيم**

تحريراً في 29 رمضان المبارك 1404 هـ ،الموافق الجمعة 29 من يونيو 1984 م

****

ثم نستعرض بعد ذلك تحليلاً عسكرياً رائعاً كتبه الرائد رشيد في مجلة الصراط التي كان يصدرها من بشاور ،على نفقته تقريباً، ولكن بإسم جماعة مولوي منصور. في تلك المجلة كتب رشيد عدداً من التحليلات العسكرية والسياسية الهامة باللغات الفارسية والبوشتو وأحياناً بالإنجليزية. ورغم أن أحداً ،من المسلمين، لا يقرأ أمثال تلك الموضـوعات إلا أن أن أجهزة الإستخبارات المهتمة أزعجتها مقالات الصراط فعملت على طـرد رشـيد مـن باكستان كلها. وتدخلت الإستخبارات الباكستانية لدى مولـوي منـصور وجماعتـه، ولـدى الأحزاب الأخرى أو يوقفوا أي تعاون لهم مع رشيد؛ لأنه حسب زعمهم عميل للإستخبارات الأمريكية ومع كون الإتهام مضحكاً لأن الأمريكان كانوا أسياد الساحة الباكستانية والأفغانية معاً، ولا يجرؤ أحد على مطاردتهم بهذا الشكل. ولكن التحذير كان مجدياً وأضطر رشيد إلى المغادرة التي تشبه الفرار. وقد مررت شخصياً بتجربة قريبة من ذلك،وكانت معظم مأساتي ناتجة من الموضوعات الصحفية التي نشرتها داخل وخارج بشاور سواء في موضوعات سياسية أو عسكرية.

والمقال التالي (تكتيك الروس في باكتيا) نُشر في ديسمبر 1985 أي بعد الهجوم الروسي على باكتيا.. وليس ذلك هو سبب عدم الإستفادة مما فيه من أفكار عسكرية رائعة ،أثبتت

الأحداث صدقها وصحتها، ولكن عدم الإستفادة من هذا المقال ،أو أية دراسات جادة مشابهة هو عدم رغبة أو قدرة المسلمين، حتى المجاهدين منهم على القراءة الجادة في الموضوعات المتخصصة.

ولنتذكر أن ذلك الحديث عن باكتيا هو مقدمة للحديث عن بعض المعارك الهامة التي دارت على أرضها ،والتي ساهمت إلى حدٍ كبير جداً في تشكيل الصورة النهائية للحرب الأفغانية، وإسقاط النظام الشيوعي في كابول في أبريل 1992.

....

تكتيك الروس في بكتيا(حلقة أولى)

مجلة الصراط 13 ديسمبر/ 1985م

الموقع الجغرافي:

تقع بكتيا جنوبي شرق أفغانستان. يحدها من الشرق (في باكستان) ميرامشاه ومناطق القبائل إلى (باراشينار) ومن الغرب لوجر ومن الجنوب والجنوب الغربي بكتيكا وغزني. ويحدها من الشمال الجبل الأبيض (سفيد كوه) هذه الولاية جبلية بشكلٍ عام.

ومن الوجهة الجغرافية تقسم إلى ثلاث أقسام هي:

أ- خوست : عبارة عن وادٍ له حدود مع الباكستان. تعتبر الجبال العالية من المظاهر المميزة للمنطقة هذه.

جبال المنطقة إرتفاعها من ألف إلى ألف وخمسمائة متر، وسط وادي خوست طوله من الشرق إلى الغرب 50 كم، إمتداد الوادي من الشمال إلى الجنوب بحدود 70 كم. هذا الوادي تفصله عن وادي جرديز جبال الجبل الأبيض (سفيد كوه) والتي هي جبال جدران ومنجل.

ب- مناطق جبال جدران ومنجل .

هي عبارة عن إمتداد جبال الجبل الأبيض (سفيد كوه) نحو الجنوب. هذه الجبال يصل ارتفاعها من 2 - 4 آلاف متر.هذه الجبال تمتد من الشرق إلى الغرب 60 كيلومتر. هذه السلسلة من الجبال خصوصاً المنطقة الغربية تكسوها الغابات الكثيفة.

ج ـ وادي يمتد من متماخان إلى جاجي بشكلٍ طولي وتقع مناطق زورمت، جرديز، سيد كرم، حسن خيل، علي خيل، وجاجي في هذا الوادي.

ويمتد هذا الوادي من الشمال الشرقي وحتى الجنوب الغربي. في الشمال يكون ضيقاً، هذا الوادي يكون عرضه25 كم عند منطقة جرديز.وعند منطقة (حسن خيـل) و(علـي خيـل) يتحول

إلى منطقة ضيقة.ولكن عند الجنوب الغربي (أي عند زرمت ومتماخان) يتوسع.

إن التنوع في الهيئات الجغرافية في ولاية بكتيا جعل تكتيك الروس فيها يختلف من منطقة إلى أخرى داخل الولاية.

في الجزء الأول في الولاية أي وادي خوست تتمركز قوة العدو بالشكل التالي:

1- فرقة مشاة 25

وتشتمل على 3900 جندي ومعهم كتيبة دبابات من 40 ألى 45 دبابة فعالة.

2- كتيبة 666 للكوماندوز،وهو بحدود 800 جندي.
3- لواء 3 الحدودي : وهو بحدود 1200 جندي.
4- لواء 43 ميليشيا . وبه ألف شخص.
علاوة على ما ذكرنا فهناك عدد من القوة الجوية الروسية متمركزين في مطار خوست. وهناك (200) شخص من الروس يعملون كمشاورين عسكريين. مترجمين وميكانيكيين في القواعد والمعسكرات. حيث يتواجد في كل قاعدة من 7 إلى 9 أشخاص بصفة مشرفين.
جميع القوى العسكرية والتي تتواجد في خوست بشكل دائم يمكن وصفها كالآتي:
1- كتيبة 59 من الفرقة 25 والتي تولى الدفاع وحفظ الأمن ظاهرياً. تتكون من سرية في (دومندو) وسرية في (الماره) وسرية في جبل ترغار بالإضافة إلى قيادة الكتيبة مع سرية تموين وسرية مدفعية متمركزة في نادرشاه كوت.
2- كتيبة 666 وتشكل من سرية فى تاناي، وسرية بالقرب من بارى، وسرية أخرى تقع إلى شرق القاعدة الجوية وجوارها.
3- كتيبة 19 تابعة للفرقة 25ـ هذه الكتيبة تتكون من سرايا وفصائل مقسمة في المناطق التالية : يعقوبي، صبري، ليجه منك، جاجي ميدان، والأطراف الأخرى.
4ـ اللواء 3 الحدودي ويتكون من : سرية تتمركز على قمة جبل خاف دبجي ،فيما بين القاعدة الجوية ومنطقة دبجي، وسرية أخرى قرب(لا لايجة)، وسرية أخرى في تهانه جاجي ميدان.
5- لواء ميليشيا 43 وزعت على شكل فصائل وحظائر غير منظمة في المناطق المختلفة.
6- سرايا الدبابات: في خوست سريتين دبابات سرية من النوع القديم "ت 34"حيث توجد دبابتين في دومندو، ودبابة في الماره، ودبابتين في نادر شاه كوت ودبابتين في دراجي، دبابة في عروضي، ثلاث دبابات على جبل خاف دبجي، دبابة في صبري وأخرى في يعقوبي و.... وهكذا. بهذا الترتيب تم تقسيم دبابات هذه السرية في مختلف الأمكنة. وكذلك توجد في مركز خوست 10 إلى 11 دبابة تابعة لنفس السرية.
والوظيفة الموكلة لهذه السرية عبارة عن حفظ الأمن في وقت الضرورة، ولا تشارك في العمليات التعرضية.أما السرية الثانية للدبابات والتي تتشكل من دبابات "ت54 ، "ت55 ، فيوجد فصيل منها مقسم في مناطق مختلفة. حيث يوجد إثنان منها في (نادر شاه كوت)، وثلاثة منها توجد بالقرب من القاعدة الجوية وإثنان أخرى في دراجي، وهكذا بهذا الترتيب تم تفريقها في المناطق المختلفة.أما الفصيل الأخير التابع لنفس السرية فكان موجوداً في داخل الفرقة (مقر الفرقة) والذي يتألف من 16 دبابة فعالة.
يمكن أن نفهم من الملاحظات أعلاه، بأن هدف القوة المتمركزة في خوست هو وجود دفاعي، وليست لها القدرة في القيام بعمليات عسكرية خارج مواقعها وشكل عمليات هذه القوة دفاعية على العموم. بحيث كان مستوى التدريب على القصف الذي يقصد منه الدفاع أكثر بكثير من ذلك الذي يقصد منه القيام بعمليات تعرضية (هجومية).وأفضل طريقة لمواجهة هذه القوى تكمن في إجبارها على ترك مواضعها الحالية وإستدارجها إلى خارج تلك المواضع ومن ثم القيام بهجوم شامل، حيث أننا شاهدنا بأن تلك القوى عندما تترك مواضعها ومراكزها تتعرض لخسارات وضربات كثيرة ويجب الإنتباه على أننا هنا نقدم بحثاً عن وادي خوست.

تكتيك الروس فى بكتيا(الحلقة الثانية)

مجلة الصراط (عدد23ديسمبر1985م)

من أجل توضيح الهدف من البحث نعود إلى الوراء قليلا. بشكل مثالى في عام 1980/1979 تحملت هذه القوى أثناء الهجوم على مناطق:جربز، دوه مندو، منجل، خسائر لا يمكن تعويضها.
وفي عام 1981 حاصر المجاهدون القوات الشيوعية في طريق منجل، وتم تدمير جميع وسائل النقل وإبادة القوة المهاجمة من قبل جنود الإسلام المقتدرين باستثناء الجنرال محمد على لوجري وعدد قليل من الجنود الذين تمكنوا من الفرار. وتم الاستيلاء على ست دبابات مجنزرة وقاعدتي صواريخ (بي ام.بي) صالحة للإستعمال . في عام 1981 قام المجاهدون بمحاصرة جزء من اللواء الحدودي رقم 3 في دبجي وأثناء تلك العمليات فقد العدو العديد من أفراده وآلياته، إلا أنه تمكن من الصمود لشهر ونصف بعدد أفراده البالغ تسعة عشر شخصاً .
وفي آخر الأمر ونظرا لعدم وصول المساعدة من "الفرقة25" والتي حاولت لثلاث مرات أن تفك الحصار المضروب وتدمره إلا أنها فشلت. قرروا الفرار و إستفادوا في تنفيذ ذلك بالظلام وإتجهوا هاربين إلى خوست، وسقطت لذلك دبجي في أيدي المجاهدين. وبنفس الكيفية، قام المجاهدون بمحاصرة "لا ليجاه" التي تقع بالقرب من مقر الفرقة ويقوم بحراستها أحد فصائل اللواءالثالث الحدودي وتم الحصار لشهرين متعاقبين، إذ دافع العدو عنها دفاعاً قوياً في حين أن "الفرقة25" لم تتمكن من إيصال أي مساعدة .
من الملاحظات أعلاه يمكن استنتاج ما يلي:
1- القوة المتمركزة في خوست دفاعية ولا تستطيع القيام بعمليات تعرضية.
2- يوجد عدد كبير من القوى المتمركزة وكذلك المليشيات من ذوى الميول الخلقية (حزب خلق) .
3- القوى بصورة عامة لا تمتلك أفراد جدد.
4- يعتبرالمحيط والمنطقة الجغرافية في صالحهم.
لذا فإن أفراد القوة عبروا عن عدم تفكيرهم بالتسليم من خلال الدفاع الذي أبدوه.
وغالبا ما يقومون بالقصف كوسيلة دفاعية أما الوقت الذي يجبرون فيه على الهجوم فإنهم يتحملون خسائر كبيرة بالمقارنة مع القوى الهجومية الأخرى. إذن يجب على المجاهدين في هذه الحالة أن يتبعوا الخطط والتكتيكات التالية:
1- أن يقوموا بعمليات هجومية مفاجئة، سريعة وشديدة، ويمتنعون عن القيام بالقصف المدفعي.
2– أن يقوم المجاهدون بضرب حصار تكتيكي على أحد المخافر، لإستدراج القوات الأخرى المتمركزة في خوست في القيام بهجمات معاكسة (الهدف من الحصار ليس تدمير أوالإستيلاء على المخفر وإنما القضاء على القوات المدافعة التي أجبرت على القيام بالهجوم المعاكس).
3ـ من الناحية الإستراتيجية لخوست. فهي منطقة محاصرة منذ سبع سنوات إلى الآن.

ظلت طرقها البرية الموصلة إلى بقية المحافظات الأفغانية مقطوعة تماما، ويتم إيصال الأساسيات لخوست عن طريق الجو أو عن طريق القوافل الآتية من باكستان. فإذا كان المجاهدين يضعون في حسابهم الإستراتيجي هذه الأساسيات يستطيعون أن يجعلون خوست في متناول أيديهم وتحت سيطرتهم، ويجب أن لا يفوتنا التذكير في أن الهدف هو القضاء على العدو وليس تدمير المنطقة.

ويمكن القيام عمليا بالآتي:

1 - طرق التموين الإستراتيجية للعدو يجب وضعها تحت الضغط الشديد.

2 ـ إجبار قوات العدو على القيام بالهجوم حتى يتعرض من خلاله لخسائر تموينية وتجهيزية كثيرة.

3- فى الحالات الدفاعية والهجومية يجب أن يكون الهدف عبارة عن: الآليات، والمعدات، والأفراد. لأن التجهيزات التي تمتلكها قوات خوست غير إقتصادية.

4 ـ يعتبر العدو مجبرا من أجل تجهيز القوات المتمركزة في خوست على فتح طرق (منجل) و (جدران) بشكل دائم وهذا العمل في الظروف الحالية يعتبر صعب جدا وحتى غير ممكن، فالجبال المحيطة ب(علاوز) وغابات هذه المناطق على إمتداد الطرق لا تمكن الروس من إقامة مخافر كبيرة وأخرى صغيرة توزعها بشكل متراتب.

حيث أن الروس يمتنعون عن القيام بهذا العمل نظرا لما يأتي :

1 - بالنظر لجغرافية المنطقة، لا تستطيع المخافر الكبيرة والصغيرة الدفاع عن نفسها.

2 - التجهيزات اللازمة للمخافر وتموينها يعتبر صعب جدا ومكاف للغاية.

3- الوجود الدائم للروس يعتبر غير ممكن نظراً لأن الخسائر ستكون حتمية.

فنظرا للأسباب أعلاه لا يريد الروس الإقدام على هذا العمل.

وإذا أمكن إعتماد الخطط المذكورة سابقاً، أصبح من الممكن إضعاف روحية الخلقيين (حزب خاق) وإمكان سقوط خوست بأيدي المجاهدين يصبح ميسوراً.

ومن أجل هذا الهدف يجب أن يكون لدى المجاهدين الوحدة التكتيكية والإستراتيجية وعدا هذا فإن أي إقدام سيكون مصيره الفشل. ويجب أن لا يفوتنا القول أن هذا يجب أن يكون متزامناً مع العمليات الفدائية في خوست ونواحيها من أجل إضعاف روحية وقوة العدو المادية.(إهـ)

....

مجموعتنا الخاصه تتحرك

إستقر الوضع في بشاور طبقاً للتخطيط الأمريكي الجديد. ولم يؤثر ذلك بأي شكل على (الأنصار العرب) في بشاور أو بلاد العرب. كما لم تظهر لنا أي دلالة على أن الدكتور عبدا سوف يغير قليلاً أو كثيراً من أسلوب عمله السابق.فى شهر مايو تحركت نحو ميرانشاه مع عدد من أفراد لجنتنا (شبه السرية) في طريقنا إلى خوست حتى نرى الوضع هناك، ونقرر ماذا نستطيع عمله من مشاركة مباشرة في القتال. وطبقاً لظروفنا (التعيسة) ، وعددنا التافه. غادرت مع (أبو حفص) و (عبد الرحمن) وكلاهما من مصر ومعنا أبو عبيدة العراقي ولم يكن عضواً في (اللجنة) بل صديقاً حميماً لعبدالرحمن "وحذره مراراً من العمل معي طبقا لما يسمعه عنى فى بيشاور". ولما لم يستجب له قرر أن يصاحبنا كي يراقب الأمور

عن كثب. ولم أر بأساً في ذلك، وأصبحنا أصدقاء فيما بعد.
إصطحبت معي أبنائي خالد وعبدالرحمن. الأول كان في الحادية عشر تقريباً والآخر في السادسة. وأظنهما أول أطفال العرب دخولاً إلى أفغانستان. وكانت فرحة المجاهدين بهما عظيمة عندما وصلا إلى جاور. وأصبحت لهما شهرة كبيرة في المنطقة، وسرقا الأضواء منّا نحن الأربعة الكبار.
نزلنا في إحدى مغارات جاور. وإستقبلنا فيها شهر رمضان. وعلى بعد خطوات من ذلك المكان، وبعد ذلك بثلاث سنوات تقريباً قُتل إبني خالد مع إثني عشر شاب عربي.
كان حقاني في ليجاة في ذروة النشاط، يحاول التجهيز لاستقبال هجوم سوفييتي كبير كان يعتقد أنه قريب. وأرسل تحذيرات شفوية وكتابية إلى قادة الأحزاب في بشاور، يحذرهم من الهجوم المرتقب ويعرب عن خشيته من أن يحاول السوفييت إغلاق منافذ (جاجي) و (جاور) في هجوم واحد يفكون من خلاله الحصار المضروب حول مدينة (خوست) ويفتحون الطريقين المؤديين إليها طريق (جدران) وطريق (منجل).
لكن لم يستجب له أحد بطبيعة الحال، فلم يكن ذلك من سياسة الأحزاب ولا سياسة الحكومة الباكستانية. فقط عندما تقع الكارثة تسحب باكستان قادة الأحزاب وترغمهم على فعل شيء ما وإخراج ما لديهم من أسلحة وأموال، وأن يطلبوا من أعوانهم التنسيق فيما بينهم.
كان ذلك فقط إجراءاً إستثنائياً في حالة وقوع الكوارث. أما قبل ذلك فلا..
لم تكن مصالح باكستان أو قيادات الأحزاب تتفق مع وجود قيادة قوية متحدة للمجاهدين في الجبهات.فباكستان ستفقد معها القدرة على السيطرة والتحكم وفق سياسة فرق تسد التي ورثوها عن أسيادهم البريطانيين.
أما قادة الأحزاب فمكانهم الطبيعي تحت أقدام سادتهم في العاصمة الباكستانية يتلقون منهم المال والسلاح.. والأوامر، ولا مكان لهم في ميادين الحرب. وأي إتحاد بين قيادات الداخل، وحتى أي تنسيق طويل المدى كانوا ينظرون إليه أنه مؤامرة موجهة ضدهم مباشرة.
وهكذا إتهمنا سياف بالتآمر عام 84 عندما إقترحنا العمل عسكرياً في كل ولاية باكتيا، تحت زعامته وبجميع القادة المخلصين في الداخل بصرف النظر عن الإنتماءات الحزبية.
ولكنه في حملة1985 ضد جاجى، هرب وترك مواقعه، ولم تتحرك باقي المنظمات إلاعندما أصبح أمن باكستان مهدداً بالخطر، وإقتربت القوات السوفييتية إلى بعد مئات الأمتار من جاجي وخمسة كيلومترات من (جاور).
فهمنا وقتها -وللأسف لم يوافقنا سوى قليلون جداً – أن الأحزاب الأفغانية تخدم باكستان قبل أن تخدم الجهاد، بل أنها تضر بالجهاد من أجل سياسة باكستان.
كان عبدالرحمن وأبوحفص كلاهما قد شارك في معارك الشتاء الماضي في(شريناو) إلى الجنوب من (جاجي)، تحت قيادة مولوي (فتح ا حقاني) وكانت معركة قاسية، بسبب ثلوج الشتاء وقلة التجهيزات، وشدة الهجوم الحكومي،لذلك شاهد الشابان لأول مرة الأفغان المجاهدون وهم يتسللون لواذاً تحت وطأة تلك الظروف،ولم يثبت إلا القليل جداً منهم. تعلـم الإثنـان طريقـة تـشغيل وإستخدام صواريخ (الكاتيوشا 107مليمتر) من فوق الصخور وبدون جهاز إطلاق.
وكان الإثنان قد خدما سابقاً في الجيش المصري، أبوحفص كضابط إحتياط، وعبد الرحمن كلاعب كرة قدم غير حريص على واجباته العسكرية. وإشتهر الإثنان بالإمتياز في لعب كرة القدم، حتى نالا شهرة بين عرب بشاور، وبالتالى تمتعا بلياقة بدنية عالية جداً، ثم فطرة شجاعة

إلى درجة الجنون،وقد لاحظ الأفغان ذلك في معركة (شريناو) حتى أطلقوا عليهما لقب (العرب المجانين).
وكانت تلك أول مرة حسب علمي التي تسري فيها بين الأفغان إشاعة،استمرت إلى نهاية الحرب ،بأن العرب لا يعرفون الخوف. وتلك الميزة سببت لي مشاكل مع الصديقان ، ومع بعض العرب الذين عملت معهم لاحقاً.
والمشكلة كانت بإختصار هي تحديد النقطة التي تصبح الشجاعة عندها ضارة. أو العلاقة بين الشجاعة والتدبير، والمزيج المطلوب منهما. وأظنني أول من ناقش هذا الموضوع بين العرب. حتى أنني كتبت بعد سنوات عدة وريقات حوله. ومع نهاية الحرب كانت وجهة نظري تجد بعض المتفهمين.
ـ في جاور وباقي مناطق خوست وجد صديقاي معارف لهما من معارك (شريناو) السابقة. وقد كان لي معارف كثيرين نسبياً، لكوني زبوناً مقيماً فى باكتيا، فقد إعتبرني عديدون (من أهل البيت) أي من أهل باكتيا طبعاً.
كان الجو حاراً فإقترح عبدالرحمن ،وكان أكثر المجموعة حيوية ومرحاً"ومهما كانت المواقف لذلك كان أقرب الأخوة إلى قلبي"، إقترح وقتها أن نحلق رؤوسنا بالموس، بدعوى أنه فعل ذلك العام الماضي وشعر بتحسن كبير.وفعلاً حلقنا جميعاً حتى الأطفال،وكنّا نحن الستة في مغارة واحدة. وبعد إتمام العمل جاء أحد المجاهدين، وعندما رآنا جميعاً برؤوس لامعة فقع من الضحك وذهب ينادي زملاءه حتى يشاهدوا منظرنا العجيب،ستة من المخلوقات الغريبة حليقة الرؤوس داخل مغارة معتمة، ياله من منظر رهيب.
نصحه عبدالرحمن ألا يفعل ولا ينادي أحداً لكنه أصر، فقام إليه مع أبي حفص وأبي عبيدة وشدوا وثاقه إلى أحد الكراسي وصبوا الماء البارد على رأسه.. ثم حلقوا شعره بالموس، ولم يفده الصراخ حتى صار رأسه لامعاً مثلنا.. ففضل أن يمكث معنا في المغارة.
* سبب الطفلان إزعاجاً لي، كانا كثيرا الشجار ليلاً ونهاراً، عبدالرحمن عصبي، وخالد خبير في إثارة المشاكل لأخيه. في تمرينات الرماية تفوق خالد بسرعة مدهشة، عبدالرحمن ما زال يغمض عينيه عند الضغط على الزناد إضافة إلى حاجته إلى شخص يسنده من الخاف حتى لا يسقط أرضاً أو أن يؤذيه إرتداد الكلاشنكوف. بالطبع لا يصيب الهدف ولكنه يتعارك دائماً مع الذي يسنده من الخلف لأنه هو الذي إهتز وأضاع منه الهدف.
إنتقلنا جميعاً إلى (ليجاة) لمقابلة مولوي جلال الدين هناك حتى نعلم منه ما هو الموقف الآن في المنطقة وماذا ينوي هو أن يفعل. وصلنا هناك وبدأت مشكلة الأولاد مرة أخرى ليس بسبب أخطار الحرب ولكن لرغبتهما في المشاركة فى الجهاد!!. وتوقد حماسهما عندما وصلنا قمة جبل مرتفع حيث مدفع (زيكوياك) مضاد للطائرات مع طاقمه. خالد مصر على أن يطلق عدة طلقات وأن يتعلم على المدفع. وبالفعل سمحوا له بذلك لفرط فرحتهم بوصول الأطفال إليهم حتى ذلك المكان الخطير.
عبدالرحمن أطلق هو الآخر من نفس المدفع، فلم يكن ليسمح أن يتفوق عليه أخاه الأكبر.
تحركنا فوق الجبل ووقف أحد المجاهدين يشير لنا على مواقع العدو القريبة من حافة الوادي.
طالبته بالإحتراس في حركته ولكنه ضحك وأشار بيده مستهيناً بالعدو وإستمر في الشرح حتى وصلتنا قذيفة دبابة قريباً منّا. فإختطفت عبدالرحمن وأسرعت بالإنحدار إلى الجانب الآخر من الجبل. إستمر القصف ونحن نتناوب حمل الغلام حتى وصلنا ونحن نعاني من خدوش والتواءات

فى الأرجل، ولكن، وذلك العجيب ، كان عبدالرحمن فى غاية السعادة لتلك المغامرة التي ما زال يذكرها حتى اليوم، ولم يكن أخوه خالد أقل سعادة وهو الذي يطير فرحاً إذا حدث أي شيء غير عادي، إنزعج منه الآخرون.

فوق جبال لْيجاه وقت الضحى، جلسنا مع الشيخ جلال الدين فوق قمة أحد الجبال المشرفة على الوادي.

كان شهر رمضان في أيامه الأولى.وحقاني في إجتماع مع عدد من قادته. تركناه حتى يفرغ من محادثة رجاله وجلسنا نتناوب النظر إلى وادي خوست بمنظار مقرب كنت أمتلكه وكان فريداً من نوعه وقتها. فالمناظير المقربة وأجهزة الإتصال اللاسلكي الصغيرة كانت قليلة جداً وسيئة النوعية. أحد المتبرعين أرسل منظاراً فلكياً !! وجدناه فوق الجبل، حاولنا إستخدامه فوجدناه لا يصلح لشيء، أوصيت بإرجاعه إلى الإمارات من حيث أتى.

حلقت طائرة ضخمة تطير على إرتفاع منخفض فوق الوادي كي تهبط في مطار المدينة ‘الذي لا نراه من موقعنا،و لم تلبث أن جاءت طائرة أخرى وهبطت، أصابتني الدهشة، كيف تستطيع الطائرات أن تهبط هكذا بحرية في المطار؟. سألت الشيخ حقاني هذا السؤال بعد ذلك بدقائق. فقال بأن القوات الحكومية قد سيطرت على جبل تورغار منذ شتاء العام الماضي بهدف تأمين المطار من هاونات المجاهدين. فذكرت له أن الصواريخ الجديدة مداها كبير (9كيلومتر) ويمكنها إصابة المطار حتى لو كان تورغار مع الحكومة، وتساءلت لماذا إذن لا تغلقوا المطار؟. وبمهارة فائقة رد الشيخ بجدية:ولماذا لا تغلقونه أنتم؟.

لقد أثرت تلك الكلمة إلى حدٍ كبير في (مستقبلي العسكري!!) فى أفغانستان، ولم أدرك ساعتها عمق ذلك التأثير، فقط قبل نهاية الحرب فهمت إلى أي درجة كانت تلك الكلمة حساسة.

وثبتت في ذهني معادلة بسيطة، أدركت عملياً أنها صحيحة، هذه المعادلة تقول: إذا أغلقنا المطار إستطعنا فتح خوست، وإذا فتحنا خوست إستطعنا فتح كابول. كان ذلك هو ما حدث في السنوات التالية.

لم يعد هناك مجال في التراجع ونظرت إلى وجه إخواني، فرأيت فيهما الإهتمام وعدم التردد. فمضيت قدماً وطلبت من الشيخ حقاني أن يرسل معنا دورية إستطلاع حتى نجد المكان المناسب للعمل.

قال:تتحركون صباحاً مع "قومندان المظلات"، وهو ضابط سابق فى سلاح المظلات من قبيلتنا وهو خبير بالمنطقة، تستطلعون المكان من أطراف (ليجاه) أولا فإذا لم تجدوا مكاناً مناسباً نرسلكم إلى منطقة (باري) للبحث هناك.

قلت له إنه من الضروري رؤية باري أيضاً فمن الأفضل أن يكون لدينا أماكن متعددة للعمل.

لم تكن لدى المجاهدين خرائط للمنطقة. رغم الغنائم الكثيرة التي غنموها. وربما كان السبب أنهم لم يدركوا أهمية الخرائط فأتلفوها. وقد شاهدت في يوم فتح خوست بعد ذلك بسنوات كيف أنه لا يعيرون إلتفاتاً للوثائق، التي كانت بالأطنان في المراكز الحكومية المهجورة.

لقد رفعوا كل شيء إلا الأوراق فيما عدا حقاني الذي إهتم بتجميع وثائق (الخاد) التى وقعت بين يديه.

وبدون الخرائط كان لا بد من بذل مجهود ضخم للتعرف على المنطقة، وإختيار المكان أو الأمكنة، المناسبة.

وقد إستغرق منّا ذلك العمل حوالي خمسة عشر يوماً كاملة، حتى أطلقنا صاروخنا الأول، الذي

أعتبره أيضاً (صاروخاً تاريخياً) بالنسبة لمعارك خوست. فقد كان ضربة صحيحة في المكان المناسب. فتحطمت طائرة (إليوشن) عملاقة كانت في حالة هبوط على مدرج المطار. منذ تلك اللحظة بدأت خوست تتحول إلى أكبر مقبرة للطائرات في كل أفغانستان، وخسرت الحكومة الشيوعية على أرض مطار خوست حتى نهاية الحرب حوالي سبعين طائرة نقل عسكرية حسب ما أفادنا به الجنرال طيار (عبد الجبار) الذي تم أسره عند فتح خوست وهو يحاول الإقلاع بآخر طائرة لمست عجلاتها أرض مطار خوست في مدة الحرب. ومن فضل ا أن صواريخ مجموعتنا العربية هي التي منعته من التحليق وبقي في المدينة حتى أُلقي القبض عليه. وكان صاروخنا الأخير هو الذي تسبب في أسر تلك الطائرة مع الجنرال (عبدالجبار) وصاروخنا الأول هو الذي إفتتح هذا النوع من العمل العسكري ـ تدمير الطائرات الشيوعية وهي على المدرج- والفارق الزمني بين الصاروخين هو ست سنوات فقط لا غير!!.

جلست مع (عبدالرحمن) و (أبي حفص)، طوال اليوم وجزءاً من الليل في نقاش حول تصوراتنا للمهمة الجديدة، وأهميتها للبرنامج العسكري للمجاهدين في المنطقة. وأثار إنتباهنا كيف أن المجاهدين لم ينتبهوا لخطورة مهاجمة المطار وإنشغلوا بهجمات على المواقع. وقادنا ذلك، تدريجياً، إلى تبني وجهة نظر خطيرة بالنسبة لجهادنا في أفغانستان، وهو مفهوم (الإستكمال، وليس التكرار)، بمعنى أن نبحث عن الثغرات أو النواقص في عمل المجاهدين الأفغان، ونعمل نحن العرب على إستكمالها .إما منفردين كما حدث في بعض الحالات أو مع الإستعانة مع عناصر مناسبة من الأفغان كما حدث في معظم الحالات. وكان عملياتنا ضد مطار خوست أفضل مثال على صحة تلك النظرة وكانت نتائجها باهرة في المرات الثلاث التي خضنا فيها غمار هذا العمل. سواءفي المرة الإستكشافية الأولى عام 1985 أو في المرة الثانية التي كانت مكتملة وتوافرت لها عناصر الإتقان مع روعة النتائج في عام 1990، ثم المرة الأخيرة على نفس الهدف بعد ذلك بحوالي ستة أشهر أي في مارس عام1991 حين فتحت المدينة.

لقد حاولت جاهداً الدفاع عن تلك الفكرة وإقناع الجماعات العربية المؤثرة بأن نأخذ بها، ولكن نجاحي في ذلك كان محدوداً للغاية وأكاد أقول أنه كان مجهوداً فاشلاً. والسبب في ذلك يعود إلى عوامل متعددة، منها تشرذم العرب، وعدم إلمامهم بأساليب العمل العسكري، إضافة إلى جهلهم السياسي المطبق،ثم حماسهم المفرط والبحث عن الشهادة الذي تغلب لديهم على فكرة هزيمة العدو أو التفكير في كسب الحرب، ثم الشك في أي حديث لا يتماشى مع النمط السائد من قوالب الأحاديث والأعمال التي تموج بها الساحةالعربية في بشاور،التي أظن أن المخابرات السعودية كانت تمسك بنسبة 99% من أوراقها.

سبب أخير تمثل في كون التجمع العربي في معظمه كان من (البدو الرحل) كما كنت أسميهم. فمعظمهم يجيء ثم يمضي لا يدري أحد من أين أو إلى أين. وإذا بقي فهو مع الموجات العربية المتلاطمة،فواحدة تحمله إلى تلك الجبهة وموجة أخرى تأخذه إلى جبهة أخرى في جهة مخالفة. فهنا معركة شديدة، وهناك قائد جيد، ومكان آخر يحوي عقيدة سلفية صحيحة، ورابع به أخوة طيبون لديهم نشاط كبير في الجبهة.. وهكذا. وأظن أن معظم الطاقات تم إهدارها بهذا الشكل، فلم يستفد بها الجهاد في أفغانستان ولا أظنها كطاقات بشرية إستفادت كثيراً، أو أنها ممكن أن تقدم الكثير في مكان آخر.

مرة أخرى أوضح أن ذلك لا يعني أن أفغانستان كانت تجربة سلبية على المجاهدين العرب

والمسلمين عامة. ولكن أقول أننا كمسلمين عامة، وشباب العرب خاصة لم نستفد بأكثر من
2% من الفرص التي أُتيحت لنا، وأن معظم الثمار صبت في السلة الصليبية، ومع هذا فإن
آثار هذه الـ 2% كانت علامة فارقة في تاريخ المسلمين الحديث، وسوف يظل تأثيرها الضخم
في مسار العمل الإسلامي مستمراً إلى عشرات السنين. وا أعلم.
هناك نقطة هامة أشار إليها مؤلف كتاب (فخ الدب) حين قال بأن الأفغان لا يرغبون في
خوض العمليات العسكرية التي لا تُسفر عن غنائم. وهذا في الحقيقة ليس عيباً بل يعتبر من
القواعد الصحيحة في حرب العصابات حيث ينبغي أن تكون العمليات العسكرية مصدراً لتزويد
المجاهدين بإحتياجاتهم من سلاح وذخائر ومهمات وأطعمة وغيرها. المبدأ صحيح في حد ذاته
ولكنه لم يطبق بشكل جيد في أفغانستان. فلم تكن الغنائم سوى كارثه على مسيرة الجهاد ولم
يراع فيها حكماً شرعياً أو عقلياً سوى قانون الغاب والمصالح الشخصية لا غير، ونادراً ما تم
غير ذلك.
بعض العمليات العسكرية لا ينتظر منها غنائم على الإطلاق وإن كانت عظيمة الضرر بالعدو.
مثل عملية الهجوم على المطار. لذلك فقليلاً ما كان المجاهدون الأفغان يقبلون على أمثال تلك
العمليات. وإن قاموا بها أحياناً إلا أنها لم تمثل عندهم منهجاً ثابتاً. حتى في حالة نادرة مثل
خوست عندما كان عدم تمكين العدو من إستخدام المطار يعني عزل المدينة تماماً وبالتالي
إمكان فتحها مع توافر القدرة على الدفاع عنها ضد أي هجوم معاكس. حتى في هذه الحالة لم
يتحرك المجاهدون الأفغان بشكل ثابت. وهذا يعود أيضاً لأن المخابرات الباكستانية لم توجههم
إليه، بل منعتهم من مضايقة مطار المدينة إلا في حدود (معقولة)، كما أن السياسة الأمريكية
والسوفييتية كانت على إتفاق بأن لا يتمكن المجاهدون الأفغان من فتح أي مدينة أساسية في
أفغانستان. تلك القاعدة التي تحطمت في خوست وغيرت بالتالي مسار الحرب الأفغانية
ونتائجها المتوقعة دولياً. لقد تم فتح المدينة، وكانت مساهمة العرب في الفتح ليس فقط في
المشاركة في الهجمات الأرضية بل الأهم من ذلك إحكام إغلاق مطار المدينة، وكانت تلك
أبرز معالم سياسة (الإستكمال وليس التكرار) وهي سياسة طُبقت فقط في خوست، وفيما يتعلق
بالمطار خاصة.(أنظر كتاب المطار90)
- في الصباح الباكر تهيأنا للمسير مع (قومندان المظلات). وتركت الأطفال عبدالرحمن وخالد
في رعاية حقاني حتى نعود، فأعادهما إلى جاور الأكثر أماناً.
سار معنا عدد من المجاهدين مسافة من الطريق ثم تركونا مع القومندان كي نستكمل رحلتنا.
وهي الرحلة التي وصفتها في موضوع صحفي لجريدة الاتحاد، مع إخفاء كل ما يشير إلى
وجود العرب في العملية . ولكن الجولة مع القومندان كانت حقيقية.
ولكون هذا الرجل (مدهشاً) بالنسبة لي، حتى عندما أتذكره الآن فإنني أسوق تلك الفقرة من
الموضوع الصحفي لتصوير رحلتنا الإستطلاعية معه. وحتى الآن لا أدري شيئاً عن مصير
ذلك القومندان وكأنه شخصية خرافية خرجت لنا من باطن الأساطير.
وللعلم فقد كنّا قد أطلقنا على مجموعتنا -التي كانت رباعية وقت الإستطلاع إسماً مرحاً
هو (الفرقة الرابعة مطارات) على وزن إسم (الفرقة الرابعة مدرعات) والتي كانت لها شهرة في
وقت ما في مصر.

****

يقول التقرير الصحفي:

القومندان

لم يكن الرباعي من أبناء باكتيا، لهذا إستعانوا بمجاهدي المنطقة في عملية الإستطلاع. (قومندان المظلات) واحد من خبراء المنطقة كان سابقاً ،كما يقولون، قومندان في سلاح المظلات. وبعد أن خرجنا معه في رحلة إستطلاع أدركت أنه واحد من عجائب بلاد الأفغان. (قومندان صاحب) كما يدللونه أحياناً، في الخامسة والأربعين من العمر قوي البنية كمصارع محترف. ذو وجه مستدير وأنفٍ حاد وعينان زرقاوان تلمعان كعيني نمر.

في رحلات الإستطلاع يحمل أفراد المجموعة عادة سلاحهم الفردي وكمية كبيرة من الطلقات والقنابل اليدوية فهم يقتربون كثيراً من مواقع العدو وإحتمال وجود كمائن في الطريق يثير قلق الجميع.. ما عدا (القومندان)..

فهو يعلق في كتفه بندقية سريعة الطلقات (كلاشنكوف) ويعلق في رقبته خيط حريري أسود يتدلى منه قراب خنجر أفغاني تقليدي، وسوى ذلك لا يحمل معه أي ذخائر إضافية.

في الطريق أدركت أن القومندان يتمتع بذكاء وسعة حيلة يندر أن تجد لها مثيلاً.

كانت المهمة هي إستطلاع الجزء الغربي للمطار والمناطق المحيطة به. ولم يترك القومندان فرصة تمر بدون أن يستعرض قدراته التي هي في الحقيقة قدرات مدهشة ولكن طريقة الرجل تفقد الحليم صبره.

بدأت الرحلة بعد الفجر وغاص بنا القومندان في متاهات جبلية لمدة خمسة ساعات من السير المنهك. والجميع صائمون ويتذرعون بالصبر. كنّا نتوقع رحلة أقصر من ذلك بكثير، فبالأمس كانت تبدو المسافات قريبة من فوق قمة الجبل في (ليجاة) ولا ندري ماذا حدث اليوم وكيف إستطالت؟؟. عند الظيهرة وصلنا إلى آخر سلسلة الجبال من طرف وادي خوست وبدت الحافة الغربية لمدرج المطار واضحة للغاية وكذلك كمائن الحراسة ومواقع الدبابات. وبعض مواقع كتائب الجيش المكلفة بحراسة المدينة.

أخذ الفريق يلاحظ ويدون ويرسم خرائط (كروكية) للمواقع. وفجأة لاحظوا عدة مصفحات تتحرك بأقصى سرعتها من جانب المطار في إتجاه موقعنا مباشرة. بدأ الرباعي يتشاورون بسرعة في إحتمالات تطور الموقف إذا ما جاءت مدرعات وحاملات جنود لمطاردتنا في هذه المنطقة المكشوفة.

إتخذوا قرارهم بالمناوشة والإنسحاب إلى سلسلة الجبال القريبة. بدأوا الحركة بحرص لأخذ مواقع أفضل للمواجهة والمناورة. نظروا حولهم فلم يجدوا (القومندان) بدأوا يصيحون عليه ولا مجيب.

عبدالرحمن أفصح بسرعة عما في نفسه قائلاً:هذا الرجل لا أرتاح إليه.. لقد إستدرجنا إلى كمين..سرى القلق في نفوس الجميع.. وحاول (عبيد ا) أحد أفراد المجموعة وأقلهم ميلاً إلى الكلام ، حاول أن يهديء من مخاوف عبدالرحمن. ولكن إختفاء الرجل في هذه اللحظة بالذات وتصرفاته الإستفزازية طوال الرحلة جعلت الجميع يعتقد في صحة ما قاله عبدالرحمن.

مرت اللحظات ثقيلة وإستمرت المصفحات تقترب من بعيد وقد أثارت حولها سحباً عالية من التراب. وتواردت الظنون لتزيد القلق، فإذا كان هناك كمين فلن يقتصر على تلك الوحوش الفولاذية التي تنهب الأرض في طريقها إلينا. لا بد أن هناك شيئاً آخر قد يكون على مقربة

منّا في الوادي أو... ربما على التلال القريبة.
بدأت الأعين تبحث في كل شيء يحيط بنا في السهل في التلال، في الجبال القريبة. وغياب القومندان جعل الشكوك تتأكد.
وفجأة إنحرفت مسيرة المصفحات جهة الشمال وظلت تواصل المسير حتى إختفت داخل أجمة كثيفة من الأشجار حيث تتواجد قيادة المدرعات في (خوست).
تراجعت المجموعة بهدوء حتى وصلت إلى بداية سلسلة الجبال كان الحر شديداً وشمس الظهيرة قد طردت من أجسامنا آخر قطرة ماء. وإبيضت شفاة الشباب وصار الكلام يخرج بصعوبة.في ظل أحد الأشجار الشوكية بدأ عمر ينظم الخرائط ويتأكد من صحة المواقع ويضع بعض علامات ورموز على الأوراق.. ثم أعلن نهاية رحلة الإستكشاف لهذا اليوم وطالبهم بالتهيؤ للمسير.. ولكن كيف؟.. والدليل قد إختفى؟. قرروا العودة من نفس الطريق الذي قدموا منه وأبديت لهم شكي في نجاح هذا العمل فليس من اليسير تذكر معالم هذا الطريق الطويل الذي إستغرق أكثر من خمس ساعات في متاهات جبلية يبدو أن قدما لبشر لم تطأها من قبل. ترددوا بعض الشيء ولكن لم يكن هناك حلاً آخر.
بدأنا المسير وسيطر على فكري وجود الماء فنحن في حاجة شديدة إلى الماء والأودية القريبة كلها جافة ولمسيرة ساعة أو أكثر. فماذا لو ضللنا الطريق ولم نصادف الماء؟؟.
بينما الصمت يلف المجموعة والأقدام تنتزع من الأرض إنتزاعاً وتوقف الجميع عن الكلام تحت وطأة العطش والجوع والتوتر. جاء صوت مألوف يصيح بمرح ليس له مبرر:
ـ أين تذهبون؟.. هل تتركونني؟
يا للمفاجأة.. إنه (قومندان صاحب) .. نظرنا خلفنا فإذا به يندفع من فوق قمة قريبة كجلمود من الصخر. كتم الجميع غيظهم.
ـ أين كنت؟
ـ لقد تركتكم تراقبون وذهبت لأستريح قليلاً في ظل الأشجار.
لم يعرنا إهتماماً كثيراً وتقدم الركب وهو بادي النشاط والمرح..
ـ يبدو عليكم الإرهاق.. الإستطلاع يحتاج إلى رجال أقوياء.. مازلتم صائمون؟.تماسك الجميع بصعوبة وأخذ (عبيدا) يزمجر وكذلك (عبدالرحمن) وأسرع (عمر) لتدارك الموقف:
ـ نحن متعبون ونريد طريقاً مختصراً للعودة إلى المركز.
ـ هذا شيء بسيط..هناك طريق يوصلنا إلى المركز بعد ساعة واحدة.. هل تحبون المسير فيه؟
ـ ساعة واحدة؟؟
علت الدهشة وجوه الجميع، فقد سار بنا أكثر من خمسة ساعات في الصباح، فلماذا لم يسلك بنا هذا الطريق المختصر؟.
أصبح التوتر بادياً على الجميع حتى (عمر) الصبور لمعت عيناه وكاد أن ينفجـر فـي وجـه "قومندان صاحب". ضحك القومندان وأدرك ما يدور في النفوس. فسار مسرعاً الخطى.. وأخذ يغني بمرح أغاني جبلية جميلة.. لكنها لم تفلح في الترويح عنّا.
دار بنا على سلسلة الجبال لمسافة كيلومترات قليلة ثم نزل فجأة إلى الوادي عبر أحد الشعاب الضيقة الوعرة.. نظرنا إلى جهة اليمين على بعد ثلاثة كيلومترات في الوادي هناك مركز قوي للعدو مهمته مراقبة المنطقة. لفت (عبيد ا) نظر(قومندان صاحب) إلى هذا الأمر، فلم يهتم كثيراً..عبدالرحمن تقدم بسرعة حتى صار خلف (القومندان) ثم بدأ يتكلم بالعربية التي

لا يفهمها القومندان :
ـ إنه سيسلمنا هذه المرة بيده إلى كمين.
كان يبدو كلام عبدالرحمن صحيحاً. فقد أصبحنا في الوادي مرة أخرى وفي منطقة يسيطر عليها الجيش. مد الشباب أيديهم بهدوء وحرك كل منهم جزء الأمان في بندقيته لتصبح جاهزة للإطلاق.شعر القومندان بتوتر الشباب وبقعقعة السلاح من خلفه ظل يسير بلا مبالاة ويصدح صوته بأغنيات بدت لنا أشد نكرا من إنفجارات الصواريخ. ثم إنحرف يساراً في وادي كثيف الأشجار تفجرت منه ينابيع غزيرة. قفزنا إلى الماء لإطفاء حرارة أجسامنا التي كادت أن تشتعل من الحرارة وفقدان المياه. أوقفنا القومندان وأشار إلى نبع قريب يخرج ماءه من باطن الجبل وقال هذا أفضل.شربنا من الماء حتى أنهكنا الشرب.. وإرتمينا على الحشائش بلا حراك وبلا حديث.
أشار القومندان بإصبعه على إمتداد الوادي جهة الجنوب قائلاً: على بعد ثلاثة كيلومترات ينتهي الوادي وتبدأ حدود المركز..يمكنكم إكمال المسير إلى هناك فنحن الآن تقريبا في المعسكر.
نظرنا إلى حيث أشار.. لقد كان قوله صادقاً. فقد بدت بعض القمم التى نألفها... شعرنا بإرتياح شديد.
بدأ (القومندان) يمارس هوايته في الصيد ويطلق النار على بعض الطيور الكبيرة والأرانب البرية التي تزخر بها المنطقة.
قال عبد الرحمن منهكا وهو ملقي على الحشائش بجانب جدول الماء :
ـ وددت لو تكسر رقبته.
فرد عليه (عبيد ا) :
ـ كان من الأفضل أن يقذفوه من طائرة ومعه مظلة لا تنفتح.
ساد الصمت بيننا وبدأت أسمع غطيط فريق الإستطلاع نظرت إليهم لقد غلبهم النوم وقد إحتضن كل منهم بندقيته فوق صدره تماما..إختفى القومندان بين شجيرات الجبل ومن حين إلى آخر نسمع طلقاته على الطيور والحيوانات البرية... وأخذت أفكر في هذا الرجل.. من هو؟ وأي صنف من البشر يكون... لم أهتد إلى إجابة ما... ولكن الشئ المؤكد أن ذاكرتي لن يمحى منها شخصية (قومندان المظلات) .

البيان الأخير

ليس هناك الكثير مما يمكنني نشره عن الفرقة الرابعة مطارات وكل ما لدينا تقرير عن نتائج عملياتهم حتى يوم 28 رمضان 1405هـ.
التقرير يقول أنه خلال أسبوعين من العمليات كانت النتائج كالتالي في مطارخوست :
1- تدمير طائرة هيلوكبتر ناقلة للجنود على مدرج المطار.
2ـ تدمير طائرة نقل كبيرة وإحراقها على المدرج وإصابة 47 من ركابها بين قتيل وجريح جميعهم من العسكريين (الهندوس) وقد هاجرت عائلاتهم من المدينة إلى كابول. وعاد بعضهم إلى الهند.
3- تدمير مبنى عسكري قرب المطار ومصرع أربعة من الضباط.
4- إصابة عدد من الطائرات إصابات غير معلومة.
5_إصابة عدد من العسكريين العاملين في الدفاع عن المطار وإدارة المطار بإصابات وخسائر

في الأرواح غير معلومة.
6- إغلاق المطار في وجه الملاحة الجوية لمدة أسبوع.
وأفاد التقرير أيضا عدم وقوع أي خسائر في صفوف الفرقة ومنذ هذا التاريخ إنقطعت أخبار (الفرقة الرابعة مطارات) ولم يعلم شئ عن مصيرها.

-إنتهى التقرير الصحفي-

****

في رحلة إستطلاعنا الأولى لم نكتشف سوى شخصيةوومندان المظلات العجيبة، أما ما يتعلق بعمليتنا على المطار فلم نعثر على المكان المناسب بسبب بعد المسافة عن الهدف.
أرسلنا حقاني إلى منطقة (باري) لاعتقاده قربها من المطار. وهي كذلك بالفعل. ولكنه كان يخشى من خطوط الدفاع الجبلية للشيوعيين وقدرتها على إصابتنا بنيرانها أثناء العمل.
وكان يخشى علينا بوجه خاص من قوة العدو على جبل (تورغار) الذي يعتبر مركز دفاعات العدو الجبلية وأكثرها إرتفاعاً وتحصيناً. لهذا إرتبط جبل تورغار بسلامةالمطار وإرتبط الإثنان تورغار والمطار بسلامة المدينة. لقد كان حقاني يعلم ذلك، وهي حقيقة لمسناها لأول وهلة منذ عملنا في ذلك المشروع. وهكذا كان التسلسل الذي إتخذته الأحداث عند فتح المدينة كان إستيلاء المجاهدين على جبل تورغار مقدمة لا بد منها لإغلاق مطار المدينة بشكل نهائي (بواسطة عملياتنا العربية)، ثم فتح المدينة نفسها. وقد إستغرقت تلك الخطوات عام كامل أو يزيد.
إلتحقنا في (باري مع جماعة مجاهدة من قبائل وزير ستان قدمت من الجانب الباكستاني من الحدود، يرأسهم عالم إسمه(عجب نور)، والده أيضاً عالم يدعى (عجب خان) من مشاهير الأبطال الذين قاتلوا الحملات البريطانية على بلاد الأفغان. (عجب نور) كان يمثل قيادة روحية لهذه الجماعة بل للقبيلة كلها. وهو يحضر إلى الجبهة من وقت إلى آخر ولكنه يترك الأمور العسكرية لإثنين من قواده هما (سميرجول) ومولوى عبدالحليم. سميرجول وهو أول من تعرفنا عليه من المجموعة وصارت مجموعتنا تعمل تحت إمرته ، شكليا، حيث كان لنا إستقلالية تامة في العمل ولكن مع إرتباط إداري مع (سميرجول)، حتى أن غنائم المجموعة كان لنا فيها نصيب. ولكنا رفضنا إستلام شئ منها، تعففاً وحفاظاً على الأجر كاملاً حسب فهمنا لبعض الأحاديث النبوية. وفي شهر رمضان غنمت المجموعة عدة بنادق كلاشنكوف، من جنود فروا من الخدمة وسلموا أنفسهم، وكان نصيب كل مجاهد 400 روبية باكستانية .
مولوي عبد الحليم، كان الأكثرطيبة والأكثر صلابة وإنضباطاً وما زالت علاقتنا به قائمة إلى الآن حيث نزوره من وقت إلى آخر في مدينة خوست التي يرأس معهدها الديني المسمى (منبع الجهاد). وقد بترت ساقه أثناء محاولة غير ناجحة للإستيلاء على جبل تورغار،حين إنفجر لغم فوق الجبل أودى بحياة شاب عربي . فحاول مولوي عبدالرحيم أن يسحبه فإنفجر فيه لغم آخر بتر ساقه.
شاركت تلك المجموعة في معارك كثيرة وقدمت العديد من الشهداء ولكن معسكرهم لا يدل إلا على أنهم مجموعة من القرويين الطيبين. كانوا غاية في دماثة الخلق والوداعة. أطلقنا على معسكرهم فيما بعد إسم (القرية النموذجية). وهومعسكر خلفي بعيد جدا عن المشاكل إستخدموه لتخزين المهمات والتحرك بها إلى الأمام (عند الضرورة).
وبعد أعوام كنت أزور المركز مع عبد الرحمن لشرب (الشاي بالحليب) والحديث معهم ثم العودة إلى الخطوط الأولى. وكانت زيارات تزيل من نفوسنا الوحشة وتوترات القتال.

فالمعسكر ملئ بالماعز والدجاج مع جلسة جميلة مفروشة تحت ظلال الأشجار لتناول الشاي والثرثرة.
أما مركزهم الأمامي الذي إستخدمناه في زيارتنا الأولى، وهو مركزهم الرئيسي عند نشاط العمليات في المنطقة، فهو أفضل المراكز المتقدمة في باري من ناحية التحصين. وهو عبارة عن عدة مغارات كبيرة تحت جبل مرتفع، وأبواب المغارات لا يمكن إكتشافها إلا من مسافة قريبةجدا لأنها تطل على وادي جاف منخفض عن مستوى معابر المشاة في المنطقة. ومن فوقق الجبل يمكن رصد أماكن حيوية في المنطقة منها حصن (بوري خيل) في مدخل الجبال إلى الشمال من المركز. وخلف الحصن يظهر وادي خوست. أما إلى الشمال الشرقي فيوجد جبل تورغار الرهيب، وإلى الجنوب بحوالي كيلومترين يوجد جبل أخضر عتيد كنا نسميه (جبل منان) لوجود مركز صديقنا (منان) أسفل الجبل جهة الجنوب، وقد كان الجبل يقف نداً أمام (تورغار) وكثيراً ما تبادل الجبلان الرماية. وكان (جبل منان) أحـد الأهـداف الرئيـسية للعدو. حيث أن هجوم القوات الشيوعية على باري عام 1985كان له هدفان رئيسيان هما إيقاف عمليات قصف الصواريخ ضـد مطـار خوسـت وهـو المـشروع الـذى كنـا نقـوم بـه، ثم تطهير منطقة باري من المجموعات النشطة القوية وعلى رأسها مجموعة (منان) الذي تعرفنا عليه بعد عدة أيام من وصولنا إلى باري فقابلناه في ظروف جعلت إنطباعي عنه خاطئا و سيئاً للغاية.
مع مولاى(سميرجول) إستطلعنا المنطقة حول حصن(بوري خيل) الذي شارك هو في فتحه منذ سنوات، ولكننا لم نجد ضالتنا المنشودة. ثم إستطلعنا مواقع غرب تورغار مباشرة على جبل يدعى (زرمانكي) ومن فوق ذلك الجبل يمكن إصابة أهداف مزعجة في المدينة، ولكن يبقى المطار بعيداً عن الرؤية ومحجوبا بجبل تورغار وسلاسل أقل منه ارتفاعاً جهة الشمال الشرقي حيث المطار.
إتفقنا مع سميرجول على إستطلاع مناطق شرق تورغار.ولحسن حظنا أن إنضم معنا ضابط مدفعية سابق في الجيش الأفغاني يدعى (عبدالماك). وكان قائداً للمدفعية في خوست قبل إنضمامه للمجاهدين. كان ذو لحية سوداء كثيفة خطها قليل من الشيب، هادئ جداً ومنظم جداً. يحمل حقيبة سوداء بها خرائط وبوصلات ومساطر ومعدات هندسية يحتاجها في عمله المدفعي ربطتنا صداقة قوية مع الرجل، تحولت إلى شئ من المنافسة ولذلك قصة طريفة نقصها فيما بعد. وأفادنا الرجل كثيرا في معرفة المدينة بشكل لم يسبق لنا من قبل.
فلأول مرة نرى خريطة للمدينة والجبال من حولها. ثم على الطبيعة وفوق جبل عال ها هو كرجل مدفعية خبير يشير إلى أهم مواقع الجيش ومعالم المنطقة ويعرفنا عليها وجها لوجه.
وأعترف له بالفضل، فمنذ ذلك الوقت وحتى فتح خوست لم تمح من ذاكرتي خريطة المدينة كما شرحها لنا على الورق وعلى الطبيعة في ذلك اليوم الرائع من أيام رمضان المبارك. وقد كان ذلك خير عون لي في عملي خلال السنوات التالية.
رحم ا (عبدالماك) فقد إستشهد في معارك جلال آباد عام 1989 حيث كان قائداً لوحدة المدفعية التي أرسلها حقاني لمساندة المجاهدين هناك.
كانت المنطقة مناسبة تماما للعمل، وهي مواجهة لخطوط دفاع العدو فوق جبال (دروازجي) بمعنى البوابة، وهي فعلا بوابة للهجوم على المطار والمدينة، ومن هذه المناطق شرق جبل

تورغار بدأت عمليات فتح المدينة عام 1991م.
كانت الخطوة الأولى هي التحرك إلى مركز جديد لجماعة سميرجول إلى جنوب شرق تورغار لتكون قاعدة خلفية لنا. وكان علينا المسير لمدة ساعة ونصف حيث نضع صواريخنا المتجهـه صوب المطار ولكن كيف نعمل ومراكز حراسة العدوعلى مسافة قريبة منا من الأمام واليمين و اليسار؟، ثم هناك طائرات الهيلوكوبترمن طراز(مى ـ 24) وهو الطراز الذى لا أحبه مطلقاً نتيجة لذكرياتي السيئة معه، وهناك طائرتان مخصصتان لحراسة المطار،من مجموع أربع طائرات من نفس النوع موجودة في المدينة. وقبل هبوط الطائرات بمدة كافية تقوم الطائرتان بدوريات حول المطار جيئة وذهاباً لمراقبة المنطقة ،زيادة في إحتياطات الأمان ضد أي تسلل قريب من المطار. كان يمكن للطائرتان أن يكونا فوقنا تماماً في أقل من دقيقتين من إطلاقنا للصاروخ.
هناك دبابة فوق تورغار يمكنها رصد مكاننا وتوجه نيرانها إلينا فـي غـضون ثـوان قليلـة، إذ كان مكشوفاً لها. أما الهاونات فحدث ولا حرج خاصة ذلك (الغرناي) اللعين من عيار120مم وهو متواجد بوفرة لدى نقاط العدد فوق الجبال، أما الرشاشات الثقيلة فلا داعي لذكرها.
مشكلة أخرى هي أن المسافة المحصورة بين مركزنا الجديد والخط الأول للعدو، هي أرض (رمادية) ليس للمجاهدين سيطرة قوية عليها، وميليشيات العدو من سكان المنطقة، يمكنها أن توقعنا في كمائن قاتلة، خاصة وأن عدد المجاهدين في المنطقة قليل جداً في ذلك الوقت ، أما إذا إستخدمنا نفس المكان لفترة طويلة فإن تلغيمه يصبح وارداً، إن لم يكن بواسطة الميليشيات فبواسطة (المنافقين)، وما أكثرهم. قد يكون المنافق راعيا للغنم أو عابر سبيل، أو (مجاهد) في أحد المجموعات من قبائل المنطقة. أما إمكانية نثر ألغام (الفراشة) التي تلقيها الهيلوكبتر على الممرات التي قد يشتبهون في عبورنا إياها فهو أمر وارد أيضاً.
عقبة أخرى وهي أن خط الدفاع الأول للعدو ونقاط الملاحظة فوق الجبال، سوف تحدد مباشرة نقطة إنطلاق صاروخنا ثم تعطي أحداثياته إلى المدفعية الثقيلة في عمق الوادي كي تحرق المنطقة بنيرانها. وذلك قد يستغرق أقل من دقيقتين، وأخيراً فإن الطائرات النفاثة سوف تأتي حتماً من كابول في مدة مقدارها 15 دقيقة على أقل تقدير. ولكنها على أية حال لا بد أن تقصف المنطقة حتى ولو تأخرت لساعات، أو حتى إذا أجلت حضورها لليوم التالي.
وبالعودة إلى بعض الوريقات التي سجلت فيها يوميات موجزة في تلك الفترة، نسترجع معاً صورة أحداث تلك المهمة.

الجمعة 12 رمضان 1405هـ - الموافق أول يونيه 1985.

في الصباح الباكر غادرنا ليجاه بالسيارة في طريقنا إلى(ميرانشاة) ومن المفروض أن نتحرك من هناك إلى منطقة (باري) ثم نلتحق بجماعة وزيرستان بقيادة سميرجول كي نبحث عن مكان مناسب لضرب المطار بصواريخ كاتيوشا. كنت مصاباً بنزلة برد شديدة. إشترينا بعض الأشياء من السوق وإسترحنا ساعة في مضافة تابعة لحقاني. في الظهرتحركنا في السيارة صوب الحدود من مدخل (غلام خان) الذي يوصل إلى منطقة باري. كان الحر شديداً. وصلنا معسكر سميرجول عند العصر. وعلى الفور إصطحبنا سميرجول في سيارته إلى قرب معسكر بوري خيل، تجولنا فيها قليلاً وقد حذرنا سميرجول من الألغام التي ما زالت في المنطقة.

أثناء التجوال أطلقت علينا دبابة العدو من فوق جبل تورغار أربعة قذائف أصابت مدخل الوادي عند قرية مدمرة ومهجورة. وأظن أن الرماية كانت روتينية للإحتياط. جلسنا فوق أحد القمم التي تكشف المطار. ولكنه كان بعيداً. قررنا إستكمال الإستطلاع في الغد.

السبت 13 رمضان - 2يونيه/85

بعد الفجر تحركت بنا السيارة كي نستطلع أماكن أخرى شرق جبل تورغار. بعد نصف ساعة نزلنا من السيارة كي نكمـل رحلتنـا سـيراً علـى الأقـدام.وكـان معناسـميرجول وضابط المدفعية عبد الملك،ومجموعة من المجاهدين. إستمر المسيرساعتين صعدنا بعدها جبل عال حيث ظهر مدرج المطار، وشرح لنا (عبد الملك) مواقع العدو ومعالم المدينة مستعينا بخريطة عسكرية معه. ووعدنا بإعطائنا صورة عنها. لم يكن موقعنا موازياً لمدرج المطاركما كنا نود. طول المدرج ثلاثة كيلومترات، منطقة في الثلث الغربي للمدرج مختفية خلف أحد قمم الجبال، أما الطرف الغربي المستخدم عادة في هبوط الطائرات فيظهر واضحاً. كذلك الطرف الشرقي الذي يستخدم ثلثه الأخيرفي عملية تفريغ حمولة الطائرات، أوتحميلها. غادرنا معظم المجاهدين عائدين بما فيهم سميرجول وعبدالملك بقيت مع عبدالرحمن وأبوحفص مع دليل عجوز. الشيخ محمد طالب الذي كان يتقن العربية ويعمل في تجارة الأقمشة في السعودية بقي معنا وأصرعلى تعلم طريقتنا في العمل وكان يقول علموني.. وإذا أخطأت فاضربوني، كان يتعلم بسرعة وحماس، إستشهد (رحمه ا) في الحملة الشيوعية التي حدثت على المنطقة بعد ذلك بأسابيع قليلة، كان قد تزوج حديثاً ورزق بولد بعد وفاته بأيام. فقدانه كان أول ضربه لمجموعتنا.

تجولنا كثيراً في الجبال، ورشحنا عدة مواضع لإستخدامها فـي الرمايـة ولمراقبـة المطـار. وناقشنا طريقة العمل.

زملائي إقترحوا نفس الطريقة التي إستخدموها في "شريناو"وهي إطلاق الصواريخ بواسطة جهاز تفجير يشحن باليد، ويتم التفجير من مسافة قريبة على جانب الصاروخ لا تتعدى ثلاثة أمتار. إقترحت أن يتم الإطلاق من مسافة خمسة عشرمتراً أو أكثر حسب وجود السواترالمناسبة لأن مكان إطلاق الصاروخ وما حوله سوف يكون تحت نيران العدو، ومن الأفضل أن نتحرك بسرعة إلى مسافة أبعد بعد إطلاق الصاروخ.

والإقتراح الثاني هو إستخدام ساعات التوقيت في الرماية على أهداف العدو القريبة من المطار، وذلك لتشتيت رمايات العدو وصرف إنتباهه عن مكان تواجدنا الحقيقي. أما الأهداف التي سنضرب عليها نحن فهي طائرات النقل العملاقة ذات الأربع محركات أو (تشار مشين) كما يطلق عليها الأفغان. وهي التي تقل الإمدادات إلى المدينة. وإتفقنا على عدم إطلاق صواريخنا إلا على هذا النوع من الطائرات. لأسباب منها تضييق حلقة الحصار على العدو والثاني سهولة إصابة الطائرات نظراً لضخامة حجمها.

شعرنا بالتعب الشديد أثناء العودة (وإضطررت إلى الإفطار). عثرنا على بعض أفراد مجموعتنا في الطريق، وأخيراً عثرنا على السيارة فإرتمينا فيها منهكين.

الأحد 14 رمضان - 3 يونيه/85

تحركنا صباحاً صوب (ميرانشاه) لشراء المعدات اللازمة للعمل فإشترينا ساعة كبيرة (منبه) وأسلاك كهربائية وشرائط لاصقة. وأدوات صغيرة للعمل .

كانت تلك بداية لتكوين ورشةخاصة بنا لأعمال الكهرباء والميكانيكا لمساندة عملياتنا في

الجبهة. من فرط سعادتنا بالمشروع الجديد وبأجواء العمل الحميمة مع مجاهدي وزيرستنان، قررنا شراء هدية للمعسكر فاشترينا47 كيلوجراما من البطيخ، فقد إعتبرناه أحسن هدية في هذا الجو الحار. أُصبنا بأزمة مالية، بعد ذلك حاولنا الإقتراض من (إبراهيم) أخو جلال الدين حقاني ولكننا فشلنا. وصلنا إلى باري في مركز(سمير جول) وشرحنا له فكرتنا للعمل كان مندهشاً ومتحمساً. كان الجميع في سرور لوجودنا معهم. فقد كان وجود العرب في أحد المراكز يعتبر من دواعي الفخر لذاك المركز. ولم تكن القيمة العملية للعرب في القتال قد ظهرت بعد.

تحركنا في سيارة المعسكر لننتقل إلى منطقة شرق تورغار عبر قرية (تودة شني) وهي قرية جميلة في وسط الجبال وتعتبر ممراً رئيسياً للمجاهدين للإنتقال بين المناطق الشرقية والغربية من تورغار ، الذي يشكل تهديداً خطيراً لحركتهم.

القرية مدمرة تماماً ، ولكنها غنية بالمياه والتلال المشجرة وبعض الينابيع خاصة نبع من الماء البارد ينبع مع الجبل وسط أجمة كثيفة من النباتات الخضراء وأطلقنا على النبع إسم (سفن أب). ومن فرط عشقنا له كنّا نشرب منه كلما مررنا عليه حتى ولو لم نكن في حاجة إلى ذلك.

معالم المنطقة التي تهمنا كنّا نطلق عليها أسماء نختارها بأنفسنا ، فهي إما بدون أسماء أو أن أسماءها الأصلية صعبة، فكنّا نختار لها أسماء مضحكة أو ساخرة ،وكانت تلك مهمتى مع عبدالرحمن، أما أبا حفص الجاد دوماً فكان يضحك من الأسماء ولكنه غير مقتنع بها. وفي الواقع فقد كان مزاجي مع عبدالرحمن مخالف كثيراً لأمزجة العرب الآخرين. فعندما بدأ العرب نشاطهم بعد ذلك بسنوات وأطلقوا مسمياتهم فكانت أسماء جادة جداً وخطيرة.

(**على غرار: المأسدة ، جبل قبا ، قاعدة الانصار ، كتيبة اليرموك ، معسكر الفاروق ، .. الخ**) .

وصلنا قرب نبع (سفن أب) عند صلاة المغرب، وتجمع هناك حوالي عشرون مجاهداً كانوا في طريقهم إلى مراكز مختلفة وتوقفوا في هذا المكان بعد أن سمعوا قصفاً شديداً للغاية على منطقة قريبة. وجاءت الأنباء أن (منان) وجماعته يهاجمون المطار بصواريخ الكاتيوشا.

وكان سمير جول قد أخبرنا أنه قد أعطى منان أربعه عشر صاروخاً لهذا الغرض ، أصابنا الذعر لضخامة العدد . كيف سيتصرف منان بهذا كله؟، وكيف يهاجم ونحن لم نسمع أصوات طيران تهبط في المطار؟.

بعد ساعتين وصل منان ومجموعته منهكين ولكن في حالة من السرور كبيرة ، وكانت تلك أول مرة أرى فيها منان، جلسنا معه وتجمع حوله الجميع وقص علينا العملية قال أنهم قد أطلقوا ستة صواريخ كاملة على المطار وجميعها أصابت المدرج. هلل المجاهدون وكبروا ما عداي فقد سألته عما إذا كان هناك طائرات في المطار وقت العملية أم لا. فأجاب بالنفي. فتمنيت لوأطبقت على رقبته بكلتا يداي.. وأصيح في وجهه: لماذا إذن أطلقت كل هذه الصواريخ؟.

إنتحيت جانباً مع (سمير جول) وحدثته بجفاء ألا يعطي أية صواريخ أخرى لمنان أو غيره. نحن فقط سنتولى ضرب المطار بهذه الصواريخ. ويجب أن نحافظ عليها جيداً وأن نستخدمها بحرص شديد. فوافق معنا - ولكنه لم يستطع أن يطالب منان برد المتبقي لديه من الصواريخ. كانت الصواريخ قليلة جداً وكنا نرى فيها فرصة رائعة لضرب المطار ومحاولة إغلاقه، لأول مرة بعد أن تمكن العدو من حماية المطاربشكل كامل بواسطة إحتلال جبل تورغار،الذي جعل المطاربعيداً عن مدى أسلحتهم. وقد شرحنا الفكرة لمولوي جلال الدين ووافق تماماً عليها كما أمر (سميرجول) أن تكون كل الصواريخ الموجودة تحت تصرفنا نحن فقط. نمنا تلك الليلة

في العراء قريبا من نبع (سفن أب)، حتى نتحرك عند الفجر لإجراء مزيد من الإستطلاع لاختيار مكان جديد لمركز متقدم، وإنتقاء مراكز إطلاق.

الاثنين 15 رمضان - 4يونيو85

تحركنا سيراً في إتجاه الجنوب خلال وادي ضيق، ومعنا سميرجول لإختيار موقع أمامي ليكون نقطة إسناد خلفية أثناء عمليات ضرب المطار. إستقر الرأي على مكان قريب من جدول ماء بجانب عدد من الأشجار بالقرب من جرف مرتفع حوله عدة هضاب منخفضة ذات أعشاب. المكان يبدو مثالياً وغير مطروق. تحركنا في المنطقة المحرمة وسرنا في جبال وأودية كثيرة، كنت مع أبي حفص وعبدالرحمن والشيخ طالب. أنهكنا المسير والحر. المناطق خالية من الماء. أصبح لدينا فكرة جيدة عن المنطقة، فهي تتيح مجالاً ممتازاً للمناورة.

أثناء العودة تقابلنا مع أربعة من طلاب العلوم الشرعية من جماعة وزير ستان، وكنّا لم نصادف مخلوقاً طوال اليوم، لذا شككنا عند أول رؤيتنا لهم من بعيد أنهم من ميليشات العدو. لكن مشيتهم المسالمة طمأنتنا قليلاً. وتعرف عبدالرحمن على أحدهم فهدأت خواطرنا. كان معهم ماء وتمر فتناولنا منه قليلاً وأفطرنا ، وكنّا صائمين حتى ذلك الوقت المتأخر.

عند العصر سمعنا إنطلاق أربعة من صواريخ الكاتيوشا ،وهي آخر ما كان لدى منان، وقد أطلقها على المطار أيضاً حيث لا طائرات هناك. شعرت بخيبة الأمل وطمأنت نفسي بأن صواريخه قد نفذت ولن يفعلها مرة أخرى.

بعد المغرب وصلت السيارة بالأمتعة وكان معها (أبوعبيدة العراقي). وبدأ الإستقرار في الموضع الجديد. ونمنا حتى الفجر.

(الثلاثاء 16 رمضان 5 يونيو 1985)

في الصباح أخبرنا سمير جول أنه عثر على مكان أفضل للمعسكر. فذهبنا لرؤيته، كان إلى الخلف جهة الجنوب في مكان جيد ولكنه أبعد عن منطقة نشاطنا، فرفضنا الإقتراح. قرب مكاننا الحالي كانت هناك مغارتان صغيرتان، حفرهما المجاهدون قديماً لتخبئة السلاح والذخائر. إستخدمنا المغارتين في تخزين الصواريخ والمعدات الكهربائية وبعض الذخائر. كتبنا رسالة إلى بعض الأصدقاء في بشاور طالبين نجدة مالية سريعة، وتحرك الشيخ محمد طالب بالرسالة صباحاً. أما نحن فقد تحركنا إلى المنطقة المحرمة ومعنا صاروخ وأسلاك وساعة، كانت تلك أول تجربة لنا. تقدمنا في أحد الأودية وفي نقطة منه كان المدرج يظهر لنا فقمنا بتوجيه الصاروخ وضبط زاويته للحصول على أقصى مدى وكانت النقطة هي منتصف المدرج وكان الهدف هو التأكد من أننا في المدى المناسب للرماية، فلم نكن قد حصلنا بعد على خرائط للمنطقة كما وعدنا الضابط عبدالمالك.

تركنا الصاروخ وتحركنا عائدين وفوق جبل في طريق العودة وقفنا إنتظارا لإنطلاق الصاروخ في الخامسة مساءاً أي بعد دقائق. وبالفعل سمعنا صوت الإنطلاق وشاهدنا الغبار يتصاعد من المنطقة وتعلقت أنفاسنا ونحن نمعن النظر على أرضية المدرج الترابية لنحدد موضع إنفجار الصاروخ. ولكن آمالنا خابت فقد هبط الصاروخ أمام حصن للعدو فوق جبل مرتفع مثلث الشكل قرب حافة الوادي. هل ما زلنا خارج المدى؟.. كنّا في دهشة لأنه حسب خرائط عبدالمالك التي فحصناها معه في يوم الإستطلاع كنّا في منطقة مناسبة للرماية.. فماذا حدث؟.

الذي لم ننتبه إليه في ذلك الوقت هو أن الثلث الشرقي للمطار كان فقط في متناول صواريخنا، ونظراً لميل مدرج المطار فإن أجزاءه الغربية تصبح بعيداً عن متناولنا. ولحسن الحظ فإن

منطقة التفريغ والتحميل تقع في المنطقة التي نطالها.
قررنا العودة صباح الغد لأخذ الساعة والأسلاك، وإخترنا قمة جبل كي نطلق منها صاروخاً آخر. لاحظنا بأسف أن العدو لم يلتفت إلى صاروخنا ولم يأت عليه أي رد. ولم ننتبه إلى أن التوقيت ومكان الإطلاق لم يكونا عاديين. كما أن المجاهدين لا يكتفون عادة بإطلاق صاروخ واحد بل عدة صواريخ متتابعة على فترة زمنية طويلة نسبياً. وهكذا يتهيأ العدو للرد بعد أن يحدد هدفه بدقة. كما أن أسلوب الرماية باستخدام ساعات التوقيت لم يسبق إستخدامه إطلاقا في المنطقة. وكان بعيداً تماماً عن تفكير وطبيعة المجاهدين. فقد كانوا يطلقون الصواريخ من نفس مكان تحشدهم. وكانوا عادة يتحركون ويضربون ضمن مجموعات كبيرة لا تقل عن عشرين مجاهداً. وذلك تحسباً للكمائن. ومن جهة أخرى فإن المجاهد ما لم يطلق النار من بندقيته الشخصية فإنه يصاب بشيء من الإحباط، لأنه لم يقاتل قتالاً حقيقياً.
لهذا كان أسلوبنا جديداً تماماً عن المنطقة، فنحن نتحرك في مجموعة صغيرة جداً لا تزيد عن أربعة أشخاص وفي الغالب تنقسم المجموعة إلى مجموعتين عند العمل، كل واحدة في مكان مختلف وبعيد. ولم نكن أبداً متواجدين في نقطة الإطلاق. في البداية كنّا قريبين وبعد ذلك توصلنا إلى إمكانية الإطلاق من على بعد لا يقل عن مائتي متر. حاولنا التطور أكثر فبدأنا في إتباع تكتيك جديد تماماً وطورناه بسرعة. بل أن كل عملية كانت تحوي فكرة جديدة، والطريف أن العدو كان يغير أساليبه بسرعة مماثلة.
لهذا كنّا يومياً في مبارة تطوير وخداع. ولأول مرة نشعر أننا في معركة تشبه لعبة الشطرنج فيها الكثير من التفكير. كانت الخدعة التكتيكية هي لغة الحوار بيننا وبين العدو قبل لغة القنابل. وأظن أننا قد إستطعنا التغلب على العدو معظم وقت عملياتنا وحققنا فيه خسائر لم يتوقعها، كما لم نتوقعها نحن أو المجاهدون. لقد كانت حملة حقيقية ضد المطار ولم تكن هجوماً عابراً أو عدة هجمات. ولا أنكر أننا إستمتعنا بالبراعة التكتيكية للعدو ،وقد كان الضباط الروس هم الطرف المقابل لنا وأظن أنهم إستمتعوا كثيراً (ببراعتنا) حتى أنهم تعجلوا بشن حملة برية على منطقتنا ثم على جميع منطقة باري، وجاور فى إطار حمله واسعه (حمله سبتمبر 1985) .

صاروخ يوم بدر

(الأربعاء 17 رمضان - 6 يونيو 85)

في الصباح الباكر تحركت مع عبدالرحمن إلى الجبل الذي إتفقنا على إستخدامه لإطلاق الصاروخ. بقي أبوحفص في المعسكر فقد كان يشعر بالتعب، فلم يحضر معنا أحد.وصلنا إلى قمة الجبل وكانت معظم ساحة المطار مكشوف أمامنا. وإلى الشمال الغربي من موقعنا يظهر تورغار بحيث يمكنه ملاحظة ما يحدث على قمة جبلنا.
كان معظم جبلنا مكسو بالشجيرات الصغيرة والأعشاب. أما رأس الجبل فهي مكونة من صخرة سوداء ضخمة جداً. جانبها الجنوبي حاد الهبوط ،وقد حفر المجاهدون أسفلها ملجأً صغيراً أحاطوه بالأحجار. كان موضعاً مثالياً للاحتماء حتى من قذائف الهاون، فهي إن عبرت رأس الصخرة فسوف تهبط عميقاً في الوادي. ولكن الهيلكوبتر قد تصبح خطيرة جداً لأن المغارة نفسها ليست عميقة.
أطلقنا على مغارتنا الجديدة إسم (مغارة علي بابا). والجبل كله أصبح إسمه لدينا(جبل علي بابا)

أصبح هذا الجبل نقطتنا الرئيسية في عملياتنا ضد المطار في هذا العام.
جهزنا الصاروخ للرماية وصوبناه إلى منطقة التحميل، ثم وضعنا عليه بعض الأعشاب حتى لا يلحظه الجنود على جبل تورغار إذا سقطت عليه أشعة الشمس.
كنّا نتحرك زحفاً حتى لا يلحظنا العدو ثم أخذا مواقعنا. جلست بالمنظار في أحد تجاويف الصخرة بحيث أراقب المطار بدون أن أظهر للجنود فوق تورغار أما عبدالرحمن فقد سحب الأسلاك والمفجر الكهربائي وجلس قريباً من الكهف. كان يجلس إلى جانبي للحديث والمراقبة حتى إرتفعت شمس الضحى وبدأنا نبحث عن الظل، سمعنا صوت طائرة نقل كبيرة. هبط عبدالرحمن بسرعة إلى جانب جهاز التفجير بينما تسمرت عيناي على مدرج المطار وأذناي في السماء.وفجأة قبل أن يصلنا صوتها رأيت طائرة رمادية ضخمة تهبط مثل حوت ضـخم على أرض المطار ولم تكد عجلاتها تلامس المدرج حتى صرخت بأعلى صوتي(أضرب ياعبدو)... أدار عبدالرحمن ذراع المفجر دورات سريعة وضغط على الزر بعصبية، فدوي إنفجار كبير إلى جانبي وغمرتني الأتربة، لقد طار الصاروخ.. هتفنا: "ا أكبر".. وإنهمكنا في الدعاء ونحن نتابع النظر إلى مدرج المطار الذي يتصاعد منه الغبار الكثيف الذي يتصاعد كلما هبطت طائرة لكونه مدرجاً ترابياً... أخذت الأسئلة تتوالى في ذهني مثل طلقات الرشاش، كيف سنتعرف على إنفجار الصاروخ في وسط كل هذه الأتربة..؟..
متى تنصب علينا نيران العدو من جبل (تورغار) الذي شاهد تلك الفضيحة من الأتربة، وإنطلاق الصاروخ من قمة جبلنا (علي بابا)؟؟...هناك طائرتي هيلوكبتر تطيران على محازاة المدرج من جهتنا.. كم ثانية يستغرقان حتى تصلان إلينا؟... وماذا سنفعل عندها؟....
رأيت من الأجدى أن أراقب الهيلوكبتر، لأن الصاروخ قد مضى إلى قدره ولا نملك له شيئاً... وفي وسط الأتربة لن نستطيع أن نجزم بشئ....هاونات تورغار لن تؤثر علينا بشئ إذا نزلنا تحت الصخرة في المغارة... أما إذا جاءت الهيلوكبتر فسوف يمكنها إصابتنا بسهولة... صاروخ أو إثنان ويصبح كلانا من الشهداء... لاحظت أن الهيلوكبتر تردد، وبدلاً من أن يهاجمنا تتقهقر إلى جانب المدينة... هل هو خائف.. لا أدري... تورغار لم يرد حتى الآن... لا شك أنه رآنا... لماذا لم يطلق نيرانه علينا.. نظر إلىّ عبدالرحمن متساءلاً... وقال : ماذا نفعل الآن؟... ماذا سيفعل العدو؟.. لماذا تأخروا في الرد؟... هل أصبنا الطائرة؟... نظرنا إلى المدرج فإذا الأتربة المتصاعدة غير عادية وكأن جبلاً قد إنهار أو قذيفة ضخمة قد إنفجرت...قلت له ضاحكاً...المشكلة التي تواجهنا الآن ليس مصير الطائرة أوالصاروخ الذي أطلقناه.. المشكله كيف نخرج من هنا... رد عبدالرحمن بتحدي: لن أترك هذا المكان حتى أعلم ما حدث للطائرة...
قلت له(هذا أمرسهل وقبل الظهرسوف يكون كل مجاهد في خوست يعلم النبأ إذا كان حدث لها شئ.. إن العدوالآن مرتبك ولكنه بعد قليل سوف ينسف هذا الجبل نسفاً.. وهذه المغارة لن تحمينا من الهيلوكبتر... وأظن أن الحل الأمثل هو ألا نكون شجعاناً... فلنهرب من هنا بكل نذالة)..ضحك عبد الرحمن وقال إذن لنذهب بسرعة.
حملنا أسلحتنا وهبطنا من الجانب الحاد للجبل وبسرعة كبيرة... سقطنا عدة مرات ولكن وصلنا بسلام ونحن نضحك... حتى وصلنا إلى نبع ماء صغيرجداً.. قررنا أن نشرب.. فجلسنا قريبا من النبع الذي كان داخل تجويف طيني في باطن الجبل.. شعرنا بشئ من الإطمئنان لأن قذائف العدو بدأت تتنزل شرق الجبل الذي كنا فوقه فظننا أن العدو أخطأ التقدير..قلت

لعبدالرحمن ضاحكاً:إما أنهم لم يرونا جيداً.. أو أنهم لا يستطيعون التصويب.
ضحكنا وجلسنا لنشرب، وقبل أن يصل الماء إلى فمنا سقطت قذيفة هاون غرناي فوق صخرة خلفنا مباشرة على بعد مترين أو ثلاثة. وبدون أن نشعر وجدنا أنفسنا داخل فجوة الطين وسط الماء. وقفنا وقد إبتلت ملابسنا وأسلحتنا بدون أن نشرب من الماء، وقلت له :إجري من هنا بسرعة. سرنا في مجرى سيل متعرج وكلما تخيرنا إتجاها للجري نزلت فيه قذائف الهاونات، ومع كل قذيفة نغيرإتجاه الجري حتى تقطعه علينا قذيفة جديدة.. فننبطح ثم ننهض جرياً إلى إتجاه آخر وهكذا.. حتى تقطعت أنفاسنا تماماً وكنا ما زلنا على صومنا.. إخترت حفرة للسيل مثل الخندق، وقلت لزميلي(فلنجلس هنا مهما حدث... كأن أحد يراقبنا ويوجه الهاونات علينا). لم نكد نجلس ثوان قليلة حتى بدأت الرمايات تذهب بعيداً.. إستعدنا أنفاسنا... وأصبحت (قمة علي بابا) تحت وابل من قنابل المدفعية ولكن الهيلوكبترلم تحضر.. وما زلت حتى الآن لا أفهم السبب.
كانت رمايات العدو عنيفة جداً وشملت مساحة واسعة... وفهمنا بعد ذلك بفترة أن العدوكان لا يكتفي بقصف القمم بل يضرب أيضاً المدقات المؤدية إليها. وهي واضحة على الخرائط عنده.. كذلك فإن مدافعه الثقيلة تقصف أقرب مواقع ومراكز المجاهدين من نقطة الإشتباك، على إعتبار أن المجاهدين تحركوا منها...بدأنا في التحرك بهدوء صوب مركزنا.. ونحن مبتهجين.. ليس فقط لنجاتنا من تلك المغامرة المثيرة، بل سرنا أن نرى هذا الرد العنيف من العدو. فذلك تقدير لعمليتنا، وأنها أوقعت به ضرراً يتناسب مع هـذا الإهتمـام. وصـلنا المعـسكر فحيانـا أبو حفص وباقي المجاهدين بحرارة بالغة وتساءلوا دهشين ماذا فعلتم؟ إن العدو قد جن، إن أحد قذائفه سقطت على قمة الجرف المشرف على خيامنا.. لو تقدمت قليلاً لسقطت وسطنا.
صاح عبدالرحمن بمرح:"أحضروا البطيخ.. نكاد نموت من العطش". جلست مع عبدالرحمن نتناول البطيخ.. ولم يكن غيرنا مفطراً في المعسكر... وبدأ كعادته يصدح بأغانيه المحببة التي أكثرها من الأغاني الشعبية لمدينته الإسكندرية.. خاصه أغنيه: (يا زايد فى الحلاوه عن أهل حينا ما تبطل الشقاوه وتعالى عندنا). ومازلت أكرر هذه الأغنيه سراً من وقت إلى آخر متذكراً تلك الأيام الذهبية.
كان صوته جميلاً ولكننا أبداً لم نعترف له بذلك.. لأنه كثيراً ما يصدح بالغناء في أوقات غير مناسبة.. كنت أشاركه في حبه للغناء الشعبي وكان يسره ذلك. أما أبوحفص فكان يضحك مما نفعله.. ثم يستغفر ا ويطالبنا بالتوبة والإقلاع عن تلك المعاصي..
كانت أشق المعارك وأخطر المواقف أشعر كأنها لحظات من المرح طالما كان عبدالرحمن إلى جانبي. وبعد إستشهاده.. إنتهى كل شيء وشعرت أن الحياة كلها قد فقدت بهجتها حتى الضحك أصبح صعباً وعديم الطعم.
إستمر قصف العدو شديداً حتى الثالثة عصراً.. فتأكدنا أن شيئاً خطيراً قد حدث هناك في المطار.. ومع القصف كلما إشتد الوطيس يصيح عبدالرحمن صيحته الإسكندرانية الشهيرة (حلاوة يا أبو إسماعين حلاوة).. فيضحك أبوحفص ويستغفر ا . وقبل الغروب جاءنا الخبر من المجاهدين بأن طائرة ذات أربع محركات قد تحطمت على مدرج المطار نتيجة لصاروخ كاتيوشا أُطلق عليها.. فسجدنا شكراً.. وبدأنا نبحث في برنامج الغد، وتذكرنا أن يومنا هذا هو ذكرى لغزوة بدرٍ الكبرى.. فحمدنا ا .. وإرتفعت معنوياتنا كثيراً.
بعد أيام علمنا أن الطائرة التي أُصيبت كانت تقل عسكريين هندوس ، لهم حي خاص في

خوست)، وأن47 من الركاب سقطوا بين قتيل وجريح.. وأن هندوسي المدينة ومعظمهم من التجار قد إنتابهم الذعر وبدأوا في الرحيل، معظمهم إلي كابول وبعضهم إلى الهند.
أما الطائرة نفسها فقد سحبها العدو من مدرج المطار وأخفاها بين الأشجار في الطرف الشرقي من المطار من جهة المدينة حتى لا تكون ظاهرة للمجاهدين أو الجمهور. وقد رأيت الطائرة بعد الفتح، وكانت أضخم طائرة في كل الحطام الموجود في المطار والذي تجاوز خمسين طائرة مختلفة، غير حطام عدة طائرات صغيرة في المدينة أو في الحقول. ولم ألحظ في الطائرة أثراً لإصابة مباشرة والأغلب أن شظايا أصابتها وأن الطيار خرج من المدرج وأصاب منشآت للمطار. وقد حدث نفس الشيء في حوادث أخرى كما أفادنا أحد الطيارين الذين تعرضوا لموقف مشابه في خوست.
إن الصاروخ الذي أطلقناه في ذكرى غزوة بدر كان تاريخياً في مصير معارك خوست. لقد كان إعلاناً بأن أيدي المجاهدين يمكنها أن تطال المطار وتهدد بذلك الشريان الأخير الذي يمون المدينة بالرجال والسلاح. كانت البضائع الأخرى تُهرب من باكستان بواسطة رجال القبائل إلى خوست. إن الوضع الأمني لخوست بدأ يهتز..وبالنسبة لنا إتضح ضعفنا الفني.. الطريقة التي نستخدمها في الإطلاق سوف تُمكِن العدو من القضاء علينا في وقتٍ قريب. رمايات المدفعية كما شاهدنا كثيفة وخطيرة، والمرجح أن رد العدو في المرة القادمة لن يتأخر كما حدث في المرة الأولى. إذن لن تكون لنا فرصة مغادرة مكان الإطلاق والهروب إلى مكانٍ آمن. ثانياً أن الهيلوكبتر لم تتدخل في المرة الأولى، وبالطبع لن يكرر العدو خطأه هذا مرتين. وبناء عليه سوف يكون وضعنا في المرة القادمة مأسوياً.. المدفعية سوف تثبتنا في مواضعنا والهيلوكبتر يفتش عنا ويدمرنا.. وهكذا تنتهي مشاكل الشيوعيين في خوست!!.
فكرنا في أجهزة التحكم عن بعد (ريموت كنترول)،ولكن من أين لنا بها؟. كنّا نعلم أن سياف شخصياً يمتلك عدداً منها أحضرها له العرب.. وأنها إستخدمت مرة واحدة أثناء مهرجان جاجي، وبعد ذلك وضعها في مخازنه.. وحتماً لن يعطينا منها شيء. كنّا في حاجة إلى زوج من أجهزة اللاسلكي الصغيرة كي نبقى على إتصال في تلك المنطقة الخطرة.. بدلاً من إعتماد الصياح الذي يزعج العدو في مواقعه.. تطورنا من الصياح إلى إستخدام الصفارات الصغيرة، التي حاولنا إستخدامها مثل أصوات الطيور.
إتفقنا على أن نبحث عن (ريموت) ومخابرتين في بشاور، وعن طريق أحد أصدقاء (أبوعبيدة العراقي) الذي يعمل في ورشة إصلاح معدات لاسلكية تابعة لسياف في" بابي"القريبه من بشاور.
في ذلك اليوم لم يكن لدينا خيار أخر غير إطلاق الصاروخ ونحن على مسافة لا تتعدى عشرة أمتار من الصاروخ. علينا أن نحاول إستخدام بطاريات أقوى حتى نستطيع العمل من مسافة أبعد. بالنسبة للغد توقعنا نشاطاً كبيراً للهيلوكبتر وتورغار في مراقبة المنطقة وقصفها على سبيل الإحتياط. ولا بد أن النفاثات ستأتي للإنتقام.

الخميس 18 رمضان - 7 يونيو 85

بدأنا الحركة من الثالثة صباحاً أي قبل آذان الفجر حتى ننتهي من تجهيز الصاروخ الجديد وتمويهه قبل أن يبدأ نشاط العدو، وأعماله الإنتقامية لما حدث بالأمس. حملنا أسلحتنا مع ثلاثة صواريخ.. توجهنا إلى جبل (علي بابا) وأخذنا ما تركناه بالأمس من أدوات كهربائية..
وتحركنا إلى الجبل الذي جلسنا عليه أول مرة مع سمير جول والضابط عبدالملك، وأسميناه (جبل سمير جول) تخيرنا عليه موقعاً مناسباً وجهزنا الصاروخ للرماية ومددنا الأسلاك نحو كتلة

صخرية، كان الجبل مغطى بالشجيرات، فجلسنا للإستراحة ومراقبة المطار، وطلبنا من جميع مرافقينا العودة إلى المركز، فلم نكن نسمح بأي تواجد ليس له ضرورة.
الإسلاك الكهربائية البيضاء والممتدة على سطح الجبل غطيناها بأتربة وأغصان. وإنتهينا من العمل قبل أن تشرق الشمس.. وأسعدني ذلك كثيراً.. فمراقبة العدو للمنطقة سوف تكون مكثفة. وأي حركة على قمتنا هذه يمكن ملاحظتها ليس فقط من جبال (تورغار) ، (ودروازجي) ولكن من المدينة نفسها.بدأت أعمال العدو الإنتقامية كما كان متوقعاً.. الطائرات النفاثة مع الهيلوكبتر قصفت مواقع عديدة للمجاهدين، وأماكن إشتبهوا في وجودهم فيها.
تتابعت الغارات إنصب كثير منها على مراكز المجاهدين الخلفية. ثم المناطق المواجهة لجبل تورغار. ويبدو أن عدداً إضافياً من طائرات الهيلوكبتر قد وصلت من كابول، حتى أن أرضية المطار كان يتواجد بها أحياناً عشرة طائرات دفعة واحدة. دوريات الهيلوكبتر فوق المطار لم تنقطع، وقامت الهيلوكبتر بعشرعمليات نقل إلى قمة تورغار. أظن أن من بينها معدات حديثة لتحديد مواقع رماية المدفعية المعادية وتوجيه المدافع للرد عليها. وهذا التخمين مبني على ما رأيناه فيما بعد من دقة وسرعة الرد المدفعي للعدو. سواء ضدنا أو ضد مدفعية المجاهدين القليلة التي كانت في المنطقة. كما تحركت تعزيزات من الجنود بواسطة السيارات من حامية المدينة إلى جبل تورغار وقد رأينا السيارات وهي تتحرك في قافلة من المدينة إلى الجبل.
(إستخدم الشيوعيون شعار من المدينة إلى الجبل بمعنى إنهم سيتحركون في حملات من المدن لتطهير الجبال من المجاهدين) .
لفترة طويلة من الوقت تراصت طائرات الهيلوكبتر على مدرج المطار على هيئة صف طويل. تناقشنا في الأمر.. هل نطلق صاروخنا عليهم إستقر الرأي على التالي.. أولاً أن أي رماية الآن هي عملية إنتحارية لا شك فيها فالسماء فوقنا مليئة ـ بل مزدحمة ـ بكل أشكال الطائرات والعدو في إستنفار في جميع مواقعه خاصة الجبال أمامنا وتورغار إلى يسارنا... أما وضع الطائرات بهذا الشكل فهي ليست إلا عملية (غواية) لإستدراجنا إلى الظهور والرماية ولا شك لديهم ـ و لدينا أيضاً ـ أنّه سيكون الصاروخ الأخير في حياتنا. في المقابل فإن صغر حجم طائرات الهيلوكبتر وإنتشارها على رقعة واسعة يجعل إحتمال إصابتها إحتمال ضعيف جداً. وطبقا لقوانين ما أسميته مع عبدالرحمن (حرب الندالة) فلن نطلق الصاروخ إلا عندما نريد نحن وفي الوقت الذي يناسبنا نحن، ولن نترك العدو يقررلنا ماذا علينا أن نفعل،... سنكتفي إذن بالمراقبة، وهكذا كان. كان العدو يفحص المنطقة شبراً شبراً، وكنا قريبين منه،ونراقبه باستمتاع تام، حتى أن عبدالرحمن أتحفنا ببعض أغانيه الإسكندرانية... خاصة أغنيته المفضلة: "يا زايد في الحلاوة عن أهل حينا"...
لم تأتي أية طائرات نقل إلى المطار هذا اليوم.. إن ما حدث بالأمس أطار عقولهم.
تأخرنا في العودة أثار قلق (سميرجول)... وكان يعرف الجبل الذي نعتزم العمل من فوقه، فجاء ليطمئن علينا برفقة أحد رجاله وهو يحمل (بطيخه) لنا... كان مسروراً لهذا الإنزعاج الشديد الذي حلّ بالعدو... ويعرف أننا نحن المتسببون في كل ذلك الضجيج. فأحضر تلك البطّيخه تقديراً منه لدورنا الجليل..
إلتهمنا البطّيخة، وبعد العصرعدنا إلى المركزمعه، وهناك سمعنا خبراً مفاده أن التعزيزات الحكومية التي وصلت إلى جبل تورغار قد إنسحبت منه مرة أخرى...فرحنا لذلك الخبر مع كوننا غير متأكدين من صحته. كان كل من في المعسكر في قمة السعادة والحماس...

صاروخ الأمس جعل جماعة (سميرجول) أهم مجموعة في باري بل في خوست كلها.. ويكفي كل هذا الضجيج للبرهنة على أن الدولة كلها قد إهتزت لصاروخ (يوم بدر).

الجمعة 19 رمضان -8 يونيه 85

توقعنا أن ينزل العدو طائراته اليوم في المطار.. حملة الأمس أعطته الإطمئنان بأن شيئاً لن يحدث بعد ذلك، فالمنطقة آمنة.. وأن ما حدث (يوم بدر) كان فلته لن تتكرر. هكذا كان تقديرنا.. وقد كان صحيحاً... غادرنا المعسكر بعد صلاة الفجر (في الخامسة والنصف) أثار ذلك إستيائي فمعنى ذلك أن شمس الضحى سترتفع ونحن لم ننتهي بعد من تجهيز الصاروخ.. أي أننا معرضون لأن يكتشفنا العدو ويحبط عملنا.. إخترنا جبلاً جديداً وجهزنا الصاروخ بدون أن يلحظنا العدو. ثم غادرنا تحت أشعة الشمس الدافئة فنام كل منا في مكانه.. شعرت بعد قليل كأن أحدا يسحب الغطاء من فوقي فتحت عيني فإذا (ضب) أصفر اللون ضخم لدرجة لم ألاحظها قبلاً أو بعداً, يجر ذيله من فوق صدري وكأنه قطار كبير، ثم توجه خلف الصخرة حيث ينام أبو حفص فناديت عليه محذراً فإستيقظ الجميع.. ولكنهم لم يشاهدوا الضب.. وعقاباً لي على إزعاجهم قرروا أنني كنت خائفاً لذلك صحت منادياً أبوحفص. لم أظهر غيظي لذلك التأويل السخيف،لكنني أطلقت على الجبل إسم"جبل الضب" وهكذا أضيف إسم جديدعلى خرائطنا. طار النوم من أعيننا وجلسنا نتسامر ونراقب المطار والمدينة وجبال العدو.

وفجأة سمعنا هدير طائرة نقل كبيرة. فتحفزت حواسنا وجهزنا أدواتنا للعمل. كان العدو يهبط في المطار مباشرة بدون أى دوران حول الوادى ، كما أصبح يفعـل بعـد ذلـك عنـدما إمتلـك المجاهدون مضادات جوية قوية فأصبح يتحاشى الإنخفاض قرب القمم العالية، فإستخدم أسلوب الهبوط والصعود الحلزوني بحيث تتم العملية كلها فوق الـوادي حيـث لا تهـدده مـدفعيات المجاهدين.

كانت الساعة التاسعة صباحاً.. في وقت تقليدي لهبوط الطائرات آنذاك، كانت الطائرة تجري على المدرج عندما أطلقنا الصاروخ عليها. وإحتمينا وراء الصخور ونحن نراقب ما يجري على أرض المطار.. هطلت علينا قنابل المدفعية بغزارة وسرعة مدهشة. لم يمنعنا ذلك من أن نلاحظ أن صاروخنا لم يصب الطائرة، وأنما نزل خلفها بينما إستمرت هي في المسير حتى الطرف الشرقي للمطار.. كان ذلك إحباطاً معنوياً يضاف إلى ما تقوم به مدافع العدو من إضطهاد ليس له مبرر هذه المرة.

إنتقلت النيران إلى مناطق أخرى قريبة فلم نضيع الفرصة وهبطنا مسرعين في إتجاه الشرق حيث وديان ومجاري سيل أكثر وعورة وأبعد عن (مكان الجريمة)... مرت بضع دقائق وإذا بنا بين جرفين شاهقين، في وادي ضيق، يخترقه أيضا أخدود ضيق عميق.

تنفسنا الصعداء و شعرنا بالأمان فالعدو ما زال يضرب بجنون في مناطق عدة غير مكاننا هذا. فرحنا أننا قد خدعناه.. ونزلت في الاخدود العميق قائلاً: إنه مكان رائع للإختباء من القصف. تركت الإخدود وسرت عدة خطوات إلى شجرة ضخمة قريبة ونمت تحتها وبالمثل فعل صديقاي فقد كنّا جميعاً نشعر بالتعب. وما هي إلا لحظات حتى سقطت ثلاث صواريخ دفعة واحدة على بعد أمتار قليلة، وجميعاً سقطت في الإخدود. واحد منها في نفس النقطة التي ُأعجبت بها وكنت بداخلها منذ لحظات. كيف وقعت القذائف الثلاث جميعاً في إخدود ضيق متعرج؟؟. لو سقط واحدا منها فقط على الحافة لإنتهينا جميعاً.

(لا بد أن نتحرك من هنا).. هذا طبيعي ولكن إلى أين؟.. الجبل خلفنا مباشرة تلقى مجموعة

من قذائف الهاون وبدأت أشجاره وأعشابه تحترق ويخرج دخانها الكثيف وسوف يجلب المزيد من القذائف، فالعدو عادة يثير هياجه الدخان الكثيف.
إستمر الوضع على هذا الحال إلى وقت الظهيرة فهدأ العدو قليلاً، فتوضأنا وصلينا الظهر والعصر جمعاً وقصراً. ثم توجهنا إلى جبل الضب مرة أخرى لمراقبة الموقف. لم نكد نصل القمة وما زلنا خلف صخورها حتى سقطت قذيفتي هاون قريباً منّا. هدأنا قليلاً.. ولم يأتنا المزيد .. فهمنا أن قمتنا هذه (جبل الضب) ما زالت تحت التأديب.. ضبطنا الشواخص مرة أخرى كان لدينا صاروخان مخبآن بين الصخور.. أردنا تجهيز واحد منهما في نفس الموضع، فلا شك أن ذلك آخر ما يتوقعه العدو .
كان ذلك تفكير أبوحفص الميال إلى التحدي، لكني رفضت الفكرة فالوقت أصبح متأخراً.. ومازال لدينا مشوار طويل إلى المركز خاصة وأن بعض أفراد مركزنا حضروا لحراستنا أثناء العودة وهم لا يرغبون في البقاء طويلاً في هذا المكان الخطر.. ونحن أيضاً نطالب منهم دائماً ألا يقتربوا من المنطقة التي نعمل فيها حفاظاً عليهم من العواقب الوخيمة لأعمالنا.
أخذنا الصواريخ المتبقية وصعدنا بها إلى (مغارة علي بابا) حيث تركناها هناك. ثم واصلنا المسير إلى مركزنا فوصلنا قبل المغرب بقليل فصلينا المغرب والعشاء جمعاً وقصراً، وسقطنا نائمين.

السبت 20 رمضان - 9 يونيه 1985

إستيقظنا في الثالثة صباحاً، فذلك أنسب وقت لإنهاء عملنا قبل أن ينتبه العدو، أفطرنا (لحماً) لأول مرة منذ إنشاء المعسكر. في الخامسة وعشر دقائق وصلنا جبل الضب ومنه تحركنا إلى جبل آخر.. وجهزنا صاروخنا لهذا اليوم. عبدالرحمن وأبوحفص تحركا لإستكشاف مواقع جديدة في الأمام.. بقيت على الجبل لمراقبة المطار والرماية عند الضرورة.. نمت قليلاً فمازال الوقت مبكراً على حضور طائرات النقل التى تصل عادة في فترة الضحى وقبل الظهر. إستيقظت من النوم.. أخذت أختبر الدوائر الكهربائية.. فإكتشفت أن المفجر الكهربائي لا يعمل.. الإستعاضة عنه بعدد من البطاريات الجافة الصغيرة أمر ممكن ولكنه يحتاج بعض الوقت، وبدون لحام بالقصدير سوف يكون رديئاً جداً لكنه سيعمل على أية حال.. بدأت الطائرات النفاثة تحوم فوق المنطقة، وأربعة طائرات هيلوكبتر في الجو، إثنتان فوق المطار مباشرة، وإثنتان في عمق الجبال تراقب تحركات المجاهدين. هذا النشاط يدل على قرب هبوط طائرة فى المطار.. بالفعل وصلت واحدة وهبطت.. دائرة الكهرباء الجديدة لم تعمل..
هبطت طائرة أخرى.. لا فائدة البطاريات غير ثابتة والكهرباء لا تمر.. ما زلت أحاول بلا فائدة.. غادرت الطائرات المطار بدون أن أفعل شيء!!.
هدأ المطار مرة أخرى، أربع طائرات هليكوبتر في المطار وقفت متراصة، وإختفت النفاثات في الجو.. شعرت بالقلق لتأخر إخواننا فأرسلت مرافق، وكان معي أحد أفراد المركز، حتى يبحث عن عبدالرحمن وأبي حفص. في الحادية عشر وعشر دقائق وصل الشابان وهما في غاية الإرهاق. وأخبراني أن المنطقة الأمامية بها أماكن ممتازة.. قررنا البقاء هنا اليوم والإنتقال غداً إلى الأمام.. بصعوبة جهزنا البطاريات لاستخدامها في إطلاق الصاروخ. في الثانية عشرة والنصف هبطت طائرة نقل كبيرة إلى المطار، أطلق عبدالرحمن الصاروخ، وفي التو واللحظة وصلتنا قذائف العدو من جميع مواقعة الأمامية حتى أننا لم نستطع متابعة الصاروخ ولم ندري

ماذا فعل.
ولمدة نصف ساعة لم يستطع أحدنا أن يرفع رأسه أو حتى النظر إلى من بجانبه. كل أنواع الأسلحة كانت تنهمر فوق رؤوسنا بما في ذلك قذائف الدبابة من فوق جبل تورغار.
أبوحفص كان محتمياً بصخرة سوداء ضخمة على رأس الجبل تماماً.. كنت وعبدالرحمن في ظل شجرة وتحت مرتفع صخري وكنّا منبطحين تماماً بين الصخور.. وفجأة دوي إنفجار ضخم عند الصخرة السوداء وتناثرت الأحجار فوقنا رفعنا رؤوسنا فإذا أبوحفص يجري منحنياً قادماً نحونا وهو يضحك قائلا:(كانت فوق رأسي تماماً.. لم أعد أسمع شيئاً)..ثم إنبطح إلى جانبنا.. ولم يكد يفعل حتى كانت طائرة هيلوكبتر فوق رأسنا تماماً.. فتوقفنا عن التنفس.. وزدنا إلتصاقاً بالأحجار وقرباً من الشجرة وسط الأعشاب.. إستمرت الهيلوكبتر تراقب القمة التي نحن عليها عدة دقائق، ولما لم تلاحظ أي حركة على القمة، واصلت الطيران نحو عمق الجبال حيث مراكز المجاهدين المعروفة كي تفرغ نيرانها هناك. أخذنا نفساً عميقاً... وبدأنا الكلام والضحك رغم أن قصف المدافع علينا لم يتوقف... تيقنت وقتها أن الهيلوكبتر أشد بشاعة من كل شئ وهذا إكتشاف قديم توصلت إليه منذ عام 1979.
بعد دقائق، رجعت إلينا الهيلوكبتر لتواصل النظر لفترة أخرى ثم تعود خائبة نحو المطار...
شعرت بشجاعة عجيبة... وصحت بإخوانني:(ما أسهل مقاومة الهيلوكبتر.. فقط لا تدعها تراك ثم إفعل ما بدا لك)... خفّت رمايات العدو وأصبحت متقطّعة... وزحفت على مناطق مجاورة وعلى المدقات.... إعتبرنا أنفسنا قد نجونا بمعجزة.... لا ندري ماذا حدث في المطار... الذي لا شك فيه أن العدو في غاية الإرتباك والإنزعاج.... فالمطار يقصف في أوقات مختلفة من أماكن مختلفة.. ولم يشاهد العدو من مواقع ترصده الكثيرة أية حركة في المنطقة.
والهيلوكبتر فقدت قيمتها ولم تعد تجد هدفاً تقصفه بنيرانها... وأصبح منظرها وهي تائهة في الفضاء يثير الشفقة والسخرية وأطلقنا عليها في نهاية الأمر إسماً يليق بها فقد أسميناها(عربة البطاطا) تيمناً بإسم العربات الخشبية التي تحمل أفران الصفيح والمخصصة لإنضاج ثمار البطاطا لجماهير الشعب الكادح.
عدة حوادث مع الهيلوكبتر تكررت معنا ساهمت جميعاً في إسقاط هيبتها من نفوسنا.. كانت عملياتنا مستمرة تحت أنف تلك الطائرات وهي لا تستطيع منعنا أو حتى رؤيتنا، حتى أنني أخبرت عبدالرحمن بنبؤة تحققت بعد فترة قصيرة قلت له يوما (طيارى الهيلوكبتر) هؤلاء سوف يعاقبهم رؤسائهم بشدة وربما تعرضوا للإعدام.. تصرفاتهم أصبحت أشد عصبية وعملهم أكثر فشلاً.. قد يفرون قريباً إلي باكستان ويسلمون أنفسهم هناك... وقد حدث ما توقعته ونفس الطائرتين المكلفتين بالقضاء علينا سلّمتا أنفسهما في مطار ميرانشاه في 13 يوليو 1985.
في الطريق كنا نناقش عملياتنا.. ونتائج هذا اليوم والتعديلات المقترحة. أزمتنا الكبرى كان ضعفنا الفني في وسائل الإطلاق.. فما زلنا نطلق الصاروخ من مسافة قريبة لا تبعدنا عن مخاطر رمايات العدو وطائرات الهيلوكبتر... وما حدث اليوم كان نموذجياً... رمايات مدفعية من العدو كثيفة وسريعة ودقيقة... ثم الهيلوكبتر فوق رؤوسنا تماماً (مع أنها تأخرت قليلاً)... ولولا (إلتصاقنا المثالي) بالصخور والأعشاب... وقوة أعصابنا والهيلوكبتر فوقنا... لكانت تلك آخر عملياتنا، ولكن ا سلم... ما العمل...؟...تعطل المفجر الكهربائي هذا اليوم كان فاتحة خيرلأنه أعطانا فكرة أفضل وهي إستخدام قالب من البطاريات الجافة تعطي الكهرباءاللازمة لاطلاق الصاروخ.. وتوضع قريباً من الصواريخ نفسها وبعيد بالطبع من اللهب الخلفي.. أما

المفتاح الكهربائي للدائرة فيوضع إلى جانبها ويمكن أن يكون (مصيدة فئران) مثبته جيداً يوضع بين فكيها بدلاً من الفأر،خشبة صغيرة مرتبطه بخيط قوى، طويل قدر الإمكان ثم نسحبه نحن من مكان آمن عندما يصل الهدف المنشود.
أثارت الفكرة عاصفة من الضحك والتعليقات الساخرة، والمقارنات الجارحة بين مستوانا التكنولوجي المتمثل بمصيدة الفئران ، والمستوى السوفيتي المتمثل فيما نشاهده من طائرات ومدافع.. ومما لا نشاهده من أقمارصناعية وصواريخ عابرة للقارات وقنابل نووية..
وبصفتي صاحب تلك الفكرة البدائية فقد تحملت الهجوم بروح رياضية، وشاركت في الضحك مرغماً...وصلنا إلى المعسكر وجدنا الشيخ(محمد طالب) قد وصل من بشاور ومعه عشرون ألف روبية لنا. أعطينا سميرجول نصف المبلغ..وطلبت منه أن يرسل سيارة المركز عند الفجر إلى ميرانشاه مع الشيخ طالب لشراء أدوات عاجلة بالنسبة لعملنا.. ولما علم بأمر(مصيدة الفئران)إنفجر هو الآخر ضاحكاً وكذلك الشيخ طالب... وبجدية طالبتهما التكتم على هذا السر العسكري. وطلبت شراء خيوط حريرية من النوع السميك... وكمية من البطاريات الجافة.. وأشرطة كهرباء لاصقة.إتفقنا على أن يكون الغد يوم عطلة... لترك العدو يبلغ مداه في برنامجه الإنتقامي في المنطقة المحرمة.. ونجهز أنفسنا للعمل بعد الغد بالأسلوب الجديد. ومن النواحي التي طالها التجديد هو إطلاق عدة صواريخ في اليوم الواحد. بدلاً من وضعنا الراهن الذي لا يتعدى صاروخاً واحداً. لذلك طالبنا عدة (مصائد فئران) وعدة ساعات كبيرة لإستخدامها في عمليات إطلاق بالتوقيت.
كان من المتوقع أن يقوم مولوي جلال الدين حقاني بهجوم في منطقة (لغاري) في منتصف الوادي.. فرأينا أن نسانده من طرفنا ببرنامج إطلاق موسع.. وغير عادي.

الأحد 21 رمضان -10 يونيه 85

..اليوم يوم راحة.. ولكن بالنسبة لمجموعتنا فقط.. الطائرات النفاثة بدأت العمل في الثامنة صباحاً.. قصفت مواقع للمجاهدين في عمق الجبال إلى الجنوب منا.. ودارت مرتين حول معسكرنا.. فأقلقني ذلك وخشيت أن تكتشف أمرنا فنقع في مأزق حرج... ولكنها مضت لحال سبيلها... طائرات الهيلوكبتر بدأت مبكرة.. من السابعة صباحاً بدأت تقصف بالرشاشات والصواريخ على المنطقة المحرمة... ليس من أحد هناك.. فهي تضرب الأماكن المشتبه فيها.. لوإتبعت نفس السياسة معنا بالأمس لقضت علينا.. إن مايقوم به الطيارالآن عمل سليم... ولكن متأخر كثيراً... إنه ليس طياراً حقيقياً.... بل سائق (لعربة بطاطا)...
أخذت حماما منعشاً بالماء البارد.. ثم غسلت ملابسي.. الجميع نائمون بعمق ما عدا أبوحفص.. قرب المغرب حضرالشيخ طالب أحضر أدواتنا التي طلبناها... ومعه المزيد من البطيخ... سهرنا حتى وقت متأخرنجهز المصايد وقوالب البطاريات والمنبهات.. فغداً يوم حافل...

الثلاثاء 23 رمضان ـ 12 يونيه/85

يوم أمس الإثنين لم نشتبك مع العدو.. فهو لم يرسل طائرات نقل ونحن لم ننه إستعداداتنا أيضا.. المنطقة الجديدة أكثر قرباً من العدو ولكنها منخفضة.. لذا لا نرى مدرج المطاربشكل جيد سوى من نقاط قليلة. والصواريخ نطلقها بطريقة بدائية جداً من فوق الأحجار ولا يوجد قاذف معدني مزود بأجهزة تصويب مدفعي. ظهر أمامنا تحدي تصنيع قاذف لهذا الغرض منذ هذا اليوم... ولكننا بالاستعانة بالتكنولوجيين العرب في بشاور فشلنا في ذلك، إلى أن وصل

قاذف صيني من هذا النوع بعد ذلك بسنوات!!.
اليوم طلب منا (سميرجول) قصف المدينة نفسها بناءً علي طلب حقاني الواقع تحت ضغط نيران العدو.. المكان المقترح هو الجانب الغربى لجبل تورغار مباشرة في الهضبة الصغيرة التي تفصله عن جبل (زرمنسكاى).. وهي مكشوفة تماما للمدينة، ومجاورة لتورغار ولا سبيل إلى إطلاق الصواريخ منها إلا بالتوقيت حتى يمكننا تفادي نيران العدو خاصة من تورغارالذي قد يرسل بعض جنوده لمهاجمتنا. تحركنا ليلاً وعند صلاة الفجر... تقدم عبدالرحمن يؤمنا في الصلاة فأطال فيها حتى أسفرالصبح.. وما أن إنتهى حتى وجهت له لوماً شديداً لأنه بتقواه الزائدة سوف يعرضنا لمخاطرالطائرات خاصة وأننا سوف نمر بالسيارة في منطقة مكشوفة، ومفروض أن نضع صواريخنا تحت أنف العدو. ولأن ثوراتي نادرة فإن إخواني يتذكرونها لمدة طويلة.

عبرنا قرية (تودة تشني) وصعدت بنا السيارة الطريق الجبلي في شمالها الغربي، وهو من صناعة حقاني، وإنفتح أمامنا سهل فسيح ذو أعشاب قصيرة، ومما أن بلغنا منتصفه حتى تعطلت سيارتنا ورفضت المسير رفضاً باتاً. شمس الضحى في أوج ظهورها وسط سماء زرقاء نقية من أي أثر للسحاب. أخذنا نجمع الأعشاب ونضعها فوق السيارة، ونغطي الزجاج بقطع من القماش والملابس.. السائق (مجيد) شاب هادئ جداً ومجتهد لا يبتسم أبداً إلاعند الإفطار... هذا في رمضان فقط.. وفي غيررمضان فإنه يبتسم كلما رأى عصير الفواكه الأحمر المدعو (روح أفزا)... هذا هو رأي صديقنا عبدالرحمن في (مجيد) الذي كان يضحك من ذلك الكلام.

مجيد ذهب يطلب نجدة لاصلاح السيارة... ووعد بإحضار بضاعتنا التي بها من صواريخ وخلافه في مكان محدد قرب المنطقة المقصودة. تحركنا سيراً على الأقدام في الجو الحار... وتحت الأشجار الشوكية جلسنا ننتظر مجيد.

بعد الظهر وصل مجيد، ومعه عدد من المجاهدين، حملنا الصواريخ وأخذنا سميرجول إلى المكان المنشود. قال وهو يشير بيده (هناك في البيوت البيضاء يسكن الروس..) ووضعنا أربعة صواريخ في الإتجاه الذي أشار إليه، لدينا ساعة واحدة... جعلنا التوقيت بعد نصف ساعة من مغادرتنا المكان.. وتراجعنا إلى منطقة جميلة قرب جدول ماء.

سمعنا صوت إنطلاق.. وبدأت رمايات العدو كالعادة.. إنتظرنا حتى توقفت تماماً.. ذهب سميرجول وعبدالرحمن لإسترجاع الساعة والأسلاك فوجدا أن صاروخاً واحداً فقط قد إنطلق، والباقي كما هو. شعرنا جميعاً بالحزن وخيبة الأمل، وتمادى أفراد المجموعة وعزموا على هجر كل أنواع (التكنولوجيا) وقرروا العودة إلى إطلاق الصواريخ بالطريقة القديمة مهما كانت النتائج.. لم أتدخل في النقاش خوفا من أن أغضب مرتين في يوم واحد.

الأربعاء 24 رمضان 13 يونيه/85

بعد صلاة الفجر شرعنا في الحركة، مجموعتنا إستقرت على (قلب نظام العمل) قدمت إحتجاجي وأعلنت عن إعتزالي العمل والعودة إلى (ليجاة).. توسط أبوحفص لفض النزاع، وقبلوا مرة أخرى التعامل (بوسائل تكنولوجية).. فعلوا ذلك على مضض.. كنّا نفكر بطريقتين متعارضتين، هم يفكرون في هجوم جريء مهما كانت نتائجه وحتى لو قُتل الجميع فهي شهادة في سبيل ا .. بينما كنت أفكر في كيفية إبتكار (شبكة صاروخية) يديرها عدد محدود جداً من

الأفراد ويمكنها أن تعمل طوال اليوم وفي أي وقت تحاول الطائرات فيه الهبوط إلى المطار.
كنت أبحث عن الإستمرارية والفعالية في العمليات، وإخواني يريدون الشهادة.. ويخشون شبهة الخوف التي قد يوصمون بها.

خطوات العمل كما أتخيلها هي :

1 _ إختيار أماكن مناسبة لإطلاق الصواريخ على بعد أقل من كيلومتر واحد عن خط دفاع العدو فوق الجبال.
2 توجيه الصواريخ وإعدادها للإطلاق وتمويهها بالأعشاب. (يتم ذلك قبل الشروق).
3- إتخاذ موقع مناسب لمراقبة المطار.
4- إطلاق الصواريخ على الهدف المناسب في الوقت المناسب.

5 -

عملية الترصد والإطلاق يقوم بها شخص واحد مع إثنين مساعدين (أي مجموعتنا فقط) ..
وعلى جميع المجاهدين الإبتعاد تماماً عن المنطقة.

كان المطلوب لنجاح البرنامج :

أ ـ تدريب مجموعتين أو ثلاث من المجاهدين على عملية إختيار الأماكن وتجهيز الصواريخ ثم تمويهها.. وهذا أمر ممكن.
ب ـ إيجاد الوسيلة المناسبة للإطلاق.. والحل المثالي يكمن في جهاز التحكم عن بعد وهو أمر عسير المنال..

تبقى أمامنا وسيلتان هما :

إما مد أسلاك كهربائية لمسافة طويلة حيث يكمن الرامي في خندق آمن ومعه جهاز إتصال لاسلكي لتلقى أمر الإطلاق.
أو إعتماد طريقة (مصيدة الفئران).. وبدل من أن يغلق الرامي الدائرة الكهربائية فإنه يسحب الخيط حتى تنغلق المصيدة.
كلا الأسلوبين لم يتم تجربته حتى الآن.. وبالنسبة للدوائر الكهربائية ما زال طول السلك قصيراً جداً ويضع الرامي في منطقة الخطر.. ولا بد من تمديده لمسافة أطول.. وهذا ما سوف نقوم به اليوم.
بعد مسيرة طويلة تفرعنا إلى وادي ضيق على جانبه مغارة واسعة ولكنها ليست عميقة.. وضعنا بضاعتنا في داخلها وتركنا إثنان للحراسة، وتقدمنا إلى جبل متقدم أكثر يشرف على المدينة.
وصلنا القمة وجدنا أنفسنا في مواجهة أقصى الطرف الشرقي للمطار، وأمامنا ساحات فسيحة ويظهر الوادي وبيوته التي سحرت ألبابنا.
طلبنا أحد الصواريخ من المغارة.. وقمنا بتوجيهه. وأوصلنا به لفة كاملة من السلك ومع ذلك لم نبلغ القمة التي رشحناها مركزاً للترصد، وهي قمة الجبل الذي فوق مغارتنا.. نحتاج إلى لفة أخرى أو اثنين.. سنؤجل باقي العمل إلى الغد.. صعدنا إلى القمة المنشودة كانت رائعة وتكشف كل شيء. والأجمل أن بداخلها مخبأ ممتاز حفره المجاهدون.. إنه يوفر حماية جيدة من رماية المدفعية ومن الهيلوكبتر.. الجبل كان وعراً جداً وصعب في هبوطه وصعوده.. نزلنا إلى المغارة وهالنا ما رأينا.. جماعة من مجاهدي (وزير ستان) مستلقين في المغارة ومع أحدهم جهاز راديو ومسجل كبير مزين بالأقمشة الملونة والمرايات الصغيرة على عادة أهل القبائل..
وقد وضع به شريط غناء يصدح مع موسيقى نحاسية وطبول عالية.. وقد وضع صاحب

المسجل أعلى درجة صوت ممكنة.. ضحكنا.. فنحن نتحاشى حتى الكلام بصوت عالٍ ونتحرك زحفاً أو خلف سواتر، وهؤلاء إخواننا يقيمون حفلاً صاخباً من الموسيقى والغناء على بعد أمتار من العدو.. وشر البلية ما يضحِك.
بصعوبة أقنعنا صاحبنا بإغلاق الجهاز.. ونبهناه إلى خطورة ذلك العمل. ضحك ساخراً ولكن بإحترام وقال أنه يومياً يفعل نفس الشيء ولم يحدث أن العدو فعل شيئاً.. أفحمتنا حجته التي تحتوي بالطبع إتهاماً مبطناً بالجبن. وحمل صاحبنا الراديو وغادر المكان، وما كاد يبتعد عدة أمتار حتى فتحه بأقصى طاقته وسار متهادياً على نغمات الموسيقى يبحث لنفسه عن مكان آخر لا يحتوي جبناء!!.
جلست أضحك وأسميت المغارة (مقهى السعادة).. ووضعنا الإسـم الجديـد علـى خريطتنـا للمنطقة.موضوع الشجاعة موضوع جوهري عند (الباتان).. ولا يظهر الفرد منهم أي تصرف ينبيء عن خوفه من عدوه حتى لو دفع حياته ثمناً لذلك..وبالتجربة وجدنا أن الباتان يتخلون عن تلك العادة العنترية عندما تسقط عليهم القنابل ويتساقط منهم القتلى. عندها يلوذون بمباديء التكتيك ويلوذون بالأرض والصخور والأعشاب.. والدم خير معلم!!.
وللأسف فإن نفس المرض إنتقل إلى الشباب العربي أو هو موجود في فطرتهم الأصلية، ولكنهم يتعلمون أيضاً بنفس الطريقة..

الخميس 25 رمضان 14 يونيه/85

في الصباح الباكر بدأنا تمديد السلك إلى نقطة الترصد. كانت نوعيته رديئة جداً وتقطع عدة مرات. إضافة إلى أن كثرة الشجيرات عطلتنا. وأخيراً وصلنا إلى القمة وكانت بطارياتنا جاهزة منذ أمس وقد زدنا في عددها تحسباً لطول السلك.. وصل مولوي (عجب نور) الزعيم الروحي لمجاهدي وزير ستان. ومعه قائده الرئيسي للشئون العسكرية وكانت تلك أول مرة نشاهده فيها وآخر مرة أيضاً.كنّا حوالي سبعة أشخاص فوق القمة. طلبنا من مولوي (عجب نور)أن يطالب رجاله بالنزول إلى المغارة لأن هذا المكان قد يصبح خطيراً جداً.. وطالبناه هو أيضاً بالنزول مع الكومندان.. لكنهما أصرا على البقاء ونزل الباقون.
بدأت طائرات الهيلوكبتر نشاطاً كثيفاً فوق المنطقة فعلمنا أنهم يمهدون لنزول الطائرات..
القومندان كان مصراً على كشف موقعنا بمحاولاته (الفطرية) في إظهار شجاعته.. كان يلبس عمامة ضخمة ويصر على الوقوف بطول قامته ويشير بيديه يميناً وشمالاً شارحاً لنا أشياء لا نرى لها ضرورة.. تكلمت معه بغلظة وحسم و بهدوء قلت له :أن يجلس حفاظاً على حياة شيخه.. شعر بالحرج وجلس ولم يكد يفعل حتى وصلتنا قذيفة دبابة أسفل منّا بقليل.. فوجدت الجميع يتسابقون نحو فتحة الحفرة للإرتماء بداخلها.. وكان ذلك خير إقناع.
العدو إشتبه في وجودنا ولم يكن متيقناً لذا إكتفى بعدة قذائف ثم تحول إلى قمم أخرى.إختبرنا الدائرة الكهربائية فوجدنا أن السلك قد قُطع في مكان ما.. تحرك عبدالرحمن مع السلك في إتجاه الصاروخ حتى يصلح الخطأ. وصلت طائرة النقل الأولى، وما زال السلك مقطوعاً.. ثم.. نزلت طائرة ثانية.. كان عبدالرحمن قد إكتشف القطع وأصلحه.. وحاولنا الإطلاق لكننا لم ننجح..نزل أبوحفص مسرعاً من فوق الجبل وإصطحب عبدالرحمن معه وتسللا قرب الصاروخ وأطلقاه. ونزلا بسرعة من القمة في إتجاه الوادي.. وبينما هم في منتصف سفح الجبل وصـلت ست طائرات هيلوكبتر دفعة واحدة. كان كميناً جوياً على منطقتنا.. واحدة فقط ظلت معلقة فوق الجبل الذي إنطلق منه الصاروخ.. أبوحفص ظل واقفاً إلى جانب جذع شجرة فكان من

الصعب أن نميز أحدهما من الآخر.. وكان ينظر إلى أعلى في إتجاه الطائرة..التى كانت فوقه مباشرة.. وكنت أراقب المشهد من قمة الجبل حتى ظننت أنهم سيهبطون لإلتقاطه.. ثم تحركت الطائرة كي تتجول في المنطقة.. فهبط أبوحفص بسرعة إلى المغارة .
هناك كان عبد الرحمن قد سبقه منذ دقائق . ظلت الطائرات تدور لمدة ساعة كاملة ، تحاول أن تجد شيئاً تطلق عليه نيرانها ولكن بلا فائدة.. وفي الأخير إضطروا للإطلاق على الصخور والشجيرات (المشتبه فيها).. وربما من شدة الغيظ.. أو حتى يثبتوا لرؤسائهم أنهم قد فعلوا شيئاً خلال أكثر من ساعة من الطيران.. أو ربما يقنعونا بصحة ما ذهبنا إليه من أنهم ليسوا سوى مجموعة من سائقى (عربات البطاطا) .
المدافع بأنواعها لم تتوقف عن إحراق كل المنطقة.. سواء المدافع في خط الدفاع الأول ومعظمها هاونات، وكذلك الدبابة، إنهم لم يروا أحداً.. وهذا ما يسعدني أشد السعادة.. أما نتائج رماياتنا فلم يكن بإستطاعتنا معرفة نتائجها سوى بعد ساعات أو أيام.. وتكفى ردة فعل العدو بهذه الحدة حتى نشعر بالسعادة ونتوقع.. أو نتمنى.. أن تكون ضرباتنا قد آلمته بنفس المقدار الذي تظهر به ردود فعله المتشنجة.
سرني أكثر من هذا كله.. أن أخونا المجاهد صاحب المسجل قد أغلق مسجله وأراحنا من أغانيه المزعجة وموسيقاها الأشد إزعاجاً.
كان صاروخنا مصوباً على نقطة وقوف الطائرات للتفريغ والواقعة شرق المدرج.. لذا رجونا أن يكون قد أصاب شيئاً في الطائرتين الجاثمتين في نفس المكان.
في الثانية عشر والنصف هدأ القصف فنزلنا إلى المغارة، تمدد الجميع على الأرض وإستسلموا للنوم.. بقيت مستيقظاً حتى الثانية فأيقظت الجميع لصلاة الظهر.. الغيوم الكثيفة أوقفت برامج العدو.. رجعت الطائرات وتوقفت المدافع. خرجنا للوضوء من مجرى ماء ضعيف للغاية. فجأة نزل برد كثيف فعدنا نعدو إلى داخل المغارة.. وبعد قليل جاء سيل شديد إقتحم مغارتنا.. تخلصنا بصعوبة وصعدنا إلى الجبل، كان ماء السيل شديد البرودة.. إنتظرنا حتى هدأ السيل، وظهرت الشمس وكأن شيئاً لم يكن.. توضأنا وصلينا (ظهراً وعصرا). الأشجار الشوكية تنبت فاكهة سوداء صغيرة (في حجم بعر الماعز) وبذرتها كبيرة.. ولكنها حلوة المذاق وتدعى (جارجوراً) بسبب الثلج سقطت ثمار كثيرة على الأرض فانهمكنا جميعاً في جمعها وأكلها. كان محصول هذا العام وافراً بشكل لم أشاهده في أي عام آخر.
يقول آخر سطر من مذكراتي في ذلك اليوم (سمعنا عن ذبح شاة فرجعنا إلى المعسكر مسرعين فأكلنا لحما وبطيخ وشربنا الشاي، صلينا المغرب والعشاء ونمنا حتى الصباح).

<u>الجمعة 26 رمضان 1405 هـ</u>

أبوحفص اليوم متعب. ذهبت مع عبدالرحمن والشيخ محمد طالب لوضع صاروخ على جبل منان. هذه هي المرة الأولى التي نستخدم فيها الجبل الذي إستخدمه منان مرتين لضرب المطار. وضعنا الصاروخ على الجانب الشرقي للجبل.. ثم إختبرناه فإذا به لا يعمل.. أعدناه مرة أخرى إلى المغارة. كان هناك صاروخ آخر فوق الجبل بجانب منطقة الإطلاق التي إستخدمناها في الأمس.. خطر على بالنا أن نوهم العدو بأن هذه القمة أصبحت مركزاً دائماً لنا.. حتى نأخذ فرصة كافية للعمل من جبل منان وهو إلى الغرب بحوالي كيلومترين.. وضعنا الساعة وضبطنا التوقيت على الساعة الثالثة عصراً.. فوق أحد الجبال أثناء العودة وقفنا نراقب النتيجة.. إنطلق الصاروخ ولم ينتبه أحد..شعرنا أن ماءاً بارداً سكِب فوق رؤوسنا...

عدنا إلى المعسكر كي نضع خطة للغد. كان (سميرجول) يوزع الغنائم لكل مجاهد أربعمائة روبية باكستانية. لقد فر خمسة جنود وسلّموا أسلحتهم وهذا هوثمنها يوزع على الجميع... قررنا التنازل عن حصتنا لهم.

الليلة الكبيرة

السبت 27 رمضان 1405هـ، 16 يونيو 1985

(سميرجول) وأبوحفص سيذهبان إلى (زرمنسكاي) لقصف المدينة مرة أخرى طبقاً لطلب الشيخ جلال الدين.. أخذوا الساعات والأسلاك وتوجهوا بالسيارة إلى هناك..(سميرجول) سعيد لأنه بدأ يتعلم الطريقة.

تحركت مع عبدالرحمن والشيخ طالب في الخامسة والنصف صباحا،كان ذلك وقتاً متأخراً فقد كانت الشمس تشرق في السادسة تقريباً. وهذا يعني أننا سنبقى ساعة أو ساعة ونصف معرضين لأن يرانا العدو ونحن نضع له الصواريخ تحت أنفه وتحت أصابع قدميه.. المنطقة المحرمة خطيرة جداً لأن دوريات المجاهدين فيها قليلة.. وكلهم غرباء عن المنطقة من جماعة وزيرستان كنت أراهم قرويون عديموا التجربة، أخشى عليهم ولا أثق في قدرتهم علي التصرف عند الطوارئ.

في بداية الصباح إكتشاف مذهل... هضبة صغيرة تبدو كأنها مدفونة بين عمالقة الجبال... ولكنها تكشف تماماً منطقة التحميل في مدرج المطار مع قليل من المدرج نفسه.. كانت كأنها مزغل رماية عبرثغرة عجيبة في جبال (الخط الأول) للعدو. المنطقة حولها فيها أخاديد عميقة تسير لمسافات طويلة وكأنها خنادق إرتباط. والشجيرات كثيرة. كانت إلى الخاف من جبل (مقهى السعادة) وإلى شرق جبل منان على مسافة أكثر من نصف كيلو متر.

وجهنا صاروخين.. كل منهما بدائرة إطلاق منفصلة عبارة عن بطاريات إطلاق ،ستة بطاريات في مجموعة واحدة على التوالي، مع مفاجئتنا التكنولوجية التي تستخدم لأول مرة في حرب أفغانستان.. مصيدة الفئران!!. كانت المصيدة مثبته على لوح خشبي مستطيل وأنيق جهزناه خصيصاً في ميرانشاه عند نجار محترف، ثبتنا المصيدة بأحجار ثقيلة ووضعنا في فمها قطعة من الخشب ومددنا خيط نايلون سميك بطول300 متر تقريباً صعدنا به من الوادي الضيق ثم عبرنا جزء من (جبل السعادة) وهبطنا على الجانب الآخر الغربي... وواصلنا السير في اتجاه الجنوب حتى حفرة عميقة وكأنها أساس بيت لم تمهل الأحداث أصحابه لإكماله. على الرامي أن يجذب الخيط ثم يهبط فى الحفرة عند الخطر أو يسيرعدة أمتار إلى الجنوب حيث يبدأ وادي ضيق يوصل إلى كهف مقهى السعادة... حيث يمكنه شرب الشاي أو النوم إن أراد.

وأخيراً وصلنا إلى وضع أقرب إلى المثالية.. تبقى التجربة وهي خير برهان. صعدت مع عبدالرحمن إلى جبل منان أما الشيخ طالب فهو الذي سيجذب الحبل، وإشارة العمل هي ثلاث طلقات من الكلاشنكوف نطلقها له من فوق الجبل.

منذ التاسعة والنصف صباحاً كان العدو مشغولاً في برنامج قصف وقائي بالمدفعية والهيلوكبتر في مكان آخر. أتاح ذلك لنا فرصة جيدة لانهاء العمل الذي إستغرق فترة أطول مما توقعنا. سطح جبل منان كان مسطحاً ومكشوفاً بدرجة مزعجة من جبل تورغار الواقع في الشمال

الغربي عن مسافة قريبة حتى أننا نسمع أصوات الجنود هناك في أوقات الهدوء عندما يتصايحون.
وصلت إلى المطار طائرة صغيرة.. فلم نطلق عليها لأنها غير مطابقة للمواصفات. نزلت طائرة أخرى من نفس النوع.. واصلنا الصمت.. وصلت ثالثة ثم رابعة.. لم نطلق شيء.. الهيلوكبتر ظل يدور في السماء حتى تأكد من أن الحالة هادئة.. نزلت طائرة الهيلوكبتر على المدرج أيضاً.. وأخيراً وصلت طائرة ضخمة مطابقة للمواصفات هبطت على المدرج فأعطينا الإشارة للشيخ طالب فجذب الحبل وطار الصاروخ، حتى هبط على المدرج.. إستدارت الطائرة على الفور وأقلعت مرة أخرى.. وبسرعة وفزع تبعتها الطائرات الصغيرة التي كانت في المطار.. والهيلوكبتر طار مرة أخرى كي يبحث عنّا.. المدافع بدأت على الفور في إحراق المنطقة..
وصلت الهيلوكبتر فوق المكان الذي خرج منه الصاروخ وأفرغت حمولتها من الصواريخ ونيران الرشاشات. كان ذلك يحدث لأول مرة فقد إعتادت الهيلوكبتر أن تبحث أولاً عن فريستها.. وكنّا في العادة تحتها مباشرة ولكنها لا تطلق.. اليوم ونحن على مسافة لا تقل عن ثلاثمائة متر فإنها تفرغ حمولتها حتى الطلقة الأخيرة ثم تعود إلى المطار وتحضر الثانية محلها.. كانوا يطبقون سابقاً سياسة البحث ثم التدمير.. الآن عكسوا الآية يبدأون بالتدمير بدون بحث.. كنّا في غاية السرور.. وعبدالرحمن يكبر أحياناً.. وأحياناً يصيح صيحته الشهيرة (حلاوة يا ابو اسماعين حلاوة) ..
بعد أربعين دقيقة من القصف المتواصل هدأ العدو.. فنزل عبدالرحمن إلى الشيخ طالب كي يهنئه بصفته أول من أطلق صاروخ بمصيدة الفئران وها هي النتائج مشجعة.. كنّا في العادة نطلق صاروخاً واحداً على المطار.. فلم يكن في مقدورنا الرماية أكثر من مرة واحدة في اليوم الآن عندنا صاروخين، نتيجة التقدم الفني الذي أحرزناه.
لم يتوقع العدو تلك الطفرة التكتيكية وظن أن الحملة قد إنتهت. فأرسل طائرة نقل ضخمة بعد 45 دقيقة فقط من الطائرة الأولى. أيضاً كانت مفاجأة لنا أن يتصرف العدو بهذه السرعة.. أعطيت إشارة الإطلاق.. جذب عبدالرحمن الحبل كي يطير الصاروخ ويستقر في مكان ليس ببعيد عن الطائرة الضخمة المتوقفة عند نقطة التفريغ. إستدارت الطائرة وأقلعت بسرعة.. وكذلك طائرات الهيلوكبتر التي كانت قد أخلدت إلى الراحة على المدرج، على أمل أن كل شيء قد إنتهى.. عدد من سيارات الجيش العسكرية غادرت المطار بسرعة.. المدفعية عاودت الرماية مرة أخرى وكذلك الهيلوكبتر حتى الواحدة والنصف ظهراً، حين ظهرت فى السماء سحب كثيفة،حجبت ضوء الشمس.
وكانت الطائرات لا تهبط في ذلك الجو.. ثم أن صواريخنا قد نفذت.. فنزلنا من الجبل متوجهين إلى المعسكر.
ألقينا نظراتنا الأخيرة على المطار في نشوة.. لا توجد أية حركة هناك ولا أي من الطائرات أو السيارات، صار كأنه أرض قفراء خالية.. وحتى الجنود يبدو أنهم هجروا مواقعهم. أسمينا ذلك اليوم (الليلة الكبيرة).. وأخذ عبدالرحمن يغني بأعلى صوته مقاطع من أغنية شعبية بهذا الإسم، محولاً كلماتها بما يناسب المقام.. وإنتهى بمقطع حاز إعجاب الجميع حين قال

(ما احلى المطارات لما يقفلوها)...
وصلنا معسكرنا في الثالثة عصراً.. وجدنا شاباً فلسطينياً ممن يعملون مع الشيخ عبدا ع ـ زام، ويدعى "رامى" قد جاء لزيارتنا بعدما سمع عن برنامجنا عندما كان في زيارة للشيخ جلال الدين حقاني.. كان عبدالرحمن يعرفه سابقاً فجلس يقص عليه ما حدث اليوم والشاب في حالة ذهول.. لا يكاد يصدق أن (العرب) يمكن أن يفعلوا كل ذلك بمفردهم ! ! .
وصل أبوحفص مع (سمير جول) من (زرمانكي) وقد أطلقوا ثلاث صواريخ على المدينة بواسطة التوقيت.. عندما سمعت ذلك أخذت نفساً عميقاً فالتكنولوجيا تأخذ مجراها الآن وأصبحت جزءاً من روتين العمل.
جلسنا نجهز الأدوات التي نحتاجها في الغد وإنتهينا من ذلك عند الغروب.

الأحد 28 رمضان 1405 ، 17 يونيه 1985م.

صلينا الفجر وتحركنا إلى منطقة العمليات ومعنا الضيف العربي. كانت خطتنا اليوم هي توقيت صاروخ لينطلق إلى المطار في الساعة التاسعة والنصف صباحاً.. بينما نجهز نحن صاروخين على المطار بواسطة مصايد الفيران من نفس مكان الأمس. ذهب أبوحفص مع الضيف لتوقيت الصاروخ من جبل قرب (مقهى السعادة) . وتحركت مع عبدالرحمن والشيخ طالب لتجهيز صواريخ المصايد. جلست فوق الجبل مع عبدالرحمن، بينما الشيخ طالب عند الخيط مثل الأمس.. لم تحضر طائرات ولكن فوجئنا بوصول عدد كبير من المجاهدين ومعهم سمير جول.. وصعد الجميع إلينا على جبل منان. أخبرنا (سمير جول) أن الشيخ (فتح ا) نائب حقاني قد أرسل إلينا وفداً برئاسة (محمد أيوب) وهو قائد مجموعة ومجاهد قديم حتى يرى كيف يسير العمل عندنا. كنت منزعجاً من تلك الزيارة التي أعتبرتها زيارة (تفتيشية) !!! بالإضافة لهذا العدد الكبير من الأفراد الذين يتحركون بكل حرية في منطقة خطرة وتواجدنا فيها نعتبره (سري جداً)، فكل نجاحنا في العمل يتوقف على ألا ندع العدو يعرف أين نحن.. ويظهر أن كل ذلك مهدد بالضياع الآن. وقف(محمد أيوب) ورجاله على سفح الجبل ونظر إلى المطار فوجد ستة طائرات هيلوكبتر واقفة صفاً واحداً.. فصاح في سمير جول: إطلقوا الصواريخ.. إطلقوا.. لماذا تتركوها هكذا.. نقل إلينا سمير جول (الأمر) فرفضته بغيظ.. وطلبت منه أن يوضح للقومندان أننا نطلق على طائرات النقل.. زاد حماس (محمد أيوب) وتقدم أكثر إلى القمة وهو يحرك يديه. كانت وعمامته الضخمة كافية لجذب أنظار جنود الحكومة المترصدين على الجبال حولنا.. لم أتمالك نفسي من الصياح مغضباً (إنزل يا.. ح)!!!. دائماً أشعر بالندم على ما قلته ذلك اليوم.. ولا أدرى إذا كان الرجل قد سمع ما صحت به أم لا.. ولكنه بعد قليل إصطحب الوفد وعاد راجعاً بدون أن يناقش معنا أي موضوع.
في أثناء الضجيج الذي أثاره وفد التفتيش إنطلق صاروخ أبي حفص في التاسعة والنصف.. ولم يلتفت إليه أحد من أعضاء الوفد.. كنت أشاهد الصاروخ منذ إنطلاقه إلى أن هبط.. وبدلاً من أن يسقط على مدرج المطار الذي كان فارغاً وقتها إنحرف شرقاً وسقط داخل حزام من الأشجار بداخله بيت كبير يظهر لنا جزء منه. أجاب العدو بعده بالقذائف في إتجاه نقطة إنطلاق الصاروخ ثم توقف. حزنت لذلك.. وتعجبت لماذا إنحرف الصاروخ بهذا الشكل الغريب؟. لماذا لم يهتم العدو؟.. بداية اليوم ليست مشجعة.
علمنا فيما بعد أن ذلك الصاروخ الشارد قد سقط فى وسط بيت ريفى مخفى بين الاشجار وكانت يشهد وقتها إجتماعا هاما لعدد من الضباط وقتل واحدعلى الأقل من كبرائهم .. هذه

الصواريخ الموجهه (ربانيا) شاهدت عددا منها وكانت من الأعاجيب.
نزل عبدالرحمن وأبوحفص إلى أسفل الجبل وجلسوا عند "الشيخ طالب" قريباً من الحبل، وبقيت وحيداً في نقطة الملاحظة،وأنا أشعر بشيء من الكآبة من أحداث هذا الصباح. قرب الظهر وصلني شاب من طلاب العلم مع إبريق من الشاي وكوب زجاجي نظيف.. لم أصدق نفسي، ظننت نفسي قد إستشهدت وذهبت إلى الجنة.. بعد ثواني أفقت من هول المفاجأة.. إن مقهى السعادة بدأ يقوم بواجباته ويؤدي شيئاً مفيداً للجهاد.. إنهم يصنعون (الشاي الأسود) لإخوانهم المجاهدين.. تلقيت التهاني من إخواننا العرب أسفل الجبل، الذين وصلهم إبريقاً ضخماً من الشاي..بقينا في المنطقة لمراقبة المطار حتى السادسة.. لم تحضرأي طائرة كبيرة.. وصلت طائرتين صغيرتين.. لم نطلق عليهما.
في السادسة تحركنا إلى المعسكر وبرفقتنا عدد كبير من طلاب العلم كانوا في مقهى السعادة ومعهم (سميرجول).. كان الجميع في معنويات عالية... وأبلغناهم بإسم مغارتهم مقهى السعادة، فضجوا بالضحك العديد منهم يستعد للمغادرة من أجل قضاء العيد مع عائلاتهم.

كارثة فى بحيرة البط

الإثنين 29 رمضان 1405هـ، 18 يونيه/85

ضيفنا العربي غادرنا في الصباح كان في طريقه إلى الكويت حيث يعيش كي يقوم ببعض الفحوصات الطبية، ووعدنا بالحضور إلينا فورعودته من هناك. ولكنه للأسف لم يرجع أبداً فقد مات بتأثير سرطان الدم. ترك لى حذاءه العسكرى، وأخذ منى الصندل الأفغانى الذى كان قـد إهترأ في قدمي.. في البداية رفضت، وتحت إلحاح عبدالرحمن وافقت على شرط ألاّ يلبس صاحبنا هذا الصندل في شوارع الكويت "خشية الفتنة!!".. فوافق على الشرط.
غادرنا الضيف ومعه الشيخ محمد طالب الذي ذهب إلى ميرانشاه من أجل شراء بعض المهمات لنا مثل الخيط السميك، وساعات للتوقيت وبعض الطعام. تحركت مع أبوحفص وعبدالرحمن إلى منطقة العمليات نفسها.. جهزنا الصواريخ وأصلحنا وضع الحبال. بدأنا نشعر بالإرهاق... بقي عبدالرحمن عند الحبال (الخيط)، وصعدت مع أبوحفص إلى جبل منان للمراقبة.
كنا نتحدث عن تطوير برنامجنا وعن ضرورة تدريب عدة مجموعات من المجاهدين على المهمة التي نؤديها حتى إذا تغيبنا أو قتلنا ـ يمكنهم الإستمرار فيها... الشيخ محمد طالب يمكنه أن يقود مجموعة بعدما يستكمل تدريبه،نحتاج إلى ثلاثة آخرين حتى نعدهم لقيادة المجموعات. نحتاج أيضاً إلى أجهزة إتصال لاسلكي صغيرة بدونها لا يمكن تطويرالعمل بالشكل المطلوب.
أما "الرومت كونترول" فهو الحل الأمثل لهذا العمل، ولكن حتى في حالة عدم وجوده يمكننا الإستمرار بشكل جيد ولكن بشرط توفر أجهزة إتصال لاسلكي. أو تليفونات ميدان تربط بين موقع الترصد ومواقع الرماية.
ما هو دور العرب في القتال؟.. إستغرق نقاش هذا الموضوع ساعات طويلة.. ليس في هذا اليوم فقط بل في أكثر الأيام... كان هو الموضوع الرئيسي... لابد أن يتدرب الشباب العربي تدريباً متقدماً. من أين لنا بالمدربين؟... المغامرين الأوروبيين لن يفعلوا.. سوف

يسرقون الأموال ولن يدربونا جيداً فهم أعـداؤنا.. الباكـستانيون غيـر موثـوقين..الإخـوان المسلمون.. لن يأتوا ولن يجاهدوا حتى يدخل الجمل في سم الخياط.
أبو أسامة المصري؟.. يمكننا الإتصال به.. ربما وافق.. يمكن إعتباره خطوة أولى في العمل.. كان لي رأي في الموضوع ولكنه لم يكن مستساغاً... وهو أن ندرب أنفسنا بأنفسنا.. والطريقة هي (إقرأ.. وقاتل) ... أي نقرأ في الكتب العسكرية التي يمكن أن تفيدنا خاصة كتب حروب العصابات. ثم نقاتل لإكتساب التجربة والخبرة.. ونستمر هكذا حتى نتعلم أو نقتل. لا داعي أن نقف مترددين لأننا لم نتدرب جيداً.. فلنلق أنفسنا في النهر وسوف نتعلم السباحة.. خاصة إذا كنا قرأنا عنها بعض الكتب.. لم يكن كلامي مقنعاً بما فيه الكفاية...
وأخيراً وصلت طائرة صغيرة وهبطت بسلام على المدرج.. فتجاهلناها كالعادة.. ثم تبعتها واحدة أخرى بعد قليل.. فبقينا صامتين... واصل العدو إجراءاته الأمنية المعتادة بالمدافع والهيلوكبتر..مكثت الطائرات فوق المدرج هادئة... صف طويل من طائرات الهيلوكبتر يقف في المطار بلغ ثمانية طائرات غير إثنتان في الجو.. كل شئ هادئ... هبطت طائرتا الهيلوكبتر أيضاً حتي تكون صفاً مع زميلاتها يسيل له اللعاب.. رفضنا الإستجابة للغواية.. عشرة طائرات هيلوكبتر وإثنتان من الطائرات الصغيرة... إنه (بازار) للطائرات لا يمكن مقاومة إغراء الرماية عليه لكننا تذرعنا بالصبر والثبات على المبدأ.. لابد أن ننتظر (البطة)، أي طائرة الشحن الكبيرة كما أصبحنا نطلق عليها... والمطار نسميه أحياناً (بحيرة البط).
ظهرت نتيجة الصبر مؤخراً وها هي بطة سمينة تهبط متثاقلة على مدرج المطار..
أطلقنا ثلاث طلقات إشارة لعبدالرحمن.. فجذب الخيط ولكنه إشتبك بأغصان الشجر وقطع!!. لم نفهم ماذا حدث إلى أن شاهدنا عبدالرحمن يجري كالقذيفة صوب مكان الصواريخ.. وبينما هو منهمك في تجهيز الأسلاك والبطاريات هبطت (بطة) أخرى من نفس النوع..إنطلق صاروخ عبدالرحمن.. والمطار مكدس بشكل مريع، كانت فرصتنا لا تعوض..أطلقنا له ثلاث رصاصات أخرى حتى يطلق الصاروخ الآخر.. لكنه لم ينتبه فقد كان عائداً كالصاروخ إلي مكانه الأول.. ثم تنبه لطلقاتنا التالية.. وصاح بأعلى صوته مستفسراً... فأكّدنا له الأمر.. أن أطلق الصاروخ الآخر.. فعاد مرة أخرى كالقذيفة في إتجاه الصواريخ.. قذائف الهاون بدأت تمطر من حوله ولكنه لم يكن ليتراجع مهما كانت الظروف .. فهذا هو التحدي الذي فطر عليه..
أطلق الصاروخ الثاني ثم عاد سيراً هذه المرة نحو مكانه الأصلي... رغم زيادة القصف حوله فقد أنهكه الجري.. أو أنه شعر بالرضا لما قام به فلم يعد يبالي بجنون القذائف من حوله.
أما ما حدث في المطار فقد كان مهزلة... إرتفعت سحب الأتربة وتناثرت الطائرات كلها دفعة واحدة كل واحدة في إتجاه.. ثم بدأت في الإقلاع كلما خلا المدرج تقدمت واحدة للإقلاع.. رغم أن الأتربة تحجب الرؤية تماماً عن الطيار ولكنه الرعب الهائل الذي إجتاح كل شئ هناك...
سيارات تجري على طرفى المدرج.. ثم عربة إسعاف كبيرة تدخل من الطرف الشرقي تتبعها سيارة إطفاء حمراء ضخمة...كنت أشاهد ما يحدث مع أبوحفص ونحن نكبر بأعلى أصواتنا فلحق عبدالرحمن بنا على سطح جبل منان.. فلم يعد لديه ما يفعله هناك.. وسألنا عما حدث..
قلنا له أن القوم في مصيبة كبيرة إسعاف ومطافئ وطائرات وسيارات كل شئ يموج في كل شئ ولكن لا نعلم مدى الخسائر عندهم.صاح عبدالرحمن صـيحته الـشهيرة: (حـلاوة يـاأبو إسماعين حلاوة).. فى خلال نصف ساعة عاد المطار كالعرجون القديم..لا أثر للحياة فيه وظننا أنهم هجروه إلى الأبد.. الموقف فى طرفنا مختلف..وصلت عدة طائرات هيلوكبتر كي

تحيل المنطقة إلى جحيم... وتقصف كل مكان ما عدا المكان الذي نحن فيه، ساعدتها المدفعية ودبابة توغار وهاونات الجبال..كان لدينا مشهداً مصغراً ليوم القيامة... حامت الهيلوكبتر قريباً منّا ولكنها قصفت الوادي خلفنا.إن ما حدث اليوم فاق ما حدث في (الليلة الكبيرة).
عندما هدأ القصف نزلنا بسرعة وتوجهنا إلى مقهى السعادة. عند العصر هبطت حوالي ثمان طائرات كبيرة.. لقد أدرك العدو مرة أخرى محدودية قدراتنا.. بدلاً من صاروخ واحد أصبح في قدرتنا إطلاق صاروخين.. وحيث أننا قد أطلقناهما فها هوالعدو ينزل ثمان طائرات مرة واحدة.. بدون أن نستطيع منعه.. لا بد أن نطور عملنا ونزيد إمكانيات قصف المطار.. هكذا كان عزمنا في ذلك اليوم.
عدنا إلى المركز والإرهاق يحطم عظامنا.. عاد الشيخ طالب بما نريده من ميرانشاة..
قررنا منح أنفسنا إجازة في الغد.. للإستراحة.. ولإعادة تقييم الموقف... وبحث تطوير العمل.

الثلاثاء 30 رمضان 1405هـ ـ 19 يونيه1985م:

في السابعة صباحاً سمعنا طائرات نقل كبيرة (من طراز بطة) تهبط في المطار.. لقد غير العدو أسلوبه وأصبح ينزل في مواعيد لم تكن معتادة قبلاً.. بالأمس نزل قرب العصر.. واليوم في السابعة صباحاً.. ولما لم يجـدنا هنـاك. حيـث لـم يحـدث إطـلاق علـى طائراتـه الكبيرة التي أصبح يدرك جيداً أنها المستهدفة من ضرباتنا.. وليس أي نوع آخر من الطائرات حتى الهيلوكبتر الرهيبة من طراز "مي-24" كنا لا نطلق عليها صواريخنا الثمينة للغاية.
بدأ نزول الطائرات الكبيرة يتتابع بكثرة غيرعادية حتى وصلت في تقديري إلى عشرين طائرة خلال هذا اليوم.. إعتبرت ما حدث هو عملية (إقتحام للمطار) عندما شعر العدو بعدم وجودنا. اليوم أراد أن ينهي أكبر قدرممكن من الرحلات الجوية..وظهر أيضاً أن العدو يجهزلعملية كبيرة وأن ما يصل إلى المطار هو (مستلزمات العملية) من رجال وعتاد.
عملية(إقتحام المطار) من جانب العدو لهذا اليوم شعرت أنها وسام تقدير لعملنا في أيام رمضان الماضية.
في الرابعة عصراً بدأنا في إعداد أدوات كهربائية لعملنا المقبل.. قررنا زيادة عدد الصواريخ المستخدمة.. سواء بالتوقيت أو بالمصايد. في الليل علمنا أن غداً عيد الفطر.. وأن حقاني موجود في ليجاه. وأن عدداً كبيراً من أفراد المركز سوف يغادرون صباحاً إلى قراهم.. إنها دعوة لطيفة لنا كي نأخذ إجازة العيد..سألناهم هل ذلك هو المطلوب حقاً؟ ضحك (سميرجول) وقال: نعم.. سنرجع لإستئناف البرنامج معكم بعد العيد إن شاء ا . وافقنا معه على مشروع الإجازة وطلبنا منه أن يرافقنا غداً إلى (ليجاه) لرؤية حقاني... فوافق على أن يرسل معنا (مجيد) بالسيارة، أما هو فسوف يقابل حقاني في وقت آخر.

أول شوال 1405 هـ ــ 20 يونيه 1985

خرجنا من أفغانستان من منطقة غلام خان الحدودية، ثم دخلناها مرة أخرى من نقطة (صدقي) على بعد حوالي عشرة كيلومترات ثم واصلنا التحرك مع (مجيد) في سيارته حتى وصلنا منطقة (ليجاه). في الطريق كنت أفكر فيما سأكتبه للجريدة من موضوعات، والشخصيات العجيبة التي سأتكلم عنها. سيكون منهم ولا شك(درويش) الذي أسميه (المقدوني)نظراً لملامحه الإغريقية- ثم ذلك البدوي (كوجامير) ،الذي يجتذب القذائف، ثم قومندان المظلات ثم طرفاً مـن من أحداث فرقتنا،الفرقة الرابعة مطارات مع المحافظة على سريتها، فربما تطورعملهامستقبلاً سأكتب بالطبع عن حملة سوفييتية محتملة على باكتيا وهذا ما جئت حتى أبحث إحتمالاته مع

مولوي جلال الدين. كان يغمرني شعور كاذب بالراحة الناتجة من شعوري أنني في إجازة!!. هديرالطائرات الآتي من بعيد كأنه لا يعنيني، والإنفجارات القادمة من أرجاءالجبال كأنها تحدث في عالم آخر.. إنني الآن في إجازة العيد..ترجلنا من السيارة فى ليجاه وأنا أستنشق الهـ واء النقي بعمق. يبدو كأن لا أحد هنا؟.. هكذا تساءلنا بتعجب ودهشة لم نرى أحداً رغم أننا وسط مراكز المجاهدين. زالت الدهشة بأن ظهر واحدا منهم كي يخبرنا بإنزعاج بأن العدو يحتشد عند مدخل الوادي لإقتحام ليجاه. وأن حقاني تقدم مع رجاله إلى الأمام. عادت أجواء الحرب التي حاولت أن أتناساها.. طلبنا من مجيد أن يتقدم بنا صوب مدخل الوادي حتى نلحق بجلال الدين. قرب مدخل الوادي وجدناه في حوالي عشرين من رجاله.. نزلنا من السيارة وأمر حقانى مجيد بالعودة بسيارته لأن المكان خطر. بقينا معه وسألنا عن عمليات المطار وقال بأن نتائجها كانت جيده جداً فقد وصله بالأمس تقرير من داخل المدينة عن الخسائرالحادثة من جراء قصفنا للمطار "وهي الخسائر التي دونتها في نهاية تقريرالرحلة مع قومندان المظلات". وقال أن هناك إصابات كثيرة غيرمحددة سواء في الطائرات أو الأفراد.. ولكن الهندوس أصيبوا بنكسه ضخمة في الطائرة الأولى التي أصيبت. قال أنه يتوقع حملة روسية كبيرة على خوست. وأن العدو قد يهاجم اليوم.. وسألنا: هل أنتم صائمون؟، قلنا: له بل هو اليوم الأول للعيد. فقال بأنهم ما زالوا صائمين.

كان هادئ الأعصاب منظم التفكير، بعد تلك الجلسة التي إستمرت حوالي نصف الساعة، طالبنا بالمشاركة في صد الهجوم على ليجاه لأن معظم المجاهدين قد غادروا إلى قراهم في أواخر رمضان. شعرت بغصة في حلقي من جراء الإنتقال الفجائي من الحالة النفسية لإجازة العيد إلى حالة مواجهة إنتحارية مع القوات الشيوعية.. ولكن في دقائق زالت أوهام الإجازة، وتعاملنا مع واقع المعركة.. تحركنا مع دورية من المجاهدين تحركت شرقاً بين الجبال لننزل في وادي خوست.خلال الطريق الذي وضعنا فيه قومندان المظلات منذ شهر تقريباً.

كانت الأنباء تقول أن تحشداً للعدو يقف قريباً من تلك النقطة وقد يتقدم من خلال ذلك الطريق. منذ عام83 في الأورجون كنت قد عزمت على ألاّ أشارك في مثل تلك الدوريات مرة أخرى.. ولكنها إرادة ا .. وسرى عن نفسي وجود إخواني معي علّنا نستطيع أن نتبادل التعليقات والضحك أحياناً في موضع شر البلية. كنا حوالي العشرين شخصاً.. نحن الثلاثة على الأقل لا نعلم من هو قائد المجموعة، وما هي المهمة المطلوبة. أما طريقة المسير، والمفروض أننا نسيرفي منطقة خطيرة يحتمل تواجد العدو بها. ومع ذلك فإن مسير مجموعتنا لا يختلف عن المسير في سوق ميرانشاة.وصلنا إلى أقصى نقطة بسلام وإحتمينا بهضبة صغيرة.. ثلاثة من المجموعة معهم منظار مقرب، من النوع الرخيص يؤذي العين أكثرمما يقرب الأشياء.

ذهبوا بعيداً بحوالى مئتى متر فوق هضبة أخرى لمراقبة تحركات العدو..وكانوا يبلغونا بنشرة الأنباء بواسطة الصوت المرتفع!!. جلست مع زميلاي تحت الجرف نضرب كفاً بكف.. فجأة وجدنا إلى جوارنا زوج من العناكب السامة الضخمة..إنشغلنا بالإشتباك معهم حتى قضينا عليهم قضاءاً مبرماً..بعد ساعة أو أكثرصاحت مجموعة الإستطلاع بفرح. لقد رحل العدو إلى المدينة .. عدنا أدراجنا بنفس الطريقة..إلتقينا مع حقاني مرة أخرى.. أخبرنا أيضاً أن القوة كلها قد عادت إلى قواعدها بعدما شعرت أن هناك مجاهدون كثيرون في خط الدفاع الأول.

نحن أيضاً إنسحبنا أدراجنا.. وتواعدنا مع حقاني أن نعود بعد إجازة العيد كي نستأنف العمل

ضد المطار.لم نجد سيارات تأخذنا إلى بشاور فإضطررنا للمبيت في ميرانشاة. تقابلنا مع الشيخ (فتح ا حقاني) نائب جلال الدين..توقعت أن أجده غاضباً نتيجة المعاملة السيئة التي عاملت بها (محمد أيوب) عند زيارته لنا.. لكنه لم يتطرق إلى ذلك، بل أثنى على عملنا.. كان مرحاً دائم الإبتسام.. سألته عن حال عينه التى أصيبت أثناء إعداد طريق (ليجاه).. قال إنها بخير ولكن تحتاج إلى عملية جراحية، وأنه قد يسافر إلى السعودية في موسم الحج ثم يجري عملية جراحية هناك.قال أنه يرى بها قليلاً جداً ولكنها لا تؤلمه.

في الصباح أمكننا العثور على سيارة تأخذنا إلى بشاور. في أيام الأعياد يكون الإنتقال بين مدن باكستان صعباً للغاية. فأكثر السائقين يفضلون قضاء العيد مع أسرهم في القرى.

عبدالرحمن وأبوحفص بقيا في بشاورللبحث خاف أجهزة (الرومت كنترول) وأجهزة الإتصال اللا سلكي.

بينما تابعت سفري إلى إسلام آباد كي أقضي مع الأسرة أول أعيادنا في باكستان.. ومن حسن الحظ أن أول يوم لوصولي كان هو أول يوم للعيد في باكستان الذي يتأخر عادة من يومين إلى أربعة عن أعياد أمة المسلمين.

....

عدو التكنولوجيا

الجمعة 12 يوليو 1985:

وصلت أمس إلى ميرانشاة مع عبدالرحمن وأبوحفص.. إستطعنا توفيرثلاث قطع مخابرات لاسلكية صغيرة من نوع عتيق جداً. وجهاز تفجير عن بعد جرى تصنيعه محلياً في بشاور... وسنكون أول من يجربه ميدانياً. علمنا أن الوضع متوتر في خوست. وجرت معارك عديدة بين المجاهدين والقوات الشيوعية. ركبنا أحد السيارات التابعة لحقاني ومعنا الشيخ (محمد طالب) وآخرون في طريقنا إلى (ليجاه) لمقابلة حقاني والإتفاق معه على برنامج عملنا،الذى من المفروض أن يستمر كما كان.

عند أول نقطة تفتيش على الطريق نحو الحدود، كان يقف شخص في حجم الديناصور من المخابرات الباكستانية، ومعه عدد من الزبانية من جواسيس منطقة القبائل.. كان في إنتظار شئ معين... أوقف سيارتنا.. تحدث معنا فإكتشف أننا لسنا من البشتون أو الفرسوان (متكلمي الفارسية). والمشكلة الرئيسية كانت معي شخصياً بصفتي أشدهم جهلاً بتلك اللغات الحية. أحد الزبانية نظر إلى السيارة فعرفني، وتذكرت وجهه.. أظنه كان مع المجاهدين في ليجاه منذ ثلاث سنوات. صاح عندما رأى وجهي (قسم باخدا دا عربيان دى)... أي أقسم با أن هذا عربي. سحبونا بعدها على مركز سري للإستخبارات داخل ميرانشاه فبقينا هناك لأكثر من ساعه وأصر مرافقونا الأفغان بأننى (تركماني) لا أعرف أي لغة في المنطقة هنا.. وأخيراً أطلقوا سراحي وواصلنا السير إلى ليجاه.. هناك كان حقاني مع بعثة تلفزيونية من كندا. القوات الحكومية كانت محتشدة على أطراف الوادي . حقاني إشتبك معهم منذ يومين وإستولى على أحد مراكزهم وأخذ منها أسير حكومي. وفقد عشرشهداء وعشرين جريحاً. إتفقنا معه على إستئناف برنامجنا على المطار.

السبت 13 يوليو 1985:

نزلنا من ليجاه إلى جاورثم إلى ميرانشاة وهناك كانت مفاجأة في إنتظارنا . . طائرتين هيلوكبتر (مي/24) فرتا من خوست وهبطتا في مطار ميرانشاة. وكان يمكن رؤيتهما من الشارع

المقابل لبيت حقاني حيث ينزل ضيوفه، وكانتا مغطتان بشباك تمويه وأغصان أشجار خوفاً من أن تأتي الطائرات الأفغانية لقصفها. كنا في سرور لكون "عربـات البطاطـا" قـد إستـسلمت أخيرا كما كنا نتنبأ لها.

سمعنا أن حكمتيار إدعى أن الطيارين كانوا على إرتباط بجماعته، وبالتالي يطالب بإستلام الطائرات وأطقمها. حضر حقاني من ليجاه ورفض ما قاله حكمتيار وطالب بإستلام الطائرتين لكن حكومة باكستان نقلت الطائرات وأطقمها إلى إسلام آباد، كي تجري المخابرات الأمريكية فحوصاتها وتستجوب الطيارين!!.

سمعنا أن الدكتورعبدا عزام كان قد إحتجز في أحد نقاط التفتيش وهو قادم من بشاورأمس ومعه عشرة من العرب وقضوا ليلة في الحجز.. ولكن حقاني أرسل مندوبيه للإفراج عنهم... وصل الدكتورعبدا ومعه عالم من اليمن لا أذكر إسمه، وفي الليل جلسنا خارج بيت حقاني هرباً من الحرارة.. ودارت بعض الأحاديث الممتعة، أهمها معضله (هل يمكن للكافر أن يكون شجاعاً؟. كانت أجابه دكتور عبد ا : نعم، والعالم اليمنى:لا. إستمر الجدال فتـره حتـى حسمه حقانى بنظرية (شجاعة حمار) التى كانت حلاً وسطاً مقبولاً.

الأثنين 22 يوليو 85:

في الأيام الماضية نزلت طائرات النقل بكثرة في المطار.. لا شك أن حملة كبيرة على وشك أن تبدأ. قدرنا أننا ما زلنا غير قادرين على إيقاف أو عرقلة هذا الجسر الجوي ولكن يمكننا إيقـاع بعـض الخـسائربه. فـي الأيـام الماضـية (سـميرجول) تقـدم بمـدفع جبلـي (76 مليمتر) وإستخدمه الضابط عبدالملك لقصف المطار. سبب ذلك إزعاجاً للقوات الشيوعية. فهذا أول مدفع حسب علمي يقوم بتلك الخطوة الجريئة.كان عبدالملك يعمل من مسافة11كيلومتر عن المطار.. بينما على مجموعتنا أن نتقدم إلى الأمام ثلاثة كيلومترات أكثر حتى تستطيع إصابة المطار.. المدفع كان أكثر دقة بلا شك، ولكن قذيفته ذات عيار صغير بالنسبه إلى صواريخ الكاتيوشا عيار 107 مليمتر.

في هذا اليوم جهزنا خمسة صواريخ كي تنطلق بجهازالتحكم عن بعد.. عند العمل إنطلق إثنان فقط. لم يتوقف الجسر الجوي.

ردود العدو علينا أكثر وحشية من ذي قبل.. ولكن جهازنا الجديد هيأ لنا وضعاً مثالياً.. أصبح من المستحيل على العدو أن يعرف مكاننا في حين كنا نراقبه بدقة طوال الوقت.

الثلاثاء 23 يوليو 85

أعددنا ثلاث صواريخ بواسطة الخيط والمصيدة.. نزلت طائرات صغيرة هذا اليوم فلم نطلق عليها..هناك مدفع للمجاهدين يقصف المدينة فقام العدو بغارات جوية بالهيلوكبتر والنفاثات على مواقع عديدة للمجاهدين وبالذات موقع المدفع.

الأربعاء 24 يوليو 85

إضافة لصواريخ الأمس التي ما زالت جاهزة، جهزنا صاروخا رابعا بواسطة جهاز التحكم. جاءت طائرة في الثامنة والربع صباحاً ولكنها لم تهبط لأسباب نجهلها. ولكن الهيلوكبتر والنفاثات شنّت غارات عنيفة حتى الثانية عشر ظهرا.. طائرة صغيرة جاءت إلى المطار مرتين ولم نطلق عليها . طائرة استطلاع (أنتينوف 12) تحلق فوق المنطقة منذ الصباح بدون

إنقطاع من إرتفاع عال.كان تفسيرنا لما يحدث هو أن العدو لديه طائرة هامة جداً تريد الهبوط. وأن إجراءات السلامة صباحاً لم تكن مقنعة، لذلك عادت الطائرات الصغيرة للغواية كالعادة، والغارات العنيفة للقضاء على مصادر النيران... إذن بقي أن تأتي الطائرة في أي وقت وعلينا بالصبر..

وضعنا صاروخين إضافيين لجهاز التحكم وكنا على إستعداد لمعركة طويلة... وأخيرا وصلت طائرة النقل أطلقنا عليها بجهاز التحكم فانطلق صاروخ واحد فقط وصل إلى مدرج المطار.

عدم إنطلاق الصواريخ بالرومت كان يضيع علينا فرصاً كبيرة إضافة للمشقة الكبيبرة في صعود الجبل مرات متكررة لإصلاح الأعطال أو تبديل طريقة الإطلاق... أما أجهزة اللاسلكي التي أحضرناها فقد تركناها في مغارة علي بابا تحت الصخور، وحاولنا عدم تحطيمها، من شدة الغيظ.. فهي تلتقط الكلام عندما يكون الشخصان يرى كل منهما الآخر وعلى مسافة معقولة.. كان يمكن الإستعاضة عنها بحناجرنا القوية. ولا داعي لحملها وهي كبيرة الحجم قابلة للكسر.

عبدالرحمن شن حملة عنيفة على جهاز التحكم وأقسم ألا يستخدمه مرة أخرى بعد أن خذلنا في معظم الحالات وكلفنا ما لا نطيق من المشقة في صعود الجبال مرات عديدة وأضاع فرص ضرب الطائرات في وقت تواجدها.

حاولت تهدئة ثائرة عبدالرحمن وأسميته يومها (عدوالتكنولوجيا) وعدنا مرة أخرى إلى مصائد الفئران، على الأقل كوسيلة رئيسيه يعتمد عليها.

وهذه ملاحظات كتبتها في ذلك اليوم:

1- قام العدو بعمل جسرجوي فوق العادة خلال ثلاثة أيام (20-21-23يوليو) وبمتوسط 15 طائرة نقل كبيرة كل يوم.

2_ يقوم العدو بعملية إستطلاع جوي لمدة سبع ساعات يوميا من الثامنة صباحاً وحتى الثالثة عصراً.

الإستنتاج:

يجري الآن الإعداد لبرنامج موسع ضد المجاهدين في خوست بعد تحديد مواقعهم وأسلحتهم بواسطة الإستطلاع الجوي، وغارات جس نبض بواسطة طائرات الهيلوكبتر والنفاثات (الجت).

سيزداد المجهود الجوي للعدو في الفترة القادمة بغرض تحطيم مراكز المجاهدين وتأمين المطار.

القوات التي وصلت حديثاً وكذلك الأسلحة، سوف تستخدم في هجمات معاكسة على المجاهدين في عدة مناطق خاصة حول المطار لتوسيع نطاق الأمن. وأيضاً ضد المجاهدين في الوادي (كان رجال حقاني ما يزالون في منطقة لاغري) .

الجمعة 26 يوليو 85

اليوم سوف يهاجم المجاهدون أحد حصون العدو على جبل (دروازجي). جماعة جيلاني بقيادة (دادمير) سيقومون بالهجوم.. مروا علينا في مغارة السعادة صباحاً.. عرضوا علينا الإشتراك معهم.. تحمس أبوحفص وعبدالرحمن وبصعوبة منعتهم من الذهاب والحجة كانت بسيطة..هناك عشرات يتوجهون لعملية الهجوم.. فكم شخص يمكنهم مهاجمة المطار بدلاً عنا؟ بالفعل كنا الوحيدين القائمين بهذا العمل بفعالية كبيرة رغم الإمكانات البدائية.. وحتى مدفع عبدالملك كان يضرب بدون خطة واضحة وبدون إستطلاع لأرض المطار.. وضعنا صاروخ فوق جبل منان وصواريخ أخرى في أماكن متفرقة..

أبو حفص أطلق صاروخاً بجهازالتحكم فسقط في منتصف المطار وأصاب طائرة صغيرة

رأيناهم يسحبونها إلى الطرف الشرقي خارج المدرج. أطلقنا صاروخين على طائرتي نقل كبيرتين هذا اليوم. وفي كل مرة نتلقى الردود التقليدية من جانب العدو.. ولا نعلم شئ عن خسائره بالطبع.. عند العصرنجح المجاهدون في الإستيلاء على القمة التي هاجموها.. بعد قتال شديد جداً عند العصر.

السبت 27 يوليو 85

على غيرالعادة بدأت طائرات الهيلوكبتر في العمل في السادسة إلا عشر دقائق صباحا وضربت بعنف قمة الجبل الذي إستولى عليه المجاهدون بالأمس. وساندتها المدفعية... كما واصل العدو قصفه المدفعي لجميع قمم الجبال في المنطقة وكنا في ذهول لذلك الإسراف في الذخائر مع كون العدو غير متأكد من وجود المجاهدين على أي قمة... أصيبت القمة التي نحن عليها (مغارة علي بابا) بعدة قذائف مباشرة... فبقينا تحت الصخورلفترة حتى يتوقف القصف.. تحركنا إلى مغارة السعادة.. علمنا هناك أن العدو قد إستعاد القمة التي فقدها بالأمس.. إستشهد واحد من المجاهدين وجرح بعضهم.. أخذ المجاهدون غنائم من الموقع. تحركنا لمباشرة عملنا..هالنا ما شاهدناه من صواريخ الهيلوكبتر المغروزة في الجبال وفي الأرض...كنت مع عبدالرحمن في الساحة خاف جبل منان حين داهمتنا طائرة هيلوكبتر.. قفزنا في إحدى الحفر ويظهر أنها لم ترنا..ولكنها أفرغت حمولتها من الصواريخ في تلك الساحة بصلية واحدة.. ثم غادرت صوب المطار.. هل أصبحت منطقتنا مشبوهة إلى تلك الدرجة ؟؟.. أظنه كان إجراءاً احتياطياً، فلم يكرروا هذا العمل عندنا مرة أخرى.. بلا شك أن السوفييت سوف يفلسون إذا ظلوا يعملون على هذا المنوال.

كنت مغرماً بقراءة تاريخ إنتاج قذائف العدو.. ومن شظايا صواريخ الهيلوكبترعرفت أن بعضها من صناعة نفس العام 1985 أسعدني ذلك لأنه يعني أن المخزون السوفيتي من تلك الذخائر قد إنتهى، وأن الإنتاج يخرج من المصانع إلى الجبهة مباشرة!!. إنهم سوف يفلسون بلا شك.. ولكن هل نجد يوماً إحصاءاً منشوراً عن عدد أطنان المتفجرات التي فجرها السوفييت في بلاد الأفغان.. الأمل في ذلك ضعيف.. وأظن أنها أرقام مذهلة وغير مسبوقة في أي حرب مضت.

الأحد 28 يوليو 1985

في الصباح وجهنا صاروخين يعملان بجهاز التحكم.. وعند العمل لم تنطلق... زادت نقمة عبدالرحمن على (التكنولوجيا) وإتهمها بأنها متواطئة مع الكفار!. إلى الشمال الشرقي من مقهى السعادة هناك منطقة تلال تظهر لنا وكأنها منبسطة وهي منطقة متسعة تمتد عميقاً إلى الجنوب.. لاحظنا أن طائرات الهيلوكبتر تقصفها بعنف.. ظننا أنهم شاهدوا مجموعة للمجاهدين هناك. والواقع أنهم كانوا يطهرون المنطقة تمهيداً لتقدم جنود المشاة. لم نكتشف ذلك إلاعصراً.. إذن ميمنتنا أصبحت مهددة.

مدفعية العدو تقصف مراكز المجاهدين الخلفية. مركزنا الخلفي وصلته عدة قذائف. عند الظهر شاهدنا منظراً عجيباً. عشرات الجنود يسيرون على خط الأفق فوق سلسلة جبال (دروازجي). خط طويل من الجنود في غيرحالة التأهب. وأيضا عدداً من الأفغان يرتدون الزى الأبيض والعمائم البيضاء يتجولون فوق قمة الجبال وسط الجنود.. ماذا يحدث؟.

خمنا أن ما نشهده هو عملية تبادل للجثث بين الحكومة والمجاهدين على إثر المعارك الأخيرة. فالمنظر سلمي تماماً..

الحقيقة غير ما توقعنا.. ما كنا نشاهده هو تعزيزات حكومية جديدة والجنود يحتلون مزيداً من

الجبال على نفس الخط بدون تقدم إلى الأمام.. وأصحاب الثياب البيضاء الذين ظنناهم علماء أو طلاب علم ليسوا سوى جنود ميليشيات ،أوقادة ميليشيات من سكان المنطقة يعملون كأدلاء للقوة الشيوعية إلى جانب القتال معهم ضد المجاهدين. إلى الغرب من (دروازجي) يوجد جبل (تورغار) الرهيب الذي إزدحم هو الآخر بعشرات الجنود يتحركون هنا وهناك.
بدأنا نشعر بالقلق، قد تكون الحكومة على وشك القيام بهجوم شامل على منطقتنا.. لا بد من الإتصال مع المجموعات الأخرى حولنا لمعرفة الأخبار وتنسيق العمل.
ذهب أبو حفص وعبدالرحمن إلى مقهى السعادة لمعرفة الأخبار هناك، فقد أصبحت نقطة التقاء متعارف عليها للمجاهدين الذين يعبرون المنطقة من وقت إلى آخر. وذهبت مع أبي عبيدة العراقي إلى مركز متنقل إتخذه منان وجماعته في الوادي على مسيرة نصف ساعة من (مغارة علي بابا).. وجدنا جماعة منان متناثرين بين الصخور في الوادي القريب والشِعاب المتفرعة منه.. وإلى جانب جداول الماء. كانوا جنود عصابات بالفطرة. طائرة هيلوكبتر مرتفعة تتفحص الوادي..
وأخرى تقصف في مكان قريب.. الطائرة فوقنا تتفحص مكاننا تماماً.. فهو وكر مثالي للاختباء. زحفنا إلى نقرة تحيط بها صخور عالية لا يمكن إصابة من فيها إلا بقذيفة هاون. إبتعدت الطائرة وسألنا عن منان قالوا إنه غير موجود وأنه مشتبك مع قوات الحكومة شرق (دروازجي).
تركت أبا عبيدة معهم فقد كان مريضاً وذهبت مع شخص آخر من جماعة وزيرستان إلى مغارة (علي بابا) ولم يلبث أبوحفص وعبدالرحمن أن جاءا وقد غسلهما العرق. أخبراني بأن الحكومة تتحرك من جهة الشرق وأيضاً من الخط الأمامي أي تتقدم نحونا. وأن منان قد إشتبك معهم و يحاول تأخيرهم. وأن الوضع سيء جداً.
إتخذنا قرارات سريعة.. أولاً: عمليتنا الخاصة بالمطار قد إنتهت إلى حين إشعار آخر.. ثانياً: كل أدواتنا في مغارة (علي بابا) تُنقل إلى مركزنا الخلفي ثالثاً: الصواريخ المخبأة في منطقة عملياتنا تُطلق بالتوقيت ضد القوة الحكومية أو المطار إذا كانت به حركة.. أو تُخبأ إلى حين عودتنا مرة أخرى للعمل.
تحرك أبوحفص وعبدالرحمن لتطبيق البند الأخير.. وأخذت مع مرافقي تنفيذ البند الثاني وإخلاء مغارة (علي بابا) من محتوياتها. إضطررنا للإستعانة بزوج من الحمير الأصحاء كانا في خدمة جماعة منان.
في الساعة السادسة مساءاً أطلق أبوحفص وعبدالرحمن صاروخان على المطار دفعة واحدة ضد طائرة شحن كانت متوقفة هناك.
ثم صاروخين في إتجاه منطقة تجمع القوات، وكانت قد كدست معدات كثيرة إلى منطقة الشرق وإحتل الجنود تلاً مرتفعاً في شرق الساحة المتمركزين فيها. في منتصف الليل سمعت إنطلاق الصاروخين موقوتين وكنت مستغرقاً في النوم وسط الوادي.. ورجال منان متبعثرون هنا وهناك وقد ناموا على الأرض بدون فرش أو غطاء بإستثناء الرداء (الباتو)..

الإثنين 29 يوليو 1985

نام الجميع في العراء أو تحت الصخور.. وقد طرحهم الإنهاك أرضاً فلم يحرس أحد ليلاً.. توضأنا لصلاة الفجر من نبع قريب ثم تحركنا جنوباً صوب مركزنا. تاركين بضاعتنا أمانة لدى البدو (الكوتشي) حتى نحضرالسيارة لنقلها. قضينا فترة الظهيرة في مركزنا الخلفي..

إستحممنا وغسلنا ملابسنا وشربنا الشاي الأحمر. حضر منان إلينا وطلب معونة فنية في إطلاق صواريخ على قوات العدو بواسطة الرومت والتوقيت بهدف إرباكهم وتأخيرهم.. ذهب معه عبدالرحمن وأبوحفص. فأطلقوا على العدو أربعة صواريخ بالتحكم عن بعد . وسبعة صواريخ بالتوقيت.. عاد الجميع سعداء بالنتائج. حضرت سيارة (سمير جول) ونقلنا مهماتنا إلى المركـ ز الخلفي في منطقة (باري).

الاثنين30 يوليو 85

قضينا اليوم في باري. وتحركنا إلى مركز قريب من الحدود يدعى (مركز ميش)وهو إحدى (القرى الهادئة) لمجاهدي وزيرستان. قررنا العودة ليلاً إلى ميرانشاة عن(طريق التهريب) فهناك مضايقات من الميليشيات على الطريق وقد يقبضون علينا. فهم يفتشون (عن الأجانب) ويمنعونهم من عبور الحدود، ويسوقونهم إلى المحكمة في بشاور.

نجحت عملية تهريبنا ووصلنا إلى ميرانشاة في الحادية عشر ونصف ليلاً. المدينة مهجورة وخطيرة في هذا الوقت حيث ينتشر قطاع الطرق القتلة. تعشينا ونمنا حتّى الصباح.

الثلاثاء 31 يوليو 1985

تحركت مع أبي حفص إلى بشاور. فلا بد أن أصل أبوظبي غداً قبل أن تنتهي إقامتي هناك وتصبح لاغية حسب القانون الذي ينص على إعتبار الإقامة هناك منتهية إذا تجاوزت مدة الغياب عن الدولة ستة أشهر. وبذلك كان لي زيارتان إجباريتان كل عام إلى الإمارات. ولكنها كانت زيارات نافعة جداً... لعملي الصحفي وللقاء أعضاء لجنتنا الموقرة هناك.. ولرؤية العديد من الأصدقاء والمهتمين بموضوع أفغانستان.

تركنا أبوعبيدة العراقي كي يعالج في مستشفى ميرانشاة. أما عبدالرحمن فقد حمل رسالة إلى حقّاني حول برنامجنا وتطورات الوضع في باري وعن سفري.

الأربعاء أول أغسطس 1985 .

من إسلام آباد أقلعت بي الطائرة في العاشرة والنصف وصلت كراتشي في الثانية عشر والربع بعد ساعتين توجهت إلى صالة الترانزيت لركوب الطائرة إلى الإمارات، رفضوا أن أغادر لكوني لم أحصل على تصريح مغادرة من الشرطة في إسلام آباد حيث أقيم. مدير جوازات المطار طلب مني كتابة طلب للمغادرة كي يوقع عليه بالموافقة، وقد فعلت.

لقد تساهل معي لكوني صحفي ولكونه يعرف جيراني في إسلام آباد. لقد كانوا يعاملوننا بلطف زائد في ذلك الوقت حتى شعرنا خطأًبأن باكستان هي وطننا الأول. وليس غريباً أن أقول بأننا كنا مخطئين بل مغفلين. لقد كانوا لطفاء معنا ليس لأننا مسلمون أو عرب أومجاهدون أو أي شئ آخر سوى أنهم تلقوا أوامر أمريكية كي يعاملونا بهذه الطريقة... وعندما تلقوا أوامر أمريكية أخرى... عاملونا بطريقة مختلفة تماماً.

كنت فى الإمارات بينما جلال الدين حقانى و فتح ا حقانى كلاهما فى الحج ولم أكن أعلم بذلك في وقتها،حتى تناقلت الوكالات أنباء الحمله السوفيتيه الواسعة على محافظه (باكتيا) ثم قرأت نبأ إستشهاد مولوى أحمد جول فى برقيات وكالات الأنباء .

وكنت وقتها فى زياره لجريده الفجر .

حاولت الإتصال بجلال الدين حقانى من خلال مندوبه فى أبو ظبى مولوى غازى مرجان .

وكنا فى حيره هل هو فى الحج أم فى المعركة ؟ ولم يلبث أن وصلنا نبأ إستشهاد مولوى فتح ا حقانى الذى إلتبس علينا أسمه مع إسم جلال الدين فإنتابنا هم شديد حتى كاد صديقى

المنياوى أن ينهار من الحزن .
عدت بسرعه إلى إسلام أباد والمعركه تلملم أذيالها .. وتقابلت مع حقانى بعد إنتهائها ثم زرت المنطقه وحصلت على التتفاصيل ثم كتبت لجريدة الإتحاد التقرير التالى عن المعركه وبعض أسرارها .

خوست/ مقبرة الجنرالات

الاتحاد أول صحيفة في العالم تحصل على تفاصيل أضخم حملة عسكرية في تاريخ أفغانستان

- كيف بدأت الحملة العسكرية ضد باكتيا.. وكيف إنتهت؟
- تفاصيل وأسرار أضخم حملة يقوم بها السوفييت في أفغانستان؟
– أهمية ولاية باكتيا لدى المجاهدين تفوق أهمية ممر سالانج لدى القوات السوفييتية.
– قدرة (مسعود) جعلت بانشير أخطر قاعدة لضرب السوفييت، وقيادة (حقاني) أبقت خطوط الإمداد سليمة.
– قاعدة جاور الهدف الأول للحملة السوفييتية على خوست .
–الجنرال الدموي يعلن: سأشرب الشاي في (جاور) .
وحقاني يرد عليه : مكانين لن يدخلهما الشيوعيون (الجنة) و (جاور) .
– الطرق الجديدة التي شقها المجاهدون في الجبال مكنتهم من تحقيق مفاجآت تكتيكية حاسمة .
–عندما نزلت دبابات حقاني إلى وادي خوست في أول معركة مكشوفة لدبابات المجاهدين.
–الشهيد فتح ا حقاني يقهر الجيش الأفغاني بواسطة دبابة صعد بها إلى قمة جبل (جاور) .
– وزيرالداخلية الأفغاني يتحدى رئيس الأركان :
(أتنازل لك عن زوجتي إذا استطعت إحتلال جاور).
– رئيس الأركان يتولى قيادة عملية الإستيلاء على جاور ويطلب من وزير الداخلية الإستيلاء على مناطق (جدران) .
– لماذا إختار (شاه نواز) التقدم أولاً إلى جاجي ثم إلى خوست.
– بعض الجماعات تحرق أسلحتها ومهماتها وتفر إلى باكستان.
– أطل شاه نواز على (جاور) فتحققت أول وحدة حقيقية بين جماعات المجاهدين.
– التبرعات من لحوم الأضاحي حولها المهاجرون إلى جبهات القتال.
– المعركة أثارت حماس المهاجرين وتقدم المئات بأسلحتهم للدفاع عن باكتيا.
– اللحظات الأخيرة في حياة (شاه نواز) :
فقد الجنرال السيطرة على قواته وإنتابه هياج عصبي حاد.
– خلال الإجتماع الجنائزي في خوست طهر حقاني مناطق (ليجاة) و(باري) وأعاد الموقف لما كان عليه قبل الهجوم.

رسالة أفغانستان: تحقيق، وتصوير: مصطفى حامد

قاعدة جاور1985م

جبل رغبلي
5 كم

إذاعة
مضافة

مطبخ
مسجد

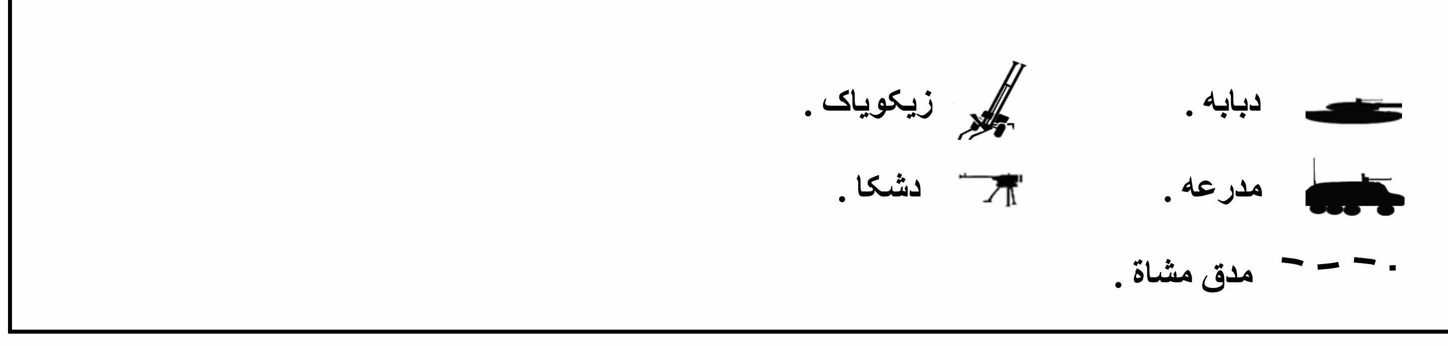
حطام
طائرات

مخزن
ورشة

سجن
مسجد
حراسة

موقف طوارئ
للسيارات

ميرانشاه
12 كم



كانت أغرب حملة عسكرية في تاريخ الحرب الأفغانية..كما أنها كانت الأضخم بشهادة الجميع.
إنها حملة خوست التي كان من المفروض أن تنتهي بسيطرة القوات السوفييتية على ولاية باكتيا ومنافذها الحدودية، ومسالكها الجبلية التي تمر فيها أكثر من80% من إمدادات القتال في أفغانستان.
والآن إنتهت الحملة.. ولم تحقق شيء.. فكيف؟؟.. فما هي أسرار هذه الحملة التي وصفتها جميع مصادر المراقبين بأنها أشرس حملة قتال في تاريخ أفغانستان؟
لقد إنفردت الإتحاد بنشر الخطوات الأولى التي مهدت لهذا الصدام.. وغطت جانباً من التطورات الأولية التي رسمت مسيرة هذا القتال.. ولكن جاء وقت لكي تكشف فيه بعض الأسرار التي لم يكن من المناسب أن تنشر في ذاك الوقت..
والآن توصلت (الاتحاد) إلى أدق تفاصيل وأسرار هذه الحملة.
ونبدأ في نشر جانب من هذه الأسرار بقدر ما تسمح به ظروف المواجهة التي ما زالت قائمة رغم إنتهاء تلك الحملة التي بدأت في منتصف مايو وإنتهت بنهاية شهر سبتمبر الماضي1985م

عام الحسم:

كان من المفروض أن يكون عام1984م،هو عام الحسم العسكري في أفغانستان. هكذا أعلن السوفييت بقوة على لسان (بابراك كارمل) .
وبدأ السوفييت يدفعون بفرقهم العسكرية لأول مرة لكي تأخذ على عاتقها تدمير مراكز تجمع المقاتلين الأفغان وقواعدهم. لقد فقد السوفييت ثقتهم في الجيش الأفغاني رغم أن تعداده الذي تدنى إلى ثلاثين ألف جندي قد عاد وإرتفع إلى ستين ألف. وتم تجديد الأسلحة القديمة وإستبدالها بمعدات أحدث. ولكن الروح القتالية لدى الجنود كانت في تدهور مستمر.
وحتى تنجح حملة واسعة كالتي يخطط لها السوفييت كان لا بد لهم من الإعتماد على قواتهم التي إكتفت منذ دخولها أفغانستان بحماية العاصمة كابول التى يخصص لها ثلث القوات السوفييتية تقريباً، وحماية طريق الإمدادات من الأراضي السوفييتية حتى كابول عبر ممر سالانج وهو طريق الإمداد الرئيسي لقواتهم. ثم حماية القواعد الرئيسية مثل قاعدة باجرام الجوية شمال كابول وقاعدة (شيندند) القريبة من هيرات، وغيرها.
أما المشاركة في العمليات فقد إحتفظ السوفييت لنفسهم بدور المستشارين العسكريين في كافة المستويات القيادية من قيادة الجيش إلى قيادة الفصائل الميدانية. هذا إلى جانب إحتفاظهم بالدور الأساسي في السلاح الجوي العامل، مع إشتراك وحدات الكوماندوز السوفييتية في عمليات لها أهمية خاصة وعلى المناطق المجاورة للحدود السوفييتية.

بداية مشجعة:

لقد صادفت الحملات السوفييتية نجاحاً مشجعاً في مناطق عديدة مثل المناطق المحيطة بكابول والمناطق الحدودية مع إيران.. والمناطق الحدودية مع الإتحاد السوفييتي.
وكان النجاح حليفاً لهذه القوات الضخمة والمزودة بالآليات والمدفعية الثقيلة والصاروخية إلى درجة مبالغ فيها وفوق طاقة العمليات نفسها.. فليس في مقدور قوات حرب عصابات التمسك بالأراضي والدفاع عنها ضد قوات نظامية كثيفة كهذه.والذي يحدث عادة إذا كانت لدى قوات المجاهدين قيادة جيدة هو مناوشة القوة المهاجمة وإخلاء القواعد وعند إنتهاء الهجوم تبدأ قوات

المجاهدين في الإنقضاض على القوة العائدة ومهاجمتها وإيقاع خسائر شديدة بها.
وإذا ترك السوفييت قوات للحفاظ على الأرض.. فتكون فرصة المجاهدين في مهاجمتها ليل نهار حتى تطردها من المنطقة أو تبيدها.
لم يتمكن من تطبيق هذه التكتيك بشكل جيد غير أحمد شاه مسعود في بانشير.
وبهذا إستطاع أن يمتص سبعة حملات ضخمة على وادي بانشير وأن يعيد السيطرة على الوادي أو معظمه في كل مرة.
ولم يتمكن السوفييت من سحق رجال مسعود خلال عام 1984 وهو العام الذي تحدد للحسم العسكري فأعادوا المحاولة في شهر يونيو الماضي ولكنها فشلت أيضاً.
وهكذا ظلت القاعدة الأخطر للعمل العسكري في أفغانستان سليمة وظل الخطر معلقاً على رقاب السوفييت.

الإفتقار إلى قيادة

المناطق الأخرى في أفغانستان كانت تفتقر إلى قيادات عسكرية قادرة على التنظيم وبعضها كانت منهكة من الصراعات الحزبية والفوضى والفساد وبعض هذه السلبيات ذات صلة بالأوضاع المحلية وأكثرها جاء إنعكاساً للتفسخ الحادث في بشاور.
والنتيجة أن الحملة السوفييتية عام 1984م، زادت الأوضاع تأزماً في تلك المناطق. وأصبح إستعادة المقاومة الأفغانية لعافيتها يحتاج إلى مجهودات شاقة.
وكان هناك إستثناءات قليلة مثل حالة (اسماعيل خان) الذي يقود مجموعات متحركة في هيرات ويمتلك قدرات تنظيمية وقتالية كبيرة ولكن مشكلة الجبهة الغربية أنها تعاني من إنعكاسات الأوضاع في إيران بشكل أضعفها كثيراً، ويعاني (اسماعيل خان) من عجز دائم في الذخائر والطعام ومشاكل تنظيمية أخرى، والإنجاز الأكبر لهذا القائد يتمثل في إستمرار المقاومة وعدم توقفها. بل أنه يوجه من وقت إلى آخر ضربات قوية للقوات الحكومية والسوفييتية.كان هناك إستثناء آخر وهو القائد(ذبيح ا) وكان يعمل في المناطق الملاصقة للحدود السوفييتية وعلى تنسيق وإرتباط تنظيمي مع مسعود في بانشير. ولهذا أصبح يشكل خطورة كبيرة في تهديد طريق إمداد الجيش السوفييتي بل وعلى أمن المناطق الحدودية السوفييتية.وكان (ذبيح ا) على قدرة في تفادي حملات (السحق) السوفييتية والرد عليهم بغارات سريعة مدمرة. ولم تنجح الحملة السوفييتية في القضاء على (ذبيح ا) ورجاله. ولكن جماعة أخرى من (المجاهدين) !! إغتالت (ذبيح ا) وقدمت بذلك أكبر خدمة للسوفييت لتأمين قواتهم وحدودهم.

باكتيا - سالانج

طوال الوقت كانت أعين السوفييت على باكتيا، فلهذه المحافظة الحدودية أهمية (لوجستيكية) لدى المجاهدين تفوق أهمية ممر (سالانج) لدى السوفييت.
فإغلاق (سالانج) يمكن تعويضه بجسور جوية ضخمة لإمداد القوات السوفييتية بالمؤن والذخائر.
وهذا في مقدور السوفييت ولكن إغلاق ممرات باكتيا سيحرم أكثر من **80%** من مناطق المجاهدين داخل أفغانستان من الإمداد بالذخائر والمؤن والرجال.
وبمعنى آخر إذا سيطر السوفييت على باكتيا لانتهوا بذلك من **80%** من مهمة إخضاع أفغانستان كلها.لم تكن تلك المهمة يسيرة ولهذا أجلها السوفييت كل هذا الوقت وإكتفوا بإلتزام سياسة دفاعية.لقد إحتفظوا في عاصمة الولاية بقوة مقدارها 30 ألف جندي ثلثها من السوفييت وقاموا بتوسيع مطار المدينة حتى أصبح من المطارات المعدودة في أفغانستان وبحيث أصبح قادراً على

استقبال الطائرات النفاثة.
وكل هذه القوة كانت بمثابة قوة ردع تقوم بعمليات تأديبية من وقت لآخر.
لقد حاول الحكم الشيوعي في كابول عدة مرات السيطرة على الطرق الرئيسية والممرات في باكتيا وغامر بدفع قواته المدرعة والمشاة إلى تلك الطرق في عدة حملات وكانت النتيجة فقدان فرقتين عسكريتين بالكامل دخلت إلى الممرات الجبلية ولكنها لم تعد. ومن يومها أقرت السياسة الدفاعية في باكيتا ولم تتغير حتى عندما إحتلت القوات السوفييتية البلاد بواسطة 150 ألف جندي بجانب 60 ألف جندي حكومي.

حقاني في باكتيا :

في باكتيا تعيش أكثر القبائل الأفغانية شجاعة وبسالة في القتال ولكنها قبائل ترفض أي نوع من السيطرة غير القبلية، لهذا كانت وما تزال عملية تنظيمها عسكرياً عملية شاقة.
ولكن ظهور شخصية قائد عسكري فذ مثل جلال الدين حقاني هو في نفس الوقت من علماء الدين البارزين إستحوذ على إعجاب تلك القبائل. وأصبح حقاني قادراً على تجميع معظم هذه القبائل في عمل عسكري واحد وعلى درجة من التنظيم لم تعهدها باكتيا من قبل.
ولم تشهد باكتيا الصراعات الحزبية الدامية كما شهدتها مناطق أفغانية أخرى. لهذا توقف الإفساد الحزبي عند حده الأدنى في باكتيا.
وبرز حول حقاني مجموعة من القادة العسكريين العلماء من خيرة قادة العمليات في البلاد من أمثال أحمد جول وفتح ا حقاني وبختر جان ومحمد حسن وغيرهم وقد إستشهد أحمد جول وفتح ا في العمليات الأخيرة. كل هذا جعل الثقل المتجمع حول حقاني هو العقبة الرئيسية في إخضاع باكتيا ويضمن بقاء هذا الشريان مفتوحاً أمام قوافل المجاهدين.
ولكن حقاني مثله كباقي القيادات الميدانية البارزة لم ينج من محاولات التحجيم أو (الإزاحة) من جانب زعامات(المهجر) في بشاور.
لقد تعرض مسعود لعمليات قطع طرق الإمداد ليس فقط بواسطة القوات السوفييتية بل أيضاً بواسطة قوات حزبية مدعومة من بشاور.
أما ذبيح ا فكانت طرق إمداده تمر عبر باكتيا بضمان جلال الدين حقاني الذي أنشأ مخازن تموينية خاصة بقوافل (ذبيح ا). وكان الرجلان على معرفة وثيقة عبر تبادل الرسائل و لكنهما لم يتقابلا أبداً.. حتى أغتيل (ذبيح ا) على أيدي قوات حزبية.

حصار إقتصادي:

لم يكن ممكناً لكي يتم تحجيم حقاني بأن تقطع خطوط إمداده بواسطة قوات حزبية. لأن حقاني هو الذي يمسك بين يديه بعصب الإمدادات لمعظم أنحاء البلاد. كما أن أي مغامرة لإزاحة حقاني بالطريقة التي أُزيح بها (ذبيح ا) ستهيج قبائل باكتيا ضد المعتدي ولن تجعله يطأ أرض أفغانستان مرة أخرى. لهذا كانت محاولات تحجيم حقاني تعتمد على سلاح الإقتصاد أو الحصار الإقتصادي. فكانت تحبس عنه المساعدات بشتى السبل وكانت المساعدات القادمة من الخارج إلى بشاور لا تعرف طريقها إلى حقاني.
فكان يلجأ لتمويل عملياته وإطعام رجاله إلى الإستدانة من تجار القبائل. ولكن إذا وصلت ديونه إلى رقم السبعة ملايين كانت تتوقف تلك التسهيلات (البنكية)، وبالتالي تخفت نشاطات حقاني تدريجياً إلى حدها الأدنى. وكانت تلك هي الطريقة الوحيدة أمام الحزبيين لتحجيم حقاني.

وجاءت الحملة الأخيرة لتقلب ضمن أشياء كثيرة معادلة الحصار الإقتصادى، بل وضعت الدوائر الحزبية تحت دائرة الإتهام وأصبح التخلص من تأثيراتها السلبية على الجهاد مطلباً دينياً وقومياً لدى المقاتلين الأفغان.
ولا يكاد برنامج إصلاحي لتعديل الإنحرافات الحادثة إلا ويحتوي على محاولات لتخطي الصيغة الحزبية الكريهة.
القواعد والطرق إنجازين هامين لجلال الدين حقاني أكسبت المجاهدين في باكتيا مزاياالستراتيجية علي العـدو.. وكـان تـدمير تلـك الإنجـازات علـى رأس أولويـات الحملـة الأخيـرة، كما أفاد بذلك عضوين من كبار ضباط (خاد) جهاز الإستخبارات الأفغانية. وقعا أسيرين في عمليات المجاهدين على مدينة خوست.وأكد ذلك أيضاً ضباط عاملين في الجيش الأفغاني إنضموا إلى المجاهدين أثناء تلك العمليات أيضاً. أول تلك القواعد المستهدفة كانت قاعدة (جاور) .وهي القاعدة التي زارتها صحيفة الاتحاد وتحدثت عنها في تاريخ (85/8/8) وبدون ذكر إسم القاعدة. ولم يقتصر الأمر على ضباط الإستخبارات أو ضباط الجيش بل أن رئيس الأركان الجنرال(شاه نواز تناني) أثناء تواجده في خوست لقيادة العمليات أعلن بنفسه من إذاعة المدينة أنه سيشرب الشاي في قاعدة (جاور).
وكان للجنرال سمعة عسكرية عالية فهو يحمل أوسمة التقدير من حكومة كابول وله خبرة واسعة في العمليات الكبيرة في هيرات وبانشير وكونار وهي أهم الحملات في الحرب الأفغانية وكان للجنرال باع طويل فيها كرجل كفؤ وشجاع ودموي أيضاً. والغريب أنه من مواليد ولاية باكتيا التي جاء لكي يقهرها ويخضعها للسوفييت. [3]

جاور و (الجنة):

وكان لتصريح (شاه نواز) في الإذاعة وقع سيء على نفوس القبائل وأدرك جلال الدين خطورة الحرب النفسية التي يشنها السوفييت والحكومة عبر إذاعتي خوست وكابول.
لجلال الدين محطة إذاعة في قاعدة (جاور) فإطلق رده المشهورعلى تصريحات رئيس الأركان وقال جلال الدين للمجاهدين إن الشيوعيين لن يدخلوا مكانين هما (جاور) و (الجنة)!!.
وكانت كلمات العالم البارز والقائد العسكري المشهور كافية لإحباط الحرب النفسية للجنرال شاه نواز وحكومة كابول. وذلك قبل أن تحسم المعركة فوق جبال خوست.
ولقاعدة (جاور) عدة نماذج نشرها حقاني في بكتيا وأختيرت مواقعها بعناية تامة، بحيث يصعب التأثيرعليها بالقصف الجوي حيث أنها عبارة عن كهوف ضخمة في الجبال.كذلك فإن إقتحامها عملية تستدعي قوات أرضية كثيفة ومعارك طويلة باهظة التكلفة في الأرواح والمعدات بالنسبة للمهاجمين.
وفي نفس الوقت فإن إغضاء الطرف عنها يكلف القوات الحكومية والسوفييتية الكثير.
فهذه القواعد تختزن كميات هائلة من المؤن والذخائر إلى جانب الخدمات الأساسية للمجاهدين مثل الخدمات الطبية والتدريب والتعليم والخدمات الإدارية.
ويتفرع عن القاعدة نشاط عسكري يغطي مساحات واسعة حولها. وأحياناً تقدم خدماتها إلى محافظات مجاورة مثل لوجار وغازني وباكتيكا.
إذن من غير المعقول أن تخضع باكتيا قبل تدمير هذه القواعد وإحتلالها. وفي مقدمة هذه القواعد كانت قاعدة (جاور) القريبة من الحدود الباكستانية جنوب خوست وأيضاً لأنها تحتوي

على محطة إذاعة قوية الإرسال يصل مداها إلى عمق أفغانستان.

الطرق .. والمفاجأة :

الطرق التي شقها المجاهدون كان لها تأثير جذري على سير المعارك. فقد ركز حقاني طوال سنوات ليس فقط على إنشاء القواعد الجبلية بل أيضاً في مد طرق جديدة بين الشعاب وبين القمم الجبلية بحيث تصلح لمرور الآليات.

وبهذا أصبح في إمكان المجاهدين إستخدام السيارات لنقل المؤن والعتاد حتى خطوط القتال القريبة من العدو وحتى قمم جبلية لم يكن يصلها في السابق غير البغال وبشق الأنفس.

بل إستطاع جلال الدين أن يفاجيء قوات الحكومة في موقع (ليجا) بأن تقدم بالدبابات لتظهر فجأة على يمين القوة في الوادي وتفتح نيرانها عليها فسبب ذلك إرباكاً ضخماً وتجمعت أكثر القوات المخصصة للدفاع عن خوست لتدافع عن (ليجاة) فإلتف رجال الدين برجاله من يمين القوات المتمركزة أمامه ليحتل مواقع في منتصف وادي خوست عند (لاغوراى) وخلف القوات المتمركزة ودمر عدة تجمعات للميليشيا وجنود الحكومة.

وظلت القوات الحكومية في خوست تعاني من هذه الضربة حيث تمكن جلال الدين من عزل المراكز والحصون الحكومية في الطرف الغربي من الوادي وأصبح يضرب كل محاولة لتموينها. وظل الوضع هكذا حتى تقدمت القوات الحكومية من (جارديز) لتفك الحصار حول (خوست) التي وصلها أكثر من عشرة آلاف جندي إضافي فاضطر جلال الدين إلى سحب قواته مرة أخرى إلى المرتفعات حتى لا يتعرض للحصار والإبادة في الوادي المكشوف.

وكان طول فترة بقائه في الوادي قد تحصن داخل مجاري السيل الجافة. والتي كان عمق بعضها يبلغ مترين أو أكثر وحولها بسرعة إلى تحصينات طبيعية وحفَر في جدرانها المغارات. وحولها المجاهدون إلى كمائن حصينة لم تؤثر فيها غارات الطيران أو القصف الصاروخي الشديد الذي إنصب عليها.

دبابة فوق الجبل.

لقد ساهمت تلك الطرق في تحقيق مفاجأة تكتيكية أخرى كانت حاسمة في الدفاع عن قاعدة جاور.فقد إهتزت صفوف المجاهدين بعد إستشهاد القائد المشهور مولوي أحمد جول بقذيفة هاون أثناء دفاعه عن جبال منطقة ليجاة التي حاولت الحكومة إحتلالها والتقدم عبرها إلى حصن جاور.

وكان زخم الهجوم السوفييتي والحكومي على أشده في ذلك الوقت. وإعتمد السوفييت على كثافة نيران هائلة تصبها المدفعية بعيدة المدى من خوست فوق قمم الجبال. وبعد إسكات مصادر نيران المجاهدين تتقدم موجات كثيفة من المشاة لتحتل قمم الجبال وتظل هكذا تدريجياً حتى تصل إلى الهدف المنشود وهو قاعدة جاور في هذه الحالة.

وبعد إستشهاد القائد أحمد جول وهو من كبار مساعدي جلال الدين ومن أبرز قواده إنهارت خطوط الدفاع عن ليجاة وتقهقر المجاهدون حتى قرب جاور بينما تقدم المشاة فوق قمم الجبال حتى صارت قوات الحكومة على بعد خمسة كيلومترات فقط من جاور .

عندها بادر فتح ا حقاني المساعد الأول لجلال الدين حقاني وأمر أحد الدبابات الموجودة في قاعدة جاور فصعدت فوق أحد القمم العالية حول القاعدة عبر طريق كان قد مهده المجاهدون. وفاجأت الدبابة القوات الحكومية بوابل من القذائف ففر الجنود الحكوميين تاركين قمم الجبال

ولم يتوقف إنسحابهم حتى وصلوا إلى قواعدهم في الوادي.
وأسرع فتح ا حقاني ليطهر الجبال من الألغام التي بثتها الحكومة ويعيد تركيز رجاله وأسلحته عليها.

حقاني يفقد أركان حربه:

هذه المفاجأة التي حققتها دبابة حقاني للمرة الثانية بإستخدام الطرق الجبلية التي شقها المجاهدون. المرة الأولى حققت مفاجأة هجومية والمرة الثانية مفاجأة دفاعية وفي الحالتين كسب المجاهدون الجولة بفضل هذه الطرق.
وإن كانت القوات الحكومية إستطاعت بعد ذلك إعادة إحتلال جبال ليجاة والتقدم إلى نفس المسافة السابقة عن قاعدة جاور وهي خمسة كيلومترات. وذلك نتيجة لإستشهاد القائد فتح ا حقاني في ليجاة أيضاً، فتكرر ما حدث عند استشهاد أحمد جول. وكان فقدان القائدين أشد خسارة تكبدها المجاهدون في باكتيا منذ بداية الجهاد في الولاية في صيف عام 1978.
وفي معركة واحدة خسر جلال الدين حقاني إثنين من كبار أركان حربه.
ولم تتزحزح القوات الحكومية عن مواقعها حتى وقعت مجزرة الجنرالات التي فقد فيها الجيش الأفغاني مجموعة من أفضل جنرالاته بعدها إقتلع حقاني القوات الحكومية بواسطة هجوم مضاد كاسح ردهم إلى خوست.

يراهن على زوجته:

قررت حكومة كابول تعيين رئيس الأركان قائداً عاماً للعمليات في باكتيا وأعطته صلاحيات تامة ودعم غير محدود. وظل شاه نواز ينتقل بشكل يومي تقريباً بين خوست وكابول بواسطة هيلوكبتر عسكرية. وفي كل زيارة كان يحصل على مزيد من القوات والأسلحة وفي إجتماع إستثنائي شمل قادة القوات المسلحة والوزراء تقرر إرسال جسر جوي من كابول إلى خوست مقداره أربعمائة وخمسون طائرة. تحمل ذخائر ومهمات وجنود.
ومعلوم أن خوست محاصرة منذ عدة سنوات وتحصل على إمداداتها عن طريق الجو. بإستثناء مرات قليلة إستطاعت القوات الحكومية التحرك من (جارديز) شرقاً على طريق (جاجي) ثم الإنحراف جنوباً نحو خوست.
وهذا ما فعلته القوات الحكومية هذه المرة أيضاً بعد أن أصبح هذا المحور هو (البطن الرخو) لهذه المنطقة الصلبة. وذلك لأسباب نشرحها فيما بعد.
في إجتماع قيادي في كابول برئاسة شاة نواز رئيس الأركان و(جولاب زاي) وزير الداخلية وهو من مواليد باكتيا بل من قبائل زوران التي ينتمي إليها جلال الدين حقاني (وأسلم وطن جار) وهو بطل الإنقلاب الشيوعي في أفغانستان وهو من منطقة (زورمات) في باكتيا أيضا. (وسليمان لايق) وزير شئون القبائل وهو أيضا من باكتيا. وحضر هذا الإجتماع عدد من المستشارين السوفييت.
تعرض رئيس الأركان (شاه نواز) لإنتقادات حاده من زملائه في تلك اللجنة وركز الأعضاء هجومهم على ضخامة القوات المحتشدة في باكتيا وكميات الأسلحة التي لم تحشد لأي معركة من قبل. وكان جميع أفراد الجانب الأفغاني ينتمون إلى ولاية باكتيا. وسألوا رئيس الأركان عن سبب تأخره في شن الهجوم حتى ذلك الوقت رغم القوة الهائلة التي حشدها.
فرد عليهم (شاه نواز) بهجوم معاكس من جانبه وطالبهم أن يحضروا هم أيضا إلى خوست ويتولى كل منهم مسئولية جانب من العمليات وقال (شاه نواز) أنه سيتولى شخصيا جانب

الهجوم على قاعدة (جاور) الحصينة والإستيلاء عليها وطلب من وزير الداخلية "جولاب زاى" أن يقود قوة للإستيلاء على منطقة (جدران)والتي أقام فيها جلال الدين حقاني عدة قواعد جبلية حصينة.
ولما كانت مهمة الإستيلاء على جبال منطقته (جدران) من المهمات العسيرة فقبائل (جدران) أشد قبائل باكتيا مراسا وخبرة في القتال ومناطقها الجبلية شديدة الوعورة. شعر (جولاب زاى) بالتحدي الذي يواجهه... فواجه رئيس الأركان قائلا:
أراهنك على زوجتي فهي هدية لك إذا استطعت الإستيلاء على مركز (جاور). وإذا لم تستطع دخول (جاور) فاعطني زوجتك هدية لي، وسوف أستولى أنا على جبال (جدران) وأدمر قواعد جلال الدين هناك.
وتكهرب جو اللقاء وإضطر السوفييت إلى التدخل وحسم الموقف. وقرروا أن يتولى (شاه نواز) قيادة العمليات ويرأس مجلس عسكري من عدة جنرالات أفغان. على أن يرافقهم عدة جنرالات سوفييت (كمستشارين) ! ! .
أما الوزراء (سليمان لايق) و(جولاب زاي) و (أسلم وطن جار) فسوف يتناوبون علي زيارة خوست من وقت لآخر لمساعدة (شاهنواز) ويكونا عضوي إرتباط من جانبه في كابول.
وبدأ تنفيذ القرار السوفيتي على الفور.

<u>(شاه نواز) يضرب في بطن الوادي</u>

لم يكن الجسر الجوي الذي أفرغ محتوياته من جنود وعتاد في خوست كافياً في نظر رئيس الأركان لكي يفك حصار المجاهدين حول خوست ثم إقتحام الجبال إلى قاعدة جاور فالمعدات الثقيلة من راجمات صواريخ ومدافع ميدان ودبابات ينبغي أن تنقل عن طريق البر من (جارديز) إلى (خوست).
وإختار (شاه نواز) أن يضرب في (البطن الرخو) وهو المحور الممتد من (جارديز) حتى منطقة (جاجي) القريبة من الحدود ثم الإنعطاف جنوباً والإتجاه إلى (خوست). لأن الإتجاه مباشرة من الطريق الواصل من (جارديز)إلى خوست عبر مناطق جدران يكاد يكون مستحيلاً بدون تحطيم قوات جلال الدين حول (خوست) وإحتلال قاعدة (جاور).
وبعدها تندفع القوات من (خوست) ومن (جارديز) في وقت واحد لكى تفتح الطريق المباشر بين المدينتين.

<u>(جاجي) والفساد السياسي</u>:

لقد كان وضع المجاهدين على إمتداد المحور الذي إختاره رئيس الأركان لتقدم قواته كان وضعاً متردياً لأنه إستقطب التنافسات الحزبية التي أدت إلى تدهور الإستعدادات القتالية للمجاهدين. لقد حاولت جماعة سياسية من (الأثرياء) أن تصنع لنفسها مجدا عسكريا يكون سندا ومبرراً لتواجدها أمام الشعب الأفغاني. ووسيلة لإستجلاب المعونات الخارجية. فالجماعة تمتلك مجلة ملونة فخمة من الورق المصقول تضاهي الصحف البيروتية تحمل صورة الزعيم.
حصل هذا الحزب السياسي على أموال طائلة من الخارج وحضر الزعيم إلى أقرب مكان على الحدود الباكستانية وإصطحب جيشاً من المصورين التلفزيونيين.
وزعت الجماعة الجديدة الملايين من الروبيات على قبائل (جاجي) . وأعلنت عن حصار حصن (شاوني) الذي كان يحتوي على مئة وخمسين جنديا حكوميا فقط. وإستخدمت الجماعة

الحزبية ضد الحصن صواريخ أرض أرض والعشرات من الهاونات والرشاشات الثقيلة. ولكنها لم تفلح حتى في منع الإمدادات الحكومية من الوصول إلى الحصن. والقبائل التي قبضت الملايين من الجماعة عادت لتقبض الأموال من الحكومة وتأخذ منها السلاح لتقاتل ضد المجاهدين. وبعد سبعة أشهر فشلت العملية بأكملها بعد أن كلفت أكثرمن مئة مليون روبية باكستانية ومئة وخمسين شهيد وثلاثمئة جريح، ولم يسقط حصن تشاوني. وإغتالت القبائل أكبر قائد عسكري لدى الجماعة الحزبية المشهورة. من يومها بدأت علاقة المقاتلين مع القبائل تسوء وعلاقة الجماعات المقاتلة على طول هذا المحور يسودها التنافر وظل هذا الوضع سائدا حتى جاء هجوم نواز شاه الذي تقدمت قواته من جارديز حتى أصبحت على بعد كيلومترين من جاجي التي تقع مباشرة تقريبا على الحدود الأفغانية مع باكستان.

الأثرياء... يتقدمون إلى الخلف

أصبح الوضع خطيراً لأن طريق جاجي يعتبر من الممرات الحيوية للمجاهدين وإغلاقه بواسطة القوات الحكومية يعتبر كارثة. شعرت جماعات المجاهدين أنها تقاتل معركة حياة أو موت فإغلاق ممرجاجي ثم جاور يعني إقتراب النهاية.

وفي ذروة الأزمة حدثت عدة مفاجآت . لقد قامت الجماعة الحزبية الثرية بحرق أسلحتها ومخازن الذخيرة. وأجهزة الإتصال الحديثة التي كانت لديها وفرت إلى ما وراء الحدود وبلغت قيمة (المحروقات) عدة ملايين من الروبيات.

ومن المفارقات أن تحدث مفاجأة أخرى تؤدي إلى صد القوة المهاجمه وتمنعها من إحتلال جاجي. لقد وصل أحد قادة الأحزاب المشهورين وهو جلب الدين حكمتيار ليكون على رأس رجاله في تلك المحنة العسيرة. ونجح في تنظيم صفوفهم وإلتفت جماعات المجاهدين في المنطقة حول هذه الجماعة التي أفاقت من صدمة المفاجأة والهلع الذي أثاره الفرار الجماعي (للأثرياء) وحرقهم الأمتعة والذخائر.

وتمكن جلب الدين من شن هجوم مضاد على قوات الحكومة فأحرق المجاهدين عدة دبابات وشاحنات للعدو وأمطروهم بصواريخ أرض أرض من طراز (كاتيوشا) فتراجعت القوة مسافة كبيرة إلى الخلف، ولكن كانت القوة الرئيسية قد تمكنت من الوصول إلى خوست مع كامل معداتها الثقيلة بدون خسائر تذكر.علمت جماعات المجاهدين أن القوة الرئيسية قد نجحت في الوصول إلى خوست فإتفق زعماء المقاتلين في المنطقة على تكوين قوة مشتركة للتصدي لأي قوة جديدة تحاول التقدم إلى خوست وإبادة أي قوة تخرج من خوست في محاولتها للعودة مرة أخرى إلى جارديز. وقد كان هذا ممكناً فطبيعة الأرض في أماكن كثيرة تسمح بنصب الكمائن وتلغيم الطرق.. وضرب تقدم القوات بصواريخ الكاتيوشا.

وبرز تعاون جيد بين جماعة حكمتيار وجماعة برهان الدين رباني رئيس حزب الجمعية الإسلامية وكان ذلك من الإيجابيات البارزة التي نتجت عن تلك المعركة. وتعاونت الجماعات الأخرى جميعاً بما فيها الجماعة التي فرت. وفعلاً بدأت القوة الحكومية بعد فشل برنامجها في خوست في العودة إلى جارديز عن طريق جاجي. وبدأت جماعات المجاهدين في الإنقضاض عليها.. ولكن (المقاتلين) الذين فروا في البداية لم يقوموا بواجبهم في الخطة الجديدة فتمكنت القوة من العودة بدون خسائر كبيرة..

تأمين مطار خوست:

نجح (شاه نواز) في تطهير المناطق المحيطة بمطار مدينة خوست الذي وضعه رجال جلال الدين وباقي الجماعات المتعاونة معه في التنظيمات الأخرى تحت رحمة هجماتهم بمختلف أنواع الأسلحة. [8]

ثم تقدمت القوات لتوسع الطوق الدفاعي حول المطار حتى أصبح في غير مقدور أسلحة المجاهدين الوصول إلى مدرج المطار وتهديد الحركة عليه.

كذلك حطموا أكثر مراكز المجاهدين في تلك المنطقة إن لم يكن جميعها.

وكان الهجوم الحكومي من الكثافة والتركيز بحيث إنكمشت فعاليات المجاهدين حتى باتت غسر محسوسة. وإنسابت موجات بشرية من قوات المشاة تطهر المواقع الجبلية تحت حماية عشرات من طائرات الهيلوكبتر والطائرات القاذفة والمقاتلة. بالإضافة إلى قوة نيران أرضية تنطلق من نفس مدينة خوست، شهد جميع المجاهدين أنهم لم يشهدوا لها مثيلاً من قبل من حيث الغزارة ودقة التوجيه. وكانت هذه النيران تُدار من قبل ضباط سوفييت. ثم هدأت المعارك قليلاً.

هجوم مباغت:

وبواسطة هجوم كاسح باغت شاه نواز قوات المجاهدين في الرابع من أيام عيد الأضحى حيث لم يتوقع أحد من المجاهدين أن تهاجم قوات الحكومة في ذلك الوقت. لأن تلك القوات تهاجم عادة في أيام الأعياد لعلمها أن أكثر المجاهدين يفضلون قضاء الأعياد في عائلاتهم في معسكرات المهاجرين في باكستان.وفي هذا العام لم يغادر المجاهدون مواقعهم طيلة أيام العيد الثلاثة خوفاً من هجوم الجيش على مواقعهم وفي نهاية اليوم الثالث بدأ كثير منهم في مغادرة مواقعهم لزيارة عائلاتهم في المعسكرات. ولكن في ظهر اليوم الرابع ضرب (شاه نواز) ضربته وإقتلع المجاهدين من(ليجاة) وتقدمت قواته عبر الجبال حتى أصبحت على بعد خمسة كيلومترات فقط من (جاور). كما تقدمت الآليات عبر منطقة (باري) في محاولة لإستخدام الطرق التي صنعها المجاهدون ومباغتة (جاور) من جانبها (الشرقي). وبعد أن قطعت الآليات عدة كيلومترات على هذا الطريق قامت مجموعة القائد (منان) وهو قائد يعمل مع حقاني ويقود رجاله من البدو الذين يعيشون في تلك المناطق. قام (منان) بضرب هذه القوة وتدميرها وفرالجنود تاركين الآليات خلفهم وإستطاع منان قيادة مدرعة واحدة وثلاث شاحنات وأحرق باقي الآليات حتى لا يعود الجيش ويستولي عليها من جديد. وإنتشرت عدة مجموعات في كمائن قوية على طول هذا الطريق فتخلى (شاه نواز) مؤقتاً عن فكرة إستخدامه. [9]

وركز مجهوده في التقدم عبر الجبال إلى (جاور) من جهة الشمال. تمكن (أحمد جول) من رد القوة الحكومية إلى الخلف وأعاد إحتلال (ليجاة) ثم استشهد يوم الجمعة (85/9/10).

وكان فتح ا حقاني قد عاد من أداء فريضة الحج وكان قد فقد الإبصار في إحدى عينيه أثناء عمله في تمديد بعض الطرق الجبلية بواسطة المفرقعات وذلك قبل المعركة بشهرين تقريباً.

وتمكن فتح ا بإستخدام أحدى الدبابات أن يحطم القوة فوق جبال (ليجاة) وأعاد إحتلال المنطقة مرة أخرى. ثم إستشهد بواسطة قذيفة مدفع ميدان في يوم الجمعة (89/9/17).أي بعد أسبوع واحد من استـشهاد (أحمـد جـول). وعلمـت الحكومـة بـالخبر فـأمرت بـالهجوم مـرة أخرى فتمكنت القوات الحكومية من العودة إلى ليجاة والإقتراب من (جاور)على نفس البعد السابق وأصبح الموقف في غاية الخطورة بالنسبة للمجاهدين.عاد جلال الدين حقاني من الحج بعد أن استشهد أركان حربه الأساسيين(أحمد جول) و (فتح ا) وكان جلال الدين قد قرر السفر

فجأة لأداء الحج فى كمحاولة لطلب العون المادي من المسلمين في ذلك الموسم فقد إقتربت ديونه من رقم السبعة ملايين روبية باكستانية،وهي الحد الأقصى من التسهيلات التي يمكن أن يحصل عليها من تجار المنطقة الحدودية في شراءالطعام والوقود والذخائر. وبدأت تتوقف التسهيلات والقروض في أحرج أوقات المعركة.على أي حال عاد جلال الدين من موسم الحج بدون أن تنجح مهمته ووجد بدلاً من ذلك رفيقي جهاده وأركان حربه قد إستشهدا وكانت تلك أقسى ضربة تلقاها منذ بداية الجهاد وحتى الآن. كما وجد "شاه نواز" قد أطل برأسه على"جاور" وأصبح على مرمى حجر من القلعة الشهيرة.

إيجابيات المعركة:

تحولت (جاور) إلى رمز للمقاومة الأفغانية. حشد حقاني قواته للدفاع عن جاور بعد أن عززها بتلك القوات التي إنسحبت من ليجاة. وتدفق آلاف من معسكرات المهاجرين يحملون السلاح ويكونون فصائل تضع نفسها تحت إمرة جلال الدين.وإمتلأت الجبال والشعاب بمئات الكمائن وضرب حول (جاور) نطاق كثيف من الرشاشات الثقيلة المضادة للطائرات.

وجاء إلى جاور (حكمتيار) وبالتعاون مع جلال الدين أنشأ قوة للدفاع عن ميمنة (جاور) وزودها بعدد كبير من الأسلحة الثقيلة، وكانت تلك بادره لم تحدث منذ بداية الجهاد.

وإلى جاور وصل (مولوي يونس خالص) رئيس حزب إسلامي، وسلم جلال الدين كميات كبيرة من الذخائر والأسلحة.كما أرسل سياف رئيس حزب (الإتحاد الاسلامي لتحرير أفغانستان) معونات مالية وأسلحة إلى حقاني للدفاع عن (جاور) وكانت تظاهرة تضامن حقيقية لم يشهد مثلها الجهاد الأفغاني من قبل.

لحوم الأضاحي .. تصل الجبهة:

كان موقف المهاجرين في تلك المعركة ظاهرة لم تحدث قبلاً.. فقد إنتفض المئات من حالة السلبية في المعسكرات وتحولوا إلى مقاتلين يتقدون حماساً.

حتى زادهم القليل من الطعام حولوه إلى الجبهة وإستأجروا سيارات على نفقتهم تحمل الخبز ولحوم الأضاحي التي تبرع بها حجاج بيت ا إلى المهاجرين. حولوها إلى جبهات ولم يطعموها أبناءهم الذين نسوا إسم اللحم وليس طعمه فقط.

وقد إضطر القادة إلى رجاء المهاجرين بأن يوقفوا إرسال الطعام لأن الكميات التي تصل أكبـر بكثير من إحتياجات المجاهدين ومن القدرة على النقل إلى داخل مراكز القتال فكان أكثر الأطعمة يتلف.

كما طلب قادة المواقع من كثير من المجاهدين العودة إلى أماكن قريبة من الحدود لحين الإحتياج إليهم لأن كثافة المقاتلين أصبحت أكثر من المطلوب وقد يؤدي ذلك إلى إرتباك في الحركة وإزدياد نسبة الإصابة من جراء الطيران الذي لا يكاد يهدأ طول اليوم، والمدفعية السوفييتية التي تعمل على مدار اليوم بأكمله.

وعلى وجه العموم كانت الإيجابيات التي أفرزتها المعركة أبعد أثراً من تلك السلبيات التي إنكشفت. وكان يمكن تطويرها لكي تصبح مرتكزاً جديداً لإصلاح مسيرة الجهاد في أفغانستان.

كذبة تحولت إلى كارثة:

نعود إلى (شاه نواز) الذي وجد نفسه للمرة الثالثة في أقل من عشرة أيام يقترب من هدفه المنشود وتصبح (جاور) على بعد خمسة كيلومترات فقط. وفقد المجاهدون في أسبوع واحد إثنين من أفضل قادتهم الذين طالما تمنت كابول منذ سنوات أن تتخاص منهم بشتى السبل

ولكن بلا جدوى. وها هو (شاه نواز) يتخاص من الرجلين في أسبوع واحد.
وتصبح (جاور) على قاب قوسين أو أدنى.ما أن سمع (شاه نواز) بإستشهاد فتح ا حقاني بعد
أن إستشهد (أحمد جول)، وعلم أن قواته تقدمت إلى هذا المدى، حتى أرسل برقية عاجلة
إلى كابول يعلن سقوط قاعدة (جاور) وذهب إلى إذاعة خوست ليزف الخبر بنفسه ويعلن
إنتصاره على الملأ.
إستلمت كابول إشارة (شاه نواز) وإستمع سكان العاصمة إلى صوته يدوي من راديو
خوست يعلن سقوط (جاور). كان ذلك في يوم السادس عشر من سبتمبر الماضي (1985).
وطار على الفور فريق عسكري من المكلفين بقيادة عمليات خوست تحت إشراف (شاه نواز).
تكون الوفد من الجنرال (غلام رسول) والجنرال (حميد ا) وأحد كبار المستشارين السوفييت
المسئولين عن العملية.
استقل الوفد طائرة هيلوكبتر مقاتلة وتوجه إلى (جاور) على الفور.
طارت الهيلوكبتر فوق (ليجاة) وشاهدت الإستحكامات الحكومية والجنود بثيابهم العسكرية
يملأون قمم الجبال، وواصلت الهيلوكبتر تقدمها نحو (جاور) وهي تتوقع أن تشاهد نفس المنظر.
ولكنها فوجئت بالسماء وقد تحولت إلى جحيم ومئات من طلقات الرشاشات الثقيلة تصطدم
بجسم الطائرة، وأدرك ركاب الطائرة على الفور أن جاور لم تسقط وإستدارت الطائرة نحو
خوست في محاولة للفرار.. ولكنها إنفجرت في الجو وتساقط حطامها.. ليجد المجاهدون في
الحطام جثث الركاب.. وتعرفوا من بينها على جثتي الجنرالين الأفغانيين والمستشار الروسي.
وكان يعتقد في باديء الأمر أن (شاه نواز) كان بداخل الطائرة.ولكن صوته جاء لينبعث مرة
أخرى من إذاعة خوست ليعلن مصرع الجنرالين ويعلن أيضاً أن (جاور) لم تسقط بعد.

الطائرات تلقي منشورات إسلامية

لم يفلح رئيس الأركان في دفع جنوده لإقتحام الكيلومترات القليلة الباقية للوصول إلى
قاعدة (جاور).
فقد أصبح الطوق الدفاعي حول القاعدة رهيباً. وكان على القوات المهاجمة أن تدفع ثمناً باهظاً
في الأرواح مقابل كل بوصة تستولي عليها.
ولم تفلح غارات الطائرات في تكسير الطوق الدفاعي للمجاهدين رغم إستخدامها للنابالم والقنابل
العنقودية وجوبهت بنيران كثيفة من الأسلحة المضادة للطائرات لدى المجاهدين.
قرر (شاه نواز) بسرعة أن يغير تكتيكه في الهجوم. بدأ خطته الجديدة بمحاولة لإضعاف
معنويات المجاهدين. فأخذت طائرات الهيلوكبتر تلقى أطناناً من المنشورات تشيد بحكومة
كارمل وتدعي أنها حكومة إسلامية وتعمل لصالح الإسلام. وتشيد بالسوفييت والجيش
السوفييتي كصديق جاء يدافع عن الشعب الأفغاني.. وتهاجم المجاهدين وتدعي ضدهم شتى
الإدعاءات.ووقف المجاهدون موقفاً عملياً من منشورات (شاه نواز) فكانوا يجمعونها
ويستخدمونها كوقود يطبخون عليه طعامهم ويصنعون عليه الشاي الأخضر.
أخذ (شاه نواز) يعيد توزيع قواته وركز قوات جديدة على ميمنة وميسرة (جاور) ليصبح
الهجوم من ثلاث شعب بدلاً من شعبة واحدة.
شعبة تنطلق من (باري)الواقعة على يمين جاور، وشعبة أخرى من دارجي الواقعة على يسارها،
بجانب الهجوم من المحور الأول من (ليجاة) في إتجاه (جاور)

إنهيار الجنرال:

كانت معنويات الجنود في تدهور مستمر لطول فترة الإشتباكات و لعدم قدرتهم الإحتفاظ بمواقعهم الحساسة أمام الهجمات المضادة للمجاهدين. وفقد (شاه نواز) بريقه في أعين الجنود وصاروا يتثاقلون في تنفيذ الأوامر. بل وصل الأمر في بعض الأحيان إلى رفض أوامر التقدم وإحتلال قمم الجبال.

حتى الضباط بدأ ينتشر بينهم التذمر. وسجل المجاهدون محادثات لاسلكية بين الضباط وقياداتهم في خوست. وبين العسكريين في خوست والقيادات في (كابول) تبادل فيها الجميع أفحش السباب وإتهامات الجبن والعمالة.

بالمقابل فقد رئيس الأركان ثقته بالضباط وصار يتنقل بواسطة سيارة مدرعة ليشرف بنفسه على تنفيذ الأوامر من موقع إلى آخر. وصار يقضي معظم ساعات الليل والنهار في الحركة الدائبة ليشرف على الأمور جميعها بنفسه. وصار الجنرال المشهور أكثر عصبية وإنتابته حالة من الهياج الشديد وأخذ يوزع السباب واللكمات على الضباط والجنود، وأدرك الجميع أن "شاه نواز" الشهير قد فقد الثقة بنفسه أيضاً، وبدأ ينهار.

نهاية شاه نواز:

في صباح العشرين من سبتمبر ركب (شاه نواز) سيارة مصفحة وبرفقته إثنين من المستشارين السوفييت الذين أصبح لا يثق إلا بهم بعد أن تقاعس ضباط الجيش وفترت همتهم. ركب في المدرعة أيضاً أربعة من الجنود لحراسة الجنرال والمستشارين وأمر (شاه نواز) سائق المصفحة أن يتحرك بهم من (دراجي) إلى (البتلون) جنوبي خوست.

أسرع السائق يلبي الأمر. وسلك الطرق الفرعية الوعرة متفادياً الطريق الرئيسي فنهره الجنرال وأمره بإستخدام الطريق الرئيسي، ولكن السائق إرتبك وحاول أن يشرح للقائد أن الطريق الرئيسي قد يكون مزروعاً بالألغام. فثارت ثائرة الجنرال وجن جنونه ورماه بالجبن وأسمعه سيلاً من الشتائم العسكرية البذيئة.

إنحرف السائق جهة اليسار ليستخدم الطريق الرئيسي وقد إمتقع لونه هلعاً من الجنرال. وخوفاً من إحتمالات الموت المتربص تحت تراب الطريق.

وبعد أمتار قليلة حدث ما كان يخشاه السائق وإنفجر لغم مضاد للدبابات تحت السيارة المصفحة فقُتل الجنرال والمستشارين على الفور. وكذلك الحراس الأربعة بينما جرح السائق جراحاً خطيرة 10

كذبة واحدة أضاعت الهجوم:

لم يعلم المجاهدون بمصرع (شاه نواز) إلا من إذاعة خوست. وأُذيع النبأ من إذاعة خوست ثلاث مرات ثم عادت لتنكره مرة أخرى.وفي اليوم التالي تأكد النبأ من راديو كابول كما أكده أيضاً العديد من الضباط والجنود الأفغان بل بعض ضباط الإستخبارات الأفغانية الذين فروا أو سلموا أنفسهم للمجاهدين.

كان الفارق بين حادثة سقوط الهيلوكبتر ومصرع (شاه نواز) أربعة أيام فقط.

وبسبب كذبة (شاه نواز) التي إدعى فيها سقوط (جاور) لقي إثنين من كبار الجنرالات الأفغان مصرعهم في الهيلوكبتر التي جاءت لتشهد سقوط جاور.

وبعدها فقد الجنرال أعصابه وأمر سائق سيارته أن يسير في طريق ملغوم. فقتل هو أيضاً.

وبهذا كانت كذبة الجنرال السبب الرئيسي في فشل كل البرنامج العسكري الضخم الذي أعده السوفييت وحكومة كابول من أجل إخضاع محافظة باكتيا.

اجتماع جنائزي:

هبطت في خوست طائرات هيلوكبتر تحمل كبار رجال الجيش والحكومة لبحث الكارثة التي حلت بإكبر عملية عسكرية شهدتها أفغانستان منذ الإحتلال الروسي للبلاد.

حضر سليمان لايق وزير شئون القبائل وجولاب زاي وزير الداخلية الذي راهن على زوجته بأن (شاه نواز) لن يستطيع دخول قاعدة جلال الدين حقاني في (جاور).ولا شك أنه شعر بالسرور لأن زوجته قد خرجت سالمة من هذا الرهان الحرج.حضر أيضاً الجنرال (أسلم وطن جار) البطل القومي للشيوعيين في أفغانستان.وبعد مباحثات إستمرت عدة أيام قرر الجميع أنه لا فائدة من متابعة الهجوم.

حقاني يستعيد ليجاة:

لم يكد المجتمعون في خوست ينفضون حتى كان جلال الدين حقاني على رأس رجاله قد طهروا تماماً قمم الجبال في ليجاة. ودفع جنود الحكومة بلا هوادة حتى أدخلهم مرة أخرى إلى وادي خوست ورفع رجاله آلاف الألغام المضادة للأفراد كان الجيش الأفغاني زرعها فوق الجبال وفي الوديان. وأعادوا زراعتها في الطرق التي يمكن أن يستخدمها جنود الجيش. كذلك إندفعت مجموعات كثيرة لتطهر المناطق الشرقية من (جاور) في (باري) ، والغربية في (دارجي) وفي غضون أيام قلائل عاد الوضع العسكري حول خوست لما كان عليه قبل بداية الحملة العسكرية. بإستثناء أن جلال الدين لم يرسل رجاله إلى وسط، الوادي فـي (لاغـوراي) نظراً لكثافة الألغام التي وضعتها الحكومة حول المنطقة.

مدرسة الحرب:

يقول حقاني أن القوات الحكومية فقدت سبعة جنرالات في معارك خوست وهذه أكبر خسارة تقع بالجيش الأفغاني منذ بداية الجهاد. ونحن أيضاً خسرنا إثنين من أفضل قوادنا بإستشهاد مولوي (أحمد جول) ومولوي فتح ا حقاني بالإضافة إلى إستشهاد القائد الشجاع (داد مير) الذي إستشهد في الأيام الأخيرة للمعركة وظل المجاهدين يقاتلون لمدة أربعة أيام لكي يستعيدوا جثته من منطقة تسيطر عليها القوات الحكومية.

إن خسائر مثل هؤلاء القادة الكبار أمر محزن لجميع المجاهدين. ولكن الدروس التكتيكية التي إستفدنا منها فى هذه المعركة لا تقدر بثمن وسوف تساهم في تطوير تنظيمنا القتالي بدرجة كبيرة.

****

تعليقات على المقال:

(1) .. حملة السوفييت هذه على باكتيا فازت بهذا اللقب ،أشرس حملة عسكرية منذ التدخل السوفييتي. وفازت بنفس اللقب حملة عام 1986 ضد جاور. وقد كانت فعلاً أشرس من حملة 1985. ثم جاءت حملة شتاء (87/88) لتصبح أكبر حملة فازت بتغطية إعلامية دوليه وسوفيتية رغم كونها مجرد تمثيلية ومؤامرة لتغطية السوفييت وحفظ شرفهم العسكري قبل الإنسحاب.

وحملة العرب في جاجي (بقيادة أسامة بن لادن) كانت أخطر وأهم عمل للعرب في أفغانستان

وبداية مولدهم الجهادي. ومعركة خوست التي إنتهت بفتح المدينة في مارس 1991، كانت الضربة القاصمة للنظام وأدت إلى إسقاطه.
وهكذا كانت باكتيا في تاريخ تلك الحرب، هي الحلقة المحورية التي شكلت نهايتها المنتصرة.
(2) .. نجاحات حقاني العسكرية، وزيادة توافد العرب إلى جبهاته إلى حدٍ ما. زاد من قيمة التسهيلات الإقتصادية التي يحصل عليها من تجار منطقة القبائل. وقد كبده فتح خوست وحدها ديوناً بلغت أكثر من خمسين مليون روبية باكستانية لم يستطع حقاني تسديدها حتى تاريخ كتابة هذه السطور نظراً لتوقف التبرعات الخارجية وسوء السمعة الذي لحق بالأفغان وقضيتهم بعد إندلاع حرب كابول بين (المتشددين) من القادة المجاهدين.
(3) .. الجنرال (شاه نواز تاناي) من مواليد خوست ينتمي إلى قبيلة (تاناي) التي تسكن غرب الوادي. وهي قبيلة صغيرة نسبياً إذا قورنت بقبائل باكتيا الرئيسية، وظهر منها عدد من القادة الممتازين في صفوف الجهاد من أمثال الشهيد شاكرين ثم ابن عمه حنيف شاه. ولكن القبيلة بشكلٍ عام كان يغلب عليها العداء للمجاهدين، وينظر إليها كثيرون على أنها كانت واحدة من ركائز حزب خلق الشيوعي في المنطقة وهو الحزب الذي ينتمي إليه شاه نواز وكل شيوعي في خوست تقريباً.
وظلت خوست معقلاً لذلك الحزب حتى عندما تولى حزب "بارشام" الحكم في كابول بعد الغزو السوفييتي الذي أنهى حكم "خلق" ووضع بابراك كارميل، زعيم بارشام، على رأس البلاد.
والغريب أن أكثر ضباط الجيش من حزب خلق قد فروا إلى خوست وإعتصموا بها خوفاً من مذابح إخوانهم في "بارشام". ونظراً لوضع خوست المحاصرة فلم تستطع حكومة كابول . (البارشمية) من شن حملة إبادة ضدهم في خوست، بل العكس إضطرت إلى تمويلهم وإمدادهم بالمال حتى لا ينضموا إلى المجاهدين، وتسقط تلك المدينة الحيوية في أيدي أعدائهم. وقليل هم ضباط الجيش من (بارشام) الذين وافق ضباط خوست (الخلقيون) على إستضافتهم في المدينة ضمن جهازهم العسكري شبه المستقل وكان ذلك أحد فرائد وغرائب الحرب الأفغانية.

(4) ..عمليات جلال الدين في (لاغوراي) وإستخدامه لمجاري السيول الجافة والجروف الطبيعية العميقة المحيطة بها وتحويلها إلى تحصينات وخنادق، تلك التجربة أفادت حقاني كثيراً في معارك هامة تالية.. خاصة بعد الإنسحاب السوفييتي وتضييق الحصار على المدينة تمهيداً للإستيلاء عليها ونفس الأماكن تقريباً إستخدمها حقاني في عملية إستيلائه على مركز (دراجي) الذي يعتبر المركز القيادي للقوات الشيوعية غرب الوادي، وكان ذلك في عام 1989 في إطار عملية موسعة قام بها بالاشتراك مع القائد مطيع ا . وسنذكر تفاصيلها في وقته.
ونشير هنا إلى أن الجروف الطبيعية في وادي خوست أدت دوراً كبيراً في صالح المجاهدين عندما أنهوا سيطرتهم على الجبال وبدأوا بالعمل في الوادي المفتوح.
(5) .. تاريخياً فإن قبائل باكتيا لا ترسل أبناءها إلى الخدمة العسكرية في الجيش، بل ترسلهم إلى الكليات العسكرية ليكونوا ضباطاً.. وذلك بموجب ميثاق وقعه معهم الملك نادر شاه نظير مساندتهم له في الإستيلاء على الحكم.. ويحتوي الميثاق نصوصاً عديدة منها أن الملك لا يحق له شق طرق في الولاية أو إقامة مدارس أو خدمات أخرى إلا بعد إستشارة رؤساء قبائل المنطقة والحصول على موافقتهم وذلك حرصاً على إستقلالية القبائل.
لهذا كان لأبناء باكتيا حظوة خاصة في الدولة، وكان تواجدهم ملموساً بل رئيسياً ضمن ضباط

الجيش. وأرسل نادر شاه جزءاً من تلك القبائل إلى شمال أفغانستان ومنحهم أرضاً هناك حتى يشكلوا حزاماً أمنياً ضد أطماع الروس.
ولما كانت الماركسية في أول إنتشارها في البلاد جاءت عن طريق البعثات التعليمية في الإتحاد السوفييتي، فقد نفذت إلى الجيش بشكل أعمق، لكونه صاحب أكبر تلك البعثات حجماً، كما أن الروس إهتموا كثيراً بالضباط الأفغان وكان حزب خلق الماركسي هو أول من إهتم بالتنظيم داخل الجيش، حتى صار أكثر ضباط الجيش من الخلقيين وبالتالي فإن أكبر نفوذ شيوعي في محافظة باكتيا كان لحزب خلق، وكانت خوست أكبر معقل لذلك الحزب في كل أفغانستان.
ونلاحظ في تلك الحملة أن قوتها الضاربة من القواد العسكريين والسياسيين هم أبناء تلك المحافظة العجيبة وأن كل فئة قد توزعت للاستيلاء على منطقتها الأصلية.

(أتبع الروس نفس السياسة عند إخضاعهم لمنطقة القوقاز فى القرن التاسع عشر، فكان على رأس الحملة النهائيـة أبنـاء قادة المقاومة الكبار مثل الإمام شامل و نائبه حاجى مراد.وكان الروس حريصون على أخذ أبناء القادة الدينيون و القبليـون كرهائن حرب و تعليمهم فى الأكاديميات العسكرية فى موسكو ثم أعادتهم قادة على رأس الجيوش الروسية لفـتح منـاطق القوقاز المستعصية).

شاه نواز من منطقة خوست، فمهمته إذن الاستيلاء على خوست وبشكل خاص جاور معقل أخطر رجال باكتيا، جلال الدين حقاني. أما جولاب زاي وسليمان لائق وهما من قبائل زدران التي ينتمي إليها حقاني فمهمتهما إخضاع مناطق زدران والإستيلاء على مركز حقاني هناك في منطقة (سيرانا).
كان البرنامج طموحاً للغاية ولم يتم تحقيقه إلاعلى مرحلتين بعد ذلك بسنوات. فدخول جاور تم فى إبريل (1986) ودخول سيرانا تم في حملة شتاء (87\88) وفي الحالتين لم يتم الإحتلال إلا لفترة وجيزة للغاية.
(6) .. جاجي والفساد السياسي فقرة تشير إلى وضع منطقة جاجي تحت سيطرة سياف وحلفائه السعوديين الذين حاولوا تصنيع زعيم حسب مواصفاتهم للجهاد الأفغاني. وموَل السعوديون مهرجان سياف في جاجي، بل أقاموا له شركة أفلام فيديو تحت إسم (مرآة الجهاد الأفغاني) ومجلة عربية فاخرة (البنيان المرصوص) التي أشرف على تحريرها عناصر من الإخوان المسلمين العرب.
(7) .. إنتهت قيمة سياف العملية بعد هذه الحملة.. وبلا ريب أنه تعرض للتوبيخ من قبل الإستخبارات العسكرية لباكستان، والذين طالبهم قبلاً بأن يتولى هو مسئولية الدفاع عن ذلك الثغر الحدودي الهام. فقد كان لا يرغب أن تظهر مجموعة سواه أمام العرب في المنطقة.
وكان ذلك هو فشله الثاني في نفس المنطقة، وفي كل مرة يرتكب رجاله بفضل قيادته الخرقاء كوارث مريعة كادت تودي بالمنطقة إلى أيدي القوات الشيوعية وهي المنطقة التي ينفذ منها **40%** من إمدادات المجاهدين ، حسب قول العقيد محمد يوسف في كتابه (فخ الدب) .
الفرار الجماعي لرجال سياف مع سرقة أسلحة الموقع ومعداته وإحراق ما لا يمكنهم حمله تكرر مرتين على الأقل ولم يعد سياف من وقتها إلى تلك المنطقة ضمن أي نشاط عسكري فيها. ولم تظهر مرة أخرى مواهبه العسكرية الفذة إلا في جلال آباد قبل سقوط كابول بأشهر قليلة، كي يمارس نفس دوره في (جاجي) لعلمه بضعف ذاكرة (الأنصار العرب) .
والمعركة التالية في جاجي كانت للعرب في عام 1987 وخاضها (أسامة بن لادن) وحاول

سياف منع المعركة بشتى الطرق ثم فرض نفسه عليها كقائد عام وخرج سياف بفضيحة أخرى بعد أن إنكشف أمام أنصاره ومموليه الذين قاتلوا نيابة عنه .

في أمثال تلك الكوارث الحدودية كما سوف نلاحظ في جاجي وجاور فإن الإستخبارات الباكستانية هي التي تتولى توحيد القادة الأفغان (قادة الأحزاب) بالعصا والتهديد وتدفعهم إلى تجميع الرجال وعدم منعهم من العمل المشترك، وإذا تم ذلك التوحيد القسري فإنه لا يتم سوى لساعات. وإن كان المجاهدون في الجبهات يتمكنون غالباً من الإستمرار متحدين لفترات أطول على الأقل طوال مدة الحملة أو معظم أيامها .

8) .. تحدثنا عن دور العرب في تهديد الملاحة الجوية في مطار خوست قبل بدء الحملة بفترة وجيزة..وكان عملهم ذلك ضمن العوامل التي حفزت القوات الشيوعية إلى التحرك قبـــل فـــوات الأوان، وإنقطـــاع طريـــق الإتـــصال الجـــوي بالمدينـــة بعـــد أن قُطعـــت إتصالاتها البرية مع العاصمة**[من دلائل الإستعجال هو بدء الحملة فى الخريف "سبتمبر"،بينما يفضل الروس دوما أشهر الشتاء "من ديسمبر إلى فبراير".وهذا ما حدث فى غزوهم أفغانستان وعند الهجوم على خوست فى شتاء 88/87ـ حملة طريق زدران**"أنظر كتاب خيانة على الطريق"**]**

(9) .. القائد (عبدالمنان) .. ينبغى ذكره عند الحديث عن أسطورة صواريخ ستنجرالأمريكية. وهو من أفضل قادة المجموعات في باكتيا ومجموعته ذات شهرة واسعة في المنطقة وتمتاز بالجرأة المتناهية، وقد إستشهد "منان" بانفجار لغم. وشاركت مجموعته تحت قيادة أخيه جولاب في عملية فتح مدينة خوست وكا لها دور بارز في ذلك الفتح (رمضان/ مارس 1991) .

منطقة "باري" التي سيطر عليها"شاه نواز تاناي" في تلك الحملة كانت الأخطر على الإطلاق بالنسبة للمدينة، لكونها قاعدة للهجمات ضد المطار، ولا تبعد جبالها في سلاسلها الأولى أكثر من عشرة كيلومترات فقط عن مركز المدينة.

وقد كانت باري هي منطلق المجاهدين الأساسي في عمليات فتح المدينةعام(1991).

مجموعة منان في معارك 1985 تمكنت من قتل جنرال أفغاني يدعى (خانيقاه جاجي) ودمروا سبع وعشرين آلية ومدرعة. وغنموا مصفحة سليمة وسيارات محملة بالذخائر والألغام.

(10) .. ظل الإعتقاد سائداً لعدة أشهر أن شاه نواز قد قُتل فعلاً في ذلك الحادث. ولكنه ُأصيب إصابات بليغة وفقد الوعي في الحادث حتى ظنوه في البداية قتيلاً خاصة وهوغائص في بحار من الدماء وسط أشلاء من جثث مرافقيه. وقد نُقل الجنرال إلى كابول وإختفت أخباره لفترة طويلة، ثم عاد مرة أخرى على قمة الجهاز العسكري الأفغاني. وكانت مفاجأة غير سارة للمجاهدين. في مارس 1990 قام بعملية إنقلاب فاشلة وفر من كابول إلى باكستان ليعلن تحالفه مع حكمتيار من أجل إقامة حكومة (ثورية إسلامية).

(11) .. (داد مير) أحد القادة الممتازين التابعين لتنظيم (محاذ مللي) الذي يرأسه سيد أحمد جيلاني. وكان من البدو أيضاً ، وتولى قيادة المجموعة من بعده أخاه (وزير) ،وهو قائد ممتاز أيضاً.وأثناء معارك فتح خوست كانت لمجموعتنا العربية محاولة تعاون معه، لكنها لم تكلل بالنجاح.

****

بعد فشل الحملة السوفيتية على خوست عادت القوات إلى جارديز عن طريق (منجل) .

ثم غادرت إلى (كابول) فى نوفمبر1985.

لدى الشعب الأفغاني إعتقاد راسخ بأن نتيجة أي معركة تحددها النتائج على الأرض.. فمن

سيطر على الأرض فقد إنتصر مهما كانت خسائره فى الأرواح أو المعدات. لقد إنسحبت القوات الشيوعية التي حشدها السوفييت طوال عدة أشهر بدون أن توسع نطاق سيطرتها على مواقع جديدة ،إذاً فقد إنهزمت القوات الشيوعية.

وفي ظني أن سياسة (البحث والتدمير) لم تؤثر كثيراً على معنويات الأفغان بل العكس رفعت معنوياتهم كثيراً طالما لم يصحبها إحتلال دائم من القوات الحكومية لقطع هامة أو كبيرة من الأرض.

وكما ذكرنا في موقع سابق، ولنفس السبب، رفض حقّاني العودة من جديد إلى أسلوب حرب العصابات عندما دخل السوفييت إلى أفغانستان. وطالبه مستشاره العسكري الرائد جولزراك بإخفاء الأسلحة الثقيلة، والإنتشار في الجبال على هيئة مجموعات صغيرة والتخلي عن المناطق التي يصعب الدفاع عنها.

لكن حقاني كما رأينا قرر المواجهة والمحافظة على المناطق الجبلية المحررة بل هاجم في المناطق الزراعية كما رأينا في حملته الطويلة والناجحة ضد منطقة تعمير في وادي زورمات.

وفور إنسحاب القوات الشيوعية إلى جرديز تحرك حقاني مع معظم قواته إلى مركزه في(سيرانا) الواقعة في منطقة قبائل (جدران) وبدأ يضرب ويناوش (جرديز) نفسها حتى لا يتحول العدو لضرب (سيرانا) كما كان يأمل عندما هاجم (جاور).

لقد إرتفعت معنويات مجاهدي باكتيا بل مجاهدي مناطق مجاورة مثل محافظة لوجار. وكما رأينا فإن القوات الحكومية تمكنت من الإنسحاب بسلام عن طريق منجل: (خوست، جاجي ميدان،حسن خيل،سيدكرم،جرديز). ولا يمكن عبور هذا الطريق بسلام إلاّ بدفع مبالغ محترمة من الأموال لقبائل منجل أساساً وللمجاهدين في المنطقة وأغلبهم من نفس قبائل منجل.

وفي ظني أن تلك القوة كان يمكن تدميرها بشكل كامل .

(إذا لاحظنا أن القوات السوفييتية يتم نقلها جواً من مطار خوست إلى مطار كابول وهم عبارة عن جنود الكوماندوز وخبراء المدفعية والمستشارين من الضباط الكبار).

أما القوة التي تعود براً فهم الجنود الأفغان الذين إستنزفوا لأسابيع طويلة فى القتال، ومعنوياتهم في الحضيض بعد حملة فاشلة طويلة وعظيمة الخسائر..

لقد عاد كل منهم بعد أن خسر عدداً من أصدقائه وسط جبال خوست.

ومع ذلك ونتيجة لإرتفاع معنويات المجاهدين والسكان، فقد تعرضت القوات الحكومية لعدة نكسات متتابعة بعد إنتهاء عمليات خوست التي توقفت مع بداية شهر أكتوبر 1985 في نفس الشهر تعرضت قوة حكومية متحركة من (كابول) نحو (جارديز) إلى هجوم ساحق من المجاهدين دمرالقوة تماماً كما دمر شحنة من الصواريخ تقدر بألفي صاروخ كانت تنقلها إلى جارديز وإستولى المجاهدون على منصات إطلاق لهذه الصواريخ فأطلقوا عدداً منها ضد كابول.قوة أخرى كانت متوجهة إلي مدينة أورجون في باكتيكا وقعت في حقل ألغام وكمين نصبه المجاهدون وإضطرت للقتال طيلة عشرة أيام متواصلة. وفقدت 150 آلية و 350 جندي.

وفي جارديز نفسها هاجم الأهالي أحد الفنادق كانت الحكومة تحتجز فيه مئة من الأطفال تتراوح أعمارهم من 10إلى15عاما لنقلهم إلى موسكو لإعدادهم ليكونوا كوادر حزبية..

وتمكن الأهالي من إطلاق سراح أربعين صبياً ونقلوهم إلى خطوط المجاهدين.

أما مدينة (الأورجون) فقد فر أحد ضباط حاميتها مع جنوده وأفراد أسرته وإنضم إلى المجاهدين بعد أن سلّمهم 50 بندقّية آلية وجهازي إرسال لاسلكي، وأعلن عن عزمه السفر إلى

مسقط رأسه مدينة (قندز) كي ينضم إلى المجاهدين هناك.
إذن على الرغم من كل السلبيات والضربات المؤلمة فإن المجاهدين على الجبهة العسكرية مازالوا يتقدمون وإن كان ذلك تم ببطء وبتكاليف عالية. ولكنهم يثبتون يوماً بعد يوم أنهم غير قابلين للهزيمة وذلك على أقل تقدير.

****

أفغانستان فى سياسة عام 1985

بينما السوفييت يشنون حملة إثر حملة و يثبتون عدم قدرتهم على السيطرة على الوضع، وأنهم يخوضون حرباً لا نهاية لها، سوف تستنزفهم إقتصادياً ونفسياً وسياسياً.
فلننظر إلى الصورة السياسية السائدة فى هذا العام.
*تولى ميخائيل جورباتشيوف مقاليد الحكم في موسكو بتاريخ11مارس 1985 وهو أطول الزعماء السوفييت عمراً في قضية أفغانستان. فالزعيم السوفييتي ليونيد بريجنيف هو الذي إتخذ قرار التدخل في أفغانستان، وظل يحكم لمدة عامين منذ إتمام ذلك التدخل، وقضى هذين العامين في حالة موت تدريجية، وفي آخر عدة أشهر من حياته إبتعد عن الأضواء تماماً... تاركاً الأمر لمساعديه. وكان جورباتشيوف من أقربهم إليه حيث جذبه بريجينيف من الصفوف الخلفية للحزب ودفعه إلى الصدارة وولاه مسئولية رئاسة معظم اللجان الهامة.. وكان يوصي أن يخلفه في الحكم...
وبوفاة بريجنيف (نوفمبر 1982) تولى أباطرة اللجنة المركزية تعيين الحاكم على طريقتهم، فتولى يوري أندروبوف رئيس جهاز الاستخبارات السوفييتي KGB وهو من الجيل الستاليني المسمى بالحرس الحديدي. ويقال أن أندروبوف تحرك بشكل ملموس في إتجاه تسوية سياسية للأزمة في أفغانستان، وبدأت في عهده المباحثات السياسية مع باكستان والغرب، سواء في السر أو في العلن عن طريق الأمم المتحدة التي توسطت في سلسلة مباحثات جنيف.
توفي أندروبوف في ديسمبر 1984 بعد أن قضى خمسة عشر شهراً فقط في الحكم. قضاها مريضاً ويعاني سكرات الموت.. تماماً مثل سلفه السابق. وفي أثناء فترة الإحتضار الطويلة تلك كان جورباتشوف هو الحاكم الحقيقي في الظل..
وإبتكرت له الصحافة الرسمية وقتها لقباً إستُخدِم لأول مرة وهو (السكرتير العام المساعد للحزب الشيوعي السوفييتي).
تولى جورباتشوف الحكم رسمياً في 11 مارس 1985 وسط توقعات متفائلة للغاية في الأوساط الغربية بأن الرجل سوف ينهي الحرب الباردة بين المعسكرين. وبالتالي سوف يصل مع الغرب إلى صفقات تسوية للكثير من القضايا الدولية الهامة، وعلى رأسها مشكلة فلسطين (مشكلة الشرق الأوسط في المصطلح السياسي)، ومشكلة أفغانستان إضافة إلى سلسلة طويلة من مشاكل شعوب العالم الثالث. أيضاً إنتظر الغرب من جورباتشوف خطوات نحو إنهاء سباق التسلح وعقد إتفاقات الحد من الأسلحة النووية.
وراودت الغرب آمال كبيرة في أن جورباتشوف سوف يتخذ خطوات بعيداً عن الشيوعية في مجالات الإقتصاد والسياسة.. فيتحول بدرجة ما نحو إقتصاد السوق ونحو التعددية الحزبية في

داخل بلاده. كان جورباتشوف قد أعطى الغرب ما يكفي من الإشارات خلال السنوات الماضية على عزمه على المسير في تلك القنوات، وأنه على وشك إتخاذ خطوات جديدة جذرية لتجديد شباب الاتحاد السوفييتي، الذي ظهرت عليه أعراض الشيخوخة، وكان أبرز دليل عليها هو تلك السلسلة من أنصاف الموتى الذين حكموا البلاد في الفترة الأخيرة.

كان النظام كله في الحقيقة نصف ميت وفي طريقه إلى القبر.. وذلك ما حدث خلال ستة سنوات تقريباً من حكم جورباتشوف، فهذا الزعيم الشاب بالمقياس السوفيتي (كان جورباتشوف أصغر زعيم يتولى حكم البلاد فقد كان عمره آنذاك 54 عاماً فقط)، هذا الشاب الذي جاء بأحلام العلاج لم يدرك أن المريض كان يحتضر فعلاً ومات بين يديه بدون أن يملك أن يفعل له شئ، رغم أن البعض يظن أن الطبيب جورباتشوف قد ساعد متعمداً على سرعة وفاة النظام السوفيتي.

رحب الغرب بحماس بوصول جورباتشوف إلى حكم الكرملين. لهـذا تكـرم عليـه الـرئيس الأمريكي رونالد ريجان بالموافقة على مقابلته بدون شروط مسبقة وتم اللقاء فعلاً في 21 نوفمبر1985. **"لاشك أن معارك خوست سالفة الذكر كانت لتقوية مركز جورباتشوف فى محادثاته القادمة مع ريجان".**

ونشير هنا إلى أن التفاؤل الغربي قد تم رغماً عن الحملات السوفيتية العسكرية التي تصاعدت في أفغانستان بشكل لم يسبق له مثيل في عهد تشرننكو، والمعروف أن جورباتشوف كان هو الحاكم الفعلي. وكما ورد معنا فإن عام 1984 كان أصعب الأعوام بالنسبة للمجاهدين الذين عانوا من ضغوط لم يسبق لها مثيل من جانب الجيش الأحمر. وإستمرت تلك السياسة طوال عام 1985 ـ أي في عهد الحكم المباشر لجورباتشوف ـ وإستمرت كذلك حتى توقيع إتفاقية جنيف (إبريل 1988) القاضية بإنسحاب الجيش السوفيتيي من أفغانستان وهو الإنسحاب الذي تم في 15 فبراير 1989.

وبشكل عام فإن عهد جورباتشوف كان عهداً دامياً أكثر من أي عهد آخر بالنسبة للشعب الأفغاني. والذي لا شك فيه أن جورباتشوف قد أكّد للغرب عزمه الأكيد على الإنسحاب من أفغانستان. وبعد إجتماعه مع الرئيس الأمريكي في نوفمبر، دفع جورباتشوف الحزب الشيوعي السوفيتي لإصدار قرار يطالب بالإنسحاب العسكري من أفغانستان ويدين قرار التدخل في تلك البلاد. تم ذلك في الإجتماع السابع والعشرين والذي عقد في ديسمبر 1985.

(يمكن اعتبار الحملة على جاورفى سبتمبر85 تغطية عسكرية لهذا القرار ،كما كانت الحملة على جاور 1986 تغطية عسكرية لقرار الإنسحاب الفعلى من أفغانستان والذى أتخذ فى إجتماع جنيف فى مايو 86 ـ بالمثل فإن حرب 1973 بين العرب وإسرائيل كانت تغطية عسكرية تتطلبها عملية السلام التى قررها هنرى كيسنجر وزير خارجية أمريكا و نفذها أنور السادات مع أخرون فى إسرائيل).

وتشجيعاً له فإن الولايات المتحدة قدمت عدة إغراءات تقوي موقفه داخلياً... وتكون سنداً لسياسته غير المألوفة والجريئة.. والتي عجلت في النهاية بسقوط النظام.. الذي كان ينزف بشدة على جبال أفغانستان.

فلننظر أولاً إلى مشاكل السوفييت حتّى ندرك قيمة الإغراءات الأمريكية.

كان الإتحاد السوفيتي وقت وصول جورباتشوف إلى الحكم يعيش أزمة حادة وصلت إلى صلب النظام. فالإقتصاد الذي إعتبروه محرك التاريخ بدأ يطحنهم تحت حوافره.

* **الزراعة** تتقهقر رغم أن الحكومة تنفق فيها ثلث الميزانية.. فلا أحد يريد أن ينتج للدولة.. الجميع يريدون فقط أخذ حقوقهم منها بدون أن يقدموا إنتاجاً يذكر. ولأول مرة في تاريخه يدخل الإتحاد السوفيتي سوق إستيراد القمح كأكبر مستورد في العالم رغم أراضيه الزراعية

الشاسعة. وعام 1985 كان السوفييت في حاجة إلى إستيراد 500 مليون طن من القمح. وهي أكبر كمية يضطرون إلى إستيرادها في عام واحد. وهي كمية تكلفهم بأسعار نفس العام ما بين 7 إلى 8 مليار دولار(أى ما يعادل قيمة مبيعاتهم من الأسلحة).
وفي عام 1984 استورد السوفييت قمحاً من الغرب بقيمة 3.2 مليار دولار تقريباً. إن ذلك يعني ببساطة أن السوفييت بدأوا يعتمدون على الغرب في رغيف الخبز. وهذا يستدعي حتماً تقديم تنازلات سياسية جذرية وأيضاً عسكرية لصالح الغرب.
* **الصناعة** البترولية في الإتحاد السوفيتي بدأت تتراجع.. فبعض حقول النفط بدأ ينضب وبعضها الآخر بدأ إنتاجها ينحدر حتى أصبح غير إقتصادي. وكان على الحكومة أن تقوم بتدابير لمعالجة المشكلة.. منها البحث عن مصادر بترولية في الأماكن النائية مثل سيبيريا التى تحتاج إلى رؤوس أموال كبيرة ليست في مقدور الدولة التي بدأت في الإستدانة الخارجية وبلغت ديونها في ذلك الوقت حوالي 10 مليار دولار.
* **إنخفض** معدل نمو السكان منذ أواسط الستينات بدرجة أصبح متعذراً معها العثور على الأيدي العاملة اللازمة لخطط التنمية، وعلى سبيل المثال كان معدل زيادة القوة البشرية العاملة خلال خطة التنمية (80/76) هو 11 مليون شخص، بينما بلغ أثناء خطة 85/81 ثلاثة ملايين فقط. المرض الأخطر ـ كان المرض الأخلاقي ـ فالرشوة والفساد والسرقات والإختلاسات دمرت المشروعات الحكومية وأهدرت ميزانية الدولة.. وقد حاول جورباتشوف في بداية عهده ردع هذه الظاهرة بواسطة أحكام قاسية بالإعدام على جرائم صغيرة وأحكام بالعزل والسجن ضد بعض المسئولين هنا وهناك. ولكن ذلك لم يجدي نفعاً.. وأصبح الفساد والإجرام المنظم هما الحاكم والمدير الفعلي للبلاد ، وما زال ذلك قائماً حتى وقت كتابة هذه السطور. وليس من المنتظر أن تتوقف هذه الظاهرة إلا أن يصل المسلمون إلى حكم موسكو.
* **حرب** أفغانستان كانت نزيفاً إقتصادياً كبيراً للسوفييت. وقد كان شائعاً في التقديرات الغربية وقتها أن السوفييت ينفقون سنوياً أربعة مليارات دولار على قواتهم في أفغانستان، ولكن رئيس وزراء الإتحاد السوفيتي صرح بأن بلاده كانت تنفق سنوياً من 7 إلى 8 مليار دولار في حرب أفغانستان التي كلفتها حتى تاريخه 70 مليار دولار(نشر التصريح في جريدة الإتحاد عن وكالة رويتر في 89/6/8).
وإلى جانب حرب أفغانستان فإن الولايات المتحدة إتخذت إجراءات أخرى لإضعاف السوفييت إقتصاديا كخطوة ضرورية نحو تركيعهم سياسياً.. فمثلاً:
أعلن الرئيس الأمريكي ريجان عن بدء بلاده في برنامج حرب النجوم بميزانية للأبحاث فقط مئتي مليار دولار. ومعنى ذلك المشروع ببساطة أنه في حال إتمامه فلن يستطيع السوفييت الرد على أي هجوم نووي أمريكي لأن الأقمار الصناعية الأمريكية في الفضاء سوف تحطم صواريخهم في ظرف ثوان من إنطلاقها بواسطة أشعة الليزر. فلا مناص لهم إذن من برنامج مماثل، وهو العمل الذي لا يمكن لإقتصادهم المريض أن يتحمله.
أمرت الولايات المتحدة دول الخليج العربية بأن تغرق أسواق النفط بالإنتاج حتى تنخفض الأسعار.. وكانت السعودية بصفتها أكبر منتج للنفط في العالم غير الشيوعي، وكان الهدف من الإجراء الأمريكي هو دفع إيران نحو الإفلاس كي تعلن هزيمتها في حربها ضد العراق.
والضحية الثانية هم السوفييت الذين بدأوا في تصدير النفط والغاز لأوروبا طلباً للعملة الصعبة لمعالجة اقتصادهم المريض.

(والضحية الثالثة كانت العراق فيما بعد حربها مع إيران فقد كانت في أشد الحاجة لعائدات النفط لإعادة بناء اقتصادها بعد الحرب، وكان ذلك دافعاً رئيسياً لصدام حسين نحو مغامرته في الكويت التي أغرته بها أمريكا ثم قضت عليه هناك في نصر بلا حرب.سوى حرب استعراضية أمريكية من طرف واحد).

هذه الصورة الكئيبة داخل الإتحاد السوفيتي تنبيء بتراجع قيمته الدولية وبأنه بات لا يستحق وضعه كمنافس للولايات المتحدة على زعامة العالم. إن الإقتصاد السوفيتي يتراجع.. فلا بد أن تتراجع المكانة السياسية للاتحاد السوفيتي.. أوليس ذلك تطبيقاً عادلاً لمقولتهم بأن الإقتصاد هو العنصر المحرك للتاريخ؟.

ولكن هناك عنصراً مستحدثاً عرقل عمل ذلك القانون الماركسي، وهو عنصر الأسلحة النووية. فالإتحاد السوفيتي يملك أكبر ترسانة نووية في العالم فلا يمكن هكذا ببساطة إزاحته عن مكانته السامية كشريك للولايات المتحدة في إدارة العالم والسيطرة على مقدراته.

عندما وصل جورباتشوف إلى السلطة كانت أمريكا قد لخصت تقييمها لبلاده على أنها دولة من العالم الثالث تمتلك ترسانة نووية من العالم الأول!!، إن هذا التقييم الذي ورد على لسان مسئولين كبار في الولايات المتحدة يقودنا إلى الإستنتاج بأنه منذ عهد جورباتشوف والإتحاد السوفيتي يفرض نفسه على سقف العالم شريكاً للأمريكان بقوة سلاحه النووي أساساً. لقد كانت أول حالة في تاريخ البشرية يستخدم فيها السلاح النووي في عملية ابتزاز سياسي على نطاق العالم بهذا الشكل.

لم يكن السوفييت أقوياء فقط في سلاحهم النووي المتفوق، بل لا بد أن نضع في إعتبارنا أنهم كانوا يمتلكون في ذلك الوقت أقوى جيش بري في العالم يمتلك الأسلحة التقليدية المتطورة.

وصف أحد الخبراء الغربيين ذلك الجيش بقوله أنه أقوى جيش بري تحرك فوق سطح الأرض منذ بدء الخليقة.

* **هذا** التقييم العسكري للسوفييت هام للغاية بالنسبة للمسلمين في حالة تقييمهم لحرب أفغانستان، وما قام به المجاهدون في تغيير خريطة العالم السياسية وإسقاط الإتحاد السوفيتي بفضل هذا الجهاد.

لقد كان الإتحاد السوفيتي قادراً على الإستمرار في لعبة الإبتزاز النووي، والبقاء على سقف العالم رغم فقره الإقتصادي بل أن هذا الفقر نفسه سوف يزيد من خطورة السوفييت وإحتمال لجوئهم إلى السلاح النووي للحفاظ على مركزهم الدولي. بل يمكن أن نقول أن هذا الفقر أعطى مصداقية للسوفييت في إمكان لجوئهم إلى الحرب النووية.. وقرب أصابعهم أكثر نحو الأزرار النووية... فهم خاسرون على كل الأحوال، إما بالانهيار الاقتصادي المؤدي إلى إنهيار النظام، أو بالحرب النووية وفناء العالم.. وبالطبع بالنسبة لأي شيوعي مخلص فإن فناء العالم أقل ضرراً من سقوط الدولة الشيوعية.

إذن الغرب بزعامة أمريكا كان مرغماً تحت تهديد الابتزازالنووي إلى تقديم تنازلات للسوفييت. وهؤلاء بدورهم مرغمون على تقديم تنازلات للغرب تحت وطأة الإفلاس الإقتصادي.

هذه هي للمعادلة التي كانت تحكم العالم حتى حرر المجاهدون الأفغان العالم كله من شبح الحرب النووية بإسقاطهم للآلة العسكرية السوفييتية التي خرجت محطمة ليس مادياً بل نفسياً ومعنوياً. لقد فقد الجيش ثقته بنفسه وثقته في النظام الحاكم في بلاده. وفقدت شعوب الإتحاد السوفيتي رهبتها من الجيش ورهبتها من جهاز الأمن "**KGB**" الذي سقط هو الآخر في

أفغانستان فخلعت تلك الشعوب من قلوبها الخوف من النظام الحاكم .
وبإنهيار قوى القمع التي تثبت قطع (الموزاييك) السوفيتي في النسيج الاتحادي.. بدأ الإتحاد السوفيتي في الإنفراط وسقط النظام من الداخل وبدون الحاجة إلى حرب نووية.
هذا هو الجميل الذي قدمه المسلمون الأفغان والمتطوعون العرب للعالم كله.. وقد تلقوا الجزاء المناسب لهذا الجميل.. من قتل وتشريد وإرهاب وسجون وحرب أهلية.. لقد قدم المسلمون دماءهم بعقيدة دينية متوقّدة.. ولكنهم لم يتبصروا أمر من يقودهم، ولم يعملوا على بصيرة وعلم.. وللأسف فإن التاريخ لا يرحم المغفلين.. ونرجو أن لا نكون ممن تطالهم الآية الكريمة (ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار).. لقد ركنت الأغلبية إلى السلطات الباكستانية والسعودية وقادة الأحزاب الفاسدين، والبعض ركن إلى أمريكا نفسها.. بل أن اليهود قد وصلوا إلى (ساحات الجهاد) في بشاور.
فهل نطمح بعد كل ذلك في إقامة دولة إسلامية..؟؟
فلننظر إلى الإغراءات،أو التنازلات ، التي قدمتها أمريكا للحاكم الجديد في الكرملين.
أولاً : بالنسبة لأفغانستان، تعهدت أمريكا بألا تدع أي فرصة لإقامة نظام إسلامي في أفغانستان.
وهو أشد التحفظات أهمية لدى السوفييت فقد كان يؤرقهم شبح جهاد إسلامي يزحف إلى جمهوريات آسيا الوسطى الإسلامية متجهاً نحو موسكو.
أمريكا يؤرقها نفس الهاجس ولا يمكنها القبول به لا في أفغانستان و لا فى أي جزيرة من القطب المتجمد.
كانت نقطة إجماع بين الطرفين لا شك فيها.. وبعد لقائهما الأول كان الخلاف الذي إستمر لسنوات في تقسيم التركة الأفغانية بينهما، فكل منهما يصر على حصة الأسد. ولكنهما إتفقا على إبعاد باكستان من التقسيمة، أو تهميشها إلى أقصى حد حتى لا تتحول هي نفسها بعد الحرب إلى غول إسلامي في جنوب آسيا.. خاصة تحت القيادة الطموحة لضياء الحق الذى عمل الطرفان على إغتياله في عملية أغسطس 1988 بتفجير طائرته في الجو.
وكما ذكرنا فإن الحرب الأفغانية إستمرت لسنوات حتى يحكم الميدان عملياً على صحة موازين القوى المتصارعة فوق الأرض الأفغانية هل هي لأتباع موسكو الشيوعيين أم لأتباع أمريكا المجاهدين!!.
ثانياً : بالنسبة لمشاكل السوفييت المالية، وحاجتهم إلى عملة صعبة وحاجتهم إلى بترول رخيص، وحاجتهم إلى أسواق لتجارتهم المتدنية الجودة العاجزة عن المنافسة في السوق الدولي، وحاجتهم إلى المياه الدافئة كى تتمدد فوقها سفن أساطيلهم العسكرية التي أرهقتها المحيطات المتجمدة. كل ذلك دفعة واحدة سوف يجدونه في...الخليج (العربي) ! ! .
وبدون حرب، وبلا حاجة لإحتلال أفغانستان ثم التفكير بعدها في إبتلاع إيران أو باكستان سعياً نحو المياه الدافئة. ذلك الخليج.. المنطقة الأولى للمصالح الأمريكية في العالم... سوف يأخذ السوفييت حصة مجانية لم يحلموا بها قبلاً: إعتراف سياسي من تلك الدول بالإتحاد السوفييتي وقد كان ذلك محظورا دينياً في إدعاءات حكام المنطقة الذين إعترفوا بإسرائيل بعد ذلك بسنوات قليلة.
ثم أسواق تجارية مفتوحة للسوفييت.. بل وصفقات أسلحة أيضاً.... أي حصة من سوق السلاح في المنطقة وهي من أضخم أسواق شراء الأسلحة في العالم. وكانت أول صفقة للسوفييت هي صفقتهم مع الكويت لبيع أسلحة في عام1988 أما أسواق العراق فكانوا هم الشريك الثاني بعد

فرنسا في توريد الأسلحة المتطورة لإستخدامها ضد إيران. (مبيعات أمريكا من السلاح للدول الخارجية بلغت 7.9 مليار دولار عام 1982 مقابل 7.8 مليار دولار للمبيعات السوفييتية من السلاح)
لقد ضغطت أمريكا على أزرارها للتحكم عن بعد في عرائس الخليج، فبدأ المسرح السياسي يضج بالحركة الهزلية.
بدأت الهزة الأولى في البحرين في (85/7/28) التى قالت إن على دول الخليج أن تعيد تقويم روابطها مع السوفييت وأشارت إلى أن قراراً كهذا يحتاج إلى تشاور في نطاق (الاستراتيجية التكاملية!!!) داخل مجلس التعاون الخليجي، والمتفق عليها بين أعضائه.
معلوم أن البحرين ليست سوى (ملهى) سعودي مرتبط بجسر بري مع الأراضي المقدسة لتسهيل حركة المخمورين. لذا فالسعودية دفعت صبيها الصغير ليمهد لها الجو.
أما هي فقد تحركت بأسلوب صديقهم اليهودي كيسنجر الذي أعاد علاقة بلاده مع الصين منتهجاً سياسة (البينج بونج) الشهيرة.فحركوا فريقهم لكرة القدم بتاريخ 1985/8/24 تحت رئاسة رئيس المجلس الأعلى لرعاية الشباب في المملكة للاشتراك في تصفيات بطولة العالم الخامسة لكرة القدم للناشئين والتي جرت في تبليسى عاصمة جورجيا. حيث إجتمع أيضاً بعددٍ من كبار المسئولين السوفييت منهم نائب وزير الخارجية السوفييتية إضافة إلى رئيس قسم الشرق الأوسط في الوزارة ومع السفير السوفيتي في الكويت. وكانت أول زيارة يقوم بها وفد سعودي تحت أية صفة منذ "26 أغسطس عام 1926" في عصر ستالين، حين أرسل الملك عبدالعزيز إبنه فيصل (الملك لاحقاً) لتقوية العلاقات بين البلدين، وقد إجتمع به وقتها كالينين رئيس الجمهورية الـسوفيتي.أي بفاصـل59عامـأبين الزيـارتين قـضتها المملكـة فـي أحـضان العقيـدة الصحيحة لآل سعود! !... وما زالت، إلى حين.
في تلك الأثناء كان وزير السياحة السوفيتي (فغيني كرولكوف) يجتمع مع وزير الإعلام البحريني طارق المؤيد في (الخامس عشر من أغسطس 1985). وسط إهتمام رسمي بالزيارة.
السلطان قابوس قرر القيام بحركة دراماتيكية في نفس الإتجاه وقرر إقامة علاقات دبلوماسية كاملة مع الإتحاد السوفيتي بتاريخ 85/9/28. (قام بعملية مشابهة في أواخر عام 1994 حين دعا إلى بلاده رئيس الوزراء الإسرائيلي إسحق رابين ثم صرح مفاخراً بأن له علاقات سرية مع إسرائيل منذ عشرين عاماً!!).
أبوظبي كانت أكثر تحفظاً ودعت لزيارتها الصحفي السوفيتي الشهير إيجور بيلاييف في أكتوبر 1985. الذي عاد بعد زيارته كي يكتب سلسلة مقالات تشيد بدولة الإمارات والقيادة الحكيمة للشيخ زايد بن سلطان آل نهيان.. وهذا يكفي.
في العام الذي تلاه كانت الخطوات الأهم في تطبيع العلاقات بين الطرفين.
الكعكة الخليجية الساخنة كانت هي الطعم.. قدموا قطعة صغيرة منها لجورباتشوف قبل أن يجلس مع ريجان كي يتنازل عن الكثير.
وقبل أربعة أسابيع من الإجتماع التاريخي جمع جورباتشوف أتباعه من زعماء حلف وارسو في العاصمة البلغارية صوفيا كي يقروا التنازلات التي سيقدمها سيدهم لسيد البيت الأبيض.
وكرروا عروضاً سابقة كان قد تقدم بها جورباتشوف مثل تجميد حجم القوات التقليدية لكلا الطرفين بما في ذلك القوات المتمركزة خارج أراضيهما اعتباراً من يناير 1986،
وأن توقف الدولتان فوراً كل نشاط لتطوير الأسلحة الفضائية وتجربتها ونشرها بما في ذلك الأسلحة المضادة للصواريخ، فضلاً عن نشر الصواريخ النووية متوسطة المدى في أوروبا،

والإمتناع عن نشر أسلحة نووية في بلدان لا تملكها في الوقت الحاضر وعدم تحديث الأسلحة الموجودة..

لم يكن في مقدور الرفاق تقديم أكثر من ذلك الدعم الباهت لكونهم مدانين للغرب بما يناهز (مئة مليار دولار) فقط لا غير!!.

ملاحظة جديرة بالذكر: في عام برجينيف الأول، الميزانية العامة التي أعلنت قبل توليه السلطة بقليل، إرتفع الإنفاق العسكري بنسبة **20%** دفعة واحدة. الدافع إلى ذلك كما قال خبراء الشئون السوفيتية ليس فقط مجاراة البرامج العسكرية الأمريكية بل أيضاً المحافظة على القدرة التنافسية للصناعات العسكرية السوفيتية من ناحية الجودة والسعر ويعتبر الإتحاد السوفيتي ثاني أكبر تاجر أسلحة في العالم بعد الولايات المتحدة وذلك يمثل أكبر دخل له من العملة الصعبة.

إذن الصناعة العسكرية دعامة رئيسية للاقتصاد السوفيتي. فمن هنا نفهم أهمية سمعة السلاح من أجل تسويقه.. وسمعة سلاح الدولة يأتي من نجاح الحروب التي يستخدم فيها هذا السلاح. فالحروب الإقليمية والحروب بالوكالة تعتبر مجالاً دعائياً خصباً لأسلحة الدول العظمى..

وعلى سبيل المثال فإن إنتصار إسرائيل على العرب عام 1967 كان دعاية ضخمة للأسلحة الأمريكية خاصة طائرات الفانتوم التى عزى إليها إنهاء الحرب بضربة جوية خاطفة في أول القتال (لعلنا ندرك الآن كذب هذا الإدعاء لأن جمال عبد الناصر، لم يكن لديه نية على الإطلاق لخوض الحرب، وظن أنها عملية تهويش سياسي يحرز منه مكسب دعائي ضخم).

كما أسفرت حرب 67 أيضاً عن تلك الدعاية التي ما زالت مستمرة إلى الآن لرشاشات (عوزي) الإسرائيلية.

لهذا نظن أن أحد أسباب تلكؤ السوفييت في الإنسحاب من أفغانستان، إلى جانب السبب الذي ذكرناه سابقاً (وهو تحديد نقطة التوازن الفعلي على أرض المعركة قبل تحديد نسبة توزيع الغنائم السياسية بينهم وبين الأمريكان) السبب الآخر هو خشية السوفييت الإنسحاب من أفغانستان بطريقة متعجلة توحي بوقوع هزيمة عسكرية. وبالتالي سوف تتأثر سمعة السلاح السوفيتي في السوق الدولية.. لذا فقد أصروا أن يحصلوا علي إنسحاب مشرف تحت تغطية سياسية كافية. وقد ساعدتهم أمريكا في ذلك دعائياً، وحتى عسكرياً كما حدث في حملة فتح طريق "خوست/جرديز" الذي لم تكن سوى تمثيلية مذاعة ومتلفزة دولياً لإظهار السوفييت بأنهم ينسحبون من أفغانستان وهم قادرون على النصر على حد تعبير الإعلام الغربي.

وهكذا إنسحب السوفييت تحت غطاء كاف بمساعدة الغرب. ولكن الشئ الذي لم نكن نحن نتوقعه كمسلمين هو أن تستغل أمريكا تلك الفرصة من أجل الترويج لأسلحتها.. فقد أرجعت النصر في أفغانستان إلى تكنولوجيا السلاح المتفوقة المتمثلة في صواريخ ستينجر الأمريكية.. وما زالت أمريكا تروج لتلك الكذبة من أكاذيب الدعاية التجارية، حتى الآن.

وهي كذبة مفيدة لهم على المستوى السياسي والنفسي؛ لأنها تعني ببساطة أن الأفغان لم يكونوا سوى عملاء رخيصين في أيدي اللاعب الأمريكي الماهر..

وإذا كان ذلك صحيحاً على مستوى قادة الأحزاب (الجهادية!!.) الأفغانية فهو قطعاً ليس بصحيح بالنسبة لأولئك الأفغان والعرب والمسلمين الذين قاتلوا حتى اللحظة الأخيرة، جهادا حقيقياً في سبيل ا .

بقي أن نعرف بأن قمة العملاقين تمت بعيداً عن الإعلام الدولي ولم يعلن شئ عن قراراتها...

كي تظل حكومات العالم تضرب أخماساً بأسداس .

....

جنرال فوق الصفيح الساخن

ضياء الحق الرجل ذو التأثير المباشر على أحزاب (الجهاد!!) الأفغانية والحلقه الوسيطة بين أمريكا والمجاهدين الأفغان كيف كان وضعه في ذلك العام 1985؟.

وكما ذكرنا فإن أخطرما فعله ضياء الحق كان محاولته ابتلاع كل ـ أو معظم ـ فوائد صراع إقليمي بين العملاقين لمصلحته هو أي لمصلحة طرف إقليمي تابع.

كانت مغامرة.. قامر فيها ضياء الحق بحياته وحياة جنراله القوي أختر عبد الرحمن.

كان ضياء الحق يتلقى سنوياً من الولايات المتحدة مبلغ 500 مليون دولار مقابل سماحه للمساعدات الأمريكية العسكرية أن تعبر أراضي باكستان لمساعدة المجاهدين الأفغان (إخوانه في الدين).. وظل ضياء الحق يضغط من أجل المزيد.

لا تستطيع أمريكا الدفاع أمام شعبها عن مساندة جنرال إستولى على الحكم بإنقلاب عسكري ولو تحت إشرافها. لا بد إذن من إنتخابات برلمانية ورفع الأحكام العرفية والتحول تدريجياً نحو الديموقراطية في باكستان. بدأ ضياء ينفذ ما يؤمر به مع محاولة تفريغ كل تلك الإجراءات من محتواها.. فأجرى إنتخابات مارس85 ولكن على غير أساس حزبي.

(وعلى حسب ما رأيناها كانت إنتخابات للأغنياء الذين يستطيعون شراء أصوات الناخبين الفقراء. تم رفع الأحكام العرفية التي عرفت بأطول أحكام عرفية في تاريخ باكستان.

8.5 سنة فقط.. وكان ا في عون شعب مصر الذي تحكمه أحكام عرفية وقوانين طوارئ منذ ثورة يوليو 1952 وحتى تاريخه) .

وفي بداية عام1984 سمح ضياء الحق، لأبنة ذى الفقار علي بوتو (بي نظير)، أن تغادر البلاد تحت ضغط أمريكا والغرب، بعد أن كان يحتجزها في باكستان خوفاً من نشاطها السياسي. كانت أمريكا قد بدأت تجهز لعهد ما بعد ضياء الحق، فقد كان مؤكداً أنها سوف تتخلص منه في وقت ما وهي تجهز البديل: نظام ديموقراطي ترأسه (بي نظير). ومرحلة قادمة هدفها الإستراتيجي إقتلاع الإسلام من باكستان، التي تعتبرها عقول أمريكا المفكرة (نيكسون خاصة) بأنها حلقة من القوى الإسلامية النشطة والخطيرة والمكونة من إيران و باكستان و أفغانستان. كان ضياء مدفوعاً كي يحفر قبره بيديه، ها هو يبدأ في تأسيس الديموقراطية ثم يفرج عن إبنة بوتو، التي بدأت بتمويل خليجي وإيعاز أمريكي لتكوين (حركة إستعادة الديموقراطية) والمكونة من أحد عشر حزباً في باكستان، شكلت جبهة المعارضة الرئيسية لضياء الحق، بل لحكومته الجديدة التي شكلها برئاسة (محمد خان جينيجو) المنتمي إلى حزب الرابطة الإسلامية (وهو الحزب الرئيسي في باكستان حالياً في مقابله حزب الشعب الخاص لآل بوتو). وكلاهما يدين بالتبعية للغرب وكعبتهم هي البيت الأبيض في واشنطن.

(بي نظير) عادت إلى باكستان لدفن جثة شقيقها (شاه نواز) الذي إغتيل مسوماً في باريس في حادث إغتيال سياسي غامض. ومن أقوى النظريات حول إغتياله هي أنه أغتيل لأنه كان ينوي عقد مصالحة مع ضياء الحق. وذلك يعني مزيد من القوة والشرعية لضياء كما يعني إضعافاً لموقف (بي نظير) التي تعد الآن رهاناً أمريكياً، مقبول سوفيتياً، نظراً للخلفية الماركسية لحزب الشعب ومؤسسة بوتو. وبناء على تلك النظرية فإن إغتيال شاه نواز يخدم المصالح الأمريكية

السوفيتية كما أنه يخدم الطموح السياسي لأخته بي نظير.. فمن قتل شاه نواز؟.
بي نظير تربت في انجلترا وعادت إليها لتمارس نشاطها السياسي وقيادة التحالف السياسي المعارض لضياء الحق. القلاقل الداخلية كانت نزيفاً لنظام ضياء الحق.. كان السوفييت هم المتهم الدائم، وجهاز استخباراتهم KGB ، و (الخاد) الجهاز الأفغاني للإستخبارات.
إضافة لتنظيم (ذو الفقار) التابع لحزب الشعب الباكستاني، إضافة لأجهزة إستخبارات عربية حليفة لموسكو مثـل ليبيـا والعـراق، حـسب إتهامـات المـسئولين الباكـستانيين آنـذاك. حلفاء ضياء كانوا أيضاً منغمسين في ذلك النشاط، وكثيراً ما وجهوا له تهديدات حتى يرغموه إلى خوض الحرب ضد إيران، وهددوه بفصل بلوشستان عن بلاده حتى تكون عازلاً بينه وبين إيران وقاعدة لشن حرب عصابات ضد إيران. ومولت السعودية حرب الشيعة والسنة داخل باكستان وأنشأت ومولت جماعات عديدة لذلك الغرض وبنت جامعات ومدارس وأصدرت صحفاً وطبعت كتباً وإشترت مؤلّفين وعلماء.. جيش كامل للفتنة الداخلية والحرب الأهلية... ونشر (العقيدة السمحة)..لآل سعود.
إيران لم تقف مكتوفة الأيدي إزاء ذلك النشاط في خاصرتها.. ولكل فعل رد فعل حسب قواعد علم الحركة الميكانيكية. (لا يسري هذا القانون دائماً على الحركة الإسلامية).
أعمال التفجير كانت هي السمة الأغلب في محاولات التخريب الداخلي وكان أشهرها حادث تفجير داخل غرفة التحكم في مبنى تلفزيون بشاور(16/10/ 85)، وإتضح فيما بعد أنه من تدبير (خاد). وعشرات من تلك الحوادث يصعب حصرها.
نوع فريد من جرائم (المجازر السياسية) رتّبه السوفييت مع مخابرات متحالفة معهم، وهو جرائم عصابة البلطة التي إستهدفت العائلات الفقيرة على أطراف المدن أو القرى والأحياء الشعبية. وأبيدت عائلات بالكامل بدون أثر أو صوت أو دليل.. كان من الواضح أنه أداء إحترافي على مستوى عالي جداً.. والقتلى يموتون جميعاً بضربة واحدة بنفس الطريقة في نفس المكان في الجمجمة كأنها عملية جراحية يجريها جراح ماهر.. دلائل كثيرة تشير إلى أنها (مجازر سياسية) لإثارة قاعدة الفقراء التي هي أساس المجتمع. وإمعاناً في إستفزاز الفقراء إلى جانب القتل تم جرح شرفهم، الشئ الوحيد الذي يمتلكونه ويفخرون به، فقد كانت عورات النساء تكشف بعد الجريمة.
وزير داخلية باكستان وقتها (أسلم ختك) قال إن وراء عصابة البلطة أيدي خارجية.
وإذا تركنا السياسة ومشاكل الأمن التي نتجت من الوضع السياسي لننظر إلى العوامل الخفية التي تزحف في خلايا المجتمع، وفي مجتمع الصفوة بشكل خاص. لنجد أن لافتات النظام وشعارات الدولة في وادٍ والإتجاهات الخفية التي تمسك بخيوط المجتمع والحكم تسير في إتجاه معاكس.
فى الواجهة، باكستان دولة إسلامية تسعى إلى تحكيم الشريعة. وعلى قمة السلطة يحكم الجيش بواسطة الجنرال ضياء الحق... هذا الجنرال لم يترك مناسبة إلاّ وتكلّم عن الإسلام وتحكيم الشريعة وتوحيد الأمة.. حتّى أنه كان يزايد على معاصره الإمام (آية ا الخميني) في إيران. ولكنّا نجده أيضاً أي ضياء الحق عضواً في نادي الليونز الماسوني وتلقّى مرتين أكبر جائزة لهذا المحفل وهي مخصصة لرؤساء الدول لم يفز بها معه سوى رئيس أمريكي واحد.
نجد أيضاً أن نفوذ وإنتشار النوادي الماسونية (الليونز/الروتاري) في أزهى حالاته بالنسبة لأي منطقة أخرى، حتى أن جهة إسلامية أصدرت تقريراً يقول إن 64 من وزراء الحكومة ونوابهم

هم أعضاء في الأندية الماسونية المذكورة، وإن 28% من كبار مسئولي الدولة ذوي المناصب الحساسة لا تسمح لهم حساسية وظائفهم من إعلان إنتمائهم إلى تلك الهيئات.
الفنادق الدولية في مدينة كراتشي كانت مصدراً لعدة فضائح إنفجرت وتم التكتم عليها بسرعة.
فهناك مدراء يهود، إختلطوا بموظفي الدولة الكبار الذين يرتادون تلك الفنادق لأسباب رسمية أو غيررسمية، وحصل اليهود على معلومات سرية وخطيرة من زبائنهم.. وعندما تكشفت الفضيحة طار الجواسيس اليهود إلى خارج البلاد. كان فندق شيراتون مسرحاً لواحد من تلك الفضائح.
التبشير الصليبي في باكستان إزدهر فجأة وبشكل غير مسبوق في العهد الإسلامي لضياء الحق.
وأصبح تحت إشراف السفارات الغربية يتلقّى تمويلها بشكل مباشر وعلني ويمارس في وضح النهار في كل مدن وقرى باكستان. وفي تقرير لأحد المبشرين نشرته الصحف قال بأن باكستان هي أكثر مناطق العالم التي يحظى فيها المبشرون بالحرية في العمل.
الأقلية النصرانية في باكستان هي من منبوذي الهندوس الذين تنصروا ولكن ذلك لم يرتفع بمستواهم الإجتماعي. وظلّوا فقراء يعملون في أحط المهن. وبفضل نشاط التبشيريين فتحت لهم مدارس راقية مجاناً يتلقّون فيها أعلى مستويات التعليم داخل باكستان. ثم ينتقلون إلى دول أوروبا للحصول على شهادات عالية. ثم يعودون إلى باكستان للحصول على حقهم (الشرعي) في وظائف الدولة العالية وربما يطالبون مستقبلاً بإنفصال عن باكستان وإقامة دولة صليبية على أحد أجزائها.. المهم أنهم جيش صليبي في خدمة أوروبا على أرض باكستان الإسلامية.لم يكتف (النظام الإسلامي) لضياء الحق بذلك، بل ضاعف الأموال الممنوحة للنصارى من ميزانية الدولة، ورفع ميزانيتهم الخاصة من خمسة ملايين إلى عشرين مليون روبية باكستانية دفعة واحدة لعام 1985.
على مستوى السياسة الخارجية لضياء الحق فإنه تلقّى لطمة من جورباتشوف عندما ذهب لتعزيته وتهنئته بالرئاسة في شهر مارس. فإذا به يتلقى كلاماً عنيفاً بشكل غير دبلوماسي في أمثال تلك المناسبات وعلى مستوى رؤساء الدول. من حق السوفييت أن يشعروا بالحنق من باكستان وضياء الحق، فالكارثة الأفغانية في تقديرهم مصدرها باكستان وضياء الحق.
أما عدم الإحترام فمبعثه العمالة، فالعميل محتقر حتى من أسياده مهما تكلفوا الإحترام شكلياً.
في هذا العام بدأ ضياء الحق توثيق علاقته بالنظام المصري فالجميع تحت السيادة الأمريكية وإن تباعدت البلاد وتنوعت المهام. لم نكن حتى ذلك الوقت نعلم أن لضياء الحق صلات مباشرة باليهود ـ وبعد موته تكشفت حقيقة تواجد المخابرات الإسرائيلية في باكستان بشكل رسمي منذ أوائل الثمانينات أما علاقاته باليهود الأمريكيين أو أندية الماسونية فهذا أمر قديم.
قام ضياء الحق بزيارة لمصر في(85/10/2) لأول مرة منذ زيارة أيوب خان لمصر "**في نوفمبر 1961**" وبدأ ضياء من يومها حملته الناجحة لإعادة مصر إلى منظمة العالم الإسلامي.
(في الحقيقة أن حكومات العالم الإسلامي هى التي ذهبت إلى مصر كي تسير خلفها في طريق خدمة اليهـود والصليبية.أو كما قال الشاعر أحمد مطر : لم يرجع الثور ولكن ذهبت وراءه الحظيرة)
في نفس الوقت كان "طفيل محمد" أمير الجماعة الإسلامية الباكستانية يتوجه إلى مصر كي يحضر مؤتمراً للسيرة النبوية عقِد هناك. وفيما بعد علم أنه بحث مع الأوساط الإسلامية النشطة نموذج العلاقة المثالية التي تربط الجماعة الإسلامية مع نظام ضياء الحق، والدعوة إلى تعميم تلك العلاقة في العالم الإسلامي لخدمة الإسلام والمسلمين، وتفادياً للصدام والفتنة ومعصية

أولي الأمر . كما نصحهم بالإنخراط قلبـاً وقالبـاً فـي العمليـة الـسياسية. وبعـد حـوالي ستة أشهر من زيارته قرر الإخوان فيما وصف بأنه إنقلاب سياسي في حياتهم أن يتحولوا إلى حزب سياسي (جريدة الاتحاد 86/2/14) وكانوا يصفون الأحزاب سابقاً بأنها (لعبة إستعمارية). وحتى الآن لم تصرح حكومة مصر للإخوان لا بإنشاء حزب ولا بعودة الجماعة قانونياً.

ضياء الحق في أكتوبر أيضاً حضر إحتفالات الأمم المتحدة بعيدها الأربعين وإصطحب معه الإبن البار لجميع حكومات باكستان والزعيم الأفغاني الأصولي المتطرف جاب الدين حكمتيار كي يحضر نفس المناسبة ويطالب بمقعد أفغانستان في المنظمة الدولية!!. الرئيس الباكستاني إجتمع مع نظيره الأمريكي ريجان وطالبه بمضاعفة المبالغ المقدمة لبلاده نظير تعاونها مع أمريكا في أفغانستان. وبدلاً من مبلغ 3.2 مليار الذي خصصته أمريكا لبلاده للفترة من 87/81 فإنه يطالب بمبلغ 6.5 مليار!!!. قوبل طلبه بالرفض إضافة إلى مطالب أخرى بتزويد الجيش الباكستاني بطائرات إنذار مبكر وإمكانات تزويد طائرات (إف16) بالوقود وهي في الجو، وأوضح له ريجان بصراحة وللمرة الألف، أنه لن يسمح لباكستان أن تحصل على معدات عسكرية يمكن أن تهدد بها الهند..(هكذا).. ثم طلب ريجان مقابلة الوفد الأفغاني الزائر للأمم المتحدة.. وربما كان تنصيب حكمتيار رئيساً لذلك الوفد تحسباً لعدم نجاح ضياء في الحصول على مطالبه من الرئيس الأمريكي... فيستطيع ضياء رد الصاع بأن يحرم الرئيس الأمريكي من فرصة إلتقاط صور تذكارية للدعاية مع الوفد الأفغاني. وبالطبع إذا كان ضياء قد نجح في مهمته فإن ريجان كان سيظفر بما يريد ولو حرقت رياش الأصولية التي تغطي وجه حكمتيار، فأوامر باكستان لا يمكن رفضها، واليد التي صنعت من السفلة زعماء يمكنها بضغطة زر أن تعيد هؤلاء الزعماء إلى متسولين وسفلة، وربما إلى جثث ملقاة على قارعة الطريق (وهذا ما حدث لضياء الحق نفسه على يد سادته) .الطريف أن (حكمتيار) إتصل تلفونياً بزملائه قادة الأحزاب في بشاور كي يستشيرهم في أمر المقابلة، فوافق الجميع عليها، وفهم بذكائه أن الجميع يرغب في توريطه في عمل يستغلونه ضده في أوساط (الصحوة الإسلامية)!! في بلاد العرب خاصة. وما كانت حكومة باكستان تترك لهؤلاء حرية (التصرف السياسي) حتى في هذا المستوى المتدني مثل مقابلة رئيس دولة عظمى وإلتقاط الصورلأغراض الدعاية السياسية المحلية.لقد فاز ريجان بعد ذلك بمقابلة قادة أفغان بارزين على رأسهم (برهان الدين رباني) الذي سمحت له باكستان، تحت ضغط أمريكي أن يتقدم الصفوف في الإتصالات الأفغانية (الجهادية) على المستوى الدولي، عندما إستدعت تطورات القضية تقديم واحد من السبعة إلى منصة المشاركة على حكم أفغانستان مع مندوبي السوفييت من الشيوعيين، ومندوبي أوروبا من الملكيين (أنصار ظاهر شاه) .

على مستوى الأحزاب الأفغانية حدث بارز في هذا العام غير ما ذكرناه سابقاً من حل الإتحاد الأصولي وإنشاء إئتلاف جديد تحت إشراف أمريكي.

الحدث الجديد هو ما ذكرته وقتها مجلة (المجتمع) الإخوانية التى تصدر في الكويت، قالت ما نصه: **(فازالأستاذ المجاهد عبد رب الرسول سـياف رئـيس الإتحـاد الإسـلامي لمجاهـدي أفغانـستان بجائزة الملك فيـصل العالميـة الـسنوية، وذلـك عـن دوره فـي خدمـة الإسـلام مـن خـلال دورة القيادي للمجاهدين الأفغان وقد قام الملك السعودي فهد بن عبد العزيز بتسليم الجائزة في حفل خاص أقيم في الأسبوع الماضي في مدينة الرياض وجدير بالذكر أن المجاهد سياف يفوز بهذه الجائزة للمرة الثانية. وهذا لا يعني تقدير الخدمات التي قدمها ولا زال يقدمها الأخ سياف للإسلام من خلال دوره القيادي ولكن**

هذه الجائزة تعني تقدير الجهاد الإسلامي في أفغانستان وتكريم المجاهدين في شخص قائدهم.
والتأكيد على أن الجهاد هو أفضل الأعمال لخدمة الإسلام ولهذا فهو يختص بالتكريم ويتفرد به.
وأهمية الجائزة ليست في التكريم المادي إنما في الإعتراف بأهمية الجهاد ودوره في خدمة الإسلام.
وأننا بدورنا نهنيء الأستاذ سياف على هذا التكريم والتقدير وندعو الحكومات والشعوب الإسلامية إلى المزيد من الدعم المادي والمعنوي للحركة الجهادية الأفغانية التي تواجه أعتى القوى الدولية وأشدها شراسة وعداء وحقداً !).

طبعاً التعليق على هذا البيان الإنشائي يحتاج إلى وقفة طويلة لا نرى داعي لها ولكن نشير بسرعة إلى أن سياف لم يتلق الجائزة السعودية مرتين لخدمه الإسلام وحاش لآل سعود أن يخدموا الإسلام. كما أن ضياء الحق لم يتلقَ جائزة الليونزاليهودية لمرتين أيضاً خدمة للإسلام..
والأولى في هذه الحالة أن نقارن بين الجائزتين السعودية والماسونية لنرى مقدار التشابه في الأهداف. أما مواقف الإخوان من الجهاد والمجاهدين فلم تعد تحتاج إلى توضيح(*)

(منذ الاحتلال الامريكى لافغانستان فى أواخر2001م يعمل سياف وكبار مساعديه أمثال صديق شكرى، صاحب الكرامـات فى كتاب عبد ا عزام، فى خدمة الاحتلال الامريكى ، وتثبيت مؤسساته الرئاسيه والنيابية، الى جانـب علمـانيين ونـسوة ساقطات وشيوعيين سابقين وملكيين. فى ذلك شارك ايضا قادة أحزاب "جهادية" مثل برهان الدين ربانى- صبغة ا مجددى – سيد احمد الجيلانى.هذا ولم يعلق الإخوان الدوليون على تورط رموزهم الكبيـرة فـى افغانـستان،فى تكـريس الإحـتلال الآمريكى.وهى الرموز التى روجوا لها طول حقبة الجهاد ضد الكفار السوفييت!!).

حدث آخر في إبريل 1985، حين إنفجر مخزن ذخيرة ضخم قرب بشاور من مخازن الجمعية الإسلامية. بقيادة رباني.. تسبب الحدث في أزمة كبرى بين باكستان والإتحاد السوفيتي.
. والقصة بإختصار هي أن الجمعية الإسلامية أحضرت بعض الأسرى الروس من أفغانستان كي تتاجر بهم سياسياً في باكستان كما جرت العادة. كان الأسرى محتجزون في معسكر يحتوي على مخزن كبير للذخائر،وكانوا مسجونين تحت حراسة متساهلة. طالب الأسرى بتسليمهم إلى سفارة بلادهم أو إلى أي جهة أخرى.. وعندما طالت المدة قرروا الهرب فهاجموا أحد الحراس وقتلوه. هاجمهم باقى الحراس، ففر الجنود، ولجأوا الى مخزن الذخيرة ولكن أحد الحرس تحت وطأة الغضب ضرب المخزن بقذيفة مضادة للدروع فإنفجر مدمراً المعسكر..وسقط عدد كبير من القتلى والجرحى.
إحتج السوفييت وإعتبروا ما حدث دليلاً قاطعاً على صحة إتهاماتهم لباكستان من أنها تخوض حرباً غير معلنة ضد أفغانستان، الأمر الذي يستدعي بقاء القوات السوفيتية للدفاع عن نظام كابول ضد هجمة إمبريالية تقودها أمريكا وحلفاؤها ضد أفغانستان.
ولكن لم تمر ستة أشهر على ذلك الحادث حتى ورد نبأ من شمال أفغانستان أن جنود مسلمين طاجيك من الجيش السوفيتي قد قاموا بعملية تخريبية في مستودع كبير للذخائر قرب مزار شريف... أدى إلى تدمير المخزن ومقتل كثير من العسكريين السوفييت. وفر الجنود المسلمون وإنضموا إلى المجاهدين في المنطقة.
وفي الحقيقة كان للمسلمين داخل الجيش الأحمر دور كبير في تحطيم ذلك الجيش معنوياً ومادياً. فإضطر الروس إلى تقليل الإعتماد عليهم في مراحل الحرب الأخيرة.. لكنه كان إجراء متأخراً.. وقد كانت سياستهم في البداية أن تكون أكثر قواتهم من مسلمي آسيا الوسطى ليكون ذلك حافزاً للأفغان على وضع السلاح.. والذي حدث كان العكس تماماً إذ تحول الكثير من مسلمي آسيا الوسطى إلى جنود مجهولين لمساندة مسلمي أفغانستان. (وما يعلم جنود ربك إلا هو).
أما الجنود السلاف الأرثوذكس فقد أقبل كثير منهم على المخدرات بأنواعها.. وعادوا إلى بلادهم

أشباه رجال، وهياكل حطمها الرعب واليأس فسقط الجيش ومن ثم تهاوت الدولة.
هكذا كانت الصورة في ذلك العام 1985 وعلى ذلك الحال بدأ عام آخر بأهوال جديدة وآمال جديدة إنه عام 1986.
::

عام 1986: حقانى يدمى أنف السوفييت

مع بداية عام 1986 تمكنت من إفتتاح مكتباً رسمياً لصحيفة (الإتحاد) الإماراتية والتي توصف بأنها شبه رسمية وهو وصف غير دقيق مثل وصف (إسلامية) التي يلتصق ببعض المجلات العربية وفي ظني أن كل الصحف والمجلات هي (نظامية) أي تابعة للنظام. والإختلاف فقط في (المذاق) الذي تحمله كل مطبوعة منها.
سبق وأن ذكرت ظروف الرواج الإعلامي إسلاميا ودوليا لقضية أفغانستان وأن هذا الرواج أُستفيد منه عربيا لصالح المشاريع اليهودية والأمريكية في فلسطين والمنطقة العربية، وإستغل أيضا في إستكشاف الحركة الإسلامية ورصدها تمهيداً لتمزيقها وضربها. وقد حدث ذلك في نهايات الحرب الأفغانية. وذكرنا أيضا أن المجهود الشعبي الإسلامي المناصر للأفغان، كان مخترقاً من الأنظمة العربية وإسرائيل وأمريكا والباكستان، بهدف تضليل مساراته، فلا يصل داخل أفغانستان إلى نتيجة إسلامية تؤدي إلى إنبعاث إسلامي عالمي ومستقل عن هيمنة الغرب اليهودي. كان في تصوري أن بإمكاني من خلال العمل في تلك الجريدة مراسلاً صحفياً أن أكتب عن قضية أفغانستان من وجهة نظر المصالح الإسلامية الحقيقية بعيداً عن التهويل والغوغائية العاطفية التي إنتهجتها (المجلات الإسلامية) العربية . لقد كانت أفغانستان /للأسف/ موضع إستغلال غير شريف من جانب معظم الجماعات الإسلامية العربية نفسها، خاصة الإخوان المسلمون. الذين إرتبطوا وقتها بالنظام السعودي، وتعاونوا مع بعض الأنظمة العربية فى تفاهم مشترك، هو على وجه العموم تدجين المنطقة للمصالح الأمريكية. وتحويل العمل الإسلامي إلى عمل دعائي لا يحمل السلاح، على الإطلاق، لإستبدال الأنظمة الطاغوتية المرتدة .
بل يحمل السلاح بأمر هذه الأنظمة نفسها للقتال خارج أراضيها. في أفغانستان مثلاً أو ضد عدو عربي مجاور ولكنه بالمعيارالسعودى كافرمثل النظام السوري في أول الثمانينات أو نظام صدام في أول التسعينات....إلخ.
بإختصار أن يتحول الإسلام الشعبي إلى مؤسسة تلتحق بالمؤسسة الدينية الرسمية، أي يتحول الإسلام كله إلى ملكية الدولة. والدولة إلى الملكية اليهودية،وهكذا يعم السلام وتسود العقيدة السمحة.

أحلام و كوابيس:

كان ما يشغل مجموعتنا الصغيرة في أبوظبي هو كيف نجعل المسلمين يعرفون حقيقة ما يحدث في أفغانستان؟.. وكيف نجعل مساعداتهم للشعب الأفغاني تأخذ مساراً صحيحاً يخدم الإسلام؟...كان قرارنا في أواخر عام 84 هو إقامة مشروع يسمى مكتب الإتصال الإسلامي يكون مركزه الرئيسي بشاور.وأن أقوم شخصياً بإدارته ويكون لهذا المكتب فروعاً عربية ودولية ومهمته إجراء دراسات ميدانية عن الأوضاع في أفغانستان لإعلام المسلمين عن حقيقة أوضاع إخوانهم هناك حتى يتخذوا لمساعداتهم هناك مسارات صحيحة. ثم تزويد المسلمين أيضا بالأخبار الصحيحة لما يدور على أرض أفغانستان وما يحيط بقضيتهم إقليمياً ودولياً كل ذلك

بعيدا عن التحزبات الأفغانية، أو العربية. وبعيدا عن نفوذ الحكومات والدول.
بدأنا بالفعل في بعض المشروعات نجحت وتقدمت نسبياً خاصة في مجال الخدمات الطبية، ونقلها من بشاور إلى داخل الجبهات أو أقرب ما يكون لها. كان العمل محدوداً في حجمه لضغف إمكاناتنا لكنه شجع الآخرين من المسلمين إلى المضي لمسافات أطول.
وبهذا تحددت لنا إستراتيجية تقوم على أخذ زمام المبادرة في الإتجاه الصحيح وبالإمكانات المحدودة المتاحة، ثم يكون ذلك تحريضاً عملياً للآخرين أن يلحقوا بنا أو يسبقونا.
نجحت هذه الإستراتيجية في فتح مجالات عمل عديدة... ولحقنا فيها الآخرون ولكن متابعتهم لها لم تكن غالباً في نفس المسار الذي تخيلناه سابقاً. حدث ذلك في مجال الخدمات الطبية والتعليمية ثم في العمل العسكري.
لم نستطيع المضي إلى مدى بعيد في أي مجال من تلك المجالات ليس فقط بسبب ضعف الإمكانات. ولكن لأسباب أخرى أيضا وهى أن الطريقة التي نتكلم أو نفكر بها ليست مفهومة أو مقبولة على المستوى العام الذي تطربه الخطابة والعاطفية.. ويتشكك فيما عداها.
سبب آخر يتعلق بعملي في بشاور، حيث تصاعدت ضدي الحملات المعادية لدرجة سلبتني حرية العمل، وأصبح مجرد تواجدي هو أمر خارق، ومهدد في أية لحظة بالزوال.
ما أن وصلت إلى باكستان حتى واجهتني عواصف عاتية لم تكد تتوقف حتى الآن. وما أن تضعف مقاومة إحدى الجهات حتى تظهر جهة أخرى أعتى وأشد. وعلى سبيل المثال حتى بعد أن فتحت كابل وتوجه سياف ليصبح الرجل الثاني لكل العهود والمدبر الرئيسي للتآمر هناك، وضعفت ملاحقته لي.. ولكن ظهرت ملاحقات أشد.. فالسلطات المصرية تطلب ترحيلي. والمخابرات الباكستانية تبحث عني بإجتهاد. هذا على الواجهة فقط.
وما خفي كان أعظم لأن الجهات الحقيقية لم تظهر على السطح بعد. وفي إعتقادي أن اليهود هم المدبر والموجه الحقيقي للحملة ضد المجاهدين العرب في أفغانستان... وهي فقرة من حملة دولية ضد الإسلام كما هو واضح ومعلوم. لم أكن مستطيعاً تنفيذ برنامج (مكتب الإتصال الإسلامي). سواء كان في بشاور أو إسلام آباد التي هي أبعد عن سطوة الأحزاب الأفغانية.
كان من العسير كذلك، نظراً للسمعة السيئة التي أصبحت أتمتع بها في أوساط الشباب العربي في بشاور، أن أجد من يتعاون معي في أي عمل. ولولا بعض الطلاب الدارسين في جامعة إسلام آباد ما استطعت أن أدير مكتبي الصحفي هناك.. وبصعوبة.
أما القلة النادرة التي عملت معي بشكل شبه مستمر فكانت تتناقص بإستمرار وتتعرض لضغوط شديدة.. حتى أنه بعد عام 1987 لم يعد هناك من يعمل معي وإن كان لي بعض الأصدقاء وبعض المعارف.
وأثناء عمل هذه المجموعة معي، وكمثال للضغوط التي تعرضوا لها، أنه أثناء عملياتنا ضد مطار خوست حضر شخص إلى بشاور قادماً من السعودية وهو مصري مشهور في الوسط الجهادي، الذى لم أكن أعرف عنه أي شئ حتى وقتها. (**هذا الشخص سلم نفسه للسلطات المصرية واعلن توبته واطلقت عليه النشرات الجهادية المصرية لقب "عميد التائبين عن الجهاد "**).
هذا الشخص بعث إلى صديقنا أبو حفص يطلب مقابلته بشكل عاجل وسريع. فتركنا وذهب ليستطلع الأمر. وكان الموضوع أنه جاء خصيصاً كي يحذره من العمل معي.. فقد وصلته أخبار فى السعودية أنه قد تورط في التعامل معي فجاء ليحذره من مغبة هذا الأمر الخطير.
لقد أخبرني أبوحفص بما دار بينهما.. ومع ذلك إستمرت صداقتنا وعلاقتنا، رغم أنه لم يخفي

عني هواجسه أو هي عبرت عن نفسها في كل وقت.وفي ظني أن هناك شخصاً واحداً تعامل معي بلا تلك الهواجس وكان هو (عبد الرحمن المصري) لقد كانت علاقتنا عميقة وكأننا توأمان، لهذا شعرت عندما إستشهد فوق (جبل تورغار) أنني قتلت منذ تلك اللحظة وما زال ذلك هو شعوري حتى الآن.

المجموعة القليلة التي عملت معي في تلك الأيام، ربطتني بهم علاقة من الإحترام المتبادل، تنقصها الثقة المتبادلة، وبعد فترة ليست طويلة تفرقوا... بعضهم إلى أوروبا حيث حصلوا على جنسيات أوروبية .عبد الرحمن العراقي(عبد الصبور)(وأبوعبيدة العراقي). والمصريون منهم إنضموا بعد عام (87) إلى جماعات جهادية مصرية وصل نشاطها إلى بشاور بهدف تجنيد المصريين العاملين في المجال العسكري في أفغانستان.

كان عزائي وحافزي الأكبر وراء العمل في جريدة الإتحاد، وقبل إنشاء المكتب الذي أنشأته بناء على طلب إدارة الجريدة فيما بعد، كان هو الإستعاضة عن مكتب الإتصال الإسلامي.. وحتى أتمكن من نشر ما أريد إيصاله إلى (الأمة الإسلامية).. عبر جريدة الإتحاد. وهي جريدة جيدة الإنتشار جيدة السمعة في ذلك الوقت، بالمقارنة مع مثيلاتها.

زاد عملي كمدير لمكتب الجريدة في إسلام آباد من مشاكلي مع جميع الجهات. وحتى داخل الجريدة برز محور مناويء لمكتبنا. وهو محور يقف على قمته رئيس قسم المراسلين، رئيسي المباشر"إسحق منصور" وهو ماروني من لبنان.. ثم عدد من الصحفيين العاملين في القسم الخارجي مع بعض البيروقراطيين.

إكتشفت بعدها خطورة أن أعمل في "الخارج" ولست مدعوما بقوة ضغط (لوبي) داخل الصحيفة. أصبحت هدفاً لهؤلاء جميعاً. ومعي المكتب والموضوعات والأخبار التي تصدر عنه.. وتعرضت لسلسة من المؤامرات والمقالب التي لم أعتد عليها. كان ذلك واحداً من أسباب عديدة كانت وراء قرار رئيس التحرير (عبد ا النويس)، وكان وكيلاً لوزارة الإعلام أيضا، بأن (يجمد) المكتب ثم يغلقه نهائياً في خريف نفس العام 1986.

من الأسباب الهامة وراء القرار كان الأزمة المالية الخانقة التي كانت تعيشها الصحيفة (بل والدولة كلها) فقد بلغت ديون الجريدة ما يقارب الستين مليون درهم. حسب علمي وقتها. فبدأ النويس في تصفية المكاتب الخارجية التي كان قد توسع كثيراً في إنشائها.. وكان مكتبنا على القائمة، وإحتفظ في النهاية بمكاتب في كل من (نيويورك، لندن، باريس) وهذا منطقي ومفهوم.

سبب آخر هام وهو بداية تطبيع العلاقات بين الإمارات والإتحاد السوفيتي.. وفي ظني أن مكتبنا في إسلام آباد كان أول عقبة أُزيلت من الطريق.

سبب آخر ذكره لي (إسحق منصور) وإن كنت لم أفهمه جيداً إلى الآن فقد ذكر :(أن ما يبثه مكتبنا من إسلام آباد قد أساء إلى علاقات دولة الإمارات مع جهات ودول صديقة مثل باكستان والهند.. وآخرين!!).تعجبت وقتها كيف وضع باكستان إلى جانب الهند كطرف واحد في مسألة و احدة.. أما (الآخرين).. فهذا يتسع لكثير من الظنون.

سبب أخير.. علق عليه صديقي سياف مفاخراً أمام أنصاره العرب بأنه كان وراء (طردي) من العمل في جريدة الإتحاد.. فقد هاجمني سياف وهاجم جريدة الإتحاد من إذاعة (نداء الإسلام) السعودية... عدة مرات.

كما قدم ضدي شكاوي كثيرة سواء لصحيفة الإتحاد نفسها أو (للجهات الرسمية) في الدولة منها

(الديوان الأميري)!!و(وزارة الخارجية).. وغيرها. أحد أصدقائي القليلون في مقر جريدة الإتحاد، إحتجز أحد هذه الرسائل. وقدمها لي، متصوراً أنه أسدى لي جميلاً وأنقذ مستقبلي لأنه لم يوصل هذه الرسالة إلى (مدير التحرير) محمد يوسف. وشكرته على أية حال.
ونقدم للقاريء نص هذه الرسالة المقدمة من مندوب سياف في أبوظبي إلى جريدة الإتحاد... وتقول الرسالة التي وصلت في ديسمبر 85 ما نصه:

نرجو ونتمنى من فاعل رسالة أفغانستان السكوت عن الأقوال الغير صحيحة والذي يعمل بجريدة الإتحاد والذي يمثل الشيوعيين والدهريين بإسم الإسلام والمسلمين، ويا فاعل رسالة أفغانستان نحن نعرفكم حق المعرفة و أعمالك ظاهرة واضحة ومكشوفة للمجاهدين وغيرالمجاهدين، وأن المجاهدين لا يخشون إلا الله.
وأن المقالات الواردة منك تدل على عدم صدقك وفسادك، وأن ما قلته لم يصدر إلا عن نفس خالية من الإيمان ومن الصدق المبين.
وأعلم أن ما قلته وصدر من لسانك لم ولن يؤثر على جهادنا ومسيرتنا الإسلامية الصادقة والنابعة عن إيمان صادق بحقوقنا المشروعة، وأن كثيراً من الناس الكافرين والفاسدين يحاولون ويجتهدون لمحو إسم المجاهد والجهاد ولم يضرنا ذلك بفضل الله سبحانه وتعالى
ما دام هناك ناس يدافعون عن الحق، قال تعالى (قل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا).
إننا نستغرب كيف تقبل جريدة الإتحاد الغراء مقالكم وكيف تسمح جريدة الإتحاد نشر هذه المقالات دون تحرى الحقيقة والمقال نشر يوم الخميس الموافق 1985/7/18م ومقال آخر نشر بتاريخ 1985/11/21م، إننا نناشد الإخوة المحترمين العاملين بجريدة الإتحاد ونقول لهم أليس من الأفضل أن يكون منكم من يمثل الحق ويقول كلمة الحق، وإننا على ثقة أن فيكم الإخوة الصالحين والذين يغارون على الإسلام والمسلمين ونرجو منهم كلمة الحق.
إن مكتب مجاهدي أفغانستان ينادون جميع الإخوة الصحفيين ويقولون بأننا مستعدين لتوصيلكم إلى داخل أفغانستان بأمان واطمئنان بل نحن قادرين على وصولكم إلى العاصمة كابل لأن الأمن في أيدي المجاهدين الأمينة ولنا أمن وليس الأمن للكافرين ..
والسلام على من إتبع الهدى والحق المبين والذين يدافعون عن الحق بأرواحهم ويبذلونها رخيصة في سبيل الله عز وجل.
خان محمد أحمد جان - **مندوب الإتحاد الإسلامي لمجاهدي أفغانستان**

إن تجربة المكتب الصحفي، وحتى عملي الصحفي لم تحقق في ظني ما كنت أريده منها. والرسالة التي أردت إيصالها إلى الأمة لا أظنها وصلت.. وإن وصل منها شيء فقد كان مشوشاً ومحاطاً بسوء الفهم.وإذا كان وصل جزء يسيرمنه وكان مفهوماً فإنه لم يؤد إلى أية نتيجةعملية. فإذا شبهنا عملي الصحفي بأنه(عملية) فإن نسبة ما حققته من الأهداف المرسومة لها كان صفراً. ظل لي عزاء وحيد من كل ذلك، أحاول أن أطمئن به نفسي، وهو أنني فعلت ما كان يجب أن أفعله. وبشكل لم يترك فجوة كبيرة بين ما أعتقد وبين ما أعمل.

<u>تورغار.. محاولة فاشلة</u>

بينما مكتبنا لم يكتمل تأسيسه بعد، زارني فيه مولوي جلال الدين حقاني وعدد من رجاله. ثم وجه لي دعوة لحضور عملية عسكرية سيقوم بها المجاهدون تحت قيادته للإستيلاء على (جبل تورغار).
كان يعرف شغفي بذلك الهدف. ولكنني كنت غارقاً حتى أذني في أعمال المكتب التأسيسية.. لم يكن عندي من يدير العمل في غيابي.. فإعتذرت للرجل وأنا أشعر بالألم لكوني لا أحضر عملية خطيرة بهذا الشكل. كان حقاني واثقاً من النجاح، وأخبرني أن الباكستانيين قد أمدوه

بكميات من الذخائر لهذا الغرض. لم أكن مرتاحاً لتدخلات الباكستانيين ومتخوفاً من عواقبها.. وكان يعلم ذلك.ولكنني كنت متفهما لدوافع الطرفين من تلك العلاقة. كنت أعلم نظرة الباكستانيين إلى حقاني كقيادة رئيسية في باكتيا في مواجهة الـسوفييت. ثـم حاجـة حقـاني للمـساعدات الباكستانية وعدم توافر بديل آخر لديه.

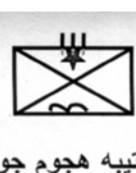
كانت عملية حقاني على تورغار بداية مبكرة لحملة سوفيتية جديدة ضده. رغم أن العملية قد فشلت إلا أنها مثلت خطورة فجبل تورغار هو مفتاح المدينة لذا لا يمكن التساهل إزاء أي تهديد له.

فيما بعد وصف لي حقاني ما حدث: لقد إستخدم في العملية أربعة راجمات صواريخ إستخدمت كل منها مئة قذيفة. وهذه كمية طائلـة فـي ذلـك الوقـت. كمـا إسـتخدم تـسعة هاونـات (82 مليمتر) إستخدم كل منها تسعون قذيفه،كما إستخدام المجاهدون مدفعين من عيار(75 ملم الجبلى) كما إشترك مع جماعة حقاني جماعة القائد (وزير) التابع لجيلاني وقد تولى القيادة بعد إستشهاد أخيه داد مير في حملة خوست العام الماضي.

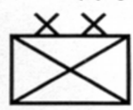
في وقت الهجوم تأخرت مجموعة وزير عن الوقت المحدد. فقامت جماعة حقاني منفرده بالهجوم قرب الظهرعندما أنهى التمهيد المدفعي عمله فتقدمت جماعة حقاني نحو قمة الجبل فسقط من بينهم عدة قتلى، فإرتبك المجاهدون، وأعطيت الأولوية لإخلاء الجرحى وهي عادة أفشلت الكثير من عمليات المجاهدين. ومضى باقي النهار في إرتباك وإخلاء الجثث والجرحى بالطبع كان الهجوم من بدايته ضعيفاً لغياب القوة الأخرى التي كانت ستشارك في الهجوم.. كما أن التقدم نحو قمة الجبل تم متأخراً عن توقف التمهيد المدفعي فأعطى ذلك فرصة قيمة للعدو كي يعيد تنظيم دفاعاته عند الخط الأول مرة أخرى.

إستشهد في العملية ثمانية مجاهدين من جماعة حقاني وجرح ستة عشر آخرون جروحاً خفيفة، ومن الجماعات الأخرى إستشهد ثلاثة مجاهدين.

وفي موعد قريب من عملية تورغار تمكن كمين نصبة رجال حقاني ليلاً مكون من عشرين مجاهداً من إلقاء القبض على ستة جواسيس لجهازالإستخبارات (خاد) وهم يبثون الألغام ليلاً في طرقات المجاهدين تم إعدام ثلاثة منهم والثلاثة الآخرون إعترفوا باشتراكهم في عملية نسف مقر شركة الطيران الباكستانية **(PIA)** في بشاور. تم إبلاغ المعلومات إلى السلطات الباكستانية التي تسلمت الأسرى كي تحقق معهم لتكتشف بعدها إحدى شبكات التخريب في بشاور.



كتيبه هجوم جوى سوفيتيه.



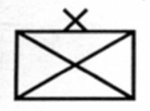
فرقه 7 مشاة (غير مكتمله).



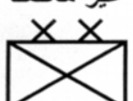
فرقه 12 مشاة (غير مكتمله).



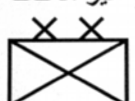
فرقه 37 مشاة (غير مكتمله).



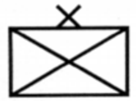
فرقه 25 مشاة (غير مكتمله).



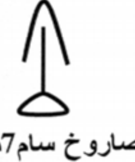
فرقه 8 مشاة (غير مكتمله).



فرقه 14 مشاة (غير مكتمله).



فرقه 3 مشاة (غير مكتمله).



صاروخ سام7مضاد للطائرات.

مدفع ثقيل مضاد للطائرات.

إلى خوست 3كم

شيخ أمير

دراجي "تاناي"

بوري خيل

جاور

أفغانستان

باكستان

إلى ميرانشاه 15كم

معركة جاور 86م

1 المرحله الأولى للهجوم من 2 الى 15 ابريل 86.

2 المرحله الثانيه للهجوم من 11 الى 20 ابريل .

3 المجاهدون يحبطون محاوله إبرار جوى.

4 هجوم جوى على جاور بقنابل موجهه بالليزر.

5 بعض الطائرات تدخل المجال الجوى الباكستانى .

6 سقوط جاور فى 20\4\86 .

7 العدو يتراجع خلال 48 ساعه.

8 مدفعيه العدو تقصف طوال العمليه.

بعض مواقع المجاهدين .

مدقات لسير الأفراد . ...

من كتاب فخ الدب ص 168 ـ ط 1

صراع حول جاور

مازال الثلج يكسو جبال باكتيا. وجارديز الأكثر إرتفاعاً والأقسى برودة تعرضت لهجوم صاروخي مفاجيء على المطار وقاعدة عسكرية أخري فتم تدمير أربعة طائرات هيلوكبتر ومقتل عشرات من العسكريين. كانت مفاجأة كاملة لم تحدث قبلاً في مثل هذه الظروف الجوية فالثلج عدو تقليدي للمجاهدين كما إنه صديق تقليدي للسوفييت.

بعد المعارك التي إنتهت في سبتمبرالماضي بدت باكتيا كما لو أنها في حالة ركود مؤقت أو تحضير لجولة جديدة. وهو ما حدث بداية شهر إبريل أي بفارق ستة أشهر فقط عن الحملة الكبرى السابقة فبدأت حملة أشد وأعنف ولكنها أكثر تركيزاً... ليس الهدف الآن هو عموم الولاية أو فتح طرقها الرئيسية والسيطرة عليها أو فك حصار خوست.. الهدف من حملة هذا العام (جاور) و"جاور" فقط... لماذا ؟... كانت حملة السوفييت ضد جاور توصف وقتها بأنها أعنف حملات السوفييت منذ إحتلالهم أفغانستان. وعقيد الإستخبارات محمد يوسف ذكر في كتابه فخ الدب بأنها كانت واحدة من أشرس معارك الحرب.

كما ذكر محمد يوسف في كتابه فإن (جاجي) كانت تعتبرأكثر أهمية باعتبارأن 40% من إمدادات المجاهدين كانت تمر منها. فلماذا لم يخصص السوفييت ضد جاجي حملة مماثلة ؟.. وحتي حملتهم في العام التالي (87) ضد جاجي لايمكن مقارنتها بحملة (جاور).

فحملة جاجي في عام 1987 كانت حملة سوفيتية ضد العرب هناك الذين تجمعوا حول أبو عبد ا (أسامة بن لادن) في أول بداياته للعمل العسكري في أفغانستان.

الأهمية غير العادية التي إكتسبتها (جاور) ليس كونها قاعدة تحمي منفذاً للعبور،كما هو وضع (جاجي) ولكن الأهمية الحقيقية تكمن في كونها (قاعدة) فعلية لعمليات نشطة للغاية ومؤثرة في كل منطقة خوست.

وقد أكسبها حقاني بحيويته وخبرتة العسكرية ومكانتة الدينية خطورة مضاعفة، خاصة وأنها مقر قيادتة الرئيسية لكل نشاطاتة في باكتيا. وكانت نشاطاتة تمتد شمالاً إلى جارديز) عاصمة الولاية وله بالقرب منها قاعدة (سيرانا)، التي تعتمد في إمداداتها على جاور في خوست.

ويمتد نشاط حقاني شرقاً إلى (جاجي ميدان) بالقرب من منفذ جاجي كما يمتد غرباً إلى مدينة (الأورجون) عاصمة باكتيكا.

وأخطر الإحتمالات وراء نشاطات حقاني هو تهديده لمدينة خوست ذات الأهمية الاستراتيجية والسياسية. فالرجل هو المنفذ والمحرض الأول لعملية الحصار ثم عمليات (القضم) لأطراف خوست، وتهديد طرق التهريب إليها. أما الطريق الواصل إلى (خوست) من (جارديز) عاصمة الولاية، فهو الوحيد من الطرق الحيوية في الدولة الذي لم تطأه قدم جندي سوفييتي،

(كان ذلك في ظني أحد الدوافع الرئيسية لحملة شتاء 87/88 لفتح ذلك الطريق ودخول السوفييت برياً إلي خوست).

وأعتقد الآن بعد إنقضاء هذة الأحداث بحوالي تسعة سنوات، أن هدف السوفييت الرئسي كان القضاء على دور حقاني وقاعدتة ذات النشاط الحيوي في كل ولاية باكتيا فائقة الأهمية، وتهديده لمدينة خوست، التي يعتبر أمنها جزءاً لايتجزأ من أمن النظام الحاكم. أما الإستيلاء على قاعدة جاور بشكل دائم فهو أمر لا أظنة خطر على بال السوفييت، لأن البقاء فيها والدفاع عنها وعن طرق إمداداتهم إليها برياً او حتى جوياً سوف يكون أمراً عسيراً بل مستحيلاً.

ولكن الشيء الذي ورد على أذهانهم وحاولوا تحقيقة هو الإستفادة السياسية من ذلك الإنتصار التكتيكي المؤقت ورفع معنويات الشيوعيين الأفغان، ثم تحقيق موقف تفاوضي أفضل في مفاوضات جنيف المقررة في مايو 86.

شيء آخر أراه الآن في معركة (جاور) ولم يكن واضحاً لدي وقتها وهو الإحتمال الكبير لتواطؤ باكستاني، بأوامر أمريكية بالطبع، لترك السوفييت يحصلون على بعض المكاسب الدعائية والسياسية تقوي مركز جورباتشوف عند إتخاذه لقرارت تراجع كبيرة في أفغانستان وربما في مناطق عالمية أخرى. صحيح أن للجنة المركزية للحزب الشيوعي في موسكو قد أقرت في ديسمبر الماضي مبدأ الإنسحاب من أفغانستان، ولكن كرامة الجنرالات السوفييت تحتاج إلى الكثير من المداهنة. فالجيش هو العمود الفقري للنظام هناك. والمساس بكرامة الجيش في أفغانستان وعدم تمكينه أن يتخلص (بشرف) من ورطته هناك قد تؤدي إلي إنقلاب في الكرملين وظهور خط متشدد يدعم جنرالات الجيش الأحمر وهو ما تعرض له جورباتشوف فعلاً في أغسطس 1990.

ومن الدلائل التي قد تكون دليلاً على التواطؤ ما يلي :

1- أن الجيش الباكستاني لم يدافع عن أجواء بلاده وأراضيها رغم أنه أثناء معركة جاور، وقبلها بقليل دفع نحو الحدود بقوات إضافية ووضع بطاريات صواريخ (كروتال) مضادة للطائرات قريباً من الحدود بشكل ظاهر للمارة. ومع ذلك إخترقت الطائرات السوفييتية الأجواء الباكستانية في المنطقة مئات المرات، بل كان خط هجومها الأكثر إستخداماً ضد جاور يأتي من داخل أراضي باكستان نفسها. وهي الجهة الصديقة التي لا يتوقع المجاهدون هجمات جوية من طرفها. كما أن أسلحتهم المضادة للطيران في مواقعها الثابتة على قمم الجبال لم تكن مهيأة للتعامل مع هذا الإتجاه.

بعض هذه الطائرات السوفييتية قصفت في عمق الأراضي الباكستانية ولكن لم تصدر أية بيانات رسمية من باكستان، وتكتموا الأمر.

إضطرت باكستان فيما بعد المعركة لتغطية تواطؤها على كرامة جيشها، بأن تمنح حق الدفاع عن النفس لوحداتها العسكرية. لذا فقد أسقط الجيش الباكستاني هذا العام عدة طائرات سوفييتية.

وبعض المصادر أفادني وقتها أن الطيارين الباكستانيين الذين تصدوا للطائرات الأفغانية والسوفييتية فعلوا ذلك بدون أوامر وجرت معاقبتهم. وهذا مؤكد على الأقل في حادث واحد أسقط فيه طيار باكستاني يقود طائرة (اف16) طائرة سوخوي أفغانية. ومنع ذلك الطيار بعد ذلك من التحليق في منطقة الحدود ضمن عقوبات أخرى، منها إبعاده إلى محافظة السند.

2- كان الطيران السوفييتي هو السلاح الرئيسي لدى الغزاة في حملة جاور. وكما إدعى (محمد يوسف) في كتابه فإنه كان يعتبر (جاور) و (جاجي) نقاط دفاع أمامية عن حدود باكستان في مواجهة أي محاولة إختراق سوفييتي. ومع ذلك لم تعزز باكستان الدفاع الجوي عن جاور رغم الغارات الجوية التي لم يسبق لها مثيل في حرب أفغانستان والتي أستمرت قرابة ثلاثة أسابيع متواصلة بلا إنقطاع.

يقول محمد يوسف:(لو كانت الولايات المتحدة وباكستان لم تترددا لسنوات طويلة "بتزويدنا" بسلاح فعال مضاد للطائرات لكان من المؤكد "أننا" سنصد الهجوم بسهولة نسبية إن المجاهدين لو كانوا محصنين جيداً في جاور ومعهم صواريخ ستينجر، لم يكونوا ليهزموا أبداً ، ليس عندي أي شك في ذلك).

وأقول لو أن محمد يوسف فتح مخازنه وأخرج عدة عشرات من صواريخ (سام7) وزعها على المجاهدين فوق قمم الجبال لحصل على نتائج لا بأس بها. بدلاً من العمل المضحك الذي قام به ليحفظ كرامته في أعين المجاهدين. فهو يعتبر نفسه القائد الفعلي والميداني للجهاد في أفغانستان. فإضطر كي يغطي تواطؤ حكومته أن يرسل عدداً من ضباطه فوق جبال جاور كي يطلقوا ثلاثة عشر صاروخاً من صواريخ (بلوبايب) البريطانية المضادة للطائرات، التي لم تصب شيئاً ولكن أُصيب الضابط الباكستاني الذي أطلقها، وكوفيء بوسام قلده له ضياء الحق تقديراً لشجاعته. أما عشرات الأرواح التي أُزهِقَتْ في جاور فلم تنل منه سوى تعزية باردة.
3ـ طبقاً لخطة أشرفت عليها الإستخبارات الباكستانية وزعت المهام على باقي مجموعات المجاهدين للدفاع عن (جاور). فبينما حقاني يدافع عن القاعدة ومحيطها القريب، تقوم مجموعات بحماية الطرق الجبلية المؤدية إلى جاور من الشمال (مجموعة يقودها نائب مطيع ا) ومجموعة أخرى تحمي طرق التقدم من الشمال الشرقي وهي من حزب حكمتيار. كل واحدة من تلك المجموعات تمتلك جهازاً لاسلكياً قوياً تحتفظ به في مركزها الخلفي. وهناك جهاز ثالث من نفس النوع موجود في جاور نفسها.
والذي حدث أن كلا المجموعتين قد إنسحبتا فجأة من مواقعها بلا أدنى سبب وتركت الطرق إلى جاور مفتوحة.
والأدهى من ذلك أن القوات الحكومية والسوفييتية كانت واقفة مترددة عن التقدم لكونها تتوقع مقاومة ضارية من المجاهدين على محاور التقدم الجبلية المناسبة تماماً للكمائن. فإذا بها (أي القوات الحكومية) تتلقى إتصالاً لاسلكياً مجهولاً يحثها على التقدم ويقول(لماذا تقفون هكذا.. إن جاور خالية والطريق مفتوح أمامكم).
يقول حقاني الذي أبلغني بالحادث بعد شهر من المعركة بأن هذا الإتصال اللاسلكي قد تم من أحد الأجهزة الثلاثة، ولم يكن بالقطع جهاز جاور.
وإذا قارنّا ذلك الحادث الخائن. بعملية سحب قوات المجاهدين من حول طريق (خوست) (جارديز) في الحملة السوفييتية شتاء العام التالي (1977) وبأوامر من المخابرات الباكستانية (كما أخبرنا بذلك صراحة بعض قادة المجاهدين ! !) . إذا قارنّا الحادثين نرى التشابه قائماً.. وأن باكستان باعت حقاني في الحالتين لإعتبارات خاصة بالسياسة الدولية.
***

في النصف الثاني من مارس علمت من حقاني بوجود جسر جوي كثيف ينقل قوات سوفييتية وحكومية إلى خوست. وأن غارات جوية عنيفة ضد(جاور) ومواقع أخرى للمجاهدين قد أوقعت بعض الخسائر. كان وصول الجنود السوفييت يعني حتمية وقوع معارك في المنطقة. وكتبت إلى صحيفة الإتحاد بأن معارك شديدة على وشك أن تُستأنف مرة أخرى في منطقة خوست. ولكنهم تجاهلوا الخبر، كما تجاهلوا معظم ما أرسلته من أخبار وتقارير مصورة عن حملة جاور.
ومع بداية أبريل أصبحت الأنباء أكثر خطورة. حشد العدو قوات كبيرة من بينها كمية لم يسبق لها مثيل من قوات الكوماندوز السوفييتية.
بات واضحاً أن (جاور) وليس أي شيء آخر هي هدف الحملة. ولمع إسم جبل"رغبلي" وهوإسم غير مشهور. فقد دارت معارك دامية بين المجاهدين وقوات الكوماندوز السوفييتية، حيث

تناوب الطرفان إحتلال الجبل عدة مرات ولأول مرة يحدث قتـال قريـب بهـذا الـشكل مـع الكوماندوزالسوفييت.غَنِم المجاهدون من جماعة حقاني بعض أسلحة الكوماندوز وإستولوا على بطاقاتهم العسكرية،وأثار ذلك موجة من الغبطة والحماس في صفوف المجاهدين.ولكن السوفييت إستطاعوا في النهاية السيطرة على (رغبلي) وإحاطة أنفسهم بسياج كثيف من الألغام.

ويعود ذلك النجاح إلى قوة الإسناد المدفعي المستمر الذي لم يتـرك لحظـة للمجاهـدين كـي يستقروا فوق بوصة واحدة من قمة رغبلي. كان إختيار رغبلي خطوة موفقة للقوات المهاجمة فهو ينتصب شامخاً على إستقامة وادي جاور من جهة الشمال على مسافة خمسة كيلو مترات منها تقريباً، وبحيث يكشف معظم التحركات داخل (جاور).

وبسقوط (رغبلي) في أيدي السوفييت وقعت جاور في أسوأ ورطة شاهدتها طوال الحرب. فقد قهرت (جاور) من (رغبلي). وهناك وضع السوفييت عدة قطع مدفعية للرماية على جاور. وأقاموا نقاط ترصد وتوجيه لنيران المدفعية والطائرات.تولت المدفعية والطيران تحطيم مقاومة جاور وعزلها عن خط إمدادها القادم من باكستان عبر نقطة(صدقي) الحدودية التي تبعد حوالي عشرة كيلومترات عن جاور. وتم هذا العزل منذ الحادي عشر من أبريل.

هذا العزل لم يكن محكماً ولا يمكن أن يكون كذلك إلا إذا قامت قوات أرضية بقطع الطريق. وكان ذلك هدف عمليات (الإبرار الجوي) الذي قام به السوفييت. ولكنهم إستخدموا فيه قوات الكوماندوز الأفغانية لعلمهم مدى خطورة العملية، فتلك القوات سوف تكون في وضع يشبه الحصار حتى تلتحم بها القوة الرئيسية الزاحفة صوب جاور من محورين. من الشمال من منفذ ليجاه الذي يصلح لمرور المركبات وهو طريق هيأه حقاني لقواته. ثم منفذ آخر في الشمال الشرقي على بعد حوالي ثلاث كيلومترات شرق ليجاه ويصلح للمشاة فقط. ويمر من بين الجبال ليلتقي بطريق جاور الخلفي وعلى مسافة كيلومترين فقط من حدود باكستان.

وهنا تكمن خطورة وضع قوات الكوماندوز المحمولة جواً لأن هناك أعداد كبيرة من المهاجرين الأفغان المسلحين ـ من أبناء المنطقة على إستعداد للقتال ضدهم. والأرجح أنهم سيتمكنون من إبادتهم ما لم تدركهم قوات المشاة الرئيسية بسرعة وبكثافة.

وعلى كل حال لقد وقعت قوات الكوماندوز في الفخ وأُبيدت أو أُسرت. وأثبت ذلك (بعد نظر) السوفييت في توفير رجالهم للعمليات المضمونة!!.

أُنْزِلَتْ قوات الكوماندوز (الأفغانية) خلف قاعدة جاور يوم الخميس (86/4/3)، وكان حقاني متواجداً وقتها في بشاور. وعندما سمع بالنبأ توجه (يوم الجمعة86/4/4) إلى قاعدة (جاور) بدون المكوث طويلاً في ميرانشاة. وكان المجاهدون قد أفشلوا يوم الخميس عملية الكوماندوز، بتدمير عدد من طائرات الهيلوكبتر التي حملتهم وقتلوا عدداً من ضباطهم وجنودهم في كمين أعدوه مسبقاً في مكان الإنزال. ولكن عدداً كبيراً من جنود الكوماندوز مع ضباطهم صعدوا عدداً من التلال وإستحكموا فيها وخافوا من الإستسلام للمجاهدين وشرعوا في مقاومة يائسة عنيفة. وقد واصل بعضهم التقدم وسط الجبال حتى نزل في قرية جنوب جاور تدعى (خاروق) تفصلهاعن جاور سلسلة جبلية. وقد تمكنت تلك القوات المبعثرة من تهديد طريق جاور القادم من حدود باكستان.لم يكن المجاهدون في جاور على علم بهذه القوات التي قطعت عليهم الطريق من الخلف؛ لعدم وجود أجهزة اتصال لاسلكية تربط مجموعات المجاهدين. ولكن أثناء عبور أحد سيارات التموين القادمة من ميرانشاة، فوجيء السائق بجنود الكوماندوز واقفون على الطريق ويشيرون إليه بالتوقف. ظنهم في البداية من المجاهدين ولم يصدق نفسه بأنهم

من القوات الشيوعية إلا أنه تماسك في اللحظة الأخيرة، وبعد أن كان قد أبطأ بسيارته قريباً منهم أسرع فجأة بأقصى سرعة بسيارته، بينما تلاحقه طلقات الجنود. وعندما وصل إلى جاور أنذرهم بالكارثة التي حلت بالطريق. فإتصلوا لاسلكياً مع ميرانشاه فإستنفر المجاهدون قواتهم مع متطوعين من المهاجرين وتوجهوا بالسيارات حتى نقطة الحدود في (صدقي) ثم ترجلوا هناك وتقدموا على حذرٍ، حتى وصلوا منطقة الكوماندوز ثم حدث الإشتباك الذي سقط فيه عدد من المجاهدين،ومنهم قائد أول مجموعة تقدمت منهم وكان يدعى (أنور) وهو شقيق مولوي عبدالرحمن (إبن عم حقاني) وتمكن المجاهدون من تطهير الطريق وواصلوا حصار ومطاردة الكوماندوز المتبقين في بقاع عشوائية متفرقة.

وأثناء ذلك كانت المجموعة الرئيسية الأولى التي حطمت الطائرات كانت ما تزال مشتبكة ومحاصِرة لباقي القوات المعتصمة بتلال المنطقة.

وقد إخترق حقاني الحصار وعبر إلى جاور "يوم الجمعة 1986/4/4" وقد ساعد وصوله كثيراً في تماسك المدافعين؛ لأنه كثيراً ما يؤدي الشعور بالحصار إلى حالة من الذعر والفرار الجماعي غير المنظم.

كانت جاور وقتها ما زالت تحت قصف جوي ومدفعي نادر المثال، وتماسك الرجال تحت ذلك القصف وفي مواجهة كوماندوز سوفييتي فوق جبل رغبلي (5 كيلومترات) شمال جاور ، ثم عملية إنزال وتطويق بقوات كوماندوز أفغانية "على بعد7 كيلومترات جنوب القاعدة" فى ظروف كهذه يكون التماسك مسألة خارقة ما أظنها كانت ممكنة بغير وجود حقاني بنفسه في وسط رجاله في ذلك الوضع المأسوي العسير. ولكن حقاني أُصيب في نفس يوم وصوله كما سنرى.

مصائب بالجملة:

يوم السبت 86\4\6 م،وبعد فشل عملية الكوماندوز ، وقعت أشهر مأساة خلال القتال حين إنهارت مغارة مخصصة لإستقبال الضيوف إثرا إصيبتها مباشرة بقذيفتي طائرة. وكانت المغارة محفورة بشكل غير مناسب في جزء منفصل وضعيف من الجبل. وقُتِلَ في المغارة حوالي ثلاثة عشر رجلاً من بينهم قائد القاعدة الضابط نقيب ا وعدد من قادة المجموعات البارزين و المجاهدين القدماء.ثم تلاه سقوط مغارة أخرى بعد قليل ونجا منها شخصان من بينهما أبوالحسن المدني (وائل جليدان) مدير الهلال الأحمر السعودي آنذاك ثم مدير فرع رابطة العالم الإسلامي فيما بعد.

وظلت معظم الجثث بين الأنقاض حتى بعد إنتهاء المعركة وإنسحاب السوفييت من جاور. وقُتل في المغارة ابن عم لحقاني (زير بادشاه) وهو من أقدم وأشجع مجاهدي الولاية. وبينما إبنه الأكبر إسماعيل يبحث عنه بين الأنقاض إستشهد هو الآخر بقذيفة مدفع. كل ذلك حدث فى يوم وصول حقانى إلى جاور، كانت قذائف المدافع المنهمرة فوق جاور لا تتوقف إلا في فترات الإغارة الجوية.

كان حقاني واقفاً إلى جوار المغارة المهدمة وهو يلاحظ عمليات الحفر بحثاً عن جثث القتلى، وإذا بالطيران يفاجيء الجميع بغارة أخرى ويقصف نفس المكان بقنابل النابالم. إنفجرت إحداها على مسافة قريبة. ونتيجة لموجة الإنفجار فقد حقاني الوعي وسقط وسط ساحة من النيران. لكن حارسه الشخصي (علي جان) وهو شاب في العشرينات.. تقدم وسط

النيران وجذب حقاني بعيداً. وكانت النيران قد أمسكت بكلاهما. وتمالك الشاب نفسه بصعوبة حتى لا يسقط هو الآخر مغشياً عليه كما أخبرني بذلك. تم أطفاء النيران الممسكة بحقاني الذى نقلوه إلى مستشفى ميرانشاه مغشياً عليه. وبسرعة إنتشرت إشاعة بأنه قُتِلَ. ولكن الإشاعة لم تستمر طويلاً.. فقد أفاق حقاني وتم تضميد جروحه. ولكنه لازم الفراش حتى نهاية المعركة. مولوي (نظام الدين حقاني) نائب جلال الدين تولى إدارة المعركة تحت إرشادات حقاني.

وتحول بيت حقاني في ميرانشاة إلى خلية نحل تستقبل قادة ميدانيين، ورجال قبائل ومهاجرين وقادة أحزاب من بشاور.. ومحمد يوسف ورجاله من الإستخبارات الباكستانية. وكان العقيد يوسف كما يظهر في كتاباته يعتقد أنه المحرك الأول للأحداث في أفغانستان والباقي ليسوا سوى عرائس خشبية.

على كل حال.. وصل العقيد يوسف إلى ميرانشاة في نفس يوم سقوط جاور في أيدي الشيوعيين كما ذكر هو في كتابه..

(أما فريق الألعاب الباكستانية"البلوبايب" فقد قام بعمله وأُصيب في يوم الجمعة86/4/18).

قبل سقوط جاور بعدة أيام كنت قد وصلت إلى ميرانشاة عازماً دخول (جاور) وتغطية المعركة صحفياً.. والمشاركة ميدانياً بما يمكن عمله.

كان يصحبني عبدالرحمن الذي كان قد تزوج منذ أشهر قليلة من فتاة أفغانية نشأت في كابول لعائلة أصلها من (جارديز). أبوحفص وصل أيضاً وبهذا إكتملت (الفرقة الرابعة مطارات)

وبالطبع قفز إلى خواطرنا فكرة ضرب المطار وعرقلة الجسر الجوي الكثيف الذي أقامه العدو في المطار ويستخدمه بلا مضايقات.

في البداية زرنا حقاني في بيته وكان قد مضى على إصابته يومين أو ثلاثة وكان منهكاً ويتألم بشدة من حروق أصابت رقبته وصدره وبطنه، كان لا يستقبل سوى أهم الضيوف نظراً لحالته، لذا لم نثقل عليه، وأخبرناه أننا في الطريق إلى جاور. فأوصانا بالمرور عليه عند العودة كي ننقل له صورة الحال ونناقش معه الوضع.

عند نقطة العبور في (صدقي) لم تقابلنا المشاكل المعتادة من ميليشيات صدقي القبلية المشهورة بسوء الخلق. حتى أن أحدهم لم ينهض ليرى محتويات السيارة، كان الخوف واليأس مسيطراً عليهم.. فقد تحولوا فجأة إلى نقطة مواجهة مع الجيش السوفييتي!! بعد أن كانوا مجرد نقطة إبتزاز للمساكين من المهاجريين ونقطة إتاوات على المهربين.

مجري السيل إلى جاور طولة عشرة كيلو مترات تقريبا يتسع في نقطة واحدة حتي يصل الي مئتين متر ويضق في عدة أماكن حتي لايتعدي مترين حيث تشرف علية كتل صخرية صلدة، إلي الشرق من مجرى السيل توجد عدة مدقات للمشاة يمكن عبورها والوصول الي وادي خوست عبر الجبال أما جاور نفسها فتأتي في نهاية مغلقة لمجري السيل، ويمكن متابعة السير منها عبر قمم صعبة إلي وادي خوست الذي يبعد عشرة كيلو مترات أخري ولكنها أكثر مشقة في هذة الحالة سوف يمر المسافر علي جبل رغبلي قبل أن يهبط الي الوادي ويقع رغبلي إلى الشرق لمسافة مئتى متر عن مدق المشاة.

إلى شرق جاور هضبة ترابية إرتفاعها عشرة أمتار تقريباً وسطحها الأعلى شبه منبسط طول هذه الهضبة حوالي كيلومتر واحد وعرضها من عشرين إلى خمسين متراً. في تلك الهضبة حفر حقاني مغاراته. ويمكن أن نقول أن هذه كانت المسافة الفعالة في القاعدة.. ومنها إنبعثت

كل نشاطاتها وبالتالي إنصبت علي رأسها كل تلك المصائب. على الجانب الغربي من الوادي الجاف يوجد جبل صخري مكسو بالشجيرات ويتدرج الجبل في الإرتفاع بشكل سريع حتي يبلغ أقصى مداه في قمة ارتفاعها (1850متر فوق سطح البحر) وحولها قمم أقل إرتفاعاً فوق هذا الجبل ركز حقاني عدداً من أسلحتة المضادة للطائرات وإلى جوار كل مدفع حفرة صغيرة مسقوفة تستخدم للمبيت. مع بعض السواتر البسيطة حول المدفع.

إلى الشرق من جاور توجد عدة قمم أقل ارتفاعاً تركزت عليها عدة قطع مدفعية أخرى، منه مدفع مضاد، سويسري الصنع من طراز أرلكان (20مليمتر) وهو أحدث وأقوى ما لدى المجاهدين آنذاك ..إشترى المحسنون العرب عشرة مدافع من هذا الطراز(**حسب قول اسامة بن لادن**).

كان نصيب جاور مدفع واحد وفي جاجي عند سياف ثلاثة أخرى وإثنان لحكمتيار في مواقعه قرب جاجي وإستأثرت باكستان بالباقي وهي خمسة مدافع أي نصف الكمية!!.. كانت المدافع المضادة للطائرات تشكل قوسين حول جاور من الشرق والغرب.. في الطرف المسدود للقاعدة توجد أهم أجزائها. حيث مغارة للضيوف، وهي التي أصيبت.

وتقع في الواجهة طرف الشرق. ثم حفرتان للإذاعة،وأخرى للدبابة،وإثنتان أو ثلاثة للمهمات. أما إلى الغرب فهناك المطبخ والمخبز، والمسجد القديم الذي إستبدل بمسجد آخرعبارةعن حفرة طويلة مفروشة بأفضل ما يمكن الحصول عليه، وعلى واجهتها مئذنة مكونة من تروس متدرجة الأقطار بارتفاع متر تقريباً، مأخوذة من مخلفات المعدات السوفيتية المحطمة أثناء المعارك.

- وصلنا إلى جاور وشبح المأساة يخيم عليها.. فالقصف الجوي والمدفعي لا يمكن وصفه أو وقفه.. لا يوجد شبر على سفوح الجبال أو الوادي لا يحتوي أثر إنفجار القنابل والشظايا الحديدية القاتلة. لقد إستقر العدو تماماً على قمة رغبلي ومدافعه في وادي خوست خاف رغبلي لا يمكن أن تطالها أسلحة المجاهدين، وأسراب الطائرات التي لا تنقطع تبدو كأنها محصنة ضد طلقات مدافع المجاهدين، التي تم تدمير بعضها تماماً، ويحاول المجاهدون إستبدالها بأخرى، ولكن لا جدوى... ولأول مرة أشاهد طائرات (السوخوي 25) وهي تقدم عروضاً جوية في غاية المهارة وكأنها تقدم إستعراضاً في(الأكروبات). لقد كان رماة المدافع المضادة للطائرات في وضع لا يحسدون عليه، وكلما أصيب مدفع زاد العبء على الآخرين. والمدفع الواحد تهاجمه ثلاث طائرات مرة واحدة وأحيانا خمسة طائرات. فإذا إشتبك مع إحداها فإنه في ظرف ثوان يكون قد يكون قد تلقى سيلاً من الصواريخ من عدة جهات مختلفة.

لقد قتل كثيرون من رماة تلك المدافع الذين قاتلوا ببسالة ليس لها نظيرفي معركة منعدمة التكافؤ. لم يكن أحدهم يستطيع النوم على الإطلاق، ما لم يهبط من موقعه إلى أسفل الوادي كي ينال قسطاً قصيراً من النوم داخل إحدى المغارات في شبه إغماء، لأنه لولا ذلك الإرهاق الزائد ما كان ليمكنه النوم.

وهذا ما حدث معنا. لم نكن نعبأ بقذائف المدفعية، فهي لن تنفذ إلينا من سقف المغارة على أى حال.. لذلك كنا ننام في فترة القصف المدفعي الذي لا يلبث أن ينقطع لثوان لتأتي نوبة الطيران.. عندها نستيقظ ونمسك قلوبنا بأيدينا حتى لا تنخلع.. فالسقف فوقنا ليس قوياً لدرجة تمكنه من المقاومة، والمغارات ذات أبواب متسعة وتمتد في الجبل مستقيمة ومتعامدة تماماً على الوادي، معنى ذلك أن لها قابلية كبيرة لاستقبال الشظايا القاتلة .

أما إذا سقطت قذيفة على المدخل فإن ضغط الهواء مع الشظايا كفيل بتحويل الجميع إلى كتل

من اللحم المفروم والمشوي.
القنابل العنقودية التي ترميها الطائرات كنا نراها لأول مرة وإن كانت ألقيت على أطراف جاور.
وفوق جاور نفسها هطلت القذائف الثقيلة حتى ألف رطل وأخرى متشظية، وقنابل تهبط بالمظلات وتلقيها الطائرات من إرتفاع منخفض ضماناً لدقة الإصابة، حتى أن جبال جاور أصبحت مكسوة بحلة بيضاء من تلك المظلات الحريرية الأنيقة(ما زلتُ أحتفظ بواحدة منها) وصواريخ جو أرض إستخدمت بكثرة ضد مواضع المدفعية المضادة للطائرات.
عند وصولنا كانت أعمال البحث عن الجثث تحت حطام المغارة ما زالت مستمرة. والكثير من أقارب الضحايا حضروا للبحث عن جثث ذويهم لنقلها كي تُدفَن في ميرانشاه.هؤلاء أيضاً سقط العديد منهم ضحايا في جاور نفسها أو في الطريق إليها بواسطة قصف الطائرات والمدافع.
في أحد مغارات جاور وكانت تستخدم كسجن مؤقت للأسرى وجدنا مجموعة من ضباط الإستخبارات الباكستانية، كانت أشكالهم وهيئتهم مميزة تماماً عن المجاهدين، وكانوا محاطين بهالة من المجاهدين للترحيب والحماية. كنّا نحاول دوماً ألا نتواجد معهم في مكان واحد.. وكانوا يتعرفون على جنسياتنا كعرب من هذه المعاملة الجافة، إلى جانب ملاحظات أخرى خاصة بالملابس ، أما ملامح معظمنا فكانت قريبة من الأفغان.
وعندما رأيت صورة محمد يوسف على مقدمة كتابه (فخ الدب) فإنني أظن أنه كان واحد من هؤلاء. ولكنه ذكر في كتابه عن معركة جاور أنه لم يكن هناك وقتها إنما وصل إلى ميرانشاه في يوم سقوط جاور، وأظنه كاذباً في ذلك. وبعد زيارتهم تلك بيوم أو يومين بدأت مغامرتهم الفاشلة مع (بلوبايب).
بلغت شدة القصف على القاعدة إلى درجة أنها جعلت التحرك فيها حتى على الأقدام، عملاً محفوفاً بالمخاطر. أما السيارات القادمة من ميرانشاه فبعضها قد دمرته الطائرات، أربعة سيارات إصطادتها الطائرات في الطريق. لم تكن السيارات قادرة إذا عبرت الطريق أن تدخل جاور إلا لدقيقتين أو ثلاث عند الضرورة القصوى مثل نقل جريح مثلاً. وعادة كانت تدخل أحد الثنيات الجبلية الضيقة ويترجل ركابها ويسيرون على الأقدام حتى جاور.
من نتائج ذلك أن الطعام أصبح قليلاً في القاعدة. وأن عملية طهية كانت صعبة جداً. فكان يؤكل على حالته التي جيء بها من ميرانشاه سواء كان مطبوخاً أو غير ذلك.
الأسوأ من ذلك أن قمم الجبال عزلتْ تقريباً عن القاعدة في الوادي وأطقم المدفعية في الأعلى أصبح لا يصلهم الطعام إلا نادراً ولا يستطيعون الصعود أو الهبوط إلا بصعوبة. وهي رحلة أصبحت خطرة للغاية قد تستغرق من نصف ساعة إلى ساعة تشهد خلالها من غارتين إلى خمس غارات للطيران.. سوى قصف المدافع المستمر.
قام أبوحفص وأبوعبيدة بتلك الرحلة وعادا كي نجلس في أحد المغارات نتباحث فيما ينبغي عمله، وكان معنا عبدالرحمن أيضاً.
قال أبوحفص وأبوعبيدة أن وضع طاقم المدفع على القمة هو وضع أكثر من مأسوي. فقد إستشهد طاقم أو إثنان على نفس المدفع. ومساعد الرامي الحالي إستشهد والرامي نفسه جريح وجائع ومنهك.. ناهيك عن كونه الهدف الأول للطائرات التي تهاجمه جماعات من إثنين إلى خمسة طائرات في الدفعة الواحدة. وقد حضر أبوحفص وأبوعبيدة عدة غارات من ذلك النوع أثناء زيارتهما القصيرة وقالا إن المجاهدين يرفضون الصعود إلى الأعلى من شدة الخوف.
وصاحب المدفع لا يستطيع النزول لأنه ليس هناك من يحل محله. وقد صعد إليه إمام مسجد

جاور وعدد من طلاب العلوم الدينية كي يشدون أزره ويقومون بالدعاء له وطمأنته.. ولكن للأسف ليس منهم من يستطيع إستخدام ذلك المدفع. رغم ثباتهم العظيم وشجاعتهم. ولكن لا يستطيعون أكثر من تقديم مساعدات بسيطة مثل إعداد مخازن الذخيرة للمدفع، ومحاولة جلب الطعام والماء للرامي.

لقد قام أبوحفص وأبوعبيدة باستخدام المدفع نيابة عن الرامي أثناء مدة زيارتهما القصيرة، (وصلا إلى جاور فى 11/4/86م)، وإشتبكا مع الطيران عدة مرات. وكان رأيهما أن المدفع أصبح عديم الفائدة أمام هذه الأسراب المهاجمة من الطائرات.

وأن القذائف تسقط على بعد أقدام قليلة من المدفع وأن عملية تدميره ليست سوى مسألة وقت وأن بقاءه إلى الآن معجزة حقيقية .

خسر المجاهدون 15 مدفعا مضادا للطائرات في كل المعركة.في ذلك الوقت كان ذلك المدفع يعمل منفرداً فقد أُصيبت جميع المدافع الأخرى. وهناك محاولة لإستبدال أحدهم أو إصلاحه. كما كان هناك مدفع يعمل أحياناً ويحتاج إلى الإصلاح. ولكن أين هي الطواقم؟..

لقد إستشهد رجال الطواقم الأصلية، وتم إستبدالهم عدة مرات والجميع يصاب أو يقتل والمدافع تدمر أو تعطب.. وهكذا.. وفي الأخير يرفض المجاهدون تكرار المحاولة أكثر من ذلك.

فما الحل؟.. إقترح الإثنان أن يصعدا معاً لتشغيل ذلك المدفع الذي يعمل حالياً.. وإقترحا أن أقوم مع عبدالرحمن وبمساعدة حقاني بتشغيل مدفع آخر أو أكثر.. وأنه مع أصدقائنا من العرب المتعاونين مع مجموعتنا يمكننا تشغيل مدفعين أو ثلاثة.

إعترضت على إقتراحهما جملة وتفصيلاً.. وشرحت الأسباب، وهي كالتالي :

(1) إن جاور قد فقدت قيمتها ودورها في الظرف الراهن. وليس هناك أي معنى أو مبرر لإبقاء المجاهدين داخل المغارات أو خلف المدافع المضادة للطائرات. فبهذه الطريقة يتلقون فقط القنابل فوق رؤوسهم بدون القدرة على فعل شيء. إضافة أن خسائرنا في الأرواح مستمرة يومياً بلا هدف ولا إنجاز. بينما نخسر أفضل وأشجع العناصر.

(2) لا معنى إطلاقاً للدفاع حتى آخر رجل عن مجموعة قمم وهضاب ليس لها قيمة. والأجدى أن نقاتل بطريقة توقع أعلى خسائر في الخصم، وأن نتحول من الثبات إلى الحركة. ففي حالة الثبات سوف يبيدنا العدو تماماً بدون حتى أن نقتل منه أحد ،كما يحدث في الوضع الراهن، بينما إذا تحركنا في مجموعات صغيرة، فإن مدفعيات العدو وطيرانه ونقاط ترصده فوق جبل رغبلي سوف تفقد الكثير جداً من فاعليتها.

(3) ما دام العدو مصراً على الوصول إلى جاور فأمامنا فرصاً ذهبية عديدة .

فهدف العدو معلوم وهذه ميزة كبيرة، وطرق التقدم التي سوف يسلكها إلى جاور معلومة لنا تماماً، فليس علينا سوى مقاومته بالكمائن الصغيرة المتحركة وإيقاع أكبر الخسائر بين صفوف المشاة.

أما عن المدرعات والدبابات، التي لا يستطيع مشاة العدو العمل بدونها فلها طريق واحد لا غير هو طريق ليجاة الذي أعده المجاهدون وهو طريق من السهل جداً إغلاقه بالألغام والكمائن.وفوق ذلك كله يمكننا أن نمنع قوة العدو التي وصلت إلى جاور من الإنسحاب مرة أخرى ،أي نغلق خلفها الباب ونحاصرها.. وإذا تمكن بعض المشاة من الأفلات عبر الجبال وبدون إستخدام المدقات الطبيعية للمشاة والتي ستكون تحت ملاحظة كمائن المجاهدين، فإن

الآليات لن تستطيع ذلك حتما ويمكن أسرها أو تدميرها.
(4) لقد إستدرجنا العدو إلى حرب مواجهة تناسبه تماماً.. ونحن نجلب التعزيزات وندفعها إلى (حفرة) جاور لتموت بلا ثمن. بينما خوست كلها وما حولها من خطوط دفاع آمنة تماما تتابع بإنبهار ذلك العرض الشيق من النيران في سماء جاور. ولو أن المجاهدين وجهوا ضربة قوية إلى خوست وما حولها والعدو منصرف بكليته نحو (جاور) لإستطاعوا إختراق دفاعاته وتهديد تواجده في خوست نفسها. وتلك أفضل طريقة لتخفيف الضغط عن جاور على أقل تقدير، هذا إذا لم تفشل الحملة كلها، إذا أجبرناها على تغيير هدفها الأصلي من الهجوم للإستيلاء على جاور كي يصبح هدفها دفاعياً عن خوست ومواقعها الهامة.
(5) حتى مطار المدينة لم يحاول أحد جدياً عرقلة الجسر الجوي المرتكز عليه. وهجمات المجاهدين على المطار بالصواريخ ضعيفة ولا تؤدي الهدف منها. وحتى لو كانت هناك طائرات على المدرج فإن تكتيكات المجاهدين لا تمكنهم سوى من عملية واحدة خلال فترة طويلة تمتد لأيام أو أسابيع وقد يفقدون بعض الرجال، وليس هناك أية غنائم ترتجى من هذا العمل. لذا فنادراً أن يقبل القيام به أحد .
وشرحت لهم أن هذا بالضبط هو دورنا الآن في الظرف الراهن، فطريقتنا في العمل، والمعدات التي وفرناها الآن تتيح لنا عدة هجمات على المطار في اليوم الواحد. ويمكن أن نستمر كذلك لشهر أو أكثر إذا توفرت الذخائر وتوافرت حماية للمنطقة مكونة من مجموعة واحدة قوية من المجاهدين.

* وكما يحدث غالباً ،لم نتفق، وأصر الشباب على الصعود إلى الجبل والصمود خلف المدفع مهما كانت النتائج وحتى نرتب نحن موضوع المطار.
رددت عليهم بأن (جاور) ليست المكان المناسب لنا، وعلينا أن نساعد بالطريقة والمكان الذي يؤدي خدمات أكثر للمجاهدين ونكون فيه أكثر فائدة.
ولكن فشلت في إقناعهم وتكرر معنا نفس الموقف عدة مرات خلال السنوات القادمة. وفي كل مرة كانت المشكلة حول كيف ومتى وأين نقاتل إلى جانب إخواننا المجاهدين الأفغان؟.
ورغم أننا تحولنا مع الزمن إلى أصدقاء قريبين -ومع ذلك- لم نتفق!!.
- صعد إخواننا إلى الجبل ورجعت إلى ميرانشاه لمناقشة حقاني وكان معي عبدالرحمن الذي أيدني تماماً فيما قلت، كنّا نفكر سوياً بنفس الطريقة في معظم الأحوال.
في منزل حقاني وجدنا صعوبة في مقابلته نتيجة الزحام من شخصيات كلها هامة، وشعرنا بالحرج لإلحاحنا في مقابلته رغم معاناته من الحروق والإرهاق الزائد من المناقشات مع الضيوف.
شرحت له ما وجدناه مع وجهة نظري في الموقف. وطالبته بإخلاء جاور تماماً من الرجال والمعدات، وأيضاً من الدبابة والمصفحة حتى لا يستولي عليها العدو إذا دخل إلى جاور. خاصة وأنها لم تعد تستخدم الآن، وكان نائبه نظام الدين قد إستخدم الدبابة ضد جبل رغبلي وكان ذلك مفيداً في البداية.. وبعد ذلك أصبح ذلك مستحيلاً تحت مظلة الطيران الرهيبة التي تغطي جاور بشكل دائم تقريباً.
رد حقاني قائلاً أنه بخصوص الكمائن المتقدمة للدفاع عن جاور فهي موجودة فعلاً ومكونة من رجال حزب إسلامي حكمتيار وحزب إسلامي (يونس خالص) من أتباع مطيع ا . وأن مهمة

حقاني حسب الخطة العامة هو الدفاع عن جاور نفسها.
أما عن سحب رجاله من داخل جاور فهو يخشى أن يشيع ذلك مناخ الهزيمة فإذا شعر باقي المجاهدين بذلك فسوف ينسحبون أيضاً عائدين إلى بيوتهم في ميرانشاه القريبة. ولأجل ذلك عارض مولوي يونس خالص فكرة تفريغ جاور من المعدات أو سحب الدبابة والمصفحة منها.
سألته عن موضع المطار في الخطة، فرد أنه لا يدري إذا كان هناك من يعمل ضد المطار من بين المجاهدين هناك، وهم مجموعات تابعة (لجيلاني) و (محمدي).
ـ شغلت باقي اليوم في الإتصال بمكتب صحيفة الإتحاد في إسلام آباد كي أمليهم تلفونياً أخبار المعركة. وكانوا يرسلونها في نفس اليوم إلى أبوظبي. أما عبدالرحمن فأخذ يجهز لعملية سريعة ضد المطار إتفقنا على أن نقوم بها سوياً مع بعض أصدقائنا العرب مثل أبوعبيدة العراقي الذي وصل ميرانشاة، وأبوصهيب وهو شاب مصري أبدى رغبته، وهو صديق لعدد من أفراد مجموعتنا ولكنه وثيق الصلة بسياف ومن المبايعين له. وكنّا لا نرى بأساً في أن يعمل معنا وهو على هذه الدرجة من القرب من سياف. ولم يكن ذلك عملاً صائباً تماماً.
في الصباح التالي لم تتم تجهيزاتنا للعمل ضد المطار، في الغد يمكننا أن نتحرك، ولكن مع من؟.
.. لا أحد هنا من قادة المنطقة المعنية كنّا نبحث عن (سميرجول) أو (عبدالمنان).. ولكن لا أحد منهما أو من مجموعتهما في ميرانشاه، من العسير جداً أن نعثر على أحد.
مرافقنا الخاص الشيخ محمد طالب إستشهد في معارك حملة العام الماضي وترك فراغاً كبيراً في العمل.. فهو عضو إرتباط ممتاز مع مجموعات خوست.. وكنا نشعر بالحزن لفقده خاصة أنه رزق بمولود بعد إستشهاده بعدة أيام،وكان ذلك هو مولوده الأول.
فجأة داهمنا خبر سيء آخر لقد أصيب أبوحفص وأبوعبيدة في موقع (الزيكوياك) المضاد للطائرات. ومعهما عدد من الضباط الباكستانيين (فريق البلوبايپ) وعدد من الأفغان كانوا في الموقع. كما أن الموقع نفسه قد دمِر تماماً. وأصبحت جاور الأن بلا دفاع جوي.
فى البداة أصيب ابوعبيده (يوم الخميس 4/17) ولكن لحسن الحظ أن اصابته كانت خفيفة،ولم يفقد روحه المعنوية المرتفعة، وربما يعود السبب في ذلك إلى خفة ظل أبوعبيدة. فقد وصل إلى المستشفى وهو يضج بالضحك لما حدث ويحدث. لقد حمل المجاهدون كل هؤلاء الذين أصيبوا عند المدفع وأنزلوهم إلى الوادي حيث كدسوا الجميع في سيارة (بيك آب).
وكان صديقنا قد نزل بمساعدة من أبوحفص . وكانت معاناته داخل السيارة أشد من معاناته من الجروح ـ بل ومن القصف الجوي ـ فكل شخص داخل السيارة يحمل فوق رأسه وأرجله وبدنه أجزاء من الآخرين ودماء مختلطة من الجميع أما مطبات الطريق فحدث ولا حرج ناهيك عن خطر قذائف مدفعية العدو أو صواريخ الطائرات التي تترصد أي تحرك لسيارات المجاهدين بعد كل ذلك هل من مزيد؟..
نعم هناك المزيد.. يقول أبوعبيدة.. أنه فوق كل تلك المصائب فإن أحد الضباط الباكستانيين أطلق من بطنه ريحاً كريهةً زكمت الأنوف وخنقت الأنفاس.. فصاح أبوعبيدة بأعلى صوته (لأ مش كده.. أنا أنزل أسلم نفسي للروس أحسن)...
وإنفجر أبوعبيدة ضاحكاً خاصة وأن الضابط الباكستاني لم يرضخ للتهديدات وواصل إطلاق الغازات الخانقة ! !. وربما من أجل ذلك قلده ضياء الحق وسام الشجاعة رغم أنه لم يسقط أي طائرة سوفيتية.

جاور مدرسة قتالية

.. **لم** تكن مساهمة أبوحفص وأبوعبيدة مفيدة كما لم تكن من وجهة نظري حكيمة. ولكنها أفادت كثيراً في تشكيل فكرهما العسكري. فقد كانت (جاور) هي مدرستهما العسكرية الرئيسية، وما استفاداه من دروس في تلك المعركة كان عدتهما الرئيسية في معركة (جاجي) التي دارت بعد ذلك بعام تقرياً لتكون أول وأشهر معارك العرب في أفغانستان،ومنعطفاً في تاريخ التواجد الجهادي للعرب في تلك القضية. وكلاهما كان فارس ميدان تلك المعركة وقائداها الحقيقيان.

لقد إستغرقنا وقتاً طويلاً بعد ذلك في بحث ونقاش حول معركة جاور وأفادنا كثيراً التمعن في أحداثها. وقارنا بين ما أحدثه كمين واحد في المعركة أدى إلى تدمير كتيبة كوماندوز تقريباً. وبين دفاع ثابت عن جاور أدى إلى إصابة قائد المعركة وإستشهاد عدد من كبار قادة المجموعات في حادث المغارة، وعدد من أشجع أطقم المدفعية المضادة للطيران.

وكنا مقتنعين تماماً بأن ملحمة المدفعية المضادة لم يكن لها ما يبررها وأن خسائرها أكبر كثيراً من فوائدها.. وأن أسلوب الكمائن المتنقلة هو خير أسلوب في تلك الحالات.

وكان ذلك الدرس هو مفتاح النجاح لهما في معركة جاجي.

وكأن تلك النقاشات كانت تضع تصوراً مفيداً للغاية لمعارك (جاجي) التي قادها أبوحفص وأبوعبيدة وكان أروع ما فيها ذلك الكمين الذي أوقعوا فيه قوة للكوماندوزالسوفييت فأبادوها فوق إحدى القمم.(**مستفيدين من تجربة كمين ناجح نفذه طلاب الشريعة فى جاور**)

كان الجيش الأحمر قادراً على الوصول إلى أي نقطة يريدها في البلاد، وهكذا أراد أن يثبت في معركة جاور ثم معركة فتح الطريق إلى خوست عبر مناطق قبائل زدران، وقد ساعدتهم أمريكا عبر باكستان، على إشباع حاجتهم إلى حفظ كرامتهم العسكرية. في مثل هذه الأوضاع ليس من الحكمة تبني شعار الدفاع عن كل شبر من الأرض أو الثبات حتى آخر رجل. بل يجب أن نتبني شعاراً يقضي بإيقاع أقصى خسائر للعدو، حتى يصبح نصره هو نصر زائف وشكلي لأن فداحة خسائره أفقدت النصر معناه، ومع ذلك فقد حدث ذلك جزئياً في جاور وكانت خسائر العدو في الأفراد والمعدات أكثر من أن تكون مقبولة، وبشكل خاص أنه لم يبقَ في جاور أكثر من عشرين ساعة على الأكثر فلم يستطع إستثمار إنتصاره لا عسكرياً ولا باعتبار أنها المنفذ لحوالي **20%** من إمدادات المجاهدين "حسب أقوال محمد يوسف" كما أن تأثيراتها على القبائل على جانبي الحدود هي تأثيرات عظيمة لسهولة الإتصال بهم وتهريب الأسلحة والأموال من (جاور) وبالتالي نقل ولائهم من باكستان إلى (كابول) أو تحييد نشاطهم المعادي على أقل تقدير.

نعود إلى عملية الكوماندوز مرة أخرى لنجد أنها تمت في الثالث من إبريل وكانت معارك جبل رغبلي ما زالت على أشدها، وشهدت قتالاً متلاحماً على القمة عدة مرات. ولكن المجاهدون كانوا في قمة الحماس والنشاط. وخطوط إمدادهم سليمة ومتصلة فلم يكن القصف الجوي الذي بدأ منذ نهاية مارس قد أثر على سلامة تلك الخطوط أو سلامة الروح المعنوية. لهذا فإن عملية الكوماندوز (جنوب جاور)كانت مبكرة عن موعدها المناسب وكان ينبغي الإنتظار أكثر حتى يظهر تأثير القصف الجوي على معنويات المجاهدين وخطوط إمدادهم. والإحتمال الوارد لهذا الاستعجال إما أن يكون محاولة تخفيف الضغط على الكوماندوز السوفيتي فوق جبل رغبلي أو الإستعجال في إنهاء المعركة بطريقة خاطفة، ولم يكن مر عليها

سوى عدة أيام وهذا ينطوي على إستخفاف كبير بقدرات المجاهدين وغرور زائد بالقوة السوفيتية البرية التي تشارك بهذه الكثافة لأول مرة في باكتيا، وتحت حماية لم يسبق لها مثيل من سلاح الطيران السوفيتي.
نكسة الكوماندوز زلزلت البرنامج السوفيتي. وكان يمكن أن يفشل البرنامج كله على إثر ذلك لولا الكارثتان اللتان لحقتا بالمجاهدين. الأولى حادثة إنهيار المغارة ومقتل عدد من القياديين بداخلها، ثم أعقب ذلك إصابة حقاني والأثرالسئ لتلك الإصابة على معنويات المجاهدين خاصة أن إذاعات العدو والمنشورات التي أسقطتها الطائرات عملت على تضخيم آثار حادثي المغارة وإصابة حقاني. وبلا شك فإن غياب حقاني ترك فجوة كبيرة في السيطرة والقيادة.
عملية الكوماندوز كانت دليلاً على أن السوفييت تصوروا معركة خاطفة تنتهي سريعاً.
ولكنها إستغرقت ثمانية وعشرون يوماً حتى إستطاعوا الوصول إلى جاور.
ومن المستبعد أن يخطط السوفييت لحرب خاطفة على جاور القريبة من باكستان بدون أن يتلقوا ضوءاً أخضراً يضمن مساندة باكستانية. وهذا ما تثبته شواهد عديدة. رغم إدعاءات (محمد يوسف) في كتابه بأنه هو صاحب فكرة تحويل جاور وجاجي إلى مراكز قوية للدفاع عن أمن باكستان من إختراق سوفيتي. والحقيقة هي أن جاور تحولت إلى (قلعة) صعبة الإختراق بسبب طبيعة (حقاني) كقائد عنيد صاب المراس، من الصعب جداً دفعه إلى الخلف خاصة في مناطق إرتبطت به شخصياً.
لهذا قاتلت جاور بصلابة أمام أعتى حملتين سوفيتيتين على باكتيا خلال نصف عام فقط.
بينماجاجي كانت تستسلم قبل أن تصل إليها قوات العدو ويقوم مقاتلوها بسلب القاعدة ونهب محتوياتها والفرار إلى باكستان. ولذلك أسباب أهمها ضعف عنصر القيادة المتمثل في سياف الذي كان رجاله يصفونه بأنه (مداري) أي ممثل أو نصاب ! ! .
ولم تتحول جاجي إلى قلعة إلا عندما قاتل فيها العرب معركتهم عام (1987) وكانت هي المرة الوحيدة في الحرب الذي تظهر فيه منطقة جاجي كقلعة حصينة أمام العدو.
.. وذكرنا أن باكستان تركت مجالها الجوي مفتوحاً أمام الطيران السوفيتي كي يقصف مواقع المجاهدين في جاور لأكثر من ثلاثة أسابيع متصلة ليلاً ونهاراً بدون إعتراض عملي أو حتى شفوي.
كما قصف الطيران مراكز للمهاجرين الأفغان داخل الحدود الباكستانية ومناطق أخرى في العمق يعتقد أنها مراكز مهاجرين أيضاً.
أما دفاعات جاور الجوية، فقد زودها (محمد يوسف) بمدفع أرلكان واحد من عيار(20 مليمتر) وليس ثلاثة مدافع كما فعل في جاجي إضافة إلى أربعة رشاشات زيكوياك(عيار 14.5 مليمتر) (ومدفعي دوشيكا عيار 12.7 مليمتر) وهذا الأخير ليس له أي قيمة في مواجهة الطيران فيما عدا الهيلوكبتر القريب.
والغريب أيضاً أن الدفاعات الأمامية قد تدخل (يوسف) لأخذ زمامها في يده. وكان يحدث ذلك كمقدمة ضرورية لكل كارثه تحل بالمجاهدين حين تتولى المخابرات الباكستانية العمل الحيوي في معركة عسكرية. فالمجموعات الأمامية لم يزودها (يوسف) بأي جهاز إتصال لاسلكي صغير لتسهيل الإتصال بين المجموعات المتناثرة.
لأجل ذلك كان على تلك المجموعات أن تعمل بإحدى طريقتين.
إما أن تتوزع في كمائن كما هو مفروض ولكنها في هذه الحالة سوف تفقد الإتصال فيما بينها

لعدم وجود أجهزة إتصال وبذلك تنعدم السيطرة على القوات أو أنها تتجمع وتتكدس كلها في مكان واحد فيضعف تأثيرها علي العدو وتتزايد نسبة خسائرها في الأفراد.
فالعدو ما أن يحدد مكان ذلك الجيش الصغيرحتي يصب عليه حمم المدفعية والصواريخ وفي ظرف دقائق تكون الطائرات فوق رؤوسهم فتذيقهم الأمرين.
وقد أشاريوسف في كتابه إشارة غامضة إلى تلك المأساة حين قال بأن :
(حقاني كان يتولى قيادة القوات كلها نظرياً أما عملياً فإن كل قائد سوف يخوض معركتة مستقلاً) .
إن المساحة الفعالة في جاور لاتتجاوز كيلومتراً مربعاً. ولنا نتخيل تأثير هذا القصف الجوي الذي لم يسبق له مثال علي تلك الرقعة الضيقة من الأرض ولمدة ثلاثة أسابيع متصلة.
إن الإسراف المبالغ فيه في إستخدام القوة هو جزء من العقيدة القتالية للسوفييت (الروس). لقد سكتت أخيراً مدفعية جاور وأصبحت القاعدة شبه خالية ولكن السوفييت لا يتقدمون؟.. لأنهم يعلمون أن عملية التقدم في الممرات الجبلية الضيقة نحو جاور هو النقطة القاتلة في العملية كلها. وكان من المفروض أن تكون خسائرهم الرئيسية هي خلال تنفيذ تلك الجزئية. وبدلاً عن ذلك إذ مجموعات المقدمة والأجناب التي يديرها جواسيس باكستان من رجال الإستخبارات تنسحب.. ولكن السوفييت أيضاً لا يتقدمون!! فيقوم مجهول.. بتوجيه الدعوة لهم بالتقدم عبر جهاز اللاسلكي فيتقدم الجيش الأحمر نحو القاعدة.. فيستولي على ما تبقى بها من حطام.. ويدمر ما يدمر من مغارات. ويبث الألغام على عجل هنا وهناك. ثم ينسحب فجأة قبل أن يكمل يومين في القاعدة... وهنا أيضا لا يلاحقه أحد ولا يبث الألغام في طريقه أحد وكان من السهل قفل الباب خلفه وإفناء تلك القوة التي إحتلت جاور.. ولو تحقق ذلك لخرج السوفييت من أفغانستان بهزيمة، بل بفضيحة عسكرية. وهو ما بذلت أمريكا وعملائها قصاري جهدها لمنع حدوثه حفاظاً على كرامة السوفييت حتى لا يتصرفون بعصبية زائدة فتضطر أمريكا للتورط في مواجهة معهم لا يستطيعون عليها بغير الأسلحة النووية، أمام قوة برية متماسكة وقوية مثل الجيش الأحمر. كما أن أمريكا ساعدت السوفييت خوفاً من إنبعاث مارد إسلامي من القمقم الأفغاني ومايعنيه ذلك من إنتهاء السيطرة "الصليبية اليهودية" على العالم.

- **لقد** كانت معركة (جاور) أول خيانة باكستانية (أمريكية) للمجاهدين إستطعت أن أرصدها في أفغانستان وإن كنت لم أفهمها بوضوح كامل إلا في وقت متأخر. أما الخيانة الأخرى بعد ذلك بعشرين شهراً عندما فتحت باكستان الطريق إلى خوست خلال مناطق (زدران)الجبلية فكانت الخيانة واضحة تماما حتى أن بعض المتورطين فيها قالوها لنا صراحة (هذه أوامر باكستان) وكانت صدمة لنا أن نعرف أن (أوامر باكستان) تقضي بتدمير المجاهدين بهذه الصراحة الوقحة.
وأخيراً دخلت القوات الشيوعية إلى جاور مساء السبت(86/4/19). كانت صدمة قاسية على الجميع، خاصة حقاني الراقد فوق فراشه. والذي يأتي إليه طبيب عربي من مستشفى ميرانشاه كي يضمد له جراحه فى غرفة ضيقة مثل خلية النحل لا تخلو معظم النهار من الوفود.
في صباح الأحد تأكد الخبر لدى الجميع (دخلت الحكومة إلى جاور) هكذا تناقل الناس الخبر في (بازار) المدينة، وهم بين مبتئس مصدوم أو شامت يخفي مشاعره بصعوبة.
ذهبنا لزيارة حقاني لمعرفة الوضع الحالي وكان قد أخبرني قبل سقوط جاور بيوم واحد أن

(الوضع سئ) فما عساه أن يقول الآن؟.
أنهى حقاني إجتماعه مع حوالي عشرين من رجاله الأقوياء وقادة مجموعاته وكأنه كان يجهز للعمليات القادمة لما بعد سقوط جاور. بعد ساعة من الإنتظار جلست معه على إنفراد كان متماسكاً وصريحاً كعادته، قال لي مباشرة: (لقد دخل الروس إلى جاور.. إنها هزيمة)..
لم أوافقه على ما قال، وقلت له بتأكيد:
(بل هم هزموا لأن خسائرهم كانت كبيرة جدا وأكبر بكثير من خسائر المجاهدين.
كما أن في إستطاعتنا حصارهم وإبادتهم في جاور،هذا المكان سيكون بمثابة مصيدة الموت.. لن يستطيعوا إمداد قواتهم في جاور عن طريق الجبال فالمجاهدون أقدر على القتال في تلك المناطق وإبادة أي قوة تتحرك فيها.. والإمداد بطائرات الهيلوكبتر يمكن منعه لأن الجبال عالية ويمكن ضرب الهيلوكبتر عند إنخفاضها ومحاولتها الهبوط في جاور. إن حصار جاور وإبادتهم فيها أمر ممكن جداً، لقد أخذوا جاور بثمن باهظ جداً وهذا يكفينا كقوات عصابات تواجه جيش نظامي. ومعروف لدى الجميع أن من المستحيل لنا الإحتفاظ بمواقع إذا صمم الجيش على دخولها ولكن المطلوب من المجاهدين في هذه الحالة إيقاع أكبر خسائر في صفوف الجيش المتقدم وقد فعلوا ذلك. أما بقاء العدو في جاور فسوف يكون كمن حفر قبره بيديه، فيمكننا إبادتهم هناك..)
وإقترحت على حقاني كتابة بيان بهذا المعنى لطمأنة المسلمين حتى لاينتابهم اليأس مما حدث. فوافق حقاني واتفقنا أن أقوم بصياغة البيان وأن أعرضه عليه عصراً لمناقشته النهائية، وإقرار صياغته قبل أن أقوم بتوزيعه على الصحف وإرساله إلى صحيفة الإتحاد التي أعمل بها.
 لم يتصل بي حقاني في الوقت المتفق عليه وكان السبب هو وصول الدكتور عبد ا عزام وبصحبته 35 شاباً عربياً قدموا من بشاور لتحرير جاور . لقد شبهتهم وقتها بالمقاومة الشعبية التي نعرفها في مصر، وهي ذلك النوع من (القوات) التي تشكله الحكومة عندنا في مواكبه كل هزيمة في حروبها مع إسرائيل. وقوات المقاومة الشعبية تلك يتمثل أقصى مساهماتها في المجهود الحربي للدولة بتلك الصيحات المدوية والتي يطلقونها ليلاً في عبارة شهيرة تقول (طفي النور)!!.
كان الشباب العربي الذين قدموا، لايعرفون المنطقة ومعظمهم لم يتدرب كلياً أو جزئياً، وليس لديهم أية فكرة عما يحدث هنا سوى أن جاور سقطت وأن الدكتورعبد ا قد إستنفرهم للقتال وأحضرهم إلي هنا.
ولا أنكر أن تلك الطريقة في العمل كانت تفقدني رشدي . كنت أعتبرها (مظاهرات لتوريد القتلي وزيادة عدد الشهداء والمصابين). لذلك لم أذهب إليهم ولم أقابل الدكتور عبدا بل ذهب إليه أبوعبيدة العراقى وأبوصهيب المصرى الذي وصل مؤخرا .
وعرضوا على الدكتور عبد ا تكوين مجموعة لمهاجمة المطار بالصواريخ، وطالبوا بسيارة (بيك آب) يضعون عليها راجمة، ولكن مساعدو الدكتور عبد ا طالبوا (بمعلومات وافية) عن (مجموعة خوست)، وهو اللقب الذي أطلقوه على مجموعتنا- لكنهما رفضا ذلك الشرط. وقررنا العمل منفردين وبطريقتنا الخاصة.
<u>وفي يوم الاثنين (86/4/21)</u> طلب الدكتور عبد ا أن يأخذ أفراد مجموعتنا ويتوجه بهم إلى جاور على أن يكون عبدالرحمن المصري وأبوعبيدة العراقي أمراء على مجموعتين للشباب العرب. عقدنا إجتماعاً لمجموعتنا في بيت للضيافة خصصه حقاني للعرب في ذلك

الوقت. وخصصناه فقط للمجموعة العاملة في خوست. ناقشنا هناك ضرورة أن يكون عملنا ضد المطار فقط. أما الهجوم على جاور فإن هناك عشرات أو مئات من المجاهدين قادرون على أداء المهمة خير منا.. بينما المطار لايتوجه إليه أحد رغم خطورته على سير العمليات.
كنا جاهزين للحركة ولكن لم نستطع العثور على سيارة كي تنقلنا إلى منطقة (باري) حيث مركزنا الرئيسي للعمل ضد المطار. عند العصر سمعنا إنفجارا ضخما من مسافة بعيدة. صعدنا إلى سطح البيت فشاهدنا سحابة ضخمة من الدخان تتصاعد إلى السماء من إتجاه جاور.
تحيرنا في تفسير ما حدث وخمنت وقتها أن العدو قام بتدمير ذخائر عثر عليها في جاور.. ولكن لماذا لم يسحبها خارج القاعدة؟.. أو يستخدمها للدفاع عن جاور إذا كان ينوي الإحتفاظ بها؟.. وشككت وقتها في أن العدو قد لايمكث في جاور طويلاً. أسعدتني الفكرة ولكن أزعجني أن يفلت العدو، فقد كنت على قناعة تامة بأنها مصيدة الموت، وأن القوات الشيوعية في(جاور) ينبغي ألا تخرج سالمة.شاعت بين الناس أنباء متضاربة حول جاور. بعضهم قال أن المجاهدين ما زالوا هناك وآخرون قالوا بأن العدو تركها.
في صباح الثلاثاء (86/4/22) أرسل الشيخ حقاني دورية إستطلاع من خمسين رجلاً ومعهم جهاز لاسلكي كي يأتوا بالخبر من (جاور). إتصلت المجموعة وقالوا أنهم وصلوا إلى(جاور) وأن القوات الشيوعية قد إنسحبت من هناك. وأن أفراد المجموعة خائفين من الألغام. فأمرهم حقاني بإحتلال رؤوس الجبال وألا يدخلوا القاعدة حتى يتم تطهيرها من الألغام بواسطة مجموعة خاصة سوف يرسلها فيما بعد.
وعلى الفور أصدر حزب إسلامي حكمتيار بياناً وزعه على وكالات الأنباء أنهم قد طردوا الجيش السوفيتي من قاعدة جاور وقاموا بتسليمها لحقاني!!. أثار الخبر حنق حقاني وثار رجاله لأن الخبر كاذب ويطعن في رجولتهم.. ولكن الأزمة مرت بسلام ولكنها أضافت نقطة سوداء أخرى لصحيفة العلاقات بين الطرفين التي بالكاد توجد فيها نقاط بيضاء.

□

ـ ننقل الهوامش الثلاث التالية عن كتاب **(صفحات من سجل الأنصار العرب في أفغانستان)** الجزء الأول الإصدار الثاني، للأخ الزميل باسل محمد، وهو الكتاب الوحيد حسب علمي، الذي حاول أن يـضع تأريخـاً للتواجد العربي المصاحب للجهاد الأفغاني. والكتاب طبعته لجنة البر الإسلامية في السعودية عام 1991م ـ 1412هـ.و هذا بعض ما كتبه عن معركة جاور:

(1) يقول أبو الحسن المدني ـ وائل جليدان ـ : كنت أول من شهد تلك المعركة من الإخوة العرب.. فبعد أن سمعت بالهجوم ذهبت إلى هناك فوجدت الأخوين أباحنفي وأباعبيدة اللحام المصري في ميرانشاه فإصطحبتهما معي إلى هناك ومعنا د.عبدالقدوس الأفغاني على أمل أن ننقل الجرحى من المعركة إلى المستشفيات. لحظة وصولنا وجدنا ثلاثة كهوف دمرت على من فيها من المجاهدين وكانت الساعة الخامسة عصراً، حاولنا حفر منفذ للمحاصرين تحت الركام... مـضت نـصف سـاعة وإذا بأحـد المجاهـدين يـصيح مـن أعلـى الجبـل . جاءت الطائرات فسألنا: أين نذهب؟ قالوا إدخلوا هذا الكهف. فدخلنا . وكان الرابع الذي يلي الثلاثة المتهدمة،ومن هناك رأينا سلسلة طويلة متصلة على مد النظر من طائرات سوخوي25 .. كانت الطائرة التي ترمي حمولتها لا ترجع.. تأتي ثانية غيرها.. وهكذا... وبعد القذيفة

الثالثة دمر نفس الكهف الذي دخلناه.. كانت الساعة الخامسة والنصف، وكنا داخل الكهف سبعة ـ أنا وأبوعبيدة اللحام ود.عبدالقدوس الأفغاني والممرض سلطان الأفغاني، وثلاثة إخوة آخرين من المجاهدين الأفغان. كنا مع كل قذيفة ندفن تحت الأرض أكثر. ولم أعرف معنى الظلام الدامس في حياتي إلا في هذا المكان. في الساعة السادسة وعشر دقائق ،أي بعد أربعين دقيقة من الإحتجاز جاءت آخر طائرة وآخر قذيفة، لتفتح لنا في بوابة الكهف كوة. فكانت لنا طريقاً إلى النور من جديد(ويتابع أبو الحسن)كان أول ما فكرنا فيه بعد خروجنا هو الشيخ جلال الدين فقد كان معنا فى الكهف الذي يلينا، ولكنه قبل القذيفة الثالثة التي دفنتنا، ذهب خلف جبل حجري صغير واحتمى هناك.. ذهبنا نبحث عنه فوجدناه محروقاً... والإخوة الذين معه محروقين أيضاً. والضابط الذي معهم مصاب إصابة بليغة جداً، ظلوا أول نصف ساعة بعيداً جميعاً عن القصف. ولكن إحدى القنابل نزلت خلف هذا الجبل الصغير بالقرب منهم، فدفعت الشيخ جلال بقوتها دفعة عالية ليسقط وسط النيران، وسرعان ما رمى أحد المجاهدين نفسه داخل النار ليخرج الشيخ جلال بينما إستشهد الضابط الذي كان معه.

(2) **ويتابع أبو حفص :**

.. **في** بداية المعركة كان القصف يستمر طوال اليوم ولكنه أصبح بعد ذلك طوال النهار وطوال الليل.. فإذا توقفت الطائرات تبدأ المدفعية. وكانوا راصدين المواقع كلها رصداً دقيقاً جداً.. وكانت طائرات السوخوي والقنابل الباراشوتية تستخدم لأول مرة.. وكانت الحكومة مصممة على الوصول إلى جاور بشكل عجيب.. وفي بداية المعركة أصيب الشيخ جلال.. وردم الكهف على أبوالحسن فنزل فيما أظن إلى ميرانشاه. ونحن أتينا بعده بخمسة أيام. وأثناء المعركة جاء أسامة وشفيق رحمة ا .*

- **اسامه ازمراى إختطفته امريكا من دولة أسيوية و إتهمته بالإشتراك فى عملية تفجير مبنى التجاره العـالمى فـى عام 1993م ـ وهو سعودى الجنسية من أصل اوزبكى ـ شارك فى معركة جاجى 1987 و معركة جلال آبـاد 1989.**

شفيق المدنى(سعودى من اصل باكستانى) استشهد فى معارك جلال اباد ضمن مجموعة اسامه بن لادن كما سـيرد فـى حينه .

كان بعض الإخوة الأفغان على موقع (دوشيكا) فحصل عليهم قصف شديد تركوا المدفع بسببه. فطلع أسامة وشفيق وإستلموه وإشتبكوا مع الطيران.
لكن بقية الإخوة العرب الذي وجدوا لم تكن لهم مشاركة وظلوا داخل الأنفاق ومنهم أبوحنفي الونش والأخ عامر.. وكان الأفغان قد منعوا أحداً من الدخول لأن المعارك شديدة جداً. ودمرت كل مواقع الأسلحة المضادة للطائرات تقريباً. وأصيب أبوعبيدة بعد عدة أيام من القتال إصابة لم تكن خطيرة.. فوقتها كان لدينا شبه خندق مفتوح الجانبين نختبئ فيه من الطيران والقصف.. وفي تلك المعركة كان الجيش الباكستاني يشارك مشاركة فعلية.. فأتى عقيد باكستاني ومعه نقيب مظلات وأربعة ضباط صف يريدون أن يجربوا صواريخ (بلوبايب) البريطانية لأول مرة.. فإختاروا موقعنا نفسه وجلسوا فيه.. وكانت أسوأ تجربة..ضربوا تـسعة صواريخ تقريباً فما أصابوا أي طائرة، لكن الموقع قصف بسبب ذلك قصفاً مركزاً.. أصيب أبوعبيدة على إثره، فحملته وأنزلته إلى المستشفى تحت ثم صعدت مرة أخرى، وإشتد القصف.. وحقيقة أنا لم أشاهد في كل أفغانستان قصف طائرات مثل ما شهدته في جاور في الدقة والكثافة. ففي يوم من الأيام جلست أحصي الطائرات فبلغت في فترة وجيزة 84 طائرة

كانت تأتي وراء بعضها.. تقصف وتعود. وكانت المشكلة التي تقابلنا في طائرات السوخوي التي كانت دقيقة جداً في الرمي وقادرة على الإنخفاض إلى مسافة قريبة جداً دون أن تتأثر بالمضادات.. حتى أصيب المجاهدون بحالة من اليأس.. وعلى هذه الحال حتى قبل دخول القوات إلى جاور بيوم أو يومين، ولم يصب موقعنا طوال ذلك من فضل ا إلا في هذا اليوم.حينما كان النقيب الباكستاني يصور طائرات السوخوي وهي تتحرك فوقنا.. وفجأة سقطت قذيفة في وسطنا تماماً، كنت أقرب واحد منها فدخلت في الموجة الإنفجارية، ولكنني كنت مرتفع قليلاً عنها، وأحسست كأن خناجر دخلت في ظهري حتى ظننت أنني قتلت حتماً.. ولكن وجدت نفسي بعد ذلك لا أزال أتنفس.. فتحاملت ونهضت وكان القصف لا يزال مستمراً، ذهبت أبحث عن أحد يحملني... دخلت الغرفة التي نحتمي فيها فوجدت كل من فيها قد أصيبوا إصابات أشد مني. واحداً قُطِعتْ رجله وآخر مصاب في رقبته.. وكلهم في حالة إغماء. الأفغان والباكستانيين الأربعة الرقباء، والنقيب الباكستاني أصيب أيضاً وطار مع بداية الإنفجار في الهواء.. ولم يكن غيري من يستطيع أن يتحرك ولا كان أحد يستطيع الصعود إلينا أصلاً.. مشيت إلى الخلف حيث كان لنا بغل نحمل عليه الذخائر فوجدته مقصوماً نصفين هو أيضاً. . فقلت لنفسي؟ أتوكل على ا وأعتمد على قوتي الجسمانية.. وكنت وقتها قد أصبت بحالة شديدة جداً من اللامبالاه.. فأثناء نزولي أتت بعض الطائرات وقصفت... وكنا قد أصبحنا نتيجة الخبرة في المعارك نستطيع أن نعرف مكان سقوط القذائف وهي في الجو.. فلما رأيت الطائرة تقصف أحسست أن القذائف ستأتي على نفس مكاني، وسبحان ا كانوا 6 قذائف.. فقلت لا داعي لأن أنبطح أو أتوارى فالموضوع إنتهى خلاص. لكن القذيفتين اللتين نزلتا أمامي مباشرة لم تنفجرا، والأربعة الأخرى التي نزلت أعلى مني إنفجرت كلها، ولكني لم أصب بأي شئ.. وتابعت النزول.. وكانت المشكلة أن تأتي سيارة لتأخذني، لكن أخاً أفغانياً لما علم أنني أصبت وكان من أعز أصدقائنا جازف بنفسه ودخل (جاور) بسيارته تحت هذا القصف ونقلني إلى مستشفى ميرانشاه..(إ هـ) **ص 176 من نفس المصدر السابق..**

(3) ... وفي مقر الحزب الإسلامي في ميرانشاه بايع الجميع (العرب المستنفرون) الشيخ عبدا عزام على القتال، فسمانا وقتذاك (كتيبة الغرباء...)

... كانت معنويات الذين نفروا طيبة جداً، وكان الإخوة في شوق لدخول الجبهات، لكن الشيخ جلال لم يسمح لنا بذلك وكان يقول(الخطب جلل، لا تستطيعون تصور الحكاية..) هكذا يفتتح أبو هاجر أمير مكتب الخدمات وقتذاك سجل ذكرياته المرهفة عن هاتيك الأيام فيقول: أبقونا ثلاثة أيام جالسين هناك إستفدنا منها بتنظيم دروس للإخوة حتى نمتص إنتظارهم. وفي ذلك اليوم سمانا الشيخ عبدا وقال: سميناكم كذلك لأنكم غرباء، وهذه أول مرة نخرج فيها بهذه الكثافة، وأول مرة يأتي العرب دفعة واحدة لمناصرة الأفغان. فكان للكلمة وقع في نفوس الإخوة، وأعطوا الشيخ عبدا بيعة على الجهاد، ولكن بعض الناس فهمها على أنها بيعة على الموت فقلنا لهم: (لا يا إخوة بيعة الموت معناها الاّ ترجعوا أبداً فإما أن يظهركم ا على عدوكم أو أن تقتلوا في سبيله...)

وأخيراً قرابة العاشرة ليلاً وصلنا (جهاد وال) وإبتدأ الليل فيها، وفي الصباح وصل حكمتيار وقال بأن القوات إنسحبت من المنطقة وتراجعت إلى الخلف، وأن وجودكم هنا لم يعد له داع .. (وجزاكم ا خيراً وأحسن إليكم.. فارجعوا). وبالفعل قرر الشيخ عبد ا عزام أن يرجع بنا

وأعلن ذلك، لكننا تضايقنا، وتضايق أبوعبدا (أسامة بن لادن) وأبو البراء وكل الشباب وقالوا: المفروض حتى لو إنسحبوا أن نطاردهم على الأقل أو أن نتقدم قليلاً..لكن الشيخ عبدا قال لهم (إن شاء ا تكونوا مأجورين..وقفله كغزوة.. ثم نصب لنا علامات وقال لنا إرموا عليها.. فجعل كل منّا يتدرب على الرمي.. عدنا بعد ذلك تنفيذاً للأوامر، ووصلنا إلى ميرانشاه.. وإنحلت كتيبة الغرباء) وهنا لا يفوت الأخ أبا هاجر أن يسجل بعضاً من مشاهداته المتميزة أيضا فيقول:بعد إصرار العرب على المشاركة تقسمت المجاميع، وحمل كل واحد ما يشتهي من الأسلحة ..وملأ الإخوة جيوبهم بالزبيب والحمص على أساس أننا مقبلون على معركة.. لكن الإخوة أكلوا ما في جيوبهم خلال الطريق حتى إنتهى أكثره قبل أن نصل إلى العدو. فسماها البعض كتيبة الحمص.ولما صدرالأمر بالعودة، وما أن رجع الإخوة إلى ميرانشاه حتى إنتهى الجهاد كفرض عين.. وسارع كل منهم نحو أقرب فلاينكوتش (باص متوسط الحجم) متجه إلى بشاور بعد أن رمى سلاحه كيفما إتفق في مضافة الشيخ حقاني، الأمر الذي ضايق الأفغان جداً. هل هذا السلاح للإتحاد أم للحزب أم للشيخ حقاني؟ تداخلت جميعاً، وضاعت بعض قطع منها، فإضطر حكمتيار إلى كتابة كتاب يتحمل فيه ما فقد ويعفينا من المسئولية!. ويضيف أبوهاجر.. وهكذا، وللأفعال الظريفة التي فعلها إخواننا في تجربتهم الجماعية الأولى هذه سميناها بكتيبة الظرفاء!!..إ هـ **نفس المصدر (كتاب سجل الانصار العرب)**

ولننظر الآن إلى بعض أسرار تلك الحملة والتي أرسلتها إلى صحيفة الإتحاد، بعد إنتهاء المعركة، وبعد أن توفرت معلومات إضافية وصلت إلى الشيخ جلال الدين حقاني عبر شبكة إستخباراته الخاصة من المتعاونين معه في مدينة خوست و جارديز و كابول العاصمة.

....

رسالة أفغانستان
مصطفى حامد
10 /86/6

ـ أسرار من حمله جاور ـ

* إعدام المسئولين الأفغان المسئولين عن عملية الكوماندوز الفاشلة.
* مدفعية خوست قصفت القوات الأفغانية والسوفيتية بدلاً من قصف المجاهدين.
* القوات الأفغانية تسقط طائرتين سوفيتين فوق مدينة خوست.
* 21 يوم من المعارك العنيفة في مقابل 18 ساعة في جاور.
* قائد طائرة وزير الدفاع الأفغاني حاول اللجوء بطائرته إلى باكستان.
* قصة الكمين الأخير الذي دافع عن جاور وآخر القوات المهاجمة يوماً كاملاً.

من أجل الوصول إلى قاعدة جاور دفع السوفييت بقوات أفغانية مقدارها ثلاثون ألف جندي من مختلف الأسلحة البرية يساندها خبراء سوفييت في قطاع المدفعية والمعدات الإلكترونية بالإضافة إلى ستة آلاف من جنود الكوماندوز السوفييت الذي يشاركون في تدعيم المواقع الجبلية التي إستولى عليها الجيش الأفغاني. وللسيطرة على موقع (جاور) عن طريق جبل

مرتفع يقع إلى الشمال الغربي منها ويدعى (رغبلي).
لقد تمكن المجاهدون من تطهير هذا الجبل عدة مرات ولكن الكوماندوز السوفييت مدعومين بسلاح الجو والمدفعية أعادو إحتلاله وتمسكوا به. وأدى ذلك في نهاية المعركة إلى إستيلائهم على (جاور) نفسها.
أما المجهود الجوي فقد بدأ يأخذ طابعاً عنيفاً منذ الثلاثين من مارس الماضي، حيث تراوحت الطائرات المغيرة على (جاور) منذ ذلك التاريخ وحتى سقوطها في86/4/19 ، ما بين ثمانين إلى مئة وثلاثين طلعة طيران يومياً.
وقد إستخدم الروس طائراتهم الحديثة التي يقودها طياروهم، فاستخدموا طائرات (توبولوف26) القاذفة الاستراتيجية التي تنطلق من قواعد على الحدود السوفييتية مع أفغانستان لكي تقذف قاعدة (جاور) التي تبلغ مساحتها واحد كيلومتر مربع فقط !!...

الطائرة المعجزة:

أما الدور البارز والمؤثر فقد كان لطائرات السوخوي الحديثة، خاصة (سوخوي-25) ، (سوخوي 27) وهي طائرات ما زال العالم يجهل الكثير عنها حتى أن صورها غير معلومة على وجه الدقة.
وقد صور المجاهدون هذه الطائرات أثناء عمليات (جاور) الأخيرة وكشفوا الكثير عن أسرار هذه الطائرات من ناحية القدرات التكتيكية التي أثارت الدهشة.
وقد أفاد المجاهدون الذين واجهوا هذه الطائرات بواسطة رشاشاتهم الثقيلة. والتي تعتبر عديمة الجدوى أمام هذه الطائرات ، أن الأنواع الحديثة من طائرات السوخوي يمكنها إبطاء سرعتها أثناء عملية القصف حتى تصبح مثل سرعة طائرات الهيلوكبتر وهذا يعطي الطيار فرصة التصويب الدقيق وإختيار الهدف.
كما أن زاوية إستدارتها قليلة جداً، بحيث يخيل إليهم أنها تنعكس على نفس الخط الذي أقدمت عليه ويمكنها القصف في طريق الذهاب والعودة.
وبعض العاملين على الرشاشات يؤكد أن بعض هذه الأنواع مصفح من الأسفل بحيث لا تخترقه طلقات الرشاشات الثقيلة حتى عيار (14,5 مليمتر). وكانت تلك الطائرات تهاجم مواقع المدفعية وتدمرها بدون خوف.
ولكنها كانت تفر إذا إستخدم المجاهدون ضدها قذائف (آر بي جي) المضاد للدبابات.

نصر أم هزيمة؟

وقد أفادت التقارير الواردة من داخل مدينة خوست أن عدد الطائرات التي أُصيبت في هذه المعركة وسقطت في وادي خوست أو عند محاولتها الهبوط في مطار المدينة وهي تشتعل قد بلغ6 طائرات هيلوكبتر و8 طائرات نفاثة، هذا بالإضافة إلى الطائرات التي أُصيبت وأُسقِطَتْ فوق جاور أو قريباً منها وبلغت3 طائرات هيلوكبتر وثلاث طائرات نفاثة.كما أُصيبت أيضاً طائرتي نقل(أنتينوف) وهما جاثمتان على أرض المطار نتيجة لقصف مدفعي على المطار من جانب المجاهدين. وأشارت التقارير أيضاً أن القصف الصاروخي الذي صبه المجاهدون على القوات المهاجمة والمساندة لها في الوادي قد أوقع بها خسائر فادحة ما زالت

لم تحص بشكلٍ دقيقٍ حتى الآن.
وحسب تلك المصادر فإن القوات الحكومية التي دخلت (جاور) لم تستطع المكوث فيها لأكثر من ثمانية عشر ساعة فقط بعد معركة إمتدت واحد وعشرين يوماً. ويرجع ذلك إلى قوة القصف الصاروخي للمجاهدين على القاعدة نفسها عندما دخلتها القوات الحكومية. والسبب الآخر والأهم هو خشية هذه القوات من هجوم مضاد يشنه المجاهدون فيقطعون خطوط مواصلات هذه القوة ويقضون عليها. ففضلت هذه القوات العودة على عجلٍ حتى أنها لم تُحكم تلغيم القاعدة. وتركت الألغام والمتفجرات وإنسحبت على عجل.
هذا وقد كشفت بعض أسرار عملية الكوماندوز الفاشلة والتي راح ضحيتها أكثر من خمسمئة جندي كوماندوز حكومي بين قتيل وأسير وحاول السوفييت بهذه العملية الإستيلاء على جاور بضربة مفاجئة من الخلف والجوانب.
ولكن كمائن المجاهدين كانت جاهزة في الأماكن المتوقع هبوط هذه القوات بها بناء على معلومات تسربت إليهم عن العملية.
وقد أفادت التقارير التي جمعها المجاهدون من داخل مدينة خوست نفسها بأن الضباط المسئولين عن هذه العملية بما فيهم طيارين، قد تسربوا إلى المناطق المرشحة للإنزال حول قاعدة جاور وعاينوها بأنفسهم بالإستعانة ببعض الجواسيس وذلك قبل تنفيذ العملية.
ولكن التصدي المبكر للمجاهديين أجهض العملية وحولها إلى كارثة كانت الأكبر من نوعها لسلاح الكوماندوز الذي ظل متمتعا بسمعة عسكرية جيدة بالنسبة لباقي قطاعات الجيش الأفغاني من ناحية الكفاءة والفعالية .
وقد تعرضت قوة الكوماندوز إلى كارثة تاريخية في حرب أفغانستان ومن بين عشر طائرات هيلوكبتر شاركت في نقل هذه القوات دمر المجاهدون ست طائرات، ثلاثة منها في مواضع الهبوط وثلاثة أخرى تحطمت قبل وصولها إلى خوست. أما أفراد القوة فلم ينج منهم أحد من القتل أو الأسر.
وعلى أثر هذه الكارثة ألقي القبض على الضباط الذين إستطلعوا الموقع قبلاً وتم توجيه الإتهام إليهم بالتخابر مع المجاهدين وتم تكبيليهم بالقيود الحديدية وعصب أعينهم وأرسلوا إلى كابول للمحاكمة. وأعدم بعضهم رمياً بالرصاص أمام الجنود في خوست. وهناك عدة إتهامات أخرى بالخيانة وجهت لعدد من الضباط الأفغان وتم إعدام بعضهم في حوادث متفرقة.

-الطوبجي الأعمى-

إحدى هذا الحوادث كان في سلاح المدفعية. فقد تم تشكيل قوة أفغانية سوفيتية للتقدم نحو جاور من جناحها الشرقي وأثناء التقدم طلبوا من المدفعية تسليط نيرانها على أحد المواقع التي يكمن فيها المجاهدون ولكن المدفعية سلطت نيرانها على القوة المتقدمة وأوقعت بها خسائر فادحة. وإدعى ضباط المدفعية أنهم قصفوا المواضع التي حددتها القوة المتقدمة نحو جاور. ولكن هذا لم يعفيهم من الإتهام بالخيانة وإرسالهم إلى كابول بنفس الطريقة السابقة.

ـ مفاجئة ليلية ـ

في تلك الأيام المرهقة لمعارك جاور كانت الطائرات السوفيتية تقصف قاعدة جاور وما

حولها ليلاً ونهاراً وكان إلقاء المشاعل ليلاً وقصف الطائرات قد تحول إلى مشهد روتيني.
وفي إحدى الليالي فتحت المدفعية المضادة للطائرات في مدينة خوست نيرانها على الطائرات الموجودة في سماء المنطقة. وأصابت طائرتين سقطتا على أطراف الوادي.
وبعد التحقيق تبين أن العيار الذى أصيبت به الطائرات ليس له نظير لدى المجاهدين. وتبع ذلك إلقاء القبض على ضباط من سلاح المدفعية المضادة للطائرات وإعدامهم في محاكمات عسكرية تمت في خوست أيضاً.

ـ طيار الجنرال ـ

من أبرز الحوادث التي تمت في صفوف ضباط الجيش والتي أوضحت روح التمرد في الجيش على الأوضاع القائمة هو ما حدث مع وزير الدفاع الأفغاني الجنرال (نظرمحمد) الذي جاء إلى خوست في طائرة هيلوكبتر خاصة لكي يشرف على سير العمليات ضد (جاور).
ولكن الطيار الخاص لوزير الدفاع تمكن من الإقلاع من مطار خوست متوجهاً صوب الحدود الباكستانية في محاولة للفرار. ولكن دوريات سلاح الجو التي كانت في سماء المعركة لاحقت الهيلوكبتر الهاربة وإشترك في المطاردة عدد من الطائرات النفاثة وطائرات الهيلوكبتر.
فإضطر الطيار الفار من الهبوط في مكان قريب من الحدود الباكستانية وحاول الفرار سيراً على الأقدام. ولكن طائرات الهيلوكبتر حاصرته وألقي القبض عليه، وتمت محاكمته في خوست أمام محكمة ميدانية وأعدم رمياً بالرصاص أمام الجنود.

-الكمين الأخير-

عشرة من طلاب المدارس الدينية من المجاهدين في قاعدة (جاور) رفضوا الإنسحاب من القاعدة بعد أن طوقتها القوات الحكومية وبدأت في التقدم بحذر نحوها. كانت المجموعة في شكل كمين بالأسلحة الخفيفة وقاذف (آربي جي) واحد مع عشرة قذائف.
وتمكن هؤلاء العشرة من فوق كمينهم الجبلي من تأخير القوات الكثيفة التي تقدمت نحو القاعدة مدة يوم كامل. وتم توجيه جميع الأسلحة من مدفعية وطيران على أفراد هذا الكمين حتى أصيب سبعة منهم بجروح خطيرة واستشهد منهم ثلاثة. وفي الليل تمكن المجروحون من الإنسحاب بكامل أسلحتهم عبر الجبال حتى وصلوا إلى الحدود الباكستانية، وعند موقف سيارات الأجرة سقط المجاهدون السبعة فاقدي الحركة. وتجمع الناس وحملوهم إلى مستشفى مدينة ميرانشاه الحدودية، وما زال الصامدون السبع تحت العلاج وفي (صحة معنوية) عالية*

طلاب المدارس الدينية (أو طالبان) بهذا الكمين البسيط فى أحد مضائق الطريق إلى جاور وقريبا منها ، تمكنوا إذا من تخفيض مدة بقاء القوات الشيوعية بالقاعدة الى أقل من عشرة ساعات .على اعتبار أن جاور إنسحب منها المجاهدون لمدة 18 ساعة فقط ، استهلك منها هذا الكمين عشر ساعات على الأقل .

-المخاطر قائمة-

قاعدة جاور التي أقامها مجاهدي باكتيا بقيادة حقاني تتحكم في طرق إمداد المجاهدين في سبعة عشر ولاية أفغانية ،وقد فقد حقاني، الذي جرح في قاعدة جاور أثناء هذه المعركة ، ثلاثة وتسعون شهيداً من رجاله بالإضافة إلى مئتين وثمانية من الجرحى.
أما باقي الجماعات التي تدافعت للمساعدة في الدفاع عن القاعدة وحماية تلك المنطقة

الإستراتيجية فقد إستشهد منهم ما يقارب الأربعون رجلاً. ورغم هدوء المعارك حالياً فإن جميع الإحتمالات ما زالت قائمة. (أ.هـ)

قوات غير عادية

10 مايو 86 ـ ميرانشاه ـ

فى حديثى معه قدر حقاني عدد القوات التي شاركت في الحملة بحوالي 50 ألف جندي.
وهي حسب ما أفاد به الأسرى ورسائل المتعاونين في خوست وكابول، كالتالي:

* الفرق العسكرية رقم 7، 8، 12، إلى جانب الفرقة 25 المتمركزة بشكل دائم في خوست، إضافة إلى اللواء الحدودي التاسع.
* قطعات من الفرق رقم 14، 20، 9، مع جزء من قوة حماية كابول.
* لواء الكوماندوز رقم 37، ولواء الكوماندوز 38.
* لواء من القوات الروسية الخاصة.
* كتيبة ميكانيكية من القوات الروسية.
* 250 طائرة ما بين قاذفة ومقاتلة وهيلوكبتر وطائرات نقل عسكرية.
* شاركت القاذفات الإستراتيجية التي تحركت من داخل الأراضي الروسية مباشرة لقصف قاعدة جاور ـ كما فعلت ذلك مرات عدة في معارك مختلفة في بانشير وغيرها وهي طائرات (توبلوف 16-22-26).

قال حقاني أن السوفييت إستخدموا في تلك المعركة أربعة أنواع من الطائرات سوخوي، وخمسة أنواع من طائرات ميج المقاتلة.

أما محمد يوسف في كتابه فخ الدب فقال عن القوات الشيوعية التي شاركت في المعركة بأنها إلى جانب قوات خوست الأساسية (فرقة 25 واللواء الحدودي)، فقد حشد السوفييت ما يلي:
الفرقة 7، الفرقة 8 من كابول - الفرقة 12 من جارديز - الفرقة 14 من غزني - ونقلت ثلاث كتائب (1500رجل) ليكونوا رأس حربة للتقدم في الجبال (كانوا من القوات الخاصة لكنه نسي أن يذكر ذلك) وعلق يوسف قائلاً: كان سيصاحب العملية المظلة الجوية المعتادة وإسناد المدفعية والصواريخ مع عشرات من طائرات الهيلوكبتر المقاتلة والناقلة للجنود.
إن إستطاعة الجيش الأفغاني أن يشن مثل هذه العملية دليل قاطع على إستعادته لقدرته العسكرية. فقيامهم بمثل هذه العملية قبل ثلاث سنوات فقط كان أمراً غير وارد، وقال يوسف أيضاً(إن أعظم إنتصار حققوه أثناء هذه المعارك)يقصد المجاهدين. كان هو القضاء الكامل على كتيبتين من اللواء 37 قوات خاصة.

هذا وقد قدر يوسف القوات الشيوعية بحوالي 30 ألف شخص . (إنتهى)

إستغرق تطهير جاور من الألغام عدة أيام.. وإستطاع العدو أن يدمر مغارتين. أما تفجير باقي المغارات فلم يؤدِ إلا إلى توسعتها ، فقد إنهار جزء من السقف والأجناب فتوسعت المغارات بدلاً من أن تهدم. أما المسجد الجديد المحفور في نفس الهضبة فلم يمسه أحد بسوء. وقد أعجبني منهم هذا التصرف، لكونه ينم عن ذكاء سياسي. فالجنود الأفغان لن يعجبهم تدمير المسجد وقد يدفعهم الغضب إلى الفرار خاصة والحدود قريبة جداً، وكذلك قبائل المنطقة

سوف يتأجج عداؤها أكثر إذا سمعت بذلك.
في أثناء فترة العمليات أفاد الأسرى من الضباط أن الشائع لديهم هو أن القوات السوفييتية والحكومية سوف تهاجم منطقة (زدران) بعد الإنتهاء من جاور بهدف فتح الإتصال البري بين خوست وجرديز عبر أقصر وأفضل طريق بري بينهما وهو الطريق المار بمنطقة قبيلة زدران.
وبدلاً عن ذلك فإن القوات الشيوعية بعد إنسحابها من جاور بدأت تعود إلى كابول والسبب هو شدة الخسائر التي منيت بها بشكلٍ لم تكن تتوقعه. وقال لي حقاني وقتها أنه غير متأكد من النوايا الحقيقية للعدو، ويخشى أن يكون ذهابهم إلى كابول هو للخداع حتى يتراخى المجاهدون ويتمكن العدو من شن هجوم مفاجيء على زدران.

الدفاع الثابت.. والدفاع المتحرك

وقتها إقترحت على حقاني أن يضع خطة للدفاع عن الطريق(بين خوست وجرديز) ثم يختار مواقع متحكمة على الطريق من بين الجبال المشرفة عليه، نتعاون معه في تجهيزها هندسياً بحيث نعد مواقع قوية ومحمية للأسلحة التي سوف تستخدم. مع حفر مواضع مبيت للأطقم البشرية وحفر مخازن كافية وفي مواضع مناسبة.
وافق حقاني على الفكرة واستحسنها وقال بأن ذلك يستدعي معدات تعمل بضغط الهواء حتى يمكن إستخدام المتفجرات أثناء حفر الأماكن المطلوبة. فقلت له إنني سأحاول شراءها بمساعدة الدكتور عبدا عزام. وبالفعل كتبت له رسالة شارحاً له الموقف وضرورة أن نعمل بسرعة في تجهيز دفاعات الطريق قبل أن تدهمنا الأحداث. ولكنه تجاهل الأمر فقد كانت علاقتي به قد وصلت إلى أدنى مستوى لها بعد كتاباتي في "الإتحاد" بطريقة أغضبت سياف كثيراً.. وبالتالي الإخوان المسلمين والدوائر السعودية في بشاور وهي عناصر لصيقة ومؤثرة على أفكار الشيخ عزام ومشاريعه.
بالطبع لم تسمح الإمكانات المالية لإخواننا في الإمارات أن تغطي مثل هذا المشروع. وأستطيع الآن القول بأن ذلك المشروع لو نُفِذ لربما تغير تاريخ الحرب في أفغانستان. الذي تغير فعلاً في تلك المناطق ومعاركها الدامية.
لذلك كنت كثيراً ما أفكر فى مجهودات أبوعبدا (أسامة بن لادن) لو أنها توجهت في مكانها الصحيح، ومنها ذلك الطريق لكانت أجدى بمراحل كثيرة من تسخيرها لإقامة فنادق جبلية للزعيم الوهمي سياف. وحتى أن تلك الإنشاءات نفسها أدت لنشوب معركة العرب في جاجي عام (1987) لا لشيء إلا للدفاع عن تلك المنشآت التي أصبحت مستهدفة من العدو.
.. الخنادق ومواضع الرماية والمخازن المقترحة لم تكن تعني مشروعاً للدفاع الثابت عن الطريق. ولكن تعني تحصين النقاط المتحكمة حتى يتمكن المجاهدون العمل منها لمدة طويلة في مواجهة نيران العدو(وتثبيت قوات العدو المتقدمة) ولكن الكمائن المتحركة لها دور أساسي في(إبادة قوات العدو التى عرقلتها كمائننا المحصنة)، وذلك طبقا للخطة العامة للدفاع .
ولكن حتى تلك الكمائن لابد من تجهيزها بمراكز خلفية قوية ومجهزة بالعتاد والطعام في مخازن على مسافات مناسبه من الخطوط الأولى للقتال.
ولعلنا تعلمنا من معركة جاور أهمية الكمائن المتحركة.. فهناك الكمين الشهير ضد طائرات الهيلوكبتر التي كانت تنقل جنود الكوماندوز، ثم أخيراً كان هناك كمين طلاب العلم العشرة الذين حشروا القوة في الوديان الضيقة المؤدية لجاور لمدة يوم كامل. وكانت فترة كافية لشن هجوم معاكس ضد تلك القوات في وضعها البائس هذا وربما كانت تحطمت القوة وفشلت في

الوصول إلى جاور. ولكن ذلك لم يحدث.. وبكل أسف.
وطريق (جرديز/خوست) المار بأراضي قبيلة زدران هو طريق مثالي للكمائن على طول تسعين كيلومترتقريباً.. وقد تأملته عدة مرات جيئة وذهاباً وكنت واثقاً أن هذا الطريق يستعصي على أي جيش أن يعبره بغير (مؤامرة) أو صفقة مع تلك القبائل أو مجموعات المجاهدين العاملة قريباً منه. وهذا ما حدث فعلاً. كما كنت واثقاً أيضاً بأن مئة من الرجال ذوى التصميم تساندهم بعض التجهيزات الهندسية الجيدة يمكنهم تحطيم أعتى الجيوش ومنعها من إستخدام هذا الطريق.
*تناولنا في مكان سابق الأهداف السياسية التي تسعى إليها موسكو من تلك الحملات العنيفة والمكلفة، رغم أنها قررت الإنسحاب من أفغانستان وأبلغ السوفييت الولايات المتحدة بذلك العزم وكانت مرحلة جديدة من العلاقات بين الدولتين قد بدأت بوصول جورباتشوف إلى رئاسة الكرملين. مرحلة يتأخر فيها السوفييت عدة خطوات إلى الخلف لصالح منافسهم الأمريكي. يتبقى السؤال. كم خطوة إلى الخلف؟.. وهنا نقطة الصراع بينهما.. صراع معلن أو خفي.. إقتصادي أو عسكري.. سياسي أو نفسي. ولكنه في كل الأحوال ومهما كانت صورته فهو صراع على أراضي الغير وفي سبيل السيطرة على هؤلاء الأغيار وكانت أفغانستان في مقدمة ذلك الصراع وفوق قمته.
كانت الدماء تسيل أنهاراً فوق جبال أفغانستان من أجل التوصل إلى تحديد دقيق لنسبة توزيع النفوذ بين السوفييت وأمريكا في تلك البلاد.. بل في العالم أجمع ضمن مرحلة جديدة من توازن القوى.
.. ولما كان سفك دماء المسلمين مطلوباً في حد ذاته، من كلاهما، فقد عمل كل منهما بطريقته الخاصة على زيادة كثافة هذا النزيف وتوسيع الجرح الدافق بالدم.
بدأ الروس بعد معركة (جاور) إسراع الخطى نحو الخروج من أفغانستان ونشطت مباحثات جنيف. وإن كانت هناك مفاوضات أخرى سرية لم تتم إليها الإشارة إلا بعد ذلك بسنوات، وبدون كشف تفاصيل كثيرة، وهي نشاطات (يهودية) ووساطات بين الأطراف المعنية قام بها (أو المليارديرر) اليهودي (هامر) الأمريكي الجنسية والمقرب كثيراً للنظام الشيوعي في موسكو منذ عهد ستالين.وكما شاهدنا في أزمات دولية كثيرة فإن القاعدة العامة هي أن هناك نوعين من التفاوض حول الأزمات، أحدهما رسمي وعلني وربما في إطار المنظمات الدولية وهو عديم القيمة تقريباً. وفي الظلام تدور مفاوضات أخرى هي المفاوضات الحقيقية ومنها تخرج القرارات بالسلم أو بالحرب.وهذا النظام المزدوج في العمل السياسي شاهدنا بعض أمثلته في المنطقة العربية. على شكل إتصالات علنية بطيئة وشكلية بين العرب وإسرائيل من خلال الأمم المتحدة وواسطتها. بينما هناك إتصالات حقيقية في الظلام تخرج لنا منها فجأة وبدون سابق إنذار إتفاقات تأخذ طريقها إلى التنفيذ بسرعة البرق...
كانت مفاوضات جنيف على الأبواب في (86/5/5) ، أي الشهر التالي لمعركة (جاور) التي انتهت في(86/4/22) كان من المفروض أن تؤدي تلك الحملة إلي تحسن كبير في الموقف التفاوضي للسوفييت. ولا أظنهم قد حصلوا على ما يريدون. لقد أظهروا في تلك الحلملة أن لديهم قدراً هائلاً من قوة النيران والأسلحة الفتاكة ولكنهم في الوقت نفسه أظهروا فعالية أقل وعدم قدرة على كسب المعارك. فهم قد دفعوا ثمناً باهظاً جداً لاحتلال هدف صغير جداً وفوق ذلك لم يستطيعوا الحفاظ عليه حتى تحين لحظة التفاوض التي كانت قريبة جداً.

إذن لتفاوضوا وقتها من موضع قوة بينما فوهات دباباتهم تطل على أرض باكستان.
بعد الحملة مباشرة بدأ الروس في ترتيب (البيت من الداخل) في أفغانستان وتنظيم أوراقهم الأفغانية.
فعزلوا الرئس الأفغاني (بابراك كارمل) الذي لم يكـن مقبـولاً خـارج الـبلاد، ناهيـك عـن داخلها، لكونه دخل العاصمة كابول على ظهر الدبابات السوفيتية. ثم وضعوا مكانه(نجيب ا) مدير جهاز الأمن (خاد)، وفي ذلك إشارة كافية على العهد القادم في أفغانستان كما يريده السوفييت.
كما يعتبر أيضا تهدئة لخواطر قبائل (البشتون) الذين يمثلون أغلبية السكان والحكام التقليديون للبلاد. ثم عمل السوفييت على توحيد الحزبين الشيوعيين خلق وبارشام في حزب واحد أسموه (حزب الوطن). وحاولوا توسيع قاعدة الحكم وضم شخصيات مستقلة ومحايدة، وإن كانت هامشية.
رؤيتي للموقف السياسي آنذاك كتبته في تقرير نشرته صحيفة الإتحاد تحت عنوان (دولة للجواسيس).. ونستعرض معاً ذلك التقرير:

رسالة أفغانستان
مصطفى حامد
86/5/ 10

دوله للجواسيس

أفغانستان تحت النظام الجديد ـ دوله يمتلكها جهاز إستخبارات

* دكتور نجيب الرجل الأقوى في أفغانستان ورئيس جهاز الإستخبارات (خاد) يصبح رئيساً للدولة.
* ركاكة التنظيمات الشيوعية في أفغانستان يجعل الإنسحاب السوفيتي مغامرة غير مضمونة.
* التسوية السياسية مبادرة من باكستان أم صفقة دولية؟
* المنظمات الأفغانية في حالة ترقب والمجاهدون لن يوقفوا القتال.

أزاح السوفييت (بابراك كارمل) عن رئاسة الجمهورية في أفغانستان لإفساح الطريق للتسوية السياسية، وفتح صفحة جديدة لنظام شيوعي جديد في كابول ولكن بتنقيحات أكثر.
فبابراك كارمل لم يكن مقبولاً داخل أو خارج أفغانستان بصفته الحاكم الذي جاء محمولاً فوق الدبابا ت السوفيتية في الإنقلاب ،أو الغزو الذي حدث في السابع والعشرين من ديسمبر 1979. والذي قتل فيه حفيظ ا أمين الذي كان يسعى إلى خط ماركسى مستقل عن موسكو.
كما أن تغيير كارمل قبل أيام من إنعقاد دورة المحادثات السابعة في جنيف بين ممثلي دولتي أفغانستان وباكستان قد زاد من إمكانية تحويل هذه المباحثات إلى مباحثات مباشرة، وسهل عملية إعتراف باكستان بالنظام القائم في كابول. ويبقي تسهيل آخر لا بد أن تقوم به موسكو وهو تقديم جدول زمني للإنسحاب يكون مقبولاً من حكومة إسلام آباد التي تطالب بفترة إنسحاب مقدارها ستة أشهر بينما تطالب موسكو بفترة قد تمتد إلى عامين. ولا يبدو من الصعب التوصل إلى حل وسط بهذا الخصوص. ولا شك أن إعتراف باكستان بالحكم الشيوعي في كابول

سوف يفتح صفحة جديدة في القضية الأفغانية لن تكون بأي حال أقل تعقيداً من المرحلة الماضية

رئيس الجواسيس

في كابول تربع الدكتور نجيب على كرسي الرئاسة كونه سكرتيراً لحزب (بارشام)، إلى جانب رئاسته لجهاز الاستخبارات الأفغانية (خاد) وهذا هو الجانب الأهم.

فالدكتور نجيب الذي ولد في محافظة باكتيا عام 1947 وتخرج من كلية الطب بجامعة كابول إنخرط في تيار الحركة الشيوعية في أفغانستان. وبعد إنقسام الحزب الشيوعي المسمى بحزب الشعب الديموقراطي إلى جناحيه (خلق) و(بارشام) كان الدكتورنجيب في جناح (بارشام) الذي يترأسه (كارمل) ولكن الروس ضغطوا على(نور محمد طراقي) رئيس حزب خلق ورئيس أفغانستان بعد الإنقلاب الشيوعي في إبريل 1978 وأرغموه على قبول دكتور نجيب في الحكومة وفي اللجنة المركزية للحزب.

ولكنه إتهم فيما بعد بخيانة الحزب وأطلق عليه النار وأصيب بجروح وغادر أفغانستان حتى الغزو السوفيتي الذي عين (كارمل) وحزب بارشام متسلطين على الحكم في البلاد.

وتولى دكتور نجيب تشكيل جهاز المخابرات الأفغاني (خاد) عام 1981 ونجح في مهمته نجاحاً ملمواساً نتيجة لتعاونه التام مع جهاز الإستخبارات السوفيتي (كي جي بي) حتى عرف نجيب بأنه الرجل الأول للإستخبارات السوفيتية في أفغانستان، وبالتالي أصبح نجيب الرجل الأقوى في الدولة حتى في ظل حكم كارمل.

وفي إمكان نجيب تدمير أي شخصية في الدولة من حيث أنه يمتلك مفاتيح الأسرار الخاصة لجميع المسئولين. والتي يمكن إستخدامها في الوقت المناسب لحرق أوراق أياً منهم..

ومن المعروف في كابول منذ تولى نجيب إنشاء (خاد) وإدارتها أنه ليس في وسع مسئول حكومي كبير الإستمرار في منصبه بدون تقديم الرشاوي لرجال الاستخبارات السوفيتية وللدكتور نجيب، رجلهم الأول في أفغانستان.

دولـــة خــــــاد:

وفي تعيين نجيب رئيس جهاز الإستخبارات خاد، رئيساً للدولة إشارة كافية إلى الأهمية التي يعلقها السوفييت على هذا الجهاز في مستقبل أفغانستان.

فالدور الأول لإخضاع البلاد للنظام الماركسي سيكون منوطاً بجهاز الإستخبارات وليس القوات المسلحة، التي سيكون دورها في المستقبل وكما هو الآن حالياً، يتمثل في تأمين الحدود مع باكستان وإيران. أما العمليات العسكرية ضد جيوب المقاومة فستكون بإرشاد وإدارة خاد التي ستقوم بالتمهيد لهذه العمليات بواسطة عمليات للتجسس وإختراق منظمات المجاهدين وشراء الأعوان والجواسيس والتعامل مع قبائل الباتان والبلوش على الجانب الباكستاني والعمل على شرائهم لصالح مخططات موسكو.

لا شك أن النظام الأفغاني القادم سيعتمد أساساً على هذا الجهاز. ومن المرجح أن يعمل بالنيابة عن الجهاز الأم (كي جي بي) في دول الشرق الأوسط والدول الإسلامية الأخرى.

وتولية نجيب رئيس جهاز الإستخبارات رئيساً للدولة يعني ببساطة أن أفغانستان ستصبح دولة يمتلكها جهاز مخابرات، وليست دولة تمتلك جهازاً للمخابرات. وهذا يقترب كثيراً من الصورة في المعسكر الشرقي بوجه عام.

صراع الرفاق:

ولكن هل يعني تولية رجل قوي مثل نجيب زمام السلطة في كابول نهاية للصراع الداخلي بين (بارشام) وخلق؟. من المشكوك كثيراً أن يحدث ذلك. فالتقارير الواردة من كابول تفيد بأن مواجهات مسلحة قد حدثت بين الفريقين.وقد تتسع هذه المصادمات بعد إنسحاب الجيش الأحمر الذى يمسك بيده الموازين. بل أن المعارك العنيفة التي حدثت في خوست (جاور) مؤخراً فى شهر أبريل الماضي شهدت صداماً مسلحاً بين وحدات عسكرية موزعة الولاء بين ضباط خلق وضباط بارشام.ولا شك أن توسيع رقعة الصدام بين الأجنحة الماركسية سيهدد النظام بأسره خاصة وأن الحرب الأهلية في أفغانستان لن تتوقف بالتسوية، فقطاعات قوية ومؤثرة من الشعب مصرة على إستمرار الجهاد ضد الحكم الشيوعي وإستبداله بحكم إسلامي مهما كان الثمن.كما أن حزب بارشام الحاكم مقسم إلى ثلاثة مجموعات يرأس إحداها رئيس الوزراء سلطان علي كشمند وقد كان هو الآخر من المرشحين لتولي منصب الرئاسة بعد تنحية كارمل.وحزب خلق الذي يعتبر أكثر شعبية من البارشام يعاني هو الآخر من عدة إنقسامات داخلية.وهكذا تصبح الكتلة الشيوعية في البلاد في حالة من الركاكة بحيث قد تدفع السوفييت إما إلى إلغاء برنامج التسوية السلمية من أساسه أو المغامرة بالإنسحاب على أمل أن يتمكن نجيب من السيطرة علي الوضع. على أمل آخر هو أن ينهار وضع المجاهدين بسرعة بعد تخلي باكستان عنهم وكذلك دول الخليج وباقي الأصدقاء.

خيوط نجيب:

الرهان على (نجيب) له ما يبرره من جانب السوفييت فخيوط القوه التي يمسكها بيده، بالإستعانة بجهازه لا تدانيها قوة أخرى حزبية أو عسكرية. وجميعها خيوط مؤثرة في ظروف أفغانستان الحالية.

* فقد عمل نجيب فترة من الزمن في وزارة شئون القبائل وخلالها أقام علاقات جيدة مع كثير من الرؤوس القبلية وتجمعت لديه دراية كافية عن شئون القبائل الأفغانية ،وهي القوة الرئيسية المعارضه للنظام الماركسي والمؤيدة للمجاهدين.

* كما أن نجيب على علاقة جيدة مع عدد من القبائل على الجانب الباكستاني وضمن ولاءها له، كما تربطه علاقة قوية بالحزب (القومي الديموقراطي الباكستاني) النشط في مناطق الحدود والذي يرأسه (خان عبد الوالي خان) وهو حزب ذو علاقات تاريخية بموسكو ونيودلهي وكابول.

* إستطاع نجيب خلال رئاسته (لخاد) من إختراق تنظيمات المقاومة الأفغانية في بشاور، بدرجات مختلفة، ولكن إلى درجة تسمح له بممارسة دور ملموس داخل بعض من هذه المنظمات. ومع هذا فإن حالة الضياع السياسي التي تعيشه هذه المنظمات لا يتحمل دكتور نجيب وجهازه السري غير جانب صغير منه أما المسئولية الكبرى فيتحملها أصدقاء المقاومة الأفغانية وتدخلاتهم العميقة في شئون هذه المنظمات.

صفقة أم مبادرة؟

تقول إحدى النظريات التي تفسر عملية التسوية السياسية في أفغانستان. أن تلك التسوية هي من ضمن صفقة كونية بين السادة العظام. وأن موافقة السوفييت على إطلاق يد أمريكا في دول الشرق الأوسط مما يلي الحدود السوفيتية وحتى شواطيء الأطلنطي قد قوبل بموافقة أمريكية على جعل أفغانستان دولة شيوعية خاضعة لموسكو والسماح للجيش الأحمر بالخروج من ورطته هناك.والنظرية الأخرى تقول بأن المبادرة كلها إتخذتها الحكومة

الباكستانية منفردة وعلى غيرموافقة أمريكا نتيجة لرؤية خاصة ترى أن مصالحها القومية تتحقق من خلال هذه التسوية.
وأن المرحلة التي إستفادت منها باكستان من هذه الحرب قد إنتهت وأصبح إستمرارهذه الحرب وتواجد الجيش الأحمر في أفغانستان يشكل مخاطر صرفة على باكستان. وأن زمن الإستفادة قد ولى وحان وقت المغرم.
أصحاب الرأي الأخير يعززونه بالقول بأن التوازنات السياسية داخلياً أملت على الحكومة الحالية في باكستان هذا الموقف. وأنها بذلك قد إنتزعت بمهارة آخر سهم في جعبة أحزاب المعارضة. فالسهم الأول كان الأحكام العرفية التي كانت المعارضة تتجمع حول شعار مقاومتها وأقامت لذلك تحالفاً فيما بينها أسمته (حركة استعادة الديموقراطية) ولكن بعد رفع الأحكام العرفية وعودة الأحزاب لم يعد هناك مجالاً لعمل هذه الحركة.
وكان آخر سهم لتجمع هذه الأحزاب الذي يقودها حزب الشعب اليساري هو القضية الأفغايية والمناداة بحلها سلمياً حتى لا تتعرض باكستان لخطر البطش السوفيتي وتدخلات المهاجرين الأفغان في السياسة الباكستانية . الآن وبعد التسوية لم يعد أمام المعارضة أي قضية جوهرية للحديث عنها،حيث أن القضايا الأساسية المتبقية لا يكاد تظهر فيها فروقاً بين وجهات نظر الحكومة والمعارضة وهذه القضايا مثل الصداقة للولايات المتحدة وإستمرار توازنات القوى الإقتصادية والإجتماعية في الداخل بدون تغير إلى جانب الإعتراف بالدور الأبوي للمؤسسة العسكرية.

تشاؤم وتفاؤل:

المعارضون في باكستان لمبدأ التسوية لديهم تخوفات قوية لها ما يبررها منها أن السوفييت يمارسون نفس التكتيك القيصري القديم في إبتلاع المناطق الإسلامية وذلك بحصارها وقطع خيوطها عما خلفها من ممالك إسلامية عن طريق إرهاب هذه الممالك وتخويفها حتى توقع مع الروس معاهدة تعترف بالأمر الواقع وتنشد السلامة والصداقة مع الروس.
ولكن هذه المعاهدات وفي كل مرة تنتهي حالما يفرغ الروس من هضم الجزء الإسلامي الذي إبتلعوه ثم يهاجمون الذي يليه ويحتلونه وهكذا...هؤلاء المتشائمون يرون أن هدف الروس من إبتلاع الأراضي الإسلامية هو توسيع الرقعة والإستيلاء على المواد الخام والقوة البشرية ولكن الهدف النهائي والأهم هو الوصول بأطراف الإمبراطورية إلى المياه الدافئة.
يقول هؤلاء أيضا:

أنه لم يتبق في هذا المخطط بعد أفغانستان إلا ضربة واحدة في باكستان وبعدها يطل الروس على المحيط الهندي من بلوشستان.
يقول هؤلاء : إن الضربة التالية والأخيرة ستكون علينا وأن توقيع معاهدة التسوية في جنيف إنما هو توقيع صك على نهاية باكستان وتسليمها إلى الروس. وهم يرون أن اليسار الباكستاني سيكمل المهمة ويمهد لدخول الروس كما فعل اليسار الأفغاني قبلاً وكان المخلب الذي أسال دماء الأفغان لصالح الروس.
وأن الشيوعيين سيقومون بدور حصان طرواده للجيوش الروسية في طريقها إلى المياه الدافئة.
وقال أحدهم بيأس معلقا على مفاوضات جنيف أنها فى أحسن صورها كامب ديفد أخرى ولكن في جنيف.
أما المتفائلون فيدافعون عن قبول الحكومة الباكستانية للتسوية السلمية قائلين بأن الشيوعيين

الأفغان ليس لديهم القدرة على الصمود في وجه الشعب الأفغاني المسلم الذي لن يقبل بهم. وهم لن يستطيعوا الدفاع عن أنفسهم بدون حماية الجيش الأحمر حتى أن الجيش الأفغاني يعتبر رصيداً للجهاد وسوف ينضم بأفراده ومعداته للمجاهدين وهذا سيعوض لهم إمدادات السلاح التي ستقطع عنهم بإغلاق الحدود الباكستانية.

إسلامية محايدة:

بدأ الحديث عن تسوية سياسية في أفغانستان يأخذ طابعاً جدياً عام 1983 ومنذ ذلك الوقت طرحت الحكومة الباكستانية أربعة شروط لهذه التسوية وهي:

1- إنسحاب القوات السوفيتية من أفغانستان.
2- عودة المهاجرين الأفغان إلى ديارهم.
3- عودة أفغانستان دولة محايدة إسلامية.
4- وقف التدخلات الخارجية في شئون أفغانستان الداخلية.

ولكن منذ بداية الأزمة وحتى تولي جورباتشيف زمام السلطة في الكرملين لم يبدي السوفييت أي تهاون فيما يتعلق بإلغاء البند الثالث. فقد أصروا على أن تكون أفغانستان خاضعة لحكم شيوعي موالي لموسكو. فهذا الموضوع غير خاضع للتفاوض بأي شكل. وما سوى ذلك يمكن التفاهم حوله.

وفي قائمة شروط التسوية التي طرحت على مؤتمر جنيف الأخير حول أفغانستان لم يعد لهذا البند وجود واستبدل بشرط آخر يقول بتوفير ضمانات دولية لتنفيذ إتفاقية التسوية في أفغانستان.

الإتفاق على تسوية سلمية بدون ضمان نظام الحكم القادم بأنه (محايد وإسلامي) يعتبر تخلياً تاماً عن المقاومة الأفغانية والشعارات الإسلامية التي طرحتها. أو كما قال أحد المجاهديين : إنهم قد باعونا في جنيف. فالشعب الأفغاني لم يقدم مليوني شهيد وخمسة ملايين مهاجر في جهاده ضد السوفييت والنظام الذي أقاموه في كابول لكي يقبل بعد سبعة سنوات من القتال بنفس النظام الذي رفع في وجهه السلاح منذ البداية.

عودة للبداية:

ليس هناك أدنى شك في أن الشعب الأفغاني يرفض تسوية من هذا النوع وإجماع المجاهدين داخل أفغانستان هو إستمرار القتال ضد الشيوعية المحلية المتمثلة في حزبي خلق وبارشام. يقول أحد قادة المجاهدين في الداخل:

(إن إغلاق الحدود مع باكستان سيخلق لنا مشاكل جمة. وعلى أي حال نحن لا يمكننا القبول بهذه التسوية وسنعود إلى القتال بوسائلنا الأولى بدون الإعتماد على أحد).

ويتخوف قادة المجاهدين في الداخل من عودة المهاجرين في ظل حكومة ماركسية في كابول لأن هؤلاء الناس تحت ضغط الحاجة سيعتمدون على الحكومة ويخضعون لسلطانها. وأن حكومة كابول سوف تجند هؤلاء العائدين في صفوف الجيش الذي ستستخدمه في التنكيل بالمسلمين. كما أنها ستأخذ منهم أبناءهم وترسلهم إلى روسيا لكي يتحولوا إلى الشيوعية هناك ويعودون إلى أفغانستان خداماً لموسكو وحرباً على شعبهم. وهذه هي السياسة التي إتبعها الروس أيضاً في المناطق الإسلامية المحتلة في آسيا الوسطى.

السمان والعجاف:

ومهما يكن فإن إختلاف زعماء المنظمات الأفغانية المتمركزة في بشاور وعدم أتفاقهم حتى على الحد الأدنى من البرامج المشتركة قد أضاع على الجهاد الأفغاني فرصة تحقيق تفوق

وسيطرة داخل أفغانستان بحيث يتمكن المجاهدون من بسط نفوذهم على البلاد، أو حتى إستئناف مقاومة منظمة ضد النظام الشيوعي الجديد.
لقد إنقضت سبع سنوات على بداية المقاومة الأفغانية وحتى الآن ،كانت بحق سبع سنوات سمان من حيث الإمكانات المادية الكبيرة التي توفرت لدى المنظمات.
ولكنها جميعاً تبخرت بدون ترسيخ جذورمقاومة منظمة في الداخل وعلى إتساع البلاد.. وبعد التسوية تبدأ السنوات العجاف بالنسبة للمقاومة الأفغانية بدون أن تجد رصيداً يعتد به من السنوات السمان.
فلا يمكن للمنظمات الأفغانية مجتمعة أو منفردة الإدعاء بأنها قد إستعدت للمرحلة القادمة أو حتى أنها تمتلك تصوراً لما يمكن أن تكون عليه المقاومة.
وتكتفي المنظمات في بشاور بإعلان الإحتجاج اللفظي على التسوية الجارية في جنيف بينما دلائل العجز لا تخفى على العيان.
ولا شك أن المواقف الفعلية لهذه المنظمات ستنجلي بعد إتضاح مصير مفاوضات جنيف فما زال يحدو الجميع أمل بأن يحدث شئ ما وتفشل هذه المفاوضات. بلا شك أن ذلك سيرضي عامة الشعب الأفغاني والمجاهدين، ولكن بعض المنظمات الأفغانية في بشاور على إستعداد للقبول بالتسوية عند ضمان نجاحها بل إن البعض لديه الإستعداد للمشاركة فيها إذا وجهت إليه الدعوة بطريقة مناسبة.

تصعيد العمليات:

يقول جلال الدين حقاني: الذي مازال يعاني من حروق أصيب بها في معارك خوست الأخيرة:(إن أفضل طريقة لإفشال التسوية السياسية هي تصعيد عملياتنا ضد القوات السوفيتية والحكومية.فالسوفييت يشترطون على باكستان أن تتوقف جميع العمليات العسكرية في أفغانستان أثناء فترة إنسحاب القوات الروسية.وليس في مقدور أحد أن يوقف جهادنا حتي تتحقق الشروط الإسلامية في حكم أفغانستان.التسوية المطروحة ليست مقبولة لدينا.
وبقاء الشيوعيين على كراسي الحكم بعد إنسحاب الجيش الأحمر مستحيل.
فالشعب الأفغاني سيقتلهم فرداً فرداً والجيش الأفغاني سينضم للمجاهدين لأن السوفييت هم الذين يكرهونه على قتالنا. وجهادنا مستمر حتى لو أغلقت الحدود فإعتمادنا أولاً وأخيراً على ا . ولعلنا في المرحلة القادمة نتخلص مما علق بحركة الجهاد من شوائب في المرحلة السابقة).
ليست المنظمات الأفغانية في بشاور وحدها في حالة ترقب لما يحدث في أفغانستان. بل إن الشعوب الإسلامية بأسرها تنظر وتترقب موقف هذا الشعب المسلم في أفغانستان ،الذي على خلاف ما عداه- لم يخضع لبطش الإحتلال أو تخديرات التسويات السياسية.

- -

تعليق على المقال:

(السبع سنوات السمان والسبع سنوات العجاف).من الغريب أن الحرب الأفغانيه كان قد تبقى لها سبع سنوات تقريباً حتى تنتهى، ولم أكن أعلم وقتها مدى دقه هذا التشبيه والى هذه الدرجه،فقد إنتهت الحرب ضد الشيوعيه بسقوط نظام نجيب ا فى 1992/4/26 أى بعد 14 عاماً كامله على الإنقلاب الشيوعى فى 78/4/27. لم تتعرض القوات السوفييتيه عند إنسحابها لأيه مضايقات تذكر وإلتزم المجاهدون الهدوء حتى أتمت تلك القوات إنسحابها فى15 فبراير1989 وتدخلت باكستان بأوامر أمريكا لضمان ذلك الهدوء.

وكان ذلك أحد حلقات الخيانه فى الحرب الأفغانيه.ويعتبر أحمد شاه مسعود أكبر المسئولين عن تلك الخيانه نظراً لتركيز قواته على طريق إنسحاب القوات الروسيه خاصه عند ممر سالانج الإستراتيجى الذى يسهل التحكم فيه بواسطة قوات مسعود.
كذلك كان لقوات حزب إسلامى (حكمتيار) وزنها الملموس فى تلك المنطقه ولكنها يضاً إلتزمت الصمت التام بأوامر زعيمها حكمتيار ـ رجل باكستان الأولى على الساحة الأفغانيه.

في مهب الريح

كما ذكرت فإنه منذ إفتتاح مكتبنا الصحفي في إسلام آباد في بداية ذلك العام (1986) بدأت تتصاعد وتيرة الحرب ضدي داخل دهاليز الإدارة الصحفية في جريدة الإتحاد في أبوظبي.
وما أن عدت من أفغانستان حتى وجدت الموقف أسوأ من ذي قبل. رغم المجهود الصحفي الكبير الذي بذلته في معركة كانت محط أنظار العالم كله آنذاك، وكنت الصحفي الوحيد داخل تلك الحرب الضروس. وأرسلت من هناك عدداً كبيراً من الأخبار الهامة والتحقيقات المصورة التي يمكن في وقتها أن تعد مكسباً لا يقدر بثمن لأية صحيفة ..
فقد كنت وقتها وكما ذكرت الشاهد الصحفي الوحيد. فوجئت أن هناك مجهوداً متعمداً لطمس كل ذلك العمل. بل الأدهي أنني أصبحت واقعاً تحت ضغوط (مافيا) حقيقية داخل الصحيفة.
كانت (الإمارات) وقتها تزحف ببطء وثقة نحو تطبيع العلاقات مع السوفييت وشهد ذلك العام تقدماً كبيراً في هذا الصدد.. وأظنني ومكتب جريدة الإتحاد في إسلام آباد كنّا ضحايا ذلك التطبيع.
بعد عودتي من (جاور) وتحت ظل صدمتي مما فعلته (مافيا) الصحيفة أرسلت هاتين الرسالتين، الأولى لرئيس التحرير (عبد ا النويس). والثانية (لرئيس قسم المراسلين) إسحق منصور ويعتبر القسم الذي يرأسه فرعاً للقسم الأساسي المسمى (القسم الخارجي) الذي يهتم بأخبار العالم خارج المنطقة العربية.

بسم ا الرحمن الرحيم

السيد الأستاذ/ عبد ا النويس
تحية طيبة وبعد...
أكتب لسيادتكم هذه الرسالة لمعرفة ما إذا كان قد طرأ أي تغيير بالنسبة لسياسة صحيفتنا (الإتحاد) تجاه المسألة الأفغانية.
كما نرجو من سيادتكم إحاطتنا علماً بنوعية هذا التغيير في حال حدوثه.
الدافع إلى هذا التساؤل هو عدم نشر الأخبار الهامة والتحقيق الذي أرسلته عن معارك (جاور) الأخيرة حيث سافرت إلى هناك مرتين خلال شهر أبريل وقمت بالتغطية الأخبارية للمعارك من نفس منطقة (جاور) وأرسلت العديد من الأخبار الهامة... ولكن المفاجأة أن الأخبار التي أرسلتها لم تنشر في (الإتحاد) ثم نشرت هي نفسها بعد عدة أيام عندما أوردتها

وكالات الأنباء.
لقد أدهشني ذلك كثيراً.. وعجبنا لهذا كثيراً.. فبعد مطالبتكم لنا بالإنفرادات الخبرية... نجد إنفراداتنا يجري (تخليلها) أو (تحنيطها) في قسم التحرير حتى تتاح الفرصة للوكالات اللحاق بنا. وقد كنت الصحفي الأجنبي الوحيد في المنطقة طوال هذه المعارك.. بينما إعتمدت وكالات الأنباء الغربية والإذاعات المشهوره مثل **B.B.C** وصوت أمريكا على مراسلين أفغان جالسين على الحدود ولم يجرؤ أحد على الدخول إلى هذا الجحيم غير مراسلكم الغلبان.
وهذه قائمة للأعاجيب التي إرتكبها معنا إخواننا في (القسم الخارجي).
1- أرسلت تحليل إخباري يوم الجمعة 68/4/4 بعنوان :جنيف القادمة حاسمة والمعركة الفاصلة في باكتيا.
لم ينشر هذا التحليل رغم تنبؤنا فيه بمعارك جاور التي حدثت بتاريخ 86/4/6.
2- أرسلت خبر إصابة جلال الدين حقاني في معارك جاورضمن خبر بعنوان (أسر 65 من جنود الكوماندوز).وقد حذف خبر إصابة حقاني من الموضوع ثم نشر على ثلاثة أعمدة بتاريخ 86/4/11 عندما بثته الوكالات.
3- خبر عن سيطرة القوات الحكومية على جاور بتاريخ (86/4/20).
لم ينشر ولا أدري ما السبب وربما يرجع السبب إلى تأكيدات صدرت من موظفين في الخارجية الأمريكية بأن قاعدة جاور لم تسقط ويبدو أن الإخوة صدقوا الخارجية الأمريكية ولم يصدقوا (العبد) الغلبان والسبب أنني لست أمريكيا كما أنني أمتلك لحية ليست جميلة الشكل.
رغم أنني كنت في موضع الأحداث في ذلك الوقت بينما صديقنا الأمريكي كان في واشنطن وربما سمع لأول مرة عن إسم قاعدة جاور.
4- أرسلت خبر عن إستعادة قاعدة جاور بتاريخ86/4/22 ولكنه نشر في ملحق الهدى بتاريخ (86/4/25) ....؟
هذا الخبر أثار ضجة في جميع إذاعات العالم التي كنا نرصدها باللغتين الإنجليزية والأوردية ولكن إخوتنا في القسم لخارجي لم يقدروا أهمية الخبر وأعطوه للهدى وكأنه خبر عن إفتتاح مسجد.
5_ أرسلت تحقيق مصور عن معارك جاور بعنوان (مجزرة الكوماندوز)مرفق بعدد 17 صورة من داخل المعركة وللأسرى من الكوماندوز وذلك بتاريخ (86/4/16).
ولكن الإخوة في التحرير لم ينشروه حتى الآن ربما في إنتظار أن يأتيهم على وكالات الأنباء هو الآخر. ولكني أطمئنهم أن سادتنا الخواجات لم يدخل أحد منهم تلك المنطقة أثناء هذه المعارك ـ وهذا وعد مني- فلا طائل من إنتظارهم أن يرسلوا شيء.
6- خبر عن تجدد المعارك العنيفة حول جاور يوم (86/4/24).لم ينشر حتى الآن.
<u>أستاذنا الفاضل رئيس التحرير</u>
إذا كان هناك تبديل في سياسة الجريدة بخصوص أفغانستان رجاء إبلاغنا به تلفونياً لأن هناك الكثير الآن حول هذه القضية يمكن كتابته.. كما أن هناك معارك على الأبواب يمكن تغطيتها..أفيدونا أفادكم ا ..لقد وجدت لديكم عند زيارتي الأخيرة فكرة لإغلاق مكتب إسلام آباد لأسباب مالية، ولكن أقترح الآن أن يتم أيضاً إغلاق (القسم الخارجي) لأسباب صحفية.
نحن قابعون إلى جانب التليفون في إنتظار مكالمة من طرفكم تنير لنا ما أظلم من الطريق

وتفك لنا طلاسم (التحرير).
ولكم منا أطيب التمنيات،والسلام عليكم ورحمة ا وبركاته.
العبد ا ومراسل جريدة الإتحاد
(مصطفى حامد).

ملحوظة / نرجو من سيادتكم التكرم بلفت نظر الإخوة في القسم الخارجي بأننا مكتبكم في دولة باكستان. ولسنا مكتب في سوق (الليبام).. فنرجو منهم عدم الخلط.

السيد الأستاذ/ إسحق منصور
تحية طيبة وبعد
وصلتنا رسالة تلفونية من قسم الإستماع بتاريخ86/6/26 ولم يذكر صاحب الرسالة إسمه!! وجاء فيها ثلاث نقاط هي:
1- أن الأستاذ عبد ا النويس عاتب على مستوى التغطية الإخبارية من مكتب إسلام آباد.
2- طلب متابعة أخبار الحشود العسكرية الأفغانية على حدود باكستان وزيارة الرئيس ضياء الحق للجبهة وتصريحات المسئولين بشأن التهديدات العسكرية لأمن باكستان.
3- تحقيق عن المعركة الأخيرة التي أوردت وكالة رويتر خبراً صغيراً عنها يقول أن الثوار استولوا على100 ألف قطعة سلاح وأنهم يسيطرون على مدينة هيرات وأنهم قتلوا وأسروا عدداً كبيراً من الجنود السوفييت والقوات الحكومية.
بالنسبة لهذه النقاط الثلاث:
أولاً : نتيجة لصعوبة الإتصالات التلفونية فإن أكثر المجهودات الإخبارية تضيع هباء.. وبدون وجود جهاز تلكس فإن الأخبار مستحيل أن تصل في وقتها المناسب إلى جانب أن المكالمات التلفونية إستهلكت جزءاً ملموساً من ميزانية المكتب.. لهذا ركزنا في الفترة السابقة على التحقيقات....على أي حال مشكلة التكلس على وشك أن تحل بعد أن جاءتنا موافقة من هيئة المواصلات بأن خطوط التلكس أصبحت متوفرة في المنطقة التي يقع فيها مكتبنا.. وسوف نبدأ إجراءات التركيب هذا الأسبوع.
وبهذا نصبح في وضع أفضل بالنسبة للتعامل مع الأخبار سواء بإستقبالها داخلياً أو إرسالها لكم
ثانياً : بالنسبة للحشود فللعلم ليس هناك شيء إسمه حشود عسكرية بالمعنى المفهوم وهذا مستحيل في الظروف الراهنة لظروف تتعلق بالجيش الأفغاني (40 ألف فقط) ولأن الروس يتحاشون العمل المباشر على مناطق الحدود حتى الآن.
كل العمليات عبارة عن هجمات على مواقع المجاهدين القريبة من الحدود يصحبها عادة إختراق للحدود الباكستانية بواسطة الطيران الأفغاني ،وأحياناً طلقات مدفعية تصل إلى القرى الباكستانية القريبة ومعسكرات الحدود.
وحديث المسئولين عن حشود، عبارة عن مادة للإستهلاك السياسي في الحرب الباردة. كما أن الرئيس لم يزر الجبهة إطلاقاً ولكنه كان في زيارة لكراتشي.
ثالثاً : أخبار مدينة هيرات الأفغانية لا يمكننا تغطيتها من هنا لعدة أسباب منها: أن هيرات تقع على جانب الحدود مع إيران والذهاب إلى هذه المناطق يحتاج إلى ترتيبات خاصة معكم أولاً ثم

مع المجاهدين.
بالإضافة إلى أن المنظمات الأفغانية في باكستان أصبحت لا تعمل على الحدود الإيرانية ،حيث تعمل هناك عدة منظمات تحت إشراف إيران.
أما بالنسبة للخبر في حد ذاته عن الاستيلاء على 100 ألف قطعة سلاح فواضح أنه خبر غير صحيح ولا يصح نشره.. لأن تعداد الجيش الأفغاني كله هو 40 ألف فقط كما ذكرت.
ومدينة مثل هيرات لا تخصص لها حامية أكثر من ألفي جندي أفغاني فكيف يمكن أن يغنم المجاهدين 100 ألف قطعة سلاح؟؟. كذلك فإن تعداد القوات الروسية أكثر قليلاً من 100 ألف جندي فهل جميعهم سلموا سلاحهم في هيرات للمجاهدين؟.
على أي حال ليس معنى أن الخبر جاء من الوكالات أنه صحيح.. وليس معنى أن الخبر أرسل من جانب مكتبنا في إسلام آباد أنه لا ينشر (كما يحدث عادة).
على كل حال نشكر إتصال الإخوة وإرشاداتهم لنا.. ونرجوا منكم دائماً التوجيهات حتى نستطيع أن نصل بعملنا إلى المستوى المطلوب.ولكم منا أطيـب التمنيـات.

مصطفى حامد

إسلام آباد 1986/6/29

* **الطريقة** التي كنت أتناول بها قضية أفغانستان في كتاباتي تظهر وكأنها لم تعد تناسب صحيفة الإتحاد في ظل التطورات الجديدة في سياسة الدولة. أما تناولي للقضايا الداخلية في باكستان فلم تكن أقل حرجاً للصحيفة. حتى أنها منعت نشر العديد منها. لقد نشروا لى تقريراً يرصد إنتشار الحركة الماسونية في باكستان، وكيف أن الرئيس ضياء الحق على رأس أنصار ومروجي تلك الحركة. وقد تسبب هذا التقرير في حرج شديد للصحيفة مع الرسميين الباكستانين. ومن بعد هذا بدأت التضييقات على ما أرسله إلى الصحيفة.
تقرير آخر لم تنشره الصحيفة كان تحت عنوان(الحرب المعاكسة على الإسلام في باكستان).
وفيه تناولت بالنقد نظام ضياء الحق، كما هاجمت بشدة (بي نظير بوتو) ومنهجها السياسي.
وكان واضحاً أن (بوتو) قد أصبحت فرس الرهان والزعيمة المقبلة لباكستان فوق موجة أمريكية عاتية في سبيلها إلى إغراق باكستان. نظم الحكم في الخليج كانت من الرذاذ السائر خلف هذه الموجة الأمريكية، بل وخلف كل موجة أمريكية أخرى. وكان رئيس دولة الإمارات (زايد بن سلطان) على علاقة خاصة جداً بعائلة (بوتو).. وكنت أعلم ذلك قبل كتابة ذلك الموضوع لذلك لم أفاجأ كثيراً بمنع نشره.
ولما كانت (بي نظير) قد حكمت باكستان بعد إغتيال ضياء الحق ثم عزلتها أمريكا مؤقتاً أثناء حرب الخليج حفاظاً على أوراقها السياسية من أن تحترق. ثم أعادتها مرة ثانية، وما زالت تحكم حتى وقت كتابة هذه السطور وتقود حرباً شاملة ضد الإسلام في بلادها وفي المناطق المجاورة خاصة أفغانستان وكشمير.
كما أنه من المنتظر أن يستمر دور (بوتو) زعيمة العلمانية المرتدة في باكستان لمدة طويلة من الزمن، وأن يستمر ذلك المنهج في باكستان فترة طويلة حتى بدون (بي نظير). لهذا فقد يكون مفيداً أن نعيد قراءة التقرير المذكور. **(راجع ملحق المقالات فى آخر الكتب).**

محاصرة (الحريق الجهادى)

* **نعود** مرة أخرى إلى جنيف حيث عقدت الجولة السابعة من المباحثات بشأن القضية الأفغانية. وما سبقها من جولات كانت تدور بين ممثلي الحكومتين الأفغانية والباكستانية. حيث يجلسون في غرف متجاورة ويسعى بينهما مندوب من الأمم المتحدة في نقل الرسائل والمقترحات.

أبرز ما في هذه الجولة هو جو من الإنفراج ناتج عن إزاحة (بابراك كارمل) عن رئاسة أفغانستان، وذلك طبقاً لأحد شروط ضياء الحق التي إشترطها لتقدم المفاوضات. وكان كارمل قد أصر في الجولة الماضية على مفاوضات مباشرة بين الدولتين كمحاولة منه لتثبيت موقعه الشخصي في نظام كابل وفوق قمته. كارمل أزيح من السلطة قبل أيام من مفاوضات جنيف، وبعد أيام من معركة جاور. وكانت موسكو قد وعدت باكستان بإزاحة كارمل في حالة حدوث تقدم في المفاوضات وذلك منذ الجلسة الأولى في (أبريل 1983).

قبل المباحثات كان جورباتشوف قد صرح بأن إتفاقاً قد تم بينه وبين حكومة كابول بصدد إنسحاب القوات السوفييتية ،وفي الواقع أن مثل هذا الإتفاق يتم أساساً مع أمريكا ضمن خطط إقتسام مناطق النفوذ، وتسربت أنباء في العاصمة الباكستانية إسلام آباد أن السوفييت قدموا إقتراحاً لباكستان يقضي بإنسحاب قواتهم في فترة زمنية مقدارها عام. ولكنها تشترط ضمانات بعدم مهاجمة قواتها أثناء تلك الفترة ،على إعتبار باكستان مهيمنة على تحركات المجاهدين العسكرية. في المقابل قالت باكستان أنها تصر على فترة إنسحاب مقدارها ستة أشهر فقط.

لم تذع باكستان ولا موسكو شرطاً هاماً تخلت عنه باكستان في مفاوضات جنيف في جولتها السابعة ،ذلك الشرط الذي ينص على أن تعود أفغانستان(دولة إسلامية محايدة) وقد تم إسقاط هذا الشرط بإتفاق أمريكي سوفييتي.

وبهذا صارت موضوعات التفاوض الأربعة هي :

1- إنسحاب القوات السوفييتية.
2- وقف أي تدخل أجنبي في أفغانستان. مع تعهد البلدين بعدم التدخل في الشئون الداخلية لكلٍ منهما.
3- ضمانات دولية بوقف التدخل الخارجي في أفغانستان.
4- عودة المهاجرين الأفغان.

إن أفغانستان لن تكون دولة إسلامية ، بالمعنى الحقيقي لتلك الكلمة، وكانت المشكلة المشتركة بينهما هو كيفية تطويق الروح الجهادية التي إنبعثت في أفغانستان ثم القضاء عليها قبل أن تنتشر فيما حولها. فالسوفييت يخشون على جنوبهم الإسلامي أو(البطن الرخو) كما يسميها الغرب لكونه قابل للإختراق الإسلامي. وأمريكا التي إستخدمت الورقة الإسلامية بمهارة ضد السوفييت بدأت تشعربالقلق تجاه قدرتهم على محاصرة (الحريق) الجهادي وإخماده. فأخذوا يشيعون منذ جولة جنيف السابعة بأن أمن باكستان سوف يكون في خطر ما لم يتم التوصل إلى تسوية سياسية سريعة في أفغانستان. ثم وبعد إغتيالهم لضياء الحق وتنصيبهم (إبنة بوتو) زعيمة للبلاد، ظهرت الإتجاهات أكثر وضوحاً. وسمعنا مع بداية حكمها بأن إستمرار الجهاد في أفغانستان سوف يقوي التيار الأصولي في باكستان نفسها، وأن تيارات (أرثوذكسية) إسلامية سوف تهدد أمن باكستان مستفيدة من عمقها الأفغاني، كما بدأ الحديث عن(المتطرفين) العرب

في أفغانستان.
لقد بدأت أمريكا تعالج الآثار العقائدية المترتبة على إستخدام الورقة الإسلامية في أحد الحروب بالوكالة.
وكان الأمر أشبه بالمشاكل المترتبة على السلاح النووي وأسلحة الدمار الشامل الأخرى، حيث يستحيل حصر الخطر في المنطقة التي إستهدفتها تلك الأسلحة. فالآثار (الضارة) تتسرب حتما بعوامل عديدة إلى مناطق أخرى قد يخيل إلينا أنها بعيدة عن الخطر.
وهذا ما حدث بالضبط كنتيجة للحرب الأفغانية. لقد تيقظت روح الجهاد في الأمة الإسلامية. وظهرت الآثار سريعاً في المنطقة العربية وفلسطين وحتى الفلبين وأندونيسيا.
وأثناء محاولة أمريكا تدمير التجمع العربي في بشاور تفرق هؤلاء في أرجاء المعمورة وقد تشبع الكثير منهم بروح الجهاد. وإكتشفوا وإن كان متأخراً أن أمريكا هي عدوهم الأول.
الوضع داخل منظمات بشاور إزداد إضطراباً وفوضى عن ذي قبل. فأمريكا تسعى بهم ليس نحو فضيحة دولية تكشف حقيقة عمالتهم السياسية لها. بل أيضاً تأخذهم إلى مواقع أكثر هامشية في مستقبل أفغانستان.إلى مجرد ديكور إسلامي لحكم علماني تتقاسمه واشنطن مع موسكو.
الجناح المعتدل من المنظمات كان أسعد حالاً فإرتباطه بالغرب مفضوح ومعلن منذ اللحظة الأولى، وسمعته بالتالي في الأوساط الإسلامية المتحمسة في الحضيض، أما عن دوره على الهامش كديكور للسلطة الحاكمة فذلك هو دوره التاريخي. ولو أن نظام كابول الشيوعي أفسح له مجالاً محدوداً ولو أن أمريكا وافقت، لمارس دورة التجميلي إلى جوار النظام القائم.
الجناح (الأصولي) من المنظمات طغت تناقضاته. فبرهان الدين رباني (الجمعية الإسلامية) قفز إلى جناح المعتدلين وقاد وفداً معتدلاً لمقابلة الرئيس الأمريكي (ريجان) في زيارة لا هدف منها سوى الإعلان دولياً عن إرتباط المقاومة الأفغانية بأمريكا، وإرجاع الفضل إليها فيما يتوقع حدوثه من تراجع سوفيتي تاريخي عن أرض أفغانستان. وإضافة هذا الإنجاز بالكامل إلى الحساب الأمريكي وليس الإسلامي.
إكتفت أمريكا بخطة رباني مع وفد المعتدلين ولم تصر على إحراق جميع الأوراق. فما زالت الحاجة قائمة إلى شعار (الجهاد) وإستغلال الحماسة الإسلامية، طوال الفترة المتبقية من الصراع في أفغانستان وهي الفترة اللازمة لتحديد نقطة التوازن بين العملاقين حتى يتم وضع خطة تفصيلية لاقتسام النفوذ في تلك المنطقة. ولذلك فائدة أخرى فهو إستنزاف إضافي للسوفييت وإضعاف أكثر للتيار الجهادي حديث الولادة. والطريف أن تلك الفترة شهدت نمواً مفاجئاً وسريعاً للعمل العسكري العربي في أفغانستان، وفي ظني أن جزءاً من ذلك يعود إلى الإستدراج الأمريكي، وجزء آخر إلى اليقظة الجهادية التي إستغرقت وقتاً حتى تستيقظ في التيار الإسلامي العربي المستكين والمرعوب بطبيعته.
إذن حافظت أمريكا على بعض الأوراق الأصولية سليمة. لإستخدامها في المرحلة الزمنية المتبقية على التسوية النهائية. وهكذا تبقى على المسرح الأصولي جلب الدين حكمتيار الذي أصبح النجم الأول لدى العرب ، وهو كما نعلم ورقة باكستانيه. ثم عبد الرسول سياف ، وهو كما شرحت سابقاً ورقه سعوديه.
فى كتابه الشهير (نصر بلا حرب) قال الرئيس الأمريكى نيكسون أن أمريكا لم تسلح وتقوي تياراً إسلامياً معادياً لمصالحها في أفغانستان، لأن ذلك يتعارض مع القوانين الأمريكية

لنظام المساعدات الخارجية. وأكد نيكسون في هذا الصدد أن قادة المنظمات الأفغانية قد جرى إختيارهم بنفس الدقة التي إختارت بها أمريكا زعماء منظمة الكونترا(وهي منظمة استحدثتها المخابرات الأمريكية لمقاومة الحكومة الماركسية في نيكاراجوا ـ في أمريكا اللاتينية).

وسوف نرى كيف أن الجناح الأصولي في المرحلة الجديدة حاول تلميع وجهه وتجديد أوراقه على حساب المعتدلين، مستغلاً زيارة رباني والمعتدلين للرئيس الأمريكي. وقد نجح (الأصوليون) في ذلك.

تقول أخبار تلك الفترة عن زيارة رباني: أنه في86/5/15 قام وفد من تحالف المجاهدين الأفغان بزيارة للولايات المتحدة الأمريكية حيث إلتقي بالرئيس الأمريكي (رونالد ريجان). كان الوفد برئاسة رباني أمير (جماعة إسلامي أفغانستان) والناطق الرسمي باسم تحالف المجاهدين، وعضوية كل من صبغة ا مجددي ومحمد نبي محمدي وسيد أحمد جيلاني.وقد باركت باقي الأحزاب في بشاور تلك الزيارة ما عدا حزب إسلامي حكمتيار الذي بادرها بالهجوم والنقد الشديد.

وقال زعماء الوفد أنهم يسعون لنيل إعتراف أمريكي رسمي بتحالف المجاهدين كممثل شرعي للشعب الأفغاني، والمطالبة بطرد ممثل حكومة كابول في الأمم المتحدة ليحل محله مندوب من تحالف المجاهدين. ولكن بعد إجتماع الوفد مع ريجان لم يرد ذكر تلك المطالب سوى ما قاله ريجان عن ضرورة إنسحاب الجيش السوفيتي وعودة المهاجرين الأفغان إلى ديارهم.

لقد كان الهدف الأساسي من الزيارة هو إشهار السيطرة الأمريكية على المقاومة الأفغانية، فالمكاسب السياسية والدعائية المتوقعة من إنسحاب سوفيتي من أفغانستان يجب أن تعود إلى أمريكا نفسها وليس إلى طرف إقليمي ولا حتى أصحاب القضية ومقاتليها.. هناك سيد واحد هو أمريكا.. والباقي عملاء!!.

كانت تلك الرسالة التي تجهزها أمريكا للعالم أجمع.. وذلك الإجتماع التاريخي بين ريجان ورباني كان فقرة هامة من تلك الرسالة.

لم يكن ضياء الحق سعيداً بالزيارة وكان يرى أن أمريكا تنتزع منه قسراً أوراقه القوية وتدفعه إلى الخلف بإستمرار، ليس فقط على المسرح الأفغاني بل فوق المسرح الباكستاني نفسه. فقد إضطرته إلى رفع الأحكام العرفية، وإلى تشكيل وزارة مدنية إنتزعت منه جزءاً من الصلاحيات، ثم مولت الأحزاب الجديدة وجمعتها تحت راية (بي نظير بوتو) التي تولت زعامة (جبهة إستعادة الديموقراطية) التي تشمل كل الأحزاب المعارضة تقريباً. ثم وجهت أمريكا تحذيراً قوياً لضياء الحق بعدم المساس بإبنة بوتو، أي وضعتها تحت الحماية الأمنية المباشرة.

لم يكن الأمر يحتاج إلى ذكاء كبير حتى يدرك ضياء الحق أنه سوف يعزل عن الحكم وأنه يجب أن يسلم كل شيء لإبنة بوتو التي لن تعفيه من الإنتقام لمقتل أبيها، وقد صرحت بذلك بلا مواربة.

وأخيراً ها هي الولايات المتحدة تنتزع منه أوراقه الأفغانية وتتعامل مباشرة مع زعماء المنظمات. وتحاول جاهدة النفاذ إلى أعمق من ذلك إلى داخل الجبهات. وهنا إستخدم ضياء الحق الزعيم "الراديكالي" حكمت يار كعصا أفغانية ضد محاولات النفاذ الأمريكي، كما إستخدمه مرات أخرى في عمليات إسترضاء لأمريكا. وكانت عمليات القتل واردة في كلا المحاولتين. أي أن عمليات التصدي للنفاذ الأمريكي أو إسترضاء النفوذ الأمريكي لم تكن

محصورة في مجال الدعاية السياسية فقط فهناك قتلى دفعوا دماءهم ومعظمهم من الأفغان.
وعلى الجانب الآخر كان من المصلحة الأمريكية بقاء زعيم أصولي (حكمتيار) تحت دائرة الضوء معارضاً للإرتباط العلني بين حركة المقاومة الأفغانية والولايات المتحدة، وزعيم آخر (سياف) في الدائرة الرمادية معترضاً على ذلك التقارب ولكن في جلساته المغلقة مع العرب فقط وبعض قيادات الداخل الغاضبين. فطالما أن الحرب سوف تستمر لفترة فإن الدعم الإسلامي مطلوب من حكومات وشعوب العرب تخفيفاً على دافعي الضرائب في أمريكا.
ولمزيد من الضغط السياسي على السوفيت. وتحويلاً للأنظار عما يحدث في بلاد العرب من تقدم يهودي أمريكي على جميع المستويات. بل أن أمريكا بدأت في ترسيخ قاعدة خطيرة في تعاملها مع العرب تقضي بإدانة أي دولة عربية ومعاقبتها سياسياً وحتى عسكرياً بغرض قمع الشعوب وتخويفها . كما حدث ضد ليبيا، وقصفها جوياً هذا العام**(1986).**
وتوسعت تلك القاعدة حتى وصلت ذروتها في الحرب ضد العراق عام(1990).
حتى تحولت إلى مبدأ ثابت عربياً ودولياً في علاقة الولايات بالدول المستضعفة في نظامها الدولي الغاشم.

صداقة جهادية/صهيونية؟؟!!

من الطريف أن الأنباء الصحفية قد أشارت وقتها أن رحلة الوفد الأفغاني إلى الولايات المتحدة قد دفعت تكاليفها لجنة أمريكية تدعى (لجنة أفغانستان الحرة). قد يمكن التغاضى عن ذلك لولا أن رئيس تلك اللجنة هو طالب يهودي صهيوني يدعى (هنري كريجل)، وهو عضوا إرتباط بالمخابرات الأمريكية، وعلى صداقة شخصية بزعماء المنظمات الأفغان، الذين يسهلون دخول أعضاء اللجنة مع مجاهديهم إلى داخل أفغانستان لجمع المعلومات "لصالح من؟".
لم يكن كريجل ولجنته هما النشاط اليهودي الوحيد المرتبط بالمنظمات الأفغانية.
فقد كان هناك شخصية أكثر شهرة ولجنة أكثر نشاطاً. فهناك(أندرو إيفا) اليهودي الذي يشغل منصب الرئيس التنفيذي لمنظمة العمل الأمريكية الأفغانية. وهو أيضا ذو علاقة قوية بمعظم قادة بشاور الأصوليين ومنهم حكمتيار وسياف. ودخل (أندرو) إلى أفغانستان عدة مرات عن طريق زعماء تلك الأحزاب.
وقد علمت بالأمر في عام 1985وأخبرت به الدكتور عبد ا عزام وطلبت منه أن يسأل (الزعماء) خاصة سياف.
ولكنه لم يخبرني بما توصل إليه من نتائج. وفي السنوات اللاحقة خاصة عام 1991 أثيرت تلك العلاقات (الأفغانية/اليهودية) في الصحف العالمية ولكن زعماء المنظمات الأفغانية إكتفوا بالتكذيب في جلساتهم الخاصة، ولم يجرؤ أحدهم حتى على مجرد نشر تكذيب في الصحف المحلية!!. خاصة ما ذكره الكاتب الأمريكى اليهودى "سيمورهيرش" عميق الصلات بالدوائر العسكرية والإستخبارية فى كتابه "الخيارشمشون" الذى أثار ضجة عالمية، وتحدث فيه عن صلات إسرائيلية مع قادة أحزاب أصولية جهادية فى بيشاور وحددهم بالإسم.
فى باكستان دبلوماسى أمريكى وصف قادة المنظمات الجهاديةالأفغانية بأن لحاهم من الشعر المستعار!! وذلك فى محاضرة له بالمركز الثقافى الأمريكى،فى نفس التاريخ تقريبا.
طلبت من جلال الدين حقانى أن نناشد قادة المنظمات عبر مجلته"منبع الجهاد"أن يردوا على ما قاله الدبلوماسى والكاتب"هيرش"،لكنه رفض لأن ذلك قد يظهرنا كأننا نؤيد تلك الإتهامات.

وإلتزم القادة بالصمت الرهيب حتى اليوم.
- على أية حال فإن رباني بعد عودته من لقاء ريجان ثم جولته الأوروبية قال لمندوب في مكتبنا في إسلام آباد بأن السفارات السعودية هي التي مولت رحلته في كل بلد زارها. وقد إجتمع في طريق عودته بالملك فهد في السعودية. وهو تقليد ثابت لزعماء المقاومة الأفغان، وأيضاً لزعيمة حركة إستئصال الإسلام في جنوب ووسط آسيا (بي نظير بوتو) منذ رحلة توبتها الشهيرة وحتى وقت كتابة هذه الأسطر. لقد كان النظام السعودي محوراً رئيسياً لمحاربة الإسلام في المنطقة العربية والعالم. مع محاور أخرى نشطة مثل النظام المصري والتركي ثم التونسي والجزائري.. وهلم جراً. وما زالت قاعدة ذلك الحلف تتسع سعياً لضم جميع حكومات العالم في جبهة متراصة ضد الإسلام الحركي.*

*(* نبؤه مبكره أخرى تحققت فيها اسمته امريكا (الحرب العالمية على الأرهاب الاسلامى) وذلك فى اعقاب عمليات سبتمبر2001 ـ المجهزة أمريكيا ـ على مركز التجارة العالمى فى نيويورك . وشملت الحرب كل العالم بالفعل واحتلت امريكا افغانستان ثم العراق والبقية تأتى ، وذلك حتى عام 2003).*

في مقابلته تلك مع مندوب جريدة الإتحاد قال رباني:أنه لا يخشى من وصول حزب الشعب برئاسة (بي نظير) إلى حكم باكستان لأنه لم يجد في أدبيات ذلك الحزب ما يثير القلق فيما يتعلق بأفغانستان. كانت تلك ملاحظة غريبة في ذلك الوقت فالمعلوم من أدبيات ذلك الحزب وخطابات زعيمته بل وتحركاتها الدولية أنها قادمة لإنهاء الجهاد في أفغانستان وفرض تسوية تستبعد الإسلاميين بل وتعهدت بتصفية الآثار الجهادية التي تسربت إلى باكستان كنتيجة للحرب الأفغانية. وقد أذيع في أول أبريل عن إجتماع بين بي نظير ونجيب ا في موسكو لتنسيق مواقفهما المشتركة إزاء حكم ضياء الحق والتحرك الإسلامي في المنطقة. وقد مرت بي نظير بالعاصمة السعودية وهي في طريقها إلى موسكو ونزلت في قصر الضيافة وسط إستقبال وصف بأنه شبه رسمي.. ونشرت صورها في صدر صحيفتين سعوديتين تنطقان بالإنجليزية. ولم تعلق باكستان رسمياً على تلك الزيارة... كان ضياء الحق يستشعر رياح الخطر القادمة من واشنطن والرياض وموسكو.. ويعلم أن هذه الآنسة الطموحة قد تتمكن من طرحه أرضاً.. (وإغتصاب) كرسي الرئاسة.لقد جعلت الولايات المتحدة (زعامة النساء) للدول الإسلامية ظاهرة حضارية تدق لها طبول الإعلام الإلكتروني، لصرف أنظار الشعوب البائسة عما تخفيه تلك الظاهرة من سيطرة أمريكية شاملة علي مقدراتها.

قالت صحافة باكستان على إستحياء بأن الولايات المتحدة تلمع (بي نظير) وتهيئها لزعامة باكستان كما فعلت مع (السيدة أكينو) في الفلبين. كانت الآنسة (بوتو) قد دخلت إلى الكونجرس الأمريكي لتدافع عن (حقوق الإنسان) في بلادها، وأيضاً كي تطالب بوقف الدعم الإقتصادي الأمريكي لنظام ضياء الحق.

كان الرئيس ضياء الحق.. يتخبط بين الرجاء واليأس بالنسبة لمستقبله السياسي.. كان يرغب في المقاومة ولكنه متأكد بأن الموجة القادمة عاتية وفوق قدراته..وبالفعل واصلت أمريكا دفعه إلى الخلف.. وبكل قسوة وفي النهاية ذبحته وقذفته في الهاوية داخل طائرة مع أركان جيشه. في العام (1987) إضطرته أمريكا إلى إستبعاد دعامته القوية وصديقه القوي الأمين الجنرال أختر عبد الرحمن الذي أنشأ جهاز الإستخبارات **ISI**، الذي تميز بالجدارة والقدرة. وكان هدفه الأول من إنشاء ذلك الجهاز هو تثبيت حكمه الشخصي. وثانياً: التدخل في قضية

أفغانستان بما يحقق أقصى عائد شخصي أولاً ثم لأمريكا ، حليفته الكبرى، ثانياً.
ولكن أمريكا كانت تفكر بشكل مختلف.. كانت تريد كل شيء لنفسها لا شيء لضياء.. لاشيء للمجاهدين. بل بدأت تجهزمنذ هذا العام تحديداً. وبشكل مركز مخططات ليس فقط للاستئثار بمغانم الحرب الأفغانية، وليس فقط حرمان ضياء الحق ومسلمي المنطقة من ثمار ذلك الجهاد.. بل تعدت ذلك إلى مكافحة الإسلام في المنطقة كلها.. أفغانستان وباكستان في آن واحد. كانت (بي نظير) ورقتها الكبرى في باكستان، والأحزاب الجهادية في بشاور ورقتها الأخرى في أفغانستان. (بي نظير) ستلعب لعبة الديموقراطية التي تبتلع الإسلام وتحطمه. وقادة الأحزاب سوف يتحالفون مع رجال موسكو لإنشاء حكم في كابول يقتلع الإسلام من جذوره التي ضربت عميقاً في أحشاء جبال (الهندوكوش).فما هي لعبة (الديموقراطية) التي تفترس الإسلام؟.. إنها ليست خطة أمريكية تماماً ولكنها خطة يهودية أفصح عنها مفكروا إسرائيل وقادتها منذ مدة قليلة فقط بشكل واضح.. ونحن الآن على فاصل زمني مقداره تسع سنوات عن تلك الفترة التي بدأ فيها التنفيذ.. ولكنهم الآن بدأوا الحديث بوضوح أكبر عن خطتهم تلك.

فى عام1994 شمعون بيريز،(**وزير خارجية إسرائيل. وأحد عقولها المفكرة وأحد جنرالاتها البارزين ومهندس مشروعها النووي العملاق**). أصدر بيريز ذلك العام كتابه (الشرق الأوسط الجديد).
الذي يوضح التخطيط اليهودي الكوني ضد الإسلام في العالم. وليس فقط في بلاد العرب التي أصبح اسمها (الشرق الأوسط) أما وصف (الجديد) كما في مصطلح النظام الدولي الجديد.
فتعني حالة الظهور الإسرائيلي المطلق في شئون العالم بشكل أوشك على العلنية الكاملة لأول مرة منذ عشرات القرون حيث يتهيأ اليهود لحكم العالم بشكل سافر، وبدون واجهة صليبية، أمريكية أو بريطانية أو فرنسية.
يوضح بيريز ذلك التحالف العلني المفاجيء بين حكام إسرائيل والحكام العرب والعمل معاً وعلانية ضد الإسلام الذي أطلقوا عليه لفظاً بديلاً هو (الأصولية الإسلامية) والتي أرجعوا إليها كل مصائب العالم والمخاطر التي تهدد البشرية.
يقترح بيريز خطة سياسية تقضي بنشر الديموقراطية في البلاد العربية مع إستخدامها في إستبعاد الأصوليين. بإعتبارهم "قوى غير ديموقراطية".
ويبدو أن بيريز يراهن على أن الإسلاميين سوف يرفضون اللعبة الديموقراطية أساساً وبالتالي سوف ينعزلون سياسياً ويضربون بصفتهم(خوارج)عن الإجماع الديموقراطي الوطني.
أما في حالة إنخراطهم في اللعبة الديموقراطية فيجري تهميشهم داخلها وضرب قواعدهم الشعبية ومصداقيتهم الإجتماعية ثم القضاء عليهم تدريجياً حتى الإستبعاد الكامل في مرحلة لاحقة.
وما دامت الديموقراطية هي لعبة الأغنياء الذين يستطيعون شراء الخدمات الدعائية كما في الغرب أو تقديم الرشاوى للناخبين كما في الدول العربية والإسلامية، فإن الذبول هو مصير المشاركين الإسلاميين.
وقد حدث ذلك في باكستان وما زال يحدث. فالأحزاب الإسلامية الديموقراطية تفقد مصداقيتها وسط الشعب، وتعجز عن مجاراة الأحزاب "المرتدة"*(أى التى ترفض تطبيق شرائع الإسلام وتعمل على إضعاف الدين فى المجتمع)* في مجال إنفاق الأموال في حملات دعائية أو لرشوة الناخبيين.
دفع ذلك مستشارين يهود يعملون في جهاز (بي نظير بوتو) وهم يحملون الجنسية المشتركة(أمريكية باكستانية) حيث قال هؤلاء لبعض أعضاء البرلمان الباكستاني من الإسلاميين الديموقراطيين: (أن هذا البرلمان لن يتحول إلى مأوى للمتطرفين الإسلاميين، وأن الإسلام نفسه لا يصلح لحكم دولة حديثة).

هذا ولم يشهد الإسلام في باكستان أسوأ من تلك الفترة الديموقراطية التي أعقبت حكم ضياء الحق خاصة تلك الفترات التي حكمتها إبنة بوتو.
تلك الفترة السوداء في تاريخ باكستان التي نشهدها حالياً كانت تتشكل ملامحها في ذلك العام الذي نحن بصدد عرض أحداثه عام 1986.
....

إسرائيل فى بيشاور

كان اليهود يعملون بكثافة في باكستان بهدف تطويق الحالة الإسلامية في(قوس الأزمة الإسلامية) كما وصفه اليهود ومنظري الصليبية من أمثال الرئيس الأمريكي السابق (ريتشارد نيكسون).
ذلك القوس الذي يشمل باكستان وأفغانستان وإيران. وكما يظهر من أحداث ذلك العام فإن النشاط اليهودي بلغ أوج إكتماله في باكستان بداية من ذلك العام. بل أنه دخل طور التواجد الرسمي بمعرفة الحكومة الباكستانية آنذاك، وإن عمل من خلف ظهرها كما هي العادة، في مجالات أخرى. ولنتابع معا مظاهر هذا النشاط في عدة محطات رئيسية.
في نوفمبر من ذلك العام **1986**تفجرت دعائياً قضية تسريب أسلحة أمريكية إلى عدوتها اللدود (إيران) التي تقاتل منذ ست سنوات ضد العراق المسنود مالياً بأنظمة الخليج وتسليحياً بدول أوروبا والسوفييت. كانت الصفقة بقيمة1300 مليون دولار حسب معلومات أمريكا.
وإتخذت طابعاً سرياً إلى أن تفجرت في ذلك الوقت لأسباب غير واضحة ربما كان أحد دوافع تشويه صورة إيران نفسها (الجمهورية الإسلامية) خاصة وأن إسرائيل ظهرت كأحد مصادر التسليح و نقل الأسلحة الأمريكية بين مينائي (إيلات ـ بندر عباس) حسب إدعاءات إسرائيل.
والذي تكشف بعد ذلك في أوائل التسعينات مع ظهور كتاب(لسيمور هيرش) الكاتب الأمريكي اليهودي والمسمى (الخيارشمشون) هو أن الأسلحة التي قدمتها أمريكا إلى إيران هي أسلحة كانت متجهة بموافقة الكونجرس إلى المقاومة الأفغانية كمعونة مجانية لمقاتلة السوفييت بالوكالة.
ولكن أمريكا إرتأت أن تبيع تلك الأسلحة إلى إيران ـ عبر باكستان كي تحصل على عائد كاف لتمويل حرب أخرى في أمريكا الجنوبية حيث يحكم نظام ماركسى في نيكاراجوا. فأنشأت الإستخبارات الأمريكية **CIA** منظمة تدعى (كاونترا) كي تقاتل ذلك النظام بتمويل وترتيب وتخطيط أمريكي مباشر.
كان من العسير على الإدارة الأمريكية أن تحصل على إذن الكونجرس بتمويل عملياتها في نيكارجوا. فلجأت إلى بيع(المعونات) العسكرية المقدمة إلى المجاهدين الأفغان.
وأشار هيرش أيضا في كتابه إلى أن ضباط من جهاز الإستخبارات الإسرائيلي تواجدوا في باكستان رسمياً للعمل مع الأمريكان في موضوع الأسلحة ذلك. أي تهريبها إلى إيران ،كما أنهم إتصلوا بقادة المقاومة الأفغانية. بل أن هيرش إدعى أنهم شاركوا في تدريب رجال المقاومة الأفغانية بل وشاركوا معهم في المعارك حتى أن بعضهم قد (استشهد)!!.
لا يخفي ما في هذا القول من مبالغة شديدة وإن كان يحوي بعض الحقائق. فتواجد (الموساد) كان مفهوماً ولكنه لم يكن مرئياً بطبيعة الحال. وتمتع اليهود بالجنسية المشتركة التي تجمع إلى الجنسية الإسرائيلية جنسية أمريكية أو أوروبية كانت وما زالت وسيلة فعالة للغاية لعمليات

الإختراق الإسرائيلي للمجتمعات الإسلامية.
وأبلغ دليل على ذلك هو عملية (عاصفة الصحراء) ضد العراق حيث بلغ عدد الجنود والضباط الإسرائيليون ربع تعداد القوة الأمريكية تقريباً. حتى أنهم أقاموا صلواتهم الخاصة وبنوا معابد يهودية قرب المشاعر الإسلامية المقدسة. وتحت أنف آل سعود وحمايتهم.
وقد أتاحت المنظمات الإغاثية الدولية غطاءاً ممتازاً لليهود كي يخترقوا مجالات باكستان وأفغانستان على حد سواء. وقد إكتشف بعض المجاهدين العرب الفلسطينيين بعض هؤلاء الإسرائيليين وأبلغوا عنهم السلطات الباكستانية، فقامت تلك السلطات بإبعادهم، ثم قررت إرهاب هؤلاء الفلسطينيين وحاولت تجنيدهم للتجسس على المتطوعين العرب حتى إضطروا في النهاية لمغادرة باكستان وترك الجهاد في أفغانستان.
وتحت غطاء الجنسية الأمريكية أقام اليهود ،الإسرائيليون علاقات وطيدة وحميمة مع قادة منظمات المقاومة الأفغانية تحت إغراء الدولار الذي يستحيل على هؤلاء القادة مقاومته.
وقد دخل العديد من الأمريكيين اليهود ذوي المناصب الرسمية إلى داخل أفغانستان،وتجولوا فيها مع جماعات المجاهديين.
وليس بمستبعد نجاحهم في إقامة علاقات (صداقة) دائمة مع مستويات مختلفة بين القيادات في خارج وداخل أفغانستان. وليس ما يمنع بقاء تلك الصداقات حتى الآن.
على كل حال فقد كان أحد أسباب عملية تهريب الأسلحة (الأفغانية) إلى إيران هو (إقناع) إيران بالوساطة لدى المنظمات اللبنانية الشيعية للإفراج عن بعض المختطفين الأمريكان.
حادث آخر فتح الباب على مصراعيه أمام التدخل الإسرائيلي في مجال الإستخبارات لمتابعة الجماعات العربية التي بدأت تتوافد على باكستان للإنخراط في صفوف المجاهدين.
ذلك هو حادث محاوله إختطاف الطائرة الأمريكية في مطار كراتشي بواسطة مجموعة تنتمي إلى أحد المنظمات الفلسطينية (الجمعة1986/9/5) . وكانت الطائرة قادمة من نيودلهي.
لم تنجح محاولة الإختطاف وزعم المختطفون أنهم كانوا يزمعون المساومة بهدف الإفراج عن زملاء لهم معتقلون في قبرص.
من وقتها بدأ الحديث في وسائل الإعلام الباكستانية عن توجهات رسمية للتعاون مع الولايات المتحدة وآخرون"!!".. بهدف متابعة بعض الجماعات المسلحة في (الشرق الأوسط) والتي يبدو أنها نقلت مركز نشاطها إلى باكستان.
في ذلك العام لمسنا نشاطاً ملموساً لجهات الإستخبارات الباكستانية في متابعة العرب من خلال مكاتب الجوازات خاصة في بشاور ثم إسلام آباد. وعلمت وقتها أن الإستخبارات السعودية والمصرية منخرطتان في متابعة رعايا دولهم، وبشكل خاص أولئك المتصلين بالجهاد في أفغانستان. ومن الحوادث الطريفة أن عدداً من أصدقائنا المجاهدين المصريين أثناء إجراء بعض المعاملات في أقسام الجوازات في إسلام آباد إكتشف أن أوراقه الرسمية الأصلية والتي تحمل صوراً شخصية حديثة قد إختفت تماماً من أقسام الجوازات. وحلت محلها نسخاً مصورة (فوتوستيت). وفهمنا وقتها أن النسخ الأصلية قد بيعت لعملاء السفارة المصرية في إسلام آباد.
و علمنا أن كثيرين من رجال الإستخبارات الباكستانية خاصة أولئك العاملين في أقسام الجوازات ومراقبة الأجانب أصبحوا يتعاملون بالأجر مع السفارة الأمريكية والسعودية والمصرية، وربما غيرها أيضا،بهدف تزويد تلك السفارات بما يقع تحت أيديهم من معلومات عن الشباب العربي وأماكن تواجدهم ونشاطاتهم.. إلخ. بدأنا منذ ذلك الوقت نستشعر بالخطر.. وكان ذلك

الشعور محصوراً في عدد محدود جداً من العرب الناشطين في أفغانستان. ولكن الشعور الأغلب كان الإستهانة والإستهتار مع إستبعادة أية إمكانية لحدوث ما يعكر الصفو...
ومرجع ذلك إلى ذلك الكم الهائل ،والخادع، من الحرية التي تمتعوا بها في باكستان، وكمية الأموال المتاحة (للجهاد) وإمكانيات التسليح والقتال في أفغانستان إلي جانب الإنتصارات العديدة وأجواء الجهاد والمعنويات الدينية المرتفعة والتي يزيدها إشتعالاً دماء الشهداء وأشلاء القتلى،.. والخطاب الحماسي الإنفعالي القريب من(الهستريا) والذي ضخه الإعلام الجهادي المرافق للحالة الأفغانية.
كل ذلك أدى إلي ثقة زائدة في النفس مع عدم إدراك للعواقب القادمة. ولم يكن هناك إدراك صحيح للواقع الأفغاني نفسه ناهيك عن الجهالة السياسية المتفشية في الوسط العربي الجهادي آنذاك.غني عن القول أن الجذور الفلسطينية للدكتور عبد ا عزام وتوجهه الجهادي الصادق تسبب في إنزعاج إسرائيلي حقيقي، وإنزعاج أمريكي سعودي بنفس المقدار. والغريب أن منظمة التحرير الفلسطينينة والإخوان المسلمون الدوليون دخلوا جميعاً علي محور الإنزعاج خاصة بعد عام1988 عندما بدأ الدكتور عزام في العمل داخل المجال الفلسطيني جهادياً. وجهز بالفعل أفراداً ومجموعات ودربهم عسكرياً في أفغانستان ودفعهم إلى أراضي فلسطين وقام بعضهم بعمليات فدائية، تكشفت إثرها خيوطهم الأفغانيه وإرتباطهم بالدكتور عزام.
كانت حماس وقتها قد تبنت ثورة الحجارة التي شنها أطفال فلسطين ضد الإحتلال. والإخوان الدوليون رأوا في حماس ورقة دعائية قوية تشد أزرهم المتراخي على الساحة الإسلامية. فحذروا الدكتور عزام من توجهه الخطير نحو السلاح في وقت هم فيه (أي حماس) غير مستعدين لعواقب ذلك العمل.
ويحكي أحد المقربين من الدكتور عزام وقتها أن إجتماعاً عاصفاً دار بين الرجل وبين مندوبين عن حماس والإخوان الدوليون. حتى أن صراخ المجتمعين كان مسموعاً في الشارع المجاور. وصرخ الدكتور عزام قائلاً بأنه (لن يزكي حماس بعد اليوم). كان ذلك الإجتماع قبل إغتياله بمدة قصيرة. أما مندوبو فتح وفي وقت سابق وقريب من الإجتماع المذكور فقد وجهوا ما يشبه التهديد المباشر للرجل بأن يكف يده عما يفعل في فلسطين وأنهم سيمنعوه من ذلك بكل الطرق و قال له أحدهم ساخراً :"هل تظن نفسك زعيماً؟.. إنني لا أثق في قيادتك لحظيرة من الدجاج". وقد شهد بالحادث بعض من حضروه.
وهكذا فإن إغتيال الدكتور عزام كان محل إجماع وترحيب من أطراف عديدة وقادرة.. قد تبدو متناقضة المصالح للوهلة الأولى.

الأيدز للمهاجرين:

.. في هذا العام اكتشفت في باكستان أول إصابة بمرض الإيدز في البلاد 86/2/18 قيل صحفياً أن المصاب موظف حكومي سابق.
في عام (1990) إكتشفت أول عصابة لنشر الإيدز بين المهاجرين الأفغان في بشاور، وكانت مكونة من رجال ونساء يعملون في (هيئات إغاثة) دولية من جنسيات غربية لم يفصح عنها، وقامت ضجة هائلة في أوساط المهاجرين. ويقال أنه تم القبض على عدد من الرجال والأطفال من حاملي المرض وتم إعدامهم بواسطة (رجال الأمن) التابعين لحزب إسلامي (حكمتيار).
قامت السلطات الباكستانية بما هو متوقع منها فلملمت الموضوع وأغلقت الحديث عنه. وليس

من المؤكد أنها إستبعدت العصابة (الإغاثية). وربما نقلتها إلى مدينة أخرى.
إلى هنا ودور اليهود غير واضح في تلك الكارثة. لولا أن كل الكوارث العالمية الخاصة بالإفساد في الأرض لا يمكن أن تخلوا من التدبير اليهودي. فقد إتضح بعد سنوات أن لليهود باع طويل في نشر الإيدز في البلاد الإسلامية.. كما لا يخفي أن هناك مجهوداً صليبياً لنشر الإيدز في دول العالم الفقيرة بإستخدام وسائل شتى منها الدواء والدم والهيئات الطبية الدولية التابعة لدول الصليب (الأحمر).
بعد سنوات تكشف الدور الإسرائيلي الأمريكي في مجال نشر الإيدز في مصر، في نفس العام الذي ظهر فيه ذلك الداء في باكستان وبين صفوف المهاجرين الأفغان.

[راجع ملحق المقالات.مقال بعنوان: الإيدز الصهيونى يدخل الحرب ضد مصر]

00000000 00000000

البضائع الإسرائيلية وجدت طريقها هذا العام إلى داخل الأسواق الباكستانية. ولا يغير ذلك ما أدلى به وزير الإقتصاد من تصريحات في (86/1/30) أمام مجلس الشيوخ نافياً أن تكون حكومته تستورد رسمياً أية بضائع من إسرائيل أو تسمح بدخولها إلى البلاد.
وقريباً من ذلك التاريخ تفجرت ،ربما بدون قصد، قضيتي تجسس في كراتشي بطلاها مديرا فندقين من فنادق الدرجة الأولى. كلاهما يهودي وكلاهما نجح في تجنيد عدد لا بأس به من كبار موظفي الدولة الذين يرتادون الفندق في حفلات رسمية (وأقنعاهما) بوسائلهما الخاصة بالقيام بأعمال تجسسية وتسريب أسرار عن الدولة، تقع بين أيديهم بحكم مناصبهم الحساسة.
ولا عجب في ذلك والرئيس نفسه (ضياء الحق) من كبار أعضاء نوادي الماسونية الدولية كما ذكرنا، وقد افتتح في (86/2/24) مؤتمراً ضخماً للروتاري الأسيوي. وقال مدير نادي الروتاري (محمد أكبر) أن الإحتفال جاء بمناسبة الذكرى الحادية والثمانين لتأسيس نادي الروتاري العالمي، وأن عضوية الشرف سوف تمنح لممثلي قنصليات عشرة دول في كراتشي من بينها قناصل دولتين إسلاميتين هما أندونيسيا وبنجلادش.
ولم يفت على ذكاء الرئيس ضياء الحق أن يؤكدعلى إسلامية نظام حكمه قبل إنعقاد مؤتمر الروتاري المذكور حين أوعز إلي إحدى المحاكم كي تقضي بسجن مواطن باكستاني لمدة خمسة وعشرين عاماً؛ لأنه أثناء سفرة طويلة ومرهقة في باص مزدحم وضع قدمه ـ غالبا بدون قصد ـ على حقيبة بداخلها نسخة من القرآن الكريم!!.

عندما تحول السنة إلى شيعة..

* **كان** عهد ضياء الحق عهداً ذهبياً لليهودية والصليبية فى باكستان، وتكلمنا عن إزدهار الحركات الماسونية والحركات التبشيرية لشتى الكنائس. ومع بشائر العهد الديمقراطى الذى كان يدشنه الرئيس على إستكراه، تأسس لأول مره فى جمهورية باكستان الإسلاميه تجمعاً مسيحياً ضم ثمانية أحزاب مسيحية تحت إسم (التجمع الوطنى المسيحى الباكستانى) وضع برنامجاً إقتصادياً وسياسياً لخدمة الطائفة المسيحية التى لاقت مساندة دولية من جانب السفارات والهيئات الإغاثية الدولية فى إسلام آباد.
الصبغة الإسلامية الهزيلة لنظام ضياء الحق كانت تتكشف يوماً بعد يوم كما حدث مثلاً فى اليوم السابع من يوليو 1986حين قام ألف متظاهر كانوا ينادون بتطبيق الشريعة قرب مبنى

البرلمان فى إسلام آباد، حين أقبل موكب الرئيس، الذى أراد بذكائه وسرعة بديهته أن يستغل الموقف ويلقى خطبة مرتجلة فى ذلك (الجمع المبارك). فحاول المتظاهرون جذبه إلى وسط الحشد لإعطائه (علقة ساخنة) لكن حرسه الخاص أنقذوا الموقف بصعوبه وأعادوه الى داخل السيارة التى إنطلقت بأقصى سرعتها وخلفها سيل من أحجار المتظاهرين.

 أهم إنجازاته الإسلامية فى مجال الإقتصاد كانت فتح حسابات خاصة فى البنوك بدون فوائد لمن يريد أن يودع أمواله بطريقة إسلامية. كما أمر بإقتطاع الزكاة إجبارياً من الأرصدة التى تكمل الحول داخل البنوك. الطريف أن البنوك كانت تزدحم بأصحاب الأرصدة الذين جاءوا لسحبها قبل موعد إقتطاع الزكاه منها،وأكثرهم طلب من البنوك ألا يخصم الزكاه بسبب أن هؤلاء العملاء هم من الشيعة الجعفرية الذين يدفعون الزكاة لعلمائهم.

فإنقلب معظم السنة إلى شيعة فى تلك المناسبة المالية. وبرر أحدهم فعلته لنا حين قال أنه يشك فى نزاهة ديوان الزكاة. وبالفعل أثبتت الأيام صواب نظرته إذ إكتشفت إختلاسات هائلة فى ذلك الديوان. وذلك عادى أمر جداً فى ذلك الجهاز البيروقراطى الشهير بالرشوة والفساد.

أراد ضياء الحق أن يرتشف الكأس الأفغانى حتى الثمالة، وأن يبتز أصدقائه الأمريكان الى أقصى حد ممكن.وفى زيارته الأخيرة الى أمريكا وإجتماعه مع الرئيس ريجان ،نراه يطالب وبكل صراحة، بمضاعفة المساعدات الأمريكيه الى باكستان بنسبه مئه فى المئه.

وبعد مساومات وافقت الإدارة الأمريكية على زيادة تلك المساعدات بنسبة25 فى المائة فقط فبلغت 4.02 مليار دولار فى برنامج يبدأ فى سبتمبر 1987 وينتهى عام 1993.

لقد ظلت باكستان تحتل المرتبة الثالثة فى سجل الدول التى تتلقى المساعدات الأمريكية، فالأولى هى إسرائيل بالطبع والثانية هى مصر.

كان ضياء الحق يدرك أنها فرصته الأخيرة لأخذ أكبر قدر من الفوائد، لأن قضيه أفغانستان فى طريقها لأن تطوى فى زمن قريب وبالتالى سوف يفقد ضياء الحق وباكستان معه تلك القيمة الإستثنائية التى نالها نتيجة إمساكه بمفاتيح أساسية فى تلك الحرب.

كانت أمريكا تشعر بالضيق من هذا الجنرال المزعج، والذى نجح فى لي الذراع الأمريكى، وإبتزاز أكبر قدر من الفوائد على حساب هامش أرباحهم فى المنطقة.

على كل حال لم تترك أمريكا فرصة كافية للجنرال كى يستمتع بإنتصاره عليها فى مجال إبتزاز القروض، فقد إغتالت الجنرال بينما لم يمر غير عام واحد فقط من تنفيذ برنامج المساعدات، ثم ألغت البرنامج عام 1990 أى فى منتصف المده المقررة، عندما أيقنت أن دور باكستان قد إنتهى فى قضيه أفغانستان،وأصبح من الضرورى تجريدها ليس فقط من القروض والمساعدات الأمريكيه بل وتجردها من أيه مكاسب أخرى حازتها فى أفغانستان.وفى النهاية تجردت باكستان من كل قيمتها كدولة ذات سيادة وإنتهت إلى تبعية كاملة و ذليلة للولايات المتحدة. وأصبحت أكثر القرارات حيوية فى البلاد يصدرها موظفين أمريكيين من الدرجات الدنيا فى الخارجية أو مصلحة الإستخبارات،تم كل ذلك فى سرعة مدهشة وبعد أشهر قليلة فقط من إختفاء ضياء الحق.

وقت كتابة هذه السطور يكون قد مضى خمسة سنوات تقريباً على وقف المعونات الأمريكية لباكستان، رغم نظام (بى نظير) الذى يعتبر الأكثر إخلاصاً للخدمة الذليلة للسياسة الأمريكية،

و أكثر من أى نظام فى المنطقة العربية نفسها.
لقد تخلت بى نظير فعلياً عن برنامج بلادها النووى (سراً) وتخلت عن كشمير (سراً)، وأغرقت أفغانستان فى نيران الحرب الأهليه كما طلبت منها أمريكا، ودمرت التواجد العربى فى باكستان، ذلك التواجد الجهادى الذى رافق الحرب الأفغانية. ثم هاهى قد بدأت حرباً لاهوادة فيها ضد الإسلام لإقتلاع جذوره فى المجتمع الباكستانيه تحت الشعار الأمريكى العالمى، شعار مقاومة (الأصولية والتطرف والإرهاب الإسلامى).
إن أمريكا مازالت تطلب الكثير من (بى نظير) أو سواها من حكام الديموقراطية الجديدة فى باكستان، ومع ذلك فليست مضطرة الى دفع المزيد من الأموال، فقليل من الدولارات للسياسيين تكفى كرشوة شخصية وهو تقليد قومى فى باكستان. وتكفى مساعدات أمنية على شكل خبرات بشريةوأجهزة حديثة من تكنولوجيا الأمن.وبعض الدولارات لوزراء وضباط شرطةوإستخبارات.
<u>أمريكا مازالت تطلب من باكستان ما يلى:</u>
التطبيع الكامل للعلاقات مع إسرائيل والهند،و تدمير الجذور العقائديه للإسلام فى البلاد، وإستبعاد الإسلام تماماً من الحياة العامة.
تدمير البنية الإقتصادية والمالية والنووية التى نمت بشكل أعلى مما هى فى كثير من بلاد المسلمين بما يجعلها أمراً خطيراً على الأمن الأمريكى والإسرائيلى.

<u>صاروخ ستنجر: بطل الحرب!!</u>

نأتى إلى واحد من أهم أحداث عام86 ، بل أهم أحداث الحرب الأفغانية قاطبة، ليس لأنه هام بالفعل الى ذلك الحد، بل لأن الآلة الإعلامية الجبارة ، للولايات المتحد، قد شاءت أن تجعله كذلك لأهداف خاصة بها.
ذلك هو الصاروخ (ستنجر) المضاد للطائرات والذى يطلق من الكتف، لذلك فهو مناسب لإستخدامات رجال العصابات.لقد عزت الدعاية الأمريكية ما تحقق من نصر فى أفغانستان ضد الجيش السوفيتى، إلى تزويدها المجاهدين الأفغان بذلك الصاروخ (المعجزة) فكيف بدأت القصة؟.
أول إشارة من نوعها، حسب متابعتى للموضوع ،هو ذلك الخبر الذى أوردته صحيفتنا (الإتحاد) فى31 مارس من ذلك العام 1986، نقلا عن (واشنطن بوست) الأمريكية التى قالت بأن :(حكومة الرئيس الأمريكى ريجان سوف تزود الثوار فى أفغانستان وأنجولا بعدة مئات من صواريخ ستنجر المضادة للطائرات.
و قالت الصحيفة أن القرار يعتبر تحولاً رئيسياً فى السياسة الأمريكية، فقد ترددت حكومة ريجان فى تزويد الثوار فى العالم الثالث بأسلحة متطورة، وقالت أيضاً أن القرار تم إتخاذه بعد ضغط المتشددين فى وزارة الدفاع ووكالة المخابرات المركزية بتأييد من الوزراء المحافظين فى الحكومة).
وكما رأينا فإن أهم معارك ذلك العام معركه جاور التى أوردناها وقام فيها الطيران السوفيتى بأوسع أدواره فى الحرب الأفغانية كلها،فى وقت لم يواجه فيه ذلك الطيران أى تحد يذكر من جانب المجاهدين. ورأينا فيما سبق تلك التمثيلية الهزلية التى قامت فيها الإستخبارات الباكستانية بإستخدام صواريخ (بلوبايب)البريطانية التى لم تؤثر بأى قدر

على الطائرات السوفيتية، بل أنها ولدت شعوراً بالإحباط لدى المجاهدين، الذين فقدوا آخر مدافعهم المضادة للطائرات فى نفس الوقت الذى أصيب فيه طاقم الصواريخ الباكستانى الذى كان يطلق صواريخه من جانب ذلك المدفع.

كانت (جاور) مسرحاً للإستعراض الأكبر والأخير للطيران السوفيتى، ولم تشارك صواريخ ستينجر بالطبع فى ذلك الإستعراض فقد بدأ السوفييت(يلملمون) قواتهم تمهيداً للإنسحاب.

لقد شاركوا بالطبع فى معارك عديدة بأحجام متفاوتة، لكنها لم تبلغ مابلغته فى جاور، خاصة من ناحية المشاركة الجوية.

كان قد مضى على معركة جاور حوالى أربعة أشهر حينما أرسلت إلى جريدة الإتحاد فى**(8/15)** خبراً يقول:

(دخلت صواريخ ستينجر الأمريكية الخدمة الفعلية على أيدى المجاهدين الأفغان،وكانت الولايات المتحدة قد أرسلت هذه الصواريخ لإستخدامها ضد الطيران السوفيتى، وتعتبرالمواجهة المرتقبة بين الصواريخ الأمريكية وطائرات سوخوى السوفيتية، مثار إهتمام خبراء الأسلحة فى العالم).

لقد تأكدت فى اليوم السابق أن الصواريخ المذكورة قد إستخدمت بالفعل فى بعض مناطق أفغانستان القريبة من كابل، وكنت متيقناً، أن هدف أمريكا لم يكن مساعدة المجاهدين بقدر ما هو إستغلال الإهتمام الدولى بالحرب الأفغانية، كى تحولها الى مهرجان دعائى لبعض منتجاتها العسكرية. خاصة وأن الحرب دخلت مرحلة التسوية وبدون أى مشاركة للإسلحة الأمريكية فيها.ولم أتصور وقتها أن الوقاحة الأمريكية سوف تصل الى ذلك المدى حين أدعت أن (ستنجر) هو قاهر السوفييت فى أفغانستان..

فلو كان ذلك صحيحاً فلماذا لم يتحقق مثل ذلك النصر فى أنجولا أو نيكاراجوا رغم أن الأخيرة قريبة جغرافياً من الولايات المتحدة، كما أن ضباط الإستخبارات الأمريكية أشرفوا على قوات العصابات فيها (الكونترا) أشرافاً دقيقاً ومباشراً وميدانياً وهى الفرصة التى لم تتح لهم فى أفغانستان.دوافع أمريكا من وراء إرسال (ستنجر) كانت إنتهازية بحتة،إلى جانب أنها تفادت أى إجراء حقيقى لتقوية دفاعات باكستان رغم تعرضها لضغوط عسكرية مزعجة من جانب السوفييت برياً ثم جوياً بشكل خاص.

لم تكن أمريكا تثق فى باكستان، مهما كان نظامها موالياً، نتيجة لعمق الأرضية الإسلامية فى الشعب (رغم تمزقها)، كما أنها لم تعد تثق فى ضياء الحق وطموحاته التى قد تصل إلى مرتبة الزعامة الإسلامية عالمياً، وربما إذا تحقق ما يشبه الإنتصار الإسلامى فى أفغانستان، أن يقفز ضياء الخبيث على قمة نشوة الإنتصار الإسلامى ليعلن نفسه خليفة للمسلمين !!.

قد يكون ذلك غريباً على التفكير العادى، ولكنه ليس غريباً عن منطق ضياء الحق، الإنتهازي والمتآمر بطبيعته.

* كان وضع باكستان الأمنى مذرياً، فأمنها الداخلى فى أسوأ حالاته، فهناك ما يشبه حرب إرهاب سرية شملت البلاد كلها تقريباً، خاصة أقليم الحدود، ثم إمتدت الى كراتشى التى شهدت إنفجارات عرقية (سياسية) غذتها قوى أجنبية عديدة، معادية وحتى صديقة لباكستان.

*وعن طريق البر، إخترق الكوماندوز السوفييت حدود باكستان ـ لأول مرة منذ نشوب الحرب، وضربوا معسكراً لجماعة سياف فى كونار ويدعى معسكر أسامة بن زيد، الذى هاجمه السوفييت من الخلف بعد أن عبروا الحدود باكستانية "فى**86/4/4**" ، والعجيب أن ذلك تكرر مرة أخرى فى نفس العام، فأضطر سياف إلى إخلاء المنطقة،بعد أن قتل فى المعسكر

45 مجاهداً من بينهم ثلاثة من العرب أحدهم فقد فى جبال كونار.
* عن طريق الجو، زادت الإنتهاكات بشكل خطير، بل أن طائرات سوخوى 22، التى يقودها سوفييت قد دمرت قرى حدودية كبيرة (مثل ترى منجل) وقصفت معسكرات للمهاجرين، فزاد التوتر داخل صفوف الجيش الباكستانى.
ولم يكن ممكنا كبح جماح الضباط، فحدثت مواجهات جوية ـ رغماً عن أوامر قيادة الجيش، وهكذا أسقطت أول (سوخوى22) سوفيتية وقد عوقب الطيار الباكستاني، كما ذكرنا قبلاً.
لم تشأ أمريكا أن تمد باكستان بطائرات إنذار مبكر متطوره من طراز أواكس .وقد زودت بها السعوديه سابقاً لمراقبة أيران ومساعدة العراق، كما لم تشأ تدعيم سلاح الجو الباكستانى بالمزيد من الطائرات القتالية المتطورة، على الأقل بالعدد الكافى، كما لم تشأ تدعيم المضادات الجوية الباكستانية بشكل جدى.
وكان الحل الأمثل ـ من وجهة النظر الأمريكية ـ وضع صواريخ ستنجر فوق القمم الأفغانية الشاهقه كى تمثل خط دفاع أمامى عن مناطق الحدود الباكستانية المستهدفة.
لقد تأزم الأمن القومى لباكستان بوصول الطائرات السوفيتية المتطورة لأفغانستان والهند، فقد أحضر السوفييت الى حكومة كابل طائرات (ميج29) لرفع قدراتها الجوية وتعويض عمليه الإنسحاب السوفيتى المتوقع.
*كما وصلت طائرات (ميج ـ 29) ودخلت الخدمة الفعلية فى الهند لتصبح العمود الفقرى لسلاح الجو الهندى إبتداء من 86/1/11 وهى طائرات تضارع الطائرات (إف 16) الأمريكية التى تمثل ركيزه باكستان الجوية ، ولكن أمريكا حذفت الكثير من التجهيزات المتطورة فى تلك الطائرات قبل تسليمها الى باكستان. كما أعلمنى بذلك جنرال متقاعد عن سلاح الجو الباكستانى،عاصر وشارك جزئياً فى عملية شراء تلك الطائرات من أمريكا.وقد أصرت الحكومة الأمريكية على إستبعاد قيادات من سلاح الجو الباكستانى لسبب(تعنتهم) فى ذلك الموضوع وإصرارهم على إستكمال التجهيزات المتطورة لتلك الطائرات قبل شرائها، وكذلك أصرارهم على توافر قطع الغيار وخدمات أخرى تستمر بعد البيع إضافة الى برامج التدريب والصيانة. وهكذا فقد سلاح الجو الباكستانى الكثير من قياداته المخلصة ذات الكفاءة وبقى المنافقون يقودون الركب كما هو حادث فى معظم بلاد المسلمين، وتسلم الباكستانيون (هياكل) فارغة لطائرات متطورة !!.(حدث نفس الشئ فى مصر عندما سلم السوفييت طائرات ـ ميج 23ـ لعبد الناصر بعد هزيمةالخامس من يونيو1967).
قامت طائرات (السوخوى22) السوفيتية بنشاط فائق للعادة منذ حملة جاور، وركز على قاعدة جاور فقصفتها عدة مرات وقتلت عدد من الأفراد كانوا يعملون فى إصلاح القاعدة بعد الدمار الذى لحقها من حملة إبريل الماضى، وكان القتلى من جراء تلك الغارة التى وقعت فى8/14/ 68
وكنا متواجدين فى نفس المكان مع مجموعة من العرب. سته قتلى كانوا من أفراد الكوماندوز الذين أسروا فى معارك إبريل الماضى وكانوا يستخدمون فى أعمال إعاده بناء القاعدة وتطهيرها من الألغام كما أصيب فى نفس الغارة 17شخصاً معظمهم من المجاهدين، بعضهم أصابتهم خطيرة.كما ركزت طائرات (السوخوى) على منفذ (جاجى) وقصفت بشدة مواقع المجاهدين هناك، ثم تعمقت داخل أراضى باكستان لعمق خمسة عشر كيلومتراً، وقصفت مدينه باراشينار ومدينةترى منجل التى تحتوى(دكاكين) لبيع الأسلحة والذخائر ومكاتب وإستراحات لقوافل

المجاهدين،فدمروها تماماً. كانت الخسائر فادحة واللطمة أليمة.وكأن السوفييت أرادوا من تدمير تلك المدينة الصغيرة الإنتقام لإسقاط طائرتهم الأولى (والأخيرة) التى إسقطها سلاح الجو الباكستانى فوق أراضى باكستان ، وتم تصوير حطام الطائرة بواسطة وفد من الصحافة الدولية. أما جثة الطيار (وهو روسى) فلم تعرضها السلطات الباكستانية على الصحفيين حتى لاتثير الغضب السوفيتى أكثر من اللازم.ومع ذلك حطم السوفييت قرية ترى منجل على رؤوس من فيها بعد أيام قليلة من الحادث. لقد أيدت الصين على لسان رئيس وزرائها، أجراءات باكستان فى حماية أجوائها ضد الإعتداءات السوفيتية،ولكن باكستان تعلم من خبرتها التاريخية أنه من الخطأ الإعتماد قوة خارجية لحماية السلامة الوطنية خاصة إذا كان المعتدى قوة يحسب حسابها كالقوة السوفيتية أو الهندية مثلا.

لقد كسبت صناعة الأسلحة الأمريكية الجولة الإعلامية وذلك إعتبار تجارى لامجال لإغفاله ، ناهيك عن تأثيراته السياسية والنفسية ، لكون تجارة الأسلحة الدولية تأتى فى الترتيب الثانى بعد النفط فى قمة السوق التجارى الدولى من حيث حجم الصفقات، وكان التنافس على القمه فى ذلك السوق يدور على أشده بين (العملاقين)، كما كان يطلق عليهما فى ذلك الوقت.

وقد إستأثرت أمريكا بما نسبتة 60% من تجاره السلاح الدولية فى عام 1990..

مساعدات مفخخة:

فى نفس العام أعلنت أمريكا أنها سوف ترسل أسلحة أخرى إلى (المجاهدين الأفغان) بعضها أمريكى الصنع والآخر من دول صديقة مثل (إسرائيل). ولكن لم يظهر سوى ذخائر للهاونات من عيار82 مليمتر، 120مليمتر، إشتهرت بأنها أمريكية الصنع، وربما كان بعضها صناعة إسرائيلية ولكن ليس عليها أيه إشارات تدل على جهة الصنع، فقد كان مكان الصنع مطموساً باللون الأسود، على الغطاء الكرتونى السميك جيد الصنع، بإستثناء قذيفه واحدة شاهدتها غير مطموسة والغريب أن المكتوب عليها بالإنجليزية يقول: (صنعت لصالح مصانع الذخيرة المصرية) ، ولم أدرى ماذا تعنى تلك العبارة الملتوية.

المهم أن تلك القذائف من العيارين المذكورين، رغم جودة الصناعة ومزاياها التكتيكية مثل المدى الأبعد من مثيلاتها الروسية أو الصينية إلا أنها قتلت عدداً كبيراً من المجاهدين الأفغان والعرب لأن كمية محترمة منها كانت مفخخة، وفى نهاية الحرب كان معظم المجاهدين يتجنبون إستخدامها.

* **ومنذ** ذلك العام تزايدت ظاهرة الذخائر المفخخة من جميع الأنواع تقريباً، بما فيها الصواريخ المصرية (صقر20)، (صقر30) التى أحضرتها أمريكا لقصف المدن الأفغانية، وإنفجر عدد منها فى أطقمها من المجاهدين.

ولم يكن صاروخ (ستنجر) بعيداً عن موجه التفخيخ، فقد أخبرنى أحد الخبراء من القيادات الأفغانية الميدانية بأن ذلك الصاروخ كان مفخخاً بثلاثة طرق مختلفة، فى أحدها ينفجر تلقائياً وهو داخل الصندوق إذا تعدى إرتفاعاً معيناً، وقال أن ذلك حسب ظنة يعود إلى رغبة الأمريكان تفجير الطائرات الروسية التى سوف تقوم بنقل الصاروخ إلى الإتحاد السوفيتى فى حاله حصولهم عليه من المجاهدين،والطريقة الثانية ان ينفجر الصاروخ عند الضغط على زر

الإطلاق فى أثناء العمليات.
والثالثة أن ينفجر الصاروخ فى حال تعرضه لصدمة شديدة حتى وهو داخل الصندوق .
المهم أن المجاهدين كانوا ضحايا الطرق الثلاث، فإرتفاع الجبال الأفغانية خاصة فى مناطق معينه كان كفيلا بتفجير النوع الأول.
والطريقه الثانية لا تحتاج إلى أيد سوفيتية،لإطلاقة . كما وان خشونة طرق التخزين والنقل كافية لتفجير النوع الثالث خاصة.
* تفخيخ ذخائر المجاهدين كان تكتيكا أمريكياً قديماً نسبياً، ويدل على ذلك عدد لا يحصى من الشواهد الميدانية ولكن من الجيد فى هذه الحال إيراد شهادة أمريكية نادرة فى هذا المجال، أوردتها وكالات الأنباء فى (84/8/11)حيث تقول:
(مجموعة"صندوق التعليم الأمريكى الأفغاني" أوضحت فى تقرير لها أن الحكومة الأمريكية قد زودت الثوار الأفغان بثلاثة أنواع من الأسلحة، النوع الأول عبارة عن أسلحة وذخائر من نوعية رديئة، وعلى الأرجح أنها ستقتل من الأفغان أكثر مما ستقتل من السوفييت، ومن ضمنها صاروخ (سام) ـ ستريلا ـ المضاد للطائرات، ومدافع مورتار 82 مليمتر.
ثم أمدتهم بنوع جيد من الأسلحة والذخائر ولكن يرجح أنه تم العبث بها وسلمت إلى المقاومة وهى في حاله عديمة الفائدة ومن ضمنها ألغام مضادة للدبابات ولكن ليس بها شحنات تفجيرية كافية.وأضافت أن النوع الثالث من الأسلحة كانت عبارة عن صواريخ (آر. بى.جى) ورشاشات ثقيلة من طراز دوشيكا غير أن ذخائر هذين النوعين كانت شحيحة لدرجة أن إستخدمها لم يكن ممكنا بنسبة 95% من الوقت!!).
فى ذلك ما يغنى عن التعليق ونورد جزء من شهادة أخرى لكاتب أمريكى بارز يدعى جاك أندرسون فقد أوردت وكالة (كونا) للأنباء فى87/5/1 خبراً يقول أن الكاتب المذكور كشف عن فضيحة داخل وكالة الإستخبارات الأمريكية .فمن بين ثلاثه مليارات كانت الوكالة تنفقها على مساعدة الثوار الأفغان، وجد أن 2 . 1 مليار دولار على الأقل قد سرقت منها.
وإتهم الكاتب وسطاء أسلحة وعملاء سريين فى الوكالة ومسؤولين فاسدين بسرقة تلك الأموال هذا ما قالة الكاتب الأمريكى فماذا لو علم أنه حتى الجزء المتبقى من السرقات قد ضاع فى دهاليز صفقات مريبة للمخابرات الأمريكية من طراز ماذكرناه عن حادثة بيع أسلحة المجاهدين الأفغان إلى إيران لإنفاق عائدها على مؤامرة ثالثة فى نيكاراجوا ؟!!.
*عامل آخر شجع أمريكا على إقحام صاروخها (الإسطورى) فى ساحة الحرب الأفغانية، هذا العامل هو رغبه الولايات المتحدة فى سرقة (الإنتصار الأفغانى بكامله) لقد كان إنتصاراً خارقاً للعاده ومخالفاً لكل المقاييس المادية، وما كان يمكن تبريره سوى بإرجاعه إلى الإسلام وإلى ا سبحانه وتعالى.
إذن كان لابد من إدخال عنصر مادى يمكن لأمريكا الإرتكان عليه للصد عن سبيل ا ، وإستكباراً فى الأرض بغير الحق.كانت الإنتصارات الأفغانيه على الأرض مذهلة، ولكن ماذا نقول عن إنتصاراتهم الجوية؟، وهم الذين لايمتلكون شئ تقريباً لمواجهه الطيران السوفيتى الهائل!!.كانت خسائر السوفييت فى الطيران أشد غرابة ولايمكن تبريرها مادياً على الإطلاق.
وقبل عامين تقريباً من إدخال ستنجر إلى ساحة العمليات فى أفغانستان صرح مايك أرماكوست وكيل الخارجيه الامريكيه فى حديث صحفى فى واشنطن(إن الثوار الأفغان قد أسقطوا ستمئة طائرة سوفيتية منذ دخول القوات السوفيتية وحتى الآن) .أوردت وكالات الأنباء هذا

التصريح فى23 /84/12 فهل يعقل أن تترك أن تترك أمريكا للأفغان إنتصاراً خارقاً بهذا الحجم؟ وكيف يمكن تبرير هذا الإنتصار الجوى مع الإفتقار المطلق لكل الوسائل المادية لأحرازه أو حتى لإحراز نسبة ضئيلة منه؟

(راجع كتاب 15طلقة فى سبيل ا /فقرة مقاتلات تقدم لنا الدعم).

فهل تترك أمريكا شعوب الأرض كى تكتشف قدرة ا ، وعظمة دين الإسلام؟ بالطبع لا.. فلابد إذن من إدخال عنصر مادى كى يثير سحباً من الشك ويخفى تلك الحقيقه ولو إلى حين.

(وذلك هو تفسير الكفر فى قواميس اللغه أى الإخفاء والطمس المتعمد للآيات الربانية الواضحة).

****

أسـ ـلحة إشـ ـعاعية

خبر آخر لم أتبين خطورته إلا بعد سنوات من حصولى عليه لدرجة أننى لم أبعثه وقتها إلى صحيفه الإتحاد.

فى (86/10/23) هرب طيار أفغانى بطائرة (ميج 21) إلى بشاور، وصرح لنا فى الشهر التالى أن السوفييت يستخدمون قنابل إشعاعية فى أفغانستان وهى قنابل محرمة دولياً ولم تستخدم حتى فى حرب فيتنام.

ظننت وقتها أنه يعنى قنابل موجهة بأشعة الليزر، ولكن الطيار أكد أنها نوع آخر ولم يشرح أكثر من ذلك. ولم نفهم نحن ماذا يعنى،حتى جاءت حرب الخليج المسماة (عاصفه الصحراء).

وبعد إنتهائها تسربت أنباء عن إصابات بالأشعة الذرية بين مواطنين فى الكويت و بعض العسكريين من جنود العملية، وقالوا وقتها أن السبب هو (قنابل إشعاعية) إستخدمتها قوات التحالف ضد العراق بواسطه مدفعية طويلة المدى، وأن القذائف الفارغة المتبقية فى مواقع تلك المدفعية فى الكويت أدت إلى تلوث فى المنطقة وأصابه العديد بآثار الإشعاع النووى.

وبالطبع تكتموا على القضية بسرعة، وحتى الآن لا يعلم أحد الأبعاد المترتبة على تلك الأسلحة فى العراق وأظن أن من أهداف الحصار الذى فرض على العراق فى أعقاب تلك الحرب كنوع من العقوبات الدولية ، كان فى أحد جوانبة دراسة آثار مثل هذه الأسلحة المحرمة على الشعب العراقى ، ولحصار تلك الحالات حتى تنتهى فوق أرض العراق.

(إستخدمت أمريكا أسلحة إشاعية بشكل مكثف فى حروبها ضد المسلمين فى العراق عامى 1990 و 1993 م، و فى البوسنة 1999 و فى أفغانستان 2001م ـ أنظر كتاب صليب فى سماء قندهار).

* القذائف السوفيتية لم تكن هى المصدر الوحيد للتلوث النووى الذى أصاب الشعب الأفغانى،وسوف تظل آثاره المجهوله تضرب حاضرة ومستقلة، وفى كتمان مجهول، أكثر مما تفعل مصيبة الألغام التى ليس لها نظير فوق أرض أخرى فى العالم.

الخطر الإشعاعى الآخر جاء هذه المرة عن طريق الأمم المتحدة. ومؤسساتها للإغاثة الإنسانية، ولذلك قصة أخرى تعيدنا الى نفس ذلك العام المزدحم حتى التخمة بالأحداث الجسام(إنها قصة شير نوبل) .

* لم تكد القوات السوفيتية والشيوعية تغادر قاعدة جاور ولم تكد تصل الى العاصمة كابل حتى جاء الإنتقام الإلهى فى أرض الإتحاد السوفيتى نفسها، وذلك فى 86/4/26، حين تفجر مفاعل (شيرنوبل) فى أوكرانيا مسبباً أكبر كارثة بيئية نووية فى العالم،فيما عدا ضرب أمريكا مدن اليابان بالقنابل النوويه فى نهاية الحرب العالمية الثانية.

تقول التقارير الصحفية:

(**أن** المفاعل رقم4 فى شيرنوبل قد إنفجر إثناء إجراء تجربة صناعية خرجت من السيطرة مما أدى الى حدوث إنفجار فى أبراج المفاعل وتبخر مايزيد عن 50 طناً من الوقود النووى من المفاعل فى الجو، أدى الى إنتشار سحب التلويث النووى الكثيف فوق مساحات شاسعه من أوكرانيا.وقد إنتشر التلوث النووى حتى السويد، وتعرض الملايين الى مواد الصوديوم 137 والسنتريوم 90 وغيرها من المواد المشعة.

وتطوع العمال لتنظيف النفايات المشعة التى كانت ما تزال تطلق الدخان بعد ساعات من الإنفجار، بينما (تطوع) آخرون تحت تهديد السلاح. وتكشف الصور التى إلتقطت بعد ساعات من الإنفجار رجالاً كان الواقى الوحيد الذى يرتدونه لحماية أنفسهم من الأشعاعات هو قناع من النوع الذى يرتديه الأطباء فى غرفة العمليات الجراحية، وهم يسيرون فوق الجرافيت الساخن أو ينتزعونه من سقف بناية المفاعل بأيديهم وقد مات البعض على الفور بسبب تعرضه لكمية كبيرة من المواد المشعة، بينما البعض الآخر مازال يمارس الموت البطئ حتى اليوم).

فى هذا الموضوع الواسع نكتفى بالتركيز على نقطة واحدة فقط تتعلق بموضوعنا هذا، وهى أن المحصولات الزراعية فى أوروبا قد تأثرت الى حد كبير بهذا الحادث النووى والصناعات الزراعية مثل التعليب، والمواد الزراعية والألبان واللحوم، قد زادت نسبة الإشعاع فيها لدرجه تشكل خطورة على الحياة البشرية، وبالتالى كانت الضربة الإقتصادية قاسية على دول أوروبا، فقامت بتوزيعها على دول العالم الثالث ضمن برامج الأغاثه الدولية، وكان لأفغانستان نصيب الأسد من المواد الغذائية الأوربية والمشبعة بالأشعة النووية الروسية،والتى توزعها الأمم المتحدة.. أليس فى ذلك تلخيصاً رائعاً لأجمالى الحرب الأفغانية؟.

هل أنتهت تلك المشكلة الخطيرة بنهاية عام1986 ؟ بالطبع لا فالموضوع طويل جداً ومتشعب. قصة طريفة حدثت عام1994 حيث أرسلت منظمات الإغاثة التابعة للأمم المتحدة شحنات غذائية لإغاثة مهاجرى جنوب السودان، ولكن السلطات السودانية فحصت الشحنات وقررت عدم صلاحيتها للإستخدام الآدمى وطلبت من الأمم المتحدة سحبها من البلاد. فردت المنظمة الدولية الموقره بأنه يمكن للحكومة السودانية إستخدام تلك المواد فى طعام الحيوانات!! ولكن حكومة الخرطوم أصرت على إرجاع الشحنة لأنها لاتصلح حتى للغذاء الحيوانى. فأذعنت الأمم المتحدة وسحبت الشحنة وأرسلتها بالسفن إلى بنجلادش . لإطعام فقراء المسلمين هناك. ولكن القصة التى شاعت فى وسائل الإعلام الدولى، أوقعت سلطات بنجلادش فى حرج سياسى فرفضت تفريغ الشحنة فى موانئها، فقررت الأمم المتحدة التحرك سرياً وحركت سفنها (الإغاثية) إلى موانئ آسيوية مجهوله لتسميم شعوب أخرى فى العالم الثالث !!.

....

إنسانية الغرب المتوحش

ولكن لماذا أصبحت سياسة الغرب الصليبى الثابتة هى نشر الأمراض والأوبئة بين شعوب العالم الثالث؟.

قد يبدو السؤال خارجاً عن الموضوع، ولكنه فى نظرى فى صلب الحرب الأفغانية، بل وعشرات من الأزمات الدوليه الظاهرة والباطنة، إن الغرب يشن حرب إبادة فعلية، بوسائل

غير مشروعة سرية وعلنية ضد شعوب العالم الفقيرة والدول الإسلامية بشكل خاص فلماذا ؟.
لم يقدم الغرب منذ بزوغ نجمة أيه رسالة للإنسانية. كانت السيطرة على الآخرين ونهب ثرواتهم أو إبادتهم إذا كان ذلك ضرورياً ،هى رساله الغرب التى مازالت سارية حتى الآن.
وبالنسبة للإسلام فإن الغرب الإستعمارى المتوحش يتحول إلى صليبى همجى، يمارس القتل والسرقة والسيطرة بإسم المسيح، ضد الكفار (المسلمين!!).
والعامل الأهم فى إتخاذ قرار الإبادة وحجمها هو حاجة المستعمر الأبيض إلى الأيدى العاملة المحلية بما يحقق أقصى فائده لدورته الإقتصادية.
فقد يكون الإستئصال شبه كامل، كما حدث فى الأمريكتين وإستراليا.
أى تلك الأماكن جاء الرجل الأبيض كى يستغل الأرض بنفسه وكان فى حاجة إلى عدد قليل من العبيد الذين إذا زادت حاجته إليهم إختطفهم من القارة الأفريقية للعمل فى حقول القطن الشاسعة فى الجنوب الأمريكى مثلاً.
أما فى دول مثل الهند وأندونيسيا وبلاد العرب فكانت الإبادة جزئية لحاجة المستعمر إلى الأيدى الوطنية فى إستخراج ثروات الأرض، وربما لتصنيعها جزئياً قبل شحنها الى بلاده لإستكمال تصنيعها ثم تصديرها مرة أخرى الى المستعمرات كى تدفع مقابلاً لها ما تبقى بين أيديها من أموال جاءت من أثمان المواد الخام.فى وضعنا المعاصر يحتاج الغرب الى التخفيف من عدد سكان (العالم الفقير) وذلك لعدة إعتبارات أهمها:
1ـ أن سكان العالم الفقير يزيدون بنسبة عالية رغم ظروف عيشهم المتدنية، بينما العالم الصليبى يتناقص عدد سكانة نتيجة فلسفتهم المادية والخوف من زيادة النسل حتى لا تقل الأرزاق بين أيديهم. إضافة لعامل آخر هو الفوضى البهيمية فى ممارسة الجنس بدون إرتباط أسرى أى بدون زواج وتكوين عائلة.
والنتيجة هى أن الغرب فى مدى ليس بعيد سوف يصبح جزيرة صغيرة لاتمثل أكثر من 10% إلى 15% من تعداد العالم بينما يستأثر بما يزيد عن 85% من ثروات العالم وبالتالى قد يغرق فى بحر الفقراء، وقد يتم ذلك فى جو من الفوضى الدولية وإنتشار الأضطرابات وتعاظم المجازر على إتساع القارات، أى بمعنى آخر (يكثر الهرج) أى القتل وقد بدأ العالم يلمس ذلك فى مناطق عديدة تتسع يوماً بعد يوم.
2ـ أن تزايد تعداد (العالم الفقير) سوف يستدعى حتماً تنازل العالم الغنى عن جزء من سرقاته لصالح أصحابها الفقراء وسوف يؤثر ذلك على مستوى رفاهية الدول الغنية وذلك بدوره سوف يضعها فى دوامة التوترات الإجتماعية العنيفة بين الذين يملكون كل شئ وهؤلاء الذين لايملكون. وغنى عن الذكر أن النهب الواسع لثروات العالم الفقير هو الذى مكن العالم الغنى (الصليبى الأبيض) من السيطرة على توتراته الإجتماعية وأزماته الإقتصادية التى يفرزها تكوينه الرأسمالى بشكل أزمات دورية حسب دورته الإقتصادية.
أى أن الغرب الصليبى يرى فى إفقار شعوب العالم الأخرى دفاعاً حيوياً عن رفاهيته وأمنه الإجتماعى.
إذن الإبادة المنظمة والمحسوبة بدقة أمر حتمى لتلافى التأثيرات السيئة لتنامى سكان العالم الفقير. هذه هى الحتمية الشيطانية التى تحدد موقف الغرب الصليبى إزاء دول العالم الفقيرة.
فما هى وسائل العالم الصليبى فى عمليات الإفناء المنظم لسكان العالم الفقير خاصة الإسلامى

منه ؟
من أبرز هذه الوسائل ما يلى:
أ ـ الحرب الجرثومية(وذلك بنشر جراثيم خاصة من ترسانة الحرب الجرثومية وتوزيعها على الشعوب الفقيرة طبقاً لإحتياجات حرب الإبادة المحددة التى يشنها الغرب ضدهم). والأغلب أن (الأيدز) كان أحد أسلحة تلك الحرب ***(ظهرت بعد ذلك أوبئة عديدة من أصول معملية و أنتشرت بين الشعوب الفقيرة فى قارات آسيا و أفريقيا مثل: الأيبولا، حمى الوادى المتصدع، السارز، أنفلونزا الطيور..الخ).***
ومن المعلوم أن الحرب الجرثومية والنووية يمكن البدء بها ولكن يصعب السيطرة على تفاعلاتها (كما رأينا فى تجربة شيرنوبل) بمعنى أن بعض الشرر قد يتطاير ليصيب الغرب نفسه.ولكن هناك أمراض عادية يصعب إنتقالها الى الغرب لأسباب جوية أو لتقدم الطب لدرجة كافية للقضاء عليها مثل الملاريا المتطورة، وقد نشرها الغرب فى أفغانستان (منذ معركه جلال آباد 1989)وفى السودان، ودول أفريقية وأسيوية أخرى، والبلهارسيا، وأمراض أخرى تصيب
المزروعات أو تتلف الأرض الزراعية، فتحدث المجاعة وتبيد جزء لا بأس بها من السكان، أما الفقر والمرض فيقعدان تلك الشعوب عن أى تحرك (ثورى) أو(إرهابى) أو (جهادى) ضد الغرب ومصالحه.
ب ـ الحروب الإقليمية بين الدول الفقيرة، والحروب الأهلية الداخلية، والنزاعات العرقية، مع تزويد المتقاتلين بما يكفيهم للإبادة المتبادلة بشكل يتناسب مع مصالح الغرب.
مثلما حدث فى أفغانستان والسودان، ودول أفريقية وأسيوية كثيرة.
ج ـ البرنامج الدولى عبر الأمم المتحدة ومنظمات الإغاثة الدولية المتعاونة معها، لتحديد النسل أو ما يسمى أحياناً بتنظيم الأسرة، والهدف الأساسى منه هو أن يكون أبادة إختيارية لسكان العالم الفقير تحت دعاوى حضارية أو إقتصادية مفتعلة وكاذبة.
د ـ الغزو الثقافى بواسطة الآلة الإعلامية الجبارة والحديثة لتغيير القيم والمعتقدات والثوابت الأخلاقية لدى دول العالم الفقيرة ، خاصة الإسلامية منها ، حتى يسهل التحكم فى تصرفات أجيالها، وتوجيه طاقاتهم إلى التدمير الذاتى حتى لا تتوجه تلك الطاقات ضد الغرب وسيطرتة المدمرة على شعوبهم.
و ـ إستخدام برنامج المساعدات الإقتصادية والغذائية والعلاجية لتدمير تلك الشعوب إقتصادياً، وصحياً بواسطة الأغذية الملوثة بالأشعاعات النووية والجراثيم المتطورة والفتاكة والأدوية المدمرة للصحة أو التى تحمل أمراضاً خطيرة، من بينها الأيدز وغيره.
د ـ نشر إستخدام المخدرات فى شعوب الدول الفقيرة بواسطة حكومات الغرب، وهو ما سنعود إلى تفصيله فيما بعد.*(راجع فقرة/حرب الأفيون الثالثة/كتاب صليب فى سماء قندهار).*
والجدير بالتأمل ذلك الدور المدمر الذى تقوم به الأمم المتحدة ومنظماتها المختلفة فى تنفيذ وترويج تلك البرامج الرهيبة تحت مظلة دولية وشرعية جبرية ، يرعاها الغرب الصليبى تحت إسم مزيف هو (الشرعية الدولية).
****

مأساة السكراب

ندخل إلى شرح أبعاد تلك المأساة عبر ذلك الخبر البسيط الذى أرسلة مكتبنا فى إسلام آباد إلى مقر الصحيفة (الإتحاد) فى86/4/24 تحت عنوان "باكستان تدخل مجال تصدير الصلب" حيث يقول الخبر:(غادرت ميناء مدينة كراتشى أمس، سفينة الشحن الكورية التى تحمل الدفعة الأولى من شحنة الفولاذ المصدر الى اليابان.وهى المرة الأولى التى تقوم فيها الباكستان بتصدير الفولاذ إلى ثانى أكبر دولة مصدرة لهذا المعدن فى العالم، وتبلغ جملة الشحنة الأولى 10 ألف طن من الكمية المقدر إرسالها والبالغ وزنها 160ألف طن، ومن المقرر أن يتم إرسال الدفعة الثانية التى تقدر بحوالى"120ألف طن" فى الشهر القادم، ومن المتوقع أن يكون العائد من هذه الصفقة التجارية بحوالى 2283 مليون دولار.

والجدير بالذكر إن اليابان تستخدم هذا النوع من الفولاذ فى صناعه أنواع مختلفة من الأنابيب مما يعطى دلالة على جودة الإنتاج الباكستانى فى هذا المجال، مما يتيح لها فرصه للمنافسة العالميه.وتجدر الإشارة أيضاً إلى أن باكستان قد حصلت على جائزتين فى مجال تصنيع أنابيب البترول من مؤسسه بترولية أمريكية).أ هـ

* كانت معركه جاور لم تكد تنتهى حتى ظهرت عشرات الشاحنات التى تقوم بنقل (شظايا) القنابل والصواريخ التى ملأت جبال المنطقة حول القاعدة، إستمرت عمليات النقل أياماً طويله فالمنطقة لم تشهد مثل هذه الكمية من الأجسام المعدنية.

لقد جلبت تلك التجارة ثروات صغيرة للمجاهدين، وبدو المنطقة والأهالى القريبين، الجميع إعتبرها ثروة مجانية، وفرحوا بالروبيات القليلة التى دفعها لهم تجار الحدود الذين نصبوا الموازين البدائية وكدسوا حولهم جبالاً عالية من الأجسام المعدنية، بعضها قنابل لم تنفجر، وصواريخ من كل الأحجام، وظهرت إلى جانبهم السيارات المدمرة، وقطع من الدبابات والمصفحات، فقد تطور عمل هؤلاء الباحثين عن الثروة من أكوام (السكراب)، وأصطحبوا معهم إلى أعماق البلاد أدوات القطع وأهمها معدات القطع بغاز(الأكسى أسيتلين)، فتحولت الدبابات الضخمة التى دمرت أو أعطبت إلى قطع من الفولاذ يسهل نقلها فوق الجمال وأحيانـاً بالشاحنات الضخمة إلى نقاط التجميع الحدودية حيث يشتريها التجار بأسعار (رمزية).

ولكن نظراً لضخامة الكميات فإن الجميع يصبحون سعداء بتلك الثروات القليلة التى لم تكن فى الحسبان. برزت أسماء لمراكز تجميع السكراب على الحدود، مثل (غلام خان) و(شهيدان) وغيرها من المنافذ الطبيعية بين جبال الحدود.ومن أمثال تلك المراكز تنطلق شاحنات أخرى نحو أفران صهر المعادن فى لاهور، وكان أبرزها وأكثرها استفادة من تلك التجارة هو (نواز شريف) رئيس وزراء إقليم البنجاب ثم رئيس وزراء باكستان فى فترة حرب الخليج (عاصفه الصحراء).كانت الأرباح خيالية لأن الأفغان لم يكونوا يدركون قيمة ما يبيعونه لتجار الحدود، وهؤلاء بدورهم لم يكونوا ليدركوا خطورة الكثير مما يتسرب من بين أيديهم من ثروات لحساب أصحاب (المسابك فى لاهور).

كان بائع الحدود يشترى المواد من المجاهدين والمغامرين بأسعار لاتكاد تذكر،مع وضع فروقات ضئيله بين أسعار المعادن المختلفه .

فى ذيل القائمة يأتى الحديد الزهر وفوقه يأتى الصلب فالألمنيوم فالنحاس.
كثير من تجار الحدود فاتهم المعادن النفيسة التى تدخل فى صناعة بعض الأسلحة وفى أجزاء من الطائرات مثل الذهب والبلاتين والفضة وأحياناً بعض قطع الكمبيوتر فى الطائرات.
ولكن تلك المواد ماكانت تخفى على الكبار فى لاهور أو على ضباط الجيش الباكستانى الذين دخلوا إطار تلك التجارة بشكل شخصى أو نيابة عن الجيش وأجهزة الأمن خاصه جهاز (ISI) الذى أنشئ خصيصاً لأجل حرب أفغانستان.
ترسخت تلك التجارة منذ ذلك الوقت حتى فى حالات الهدؤ النسبى قرب الحدود. كانت قوافل السكراب تأتى بالمحصول من أعماق البلاد، ومنها تتحرك صوب المسابك الباكستانية.
* بعد أنهيار النظام وإستسلام الحاميات العسكرية للمدن الكبرى تحولت تلك التجارة إلى (كارثة قومية على أفغانستان).لقد تحولت ممتلكات الدوله العسكرية والمدنية إلى (غنائم) لاصلة لها بالغنائم المعروفة فى الشرع(لقد أطلقت ذلك المصطلح الشرعى على عمليات السطو العام على المال العام) وحتى على عمليات السطو المسلح على الممتلكات الخاصة للسكان خاصة ؤلئك الذين شاء حظهم التعس أن يكونوا متواجدين حتى ذلك الوقت المتأخر من الحرب تحت سلطات الحكم الشيوعى. لقد قطعت عشرات أو مئات الدبابات والمصفحات بواسطه غاز (الأكسى أسيتيلين) وبيعت خردة أو سكراب على جانب الحدود الباكستانية، حتى كابلات التلفونات تحت الأرض أو الأبراج المعدنية، أو المدارج المعدنية لبعض المطارات أو ماكينات المصانع، وصولا إلى الأخشاب المستخدمة فى صناعة الأبواب والنوافذ والسقوف لبيوت الأهالى أو منشآت الدولة، كل ذلك نزح إلى الحدود وبيع لتجار باكستان، إختصاراً لقد إشترى التجار الباكستانيون كل ما تبقى من أفغانستان التى دمرتها الحرب.
كانت أوسع عمليه نهب للمال العام يمكن لأحد أن يتصورها، لقد سرق الأفغان دولتهم وباعوا ممتلكاتهم وثرواتهم إلى باكستان وبأسعار مجانية.
*ولنتأمل مره أخرى ذلك الخبر ونتأمل مافيه، فالصفقة هى الأولى مع اليابان ومقدراها ستون ألف طن من الفولاذ عالى الجودة، ولم يحدد الخبر بالطبع سر هذه الطفرة المفاجئة فى نوعية وكمية الفولاذ الباكستانى والمعروف أنه كان قبل الحرب الأفغانية من النوعية الرديئة وقد عاد كذلك بنهاية تلك الحرب.فمن الأجدر تسميته إذن بفولاذ الحرب الأفغانية أو الفولاذ السوفيتى، أنه الفولاذ التى دمر أفغانستان وقتل مليونى أفغانى ولكنه تحول إلى ثروات طائلة لتجار باكستان وحكومتها.الصفقة المذكورة تتحدث فقط عن الفولاذ، وهونوع واحد من المعادن التى ذخرت بها مخازن تجار باكستان من شظايا الحرب الأفغانية، والصفقة قيمتها مليارى دولار ومئتين وثلاث وثمانون مليون دولار.
ياله من مبلغ لصفقة واحدة لايمكن أن تقل أرباحها عن مليارى دولار، لأن خام الفولاذ جاء مجاناً وأختطف من أيدى العوام الجهلاء فى أفغانستان.
ألم يكن هذا الدخل كافياً للإنفاق على الجهاد فى أفغانستان بعيداً عن الهيمنة الأمريكية والتسلط الباكستانى والأموال السعودية السامة والموجهة للإفساد؟.
كان السكراب فقط كافياً كمصدر دخل للإنفاق على ذلك الجهاد، لو أنه كان جهاداً يسير على النهج الشرعى الصحيح.ولم يكن مجرد فوضى عارمة، يسعر الغرب والشرق أوارها لتضيع فيها أرواح وأموال وآمال المسلمين جميعاً.
ورغم كل الضجيج الصاخب فى أمريكا والغرب لإيهام العالم أن أموالهم هى التى أدارت عجلة

الجهاد وإشترت المجاهدين، فإن ما وصل حقيقه إلى أيدى المجاهدين لم يصل أبداً إلى مثل هذا المبلغ المتحصل ثمناً للسكراب،ولاحتى جزء منه.
إن الأموال الأمريكية والسعودية التى خرجت لتمويل الجهاد لم تصل اليه أبداً، لقد وصل أكثرها إلى نيكاراجوا وحرب الخليج وموزنبيق وغيرها من مغامرات الإستخبارات الأمريكية حول العالم وما وصل منها إلى أفغانستان فقد وصل لصنع الفوضى وإجهاض العمل الإسلامى، وطعن آمال المسلمين، ثم لتمكين الكفر والعلمنة فى تلك البلاد.
لم تكن صفقة السكراب هى الأخيرة مع اليابان، وسبقتها صفقات أخرى مع أمريكا بعد أن تحول (الصاب السوفيتى) إلى أنابيب بترول فائقة الجودة وقادرة على المنافسة الدولية لأنها من خام متفوق ومجانى. لأجل هذا حصلت باكستان على جائزتين من شركات النفط الأمريكية، ولكن لم تصرح عن عدد المليارات إلتى ربحتها من تلك الصفقات،على حساب الدم المسلم فى أفغانستان !!.
على أية حال لقد حصلت باكستان كدولة أو كمسئولين على جوائز أمريكية عديدة كما تلقت كماً أكبر من العقوبات، حتى الجوائز الأمريكية إذا أمعنا فيها النظر فهى ليست إلا عقوبات مؤكدة .

جائزة المخدرات

* ولننظر الى تلك المكافأة التى ظهرت فى نفس العام 1986 والتى تمثلت فى تشكيل المكتب المشترك لمكافحة المخدرات.
لقد أنشأت أمريكا وحده إستخبارات رسمية فى باكستان مهمتها المعلنة "تزويد باكستان بالخبرات الأمريكية فى هذا المجال".
بعد إغتيال ضياء الحق كتب العميد متقاعد "ترمزى" وهوأحد ضباط الإستخبارات الباكستانين، ، فى جريدة"المسلم" أن المكتب المذكور كان أكبر جهاز إستخبارات أمريكية فى المنطقة ، وأنه على الرغم من اللافتة المرفوعة فإنه لم يبذل مجهوداً يذكر لمكافحة المخدرات، بل أن تركيزة الأساسى كان منصباً على أختراق الجيش الباكستانى وتجنيد المزيد من الضباط لخدمـ ـ ـة الإستخبارات الأمريكية، أى للعمل كجواسيس لأمريكا داخل جيش باكستان.
أما عن (مكافحة المخدرات) فقد قال الضباط المذكور، ويدعى أن أمريكا عملت على تنشيط زراعة المخدرات فى مناطق القبائل بطرق ملتوية، كما زادت بشكل حاد عمليات تصنيع الهيروين، كما عرف السوق الباكستانى نفسه رواجاً كبيراً فى أوساط الشباب خاصة لتعاطى تلك المادة القتالة فى أعقاب التدخل الأمريكي لمقاومة المخدرات فى باكستان .
ورغم أن ماقالة الضابط الباكستاني ليس إلا حقيقة يتزايد حجمها يوميا مثل كرة الثلج، إلا أن أمريكا تمتلك من الوقاحة التي مبعثها القدرة على إبتزاز وإيذاء الآخرين، كي تتهم باكستان تهمة تشجيع زراعة وتجارة المخدرات، وذلك ضمن قائمة تشمل تهما أشد هولا مثل تشجيع الإرهاب وهي تهمة مبتكرة لتغطية برنامج أمريكا لتصفية التواجد الجهادي العربي في باكستان.
ثم تهمة محاولة تصنيع سلاح نووي وهو السلاح التي تحرمه أمريكا على كافة الدول الإسلامية مهما كانت درجة عمالتها للسياسة الأمريكية .
نعود إلى تنصيب أمريكا نفسها حاميا على مجموعة من(المقدسات) وإستخدامها كسلاح سياسي

للإبتزاز والتشهير.بينما تقوم هي نفسها بإنتهاك تلك المحظورات. من ذلك موضوع السلاح النووي،التي كانت أمريكا هي الوحيدة في التاريخ التي إستخدمتة في الحرب، وبالمثل موضوع المخدرات والمعروف دوليا ان أمريكا أكبر تاجر دولي للمخدرات. وأيضا موضوع حقوق الإنسان حيث تقعد أمريكا على رأس منتهكي حقوق البشر والشعوب وصاحبة أسوأ سجل في الإبادة البشرية.

تستخدم أمريكا تلك الإسلحة بطريقة إنتقائية وطبقا لمصالحها السياسية أو الإقتصادية.
سلاح المخدرات مثلا دأبت على إستخدامة أو تجاهله ضد باكستان طبقا للمصلحة وليس خدمة للمبدأ.ورغم ان الرئيس ضياء الحق قد مضى بعيدا في تجارة المخدرات مستخدما رفيق عمرة الجنرال فضل حق (الذي عينه حاكما لإقليم الحدود حيث مارس زراعة وتصنيع وتجارة المخدرات على نطاق محلي ودولى، متعاونا تماما مع ضياء الحق).

ومع ذلك تجاهلت أمريكا تلك المأساة أو إشارت إليها على إستحياء نظرا لحاجتها الماسة لضياء الحق لمجابهة الأزمة الأفغانية. وكعادته مارس ضياء الحق هوايته في الإبتزاز إلى أقصى حد.

وكما فاز بجوائز في مجالات أخرى فاز أيضا في مجال المخدرات فقد قاده (السيد كندل) السكرتير العام للبوليس الدولي(إنتربول)الميدالية الذهبية أثناء إنعقاد مؤتمر عقد في إسلام أباد حول مكافحة المخدرات(في **86/1/23**). وبذلك أصبح ضياء الحق ثالث رئيس دولة يمنح هذه الميدالية تقديرا لجهوده في مجال مكافحة المخدرات وفاز بالميدالية سابقا الرئيس الأمريكي ريجان ورئيس ساحل العاج.

ولم يفت أمريكا بالطبع إستخدام (هراوة) المخدرات ضد حكومة أفغانستان الموالية للسوفييت . فقال مكتب مكافحة المخدرات الأمريكي ومركزه إسلام أباد، وهو المكتب الذي تكلمنا عنه سابقا، قال في تقرير له إلى الكونجرس الأمريكي أن زراعة الأفيون قد إزدادت كثيرا في أفغانستان ليس فقط بسبب الحرب بل بسبب فساد المسؤولين الأفغان والسوفييت وأن محصول الأفيون قفز الى(300-400طن)عام 1985 بعد أن كان(140-180طن)في العـام الـسابق 1984وأشارت الدراسة المذكورة إلى تزايد معامل الهيروين في شرق أفغانستان بعد أن قامت بـاكستان بهدم معامل الهيروين في مناطق القبائل الواقعة على حدودها (**صحف باكستان فى 86/2/27**).

قصة طريفة نوردها موجزرة،مع كونها تصلح مادة لفيلم من الكوميديا السوداء:

ذكرنا أن حاكم الأقليم (فضل حق) كان في فترات ولايته لأمور الاقليم الحدودي قد تحول ، تحت إشراف ضياء الحق، إلى واحد من كبار تجار الهيروين في العالم.(وساعدة شقيقة في أمور تلك التجارة عبر البحار).

كان (لفضل حق) مزارعة ومصانعة لإنتاج الهيروين من نبات الأفيون، ورغم أنه يحظى بدعم رسمي غير معلن الا أنه واجة منافسة شرسة من قادة قبليين أقوياء يمارسون نفس النشاط بصورة تقليدية متوارثة وشائعة بين قبائل المنطقة منذ عهد الإحتلال البريطاني للهند(وذلك عمق تاريخي هام لتجارة المخدرات في المنطقة. فهي كتجارة وزراعة جاءت على يد البريطانيين بهدف ترويجها في المنطقة الهندية وفي الصين بشكل خاص بل وفرضت إستيراد الأفيون على الصين عبر حربين طاحنتين في القرن الماضي أسميت بحروب الأفيون).

من كبار منافسي فضل الحق في نشاطه الإقتصادي كان القائد القبائلي (والى خان كوكي خيل) وهو شيخ طاعن في السن إلا إنه عنيد وشجاع ونشط . كانت التوازنات القبلية والحرب

الأفغانية تمنعان فضل حق من إستخدام القوة ضد غريمة . فالسوفييت على إستعداد لتقديم المال والسلاح لأي قبيلة تتعاطف مع قضيتهم في أفغانستان وكان الزعيم (كوكي خيل) قوي قبليا ويتمتع بدعم سري من حكومة كابل. ولكن الفرصة السانحة حانت عند إقتراب إستبدال(فضل حق) بحاكم جديد للولاية. وقبل تنحيته بفترة وجيزة إستخدم فضل حق أقصى صلاحياتة في توجية ضربة عسكرية ضد خصمة العنيد مستخدما قوات الميليشيات من حرس الحدود مع وحدات من الجيش .والهدف المعلن للعملية هو مقاومة المخدرات في المنطقة. وحطمت الحملة عددا من معامل الهيروين وعدد من قرى قبيلة(كوكي خيل) وإضطر الزعيم العجوز إلى الفرار إلى أفغانستان حيث قابلته حكومتها كبطل قومي..ومن هناك هدد البطل بشن حرب عصابات ضد حكومة باكستان، وكان يمكن للوضع أن يتفاقم ويزيد من تهاوي الوضع الداخلي الضعيف، فإستخدم ضياء الحق كل رصيده من الدهاء حتى أقنع العجوز بالعودة للتفاهم واعداً إياه بتلبية كل ما يريد.

عاد وإلي خان كوكي خيل إلى باكستان وتسابقت الصحف على إجراء المقابلات الصحفية معه وكانت لا تخلو من طرافة وصراحة جارحة، ومن ضمن التصريحات ما أدلى به في أول فبراير 86 حيث قال:

(إنه يزرع الأفيون وليس في ذلك عيب ولا يمنعه الدين) ولكن الضغوط الأمريكية على باكستان هي التي جرمت هذا الفعل. وهاجم سياسة باكستان ووصف أمريكا بأنها العدو الأول للإسلام.

كما هاجم وإنتقد الأحزاب الأفغانية في بشاور والمهاجرين الأفغان، وهدد بأنه سيكشف أسماء المتعاملين في تجارة الهيروين في باكستان وأن من بينهم عدداً من كبار المسئولين!.

وقال بأنه يعرف من هو ملك الهيروين الذي تورط شقيقه في عمليات تهريب دولية، "يقصد الجنرال فضل حق"، ودافع عن نفسه فيما نُسِب إليه من إستلام أسلحة من حكومة كابول الشيوعية، فقال إن ذلك تقليد قديم بين القبائل ومنذ عهد الملك أمان ا .

وأن قبائل كثيرة تسلمت أسلحة. فهو ورجاله لم يتسلموا سوى ألفي قطعة سلاح أغلبها بنادق كلاشنكوف روسية وصينية وبعض أسلحة أمريكية (!) (بينما تسلمت قبائل جنوب وزيرستان (8.500) بندقية يوم العاشر من ديسمبر 1985. أما قبائل شمال وزيرستان فقد تسلمت (6.500) بندقية حتى فبراير 1985.

ونفى (والى خان) إدعاءات غريمه فضل حق بأنه إستطاع فى حملته العسكرية تدمير **70%** من معامل الهيروين فى المنطقة وقال أنه على العكس فإن محصول الأفيون هذا العام يبشر بزيـادة كبيرة !.).

*__ولعلنا__ نستنتج من تصريحات (والى خان كوكى خيل) مدى الإنتعاش الذى كانت تعيشه زراعة المخدرات وتصنيع الهيروين فى باكستان آنذاك ، ومع ذلك تتعامى التقارير الأمريكيـة عن ذلك بل وتمدح مجهودات باكستان وتعاونها فى مجال مقاومة المخدرات .

ولا شك أن ذلك جزء من الثمن المدفوع لتعاون باكستان فى قضية أكثر أهمية هى الحرب فـى أفغانستان .

ولا شك أن الدفع بواسطة المخدرات هو أسلوب إتبعته أمريكا فى مجال سياستها الدولية ، فيكون جزء من تجارة المخدرات سواء فى الزراعة أو التصنيع أو التجارة فـى الـسوق المحلـى أو الأسواق العالمية . وهى طريقة لا تكلف الخزينة الأمريكية فلساً واحداً ، فهى لا تقـوم سـوى بإستخدام قوتها العسكرية والسياسية والإقتصادية فى الإستيلاء على سوق تلك التجـارة وحجـز

الجزء الأعظم من عائداته لنفسها ثم تقسم الفتات على عملائهـا الـصغار مـن حكـام دول أو سياسيين أو ضباط جيش واستخبارات .
وهذه القاعدة سارية أيضاً فى المنطقة العربية وأمريكا اللاتينية ودول آسيا المختلفة خاصـة دول المثلث الذهبى الشهير بإنتاج الأفيون إلى غير ذلك من أصقاع العالم بما فى ذلـك روسـيا ودول أوروبا الشرقية

الإرهـــاب

الإرهاب بند هام فى سياسة أمريكا الخارجية فبينما تمارسه على أوسع نطاق بواسطة قواتها المسلحة مباشرة خاصة ضد الدول الضعيفة جداً من الدرجة العاشرة كما فعلت مع ليبيا (عام1986) . وفى فترات مختلفة ضد بنما ونيكارجوا وجزيرة هاييتى (بينما تركـت للأفغـان والمتطوعين العرب مهمة مواجهة الجيش الأحمر السوفييتى مع مساعدتهم دعائيـاً وبالأسـلحة الفاسدة والمفخخة، بشهادة مسئولين أمريكيين).
كما تمارس الإرهاب بواسطة حلفائها مثل إسرائيل وحكومات العرب المرتدة وحكومات أمريكا الجنوبية الإستبدادية ... إلخ .
المهم هنا أن"الإرهاب" لم يستخدم أمريكياً ضد باكستان رغم تزايد أعداد العرب المشاركين فى " الجهاد الأفغانى" زيادة ملحوظة هذا العام، لم يكونوا "إرهابيين " آنذاك بل "مجاهدين " على حد توصيف الإعلام الدولى والعربى .
ولكن باكستان ، كعهدها منذ نشأتها ، تعاونت مع المخططات الأمريكية فى تشويه صورة خصوم أمريكا ، حقيقيون كانوا أو مفتعلون . فقامت باكستان بإدارة دفة الإتهامات صوب ليبيا متهمة إياها بالتورط فى عمليات الإرهاب داخل باكستان . وإتهمت "عمار" وهو موظف ليبى يعمل فى شركة ليبية /باكستانية مشتركة مقرها كراتشى بأنه زعيم عصابة البلطة . وأنه إستغل مكتبه فى إدارة عمليات تلك الشبكة . وأنه درب أفرادها ومولها . وعليه فقد قام فريق من رجال الإستخبارات الباكستانية "بإختطاف" عمار، وإحتجازه لمدة شهر تقريباً ، تم خلالها إستغلال الحدث دعائياً إلى الحد الأقصى ثم سلموا ذلك الموظف (أحمد محمد عمار) إلى السفارة الليبية فى أوائل يونيو1986.
الإتحاد السوفييتى والهند فى المقابل شنا حملات دعائية عنيفة ضد باكستان متهمين حكومتها بتبنى الإرهاب الموجه ضد السوفييت فى أفغانستان، عن طريق تدريب وتسليح رجال المقاومة الأفغانية - وممارسة نفس الدور مع " الانفصاليين" من طائفة السيخ.
وكلا الإتهامين صحيح بلا جدال ، ولكن باكستان ومعها أمريكا تصدتا للحملة ونفيتا بشكل قاطع تلك الإتهامات ، تصاعدت مباريات عض الأصابع خلال1986. ودفع الأمن الداخلى لباكستان ثمناً فادحاً . ولكن ضياء الحق صمد وسط الأنواء بمساعدة وثيقة من حلفائه الألداء، أمريكا والسعودية .
المحور الآخر ، السوفييت وحلفاؤهم، مضوا قدماً فى تصعيد حملة الإرهاب الداخلى. حتى طالت رموزاً للتواجد الأمريكى والسعودى كما حدث فى تفجير مكاتب الطيران السعودى والأمريكى فى كراتشى(86/5/19).
جاء الرد قاسياً فى سبتمبر نفس العام حين أغتيل الملحق البحرى فى السفارة السوفيتية فى إسلام آباد نهاراً داخل سيارته. وفى برودهم التقليدى رد الباكستانيون أن القاتل"ظفر أحمد"إنما

هو عميل لوكالة الإستخبارات السوفييتية وقد وعده الملحق بإبتعاثه إلى الإتحاد السوفييتى، كما لم يدفع له أموالاً متأخرة من مستحقاته ، فقام الجانى بقتله داخل سيارته فى الشارع العام فى المنطقة الخاصة بالسفارات.

ردت وكالة تاس بحملة عنيفة وإتهمت باكستان بأنها (وكر للإرهابيين من كل جنس) وهو الإتهام الذى إستخدمته أمريكا بعد عدة سنوات لتغطية حملتها ضد المجاهدين العرب وطردهم من باكستان"فى **1993**" .

لقد وصفت أمريكا وحلفاؤها من الحكومات العربية،وصفت المجاهدين العرب بالإرهاب . وهو الوسام الذى لم يحظى به المتطوعون فى صفوف " الثورة الفلسطينية" أو فى صفوف الجيش العراقى فى حربه ضد إيران . رغم أنهم بلغوا آلافاً عديدة فى كلا الحالتين . وذلك كما يتضح من المقتطفات الصحفية التالية:

(.. صرح زعيم بنجلاديشي مناصر للثورة الفلسطينية أن أربعة آلاف من أتباعه قد قاتلوا فى صفوف الثورة الفلسطنية وقتل منهم أربعمئة عنصر أثناء الإجتياح الإسرائيلى للبنان عام1982 كما أسر منهم 476شخصاً ، وأن ثلاثة آلاف من العائدين يعانون من البطالة والفقر) . **الوكالات85/12/1.**

ولو علم ذلك الزعيم ، ما حدث للمتطوعين العرب فى أفغانستان الذين قتل منهم 500عنصر على الأقل لحمد ا على ما هو فيه من نعمة ، فهؤلاء المتطوعين وعائلاتهم لم يعانوا فقط من البطالة والفقر، بل تعرضوا للإعتقال والمطاردة كإرهابيين دوليين وبعضهم قتل تعذيباً فى السجون أو أعواد المشانق ورصاصات أمن الدول المرتدة .

.. مقتطف آخر من صحيفة الثورة العراقية **(85/4/19)** يقول :

" متطوعون من 9 دول عربية ينضمون للجيش العراقى للحرب ضد إيران وأن**89%** منهم قدموا من مصر ينضمون إلى جانب 20ألف متطوع عربى آخرمن السودان ـ الصومال ـ لبنان ـ سوريا ـ المغرب ـ تونس ـ الأردن ـ اليمن ـ فلسطين ـ أرتريا ".

ومع هذا لم نسمع تشويهاً دعائياً أو ملاحقات أمنية بتهمة الإرهاب ضد "العراقيين العرب " أو" الفلسطنيين العرب" كما حدث مع إخوانهم البؤساء من "الأفغان العرب" هل السبب هو النجاح الذى حققته الفئة الأخيرة فى مقابل الهزيمة أو العار الذى لحق بالفئتين الأولى والثانية. أو أن ذلك يعود إلى " إسلامية " الفئة الأخيرة فى مقابل "ثورية" الفئة الأولى و" قومية" الفئة الثانية أم أن السببين معاً أديا إلى الحرب الصلبية الدولية ضد المجاهدين العرب فى أفغانستان أو " الأفغان العرب "على سبيل التحقير والإستهجان كما أطلقت عليهم الصحافة العربية!!. صحافتنا كما قادتنا السياسيون .. مجرد أبواق تنعق بما تسمع. أو أنها تتكلم بما يأمرها به الغرب . حتى وصل الأمر أن طالبت دول الخليج بأن تحضر أمريكا قواتها لإحتلال بلادها (!!) بل أنها دفعت تكاليف ذلك الإحتلال مع أجرة القوات بإعتبارها جاءت بناء على طلب الحكومات المحلية وتلبية لمطالبها (!!).

مثال مشابه فى أحداث 1986،عندما أقامت دولة الإمارات علاقات دبلوماسية مع الاتحاد السوفييتى . وصل أول سفير سوفييتى إلى أبوظبى فى شهر أكتوبر من ذلك العام. وفى مقابلة مع جريدة الاتحاد(!!) فى **86/10/23** عزف سعادة السفير على كل الأوتار التى تطرب شيوخ الخليج ـ ولكنه أغفل الوتر الأفغانى تماماً وكذلك فعلوا فلم يفتحوا الموضوع بتاتاً وكأن أفغانستان سقطت فجأة فى قعر بئر مظلم .

القضية الأولى فى الخليج وقتها حرب العراق ضد إيران حيث وضعت دول الخليج كل ثرواتها خلف صدام حسين . فقال السفير أنه لا بد من إيقاف الحرب لأنها تحول دون قيام جبهة شرقية ضد إسرائيل!! وقال بكل صراحة:(لولا صداقتنا للعراق وشحنات الأسلحة السوفييتية للعراق لكان الأمر فى غاية الصعوبة.. ولن أذيع سراً إذا قلت أننا نمد العراق بأسلحة سوفييتية لأنه توجد معاهدات دفاع مع العراق تم توقيعها منذ سنين طويلة وقبل بداية الحرب مع إيران).

وبالفعل كان للسلاح السوفييتى ، إلى جانب السلاح الفرنسى،دوراً أساسياً فى صمود العراق وإنزال خسائر هائلة بإيران. وقد أسفر ذلك عن نزوح مئات المليارات من دولارات النفط الخليجى إلى خزانة الدولتين. وربما لأجل ذلك تمكن الروس من الإستمرار فى القتال لحوالى عشرة سنوات ضد المجاهدين الأفغان الذين كان يأتى تمويلهم "الحقيقى" من أبواب مساجد دول الخليج .

علماء البنتاجون

الإمارات بمبادرتها الجريئة توجه هذه المرة لطمة عقائدية قاسية للمجاهدين الأفغان. فقد سافر وزير الأوقاف الإماراتى كى يشارك فى الإتحاد السوفييتى فى مؤتمر "السلام العالمى"! الذى عقد فى مدينة باكو فى شهر نوفمبر1986.وعاد سعادته منتشياً بالزيارة ويكيل المديح بلا حساب، أوحياء ، للحكومة السوفييتية واصفا أحوال المسلمين كأنهم يعيشون فى الفردوس المفقود، مكذباً كل ما قيل عن بؤس أوضاعهم. أدارت معه الحديث صحيفة الخليج (إمارة الشارقة) وهى جريدة قومية عربية معارضة لجهاد الأفغان.

وكأن صحيفة الإتحاد لم تتحمل "نفاق سعادته" رغم كونها صحيفة حكومية ـ حيث أن ذلك سوف يفقدها المصداقية وهى الجريدة التى إحتلت مكاناً مرموقاً تبنى قضية أفغانستان منذ وقت مبكر جداً كما ورد معنا فى أوائل هذه الأحاديث. مجلة منار الإسلام التى تصدر عن وزارة الأوقاف أوردت نص الحديث فى عدد ديسمبر 1986 (**العدد الرابع السنة الثانية عشر**) .

ونقتطف منه بعض المقاطع، "قال فضيلته": إن حكومة الاتحاد السوفييتى تؤازر المسلمين هناك وتحترمهم وهذا مما يزيد من محبتنا وصداقتنا وعلاقتنا بتلك الدولة الكبرى. إن حكومة الإتحاد السوفييتى تتيح الحرية للمسلمين فى دينهم وفى معايشهم وفى أفكارهم ، وإظهار معالم دينهم المتمثلة فى المساجد والمعاهد الدينية . وقد شكرنا المسئولين هناك على إعطاء هذه الحرية للمسلمين وسوف ينفتح العالم الاسلامى على الإتحاد السوفييتى كما أن دول الخليج العربية ستتابع هذا الإنفتاح بهدف توثيق الصداقة بينه وبين دول المنطقة .

من خلال هذا السؤال حول المناهج التعليمية وجدت أن عند المسلمين حرية لدراسة ما يشاؤون من مناهج دينية..عرفت أن لديهم نظاماً تعليمياً دينياً راقياً ورائعا وربما لا يوجد مثله عندنا(!!). ووجدت عندهم علماء أجلاء ـ شباب علماء ـ لقد حضر المؤتمر أكثر من150 عالماً من مسلمى الإتحاد السوفييتى كما أن لديهم أئمة معينون للمساجد ، قابلت بعضهم ، ولهم رواتب من الحكومة وأحوال هؤلاء حسنة...لقد سمعنا هناك أحاديث غير صحيحة عنهم. وضحك قائلاً آفة الأخبار رواتها ..والسبب عدم تتبع الأمور تتبعاً دقيقاً .

لا.. لم نلاحظ هذه القيود ..ولم نشعر بذلك أبداً .لقد قابلنا منهم كل تسهيل وحسن ضيافة ولباقة .وقابلنا دماثة الأخلاق وحسن الكلام مع المسئولين السوفييت الذين إلتقينا بهم كوزير الأديان ووزير الثقافة ، ورئيس وزراء أذربيجان الذى دعا كل الضيوف ورحب بهم أجمل

ترحيب فى كلمته وتعرض فيها لحرية الأديان ، وقال: لكل إنسان هنا الحرية فى أن يتخذ ما يشاء ويعتقد ما يشاء من دين (!!).

ونفى سعادته أن يكون مسلمى الاتحاد السوفييتى يتعرضون لإضطهاد دينى كما تزعم صحافة الغرب .وأن المسلمين هناك يردون على ذلك .

وعن المشاكل التى يوجهها المسلمون هناك قال سعادته لم نحس بشئ(!!)الظاهر من حالتهم أنها حسنة، وعيشتهم طيبة ملابسهم جيدة . وأعتقد أن الحكومة شاركت فى الإنفاق على هذا المؤتمر ..لأن الخدمات التى قُدمت للضيوف فى الفنادق كانت شيئاً عظيماً وإنفاقاً جزلاً(!!)(إ.هـ).

ـ وبالمناسبة فإن فضيلته يمتلك فندقاً فى أبوظبى يدعى فندق ستراند..وتقدم فيه الخمور بشكل إعتيادى ،ويقدم كل"الخدمات الأخرى" التى تقدمها الفنادق هناك ـ ويمضى فضيلته فى غزله للحكومة السوفييتية فى عبارات مثل الدرر تتناثر فى ثنايا المقال مثل: وقد سمعنا من المسلمين هناك الثناء الطويل(!) والشكر الجزيل لحكومتهم مما زاد من محبتنا (!) لهذه الحكومة

.. ومثل: إنطباعاتى جيدة وفيها محبة(!) حتى للحكومة السوفييتية(!) بما رأيت من حسن معاملتهم.. وحسن أخلاقهم (!) أفراداً ومسؤولين .أقول لك واحدة من جوانب اللطف عندهم : وزير الأديان كان لطيفاً جداً معى(!!) لقد فتح باب السيارة لى بنفسه وأنا خارج من مكتبه فى موسكو ..ويقول لى هذا قليل فى حقك رداً على ما قلته ..هذا كثير.

ومثل: قلت لوزير الثقافة إرفعوا شكرى لفخامة أمين الحزب والحكومة على ما رأيناه من حالة إخواننا المسلمين والحريات التى يتمتعون بها(!!).

ولم يقصر فضيلته فى شرح الإسلام فى جلسات المؤتمر بما يتناسب مع حالة العشق والهيام التى وقع فيها تجاه الحكومة السوفييتية ومسئوليها، وقال فضيلته ضمن ما قال:

(إن الإسلام حين دعا إلى السلام ونشر مبادئه فى الناس عبر عن أصل أصيل ينبع من أعماقه ويتجلى فى كلياته وأصوله ويتفجر حياة فى مختلف جزئياته وأصوله.. فمصطلح السلام فى الإسلام لايقف عند حدود الألفاظ لأنه ليس مصطلحاً سياسياً محدوداً، ولا شعاراً شكلياً أجوف ، بل يستند إلى أصول ثابتة وقواعد راسخة وعقيدة جامعة) .

هذا هو الإسلام الذى بشر به فضيلته في الاتحادالسوفييتى ..إنه السلام أولاً وأخيراً..

ولا أدرى إذا كان فضيلته وهو يتمتع بأطايب الشراب والطعام فى موسكو.. إن كان قد تناول لحماً أفغانياً مشوياً..أو لحما عربياً مفروماً..من تلك الأجساد التى كانت تمزقها قنابل وصواريخ الطائرات السوفييتية فى نفس اللحظات التى كان فضيلته يهيم عشقاً وغراماً بالمسئولين السوفييت ، والرفيق سكرتير الحزب الشيوعى ميخائيل جورباتشوف.

أليس هذا ما يقوله علماؤناعن مفهومهم للسلام أمام يهود إسرائيل الذين وطؤا حرم الجزيرة بأحذيتهم العسكرية، وصفقاتهم المالية؟.

ليس غريباً إذن أن يصبح العرب الأفغان "إرهابيون" متطرفون وأن تلاحقهم شرطة الإمارات والسعودية وأن تقتحم عليهم حتى الطائرات أثناء عبورهم البلاد (ترانزيت) وتسلمهم لحكومات بلادهم كي تحقق معهم المخابرات الأمريكية مع مباحث أمن الدولة؟؟.

فضيلة الخزرجى مع مئات الأفاضل مثله حولوا الإسلام إلى دين تحت الطلب. والطلب يأتى من جهة على حجم صاحب الفضيلة: فإما يأتى من السلطات مباشرة أو من وزير الداخلية..

أو حتى من الملازم ضابط قسم الشرطة أو المباحث فى المنطقة ، وصاحب الفضيلة يضع الإسلام فى القالب الذى يناسب صاحب الطلب .

لقد شاءت أمريكا سيدة جميع حكومات المسلمين ـ أن تتحول صيغة الحرب الأفغانية من "جهاد مقدس" إلى " حرب أهلية " تلك هى الصيغة القادمة لتوصيف تلك الحرب خاصة بعد إتمام الإنسحاب السوفييتى الذى بات محتوماً وإن لم يتحدد له موعد حتى الآن .

وبدأ أصحاب الفضيلة فى التمهيد لذلك التبدل العقائدى لطبيعة الحرب تبعاً للمشيئة الأمريكية ـ وليست الإلهية .وسوف نشاهد بعد الإنسحاب السوفييتى تزايد الزيارات الدينية إلى كابول ـ التى مازال ماركسية ـ يقوم بها أصحاب فضيلة وصحفيين وممثلين تقدميين حتى أن بعضهم عمل بشكل دائم فى كابول لتحطيم الصيغة العقائدية للحرب وترسيخ أن الجهاد قد إنتهى وما يحدث الآن هو فتنة بين الأشقاء .

رأينا قضاة عرب يحاكمون المجاهدين والأسرى والمساجين من المجاهدين العرب والأفغان ويحطمون بشكل منهجى مرتكزهم العقائدى عن الحرب الجهادية فى أفغانستان.

وصحفيون إسلاميون (!)من أمثال ذلك الشئ المسمى (الحمزة دعبس) رئيس تحرير جريدة النور الإسلامية(!) التى تصدر فى القاهرة.. والذى لم يدع فرصة للحضور إلى كابول فى المولد النبوى وغيره من مناسبات، كى يؤكد إسلامية حكومة نجيب ا ، كما يؤكد دوماً إسلامية نظام "حسنى" فى القاهرة وغيره من أولياء الأمر فى بلاد العرب الإسلامية(!).

....

.. على كل فإن تصريحات فضيلة الخزرجى تناقضت تماماً مع خبر كنت قد أرسلته إلى جريدة الإتحاد فى**(86/1/2)**. يقول الخبر :

<u>علماء أفغان يلجأون إلى باكستان:</u>

بشاور ـ الإتحاد

علمت الإتحاد أن عدداً من العلماء المسلمين قد فروا من أفغانستان حيث كانوا يعملون فى خدمة الحكومة الأفغانية ولجأوا إلى باكستان .

وقد كان العلماء الفارون ضمن وفود من علماء أفغانستان زارت موسكو هذا العام . فى محاولة لإستخدامهم فى الدعاية داخل مساجد أفغانستان للحد من روح الكراهية والمقاومة فى نفوس الشعب الأفغانى تجاه السوفييت .

وصرح واحد من هؤلاء العلماء للإتحاد أنه منذ مايو الماضى أرسلت حكومة كابول ثمانية مجموعات من العلماء لزيارة المناطق الإسلامية داخل الاتحاد السوفييتى وأن كل مجموعة كانت تضم من 10 إلى 13عالماً .

وكان الموضوع الرئيسى الذى طلبته موسكو من هؤلاء العلماء هو إقناع الشعب الأفغانى بصداقة السوفييت للإسلام والحرية الدينية التى يتمتع بها المسلمون هناك .

وقال العالم لقد إقتنعنا أكثر من أى وقت مضى بكذب الدعايات السوفييتية حول ذلك الموضوع.] إ.هـ

ونرى الآن مدى التناقض بين ماكتبته وبين ما قاله فضيلته ولا شك أن هذا التناقض يضع أحدنا موضع إتهام. والذى أفهمه هو أن مثل هذه المؤتمرات التى حضرها الخزرجى تكون تحت إشراف مباشر ودقيق من الإستخبارات السوفييتية(كى جى بى) حتى أن معظم أئمة المساجد فى

الإتحاد السوفييتى والعلماء الرسميون ـ كما هو فى باقى بلاد الإسلام ـ هم تحت سلطة الدولة وأجهزة إستخباراتها .

كان السوفييت يجهزون بعناية جواً إسلامياً إستخباراتياً لأمثال تلك المناسبات العالمية . وليس ذلك إستنتاجاً منى.. بل هى معلومات إستقيتها من أفغان تعرضوا لمحنة الزيارة الإجبارية ومحاولات التجنيد من قبل السوفييت أثناء إحتلالهم لأفغانستان، حيث أرسلوهم فى بعثات تعليمية وإستطلاعية فى الجمهوريات الإسلامية الخاضعة للحكم السوفييتى . ومنهم إستقيت مادة الخبر السابق .

السلام الخادع

من الأحداث التى نالت شهرة هذا العام ذلك الحكم بالإعدام غيابياً والذى أصدره(نجيب ا) فى كابول ضد ثلاثة من قادة الجبهات المشهورين وهم جلال الدين حقانى(فى باكتيا) وأحمد شاه مسعود(فى بانشير) . ومنصور أغا(ولاية باغلان)(فى86/7/20) وكان نجيب قد طلب منهم تسليم أنفسهم خلال فترة محددة ينعمون خلالها بالعفو العام.

وكان الحكم والمهلة السابقة له موضع تندر من المجاهدين فى الجبهات. لأن القوات السوفييتية قد منيت بخسائر فادحة فى محاولتها الفاشلة للسيطرة على مناطق هؤلاءالقادة، فكيف يستطيع نجيب ا إعدامهم بقرار إدارى؟.

السوفييت لعبوا بورقة إنسحاب جزئى لقواتهم ، وإستفادوا من ذلك سياسياً دولياً وأفغانياً . وصاحب ذلك أخبار عن عودة عشرة ألاف جندى وضابط أفغانى دربوا لمدة ثلاث أو أربع سنوات على أساليب حرب العصابات لمواجهة المجاهدين . كان ذلك فى النصف الثانى من أكتوبر .أعطى السوفييت إشارة مضللة بأن الإنسحاب بات وشيكاً ولم يكن ذلك صحيحاً ولكنه أفادهم سياسياً على الأقل فى التقدم نحو منطقة الخليج التى بدأت تنفتح عليهم رسمياً. وتنادى بصيغة الإسلام المسالم (كما رأينا فى زيارة الخزرجى) بدلا من صيغة الإسلام المجاهد، التى كانت معتمدة هناك رسمياً لعدة سنوات .

كما بدأت موجات مسالمة تهب من الصفوف الخلفية فى منظمات بشاور التى بدأت فى تشكيل مجلس شورى مشترك بين المنظمات، شمل فى معظمه شخصيات بارزة من المجاهدين. إن مجلس الشورى الجديد يحتوى 23 شخصاً من عائلات دينية ولكنهم شخصياً ليسوا معروفين بالتدين بل كان بعضهم شيوعيون . سوف يتولى هؤلاء مناصب مستشارين فى المجلس ثم وكلاء وزراء فى المستقبل عند التسوية. على أية حال فالإنسحاب السوفييتى كان شكليا تماما وقال ضياء الحق وقتها أن جهاز إستخبارات قد رصد وصول15ألف جندى سوفييتى وذلك قبل إنسحاب الكتائب الستة والمقدرة بثمانية آلاف جندى.

وقال الأمريكان أن أربعة كتائب من تلك المنسحبة كانت غير ذات قيمة فهى إما قوات دفاع جوى ـ أكتشفت متأخرا أن المجاهدين ليس لديهم سلاح طيران ـ أو قوات دبابات ثقيلة من طراز (تى ـ 62) ولم تكن ذات فائدة تذكر فى حرب أفغانستان.

والأهم فيما أظن هى تلك القوات التى أعلنوا أنها تدربت لديهم وعادت لتقاتل وفق أسلوب حرب العصابات . وأقول أنه منذ قتالهم ضد المجاهدين فى أماكن مختلفة من البلاد. وظهر

إسم"كليم جمع"او"جام جم " كما ينطقها الأفغان كإسم يثير الفزع فى نفوس المجاهدين فى أكثر الحالات .

رافق ظهور تلك الميليشيات تنامى الفساد والتحلل والإختراق فى صفوف المجاهدين وتحول العمل الجهادى إلى نوع من الإرتزاق والتنافس الشخصى والقبلى الذى تدثر تحت غطاء "حزبى " أى ستار المنظمات الجهادية . كانت أكثر الدعايات المثارة حول تلك الميليشيات غير حقيقى ولكن أخطاء المجاهدين كانت السبب الأساسى فى تضخيم إنجازات تلك الميليشيات . ولكن الذى لا أشك فيه أن عددا كبيرا من الضباط العقائدين من صغار السن قد عادوا من الإتحاد السوفييتى ليعطوا حقنة إنعاش للنظام .أكثر هؤلاء قد إنضم إلى "الحرس الخاص" الذى يعمل مباشرة تحت سيطرة الرئيس نجيب ا .

وإذا حكمنا على المستوى العسكرى لضباط (جارد خاص) على إعتبار آداء ذلك الضابط الذى أسره المجاهدون فى أحد المعارك فى خوست عام1990، فهو بلا شك مستوى رائع إذا قيس بالمستوى العام للجيش الأفغانى آنذاك. لقد اشاد المجاهدون الذين أسروه بشجاعته وإصراره وثباته حتى جرح وتم أسره . وظل متماسكا وعدوانيا طوال الوقت. حتى حضر بعض ضباط الإستخبارات الباكستانية لرؤيته فانفجر باكيا، ولا أنكر أننى أشفقت عليه وقتها.
ولكن تلك الجرعة من المقويات جاءت متأخرة كثيرا عن وقتها وقد دب التحلل والوهن فى المؤسسة العسكرية الأفغانية ودمرت كوادرها المؤهلة والحزبية. وإنفصل الجنود تماما عن ضباطهم ،وساد الشك بل والقتال أحيانا بين الميليشيا وجنود الجيش وضباطه .

....

إعتمد الكونجرس الأمريكى مبلغ نصف مليون دولار لإنشاء مركز إعلامى"للمجاهدين الأفغان" يكون مركزه بشاور، وقد إجتمع السفير الأمريكى بوزير الإعلام الباكستانى لبحث وسائل تنفيذ هذا المشروع .(الاتحاد86/3/14).

وكما ذكرنا سابقا فإن السفارة الأمريكية فى إسلام أباد قد عينت نفسها ناطقا رسميا باسم مجاهدى أفغانستان ،وقد أصبح هذا الوضع موضع إنتقاد وسخرية متزايدة يوما بعد يوم . فكان لابد من تكوين واجهة أفغانية مع توفير عدد من الكوادر الأفغانية التى يمكنها إقتحام مواقع التهلكة داخل الجبهات للحصول على الصور وأفلام الفيدو للمعارك التى تشكل مادة إعلامية نادرة للدعاية الأمريكية. وفى الواقع فإن أمريكا كانت تكون لنفسها "جهاز دولة فى الظل" تابعا مباشرة لسفارتها فى إسلام أباد وأجهزة الدولة فى واشنطن. وليس غريبا أن تنجح فى مسعاها ذاك ، فأصبح لديها جيشها الخاص من ضباط الجيش والأمن الأفغانى ، ورجال دولة وسياسيين وكوادر تكنوقراطية، كل ذلك يتيح للسياسة الأمريكية حتى وقت كتابة هذه السطور لأن تكون أقوى طرف خارجى يعبث بالمستقبل الأفغانى وأحداثه الداخلية وهذا لا ينفى أن حكومة باكستان مازالت حتى الآن وكما كانت دائما توفر أفضل تغطية للنشاطات الأمريكية ضد المسلمين فى أفغانستان بل وفى باكستان نفسها .

* **ولكن ماذا كانت الأوضاع فى كابل فى ذلك العام 1986؟.**

التقرير الذى سنقدمه الآن وقد أرسلته إلى جريدة الإتحاد فى (86/9/22) وتم نشره فيما بعد.

هذا التقرير يلقى بعض الأضواء على المفاصل الجوهرية للحياه فى تلك العاصمة المنكوبة.
مصدر تلك المعلومات كما فى التقرير هو القائد عبد القهار الذى لم يكن سوى"عبد الحق" الرجل البارز فى حزب اسلامى (مولوى خالص) وشقيق"حاجى دين محمد" دينامو ذلك الحزب ورجله السياسى وشقيقه الثالث"عبد القدير" أول (والى) لمدينة جلال أباد بعد الفتح .
رأيت وقتها أنه من المصلحة عدم كشف مصدر تلك المعلومات. ولست متأكدا إذا كنت مصيبا فى ذلك .ولنقرأ سويا ذلك التقرير لنسترجع صورة كابول فى ذلك الوقت العصيب تحت الحكم الشيوعى والإحتلال السوفييتى .

(راجع ملحق المقالات فى آخر الكتاب)

* **كنت** فى بداية نفس العام أجريت مع "عبد الحق" حديثا مطولا حول أوضاع "المقاومة الأفغانية"ونشر ذلك الحديث فى جريدة الإتحاد،تناول نقدا جريئا واعيا لأخطاء المنظمات الجهادية والعمل العسكرى والسياسى للمجاهدين . وقال "إن أخطائنا فادحة"..ومالم نصحح المسار فقد نواجه الهزيمة " هذا ملخص ما جاء فى الحوار.
وقال بأن أساليب المجاهدين مكلفة وتستهلك أرواحا وذخائر أكثر من المطلوب وأنهم لا يتبعون الأساليب الصحيحة لحرب العصابات . وقال أيضا أن الفشل السياسى الأكبر هو عدم توحيد المنظمات وعدم العثور على قائد مناسب لقيادة الجهاد . كما أن المنظمات أهملت العمل السياسى فى صفوف الشعب فأتاحوا فرصة كبيرة لبقاء النظام الشيوعى الذى إستفاد من ذلك الفراغ .
ومن نفس ذلك الطراز من الشباب المثقف المجاهد كان الدكتور"عبد الحى" الذى كان يشتغل منصب نائب أحمد شاه مسعود فى منطقة بانشير ، والذى أجريت معه حديثين موسعين فى عامى1984ـ1985وأعطى صورة مشرقة نابضة بالحياه لبانشير وقائدها أحمد شاه مسعود الذى كنت أكن له تقديرا كبيرا لكفاءته العسكرية والإدارية . وقد زكت أحاديث الدكتور عبد الحى ـ وهو شاب فى الثلاثينات مثل عبد الحق ـ زكت ذلك الإنطباع الذى لازمنى حتى قرب نهاية الحرب بمدة قصيرة، وإكتشفت بعدها أننى لم أكن على صواب،وأن الصورة كانت مضيئة أكثر من اللازم ،وأن كثيرا من الظلال القاتمه كانت غائبة عنى . فأنشغالى فى مناطق الجنوب منعنى من التفرغ للذهاب إلى هناك، خاصة وأن ذلك كان سيستغرق وقتا طويلا لم يتوفر لى. والسبب الآخر هو عدم حصولى على مصدر موثوق ومحايد يمكن ان يزودنى بحقيقة ما يحدث فى بانشير . والشباب العربى لم أكن أثق فى تقديراتهم فهم إنفعاليون عديمى الخبرة ، وهم فى العادة لا يرون أكثر من لون واحد إما أبيض أو أسود ، ولا شيء بينهما . من السلبيات التى كانت غائبة ، وحتى إن وصلت لى لم أكن لأصدقها لعدم ثقتى فى المصدر ، هى أن مسعود قد غاص إلى أبعد من ركبتيه فى دماء المسلمين ، وبدون وجه حق سوى فرض سلطانه والقضاء على منافسيه .

* وإن مسعود عقد إتفاقات كثيرة غير معلنة مع السوفييت ومرات مع القوات الشيوعية ، وأن آخرون من القادة دفعوا ثمن تلك الإتفاقات .
* أن مسعود قد إستخدم الآموال ببراعة فى شراء مواقع هامة من ضباط الجيش وإستغل ذلك دعائيا بشكل واسع لتكوين سمعة عسكرية وسياسية لمعارك لم يقم بها أصلا.
* أن مسعود كان على علاقة بفرنسا كدولة،عبر هيئات طبية وصحفيين، و قدمت له خدمات كبيرة فى مناطقه. ويقال ان عسكريين فرنسيين قدموا له دعما وإستشارات عسكرية أيضا.

* أن جزءا كبيرا من سمعة مسعود هى نتيجة إهتمامه بالإعلام الدولى ، وإهتمام ذلك الإعلام به خاصة الإعلام الفرنسى والإعلام الغربى عموما، لما لمسوه فى مسعود من ليونة دينية، وتسامحا مع السلوكيات الغربية. "وقد قتل بعض المجاهدين عددا من الزائرات والزوار الفرنسيين والغربيين الذين تمادوا فى إظهار حريتهم الجنسية وسبح بعضهم عراة فى مياه بانشير العذبة " .

* مازال مسعود حتى الآن (مايو1995) يشغل منصب وزير الدفاع فى كابول منذ الفتح أى أقوى رجل فى الدولة واقعيا. ويرى البعض أن صراع مسعود /حكمتيار إنما يعكس صراع حقيقى أكبر من صراع فرنسى /أمريكى/روسى على أرض أفغانستان . ولهذا التفسيير نصيبا ملموسا فى المصداقية، سواء حاليا أو فى سنوات الجهاد.

****

الفكر الدينى والسياسى والحركى للمجاهدين العرب (عام 1986)

فى ذلك العام تبلورت ملامح ذلك الفكر وظلت غالبة مع تعديلات بسيطة حتى إنسحاب السوفييت فى فبراير1989وعندها حدثت إنعطافة كبيرة عند كثير من الشباب، لكن الأغلبية ظلت على حالها مع تعديلات غير جذرية .فما هى ملامح ذلك التوجه الفكرى لعرب الجهاد فى افغانستان ؟

* لا جدال فى أن الدكتور عبدا عزام هو الرائد الفكرى الأعظم للتجمع العربى الجهادى فى أفغانستان وإستمر كذلك حتى إستشهاده فى نوفمبر1989وإن كانت مكانته قد تراجعت بدرجة ملموسة فى ذلك العام .

* والدكتور عبد ا عزام هو المؤصل الشرعى للجهاد فى افغانستان بل للإنبعاث الجهادى الذى تلاه. كما كان المنظر السياسى الأساسى لذلك التجمع العربى وما خلفه من عمق إسلامى فى بلاد العرب وتجمعات المهاجرين فى أوروبا وأمريكا بشكل خاص .

وبعد ذلك كان الدكتور عبد ا عزام هو المهندس الأوحد للنشاط العربى فوق التراب الأفغانى، وهو الدور الذى فقده سريعا بظهور "أسامة بن لادن " كمحرك جهادى عسكرى ذو زخم هائل. كما فقد الكثير مع تكاثر البثور العربية الجهادية على الوجه الأفغانى وإستقلاليتها المالية والفكرية والتنظيمية . لم يأت الدكتور عبد ا بجديد فى تأصيله الشرعى او رؤيته السياسية ولكن ميزته الكبرى كانت مصداقيتة وعاطفته الجياشة التى أكدها بإنغماسه الميدانى الكامل وبلا تحفظ فى الخضم الأفغانى .

لقد أمتطى الرجل أعلى منبر جهادى فى عالم هذا القرن وألقى خطابه الدينى المؤثر ودافع عن الجهاد كفريضة وسبيل وحيد للدفاع عن وجود الأمة أمام الأخطار التى عصفت بها . ولا شك أن كتابات الدكتور عبد ا وخطبه المسجلة تعتبر شاهدا على عصرها وتاريخا لفكر التجمع الجهادى العربى فى افغانستان .

الرافد الآخر لذلك الفكر كانت المجلات "الإسلامية " !! التى يتبع معظمها حركة الإخوان والتى لم تخرج عما كان يردده الدكتور عزام . وإن إفتقدت بالطبع المصداقية التى تمتع بها

نتيجة ممارسته الميدانية ، وبالمثل يمكن القول عن عشرات او مئات الخطباء والنشرات الإسلامية فى أنحاء شتى .

*لا يمكن إهمال الخطاب الدينى والسياسى الذى وجهه "سياف" الذى كان القيادة الشرعية والمثالية فى نظر الدكتور عبدا والأوساط الاسلامية جميعها آنذاك وعلى رأسها الإخوان .
وسياف بلا منازع أفضل من فهم وتعامل مع النفسية العربية والعقلية المسطحة التى تتمتع بها.
وفاز نتيجة ذلك بأكبر قدر من المليارات العربية التى تدفقت نحو أفغانستان.

كان دفاع الدكتور عبد ا عن فريضة الجهاد دفاعا رائعا ومؤثرا أما طرحه السياسى فكان يفتقر إلى نفس الدرجة من العمق فى مجالات السياسة الدولية والعربية . أما فى مجال السياسة الأفغانية فكان كارثة بكل مافى الكلمة من معنى ، فهو لم يدرك أبعاد اللعبة الدولية الكامنة والمهيمنة على الحرب الأفغانية . ولم يدرك أو لم يرد أن يدرك تآمر وفساد قيادات بشاور وعلى رأسها القيادات "الأصولية "والتى وضعها فى أعلى عليين حتى آخر أنفاس حياته فى خطاباته العامة . ورغم أن له آراء مخالفة فى بعض جلساته الخاصة ـ ولكنه على الأرجح خاف من أثر الصدمة علي الرأى العام الإسلامى ونفسيات الشباب الجهادى وأقدامهم على الجهاد فى أفغانستان ـ كما أنه ظل يمنى نفسه بأن معجزة ما سوف تحدث فى الوقت المناسب كى تعيد هؤلاء القادة إلى صوابهم ،حسب إعتقاده، لولا عوارض بشرية وضعف أمام الزعامة والأموال والسمعة . وكانت تلك أفدح أخطائه ،رحمه ا .

كانت هناك التأثيرات السعودية فى مجال الفكر سواء فى مجال الدينى أو فى مجال السياسى

فى عام 1986 كانت تلك التأثيرات فى طورهات الجنينى ولكنها تنامت وإزدهرت حتى بلغت أوجها بعد إغتيال الدكتور عزام لتصبح هى التيار الأعلى صوتا والأقوى قدرة، بعد ان إمتلك وسائله الخاصة على الساحة الأفغانية (تنظيم جميل الرحمن السلفى فى كونار) وصحيفته الخاصة (مجلة المجاهد).إضافة إلى إعداد كبيرة من مكاتب ثقافية وإغاثية وبيوت ضيافة للشباب وغيرها.
الدفعة الأولى من الشباب السعودى قابلتهم فى خوست فى أعقاب معركة جاور. وكان ذلك هو الإحتكاك الأول من نوعه وأدهشنى تكوينهم الفكرى. فمن ناحية دينية فهم سلفيون حتى النخاع ومن ناحية سياسية يجهلون كل شيىء تقريبا فيما عدا شيىء واحد يغنيهم عما سواه ألا وهو إيمانهم المطلق بأن "المملكة " هى الدولة الاسلامية الوحيدة على ظهر الأرض وأن "جلالته " هو ولى أمر المسلمين والقائم على خدمة قضايا الإسلام فى المعمورة.وقد صرح بعضهم أن جميع الملتزمين فى المملكة قد بايعوا الملك!!وأفهمونا انهم يعملون فى أجهزة الدولة بوازع الخدمة الدينية سواء فى الجيش أو أجهزة الأمن!!أما مرجعيتهم العليا فهى بلا منازع الشيخ عبد العزيز بن باز ـ حفظه ا ـ (كما يعقبون بعد النطق بإسمه) .

* على المستوى الإعتقادى أظهر لنا هؤلاء أولوياتهم الإعتقادية وعلى رأسها الإعتقاد بأن الشيعة هم العدو الأكبر للإسلام وأن(إيران الخمينى) هى الشيطان الأكبر. وان القتال ضد الشيعة أولى من القتال ضد اليهود والنصارى أو الشيوعيين .

* أن افغانستان مليئة بالشركيات وعبادة القبور وبدع الصوفية وأن مقاومة ذلك كله أولى من قتال الروس . وإلا والحال هذه فإن القتال الدائر هو قتال بين مشركين (الشعب الأفغانى) وكفار(الإتحادالسوفيتى) وبالتالى ليس جهادا فى سبيل ا !!.

لقد وقع الإحتكاك بين هذا التيار السعودى الوافد حديثا وتيار الشيخ عبد ا مؤسس التواجد العربى . وقد حاول الرجل أن يمسك العصى من المنتصف لإدراكه بأهمية التمويل السعودى

للأحزاب الأفغانية ولنشاطات مكتب الخدمات الذى يديره فى بشاور . لذلك وافقهم فيما يخص قضية الشيعة كما لم يعترض على إسلامية المملكة أو دور مليكها فى خدمة الإسلام ولكنه تصدى بشدة لما يتعلق بشركيات الأفغان وتصنيف قتالهم على أنه معركة بين المشركين والكفار . وكان له تفنيدات رائعة لهذه الإدعاءات وأمثالها، خاصة بعد ما تزايدت مجهودات هؤلاء فى تغيير المنكر باليد واللسان داخل أفغانستان نفسها او فى معسكرات المهاجرين ومستشفيات علاج الأفغان فى بشاور وكويتا وغيرهما من المدن الحدودية. حتى أوشكت الفتنة أن تقع أو أنها وقعت أحيانا وتم تداركها بسرعة، بسبب تحرك المخلصين ولحاجة الجميع للأموال السعودية.
وربما تبينت الحقيقة للجميع بعد سنوات، خاصة بعد الحملة الصليبية على جزيرة العرب تحت إسم عاصفة الصحراء وحملة "تحرير الكويت" ثم ماأعقبها من إستسلام جماعى من الأنظمة العربية لإسرائيل ، وكل تلك الأحداث مدعومة بفتاوى من(بن باز) ومن على شاكلته من علماء المملكة تبين للجميع، أو من المفروض أنهم تبينوا، أن تلك الفتاوى السلفية لم تكن سوى سياسة ملكية حولها هؤلاء العلماء إلى فتاوى شرعية مدعومة بالدليل من القرآن والسنة!! .
* من ناحية المنطلق كان الدكتور عبد ا عزام سلفيا بمعنى أنه لم يلتزم بمذهب معين وكان يبارك علنا المنطلقات السلفية فى العقيدة والأحكام الشرعية(الفتاوى) وبذلك طبع التجمع الجهادى العربى فى أفغانستان بالطابع السلفي وظل كذلك حتى نهاية تواجده ومن لم يكن سلفيا فى ذلك الوسط كان(يكتم إيمانه) أو يتقوقع داخل وسط مشابه بعيدا عن الأعين المترصدة والألسن الحادة وربما الأيدى الممتدة بالأذى .
كان لذلك التبلور الفكرى السلفى نتائج عملية على النشاط العربى فى أفغانستان ونتائج سياسية خاصة فيما يتعلق بروابط المجاهدين العرب بإخوانهم الأفغان وأيضا الباكستانيين الذين نزل العرب ضيوفا على بلادهم خاصة فى بشاور .
وفى ظنى أنه كان مؤثرا فى الفكر الإسلامى الجهادى فى كثير من الدول العربية خاصة حركتى مصر والجزائر اللتان نشطتا جهاديا منذ عام1991ـ1992وما تلاه من أعوام .
* من النتائج العملية لذلك الإستقطاب السلفى هو سيادة النمط السعودى على إجمالى النشاط العربى فى أفغانستان وباكستان ومن هذه السمات .
*الإنفاق المفرط غير المدروس أو المبرمج .. فأثار ذلك موجة من الفساد(بعضه متعمد) بين أوساط الأفغان سواء مجاهدين كانوا أو مهاجرين، كما أثار حفيظة أكثرهم وأوقع بينهم العداوة والبغضاء والتنافس غير الشريف والتسابق على أموال العرب . فزاد الكذب والرياء والتصنع والزيف حتى وقع القتال لنفس السبب أى الحصول على أموال العرب .
وقد ظل التواجد العربى طوال الحرب ينظر إليه كمصدر رزق والنظرة إلى العرب تحددت فى الجانب المادى أساسا وقليلا ما تعدته إلى الجانب القتالى، ولما كان العرب ينفقون بلا تبصر، ويقعون بسهولة فى حبائل المحتالين والمنافقين فقد أطلق عليهم بعض الأفغان لقب" الحمير التى تحمل أموالا!!".
وقد أخبرنى الشيخ جلال الدين حقانى بعد أن تشتت العرب وإنتهت قصتهم من أفغانستان إلا قليلا منهم ، قال "إن الأفغان ينظرون إلى الدماء التى فى عروقكم على أنها من ذهب!!".
إن النظرة إلى العرب كتماثيل من ذهب قد أضاعت معظم فرص التأثير الدينى والسلوكى والفكرى والعسكرى التى كان يمكن أن يمارسها العرب ويؤثرون بها على الشعب الأفغانى الذى كان فى أمس الحاجة إليها .

*عدم القابلية للتنظيم أو العمل المنظم من أبرز سمات عرب الجزيرة وهى نفس صفات قبائل الأفغان . وبهذا لم نقدم جديدا للجهاد . والفوضى الأفغانية دعمتها فوضى عربية فأصبح الجهاد نوع من الفوضى المركبة التى يستحيل إعادة تنظيمها. وذلك واحد من أسباب كثيرة لكون المجاهدين الأفغان لم يتحدوا قط ـ لا فى بشاور ولا فى الجبهات ـ إلا فى مصادفات مؤقته، كذلك التجمع العربى الذى ظل ينقسم بإستمرارية حتى أسدل الستار على مشهد مأسوى لتجمعات ميكروسكوبية متباغضة والإستثناء من ذلك نادر .

ومن الأشياء ذات الدلالة أن جميع تلك التجمعات العربية المتناثرة على أرض أفغانستان بلا ضابط أو رابط كانت لها مصادرها التمولية الخاصة من داخل المملكة . مصادر إختلط فيها الرسمى بالشعبى ، أو هى شعبية مرضى عنها رسميا، بدليل أن كل ذلك ـ تقريبا ـ قد توقف عندما سحب الملك مباركته عن العمل العربى الجهادى فى أفغانستان .

* التنافس الوطنى ظهر مبكرا فى بشاور حتى وصل إلى داخل مكتب الخدمات ودارت الصرعات وصل بعضها إلى درجة التفاهم بالقبضات. ومع سطوع نجم "أسامه بن لادن" إرتفعت الحمية القبيلية هذه المرة وكون عرب الجزيرة ـ وحتى اليمن ـ تجمعات مستقلة هدفها الأول هو مزاحمة بن لادن . كان ذلك يتم بشعارات مختلفة بعضها دينى والآخر سياسى، تماما كما هو الحال لدى الأفغان . بالطبع الإخوان أنشأوا معسكرا ومجموعات حتى لا يترك المجال فارغا أمام ذلك الخطر الداهم (بن لادن) ، كما قال أحدهم فى أعقاب معارك جلال آباد أو خلالها " لن نترك أسامة بن لادن يتحول إلى رمز وراية فى أفغانستان " هكذا وبكل وضوح وبدون المداراة التقليدية لدى الاخوان .

* تحول كبار المتبرعين ،أو جامعى التبرعات فى السعودية إلى مراكز تأثير سياسى وأحيانا تحريك عسكرى وإن كان غير راشد، ولكنها ظاهرة بدت واضحة منذ معارك جلال اباد.
وأصبح لهؤلاء مجموعات عربية تعتمد عليهم فى التمويل وكذلك جماعات أفغانية ، ونادرا ما أسفر ذلك عن شيىء إيجابى. ومرة أخرى كان نشاط "بن لادن" مستهدفا حتى لا يتحول إلى (بطل الجزيرة) فى أفغانستان . وقد كان الرجل مؤهلا حتى لأكبر من ذلك الدور لو أنه سعى إليه. ولكنه للأسف حصر نفسه فى حدود أقل بكثير مما تؤهله له القدرات المالية والبشرية التى تجمعت حوله .

* غلبت شخصية البدو الرحل على التجمعات العربية فى أفغانستان. وعلى المستوى الفردى كانت الشخصية الأغلب هى لذلك المجاهد ذو الحقيبة الجاهزة دائما فوق ظهره.. فهو ملول يبحث عن الإشتباك فان لم يجده فى خلال أيام يرحل إلى منطقة آخرى .. وهكذا حتى يعود إلى بلاده يائسا أو يترك الجهاد تماما ..أو يستشهد . وعلى الإجمال لم يخطر فى بال أحد من العرب الإستيطان فى هذه البلاد بعد الفتح فمعظمهم لم يتوقع أن تفتح هذه البلاد . وعند فتح كابول وبدء الحرب الأهلية ثم الملاحقات الأمنية فى باكستان رحل معظم العرب وهم فى حالة يأس وخيبة أمل من أفغانستان وبلاد العجم. لقد تركوا المنطقة رغماً عن المصالح الإسلامية الخطيرة فى مناطق خراسان وماوراء النهر(آسيا الوسطى) .التواجد العربى فى إجماله كان أشبه بهجمة الأعراب ،هجوم مفاجىء وعاصف ثم إختفاء مفاجىء ـ ولا أثر للخطة فى الحالتين .

لقد ترك المجاهدون العرب المنطقة بلا مبرر كاف وبدون إعتبار لإستمرار المصالح الإسلامية العليا، خاصة فى مناطق ما وراء النهر. كانت فورة عاطفية ،بدون تفكير وبدون نظام وبدون قيادة.. كنا مجموعات من البدو الرحل .. جاءت وإختفت ولم تترك أثراً يذكر !!

فأسلوب بدو الجزيرة واضح بلا شك .
البضاعة الرائجة بين شباب الجزيرة إنذاك هى "الفتاوى" والوسط الإسلامى الذى وفد على أفغانستان كانت بضاعته الدينية قليلة ،وقائمة على مادة الفتوى ومعظم تلك المادة يأتى علماء المملكة وعلى رأسهم بن باز ـ أما العرب المجاهدون فلم يكن بينهم سوى الدكتور عبد ا عزام الذى يستطيع أن يصدر مادة الفتاوى وبعد الرجوع غالبا لأقوال علماء المملكة . هكذا يمكن القول أن المفاتيح المالية والدينية للتجمع العربى فى أفغانستان كانت غالبا من الرياض عند الأمراء والعلماء الذين عملوا فريقا واحدا فى أفغانستان ، وما بعد أفغانستان وقبلها .
تركيبة شباب أفغانستان هى هكذا: حماس وإندفاع مضافا إليها قشرة رقيقة من العلم الدينى تتحكم فيها الفتوى مضافا إلى ذلك جهل شبه تام بالواقع المعاش خاصة جوانبه السياسية .
فما هى نتيجة ذلك الخليط ؟
*<u>**أخطر** نتائجه هى القابلية للإنخداع ، فمن السهل على أية جهة معادية للإسلام أن تستغل هذه الطاقات المندفعة وتستفيد من حركتها فى وقت معين فى مجال محدد.</u> وهذا ما كان فى أفغانستان !! وماحدث خارج هذا الإطار الشيطانى كان بالمصادفة البحته ..والنتائج الإيجابية التى حصلنا عليها نادرا ما كانت مقصودة .
والمشكلة ما زالت قائمة حتى وقت كتابة هذه السطور كيف نجاهد فى سبيل ا ولتحقيق مصالح المسلمين ؟. وقد قلتها لبعض الأصدقاء قبل نهاية الحرب:<u>"ما نحن سوى بغال تحميل" يسخدمها الآخرون لنقل الحمولات الشاقة ثم يطلقون عليها رصاصات الرحمة بعد أن تنتهى مهمتها!!" إن الحماس والبطولة وحدها لا تكفى . بدون قيادة وعقل وتدبير .</u>
انها الحرب .. والحرب لا ترحم ولا تعرف أنصاف الحلول .. ونتائجها تبقى طويلا جدا .. ولا تمحوها إلا حرب آخرى .
*فى نهاية ذلك العام (1986) كانت لى جلسة مع بعض شباب مجاهدين جاءوا من مصر بعضهم وصل حديثاً ،وبعضهم قبل عدة اشهر. بعضهم خريجى جامعات وآخرون كانوا ضباطا فى الجيش . وأذكر أننى رددت أمامهم أمثال تلك الأراء التى لم تكن بالقطع مقبولة لديهم آنذاك ،وربما مازال بعضها غير مقبول حتى الآن، سواء منهم او من غيرهم من شباب الجهاد . من أمثال تلك الأراء ، التى تلخص نظرتى إنذاك لتلك الأجيال المتدفقة حماسا للإسلام وجهادا فى سبيل ا ولكنها لم تضع قدمها بعد على طريقة العمل الصحيحة ..قلت لهم:
إنكم لا تشكلون خطرا على أى نظام، فالطريقة التى أراكم تتصرفون بها وآرائكم التى سمعتها منكم، تدل على أنكم لستم سوى إزعاج أمنى للنظام يمكن لجهاز الأمن ـ مهما كان متواضعا ـ ان يتعامل معه باقتدار .
إنكم تعملون بشكل علنى إقرب إلى التظاهر من أجل التجهيز لعمل عسكرى ضد النظام .. وهذا يعنى نهايتكم . فعملية هدم نظام قائم وإقامة نظام بديل هى عملية سياسية يستخدم فيها قدر من العمل العسكرى العنيف ، ولكنها ليست عملية عسكرية كما تتصورون ـ والتصدى لهدم نظام بدون معرفة هندسية بنائه قد تؤدى إلى مصرع القائم عليها بدون أن يلحق أذى حقيقى بالنظام. تماما كأنك تعطى كمية من المتفجرات لشخص غير مدرب وجاهل بهندسة المبانى وتطلب منه تدمير مبنى معين فإنه قد يلحق أضراراً بالمبنى ، ولكنه غالبا سيقتل نفسه بدون أن يحقق هدفه الاصلى.

تتكلمون بتقدير زائد عن بن باز وعلماء السعودية بينما لا فرق بين هؤلاء وبين مشايخ الأزهر فى مصر. فالجميع موظفون فى جهاز الدولة ،ويخدمون الملك وليس ا .
والقادة الأفغان فى بشاور ليسوا سوى عملاء، وسر الخلاف بين سياف وحكمتيار هو أن الأول موظف سعودى والآخر موظف باكستانى . وكلاهما فى النهاية يحقق أهدافا أمريكية تماما كما هى السعودية وباكستان .

*طريق الجهاد الحقيقى فى أفغانستان لا يمر عبر بشاور ولا قادتها الخونة. وطالما أن تمويل الجهاد أمريكيا "حتى وإن قامت به السعودية" فإنه لن يحقق سوى أهدافا أمريكية. أما إذا أردنا نتائج إسلامية فعلينا ـ كعرب ـ توحيد جهودنا ووضع برنامجنا الجهادى الخاص بالتعاون مع المخلصين من الأفغان ،وأن نعمل على توفير دعم مالى إسلامى مستقل لهذا البرنامج..
وهكذا قد نستطيع إنقاذ أفغانستان، والحصول على أسلوب عمل وربما جهاز عمل يستطيع أن يطبق هذه التجربة فى أماكن آخرى ، عربية كانت أو غير عربية .. أى ربما حصلنا على قوة عمل جهادية.. جهاز جهادى مقاتل ..ذو خبرة ومصادر تمويل مستقلة.. غير مرتبط بالنظرة الوطنية الضيقة التى مازلنا ندور بداخلها ، رغم شجبنا النظرى للوطنية والقومية .
"قد تصبح أفغانستان وقتها خطوة على طريق عالمية الجهاد وعالمية العمل الإسلامى ،لأن المواجهة عالمية فى حقيقتها ونحن كمسلمين لا نقاتل أبدا عدوا وطنيا بل أن الجبهة أمامنا متراصة على مستوى العالم أجمع" .

"كانت تلك صرخة فى واد.. فقط تفرق المجاهدون المصريون بين فريق مؤيد لسياف وآخر متحزب لحكمتيار.. وظلوا كذلك حتى النهاية وتركوا جميعا أفغانستان وهم أكثر فرقة وتنافرا فيما بينهم..وكأن الفرقة والتحزب فرض لاعين على "الحركة الإسلامية" .

ولا داعى لتكرار الجملة التقليدية:" لقد أضرنى هذا الكلام كما أنه لم يفد أحداً " .

وأذكر أن من ضمن ما أكدته لهؤلاء وغيرهم بأن كل من شارك فى هذا الجهاد سوف يلاحق أمنيا وسوف يبتلى إبتلاء شديدا إذا قدر له الحياة ولم يستشهد.. وعلى قدر ماكان هذا الإستنتاج بديهيا إلا أنه لم يكن مستساغا وقتها وبدا كأنه رجما بالغيب .

فى تجربة عام1986 مع العرب إكتشفت الخواص السلبية فى العمل العربى والتى ذكرناها آنفا ..وأهمها عدم القدرة على التكيف مع الأفغان والتجانس معهم بسبب الطابع السلفى العربى وميله إلى الدعوة الغليظة والتى تقود إلى جفاء أو صدام مع الآخرين.. خاصة الأفغان المتعصبين لمذهبهم الحنفى والذين يحترمون علمائهم إلى أقصى حد .

كذلك سلبية العرب فى عدم ميلهم إلى الإستقرار والعمل طويل المدى مع عدم قدرتهم على التنظيم ـ فمعظمهم ضيوف عابرون على الجهاد وربما لساعات معدودة او أيام قليلة.

لهذا قررت مع(عبد الرحمن) تكوين قوة أفغانية من طلاب العلم وأبناء الشهداء، نتولى تدريبها والعمل معها على أن نتوسع فى التجربة مستقبلا ونقنع قادة الجبهات بإتخاذ اسلوب العمل الذى ننتجه أو على الأقل ان نتكامل معهم فى عمليات مشتركة .

أما العمل مع العرب كمجموعات مستقلة كما كنا نحلم فقد فقدنا فيه الأمل تماما بعد تجربتنا الفاشلة فى ذلك العام ـ والتى سنورد طرفا منها فيما بعد .

وكانت تلك هى الفكرة التى بدأنا بها العمل فى العام التالى1987 .

ونشير هنا..وبهذه المناسبة إلى الدور الخطير الذى لعبه أبوعبدا "أسامة بن لادن" بالنسبة لتركيز الدور الجهادى العربى وبلورته وتثبته وتحويله إلى عنصر فعال على الساحة الأفغانية .

حتى أصبح ذلك العمل من معالم تلك القضية..والفضل فى معظمه يرجع إلى مجهود "أبوعبدا " الذى واجه فى سبيل ذلك مشاكل عويصة من العرب أنفسهم ومن القادة الأفغان وعلى الأخص سياف.. كما لم يكن الدكتور عبد ا عزام مرحبا بذلك الدور العربى الواسع والمستقل إلى حد ما عن قيادات الأفغان"الشرعية". كما لم ينج أبوعبدا من مؤامرات الإخوان المسلمين.. ومن مؤامرات حكومة بلاده ، السعودية. وفى الأخير لم ينج أيضا من إنتقاداتى اللاذعة لعمله ،لا من حيث جوهر الفكرة ،التى هى مطابقة لما أراه، ولكن لما شاب التطبيق من سلبيات . ويبقى دور أبوعبدا أهم دور جهادى عربى فى أفغانستان وماتلاها من أحداث جهادية فى المنطقة العربية ..ولذلك أحاديث أخرى .

وفى إعتقادى أن أهم شخصيتين عربيتين فى قضية أفغانستان على المستوى الجهادى هما عبدا عزام وأسامة بن لادن. الأول فى مجال الفقه والتحريض والدعوة والآخر فى مجال العمليات العسكرية والتنظيم والدعم المادى . وفى إعتقادى الخاص أن كلا الرجلين يقف فى مصاف عظماء الحركة الإسلامية فى هذا القرن . ولا يعنى هذا التقرير العالى مع حبى الشخصى للرجلين من خلال تجربة ورحلة تعاملات جهادية فى أفغانستان ، أننى سوف أخفض من لهجة إنتقادى لأخطائهما فى حال تعرضنا لذلك فيما تبقى من أجزاء هذا الكتاب .

والسبب هو أننا بصدد عملية تقييم لتجربة إسلامية خطيرة بهدف إستخراج الدروس والعبر للأجيال القادمة. أما الأفراد فانه لا يعنينا شأنهم بشكل شخصى.. إلا بقدر دراسة الأعمال لإستخراج النتائج التى قد تفيد أجيالا قادمة .

* وأشير مرة أخرى أنه من مزايا تجربة أبوعبدا إنها كونت جهازا عسكريا مستقرا من العرب.. فتقدم مستواهم التدريبى وقدراتهم القتالية . كما أنه ، وهذا هو الأهم ، قد إنتقل بمفهوم الجهاد وتنظيم الجهاد من الوطنية ـ التى وصمت ومازالت ـ التنظيمات الجهادية العربية ، وتحرك الرجل فى مجال عالمية الجهاد بمفهوم الأمة الإسلامية التى تجاهد صفا واحدا "وإن كان المفهوم قد إهتز لديه بعد نكسة الحرب الأهلية فى كابول..وتحت تأثيرات المجموعات المصرية العاملة معه والتى إعتبرها الأشد وطنية فى العمل الإسلامى المعاصر. كما لم يستطيع أبوعبدا تطوير وضعه التنظيمى بحيث يواكب ذلك الهدف الواسع.. وكان ذلك مصدرا . لتعثر حركته وإرتدادها نسبيا إلى المفهوم الوطنى أو القومى.."

جهاد ... قطاع خاص !!.

ملاحظة آخرى حول تجربة(أبوعبدا) وهى قدرته المالية الشخصية المتفوقة التى وفرت له قدرا كبيرا من إمكانية النجاح كما أكسبته مصداقية لدى العرب.. خاصة فى ساحة شاهدت الكثير من الإنتهازيين والمرتزقة ومحترفى جمع التبرعات. ومن جاءوا كى يستفيدوا من شهرة القضية الأفغانية والإقبال الجماهيرى عليها.

مع العلم بأن المجهود التنظيمى لأبوعبدا فى مجموعته "القاعدة"، والتنظيمات الإسلامية الوطنية لم تستوعب جميعا الشباب العربى.. وظل القطاع الأكبر طليقاً خارج جميع الأطر التنظيمية للجماعات الإسلامية .

وأخيرا فإن أبوعبدا قد إبتكر نمطاً تنظيمياً غير مسبوق ،وربما غير ملحوق أيضاً ، وهو نمط الممول الأوحد والقائد الأوحد لتنظيم جهادى .

بما يعنى تلقائياً ظهور "الإستبداد المالى" داخل التنظيم الجهادى بما يحمله من خطر محتم بأن يتحول التنظيم إلى ملكية خاصة، وربما تعبير عن نزوة مليونير ، قد تكون نزوة صالحة ،ولكن من يضمن كيف تكون إذا أصبحت قابلة للتكرار مع ممول آخر؟؟.

فهى ظاهرة يمكن تصنيفها على أنها "جهاد قطاع خاص" وبعد أن كانت تلك الحركات عرضه لسطو حكومات عليها، أصبح ذلك ممكنا للأفراد أيضاً فى ظل ظروف خاصة ، فهل يمكننا القول أن الجهاد قد عرف الخصخصة كما عرفها النظام الدولى "الأمريكى" الجديد الذى نعيش تحت مظلته وفي صدام معه ؟؟.

* مازالت تجربة أبوعبدا قابلة للمزيد من البحث والتحليل ، مع إعتقادى أنها تجربة سعودية خالصة بكل ما تحمله من إيجابيات أو سلبيات. فهي تحمل معها بصمات مجتمع معين، بصماته النفسيه والفكرية والمذهبية ، مع قدراته التنظيمية وفكره السياسى المحدود . مع الأخذ فى الإعتبار أن أبوعبدا يمثل قمة المؤشر المثالى فى المجتمع السعودى ، رغم أنه لم يتمكن من أن يتخلص تماماً من محدوديات ذلك المجتمع وطرق تفكيره . وكقاعدة عامة فإن القيادة والتوجيه ينبغى ألا تترك فى أيدى الممولين وأصحاب رؤوس الأموال. فمؤهلات القيادة شىء قائم بذاته ، وليس ميزة ينفرد بها الممول فراداً كان أو مجموعة، بل يجب منع هؤلاء من التأثير على قرارات القيادة، حتى لا يصبح المال هو القائد وليس الفكر والملكات القيادية .

* كذلك من المفروض أن يكون التمويل مسئولية وفريضة عامة ، لتمويل الجهاد كما أرشدنا إلى ذلك القرآن الكريم ، وبالتالى يشعر الجميع بالإرتباط بالجهاد والمسئولية عن مسيرته، ومتابعتها ومحاسبة قيادتها ، أما الإنفراد بالتمويل فهو إنفراد بالقرار ، مع إنتفاء المسئولية أمام جمهور المسلمين ، و بذلك يسهل الشطط و الإنحراف.

□□□□□□□□□□□□□□

يوميات تحركاتنا بعد معركة جاور

الأربعاء 86/4/23م

الإنفجار الضخم الذى سمعناه عصر الأثنين، كان تفجيرا أجراه العدو لتدمير بعض منشآت "جاور" قبل الإنسحاب منها . ويوم أمس الثلاثاء تأكدت الدورية التى أرسلها حقانى أن القاعدة خالية. فأمرهم بإحتلال قمم الجبال حتى يرسل مجموعات أخرى للتفتيش عن الألغام وإزالتها. بعد الفجر تحركت مجموعاتنا صوب بارى. عثرنا على سيارة لنقلنا.(كان معى عبد الرحمن،أبوحفص،أبوعبيدة البنشيرى،أبوصهيب المصرى،أبوجهاد المصرى).

كانت مهماتنا جاهزة منذ الليل، وهى عبارة عن أسلحة خفيفة. ومعدات توجيه وإطلاق صواريخ كاتيوشا تحتوى أجهزة إطلاق لاسلكية تم صنعها فى بشاور فى ورشة خاصة بالعرب تابعة لسياف. وجهازين آخرين صنعناهما بأنفسنا بأن حولنا جهاز لاسلكى لألعاب الطائرات الصغيرة حولناه إلى جهاز إطلاق لحوالى ثمانية صواريخ فى كل مجموعة .

أصطحبنا سيارة أخرى للمجاهدين،وقبل وصولنا إلى المكان المقصود وهو مركز صديقنا منان ،

أدركتنا الطائرات المعادية . فقفزنا بسرعة من السيارات وإختفينا خلف التباب القريبة. ولكن الطائرات إشتبكت مع أحد المدافع المضادة للمجاهدين ، وكان مدفعا وحيدا ، تلقى عدة صليات من الطائرات المهاجمة ولكنه لم يصب بأذى.وصلت إلينا عدة شظايا من قنابل الطائرات وبدون أن تحدث خسائر بنا .

فى مركز منان قابلنا عدد من شباب البدو الذين رحبوا بنا. حاولنا معرفة أوضاع المنطقة فكانت التقارير متضاربة. لم نجد إجابات واضحة لأسئلتنا مثل:أين العدو الآن؟ هل تقدم فى المنطقة؟.. هل بث العدو ألغاما فى مناطق المجاهدين ؟ .

الشيىء المؤكد هو أن هذا المركز هو آخر مركز للمجاهدين وأن المنطقة أمامنا خالية من المجاهدين فى كل سلاسل الجبال حتى وادى خوست. ولا أحد يدرى هل إستخدم العدو تلك المناطق أو أين وضع الألغام !!.

النتيجة التى خرجنا بها أن المجاهدين قد فروا من المنطقة ولم يواجهوا العدو فيها كما حدث فى حملة العام الماضى ولدرجة أنه لا أحد يدرى ماذا حدث فى المنطقة أثناء فترة غياب المجاهدين عنها .

أكثر ماكنا نخشاه هو الألغام. فالعدو يستخدمها بكثرة وبدهاء شديد ،والأماكن التى نريد العمل بها سوف تكون مستهدفة أكثر من غيرها لأن العدو يدرك خطورتها على أمن المطار .

مازلنا بعيدين جدا عن مناطق عملنا.. نريد مساعدة من المجاهدين فالشباب هنا فى المركز عددهم قليل ولا يكفون لغير حراسة المركز والذخائر الموجودة فيه .

عاد عبد الرحمن إلى ميرانشاه لإحضار "سمير جول" وعدد من رجاله حتى نبدأ معه إستطلاع المنطقة إلى "تودة شنى" ثم ننزل منها فى مناطق ما بين جبل تورغار وجبال (دروازجى) وهو المحور الموازى للمطار حيث منطقة عملنا .

طلبت من عبد الرحمن أن يشترى لنا بغلين حتى ننتقل بهما عبر الجبال بدون أن نستخدم ممرات السيارات التى قد تكون ملغومة .

مركز منان عبارة عن غرفة محفور خلفها مغارة واسعة فى الجبل للإنتقال إليها سريعا فى حالة القصف. وإلى جوارها ساحة صغيرة مستوية ومغطاة بحصى أسود صغير وتستخدم كمصلى. وعلى بعد خطوات مغارة عميقة فى الجبل ذات فتحة دخول ضيقة وممر مائل إلى أسفل ومتوجه إلى بطن الجبل ثم يرتفع قليلا مرة آخرى قبل إنتهاء المغارة بقليل ، وفيها وضعنا أسلحتنا والذخائر والمعدات التى إصطحبناها للعمل . وقبل المغرب توجهنا إلى قمة الجبل لعلنا نلاحظ بعض أحوال المنطقة. كان جبل تورغار ممتدا أمامنا بعظمة مهيبة على بعد حوالى7 ـ 8 كيلومترات والحركة فوقه قليلة جدا. فحصنا ظهره شبرا شبرا بواسطة المنظار المقرب.. شعرت بشيء من القهر والغيظ ..كم كان يبدو منيعا ومستعصياً !!.

أقلعت طائرة ضخمة من المطار..لم يتعرض لها احد..فهذه مهمتنا التى لا يقوم بها سوانا!.. أحزننى ذلك ..ها هو العدو يسحب قواته بطائرات النقل الضخمة ولا أحد من المجاهدين يشيعهم بقذيفة!!..القوات الروسية من الكوماندوز كانت تنتقل دوما بالطائرات أما الجيش الأفغانى فهو ينتقل برا حيث المشقة البالغة والأخطار المميته .

الخميس 86/4/24:

بعد صلاة الفجر صعدنا قمة الجبل لإلقاء نظرة على المنطقة. مدينة خوست خضراء رائعة ممتدة على سطح الوادى الفسيح..من يسكن هناك؟ كيف يعيشون ؟.. آين يتمركز العدو؟ وفى آى شيىء يفكر؟.. كيف يعيش فى مدينة محاصرة دوما..ومعارك دائمة ؟ لا أكاد أرى شوارع ..أين الناس ؟..هل أمشى يوما فى تلك المدينة؟ أنه حلم بعيد ..بعيد.. بعيد، الموت أقرب وأسهل.. وأجمل..كيف بيوتهم؟.. مدارسهم؟ ..الشوارع؟.. ما هى مشاعرهم ؟..الجنود غرباء محاصرون لا يرغبون فى قتالنا، الميليشيات متوحشة همجية لا ضمير لها..تريد المال.. لو دفعنا لهم لصاروا معنا ..

كلما نظرت إلى خوست أقع دوما فى دوامة من الأحلام ..حتى صارت خوست أكبر أحلامى ..منظرها الرائع من فوق الجبل يسرقنى من نفسى ،فلا أكاد أفيق إلا على هزة صديق أو صوت قذيفة مدوية تعيدنى إلى قسوة الواقع. ليس فى خوست ما يشير إلى كونها مدينة ..البيوت ريفية واسعة مبنية من الطين، حولها الماشية والأبقار ..أشعر بالضيق بل العار ..كيف يغادرون هكذا ؟.. كان يمكن قتلهم فى هذه اللحظة وإحراقهم داخل تلك الطائرات وفوق مدرج هذا المطار الترابى.. وصلت قاذفات القنابل فايقظتنى من أفكارى المتلاطمة .. سقطت قنابل كثيرة ولكنها بعيدة عنا..فهمت المقصود أنه قصف وقائى لتأمين تلك الطائرات المقلعة .. خوفا من أن يقصفها أحد أثناء الإقلاع ..ولكن من سيفعل ذلك؟.. فمازلنا نحن بعيدين ونحتاج إلى وقت طويل حتى ننشىء "قواعد الصواريخ" الخاصة بنا.. سوف نحرق الكثير من تلك الطائرات يوماً.. هكذا كانت أفكارى كلما شاهدت ذلك المدرج الترابى الذى يرقد كثعبان أبيض ضخم .

الجمعة 86/4/25:

من فوق الجبال راقبنا الطائرات وتورغار ..تكاثرت السحب فنزلنا كى نأخذ قسطا من الراحة داخل المغارة.. بدأت الأمطار تتزايد تدريجيا..لم نهتم كثيرا فى البداية فقد بدأنا نستغرق فى النوم. لم يلبث أن مر أمام فتحة المغارة خيط رفيع من مياه داكنة إنحدرت من أعلى الجبل وما هى الإ ثوان حتى تحولت إلى نهر متلاطم إقتحم علينا المغارة..إنتفضنا فزعين فهناك جزء من أمتعتنا قرب باب المغارة . التى إكتشفنا سوء هندستها فهى منحدرة إلى أسفل حتى قرب نهايتها حيث ترتفع وكان الماء أسرع منا فقد غمر جزء كبير من الأمتعة ، وطفى بعضها فوق سطح الماء.. وتحولت منطقة المنتصف إلى بركة فسيحة غمرها الماء إلى أعلى من منتصف أجسامنا.

هل نغرق داخل تلك المغارة ؟. يالها من نهاية سخيفة !!ومضى ذلك الخاطر فى ذهنى مثل البرق..ولم يكن أمامنا من خيار سوى البقاء داخل المغارة ومحاولة إنقاذ ما يمكن إنقاذه من أسلحة وذخائر ومعدات.فقد بقى جزء من أرض المغارة لم يغمره الماء فى نهاية طرفها المغلق. .. وهناك بقينا إلى أن يقضى ا أمرا كان مفعولا .ليس هناك من مخرج آخر لتلك الحفرة وأمام الباب يندفع نهر غاضب من الماء العكر يمكنه أن يحمل جملا ويحطمه فوق الصخور .

إنتهى كل شيىء فجأة كما بدأ .. حتى أن الشمس أشرقت مرة أخرى .. ثيابنا مبتلة ، وكذلك الحقائب بما فيها من ملابس إحتياطية .. والأهم من ذلك كله الأسلحة ومعظم الذخائر .. ومعداتنا الألكترونية !!. كانت لطمة قاسية ..لابد من العودة مرة أخرى إلى ميرانشاه لمحاولة إصلاح (الرومت كنترول) .. وإذا لم نستطيع فعلينا إعادته مرة أخرى إلى بشاور حيث ورشة الألكترونيات فى (بابى) . سوف يكون العدو قد أكمل سحب قواته بالطائرات قبل أن نتمكن من

فعل شيىء. إعتبرنا ما حدث كارثة كبيرة .. ولم ندرى أن العدو على موعد مع كارثة أعظم فى الغد ..كارثه نووية فى أوكرانيا بالإتحاد السوفيتى حيث إنفجر المفاعل النووى فى شيرنوبل !! .
بعد العصر قمنا بدورية فوق قمم الجبال..حلقت فوقنا طائرات نفاثة للعدو ..ولكنها لم تقصفنا..
إلتزمنا السكون حتى غادرت المنطقة تقدمنا عدة قمم..وصفت الدورية فى مذكراتى بأنها (جيدة).
بعد صلاة العشاء جلسنا فى غرفة المعسكر نناقش برامج الغد وفجأة وصل عدد كبير من الضيوف البدو المسلحين ، إستغرقت المصافحة وقتا طويلا ثم جاس الجميع ، وكانت الغرفة الضيقة مكتظة لدرجة أن حركة الأذرع أصبحت صعبة. وتفرقت مجموعتنا فأصبحنا مثل الجزر المتناثرة وسط الأجساد القوية لمجاهدى البدو"الكوتشى" . حاولنا أن نتبادل الحديث فيما بيننا لنستكمل ما كنا فيه من موضوعات ، ولكن بلا جدوى فقد إندفع الضيوف فى سيل من أصوات مرتفعة حتى بات السيل الذى جرفنا فى الصباح أهدأ حالا من سيل الكلام فى الغرفة ..لم نستطيع التحرك عندما حاولنا الخروج..فهذا مستحيل تماما .. فكما ذكرت فإن حركة الأيدى أصبحت مستحيلة..وأخص بالذكر حركة الأيدى لأننى فشلت فى حك جسدى بأظافرى فى محاولة لتخفيف آلام قرص البراغيت التى نهشت فينا بلا رحمة.. وقد إشتهرت مراكز الكوتشى بهذه الحشرات المؤذية نتيجة تعاملهم مع الأغنام. ولما أصبح الموقف مأسويا عالجته بالضحك ..والسبب هو أننى إكتشفت أن جميع البدو فى الغرفة يتكلمون بصوت مرتفع جدا وبدون أن يحاول أى واحد منهم أن يستمع لما يقوله الآخر . وبصعوبة أيضا لفت نظر أخوانى إلى تلك الملاحظة، فأنفجروا ضاحكين حتى أمسكوا ببطونهم من شدة الضحك، ولكن لم يلتفت إليهم أحد فالجميع مشغول بالصياح ونحن العرب مشغولين بالضحك ..فكانت حقا غرفة للمجانين !!.

السبت 86/4/26 :

يوم مأساة تشير نوبل النووية فى الإتحاد السوفييتى ، ولكننا لم ندرى عنها شيئا، فليس فى المنطقة كلها جهاز راديوا واحد.. كنا بعد الفجر فوق قمم الجبال كعادتنا منذ أن وصلنا.. أفادتنا تلك الدوريات كثيرا ..وصل عبد الرحمن من ميرانشاة ومعه المجاهد (درويش) الوردكى وعصام الليبى وبالفعل تحركنا إلى ميرنشاه لكسب الوقت وبدأنا من العصر فى فك الأجهزة وتنظيفها وفحصها وإستمر العمل إلى ما بعد منتصف الليل.. إكتشفنا أنه لابد من إعادتها إلى ورشةالإصلاح فى بشاور فقد كان التلف فيها شديدا. وهكذا غادرنا ميرانشاه إلى بيشاور فجر اليوم التالى. ولم نتمكن من العودة إلا فى يوم الخميس الثامن من مايو. حيث وصلنا بعد المغرب وكنا قد إنتهينا من إصلاح الأجهزة فى بشاور.

****

الجمعة 9 مايو86

فى الصباح قابلنا الشيخ جلال الدين وكان معنا صديقى المنياوى الذى حضر للإطمئنان على حقانى بعد إصابته فى المعركة الأخيرة،أيضا كى يقضى معنا شهر رمضان فى الجبهة .
أثناء اللقاء طلبنا من حقانى تزويدنا برشاش خفيف **(جرينوف)** ،وقاذف مضاد للدروع **(أر بى جى).**
فى العصر كتبت مقالا للإتحاد تحت إسم"دولة الجواسيس" ثم شرعنا فى تجربة أدواتنا الكهربائية والإلكترونية خاصة جهاز التوجيه عن بعد الذى أسميناه "الكركور" .

السبت86/5/10(الأول من رمضان 1406هـ):

هناك مشكلة فى سوق ميرانشاه بين الحكومة وأصحاب دكاكين السلاح. نزلت مصفحات

إلى الشوارع وأغلقت الدكاكين فى مظاهرة إحتجاج. علمنا فيما بعد أن المشكلة كلها بسبب صديقنا" درويش " الذى قتل" زوج إمرأته" وقد سردنا القصة فى مكان سابق فى هذا الكتاب ،كان درويش موضع تعاطف شديد بين الناس ـ لذا أضرب التجار فى السوق تضامنا معه ،أما (أخوه فاروق) فقد سلم نفسه لسلطات الحكومة فى ميرانشاه بدلا عن درويش الذى فر هاربا إلى جاور فى أفغانستان.نزل المنياوى ـ وأبوصهيب وهو من أفراد مجموعتنا الجدد ـ وموسى مسئول بيت الضيافة الذى نقيم فيه من أجل شراء طعام لتجهيز إفطار أول يوم من رمضان.

الثلاثاء 86/5/13:

وصلنا منطقة بارى فى الحادية عشر والنصف صباحا. وتوجهنا إلى مركز منان وهناك وضعنا أمتعتنا فى المغارة الموجودة خلف الغرفة الوحيدة بالمعسكر . وعند العصر صعدنا قمم الجبل الذى أسميناه جبل منان. راقبنا المنطقة المحيطة ونشاطات العدو فوق تورغار والمطار والمدينة . مازالت المنطقة حولنا مهجورة تماما، الأرض "المحرمة" بيننا وبين العدو واسعة جدا ومهجورة ، وهذا يجعل العدو فى وضع أمنى مريح للغاية حتى مركز منان أصبح خاليا تقريبا سوى من حوالى خمسة من شباب صغار السن لحراسة المعسكر ولمناوشة العدو من آن الى آخر وذلك بإطلاق بعض قذائف كاتيوشا فى إتجاه جبل تورغار وهو الهدف الوحيد الذى يمكنهم الأشتباك معه بدون أن يتحركوا خارج جبلهم.

هذا الوضع ليس في مصلحة مجموعاتنا، فجميعنا عرب، ويلزمنا الإستعانة بعدد من المجاهدين الأفغان وخاصة من أهل المنطقة أو من الذين عملوا فيها لفترة طويلة .

أيضا فإن قلة عددنا سوف تغرى المنافقين وجواسيس الدولة وميليشيات العدو التى تتجول على هيئة مجاهدين. فقد يتحركون ضدنا إما بالهجوم أو الأسر ثم بيعنا للعدو. ولا شك ان ذلك سيضمن لهم ثروة طائلة .شهر رمضان والأعياد هى مواسم لتفريغ الجبهات من المجاهدين وفرصة للعدو كى يحسن مواقعه العسكرية . ورمضان فى ذلك العام جاء فى أعقاب معركة كبيرة طاحنة ـ ويرى الجميع أن من حقهم الحصول على قسط من الراحة ـ حتى هؤلاء الذين لم يقاتلوا فى تلك المعارك كانوا هم الأسبق فى الحصول على تلك الأجازة المقدسة خلال شهر رمضان. ولا شك أن أكثر من مائة وعشرون عائلة ـ هم عائلات الشهداء فى جاور ـ سوف يقضون شهرا حزينا وعيدا كئيبا هذا العام .

الأربعاء 86/5/14:

بعد صلاة الفجر تحركت مع المنياوى وأبو عبيدة للمراقبة من فوق الجبل. فى العاشرة صباحاً. إشتدت حرارة الشمس ـ وكنا وسط الأشجار الشوكية الصغيرة والقليلة عند القمة .. توقف العدو تماماً عن الحركة .. لا أحد يتحرك فى المدينة أو فوق تورغار...والمدرج الأبيض للمطار يتوهج تحت ضوء الشمس ولا شيىء يتحرك فوقه أو من حوله .

نزلنا إلى المركز أسفل الجبل وكانت مفاجأة غمرتنا بالفرحة أن وجدنا صديقنا الشيخ "جربوز" وهذا ليس إسمه الحقيقى ولكنه ينتمى إلى قبائل جربوز التى تمتلك تلك المناطق نعمل فوقها . وهو شيخ مسن أبيض البشرة أزرق العينين، شعر لحيته كث وقد إصطبغ بلون الحناء الأحمر الزاهى، هادىء دوماً قصير القامة يحمل بندقية إنجليزية قديمة ـ رمز الأصالة القبلية القتالية ـ كنا نعتبره أفضل عنصر إستطلاع فى المنطقة ، بل كان جهاز إستطلاع قائم بذاته ، فقد كان لا يتوقف عن الحركة بين الجبال فى كل المنطقة وحيدا، وندر أن يصطحب معه أحد حتى أخوه التوأم الذى يشبهه تماماً .

تحرك عدد من أفراد مجموعتنا مع الشيخ "جربوز" إلى مركز "عجب نور" على بعد كيلومتر إلى الشمال من مركزنا ـ وكنا نراه مهجورا تماما وخاليا من مجاهدى وزيرستان ـ أصدقاؤنا القدماء منذ عمليات المطار فى العام الماضى. أخبرنا الشيخ جربوز أن العدو لم يصل إلى هناك لذا فإن المركز غير ملغوم. ثم واصل قيادته لمجموعتنا حتى سلسلة"زرمانكى" الجبلية الملاصقة تماما لسلسلة تورغار وهناك شرح لهم مواضع حقول الألغام فوق الجبل وفى الساحة الممتدة أمام تورغار وزرمانكى.فهناك حقول بثها العدو وألغام متناثرة حتى يمنع المجاهدين من التجوال قريبا من الجبلين فهناك الكثير من النقاط الميتة التى لا يستطيع ملاحظتها من فوق الجبل ..لقد إستخدم الألغام بكثرة فى تلك المنطقة لكن المجاهدين طهروا بعضها وإكتشفوا العديد من الثغرات فيما بعد.. ولكن دفع العديدون أرواحهم أو أقدامهم وعيونهم فى مقابل تلك المزايا.

كان تقدما ملموسا فى إستطلاع المنطقة ..ومازالنا فى حاجة لمعرفة الكثير عن حقول الألغام الجديدة ،والجبال الجديدة التى ربما إحتلها العدو لزيادة تأمين مواقعه الحيوية ، خاصة فى مقابل المطار، حيث ننوى العمل .

"مفاجأة جديدة" داهمتنا بعد العصر ..فقد وصلت دفعة من الشباب السعودى إلى مراكزنا "كانوا أحد عشر شابا بقيادة "أبو فتحى " وهو رجل فى أواسط العمر وغير سعودى !!.

كانت خوست منطقة جديدة إكتشفها العرب وبدأ مكتب الخدمات يرسل البعثات إليها خاصة بعد الضجة الكبيرة التى أحدثتها معركة جاور التى إنتهت لتوها منذ أقل من شهر .

كانت معظم المراكز خالية بمناسبة إنتهاء الحملة الشيوعية وبمناسبة شهر رمضان لذا لم يجد حقانى بدا من إرسالهم إلينا، ربما ظن أن ذلك يؤنس العرب إذا تجمعوا فى مركز واحد .

كان ذلك أكبر تجمع للشباب السعودى آراه داخل أفغانستان . لم يسعدنى ذلك ، لأنهم منذ لحظة وصولهم وهم فى حالة جدال لا ينقطع حول "فتاوى" صدرت فى الجزيرة خاصة من بن باز حول قضايا مختلفة فى ميادين شتى ، من الوضوء إلى الطهارة إلى سنن الصلاة ولم يسأل أحدهم سؤالا واحدا حول الجبهة أو معركة جاور أو مواقع العدو القريبة فى المنطقة ..
وكأنهم فقط إختاروا منطقة خاوية لإقامة معسكر خاص للممارسة فريضة "الجدال" !! .

الخميس 86/5/15:

بعد الفجر تجمع الضيوف السعوديون وأعطاهم عبد الرحمن درسا فى البوصلة العسكرية وإستخدامها . فى الضحى أخبرنى أبو حفص وأبو جهاد أن الإخوة أبو عبيدة العراقى وعصام الليبى . كلاهما على إستعداد للعمل بصفة دائمة للعمل مع مجموعة خوست (مجموعتنا) على شرط واحد هو أن أترك أنا هذه المجموعة . أدهشنى الطلب.. وأدهشنى أكثر أننى أعتبر علاقتى وثيقة مع أبوحفص وأبوجهاد كما كانت علاقتى ودية جدا مع أبوعبيدة وعصام .
وكان الطلب كما فهمت موضع إرتياح من الجميع فيما عدا "عبد الرحمن" .

أيقنت وقتها أن شكوكى فى موضعها من حيث إمكانات عملى مع العرب وأننى لابد من أن أرتب لعملى العسكرى وفقا لصيغة أفغانية ، وكان عبد الرحمن ـ الذى يلاقى صعوبات فى التجانس مع الأسلوب العربى، هو الوحيد فى مجموعتنا الذى وصل إلى نفس القناعات . وبدأت معه فى البحث عن تلك الصيغة ، ومن يومها لا أستطيع منح الثقة "للظاهر"العربى الذى يخفى غالبا "باطنا" مخالفا .

كان الذى إكتشفته نظاما مزدوجا فى العلاقات الإنسانية يمكن وصفة "بالتقية" في العمل الإسلامى. وهى نوع من التآكل الداخلى الذى يدمر ذلك الوسط بحيث لا يمكنه أبدا أن يصبح بنيانا مرصوصا بل يبقى فى صيغة الركام المتساند!!.

كان عصام الليبى يعبر عن وجهات نظر سياف ، وأبوعبيدة العراقى يعبر عن وجهات نظر مكتب الخدمات ، وكلاهما متطابق بالنسبة لما يرونه فى خطورتى على الجهاد ، والشكوك التى تحيط بى ، والأراجيف التى أروجها فى "جريدة الإتحاد" عن القيادات الشرعية لذلك الجهاد.. والقلة التى كانت على صلة بى وقعت تحت طائل ضغوط نفسية لا ترحم من أوساط عرب بشاور. وهى الأمتداد الطبيعى لهؤلاء الشباب الذين لا أمثل لهم، رغما عن أى إيجابيات مصطنعة ، سوى ظاهرة مريبة تثير الإضطراب والشكوك. كنت أقدر ذلك ، وأعلم أن الفراق حتمى ، وأن الإستمرارية مستحيلة ، ولابد من عودة هؤلاء البلابل إلى سربهم العربى فى بشاور .. كى يغردوا معهم نفس الألحان . وقد تم ذلك تدريجيا وبحيث أقمنا نوعا من العلاقة كانت أحيانا مفيدة ، وأحيانا مصدرا لسوء التفاهم ومازالت تلك العلاقة مستمرة مع من تبقى منهم إلى الآن .

*بعد العصر دعانى أبوفتحى لإلقاء محاضرة فى الشباب السعودي فإعتذرت بأنى لست متخصصا فى الشئون الدينية ، فطلب أن تكون المحاضرة عى حرب أفغانستان ومسائل سياسية متعلقة بها،فتكلمت معهم عن معركة جاور ومعارك بانشير وفى الجانب السياسى إكتفيت بالتلميح إلى تقصير الجماعات الإسلامية تجاه أفغانستان ، وعدم إهتمامهم بالجهاد فيها أو رعاية العرب المتوافدين عليها وتنظيم هذا التواجد .. هذا إلى جانب كثرة الخلافات التى تؤدى إلى ظهور مزيد من الجماعات، وذلك يؤدى بدوره إلى مزيد من الخلافات وهكذا .

أبوفتحى سركثيرا من المحاضرة وتناقشنا بعدها كثيرا..وألقى وقتها إقتراحا أدهشنى حيث قال إذا كانت الحكومات العربية لا تنوى تطبيق الشريعة فليس أقل من أن تشكل الجماعات الإسلامية محاكمها الداخلية الخاصة التى تحكم بالشريعة بدلا من التحاكم إلى الطاغوت .

كانت فكرة جديدة بالنسبة لى. وكنت أعرف قبلها بان الخلافات بين الجماعات الإسلامية هو شرط حيوى لإستمرارية الطاغوت سواء كان محليا او دوليا ..ولكن بعد وقت أدركت أن وجود الطاغوت هو أمر ضرورى للجماعات الإسلامية لأنه أحيانا يساعد فى حل المشاكل فيما بينهم!.

لقد كانت أفغانستان تجربة جديرة بالتأمل .. حيث قام الطاغوت بتكوين أحزاب وجماعات جهادية..أوحلها..أو تكوين حكومة واسعة القاعدة تشارك فيها تلك التنظيمات الجهادية مع أحزاب ماركسية وملكية شقيقة!! .

* منان قائد الموقع حضر إلى المركز لتفقد الأوضاع والترحيب بالضيوف. تكلمنا مع منان عن الذهاب إلى قرية تودة شنى لإستطلاع الأوضاع هناك . ومحاولة التقرب من "دروازجى" للعمل ضد المطار فيما بعد ،إتفق معنا على أن نتحرك فى الغد فهناك أنباء عن ألغام بثها العدو وعملاؤه فى الطرق المؤدية إلى تودة شنى وأنه أرسل من يستطلع لنا الأمر .

بعد مشاورة مع أفراد مجموعتنا إتفقنا على أشراك الضيوف معنا فطلبنا من "أبوفتحى " أن يزودنا بثلاثة منهم لمشاركتنا فى مهمة الغد. وبعد أن تشاور مع جماعته كان هناك إثنان فقط مستعدان لمرافقتنا .

<u>الجمعة 86/5/16:</u>

عند العصر أخبرنا منان أن مجموعة الإستطلاع التى أرسلها قد أكتشفت عدة ألغام فى الطريق وقامت برفعها ..وأنه جاهز للتحرك غدا، سائق سيارتنا (زيرجول)كان خائفا قال أن العدو قوى جدا ومدفعيته معدة على الطريق كما أنه لم يكن واثقا من موضوع تطهير الطريق من الألغام.لم أكن راغبا فى أية مجازفة وكنت أفضل إعطاء وقت أطول للتفتيش عن الألغام. ولكن منان أصر على الحركة فى الغد ويبدو أنه كان محرجا من التأجيل ، فإن الأفغان عموما والكوتشى خاصة لا يحبون أى شبهة حول شجاعتهم أو إستهانتهم بالموت ، لم يكن ذلك يعجبنى فى أكثر الأحوال لأنه يحجب التقييم الصحيح للموقف كما يؤدى غالبا إلى خسائر جسيمة ليس لها مبرر. ولكن منان أصر على الحركة . ورحب بذلك إخواننا العرب المتعجلون دوما والذين يخجلون بدورهم من التردد.

السبت86/5/17:

فى الحادية عشر صباحا تحركت بنا السيارة ـ يقودها زير جول ـ صوب قرية"تودةشنى" منان يقود المسيرة ومعه ثلاثة من رجاله ، وكنا حوالى ثمانية من العرب منهم شاب سعودى واحد أعجبتنى شخصيته كثيرا وأخبرنا فى نهاية الرحلة بأنه طيار فى سلاح الجو. تقدمت بنا السيارة وكان إثنان على الأقل ينتابهما التوجس والقلق.. السائق زيرجول وأنا .

كنا نتلهى بالضحكات ولكن المنطقة خطيرة فهناك ساحات مفتوحة بين الجبال، وأن تعثر علينا الطائرات فلن تكون النتائج طيبة. وهناك مناطق ضيقة وأجبارية ، وأى كمين فيها أو لغم مضاد للدبابات فسوف نتناثر بين شهيد ومعوق .

ينتهى الطريق عند نقطة يبدأ بعدها فى الهبوط الحاد الملتوى فى عدة ثنيات طويلة وخطيرة لينتهى فى أطلال القرية الحزينة تودة شنى ، قبل تلك النقطة بعشرين مترا طلب منان من (زير جول) إيقاف السيارة وقفز منها بسرعة مع رجاله ،شعرنا بالخطر وتحفزنا بالسلاح ولكن منان هدأ من روعنا بأنه سوف يفتش تلك المنطقة بحثا عن الألغام وطلب منا البقاء حيث نحن . أدركت أن رجاله لم يصلوا فى بحثهم إلى تلك المنطقة وأجلوها إلى اليوم.. وقفنا فى السيارة وحولها نشاهد منان ورجاله يقومون بأغرب عملية بحث عن الألغام شاهدتها فى حياتى..إنهم يبحثون عن الألغم بأرجلهم، والبقعة التى يشتبهون فيها يرفسونها بأقدامهم عدة رفسات. ضحكت فى البداية ، ولكن غصة فى قلبى أوقفتنى عن التمادى ، وأدرت وجهى إلى الجهة الآخرى حتى ينتهى البحث ، وكنت أدعو ا ألا يحدث ما أتوقعه..عاد منان ورجاله سالمين، كان ذلك عجيبا والأعجب منه أن سيارتنا عبرت أيضا بسلام. هبطنا إلى ساحة على طرف القرية يمر فى وسطها جدول ماء، أخفى منان السيارة وسط أجمة من الأشجار ، وقال إنه سيبقى مع رجاله إلى جانبها حتى نعود. تحركت مجموعتنا العربية فى أعماق الجبال وفوق القمم الحبيبة التى مازالت أشم فيها عبير أجمل أيامنا فى أفغانستان وأنجح عملياتنا فيها حتى ذلك الوقت . وصلنا إلى مغارة (على بابا) حيث مازال كل شيىء على ما هو عليه وكأن أحدا لم يمر من هنا بعدنا ..حتى آثارنا القديمة مازالت موجودة ،بقايا أسلاك كهربائية ، بطارية قديمة، أوراق متناثرة هنا وهناك. هذا هو المطار الحبيب يبدو أقرب وأوضح . عدة طائرات هبطت وأقلعت . هناك منطقة فى الثلث الغربى للمطار تخفيها عنا إحدى القمم كنا نعتقد بوجود"مخزن طائرات" فيها ـ لم يكن تخيلنا بعيدا عن الصحة كما إكتشفت بعد ذلك بعدة سنوات. خرجت من هناك طائرة وأقلعت . هناك أيضا أربعة طائرات هيلكوبتر عسكرية (مى ـ 24) واقفة فى خط مستقيم على إستقامة المدرج من جهة الشمال.وهناك طائرة خامسة تتجول جيئة وذهاب لحراسة المطار.

واضح طبقا لخبرتنا القديمة، أن عملية نقل هامة جدا تجرى على قدم وساق ، وليس فى جانب المجاهدين من يعترض !!.

فجأة تحرك من أقصى شمال المدينة طابور طويل فى الآليات فى إتجاه الشرق إستنتجت أنها عملية إنسحاب للقوات البرية نحو جارديز عن طريق منجل الطويل الملتوى والذى يمر بمدينة جاجى ميدان ثم يعبرها وينحرف غربا قرب جاجى فى إتجاه جارديز . الإنسحاب برا وجوا مستمر على قدم وساق طوال أيام وأسابيع لقوات كثيفة بالمعدات والرجال ، ولا أحد يطارد أو حتى يناوش.. ماذا حدث ؟؟ .. لا أحد من المجاهدين يراقب ما يحدث على الأقل. إن ما يجرى مخالف لأبسط قوانين الحرب!!. إن أبسط قانون فى حرب العصابات يقول"إذا هاجم العدو نتراجع. وإذا خيم العدو نناوش ، وإذا إنسحب نهاجم" .. إن ماأراه الآن هو أن جاور قاتلت بصمود يخالف قواعد حرب العصابات فى معركة لم تخدم سوى باكستان، إذا إعتبرنا عنصر الدفاع عن الحدود، وأما باقى جبهات خوست فهى ليست ساكنة بل خالية وخاوية على عروشها. ها نحن الآن فى الأسبوع الثالث منذ شرع العدو فى سحب قوة ضخمة من صفوة قواته الضاربة عددها يتراوح مابين30ألف إلى50ألف جندى، بدون أن يخسر جنديا واحدا فى عملية الإنسحاب رغم أنه يسحب القوات الروسية جوا من مطار يسهل إصابته بوسائل بدائية كما فعلنا فى العام الماضى. ويسحب القوات الأفغانية عبر طريق منجل الطويل المرهق حيث يمكن لمجوعات من المبتدئين أن تسبب لهذه القوات خسائر فادحة .

رجعنا إلى تودة شنى فى الخامسة عصرا لم نستطيع أن نتبين أى تغير فى خط الدفاع الجبلى الممتد من داوزجى إلى شرق جبل تورغار وهو الدرع المقابل لنا عند العمل ضد المطار.

ولكن هذه النتيجة الأولية تحتاج إلى تأكيد كما أن إكتشاف المواضع الجبلية الجديدة "البوسطات" أيسر بكثير من إكتشاف مواضع الألغام الجديدة، سواء كانت على شكل حقول أو ألغام متناثرة بدهاء ونذالة . وهذا هو الإحتمال الأخطر الذى نحسب له ألف حساب .

كنا صائمين وفى غاية الإرهاق ونشعر بأن جلودنا على وشك أن تشتعل بدون نار ، فألقينا بأنفسنا فى جدول الماء الرقراق ونحن نتوق إلى جرعة منه . إبتلت ملابسنا وأجسادنا،بينما منان ورجاله يضحكون من تصرفنا هذا .

عادت بنا السيارة نحو المركز ، بدأت أشعر بالبرد عندما لفح الهواء ملابسى المبتلة. فى ساحة جبلية مليئة بالعشب لمح منان قنبلة زنة 500 رطل منغرزة فى التربة الرخوة بدون أن تنفجر. فأوقف السيارة وتوجه إليها وحاول أن يخلعها. نزلنا لمساعدته لكننا أخفقنا فالأمر يتطلب إستخدام الفؤوس وبعض العتلات الحديدية ، قال منان أنه سيعود إليها ثانية. إنها من مخلفات الحملة الأخيرة و ثمنها سيكون دخلا إضافيا لمجموعته الفقيرة هى فى أمس الحاجة إليه فى رمضان أو العيد القادم .

فى المساء تناقشنا فيما شاهدناه اليوم وإتفقنا على أن نقوم بإستطلاع الجهة المقابلة من الجبال فى شمال خوست وهى منطقة (جانى خيل) وبحث إمكان إستخدامها فى قصف المطار بنفس الإسلوب الذى نتبعه من السلسلة الجنوبية فإذا كان المدى مناسبا فإننا نستطيع الإطباق على المطار من جهتين فنضاعف خسائر العدو، وكنا نطمع أن تربط المجموعتان بواسطة اللاسلكى حتى ينسقان العمليات بشكل موحد .

<u>الاحد86/5/18 :</u>

اليوم نعيش مع أحد المشاهد العربية التقليدية فى أفغانستان مع السياح العرب أصحاب المدد المحدودة للغاية والتى لابد أن يشاهدوا فيها أحداثا مثيرة، أى"أكشن" بالتعبير السينمائى.
فالشباب السعودى يريد معركة لأنهم لايستطيعون المكوث طويلا، فلديهم إرتباطات فى المملكة!.
من تقاليد الضيافة الأفغانية جلب السرور إلى قلب الضيف وإكرامه بكل السبل .وبالتالى فإن منان وافق على معركة مع إقرب الأهداف إليه بأيسر الطرق الممكنة..سوف يقصف جبل تورغار بالهاون ..
كنت أخشى من النتائج ..فأنا أعرف قدرات العدو فوق تورغار، فهى ضخمة بكل المقاييس ناهيك عن الإسناد المدفعى الكثيف والفورى الذى تقدمه مدفعيات العدوفى الوادى، أما الطيران فلا داعى للحديث عنه. فهو موجود بإستمرار هذه الأيام لتغطية عملية إنسحاب القوة الشيوعية.
منان أخبرنا بأن توقيت العملية هو ما بعد العصر وهو إجراء تقليدى لدى المجاهدين لتقليل فرصة تدخل الطيران. أما باقى المشاكل فليس لدى منان أو أى قائد آخر أى إجراء للوقاية منها أو مجابهتها برد معاكس.
ذهبت إلى أبو فتحى أمير المجموعة السعودية و شرحت له الموقف، و رجوته ألا يرسل سوى شخصين فقط تفادياً لإصابات لا داعى لها.
تفهم الرجل المشكلة وذهب يتحدث مع الشباب طالبا الإكتفاء بشخصين فقط للعملية. فثار عليه الشباب وضربوا بكلامه عرض الحائط وأصر الجميع على الخروج فى سبيل ا .
شعر الرجل بالإحباط ..وإستسلم لقدره ..وإكتفى بالبقاء فى المعسكر للدعاء لهم .وكذلك فعلنا، فلم يخرج منا أحد فى تلك العملية .
فى الضحى خرج الشباب السعودى مع شباب منان من أجل إحضار الهاون وتجهيزه والتجول فى المنطقة المحيطة بغرض التسلية حتى تحين لحظة العملية المرتقبة .
فى ساعة القيلولة تهيأنا لأخذ قسط من الراحة داخل غرفة المعسكر .. أبو صهيب أسرع من نفذ القرار ودخل فى كيس النوم، هربا من البراغيث. وأصدر شخيره المعتاد بأعلى درجة. تهيأ الباقون للإستلقاء فوق البطاطين ونحن نتفحص ما بها من براغيث. ثم أستلقينا فوقها وبعضنا يتجاذب أطراف الحديث وآخرون بدأوا فى الغطيط .. كنت أشرح لأبى عبيدة ميزة المكان الذي إخترته وكونه قريبا من فتحة المغارة حيث تأتى رطوبة باردة تلطف هذا الحر، وأيضا للطوارىء إذا جاء أى قصف فسوف أكون أول من يلجأ للمغارة ..وما كدت أنهى الكلمة حتى سقطت حوالى أربعة قذائف مدفعية دفعة واحدة غير بعيد عن الغرفة.. تدافع الجميع إلى فتحة المغارة حتى حدث شيىء من الإزدحام . ولكن المفاجأة الحقيقية هى أننا وجدنا أبا صهيب الذى كان في مكان بعيد و ملفوفا داخل الكيس، قد إقتحم المغارة قبلنا جميعا وهو مازال دخل الكيس الذى لا يتيح بالطبع فرصة للأرجل أن تتحرك .
نظرنا إلى بعضنا بإستغراب ، ولما لم تسقط أى قذائف آخرى فقد بدأت قذائف الجميع تنهال فوق أبوصهيب الذى أقسم أنه لا يدرى كيف فعلها ، إن هى إلا قفزة أو أثنتين مثل حيوان الكانجرو الأسترالى ، حتى كان أول من دخل المغارة قبل أن أدخلها أنا من حيث كنت مستحكما إلي جانب الباب تحسبا لمثل ذلك الطارىء.وظللنا فترة طويلة نتندر بذلك الحدث كلما جمعتنا الأقدار فى مكان واحد .
بعد العصر خرجت المجموعة السعودية بالهاون لقصف تورغار مع جماعة منان . بقينا ننتظر فى المعسكر. إستخدموا حوالى عشرة قذائف أو أكثر قليلا. جاء رد العدو متأخر نسبيا وكأنه

فوجىء بالهجوم لعلمه أن المنطقة خالية. وبعد أن بدأو فى التحرك نحو المعسكر جاء رد مدفعية المدينة عنيفا وصاخبا، لكن الجميع وصلوا بسلام وهم فى قمة النشوة.لقد عادوا يحزمون أمتعتهم للرحيل . كما أن منان ومعظم جماعته فعلوا نفس الشىء تاركين أربعة أو خمسة من الشباب الصغار لحماية المعسكر . أدركت أنه لافائدة من عمل أى شىء خلال هذا الشهر . خاصة أنه جاء فى أعقاب معركة طاحنة يرى الجميع من بعدها ان من حقهم الحصول على قسط من الراحة فى بيوتهم وبين أهليهم، سواء منهم من شارك فى المعارك او من سمع عنها فقط.
فضلت العودة إلى عملى الصحفى فى إسلام آباد والبقاء مع أسرتى حتى إنتهاء عطلة العيد، ثم نرتب برنامجا آخر بعد ذلك. عبد الرحمن أيضا فضل العودة إلى أسرته فى بشاور فقد كان حديث الزواج وقد ترك زوجته الأفغانية بمفردها. أما باقى مجموعتنا فقد فضلوا البقاء فى مركز منان لنيل ثواب الرباط فى هذا الشهر الكريم .
****

عوده إلي جرديز

- بدأنا التجمع مرة أخرى فى ميرانشاه حيث وصلت إليها مع أبوعبيدة وأبوجهاد فى أحد الباصات العامة بعد ظهر الجمعة86/7/4 .

توجهنا من فورنا إلى بيت الضيافة الذى إستحوزنا على جزء منفصل منه وحولناه إلى قاعدة لمجموعتنا ، يرعاه "موسى" الأفغانى المثقف .
وجدنا أن أبا صهيب وصل قبلنا بيومين ثم غادر صباحا إلى بشاور مرة آخرى لعلاج آلام فى أسنانه، وقد ترك رساله أنه سوف يعود قريبا. ذهبنا عصرا لمقابلة الشيخ جلال الدين للسلام عليه ومناقشة برامجنا معه. كنا مازلنا عند فكرتنا القديمة حول المطار. لكنه فاجأنا بأن طلب منا مصاحبته فى رحلته إلى مناطق قبيلة زدران حول جارديز. وشرح لنا أن حكومة كابول قد خصصت عددا من كبار مسئوليها ووزرائها من أبناء باكتيا كى يقنعوا "زدران" بفتح الطريق المؤدى الى خوست لقاء رشاوى خيالية من المال والسلاح، وإلا فإن الحكومة المدعومة بالقوات الروسية لن ترحمهم وسوف تدمر قراهم بالطيران وتفتح الطريق عنوة.
كما ركزت الدعاية الحكومية على التقليل من شأن جلال الدين و تضخيم نتائج حملة جاور التى اصيب فيها بحروق النابلم وصوروه على أنه قد إنتهى عمليا.
* **كان** على حقانى أن يتحرك بسرعة إلى هناك لتدارك الوضع ، أما مناطق بارى فى خوست فمازالت خاويه تقريبا ومتوقفه عن النشاط ، ويبدو أن بعض كومندانات قبيلة جربوز أرادوا فرض سيطرتهم وهيبتهم أمام الآخرين، وربما موقفهم التساومى مع حكومة باكستان، لذا فقد نما لديهم توجه لمنع العمل فى المنطقة بالنسبة للغرباء إلا بعد إتفاق خاص معهم . هكذا فهمنا تلميحا فى ذلك الوقت ثم تصريحا فى العام التالى .وفى جانب آخر فإن صحبتنا لحقانى فى هذه الظروف ـ يقوى نسبيا موقفه المعنوى فى زيارته تلك ـ فالعرب ظلوا طوال الحرب رمزا للشرعية الدينية ، إلى جانب إماكانات الدعم المادى. ولكن لم ينظر إليهم قط كمؤثر عسكرى إلا بعد معركة جاجى 1987 .
شعرت بشىء من خيبة الأمل لعدم إستئناف برنامج المطار حسب الخطة التى كنا ننوى البدء فى تطبيقها . وفى المقابل رأيتها فرصة صحفية وعسكرية أن أزور مناطق زدران مرة آخرى حيث ذكريات زيارتى الأولى لأرض الجهاد التى قلبت حياتى كلها رأسا على عقب.

أيضا داعبتنى خيالات معركة قوية حاسمة على ذلك الطريق تقصم ظهر الجيش السوفييتى والقوات الشيوعية . فرصة أن أفحص هذا الطريق مرة أخرى وأحدد الأماكن المناسبة لتنفيذ تلك المعركة كما كنت أتخيلها . كنت أرى أنه لابد من تهيئة مواضع عسكرية وإدارية على إمتداد الطريق طبقا للسيناريو المفترض لمعركة مقبلة قد تصبح حاسمة. إن مئة كيلو مترمن الجبال الوعرة تشرف على طريق ملتوى تحفه فى كثير من المناطق جدران صخرية من طرف ، ووادى نهر شمل الذى لا يصلح لسير الآليات من جهة أخرى ، لهو مكان أكثر من رائع لمعركة تاريخية ننتصر فيها على السوفييت ، لم يكن أمامنا بد من قبول الأمر الواقع ..وقررنا أن نأخذ معدات إطلاق الصواريخ فربما وجدنا فرصة للعمل ضد مطار "جرديز"بنفس الأسلوب. لكن لم يكن لدينا، أو لدى المجاهدين، أية معلومات مفيدة حول ذلك المطار. لهذا قررنا أخذ كل وسائل الإطلاق المتوفرة. لكن أفراد المجموعة أصروا على إصطحاب الرشاش الخفيف(جرينوف) والقاذف الصاروخى (آر بى جى) مع الذخائر اللازمة . إعترضت على ذلك وكذلك حقانى ولكنهم أصروا. والنتيجة أن الأمتعة التى نحملها أصبحت ضخمة ، وعبثا حاولت الإعتراض، فأقترحت شراء حصانين لحمل تلك الأمتعة سواء فى الطريق أو فى الجبهة .

وافقت المجموعة على ذلك ، وذهب عبد الرحمن بإعتباره خبيرا فى شئون الخيل ، لا لشيىء إلا لأنه أقربنا إلي جماعة البدو . ورافقه أبو جهاد بصفته خبير مساعد، لا لشيىء أيضا إلا لأصوله في الريف المصرى ، وخبرات الطفولة لديه والمتعلقة بركوب الحمير فى القرية .

عاد الإثنان وقد إصطحبا فرسين أحدهما بيضاء والأخرى بنية اللون. كان سوق الخيل على بعد مئتى متر ، وفيه يعرض مهاجروا الشمال بضاعتهم من الدواب للحصول على أموال تعينهم على الحياة فى باكستان قريبا من الحدود. أيامها كان ذلك السوق غنيا بالخيل الجيدة التى يشتهر بها الشمال الذى تزدهر فيى رياضة الفروسية (البوزكاتشى) وهى عبارة عن صراع عنيف بين الفرسان لإختطاف ذبيحة والفوز بها .

أبو عبيدة أضخمنا جثة إدعى الفروسية وطلب تجربة الفرس الأبيض وما أن أمتطاها، وأظنها المرة الأولى فى حياته التى أمتطى فيه خيلا ـ وأظن أن الفرس أدركت هذه هذه الحقيقة أيضا، فإستدارت وركضت بأقصى سرعة نحو سوق الخيل ، وصاحبنا فوقها يصيح بأعلى صوته طالبا منها التوقف، ولكنها لم تفعل ذلك إلا وهى وسط مئات الخيل فى سوق البهائم. جلست على الأرض من شدة الضحك، والذى تمالك نفسه منا جرى خلف صاحبنا كى يقتلعه من وسط الخيول التى ماجت وأضطربت فى فوضى عارمة لوصوله المفاجيء فوق فرسه الأبيض الجامح

* المبنى المقابل لمقرنا إتخذه الضابط عمر مقرا أسموه الإذاعة. لقد أقام هناك"ستوديو" لتسجيل برامج إذاعية تبث عبر محطات "جاور". ذهبنا لزيارته هناك و كان عنده ثلاثة أسرى، إثنان من الطيارين والثالث ميكانكى طيران ثلاثتهم أسروا فى معركة الكوماندوز، فقد كانوا يعملون ضمن أطقم طائرات الهيلوكبتر التى أصيبت. تحدثنا معهم طويلا ،أحدهم يدعى عبدالتواب شعرت أن تجربة المعركة الماضية ودمويتها ثم تجربة الأسر قد هزت أعماقه وحولته إلى شبه متصوف. زميله الآخر ويدعى "على مدد" كان عدوانيا وكأن ما حدث له لم يزده إلا شراسة . عدد من كبار ضباط الكوماندوز الذين أسروا كانوا سجناء فى نفس المنزل ، وقد حكم عليهم جميعا بالإعدام. ومازالت صورهم الجماعية معلقة فوق الجدران حينما كانوا حديثى الأسر يرتدون الملابس العسكرية والسترات الواقية من الرصاص . بعضهم أعدم فى نفس البيت، خنقا بسلك

التليفون ، ونقلت جثثهم سرا لتدفن فى أفغانستان. وبعضهم نقل حيا إلى قرب جاور وأعدم رميا بالرصاص . وقد سمح لبعض أبناء وآباء شهداء معركة جاور بتنفيذ الحكم إنتقاما لذويهم.

كان بيتا مجاوراً لهم تحت البناء، فأخبرنا الضابط عمر أننا نود تأجيره، لأن بيتنا الحالى غير مناسب، فقال أن صاحب البيت صديق حميم له، ثم ضحك وقال هامسا أنه من ملوك الهيروين وله مصنع قريب فى ميرانشاه.

وجدتها فرصة صحفية سانحة فطلبت منه أن يساعدنى فى مقابلة الرجل لأغراض صحفية مع وعد بألا أنشر ما يسبب له مشاكل ، ولكننى أرغب فى زيارة مصنعه وأخذ بعض الصور ، مع حديث خاص مع الرجل بما لا يضر "مصالحه" . فرح عمر بالفكرة ولكن ملك الهيروين إنزعج ورفض المقابلة ، وعلمت ذلك فى اليوم التالى .

يوم الأحد86/7/13:

إنتقلنا الى جاور كخطوة أولي للتحرك نحو قرية (سرانا) حيث مركز حقاني الرئيسي قرب جارديز. كانت جاور تشهد حركة كثيفة لإعادة تعميرها ، يشارك فيها عدد من جنود الكوماندوز الأسرى ، وكانت العادة هي عدم إعدام الجنود الأفغان إلا في حالات خاصة مثل ان يقاموا بشدة أويشاركوا في قتل أحد من المجاهدين . جميعهم أطلقوا لحاهم ، وقتل بعضهم من جراء غارات الطيران المفاجئة علي القاعدة ، وعدد محدود جدا بقي مع حقاني متطوعا حتي نهاية الحرب .

سوف نتحرك غداً .. قضينا الليلة في غرفة جديدة تم بناؤها خارج المغارات (دمرها الطيران بعد شهر تقريبا) جلسنا بعد العشاء في حديث ودي مع إمام مسجد جاور ، وكان رجلاً دمث الخلق. جلسنا نتبادل معه أطراف الحديث ويسأل عن بلادنا وأوضاعنا الإجتماعية إلي أن أدرك صديقنا عبد الرحمن الذي أخبره بأنه ـ أي عبد الرحمن ـ متزوج من أفغانية فاذا بإمام المسجد ينتفض غضبا ويحمر وجهه ويرتفع صوته قائلاً هذا غير ممكن لا يمكن أن تكون أفغانية (يعني من البشتون) ولابد إنها من "الفرسوان " أي الناطقين بالفارسية.ولا يطلق البشتون علي هؤلاء صفة الافغان!!. روح التحدي إستيقظت لدي صاحبنا عبدالرحمن الذي قابل التحدي بتحد آخر وأكد (لغريمه) إن زوجته أفغانية من قوم (بنوازي) في مدينة جرديز، فصاح الرجل مغضبا : هل جئتم للجهاد أم للزواج؟. تدخلنا لتهدئة الموقف وتغيير الموضوع ، تماسك إمام المسجد بصعوبة بالغة وحمدت ا انه لم يكن يحمل سلاحا وقتها . "إذن لاستشهد عبدالرحمن قبل موعده بعامين !!".

ويمكن أن تصلح تلك الحادثة لتبرير ندرة زواج العرب من أفغانيات ليس من البشتون فقط بل من الفرسوان أيضا رغم أنهم أكثر تساهلا .

الاثنين 7/14 /86 :

وصلنا من ميرانشاه بغلان جديدان للمساعدة في حمل أمتعتنا التي تضخمت بشكل خرافي نتيجة لأن كل فرد لديه مجموعة من الأساسيات التي لا يستطيع الحياة بدونها .. حتى وصل الأمر إلي أن أباحفص إصطحب مجموعة كبيرة من أمهات الكتب والتفاسير حتى "يتسلى" بها في أوقات الفراغ!!.

كان البغلان لسوء الحظ غير مدربان . وفي حالة هياج وحشي ورفضا حمل الأمتعة، وإستدعي الأمر تكاتف حوالي عشرين مجاهدا لترويض البغلين .. وهو برنامج يقتضي إنهاكهما بمجهود بدني شاق بأن يحملوها بالأحجار و يرغمانهما علي الجري المتواصل تحت

الضرب الشديد ..وبعد أن يصلا إلي درجة الإعياء يتم تحميلهمها بالأمتعة المطلوبة .
بعد عدة ساعات نجح البرنامج ، وتحركنا في الثانية عشرظهرا بناء علي طلب حقاني الذي قال أنه سيتحرك خلفنا عصرا . فوق قمم جبال ماني كندو التي علينا عبورها قبل الهبوط إلي
وادي شمل إستردت البغال وعيها وأسقطت الأمتعة عدة مرات ثم رفضت المسير بعد أن أعدنا تحميلها ولم يجدي الضرب لا بالعصى ولا بكعوب البنادق، إلا أن الكومندان كريم إبتكر
أسلوباً جديدا للتفاهم مع البغال العنيدة فقد كان يلصق البندقية علي أذن البغل ثم يطلق النار في الهواء ، فيعدو البغل عدة خطوات ثم يستأنف السير متهاديا .ولكن طريقة كريم أفلحت علي أية حال" استشهد كريم في معركة فتح خوست عام1991 كما سنروي في حينه"
أكرمني الأصدقاء بأن أصروا على أن أركب واحدا من الخيل أما أبوجهاد ولكونه مريضا فقد ركب فرسا آخر ، ولأسباب أمنية وأخرى خاصة بظروف التحميل كان علي راكب الفرس أن
يحمل الجرينوف ، والآخر يحمل القاذف الصاروخي (آر بي جي) مع قذيفة جاهزة في
السلاح، هذا علاوة عن كمية من الذخائر والصناديق أمامه وخلفه .
وبعد أقل من ساعة كنت وأباجهاد نستغيث ونطلب النزول ولكن ما من مجيب. ثقل السلاح مع إرتجاجات المسير علي ظهر الخيل أدت إلي تفكك جميع وصلات الجسم . وعند أول فترة
إستراحة كنت مع أبا جهاد نحمل بنادقنا ونسير بنشاط في مقدمة الركب ، تاركين الخيل
والأسلحة الثقيلة لغيرنا من الإخوة الأحباء !!
واصلنا المسير في اليوم الأول حتى بعد صلاة العشاء. كان الحذر شديدا من كل شيئ وكل شخص فالطريق تحت رقابة شديدة من جواسيس العدو الذين يبلغون عن القوافل المارة
حتى يلتقطها الطيران في أقرب فرصة. لذا لم نكن نمكث في مكان واحد سوى فترة وجيزة ، ونتظاهر بالراحة في أحد المقاهي (السموات) ثم نتحرك بعد قليل إلي مقهى آخر علي بعد كيلومترات عديدة .
ومن مظاهر ذلك التوتر ماحدث عندما أخطأ دليل مجموعتنا ليلاً فدخل في شعب مغلق سار
بنا فيه حوالي نصف الساعة، كنا نحو أربعة من العرب في تلك المجموعة لذا لم توضع
سوي أربعة بنادق فقط فى وضع الإستعداد عندما إكتشفنا أن الوادى مغلق . فقد رددنا فورا كلمة "كمين" .. (ولكن ا سلم).
فرحنا أن سمحوا لنا بالنوم في أحد الفنادق النائية وسمح لنا صاحب الفندق أن نشاطر البراغيث
أحد غرفها ، وفي الثالثة والنصف أيقظنا (أعلي داد) قائد مجموعتنا وطلب منا التحرك فورا،
ورفض صاحب الفندق أن نستخدم الماء في الوضوء، كان له العذر نوعا ما لان جلب الماء يكلفه جهدا .
أنهينا عبور سلسلة (ماني كاندو) ونزلنا في وادي شمل الذي عبرناه كي نأخذ قسطا من الراحة في أحد السموات في مدخل شعب من سلسلة الجبال التي تفصل وادي شمل عن طريق جارديز خوست. وعلينا أن نعبر هذه السلسلة حتى ننزل علي ذلك الطريق بعيدا عن مراكز العدو في
خوست ، خاصة القلعة الحصينة في جبال (دوا مندو) وهو مضيق يعتبر مدخلا لوادي خوست
وبداية نطاق الدفاع من جهة الغرب ، وهناك عدة دبابات وقطع مدفعية فوق القمم الشاهقة
في (دوا مندو) تتيح سيطرة أكبر علي المنطقة والطريق والرئيسي الذي يخترق المضيق ويتلوى
بين مرتفعاته.
ونحن نقطع هذه السلسلة القفراء صادفنا وفدا قادما من شمال أفغانستان ومعهم صحفي فرنسي

ذو ملامح شرقية. إكتفي الصحفي بملامحنا العابسة والشرر المتطاير من النظـرات وواصـل سيرة مع جماعته ، وكانوا من شباب بانشير . وقد فاز الصحفي بلقاء مسعود ، الذي إهتمت به صحف فرنسا بشكل خاص . في وسط الجبال أيضا صادفتنا مجموعة من البدو وقد نصبت خيامها ومعها كمية كبيرة من الجمال والماشية كانوا من جماعة منان. رحبوا بنا كثيرا وقدموا لنا الارز المطبوخ . تناولنا الطعام بسرور (ليس لجودته) ولكن فرحا أن نجد أصدقاء في وسط تلك المجاهل الموحشة.

أخيراً وصلنا إلى مقهى قريب من الطريق العام في منطقة تدعى بيلار (بمعنى برميل) وهناك فعلاً عدة براميل من الزفت الفارغة والمتبقية من عمليات رصف الطريق أيام الحكومات السابقة.

جاء النبأ أن الشيخ جلال الدين قد وصل قرية قريبة في ضيافة صديقه (شاكرين) وهو من نفس القبيلة (زدران)،ومن الأوائل الذين تصدوا للقوات الشيوعية. تحركنا إلى القرية وهي في منطقة تشبه الواحة وسط الجبال في موقع غريب في شرقها الطريق الرئيسي على بعد كيلومترات قليلة من الجبال، وفي غربها وادي شمل حيث يجري نهر شمل أيضاً على بعد عدة كيلومترات من الجبال.

هذا الموقع تسبب في نشوب معركة غريبة في بداية القتال ضد الجيش الشيوعي بعد الإنقلاب بقليل(قص لي الشيخ جلال الدين تلك القصة بعد أن تناولنا طعام العشاء في بيت (شاكرين) وسط الحفاوة البالغة لأهالي القرية ،أو من تبقى منهم،وقد ذبحوا الخراف وصنعوا الخبزالساخن مع الأرز والخضروات. فوق سطح البيت قص لي حقاني عدة قصص عن الجهاد وتلك أولها:

بطولات العام الأول:

كانت القرية التي نحن فيها الآن مصدر قلق للحكومة الشيوعية لتمركز شاكرين ومجموعته يهددون الطريق الرئيسي والمراكز الحكومية المنتشرة على طوله، لذا قصفها الطيران عدة مرات وهجرها معظم السكان لكن شاكرين لم يتوقف، فقرروا شن حملة برية لإقتحام القرية. وكانت الخطة هى أن تتقدم القوات على محورين الأول من الطريق الرئيسي نفسه ثم تتقدم الدبابات والمشاة نحو القرية حيث يوجد مدق ترابي يصلح لمرور الآليات.

والمحور الثاني تتقدم عليه قوة أخرى عبر وادي شمل حيث ينزل المشاة ويتسلقون الجبال من الطريق الذي أتينا منه ثم يتوجهون صوب القرية، وهناك تلتقي القوتان وتهاجمان القرية في وقت واحد.كانت الخطة جيدة،(ولكن على الورق وليس على الأرض). فعند التنفيذ وصلت القوة القادمة من إتجاه شمل أولاً. وأبلغ بدو الجبال شاكرين بتقدم القوات نحوه فخرج مسرعاً مع رجاله ونصب كميناً للقوة فدمرها وأسر وقتل جميع من شارك فيها. ولم يكد يفرغ من عمله حتى كانت القوة الأخرى قد وصلت بدباباتها إلى الطريق العام وبدأت تتقدم نحو القرية عبر المدق الجبلي(شعر الرجال بالذعر لتقدم الدبابات المفاجيء نحو قريتهم). ولكنهم كانو قد غنموا سلاحاً عجيباً منذ قليل أخبرهم الجندي الذي يحمله أنه سلاح (ضد الدبابة) فطلبوا من الجندي أن يتقدم معهم لإستخدامه ضد الدبابات المتقدمة لكن الخوف أصاب الجندي بالشلل ورفض أن يتحرك خطوة واحدة حتى ولو قتلوه. فطلبوا منه أن يشرح لهم كيفية إستخدام ذلك السلاح

فشرح لم وأوصاهم بالتصويب على خط التقاء البرج مع جسم الدبابة.
أحد المجاهدين إلتقط السلاح وتقدم به نحو الخطر القادم ومن الطلقة الأولى طار برج الدبابة في الهواء وإشتعلت فيها النيران. ولم تقف المفاجأة عند ذلك الحد، فالطابور المتقدم من الدبابات والمدرعات التي تحمل الجنود، وجميعها محشورة في مدق ضيق لا يتيح أدنى فرصة للمناورة. ذلك الطابور صدمته المفاجأة، فقد كان الضباط على يقين بأن ليس لدى المجاهدين أي سلاح مضاد للدبابات، وإعتمدوا على حقيقة أن مجرد صوت الدبابة كفيل بأن يدفع، أشجع الرجال لأن يفر من ساحة المعركة.
لذا قفز جميع الضباط والجنود من داخل الآليات رافعين أيديهم إلى أعلى معلنين الإستسلام لشاكرين ورجاله.(وكانت قصة يتداولها المجاهدون حتى الآن).
كان توفيقاً من ا ألا تصل القوات المهاجمة في وقت واحد حسب الخطة المقررة. وأن يتمكن شاكرين من القضاء على الطابور الأول وتسليح نفسه بقاذف (آر/بي/جي) ليكون سلاحه الرئيسي ليس لتدمير دبابة واحدة للشيوعيين بل لتدمير وأسر القوة المتقدمة كلها.
القصة الأخرى معاكسة للأولى تماماً والفارق بينهما هو الفارق بين الحالة الجهادية في بدايتها الروحانية المشرقة وما آلت إليه الآن من تلوث وانحراف أصاب الكثيرين، وكاد الجهاد أن يصبح حرباً بالوكالة، لولا قلة من المخلصين ما زالت تحارب دفاعاً عن الدين معركة بدت سائرة نحوالمجهول، بعد أن تدافع الناس نحو فساد الأموال وصراع السيطرة والزعامة.

جاور.. خيانات بالجملة:

حدثني حقاني عن الخيانات التي واجهها في معركة جاور الأخيرة (وقد ذكرنا طرفاً منها عند حديثنا عن المعركة) حيث تورطت أحدي المجموعتان المكلفتان بالدفاع المتقدم عن (جاور) في إتصال مع العدو، والإنسحاب من مواقعها عمداً لتسهيل تقدمه نحو القاعدة.
بل وإتصالهم لاسلكياً يستعجلون تقدم القوات الشيوعية بعد أن أحجمت تلك القوات ، أو ترددت في الدخول،رغماً عن الإتفاق المسبق، ربما خوفاً من خيانة أخرى من جانب هؤلاء الذين خانوا دينهم ووطنهم.
ولكنهم جازفوا وتقدموا فإحتلوا جاور. ولم يتصدى لهم سوى مجموعة ضئيلة مكونة من عشرة من طلاب العلم الذين عرقلوا دخول القوة إلى جاور لمدة نهار كامل كما ذكرنا هذه الحادثة قبلاً.
كنت مع حقاني ونحن على ظهر بيت الشيخ شاكرين في تلك الليلة الصيفية البديعة وقد تناثر المجاهدون فوق سطح المنزل وفي ساحاته السفلية وما حوله من أراضٍ زراعية، يتجاذبون أطراف الحديث بعد إنتهاء صلاة العشاء. قال حقاني:
كان دوري في معركة جاور هو الدفاع عن القاعدة نفسها، وقد تكفل حزب إسلامي (حكمتيار) بالدفاع عن الطريق الجبلي القادم من خوست نحو جاور من جهة الشرق عن طريق ليجاة.
أما حزب إسلامي (يونس خالص) فقد كان دوره الدفاع عن مقدمة جاور من جهة الشمال في مواجهة جبل (رغبلي) حتى لا يتقدم المشاة من الجبل رأساً في إتجاه القاعدة عبر الممرات الجبلية الضيقة وهي لا تسمح لمرور الآليات بعكس طريق ليجاة الذي يدافع عنه رجال حكمتيار (حيث يوجد طريق مهده جماعة حقاني لمرور السيارات بين جاور وليجاة).
وكانت حماية ظهر قاعدة جاور من مسئولية جماعة حكمتيار أيضاً، حيث توجد لهم قاعدة قوية

تدعى (جهاد وال) على مسافة حوالي خمسة كيلومترات جنوب جاور، أي في منتصف المسافة بين جاور والحدود الباكستانية. الجبال الشمالية لهذه القاعدة (جهاد وال) يمكن أن تهدد أية قوات قادمة من ليجاة نحو جاور؛ لأنها تكشف جزءاً هاماً من الطريق، وفي حالة إستدارة القوات المعادية نحو جاور ينكشف جانبها الأيسر ثم مؤخرتها. وهكذا تكون قاعدة جهاد وال حيوية للدفاع عن جاور في مثل هذ الحالات. وسوف نندهش إذا علمنا أنها لم تقم أبداً بهذا الدور في تلك المعركة.

يقول الشيخ حقاني، إن رسالة كتابية قد وصلته من أحد المتعاونين معه هناك في خوست يفيده فيها بأن ثلاثة من قواد جاب الدين حكمتيار إثنان منهما من قبائل وزيرستان "منطقة حدودية باكستانية تسكنها قبائل الباتان وتعتبر مدينة ميرانشاة عاصمتها".

وثالث هؤلاء القادة من مدينة خوست. لقد إجتمع هؤلاء مع مسئولي خوست الشيوعيين وإتفقوا معهم على الإنسحاب من مواقعهم لإتاحة الفرصة للقوات الشيوعية كي تصل إلى جاور.

وقد تحقق ما جاء في الرسالة، وإنسحب هؤلاء القادة بعد أن أحرقوا أمتعتهم، وذهبوا رأساً إلى مدينة ميرانشاة. حيث أذاعوا سلسلة من الأكاذيب بين المهاجرين وبعثوا بها إلى الصحف الباكستانية والمراسلين الأجانب.تقول هذه الأكاذيب أن هؤلاء القادة قد دمروا خمس عشرة دبابة كانت تحاول التقدم نحو جاور(!!).

وقالوا أيضاً أنهم قد أسروا مئة من جنود الكوماندوز الأفغان(وكان هؤلاء الأسرى المئة في حوزة حقاني(!!).)

ولم يكتفِ هؤلاء بذاك، بل إنهم عندما تأكدوا من إنسحاب الشيوعيين من جاور، أذاعوا في الناس وفي الصحف المحلية والدولية -وكانوا وثيقوا الصلة بها- أذاعوا بأنهم قد تمكنوا من طرد القوات الشيوعية من جاور وتسليمها مرة أخرى إلى جلال الدين حقاني(!!).

أماالجماعة الأخرى المتمركزة في مقابلة جبل رغبلي فكان يقودها شخص شيوعي سابق، من تنظيم شعلة أجاويد الموالي للصين،وقد إنضم إلى جماعة يونس خالص بعد أن أعلن توبته أمام الشيخ خالص، وأخذ يعمل بنشاط في جمع الأموال من أوروبا. ويعطي جزء منها للشيخ خالص والجزء الآخر لقائده المباشر(مطيع ا).

هذا القائد قد عقد إتفاقا مماثلا مع السلطات الشيوعية فى خوست،وإنسحب مع رجاله بنفس الطريقة التي نفذتها المجموعة الأخرى.

مسئول الإستخبارات في جماعة حكمتيار أبلغ حقاني بهذا الإتفاق. ولكن صاحب الإتفاق نفسه لم يكتم النبأ بل صرح أمام أصدقائه في تنظيم خالص بأنه تعمد الإنسحاب أمام القوات الشيوعية، إنتقاماً من حقاني الذي هو على خلاف مع الشيخ خالص قائد التنظيم (!!).

الشيخ يونس خالص غضب غضباً شديداً عندما علم بالنبأ وعلق قائلاً :صحيح أننا في خلاف مع جلال الدين ولكن ليس معنى ذلك أن نقصم ظهره بواسطة الروس.

الرسالة التي وصلت إلى حقاني من خوست قالت بأن محادثة لاسلكية قد وصلت إلى القوات الحكومية تعنفها على عدم التقدم نحو جاور، رغم أن جاور نفسها أصبحت خالية والطرق إليها أصبحت مفتوحة يقول حقاني : ليس في المنطقة كلها آنذاك سوى ثلاثة أجهزة لاسلكي كبيرة، واحدة منها عندنا في جاور، والجهازان الأخران مع جماعتي حكمتيار ومطيع ا . ونحن بالتأكيد لم نطلب من القوات الحكومية أن تتقدم لإحتلال جاور.

* ولقد علقت في موضع سابق على هذه الخيانة بأنها صنع باكستان فمن الصعب بل

والمستحيل أن يتفق أربعة من القادة (الكومندانات) في تنظيمين مختلفين ومتنافسين على الخيانة في وقت واحد وبدون أن يتعرضا للعقاب أو حتى للعزل إلا إذا كان هناك أوامر باكستانية صدرت إليهم بتنفيذ الجريمة.

ومن دلائل الخيانة أن جبال (جهاد وال) كان من السهل الإستحكام فيها وإرغام القوة على الوقوف محشورة على طول طريق جبلي وعر محاط بالجبال وهو ما يعرضها لهجمات قاتلة ولكن أحداً لم يفعل ذلك.

ومن دلائل الخيانة أن مطار خوست وهو المنفذ الرئيسي للقوات السوفييتية ولكبار الضباط والسياسيين الذي وفدوا من كابل لمتابعة وقيادة الحملة، هذا المطار لم يتعرض طول الحملة لأي تهديد جدي، كذلك طول فترة إنسحاب السوفييت من المطار وهي عملية إستمرت مدة طويلة كما رأينا.

بل أن منطقة (تودة شني) و (باري) كلاهما تم تفريغهما تماماً من المجاهدين، وبدون أن يتعرضوا لأي تهديد جدي من جانب السوفييت سوى غارات جوية كانت أقل كثيراً مما حدث في مرات سابقة. و تفريغ عشرات المراكز في وقت واحد من كل هذه النقاط الإستراتيجية لا يمكن أن يتم بلا أوامر وضغوط وإغراءات باكستانية.

وقد شرحنا في موضع سابق بعض ملامح الخيانات الباكستانية في تلك المعركة، وفيها ترك المجال الجوي الباكستاني مفتوحاً على مصراعيه للطيران السوفييتي كي يقصف جاور من الخلف مستخدماً أجواء باكستان.

وأيضاً هزال المدافع المضادة للطيران ولم يكن في جاور غير مدفع (أرلكان) واحد رغم أن السعودية كانت قد إشترت للمجاهدين عشرة مدافع، صادرت باكستان خمسة منها.

ووزعت الباقي، حيث وضعت أربعة في منطقة (جاجي) وواحد فقط في جاور.

أما صواريخ (سام7) التي أثبتت فشلها عملياً فلم تكن أيضاً متوفرة في أيدي المجاهدين سوى بأعداد ضئيلة . المسرحية الهزلية بصواريخ (بلوبايب) التي قامت بها الاستخبارات العسكرية الباكستان إلى جانب أنها تمت بعد فوات الأوان، فيبدو أن الهدف منها هو تشويه سمعة السلاح البريطاني، تمهيداً لإلقاء الأضواء بشدة على السلاح الأمريكي الذي يمثله صاروخ ستينجر.كانت مثل تلك الخيانات الباكستانية كثيرة في مجريات تلك الحرب ولكنها في الغالب تنفذ بذكاء وبدون أن تظهر بصمات الجاني إلا بعد التدقيق الكافي . ولم يكن في العرب من يدقق في شيء في ظل الشحنات النفسية الهائلة بطلاب الشهادة ، وعدم وجود أي نوع من التوجيه السياسي في الوسط الإسلامي بأكمله- خاصة هؤلاء الذين قَدِموا إلى أفغانستان وإستمروا في القتال فيها. كانت هناك خيانة فتح طريق خوست/ جرديز (1987ـ 1988)

ثم خيانة معركة جلال آباد وكانت من ثلاث شعب رئيسية: (أنظر كتاب الحماقة الكبري)

أ- منع المجاهدين من الهجوم من المحور الشرقي وهو المحور الصحيح للعمل ضد جلال آباد.

ب- إجبار المجاهدين على العمل من محور طريق تورخم جلال آباد الدولي. وهو أسوأ المحاور بالنسبة للمجاهدين، وقد إستمروا يعملون فيه طوال الحرب حتى سقوط الدولة؛ لذا لم يحرزوا نصراً حاسماً في جلال اباد.

جـ- منع المجاهدين من التركيز على قطع الإتصال البري بين جلال آباد وكابول - وكان ذلك السبب الرئيسي لفشل عمليات المجاهدين.

حاولوا منع مجموعتنا العربية من إغلاق مطار خوست أثناء معارك الفتح!! وهو وسيلة

الإرتباط الرئيسية مع كابول حتى يتركوا للنظام فرصة إرسال الإمدادات إلي المدينة. وقد فشلوا في ذلك.. رغم الضغوط الشديدة. وكان نجاح مجموعتنا في إغلاق المطار أحد الأسباب الهامة التي أدت إلى فتح المدينة (1991/3/31).(راجع كتاب المطار90)

خيانة جرديز حين تولوا تنظيم عملية قطع الإرتباط البري بين جرديز وكابول. وأقنعوا حقاني بالتفرغ للهجوم على المدينة، وعندما وصلت قوات حقاني إلى مشارف المدينة داهمتها إمدادات كثيفة للعدو وصلت من كابول. بعد أن فتح لها الباكستانيون الطريق - أو بمعنى أصح لم يحاول أحد اعتراض طريقها!! (في أكتوبر 1991)

إسهام باكستان في تأمين محافظة لوجر لإستخدامات القوات الشيوعية بصفتها الممر البري لتموين مدينة جرديز التي منها تنطلق الحملات العسكرية في إتجاه خوست.

وفي الأوقات الحرجة التي تعرضت لها خوست، ضغطت باكستان على المجاهدين في لوجر حتى يتركوا الطريق للقوات الشيوعية حتى تحاول إنقاذ خوست،ونخص بالذكر قوات (حكمتيار) التي كانت تسيطر على مضيق (تنجي) الذي يتحكم في الطريق الرئيسي القادم من كابول.

بعد فتح خوست حاولت باكستان تحويل مجرى الحرب إلى (الحرب الطائفية) فأمرت قادة الأحزاب السبعة في بشاور كي يعلنوا الحرب في كونار على (السلفيين) بقيادة جميل الرحمن وقد إستجاب (العظماء السبعة) لذلك ، وإنتهت العملية بإغتيال جميل الرحمن نفسه على يد شاب مصري متحمس حتى النخاع للزعيم (حكمتيار) .

وهذا غيض من فيض، ولكنها أهم المحاولات التي إستطعت رصدها من خلال إحتكاك مباشر أو متابعة قريبة.

أما خارج دائرتي الضيقة، فهناك مآسي يستحيل حصرها في كل أنحاء البلاد. أهمها ولا شك الحرب الأزلية بين (حكمتيار) و (رباني) التي ما زالت مشتعلة حتى الساعة،والتي راح ضحيتها الآلاف من (المجاهدين).

* فى اليوم التالى تركنا قريه شاكرين بعد أن زرنا مغارة جبلية له حصينة وجيدة التمويه على بعد ألفى متر من الطريق العام . ذلك الطريق الذى وصلناه أخيرا فى طريقنا إلى (سيرانا) كان معظمه في قبضة المجاهدين، وعلى جانبيه عدد لا بأس به من فنادق المسافرين المبنية بالطين والأخشاب، ومعلق على جدرانها صور زعماء الأحزاب الأفغانية،حسب الإنتماء الحزبي لصاحب الفندق، وصور زاهية الألوان لموضوعات مختلفة. الأطعمة لا تتعدى الشاي الأخضر والبسكويت اليابس والأرز وأحياناً اللحم. ويمكن المبيت في الفندق مقابل أجرة بسيطة، على شرط توفر القدرة على تحمل البراغيث.

هناك بعض الشاحنات الضخمة التي نادراً ما تقف إلى جانب الطريق، بل تنحرف إلى جانب الجبل أو داخل أقرب الشعاب من الطريق خوفاً من الطيران. ومع هذا الحرص فقد شاهدنا منظراً مفجعاً،لقد كان الطريق مسرحاً لمأساة دامية نتيجة عدم حرص أصحاب القوافل المتوجهة نحو الشمال.

فقد نزلت قافلة كبيرة في منطقة على الطريق تحتوي ستة أو أكثر من الفنادق، وتركوا الدواب المحملة بالذخيرة على جانبي الطريق.. وفجأة وصلت الطائرات وقصفت المنطقة -وقد كان المستهدف هو القافلة- وتم تدمير عدد من الفنادق ومقتل عدد من الرجال.أما القافلة فقد دمرت بالكامل تقريباً فقد إنفجرت الذخائر التي تحملها الخيل والبغال وتحولت المنطقة إلى جحيم.

كانت آثاره ما زالت باقية عند وصولنا، حيث جثث الدواب وأكداس كبيرة من الذخائرالمحترقة. إن جمال الطبيعة هنا يعطي شعوراً خادعاً بالأمان، ويدفع الثمن غالياً من يغتر به، فقد يتحول كل شيء فجأة إلى نيران ودماء .(وصلنا سيرانا) بعد معاناة من تلك الأحمال الكثيرة التي أثقلنا أنفسنا بها. وهناك قابلنا مولوي نظام الدين نائب حقاني.إخترنا أعلى غرفة على قمة جبل مخصصة لطاقم مدفع مضاد للطائرات يشغله فرد واحد حتى نشد من أزره ونساعده. وكانت فرصة أن نتعرف على الفتى (زرغون) صاحب هذه الغرفة التي إتخذنا سطحها مكاناً للنوم ليلاً طالما نحن في سيرانا... في صباح اليوم التالي وعقب جولة في وادي سيرانا والإغتسال في مائه المنعش. إكتشفنا قرب أحد المغارات فوق الجبل صاروخين من طراز سوفييتي، يعادل في حجمه أربع أضعاف صواريخ الكاتيوشا التي في حوزة المجاهدين. علمنا أنها غنائم قديمة منذ العام الأول للجهاد، وأن أعداداً كبيرة منها قد إستخدمت في شق الطرق(!). وأن المتبقي الآن عدد قليل.. حوالي ثلاثة أو أربعة في سيرانا ولكن شخصاً في قرية قريبة لديه إثني عشر صاروخاً منها (!!).

بعد العصر كانت مفاجأة سارة لقد وصل صديقنا (أبوصهيب) وبرفقته الدكتور أحمد الذي يعمل طبيباً في مستشفى ميرانشاة مع زميله الدكتور محمد وكلاهما من مصر ومتعاقدان مع لجنتنا الطبية في أبوظبي. وقد نجح الإثنان في تحويل ذلك المستشفى إلى منشأة طبية حقيقية، ليس بالإمكانات الفنية ولكن بالإخلاص والمجهود المضني الذي أكسبهما إحترام وثقة الأفغان من المهاجرين والمجاهدين. ومن المؤسف أن الدكتور أحمد جاء ليخبرنا أنه على وشك الرحيل مع زميله للعمل في السعودية. أحضرنا أسلحتنا والأدوات الأخرى لتنظيفها وإزالة آثار السفر الشاق عنها وتجهيز الأدوات الكهربائية. غداً نفحص الصواريخ الجديدة -القديمة- التي عثرنا عليها، وكنا نأمل بكل شوق أن نجدها صالحة للإستخدام حتى نقصف بها العدو في جارديز.

الجمعة (86/7/18):

كان صباحاً سعيداً. لقد قمت مع عبدالرحمن بفحص الصاروخين فوجدناهما صالحين للعمل. لم تكد تسعنا الدنيا من الفرح، زففنا الخبر لإخواننا هناك قرب غرفة زرغون وهم منهمكون في تنظيف السلاح. أما أبو عبيدة ،الذي قررنا تغيير كنيته إلى (سلطان) بناء على إقتراح من أبي حفص(الذي أطلق عليه لقب سلطان عدو البوليس).

كان سلطان تحت عملية جراحية يجريها له الدكتور أحمد لتنظيف خراج في ساقه.

زارنا الشيخ حقاني علي سقف الغرفة بعد المغرب ، شرحنا له مشروع الصواريخ، فقال إنه سيبحث لنا عن المزيد. وتعجب لكونها صالحة للعمل لأنهم كانوا يظنوها تالفة فهي مركونة من سنوات طويلة وقد تم إتلاف أكثرها أو إستخدامها كمتفجرات لفتح الطرق.

السبت(86/7/19):

حصلنا على صاروخين آخرين ليصل بذلك عدد الصواريخ الجديدة إلى أربعة غادرنا الدكتور أحمد عائداً إلى ميرانشاة - ذهب معه عبدالرحمن لمرافقته حتى جبال ماني كاندو ثم يعود مرة أخرى.

وفي يوم الأحد نقلنا الصواريخ الأربعة مع الأسلحة وباقي المعدات إلى أسفل جبال ساتي كاندو وكان علينا رفعها على الأكتاف إلى قمة الجبل، وكان أمراً عسيراً للغاية فالأحمال كثيرة وثقيلة وقمة الجبل مرتفعة جداً مع وعورتها. رفعت معي ما يكفيني من الأحمال وصعدت (بالتقسيط

البطيء) يرافقني أبوجهاد في تلك المحنة، حتى صلنا في النهاية.. بشق الأنفس.
تتميز جبال (ساتي كاندو) بغابات الصنوبر الضخمة التي تكسوها، مع وعورتها وسيطرتها على السهل الذي تقع فيه مدينة جارديز . يمر الطريق الرئيسي بإحدى قمم ساتي كاندو.. إذا هبطنا القمة التي عليها مركزنا، يكون علينا التقدم شمالاً صوب جرديز مع عبور قريتين كبيرتين الأولى هي (غلجاى) تليها (دارا) وهي القرية التي كنا بأطرافها في زيارتنا الأولى لأفغانستان.
نعبر دارا ثم ننحرف شمالاً لنكون في مواجهة (بنوزاي) وهي قرية أو ضاحية في جنوب غرب مدينة (جارديز) وهي مدينة أكبر من خوست وتشغل وادي أرحب، كما أن جبالها أكثر ارتفاعاً عن سطح البحر. حيث تتعدى بعض القمم 5000 متر بينما جبال خوست تبقى تحت 2000 متر فوق سطح البحر.المركز نفسه عبارة عن غرفتين بين الأشجار الأولى فوق الأرض والثانية في مقابلها وتوجد في معظمها تحت الأرض وكلاهما مسقوف بالأشجار والطين.
أهم شخصيتين تعرفنا عليهما هما كومندان المركز ويدعى (غنمكه) وهو شخص طيب الخلق حسن السمعة قوي البنية وشجاع ولكنه لا يمتلك شيء من فنون القتال، كما ظهر لنا في فترة بقاءنا القصيرة عنده. والشخصية الثانية هو متطوع من مصر يدعى (أبودجانة) وهو شاب في العشرينات طويل القامة و بطلا رياضيا، ذكي جداً ومرح ذو سمعة طيبة ومعروف في أوساط الشباب المصري الموجود معنا أو الذين قدموا لاحقاً.
كان متواجداً في المنطقة ،منفرداً معظم الوقت.ومنذ عدة أشهر، يدرس المجاهدين تلاوة القرآن. وكانوا يحترمونه لكرم خلقه وشجاعته وكونه عربياً، ولكني لا أظن أنهم كانوا يحبونه. وأظن أيضاً أن بعضهم ربما فكر في قتله فقد كان،يرحمه ا ، فظاً في (نهيه عن المنكر) خاصة فيما يتعلق بتعاطي (النسوار) وهو نوع من التبغ يتعاطاه معظم الأفغان عن طريق الفم، وقد أجازه بعض علمائهم. ولكن صاحبنا حرمه وكان يمنعهم من تعاطيه أمامه، بل كان يفتش جيوبهم وأمتعتهم إذا قدموا إلى مكان إقامته أو داهمهم بزيارة (!).
وقد إنتزع علبة النسوار إنتزاعاً من أحد الكومندانات المشهورين أمام رجاله، مما كاد يؤدي إلى كارثة، خاصة طريقة الإنتزاع العنيفة ثم دهسها بقدمه على الملأ ولولا أنه في ضيافة (حقاني) لتم قتله على الفور.
لقد شعرت بآثار تلك الطريقة الجافة في (النهي عن المنكر) فقد إكتشفت أننا مكروهين، وأن إستمرارنا في المنطقة قد يؤدي إلى صدام وكارثة.فالعداء واضح والتحرش على وشك الحدوث. أذهلني ذلك كلما قارنته بما قابلنا به أهالي نفس هذه المنطقة في العام الأول، وكيف كانوا يقفون الساعات الطوال في إنتظار مرورنا بقراهم حتى يتبركوا بنا!!.
لقد إستشهد أبودجانة -رحمه ا - أثناء قتاله في بلدة نهرين في محافظة (بغلان) في شمال البلاد. وكان برفقته وقتها عدد من العرب من بينهم صديقنا سلطان، وأبوصهيب وآخرون. وقد أُصيب أبودجانة بطلقة في جبهته أثناء إقتحامه مركزا للعدو،فخر ساجدا و أستشهدا علي هذا الوضع. حدث ذلك قبل نهاية ذلك العام 1986م.

الاثنين(86/7/21) :

كانت أول رحلة إستطلاع لنا. المسافة طويلة جداً، عرضنا على الكومندان غنمكه أن نتخذ مركزاً في تلك الجبال المواجهة لقرية(بنوازي) لكنه رفض لخطورة المكان وكثرة المنافقين والجواسيس في المنطقة، فقد تباغتنا قوات العدو بهجوم مفاجيء بينما عددنا قليل لا يكفي للدفاع. ثم عرض علينا التمركز في قرية (دارا)،إعترضت بدوري لكونها قرية كبيرة

يعبرها الكثير من الناس مجهولي الهوية، وسنكون (كعرب)، صيد ثمين للجواسيس ولقوات العدو. ومن السهولة مباغتتنا في دارا أكثر من إمكانية مباغتتنا في تلك الجبال. المهم لم نتفق على شيء.والنتيجة التي توصلت إليها في نهاية اليوم أن علينا ضغط برنامجنا في هذه المنطقة والإكتفاء بالصواريخ المتوفرة معنا.

الأربعاء(86/7/23):

وصلتنا بالأمس الصواريخ الأربعة وكانت لم تنقل بعد من أسفل الجبل كل شيء أصبح جاهزاً للعمل. إستيقظنا في الثانية صباحاً وبدأنا الحركة في الثالثة،كان ذلك هو توقيتنا المفضل للحركة والعمل منذ عمليات المطار في العام الماضي والسبب أيضاً هو كثرة الجواسيس في هذه المنطقة وحتى لا ينتقل خبر عمليتنا إلى العدو.

الصاروخ لففناه في أقمشة وحبال حتى يظهر كبضاعة عادية وحسب الإتفاق فإننا يجب ألا نتكلم مع أحد أثناء الطريق، وأن يتولى (غنمكه) ومساعدوه مهمة التفاهم مع الغرباء على شرط ألا يخبروهم بأننا عرب.

في السابعة والربع إنتهينا من العمل بعد صعوبات غير متوقعة في رفع الغطاء البلاستيكي من مقدمة الصاروخ لتركيب الصاعق ..فقد فعل الزمن فعله ..وتفتت الغطاء وكانت مشكله فى تنظيف الأسنان الحلزونيه حتى تسمح بدخول الصاعق.

المهم كانت وسيلة الإطلاق هي التوقيت بالساعة التي ضبطناها على العاشره والربع .

وكان السبب في إختيار تلك الطريقة هي أننا بحاجة لمعرفة ردود فعل العدو من ناحية القوة والسرعة والإجراءات التي يتبعها، فالجبل قريب نسبياً من الوادي ومن السهل إرسال قوة من المشاة إليه، إلى جانب الرد المدفعي والطيران ونحن في حاجة لأن نعلم شيء عن أسلوب العدو في العمل بتلك الوسائل كلها.

لذا لم نحبذ التضحية (بالرومت كنترول) فقد يصل العدو إلى الجبل ويفتشه ويصادر قطعة الإستقبال وبذلك نخسر قطعة تكنولوجية ثمينة بالنسبة لنا.ومفهوم بداهة،وكما فعلنا مرات كثيرة سابقة،أننا سننتقل إلى قمة جبلية أخرى لمراقبة ما يحدث، سواء داخل المدينة عندما يسقط الصاروخ أو عندما يشرع العدو في الرد. شرعنا فى النزول ، وقرب منتصف الجبل لاحظنا أن (غنمكه) ورجاله ، وكذلك أبو دجانه ما زالوا جالسين فوق القمه على بعد عدة أمتار من الصاروخ . ظننا أنهم واجهوا مشكله ما . فذهب إليهم فرد من جماعتنا لإستطلاع الأمر وإحضارهم .ولكنه بعد فترة عاد مندهشا لقد رفض الجميع أن يتحركوا وأصروا على البقاء حيث هم لمشاهدة ما يحدث . ولما شرح لهم خطوره ذلك وعدم فائدته أيضا، أسمعوه بعض التقريع وأوضحوا أنهم لا يخافون من العدو وأنهم فعلوا ذلك كثيرا من قبل.

وأضاف صاحبنا أبو دجانه: (إنما جئنا للموت والشهادة فى سبيل ا)).. شعرت بخيبة الأمل في الجميع خاصه صاحبنا أبودجانه الذى يتبارى معهم في اللا معقول .. وضحكت وكثيرا ما تضحكني شر البليه. وأخذت أسأل من معي من الإخوه: ما معنى نطلق صاروخا بالتوقيت أو (بالرومت كنترول) ونحن جالسون إلى جانبه ؟. هل أصبحت (الشهادة فى سبيل ا) كلمة حق يراد بها باطل ؟ .. أين إذن قوله تعالى(وأعدوا لهم ما إستطعتم من قوة) وأين قول رسول ا صلى ا عليه وسلم (الحرب خدعة) ؟ ..

هل نحن كمسلمين مكلفون (بالشهادة) أم مكلفون بالقتال بهدف هزيمه العدو وإجباره على التسليم لأمر ا ؟ . ثم تأتي الشهادة أو لا تأتي خلال أدائنا لذلك التكليف الشاق؟ .. هل الشهادة

أصبحت وسيلة للتخلص من التكليف الأساسى وإستثقالاً له أو يأساً من النجاح فيه؟.
إذا كانت الشهادة هي الهدف والغاية من القتال في سبيل ا فلا عجب إذن فيما نراه من فوضى ضاربه أطنابها بين مجاهدينا العرب وإهمال شبه تام للتدريب مع ضياع التنظيم ضياعاً مبرماً، وإختفاء فن التكتيك في القتال ناهيك عن الإستراتيجيه التي نجهل كنهها ؟ ...
كان إخواننا العرب يتجاوبون مع تلك "الآراء المشبوهة" لفترة محدودة ولمدى محدد أيضا ..
بإستثناء عبد الرحمن لم أنجح في العمل مع العرب سوى لفترات محددة وفي عمليات محددة .. وبعدها يسير كل في طريقه . لفرط شعوري بالكمد لم أهتم بالصعود علي قمة جبل لمتابعة ما يحدث .. لقد قررت أن هذا يكفي .. ولا داعي للمزيد وأخذت أفكر علي النحو التالي:
لابد من العثور علي أسلوب جديد للعمل .. لقد ظهر أن العرب أسوأ من الأفغان .. فهم يعانون من نفس العيوب .. ولكنهم لا يمتلكون نفس المزايا. علي الأقل فإن للأفغان ميزات معرفة اللغة والأرض والإستمرارية .. هذا إذا إستطعنا كعرب مجارتهم في الشجاعة والثبات والصبر، ثم تساوينا معهم في الفوضى والعمل العشوائي المرتجل..؟
كنا جالسين قرب جدول ماء نناقش أو نغرق في الصمت حتى سمعنا صوت إنطلاق الصاروخ ، بقينا بعض الوقت وتحركنا قليلا علي الطريق متوقعين أن يصل (غنكمه) ورجاله من فوق الجبل. وبدلا عن ذلك وصلنا شخص من عندهم يعدو مسرعا ومعه رساله من صديقنا أبو دجانه يقول فيها أن العدوحرك في إتجاههم عشر شاحنات محملة بالجنود،وهو يطلب المساعدة.
تساءلت بدهشة: لماذا لا يحضرون؟. ما معنى أن نجلس كي ندافع عن قمه جبليه لا معنى لها .. ونخوض معركه لم نتخذ لها الترتيبات اللازمة ، ورغم أننا يمكن التملص منها بسهولة ؟ إن عشرة شاحنات تعني مائتي جندي علي الأقل بينما عددنا جميعا لا يصل إلي إثني عشر شخصا.والجبل بعيد عن كل مراكز المجاهدين ويسهل تطويقه ثم القضاء علينا جميعا، خاصة وننا لم نحمل ذخائر كافية او ماء وطعام حتى نقاوم فترة معقولة،ثم مامعني هذا الصمود؟ في سبيل قمة لا أحد يريدها لانحن ولا العدو ؟ لم أكد اتصور ماأرى وماأسمع كم أتوق إلي مغادرة هذا المكان.
إنهم أناس طيبون، أخلاقهم رائعة لكنني لا أريد أن أقاتل إلى جانبهم ولو لثانية واحدة.
بقيت مع أبو جهاد وأبو صهيب ننتظر علي الطريق بينما ذهب الاخرون لإقناع (غنكمة) وأبو دجانة بالتخلي عن فكرة البقاء علي الجبل والصمود أمام العدو القادم ، كنت واثق من أنهم لن يستجيبوا لذلك يبدو أن هذه المعركة الغبية قد فرضت علينا. سوف تكون معركة سهلة ومغرية بالنسبة للعدو ونهائية بالنسبة لنا.
حدثت معجزة غير متوقعة أنقذتنا من تلك الكارثة المتوقعة،فقد إنهمر المطر فجأه غزيرا للغاية.
فحمدت ا علي هذه الرحمة. حاولنا الوصول إلي قرية (دارا) بسرعة للإحتماء بأحد البيوت .
الأرض طينية والمطر يحولها إلي طين رخو يصعب الحركة فيه.
عادت المجموعة كلها وكان ذلك حدثا سارا. صلينا الظهر في القرية ثم تحركنا في مجموعتين وكنت مع المجموعة الأخيرة مع ثلاثة من العرب. تحركنا تحت أمطار خفيفة وسط حقول دارا الجرداء الموحلة والمليئة بالبرك المتكونة من مياة المطر. كانت رحلة عسيرة ولكن أسوأ ما فيها أنه عند إقترابنا من الجبل الذي نقيم فوقه كانت آخر منطقة منبسطة تحتوى علي حقل ألغام بثه الكومندان غنمكه لسبب لم أفهمه إطلاقا، رغم أنه شرح لي طويلا وجهة نظره ولم اقتنع بالمرة بأنه كان هناك سبب حقيقي لزرع حقل ألغام في منطقة لا تواجه محاورالتقدم التي يتوقع

أن يأتي منها العدو. بل علي العكس تقع علي طريق المجاهدين إذا حاولوا الإتصال بالمراكز المتواجدة علي ميسرتهم .
الطريف في الأمر أننا إكتشفنا أننا في وسط هذا الحقل تماما ونحن غائصون في الطين إلي الركب. توقفنا عن الحركة ونظر بعضنا إلي بعض متسائلين السؤال التاريخي: ماالعمل؟.
المطر ينهمر والأرض تحتنا ملغومة وتشبة الرمال المتحركة التى تبلع مافوقها ، وطريق المسير الحقيقي يبعد عنا حوالي خمسة عشر مترا.
توصلنا إلي حل عبقري وهو: أن نواصل المسير حتى الطريق مفترضين أننا لاندري شيئا عن الألغام . ولما كنت وقتها في مقدمة الركب فقد حاول صديقي أبو جهاد أن يقول شيئا مطمئنا حيث أنني خط دفاعه الأول، وأنه سيضع قدمه حيث وضعت قدمي سابقا، وطالما أنني لم أطير في الهواء ممزقا إلي قطع صغيرة ، قال صديقي . توكل علي ا إن الأرض رخوة جدا وإذا وضعت قدمك فوق أحد الألغام فإنه سوف يغوص بعيدا ولن ينفجر.. ثم حاول صديقي أن يضحك.لم يكن أمامي حلا آخر إلا أن أواصل المسير متظاهرا بأنني إقتنعت بكلامه، فسوف تبرهن نظريته عن نفسها خلال دقائق معدودة .
لقد عبرت بدون أن يحدث شيئ وكذلك فعل أبوجهاد وصديقنا الثالث . أن نظريته صحيحة رغم أنني لازلت غيرمقتنع بها.
وصلنا غرفتنا فوق الجبل ونحن مبللون تماما ، وقد غرقت ملابسنا بالطين حتى صدورنا بدلنا ملابسنا بسرعة . ولكن أحداث ذلك اليوم المتميز بالطين لم تنته عند ذلك الحد فقد لحقته ليلة لاتقل (طينا) . فوابل المطر غزير وقوى ،ونفذ الماء من سقف الغرفة كما ينفذ من الغربال. وبالكاد يجد أحدنا بقعة جافة كي يجلس فيها وهكذا قضينا الليل ونحن نائمون جلوسا وقد هدنا الإرهاق وأحداث ذلك اليوم(المطين).
توقف المطر بعد منتصف الليل ومن فرط التعب تمددنا فوق الطين

الخميس(86/7/24):

في الصباح أخذنا نتساءل ماذا حدث لصاروخنا؟ توجهنا بالسؤال لأبي دجانة وغنمكة وكلاهما أفاد بأن الوادي كان محجوبا بعاصفة ترابية لم يتبينوا منها شيئ . علي أيه حال فان ردود فعل العدو تصلح ـ في الغالب ـ لمعرفة تأثير الضربة التي وجهت إليه حيث تتناسب معها تناسب طرديا.هذه السيارات العشرة التي تحركت هل هي رد فعل علي إطلاق الصاروخ ، ربما كانت كذلك، وربما كانت تحركات عادية قادمة من المدينة صوب قرية (بنوزاي) التي تتمركز فيها قوة دفاعية. كما أن الأمطار الغزيرة التي هطلت منعت العدو من الإفصاح عن ردة فعله وحرمتنا بالتالي من معلومات كثيرة كنا في حاجة إليها، فقد كان إطلاق الصاروخ هو عملية إستطلاع بالنيران حسب التعبير العسكري. ماذا لو سرنا علي سلسلة "ساتي كندو" في إتجاه الشرق؟.ربما إكتشفنا أشياء مفيدة و ظهرت لنا مواقع للعدو لا تظهر من جبال (بنوزاي).
وجهنا السؤال إلى الكومندان غنمكة، فنصحنا بعدم التحرك شرقا لأنها منطقة ملغومة.
دهشنا لهذه المفاجأة السخيفة.. من لغمها ولماذا ؟ ولمن تحديدا ؟إنهالت أسئلتنا علي غنمكة الذي أجاب بأنه طبقا لحساباته وحسابات نائبة وجد أنه من المصلحة وضع بعض الألغام في هذا الإتجاه حتى لا يفاجئهم منه العدو.
كانت صدمة لأنه نفس أسلوب القوات الشيوعية التي تحاصر مواقعها بحقول دائرية من الألغام

بهدف منع الجنود من الهرب أكثر منه دفاعا عنهم.وكان بعض المجاهدين يقلدون نفس الإسلوب بلا بصيرة .
شرحنا له أن ذلك ليس بالأسلوب المناسب ، وأنه يعرقل حركة المجاهدين والرعاة ويضر المسلمين . وطلبنا منه رفعها ، فرد قائلا بأنه لايدري بالضبط أين مواضعها لأن نائبه قد بث الألغام ولم يخبره عن أماكنها تحديدا ولا عددها لأنه كان(زعلان) وغادر الموقع إلي ميرانشاه بدون أن يتكلم معه في الموضوع . ضربت كف بكف ولم أفعل المزيد لأن كل شىء طار من ذهني،فطائرات العدو النفاثة كانت فوق رؤوسنا في تلك اللحظة وكنا قبل السابعة صباحا بقليل.
دارت الطائرات حول الموقع. واضح أنها ستفعلها. جرى أحد المجاهدين إلي موقع الدوشكا وحمل آخر قاذف صاروخي (ار بي جي) وصعد فوق قمة قريبة وحملت مع عبد الرحمن رشاشانا الخفيف (البيكا) وصعدنا إلي قمة أخرى ولم نكد نصل حتى كانت الطائرات تفرغ حمولتها قريبا من المركز، والدوشكا تطلق عدة زخات، وقذيفة "آر بي جي" تمخر عباب الجو. إنتهى كل شيئ فجأة كما بدأ. وفي أقل من دقيقة تم تبادل الأخبار.. كل شئ علي مايرام ولم يصب أحد .
الشمس مشرقة وساد الهدوء الممزوج بسمفونية رائعة من تغريد طيور الجبال كنا منهكين منذ الأمس وليلة بلا نوم ومرض الدسنطاريا الذي داهمني . لذا تمددت فوق الصخور الملساء تحت أشعة الشمس،وإستسلمت لنوم عميق ولذيذ .

الجمعة 86/7/25:

بدأنا في التحرك بعد صلاة الفجر مباشرة. وضعنا الصواريخ الثلاثة المتبقيه فوق ظهر البغل حسب الإتفاق، يصحبنا غنمكة وإثنان فقط من رجاله. قبل التحرك إتفقنا بالإجماع علي أن أميرنا هو عبدالرحمن . لقد كان ذلك اليوم هو اليوم الأخير في تاريخنا العسكري كمجموعة فمن بعدها لم نجتمع في عملية واحدة أبدا . وكانت القشة التي قصمت ظهر البعير هو ذلك الخلاف الحاد الذي نشب بين عبدالرحمن، أمير المجموعة ، وأبوصهيب .
بدأت القصة أثناء عبورنا لقرية دارا ونحن نعبر أزقتها مسرعين ونحن في صف واحد تحسبا من عيون المتطفلين وأسئلتهم ، أو أعين الجواسيس المتفحصة التى قد تكتشفنا بسهولة نتيجة لأى إختلاف بسيط في طريقة اللبس أو الأحذية أو حتى صمتنا وعزوفنا عن الكلام .
وبعد نهاية القرية أخذنا في السير علي الطريق الترابي المتجه غربا نحو جبال "بنوزاي" .
إن الصواريخ قد سبقتنا إلي هناك مع شخصين من جماعة غنمكة ولكن أين أبو صهيب؟.
كان يسير في نهاية الصف ، رآه أحدنا يربط حذاءه، ربما تأخر قليلا ولكن مرت نصف ساعة ولم يحضر فإنتابنا القلق. قررنا البحث عنه فقد زاد من قلقنا قافلة من الجمال يقودها البدو عبرت دارا في طريقها إلي جرديز، ماذا لو صادفوا أبو صهيب وحيدا فتكلموا معه فعرفوا أنه ليس بأفغاني وأنه عربي؟ الأغلب أنهم سوف يشدون وثاقه ويضعوه في أحد الشوالات فوق جمل ثم يبيعونه لحكومة جارديز ويقبضون فيه ثروة لم يحلموا بها .
ذهب عبد الرحمن مع مجموعة للبحث عن أبو صهيب في أزقة دارا وبقيت مع شخص أو إثنين نراقب الطريق لعله يظهرفجأة خارجا من القرية وقد صح ذلك الإحتمال الأخير بعد حوالي ساعة تقريبا. كان التوتر والقلق قد بلغ بنا أشده فلم يساورنا شك في أنه أختطف .
حضر عبدالرحمن مع مجموعته وقد غطاه العرق وشحب لون وجهه من القلق ، فلما وجد أبو صهيب وسأله عن السبب ، وقد فعل ذلك بحده لم يقدر أبوصهيب مبعثها، فقابلها بإستهانة

وتحدي . فطار صواب عبد الرحمن وتصاعدت التحديات حتى كادت تصل إلي الإشتباك ، عبدالرحمن يشتعل ، وأبوصهيب يقابله ببرود وإستهانة بشخصة .
لم ترجع المياة إلي مجاريها قط بين الصديقين بل إنقسمت المجموعة علي نفسها. وحاولت عبثا لعدة أيام الخروج من الورطة لكن الجميع أصروا علي إستبعاد عبدالرحمن، وفي الحقيقة كنت الوحيد المتعاطف معه. ولما كنت أنا أيضا مطالب بالرحيل عن المجموعة فقد كان الطريق واضحا، إنه لامكان مستقبلا لي ولعبد الرحمن إلا في العمل سويا ضمن إطار جديد وهذا ماحدث منذ العام التالي 1987 .
المهم إستمرت المجموعة المسير نحو جبال (بنوزاي).
- وصعدنا نفس الجبل السابق وجهزنا الصواريخ الثلاثة بزوايا مختلفة حتى تسقط علي مسافات مختلفة ، فلم يكن لدينا ايه معلومات عن ذلك الصاروخ والمدى الذي يذهب اليه .
اليوم هو اليوم الأخير الذي تتاح لنا فرصة لمعرفة شيئ عن ذلك،فسوف نتخلص من كل الصواريخ التى لدينا دفعة واحدة ولن نطلب المزيد .
سوف نطلق إثنان منها بالرومت كنترول والثالث بواسطة ساعة توقيت.إنتهينا من العمل تركنا المكان لنتوجه نحو قمة آخري لمشاهدة مايجري . وكالعادة جلس غنمكة ورجاله ومعهم أبو دجانة علي نفس القمة .
وبعد إلحاح شديد ومجاملة منهم لنا وافقوا علي الجلوس بين مجموعة من الصخور المرتفعة وبحيث لا يراهم العدو، رغم أن ذلك مخالف لعقيدتهم القتالية. تحولت مع أبو حفص إلي قمة أخرى مشرفة علي المدينة . وذهب عبدالرحمن مع سلطان إلي قمة أخرى حيث يستخدمان جهاز (الرومت) في إطلاق الصاروخين. لم يلبثا حتى أطلاقا الصاروخ الأول. كانت سرعته عاليه جدا وهو يجر خلفه خطا أبيض طويل من الدخان ثم يختفي في السماء. يبدوا أنه متوجه إلي مكان بعيد. أحدقنا النظر في أرجاءالمدينة لنصف ساعة فلم نشاهد شيئا. شعرنا بخيبة الأمل ثم أطلقا الصاروخ الثاني ليتكرر نفس المشهد ونصاب بخيبة مضاعفة. ضاعفها أن العدو لم يهتم حتى بالرد علينا،وهذا يؤثر كثيرا علي نفسيتنا، لأن معناه الفشل في المهمة. ثم إنطلق الصاروخ الثالث بواسطة الساعة ليصبح فشلنا ثلاثيا. ياله من يوم كئيب بدأ بالخلافات الداخلية وأنتهى بالفشل الخارجي. لم أشاهد قط معركة في أفغانستان سبقتها مشاكل داخلية وحققت أي نجاح. بعد دقائق وصلت طائرة هليوكبتر وحلقت عدة دقائق فوق الجبل الذي تم منه إطلاق الصواريخ. لحسن الحظ أن غنمكة ورفاقه قد إلتزموا بسياسة ضبط النفس . كما وعدونا ، فلم يكشفوا أنفسهم للعدو فعادت الطائرة بدون أن تطلق طلقة واحدة . الجو حار ذهبنا إلي شلال قريب في المنطقة ووضعنا أنفسنا تحته لنطفئ حرارة أجسادنا ، وحرارة خلافاتنا، وحرارة فشلنا .وفزنا بدقائق من الإنتعاش والمرح. لقد إستحممنا فعلا ولكن بكامل ملابسنا حتى نحتفظ بالبرودة أطول مدة ممكنة وغالبا مايسفر ذلك عن نزلة برد أو زكام.

السبت (86/7/26):

عاد عبدالرحمن يصحبه أبو جهاد إلي سرانا.فقد إنتهي برنامجنا هنا بسبب الخلافات وبسبب صعوبةالعمل او التكيف مع العقيدة القتالية للكومندان غنمكة ومن حوله .
أشعر بالضعف الشديد تحت وطأة الدوسنتاريا .. بقيت مستلقيا تحت الأشجار في المعسكر .. مرت طائرة هليوكبتر من فوقنا ولكنها لم تهاجم . في الليل جاء عدد كبير من المتطوعين الباكستانين بينهم إثنان من العرب .. كنت في حالة نفسية لم تجعلنى أرى في ذلك سوى

مزيدا من الضوضاء والقتلى وقليل من النتائج . وكنت سعيدا إذ هبطنا القمة في الليل حتى نستقل نفس السيارة التي أحضرتهم كي نعود بها إلي سرانا .. وسعدت أكثر عندما قضيت الليل فوق سطح المسجد قريبا من غرفة صديقنا زرغون .

يوم الاحد (87/7/27):

قضينا يوما من الراحة إلي جانب شلال من المياة العذبة بين الجبال وأشجار الصنوبر في سرانا . بحثنا مشكلة الأمس بدون وجود طرفي المشكلة ولكن لم نصل إلي نتيجة ، أصروا علي موقفهم السابق بضرورة إستبعاد عبدالرحمن.

يوم الاثنين (87/7/28):

وجدتها فرصة لتخفيف التوتر أن أصطحب عبدالرحمن ونذهب لرؤية الشيخ جلال الدين الذي يزور مناطق زدران . وهو الأن في منطقة فخري. أخذنا دليلا إلي هناك، فوجدناها قرية خضراء رائعة عامرة بالحياة تخترق واديها الضيق الساحر قوافل كثيفة متوجهة إلي الشمال ومكونة من عشرات الدواب تحمل أسلحة وذخائر من باكستان.

كانت فرصة طيبة بالنسبة لنا أن نحضر عددا من لقاءات حقاني من عشائر قبيلته. كانت أشبه بعملية إعادة بيعة وإزالة الآثار السلبية لدخول القوات الشيوعية إلي جاور، وإعلان التصميم على إبقاء طريق جرديز خوست مغلقا في وجه القوات الحكومية، التى مابرحت تهدد وتتوعد، وتعرض الأموال والسلاح في مقابل إعادة فتح الطريق .

لقد وصلت الي زدران تهديدات ومساومات شتي، خاصة من أبناء زدران أنفسهم من كبار الضباط وأعضاء الحزب الشيوعي.

نجيب ا الرئيس الجديد الذي لم يكمل شهرين في السلطة وهو من أبناء جرديز ضاحية سيد كرم، كتب لهم يقول أن حكومة كابول قد تكلفت أموالا طائلة في نقل الإمدادات جوا إلي خوست، وهي لا تستطيع الإستمرار في ذلك، لذا فهي مصممة علي فتح طريق زدران بالإتفاق أو بالحرب .

في تلك الجولة التي إستمرت عدة أيام حضرنا مع حقاني عدة ولائم فاخرة كأنها مباريات في تكريم الرجل ولكنها أفادتني كثيرا ، فقد بدأت أسترد عافيتي. ورغم كميات اللحم الكثيرة التـي عرضت علي تلك الموائد فقد أغرمت وعبدالرحمن بالزبد والبصل الأخضر. وكان بصل فخري بالنسبة لنا أحد العجائب ، وفي كل وليمة كنا ندس كميات كبيرة منه في جيوبنا كي نتناولها فيما بعد تحت الأشجار أثناء فترات الراحة . نسينا تماما أجواء الحرب رغم خشيتي المستمرة من حدوث غارات جوية مفاجئة علي تلك القرى السعيدة التي أنستنا ، تقريبا، المأسي الدائرة حولنا في كل مكان .

لم ينغص علينا الحياة سوى براغيث فخري التي لم نشهد مثيلا لوحشيتها ، حتى أننا وضعنا فيها بعض الأشعار. وهي ليست أشعارا بالمعنى الصحيح ولكنها أغنيات شهيرة حورناها لتناسب تلك المأساة، فكنا نتضاحك بتلك الأشعار الغنائية بين موجات الهرش الاليمة .

علمنا أن هناك عدد من مدارس الأطفال في المنطقة مازالت تعمل ، فقمت مع عبدالرحمن بجولةعلى تلك المدارس إستغرقت عدة أيام وكانت مؤثرة للغاية . أطفال يتعلمون القرآن تحت تهديد دائم بالقصف الجوي إلي جانب كل مدرسة هناك حفرة في جبل ، يهرع إليها الأطفال

عند سماع صوت الطائرات ، وقد حضرنا تجربة كهذه .
كانت محزنة حقا ، رغم أنها لم تسفر عن ضحايا إلا أن أجواء الرعب نفسها والبساطة التي يتعامل بها الأطفال مع الخطر .. تؤثر كثيرا في النفس .لقد تبارى الأطفال في تلاة القران أمامنا . وتزاحموا لمصافحتنا. في أول مرة ، وفي أول زيارة ماكدت أدخل الغرفة الوحيدة في المدرسة حتى رأيت حوالي عشرين يدا صغيرة جدا ممتده نحوي للمصافحة، فجمعت الأيدي كلها وصافحتهم مرة واحدة فأغرقوا في الضحك. أردت أن أصورهم فتسابقوا يحملون المصاحف وطلبوا بنادقنا حتي ليضموها إليهم عند التصوير. إلتقطت لهم عدة صور كانت أفضل ماصورت خلال حرب أفغانستان كلها. ثم طبعتها فيما بعد بحجم كبيرا جدا ووزعتها علي عدد من الأصدقاء في أبو ظبي ومازالت واحدة منها معلقة في جريدة الأتحاد .
كان بعض الأطفال من الأيتام، وما أكثرهم في أفغانستان. الصغير (محمد خان) فقد أمه وهو لم يدرك بعد سنته الرابعة. كان بصحبة أبيه الذي يأخذه معه في كل مكان لأن باقي الأهل مهاجرون.حملته علي كتفي ففرح كثيرا ورفض أن يرجع إلي أبيه وطلب البقاء معي .. وكم تمنيت ذلك وأحزنني فراقه. من تلك الزيارة جاءت إلينا فكرة تكوين مجوعة مقاتلة من الشباب دارسي العلوم الدينية ومن أبناءالشهداء ندرب هذه المجموعة ونقاتل بها ، ونحضر لهم مدرسين من العلماءالأفغان، أي تكون مدرسة دينية قتالية . تداولت الفكرة مع عبدالرحمن وراقتنا كثيرا ثم عرضناها علي الشيخ حقاني فرحب بها وقال بأنه مستعد لتسليح هؤلاء الشباب بالأسلحة المتوفره لديه . لقد وجدنا إذن مشروعنا القادم إنه الحل لأزمتنا القتالية وفشلنا مع إخواننا العرب. كان حقاني هو الآخر قد وضع قدميه ، ربما بدون أن يشعر هو أونشعر نحن ، علي أول أعتاب معركته الكبرى القادمة التى حدثت بعد ذلك بعام ونصف تقريبا (ديسمبر87) تلك الحملة السوفيتية الضخمة التي إنطلقت من جرديز لتفتح طريق زدران نحو خوست عنوه.
كان حقاني في رحلته تلك يهدف إلي تمهيد المنطقة سياسيا لقبول معركة كبيرة ضد حكومة كابول الشيوعية أذا حاولت إقتحام الطريق. بلا شك كان هناك من ضعفت عزيمته نتيجة ما تخيلوه هزيمة جاور، ولطول مدة المعاناة والقتال ، والخسائر في الأرواح والأموال إلي جانب المغريات الهائلة التي تعرضها عليهم حكومة كابول وأبنائهم ، أبناء باكيتا ، بل وأبناء زدران نفسها ، من كبار مسئولي الدولة .
وهو ينوي أن يضع جارديز نفسها تحت ضغط عسكري ويبادر بالعمليات حتى يحتفظ بمعنويات رجاله مرتفعة ويرهب عدوه مظهراً له القوة ، ويحشره مسبقا في موقف الدفاع.
لذا فقد أرسل رجاله بقيادة أخية إبراهيم إلي منطقة الأرجون لإحضار ثلاثة راجمات صواريخ متعددة الفوهات (بي ام 12) حتى يقصف مواقع الشيوعين في جارديز. وقد صادفه التوفيق في ذلك القصف الذي أدي إلي مصرع محافظ جارديز. وقد وصلته رسالة بذلك في86/8/6 .
وأفادت الرسالة أيضا وهي من أحد المتعاونين معه هناك - أفادت بأن الوزيران أسلم وطنجار وجولاب زاي قد يصلان قريبا إلي جرديز للإجتماع برؤساء القبائل لطلب معاونتهم في فتح الطريق وكلا الرجلين من باكتيا.
طلب منا الشيخ أثناء تجوالنا معه أن نشارك المجاهدين في قصف المدينة، خاصة وأن المهمة يقودها صديقي القديم عبدالرحمن إبن عمه وأول كومندان عملت معه في أفغانستان.
رحبت بالفكرة رغم قراري المسبق بالرحيل : فقد كان يسرني أن أعمل مرة أخرى مع

عبدالرحمن الذي أعتبره النقيض الكامل للكومندان غنمكة .
وهكذا بدأ حقاني هجومه المعاكس بعد معركة جاور. بدأه سياسيا في وسط قبائل زدران وعسكريا علي جارديز نفسها .

....

تخريب في ستي كندو:

ولكن الخيانة كانت أسرع فقد بدأت العمل في المنطقة قبل عشرة أشهر من وصول حقاني في رحلته تلك. وتحديدا بدأت في سبتمبر 1985 في أعقاب الحملة الأولي علي خوست.
وبدأت المؤامره فوق جبال (ساتى كندو) التى تمثل المفتاح الجنوبى (لجارديز) كما تمثل المدخل الطبيعى لطريق زدران (جرديز/ خوست).
مصدر المؤامرة كالعادة هو بشاور وتحديدا سياف. وبالطبع فإن العبث فى مسائل إستراتيجية على هذا المستوى الرفيع لا تترك لأمثال هؤلاء لكنها تأتى بأوامر واضحه صريحه من الجنرال أختر عبدالرحمن مدير الأستخبارات الباكستانية.
وهذا الجنرال الخطير يمثل سياسة الدولة الباكستانية وينفذ صفقاتها مع أمريكا.
أهم مرتكزات إتفاق جورباتشوف مع ريجان هو عدم السماح بإنتصار إسلامى فى أفغانستان أو قيام نظام إسلامى بها. وبالتالى عدم السماح للمقاومة الأفغانية بدخول مرحلة الحسم العسكرى الذى يتمثل فى إسقاط المدن والإستيلاء عليها.
وخوست كما يدرك هؤلاء ، أضعف الحلقات فى المدن الأفغانية الأساسية نتيجة حصارها المزمن الذى يجعلها قابله للإقتحام من طرف المجاهدين على ماهم فيه من ضعف وتمزق.
لذا كانت لخوست تحديداً أهمية خاصه على المستوى الدولى لأنها تتحكم فى مصير قضية دولية من الدرجة الأولى.
تلك كانت بديهية لم يدركها العرب المجاهدون، وحتى أكثر الأفغان. لكن الخطوات قد إتخذت منذ عام 1985 لمنع سقوط خوست . وكانت الخطوة الأولى فوق جبال ستى كندو.

فماذا حدث هناك؟

لقد قرر سياف إقامة جبهة عسكرية لحزبه فوق قمم (ساتى كندو) وهذا إجراء منطقى فى ظل الفوضى العارمة فى صفوف المقاومة الأفغانية سواء سياسياً أو عسكرياً . ولكن ذلك الإجراء كان إستثنائياً فى أهميته نتيجةعاملين:
(الأول) الأهمية الإستراتيجية الفائقة لجبال (ساتى كندو).
(الثانى) خطورة الشخصية التى عينها سياف لتتولى ذلك العمل الحساس وهى شخصية الكولونيل (حاظر محمد) الشيوعى القديم.

فمن هو الكولونيل (حاظر محمد)؟

يقول الضابط عمر مسئول الإستخبارات عند حقانى فى ذلك الوقت وزميل الدراسه لحاظر: كان ذلك الضابط عضوا قياديا فى (حزب خلق) الشيوعى لمدة إثنتى عشر عاماً متتالية، لذا فقد حصل على ترقيات عسكرية سريعة. تلك الترقيات كان لها مبررات عمليه إلى الجانب الإنتماء السياسى، فالقسوة وإرتكاب المجازر ضد المدنيين أحد المؤهلات المعتبرة جداً للحصول على ترقيات عسكرية سريعة.وقد شهد أحد الضباط الأسرى فى معركة (شهرناو) فى باكتيا عام 1984 أنه شارك فى معركة تحت قيادة (حاظر محمد) فى مدينه باغمان غرب كابول، وأن حاظر محمد أمر سكان القرية بالخروج من بيوتهم والإحتشاد أمام أحد الجدران

الطينية ثم فتح عليهم النيران المدفع الرشاش الثقيل من مدرعه القيادة التى كان يستقلها.
وقد قتل25 شخصاً فى ذلك الحادث وجرح كثيرون.
حاظر محمد من قبيلة زدران ، وهنا خطورة أخرى لدورة القادم ، وهو أيضاً إبن عم الرائد (جولزراك) المستشار العسكرى القديم لحقانى، والقائد العسكرى الحالى لسياف .
الأخ الأصغر لحاظر محمد وهو ضابط ويدعى (حادى محمد) هرب من الخدمه العسكرية عـام **1982**، أى قبل أن يهرب حاظر نفسه بعام والتحق بمكتب يونس خالص فى بشاور حيث تم تعيينه مديراً لمخزن الذخائر المركزى فى الحزب. و قضى هناك خمس أشهر كاملـة، وهـو بحكم منصبه يستطيع الإطلاع على أسرار عسكرية خطيرة مثل كميات الأسلحة والذخائر وعدد مراكز المجاهدين وأماكن توزيعها وعدد أفرادهم وتسليحهم الحالى، ماتسلموه من أسلحة ومهمات. . خمسة أشهر كانت كافية لهذا الضابط النجيب كى يعرف كل ما يريد أن يعرفه هو وقادته، قبل أن يفر مرة أخرى إلى كابل، كى يتم تعيينه قائداً لكتيبة دبابات شاركت بنشاط فى سحق قواعد كثيرة للمجاهدين خاصة فى منطقة أورجون.
يقول ضابط عمرأثناء حديثه معى وقتها:
منذ أسبوعين إستدعى حاظر محمد صديقه الحميم الرائد (أنذر جول) وكان قائداً فى منطقة غازنى، فحضر إلى (ساتى كندو) لزيارة صديقه (حاظر) الذى أرسله إلى باكستان كى يعيش فى بيت خاص قرب مدينه (منسرة) فى منطقة تدعى (قلندرآباد) .
وقد قام الضابط عمر ، حسب قوله بإبلاغ السلطات الباكستانية وتحذيرها من ذلك المهاجر الشيوعى. ولكن كانت المفاجأة غير سارة لعمر، فبدلاً من أن يشكروه على ذلك فإذا بهم يزجرونه ويردوه رداً غير طيب !!. **(أنتهى كلام الضابط عمر).**
لقد فهمت من ذلك أن هناك عملاً للحكومة الباكستانية أو مؤامرة بمعنى أصح . مع هؤلاء الضباط الشيوعيين (حاظر محمد) و(أنذر جول) وربما غيرهم أيضاً.
وأن تلك المؤامرة مرتبطة بطريق زداران وإنقاذ خوست من أيدى المجاهدين.وكما علمنا فى موضع سابق من الكتاب أثناء سرد أحداث عام 1983 أن (حاظر محمد) قد فر من الجيش أثناء معارك الأورجون وإلتحق بالمجاهدين بناء على إتصالات بينه وبين جولزراك الذى كان يعمل مع حقانى يومها. وحتى وقت إلتحاقه بالمجاهدين فى الأورجون كان حاظر محمد قد حصل على ميدليات ذهبيه لقتاله إلى جانب السوفييت فى معارك هامة فى بانشير وكونار وباغمان، من بين تلك الميداليات وسام لينين، ذو المكانه العالية وهو من أعلى الأوسمة.
وأثناء دراستة سابقاً فى موسكو حصل على عدة شهادات تقديرية.
ولايحتاج الإستنتاج بأن وصول(حاظر محمد) إلى(ستى كاندو) كان مقدمه لتسليم هذه المرتفعات الإستراتيجية. للقوات السوفيتية عند إقتحامها لطريق(زدران) نحو خوست.
إن مجرد وجود (حاظر محمد) مع مجموعة قوية ومسلحة من قبيله زدران خطوة مهمة بلا شك للإجتياح القادم. ولكن ذلك لابد أن يصاحبه خطوة أخرى لاتقل أهمية وهى إضعاف حقانى عسكرياً وسياسياً إلى أقصى حد، هذا إذا لم يتيسر التخلص منه نهائياً بواسطة الإغتيال.
أضعاف حقانى يمكن إتمامه بسحب تأييد قبائل زدران له بالأموال والسيارات. لذا زود سياف قائده الكولونيل (حاظر) بكميات وفيرة من تلك المواد لجذب قادة وزعماء زدران إلى الجبهة العسكرية الجديدة بعيداً عن حقانى.
سارت الخطة فى بدايتها بنجاح لولا أخطاء إرتكبها الكولنيل نتيجة عجزة عن تمويه حقيقته

السياسية والأخلاقية.
فعلى المستوى السياسى إكتشف أهالى زدران أن هناك إرتباطات شبه علنيه بين الكولونيل وبين قيادات (جرديز) الشيوعية وفاحت الرائحة حتى زكمت الأنوف. وزادها قبحاً سلوكيات الكولينيل والتى فشل فى سترها فهو لايصلى مع المجاهدين فى أوقات الصلاة ولافى غيرها.
ثم أنه يحتفظ فى حيازته الخاصة بعدد من الأطفال الغرباء تبين أنه يمارس اللواط بهم .
بدأ علماء باكتيا الهجوم الدعائى ضده فى أوساط القبائل وحذروا الناس منه أو الإنضمام إلى جماعته. وقد أثر ذلك كثيراً على مركزه الأدبى وعلى مخططه المنشود ولكنه لم يقض عليه تماماً. وأراد حقانى التخلص منه فأمر رجاله بإلقاء القبض عليه وإحضاره لمحاكمته.
ولكن أصحاب الرأى من حوله حذروه من مغبة ذلك العمل، فإن فخذ قبيله زدران الذى ينتمى إليه سوف يثور لأجل الدفاع عنه من منطق الحمية القبليه، وقد يقع قتال داخلى في قبيلة زدران مابين مؤيد ومعارض، بهذا تتفتت تلك الوحدة نادرة المثال التى إستطاعت أن تحافظ عليها زدران والتى مكنتها من صد حملات الشيوعيين وهزيمتهم على الدوام، وبفضل ذلك أصبح حقانى نفسه زعيماً مرهوب الجانب معدوداً فى أهم رجالات الجهاد فى أفغانستان، إن لم يكن أهمهم ميدانياً.
إقتنع حقانى بوجهه نظرهم، وإكتفى بناء على مشورتهم بأن أرسل رسالتين واحدة لسياف والأخرى للرائد جوازراك يطلب منهما عزل الكولينيل حاظر محمد نهائياً أو إبعاده عن جبل ساتى كندو على أقل تقدير.
يقول الرسول الذى حمل الرسالة أنها ما أن فرغا منها حتى مزقاها وتجاهلا الأمر!!..
....

الصاروخ الشارد:

* **فى** أحد جلسات الضيافة فى غرفة متسعة مليئة برجال القبائل، جلست مع عبدالرحمن إلى جانب حقانى الذى سألنا عن نتائج إستخدام الصواريخ. أخبرته بأنها إنطلقت ولم نشاهدها تهبط فى أى مكان، وأظنها ما زالت تدور فى الفضاء.
إنفجر حقانى ضاحكاً. أسر أحدهم إلى حقانى حديثاً فقال له أن قذيفة عجيبة سقطت قرب مراكز الحكومة فى مضيق طيرة لايدرى أحد نوعها ولامن أين جاءت فأثارت البلبلة والإضطراب.
وقال بعضهم إنها سلاح جديد وقال آخرون أنهم سمعوا لها دويا فى الفضاء قبل أن ترتطم منفجرة على الارض.
ضحك الشيخ مرة أخرى وقال لى: ها قد وصل صاروخكم إلى طيرة. ثم شرح الأمر لمن حوله فضجوا بالضحك. (وطيرة مضيق جبلى إستراتيجى يقع على بعد حوالى 25كليلومتراً من جرديز على الطريق الذى يصلها بكابول).
ثم كانت محاولات أطلقها حقانى للحصول على مزيد من هذه الصواريخ من زورمات. قائد يدعى الحاج إبراهيم من زدران قال بأن أحد القرويين يمتلك بعضها.
ولكن علينا أن نتحرك مرة أخرى إلى (جرديز) للعمل مع الكومندان عبدالرحمن الذى سوف يستخدم راجمات الصواريخ، بينما نطلق نحن صواريخ الكاتيوشا نفسها ولكن بدون قاذف وضد أهداف نتفق عليها مع (عبدالرحمن) وبالأسلوب والتوقيت الذى نراه مناسباً.
عين لنا حقانى عدداً من المرافقين ليصحبونا أولاً إلى قرية متقدمة تحت جبال (ستى كندو)

ومن هناك نتحرك برفقة رجال عبدالرحمن إلى منطقة العمليات.
أصبحت مجموعتنا أربعة أشخاص فقط بعد أن غادرنا أبوصهيب مغاضباً . وبعد عدة أيام طلب حقانى من صديقنا عبدالرحمن أن يسافر بسرعة إلى ميرانشاة لأن زوجته مريضه هناك.
الأشخاص الذين عينهم حقانى لمصاحبتنا تملصوا جميعاً من المهمة والأسباب مختلفة.
حضر معنا (سعيد ا) وهو صديق قديم منذ عام 1981 أيام كنا نعمل مع رشيد فى منطقة (خدى بابا) فى جبال (ستى كاندو) أيضاً.
ما أن وصلنا إلى القرية ومعنا الأسلحة والمعدات والحقائب حتى شعر سعيد بالمرض الذى أقعده عن الحركة، ثم وصل رجال عبدالرحمن، وبدأو يربطون الراجمات المفككه فوق ظهور البغال. وكذلك بدأنا نحن تحميل البغل الذى إصطحبناه معنا بالسلاح والمهمات الأخرى ولم نجد أربطة كافية ولكن كان لابد من المسير حتى نلحق بالركب وإلا فليس هناك دليل خاص يصطحبنا فيما بعد.
بعد مرحلة من الطريق سقطت الأمتعة فحملناها مرة أخرى. ثم سقطت ثانية وحاول البغل الفرار فحملناها مرة ثالثة بصعوبة. مرت علينا مجموعات المجاهدين ولم يحاول أحد مجرد السؤال عما يحدث أو تقديم المساعدة.
لم يكن الطريق إلى منطقة العمليات معلوماً لدينا فقررنا العودة إلى القرية حتى لانضيع فى الجبال وقد أصبحنا وحيدين بينها.
وفى أجواء الجفوة التى نشاهدها منذ أيام وإنعدام التعاون، قررنا العودة جميعاً حتى لايتحول هذا الجفاء إلى ماهو أسوأ. وكان تبريرنا لما حدث أنه من نتائج اسلوب أبو دجانه فى الدعوة.
وأطلعنا حقانى على قرارنا فلم يعترض عليه .
إستأنفنا رحلة العودة ورأينا مدى الخطورة التى أصبح يشكلها الطيران على الطريق. لقد دمرت عدة قوافل وعدداً من المقاهى التى تركناها عامرة، والبعض الآخر توقف عن العمل.
فى الأماكن المفتوحة تعرضنا مع الطيران لعدة مواقف محرجة. وأخيراً وصلنا إلى جاور التى شاهدت عدة غارات عنيفة وسقط فيها قتلى. وما أن غادرناها بدقائق حتى وقعت عليها غارات أخرى وسقط قتلى آخرون.
أصيبت مواقف السيارات على طريق جاور مع الدكاكين الصغيرة التى بنيت حولها.
كان جواً من الإنتقام والذعر مازال متبقياً وكأن الحملة ضد جاور لم تتوقف بعد . .

إنتهى فى يوم الإثنين 15مايو1995ـ1416هـ
معسكر جهادوال ـ خوست

****

الجزء الثانى

عام 1987م: عام العرب فى أفغانستان

العام1987 هو عام العرب بلا منازع. وعلي وجه الدقة كان عام مولد العمل العسكرى الموسع للمتطوعيين العرب فى أفغانستان،على يد أسامة بن لادن.
وكان مولداً مفاجئاً ومذهلاً وأول من أذهل أصحابه أنفسهم ، أى العرب، الذين لم يتوقعوا تحقيق ذلك الانجاز الضخم فى معركة جاجى الشهيرة.
كما أذهل قيادات الأحزاب الأفغانية، التى لم تتوقع ذلك الأداء المدهش لهؤلاء "البلهاء" العرب، أو "الحمير المحملة بالأموال" حسب تعبير بعضهم.
لقد أذهلهم، وأخافهم وأغضبهم فى نفس الوقت ذلك العمل العسكرى الذى أظهر العرب، فجأة فى وضع متفوق على الأفغان، وأكثر شجاعة وفدائية، فى منطقة جاجى، التى عشش فيها النفاق والدجل بواسطة سياف، وعصابات اللصوص من حوله، الذين جعلوا من جاجى موطناً للإحتيال على الأثرياء والمتحمسين العرب، فإذا بها تتحول فجأة إلى أرض بطوله وإندفاع هائل نحوالقتال الإسطورى والإستشهادى بكل معنى الكلمة.
لقد دخل العرب، من يومها، ومن بوابه جاجى بالذات إلي مكان مرموق فى سجل الحرب الأفغانية. بلا شك أنه من أنصع صفحات تلك الحرب، لأنه الوجه المشرق للقتال العقائدى البحت، وذلك رغماً عن الشوائب التى علقت به، والتى لا تطعن فى شئ من إخلاص ومثالية هؤلاء الشباب، الذين كانوا مثلاً أعلى فى هذا الجيل، لايقل فى كثير من مواقعه عن عظمة الأجيال الأولى فى تاريخ المسلمين.
* كان عام 1987 هو أيضاً عام أسامة بن لادن(أبوعبدا)، ذلك الشاب اليمنى الأَصل السعودى الجنسية (فى وقتها) والذى صنع تلك الأسطورة، بحيث يمكن القول، بأن الفضل بعد ا يعزى إلى أبوعبدا ، فى صنع تلك الأسطورة، وإلى بلورة ذلك التواجد الجهادى القوى والفريد فى تاريخ المسلمين الحديث.
صنع أبوعبدا ذلك العمل الباهر، بمجهودة وأعصابه وأمواله، ومجهود عصبة من أفضل شباب ذلك الزمن دفعهم الإيمان، والثقه فى ذلك الشاب وحبهم له، وتواجده المُيدانى معهم فى أحلك المواقف، فصنعوا تلك المعجزة الفريدة، فى ذلك الوقت بل وفى تاريخنا الإسلامى، كواحدة فى أعظم الملاحم.
ملحمة العرب فى أفغانستان التى بدأت، وأعلنت عن نفسها بقوة فى جاجى. و العمل الذى بدأه أبوعبدا فى جاجى تفاعل وأثر بعمق فى مسيرة الحرب الأفغانية. كما أنه مازال يتفاعل و تمتد تأثيراته فى مسيرة العمل الجهادى الإسلامى حتى هذه اللحظة، حيث بصماته ظاهرة فى أكثر من مكان خارج وداخل بلاد العرب.هذا العمل، بإيجابياته وسلبياته معاً، هو تلخيص وافى لحالتنا الإسلامية الراهنة من وقتها وحتى الآن. والتمعن فى تلك التجربة الإسلامية الثرية فى أفغانستان كفيلة بأن تضع أيدينا على كثير من نقاط قوتنا الهائلة.
والتى أخافت القوى اليهودية الصليبية من شباب العرب فى أفغانستان، فطاردتهم ومازالت.
كذلك فإن نفس التجربة تضع أيدينا على كثير من السلبيات التى عرقلت عملنا الجهادى فى أفغانستان، ومازالت تجذب إلى الخلف إندفاعات الحركة الجهادية فى بلاد العرب والمسلمين.
* وحصيلة التجربة كامله، بإيجابياتها وسلبياتهاهى الوسيلة الوحيدة لتطوير عملنا الإسلامى،

أما النظر والتركيز على جانب واحد فى هذين الجانبين، فلن يسفر إلا عن رؤية مشوهة، تضر كثيراً ولاتفيد فى شيئ.
فهى إما خير خالص لايشوبه كدروذلك غير صحيح، أو هى شر مطبق لاخير فيه، وذلك أيضاً غير صحيح كما أنه مدمر للمعنويات.
أما التوازن والوسطية، فهى مانطمع إليه، وليس ذلك بالأمر اليسير، فهناك حظوظ النفس، ومحدودية القدرة على التمييز الصحيح، وهناك الإنفعال البشرى، وهناك محدودية المعلومة وغموض كثير من الجوانب والأحداث.
كل ذلك يعرقل، ولكنه لايمنع من محاولة الإقتراب إلى تقييم متوازن، ورؤية موضوعية.
وذلك ماسنحاول عمله الآن، سائلين ا التوفيق. .
****

بن لادن : برق يلمع فى سماء جاجى

بدأ (أبوعبدا) إتصاله بالقضية الأفغانية منذ وقتها المبكر فى أعقاب الإجتياح السوفيتى لأفغانستان. ذلك الشاب المتحمس النشط ينتمى إلى عائلة ثرية من الصف الأول. لذا كانت مساهماته المالية عظيمة الأهمية بالنسبة للأفغان. ولما نزل أبوعبدا إلى الساحة الجهادية بنفسه فى السنة الخامسة للأحتلال السوفيتى،كان حماسه إلى جانب قدراتة المالية أحد العوامل التاريخية التى شكلت العمل العربى الجهادى فى أفغانستان ورسمت مساراته الرئيسية وفعالياتة.
لم يكن تحول أبو عبد ا إلى المشاركة المباشرة فى الجهاد موضع ترحيب من جانب الكثير من الجهات النافذة، وعلى رأسهم (سياف) الذى كان يمثل وقتها القيادة الشرعية للجهاد فى أفغانستان. وهو ما رسخته الدوائر السعودية و الإخوانية المتحالفة معها فى القضية الأفغانية.
تلك الدائر نفسها قاومت هذا التحول من جانب أبوعبدا و قابلوه فى البداية بالتجهم والتشكك فى إمكانية إستمراره.
تميز تحرك أبوعبدا بحرص شديد، وفضل لعدة سنوات التحرك من بعيد حتى يتفادى شكوك نظام السعودية، خاصة بعد الصدمة التى نالها أبوعبدا ، مثل باقى المسلمين بإنهيار التجربة الجهادية فى سوريا على أيدى الأخوان المسلمين.وكان أبوعبدا أحد الناشطين فى مد يد العون المالى الكثيف لأخوان سوريا الذين ركبوا موجة الجهاد هناك.
كانت تجربه سوريا قصيرة مأساوية، لو أحسن أبوعبدا وباقى المسلمين الذين توجهوا إلى أفغانستان لوأحسنوا إستخلاص النتائج منها لتجنبوا معظم المآسى التى تعرضوا لها فى أفغانستان فمعظم السلبيات الأفغانية كانت هناك فى سوريا أيضاً.
ولكن التجربة السورية لم يكتب عنها بشكل نقدى إلا فى وقت متأخر جداً(**فى كتاب التجربة السورية لأبي مصعب السورى الذى صدر فى بشاور فى عام 1990 تقريباً).**
أما التجربة الأفغانية فحتى الآن لايبدو أحداً من المسلمين، خاصة ممن شاركوا فى خضمها، براغب فى أن ينكأ الجراح.
على أى حال يبدو أن عبدا أراد أن يعالج أحد أوجه القصور التى شابت مجهود المسلمين فى سوريا، ألا وهو الإنقطاع الكامل بين المسلمين، وبين مايحدث داخل سوريا، والإكتفاء فقط بضخ ملايين الدولارات فى أيدى الوسطاء وإدعياء القيادة من جباة الأموال بإسم الجهاد.
فى البداية كان أبوعبدا يقدم أمواله إلى الجماعة الإسلامية فى باكستان كى توصلها إلى

المجاهدين الأفغان، بإعتبار القرب الجغرافى، وتواجد قيادات الأحزاب الجهادية الأفغانية فوق أراضى باكستان.
وإكتشف أبوعبدا بعد أكثر من أربع سنوات مدى الخطأ الذى وقع فيه ولكنه لم يعترف علناً وربما حتى هذه اللحظة، أن سلسلة الفساد قد عمت الجماعة الإسلامية نفسها كما الأحزاب الأفغانية.
كما أنها، كما الإخوان الدوليون، كانوا متورطين حتى الآذان فى صفقة العمر فى خدمة أهل الكتاب (أمريكا)، ضد الملحدين(السوفييت) وإستفادوا من الصفقه ملايين كثيرة من الدولارات وحظوة لدى "بعض" الحكام،وإن عابرة،ومكانه مؤقته فى السياسة الدولية.
فى كتاب **(صفحات من سجل الأنصار العرب فى أفغانستان ـ للكاتب الصحفى باسل محمد)**، وهو الكتاب الذى سنعتمد على ماجاء فيه من شهادات تسجيلية لأبطال معركة جاجى، ذكر أبوعبدا ، أنه فى الربيع الأول لعام1984، خاض تجربته الميدانية الأولى فى(جاجى) وبتشجيع من الدكتور عبدا عزام الذى ساعده على تخطى حاجز التردد والتخوف الأمنى من حكومة السعودية والعامل المشجع الذى إستخدمه الدكتور عبدا كان تواجد (سياف) شخصياً فى جاجى يقود المعارك بنفسه !!..
كانت زيارة أبوعبدا الأولى إلى جاجى فى رمضان (1804هـ) وحضر وقتها غارة جوية عنيفة أسفرت عن سقوط طائرات إدعى سياف ورجاله أنها أربع طائرات من بينها واحدة هيلوكوبتر.
بالطبع لم يكن أبوعبدا قد إكتشف جانب الكذب والمبالغة والإدعاء فى مدرسة سياف أو كل مسرحية جاجى المخصصة لاستنزاف الأموال العربية السعودية خاصة.
إنفعل أبوعبدا كثيراً بما حدث كما يظهر من رواياته فى الكتاب المذكور، وإكتشف عدم كفاية وسائل الوقاية من الغارات خاصة الخنادق والأنفاق، ثم طرق التحرك والأمداد، وإكتشف أيضاً من رحلته نحو قلعة تشاونى وهى الهدف الأساسى لذلك السيرك القتالى، إكتشف أبوعبدا قلة الذخائر بشكل ملفت، ومن خلال وفد قادم من ولاية أخرى داخلية إكتشف أن نقص الذخائر أكثر فداحة هناك.
فأكتشف أبوعبدا أيضاً أن الأموال لاتصل إلى مكانها الصحيح وإذا أضفنا إلى ذلك نقص الطعام والملابس وكل شيئ ذو أهمية للعمل الجهادى، شعر أبوعبدا بالذنب، وبخطأ طريقته القديمة فى ضخ الأموال بدون متابعة وصولها إلى أهدافها المنشودة لخدمة الجهاد والمجاهدين.
كان إشعار العرب بالذنب والتقصير، هو هدف إستراتيجى ضمن الحرب النفسية التى يشنها سياف على زواره العرب فى جاجى، ونتيجتها معروفة وهى ضخ أكبر كمية من الأموال إلى خزانه سياف كى ينفق على الجهاد، ويسد العجز القائم، وهو الشيئ الذى لم يحدث مطلقاً.
ولكن أبوعبدا إتخذ مسلكاً مفاجئاً وغير سار بالنسبة لسياف وعصابته الأفغانية والعربية، لقد قرر أن يعمل بنفسه ميدانياً لسد الثغرات القائمة.
ولكن ذلك القرار الجرئ والثورى لم يتبلور تماماً إلا بعد أن تقابل أبوعبدا مع الشيخ عزام فى موسم الحج وتناقش معه فى مشروع تقديم الخدمات بشكل مباشر إلى المجاهدين فى الجبهات بواسطة العرب.
وبموافقه رسمية من سياف، ولكن بدون إستخدام القنوات الأفغانية لسياف والباقين، بعد أن ثبت عجزها وربما فسادها وهو الأمر الذى لم يجرؤ أحد من العرب أن يبوح به لنفسه وقتها.

كان سياف متواجداً كالعادة فى موسم الحج للإشراف على عملية جباية الأموال، وتحت الضغط وافق على المشروع وهو ما شجع أبوعبدا على الإندفاع فيه بكل الحماس المعهود فيه.
كان مشروع الدكتور عبدا عزام هو تشكيل(مكتب خدمات) عربى لتقديم تلك المساعدات العربية فى مختلف المجالات إلى داخل الجبهات فى أنحاء أفغانستان.
كانت خطوة إستراتيجية كبيرة، وكان عيبها الأساسى هو عدم إهتمامها بدور قتالى للعرب.
فالدكتور عبدا لم يلتفت إلى ذلك الجانب وهو ما تسبب له فى مشاكل فى مكتب الخدمات كما أدى إلى إنفصال أبوعبدا فيما بعد حينما شرع فى خوض العمل القتالى بنفسه بعد ذلك بأكثر من عام.أبوعبدا كرجل أعمال أدرك للوهلة الأولى أهمية التفرغ فى أداء الوظائف.
وهى نقطة تغيب عن ذهن كثير من الإسلاميين. لذا نراه يعرض مباشرة على الدكتور عزام أن يتكفل هو(أى أبو عبدا) برواتب الشباب العرب وعائلاتهم الذين يرغبون فى للتفرغ لوظائف (مكتب الخدمات). فإلى جانب الأهمية الوظيفية للإقتراح فإنه أيضاً دفع إلى الأمام وبسرعة الخطوات التنفيذية للمشروع. وبدأ الدكتور عزام فى الإتصال بمن يعرفهم فى الأردن وغيرها، من الكفاءات كى ينشئ بهم فى بشاور مشروعة الكبير (مكتب الخدمات).
سنلاحظ فى مرحلة لاحقه أيضاً كيف أن أبوعبدا قد أعتمد إسلوب (التفرغ) لكوادر العمل العسكرى العاملة معه مما أثر إيجابياً ومازال على مستوى كوادرة العسكرية، فكانوا الأبرز فى ذلك الميدان خلال التجربة الأفغانية وحتى الوقت الحالى.
فيما تبقى من عام 1984 وطوال عام 1985 لم يكن أبو عبدا قد ألقى ثقله المباشر على الساحة الأفغانية.
ربما علل نفسه بأن (مكتب الخدمات) ونشاط الدكتور عزام يكفيان للهدف المنشود،وهو إيصال الإمدادات العربية إلى المجاهد الأفغانى داخل الجبهات.
كان الحماس الإسلامى فى ذروته، وتبوأ الدكتور عزام مركز النجومية الباهرة، حتى صار توأماً لايمكن فصله عن جهاد أفغانستان.
تدفق الشباب إلى ساحة بشاور بدعوة وتحريض من الرجل الذى يتوقد حماساً وإخلاصاً، تدفقوا بناءاً على ما قرأوه أو سمعوه من خطاباتة وكتبه التى إكتسبت قيمة عالية جداً لكونها صادرة عن شخصية دينية ميدانية عاملة.
لكن هذا الإقبال المتدفق من الشباب على ساحة بشاور خلق مشاكل لاتحصي للدكتور عزام، وذلك لأسباب أهمها:
كان إقبال الشباب عاطفياً وقد تكونت لديهم صورة خياليه للأفغان والجهاد، والمجاهدين،صورة مستقاة من خطابات الدكتورعزام، وسرعان ما صدموا بالواقع ومشاكلة، فإنقلب أكثرهم ناقمين، ومتسببين للمشاكل لمن حولهم من عرب وأفغان، وللدكتور عزام نفسه.
كانت المفاهيم الدينية نفسها متفاوتة بل ومتعارضة، ومن مدارس مختلفة وأحياناً متعادية، فكانت بذرة الصراعات، والتحزبات، والإنشقاقات التى أصابت أول من أصابت (مكتب الخدمات) الذى كان مفترضاً فيه أن يكون وعاءاً للعمل العربى فى أفغانستان.
فتقلص دور المكتب، حتى إضطر (أبوعبد) إلى العمل منفرداً خارج إطار المكتب، كما سنرى.
لم تكن لدى الدكتور عبدا عزام ولا المجموعة القيادية التى إصطفاها للعمل حوله، قدرات إدارية مناسبة، ولاتصور واضح لإستراتيجية العمل وأسلوبه، بل كانت القضية نفسها غير واضحة فى إذهانهم. كانوا هائمين فى أوهام قاتلة فيما يتعلق بالمشكلة الأفغانية والأطراف

الفاعلية فيها.
كان (لمكتب الخدمات) أعداء أقوياء كثيرون، أولهم الأحزاب الأفغانية الأصولية(وعلى رأسهم سياف)، التى شعرت بخطورة المكتب الذى سحب جانباً من الأموال مع الهيمنة على الضيوف العرب، ومايعنيه قيام المكتب من طعن خفى فى قدراتهم أو حتى نزاهتهم.
كانت المشاعر الوطنية والقطرية بارزة وفعالة إلى درجة التهديم فى جنبات المجتمع العربى، وأول من أصابه النخر كان (مكتب الخدمات). وأسفرت تلك التصدعات القطرية عن تشكيل عشرات من (بيوت الضيافة) المنتمية إلي عصبيات قطرية، والتى إنقسمت بدورها إلى بيوت ضيافه وطنية مذهبية وحتى شخصية. فللوطنية الواحدة هناك بيت للإخوان وآخر للسلفين وثالث للتكفير ورابع لجماعة أبو فلان وخامس لجماعة أبو فلان آخر..وهكذا.
وقع (مكتب الخدمات) فى أيدى البيروقاطية العربية، فظهرت الصراعات الوظيفية وتناحر الإمتيازات، والإنقطاع عن نبض الجهاد.
وطالما كان القتال لايشكل محور عمل الخدمات فلنا أن نتوقع أمثال تلك الإنحرافات، ودوما تشكل الطبقه البيروقراطية خطراً على الجهاد إذا ماكانت منفصلة عن العمل القتالى ولاتمارسه بشكل منتظم.
أفتقد (مكتب الخدمات) إلى الكوادر المؤهلة ، فطغت الإرتجالية والفوضى وعدم الكفاءة والتخبط والإرتجال والتعصب للآراء السطحية ... الخ.
كان ذلك سمة عامة فى كل الأعمال حتى ذات الصبغة العسكرية ، ومع زيادة تدفق الشباب العربى، مع ضعف الإستيعاب لدى مكتب الخدمات مع الإفتقار إلى الخبرات اللازمة فلنا أن نتصور، بدون إندهاش ،حاله الفوض التى ضربت بجذوها وهزت العمل العربى حتى آخر لحظاته فى أفغانستان.
يذكر كتاب (صفحات) بأنه مع إنتهاء عام 1985 كانت غالبية لجان مكتب الخدمات قد تبلورت وبدأت العطاء.ويورد الكتاب إفادات أدلى بها (أبوهاجر) الذى تولى لفترة قصيرة إدارة المكتب ثم إستقال فى إحتجاج هادئ على أسلوب العمل.
وأبوهاجر مهندس شاب هاجر من عراق صدام حسين وهو من الصفوة النادرة فى أوساط العرب الذين وفدوا إلى أفغانستان ممن يتمتعون بعقلية منظمة، وقدرة إدارية واضحة، مع ذكاء متوقد.وإستقر به المطاف للعمل الدائم مع بن لادن. و هو يذكر عن مكتب الخدمات إتساع نشاطه فى مجالات مختلفة لخدمة الأفغان مثل مجال التعليم فى داخل البلاد وفى المهجر ثم فى المجال الطبى على جانبى الحدود.
ثم يذكر جانب الإعلام وأن مكتب الخدمات أصدر مجلته الجهاد التى دخلت فى منافسة مع مجلة (البنيان المرصوص) والتى يصدرها سياف بمساعدة كوادر من الإخوان الدوليين.
رغم أن كلا المجلتين يتفقان على تلميع سياف كقيادة شرعية، ولكن النقطة هنا هو خوف الإخوان من إستفراد الدكتور عزام بالساحة الأعلامية، خاصة بمجلة جهادية تنطق بإسم أهم قضية دولية وإسلامية وقتها.
كما أقام مكتب الخدمات إستديو لأخراج أفلام الفيديو عن الجهاد، كان أسمة (ماج) إختصاراً لعنوان "مرآة الجهاد الأفغانى"، وكان هم ذلك الإستديو هو تلميع سياف شخصياً، لذا فقد أصدر أفلاما بإسم "تشاونى واحد" ثم" تشاونى إثنين" عن معارك جاجى التى أشعلها سياف كمعارك دعائية، لكنها لم تسفر عن فتح الحصن المذكور رغم ضعفه،فتوقف المسلسل التلفزيونى.

ثم إنتقل قسم الإعلام كله فيما بعد كى يلتحق بحزب سياف تاركاً مكتب الخدمات .
يتكلم(أبوهاجر) عما أسماه(لجنة الإستقبال التى مهمتها ترتيب تواجد الإخوة وتعليمهم النظام)، لكن أغلب الإخوة كانوا يرفضونه هذا على حد قول أبوهاجر الذى يستمر فى وصف الحالة فيقول:
{وكان أبودجانه قد نظم سجلاً للخروج والعودة من المكتب ووضعة على الباب، لكن الإخوة تضايقوا وكتبوا أمام عبارة. (أين تذهب)؟: لا أدرى - (وقت الرجوع)؟ : ا أعلم.
وكان عبد المنان رحمه ا ينفجر من هذا الأسلوب و يصيح: (دى ما سونيه)!!..
فالإخوة كانوا غير متفاعلين مع النظام}.
* ثم يتحدث أبوهاجر عن اللجنه العسكرية، كى تتضح هزلية التصور للعمل العسكرى، وهزلية التجاوب العربى لهذا البرنامج رغم تفاهته ، يقول أبوهاجر:
{أما اللجنه العسكرية فقد بدأ الإخوة و الحمد يسجلون من يدخل أفغانستان، وأماكن تواجده فى الولايات، بعدما إعتاد الإخوة على عدم الإنضباط فى هذا الأمر.فكان واحد يرسل إلى (بغلان) فنستلمه فى (هيرات) مثلاً.وبدأوا فى هذا اللجنه يعطون الذى يذهب الى الداخل مسجلاً وكاميرا ليقابل القادة هناك يلتقط بعض الصور من الجبهات يعود بثروة إعلامية معلوماتية قيمة يمكن أن يستفيدوا منها فى توزيع المساعدات . وبالنسبة لمسألة التدريب فقد أصبح للإخوة عناية بذلك إلى حد ما.
وبدأت اللجنه العسكرية بقراءة الكتب المتخصصة ومحاولة كتابة كراسات صغيرة عن الأسلحة والعلوم العسكرية وأهتم المكتب أيضاً بإقامة مخيمات للأفغان، من القادة أوالمجاهدين، لإسبوعين أوثلاثة تضم برامج تربوية وعسكرية تستهدف، إضافه إلى تنمية هذين الجانبين، توحيد القلوب وإماته الحزبية بين الأفغان، فكانوا يأتون بعدد من مجاهدى الحزب الإسلامى ومن الجمعية ومن الإتحاد ويضمونهم فى مخيم واحد، وضمن برنامج واحد لكن الأفغان لم يتفاعلوا للأسف مع هذا النهج، وأصروا أن تكون مخيماتهم منفصلة فرأى العرب أن مالا يدرك جله لايترك كله وقالوا لابأس . فتحت المخيمات التربوية فى بابى وعين عليها أمراء من الإخوة العرب}.
فها نحن نرى العمل العسكرى كما تتصورة وتمارسه تلك المجموعة الرائدة فى مكتب الخدمات فعدم الإنضباط يلاحق العمل العربى، ثم هذا التصور المشوه للعمل العسكرى فالمجاهد العربى تائه بين كونه (صحفى) غير مؤهل، وبين كونه موظف فى هيئة إغاثه يجمع المعلومات عن الجبهات وإحتياجاتها، وبين كونه فاعل خير يصلح بين(المجاهدين الأفغان والكومندانات) وينشئ لهم معسكرات لإصلاح ذات البين وإماته الحزبية!!.
إنها حالة جهل بالواقع الأفغانى وبالعمل العسكرى معاً، مضافاً إليها حالة فوضى متأصلة مع عجز إدارى مزمن.

<u>بين عزام وبن لادن:</u>

* **يقول** أبوهاجر بأنه عام 86 لم يكن الدكتور عزام أو أبوعبدا متفرغاً تماماً لقيادة العمل العربى، فالأول كان مازال مرتبطاً بالتدريس بالجامعة الإسلامية فى إسلام آباد يقضى ثلاثة أيام تقريباً فى كل أسبوع فى بشاور، وكان هناك إدارة لمكتب الخدمات كما كان هناك مجلس

شورى، وكانت ، الحالة دائمة القلق والإضطراب على حد قوله.
أما أبو عبدا فذكر عنه كتاب (الأنصار العرب) قوله:
{كان لقلة وجود الإخوة الواعيين الذين تربوا على هذا الدين وعلى أخلاق الإسلام والذين دخلوا معركة الحياة وخبروها، أثر سلبى على وجود العرب عموماً تسبب فى تعثر الإدارة وقتذاك}.
ويقول صاحب الكتاب المذكور :
{ إلا أن عبارة أبوعبدا تحيط بأساسيات هذه الأسباب وتجعلها تحت بندين أثنين رئيسيين هما، الأخلاق والخبرة أو التقوى والكفاءة}.
* يقول أبو هاجر أنه عندما وصل الى بشاور فى أواخر عام 1985م، كان عدد العرب الموجودون آنذاك سبعون شخصاً نصفهم فى أفغانستان ونصفهم الآخر فى بشاور .
ثم يحكى قصه أول إجتماع له مع العاملين فى مكتبة برئاسة الدكتور عزام من أجل أختيار إدارة لمكتب الخدمات ومجلس للشورى، فيقول:
{وكان عدد الحاضرين35 شخصاً المطلوب إختيار15 شخصاً بالإنتخابات ، وأثار ذلك تعجب أبو هاجر الذى علق فى شبه إستنكار لما يحدث : تخيلوا مثلاً أننا أعطينا إدارة العالم لنصف الكرة الأرضية ليحكم النصف الآخر!! }.
وفى ذلك الفصل القيم من الكتاب المذكور والوارد تحت عنوان"من سجلات النقد الذاتى" يتابع أبوهاجر نظريته الثاقبة وجرأته النقدية فى عبارات كثيرة مضيئة متناثرة فى عرض ذكرياته.
ويقول مثلاً عن موقفه بعد أن تسلم زمام إدارة مكتب الخدمات:
{وجدت نفسى أمام ركام هائل من الأخطاء بدءاً من طريقه إستدعاء الناس للجهاد وما خلفتة من مشاكل صعبة العلاج.كانت المفاجأة التى صادفتها بعد قدومى أن واحدنا كان عنده تصور ملائكى عن المجاهدين عندما يقرأ أن ذروة سنام الإسلام، هو الجهاد فى سبيل ا ، يتصور أنه سيلقى الإخوه جميعاً فى ذروة السنام هذه .
وإذا فالفوضى وعدم مراقبة الأشخاص ومحاسبتهم ستعين الشيطان على الأخ لتنسيه الغاية التى جاء من أجلها تدريجياً ولذلك كان التصرف الشرعى والصحيح أن نحسن إختيار المكان المناسب فى الوقت المناسب للشخص المناسب من أجل المشروع المناسب. هذا يحتاج منا إلى عقليات شرعية أولاً، وتكون إداريه أيضاً، ولاحرج فى ذلك، فالإدارة من جنس ديننا، أما القول عن الفوضى (بركة) فهذا إستخدام لقدسية المسميات فى غير مجالها لتلجم الأفواه وتبرر فوضانا} .
وفى النهاية يقترح أبوهاجر على أعضاء إدارة ومجلس شورى (مكتب الخدمات) أن يخلوا المكتب لأنه لفظ أنفاسه، وبعد ذلك يبنون العمل على أساس جديد. وكان الإقتراح بعد عودة أبوهاجر من معارك جاجى العربية فى رمضان 1407هـ .
ثم يجئ فى نفس الفصل ذلك المقطع ذو الدلالات حيث يقول :
{فى تلك الفترة كان"أبوعبدا "أسامة بن لادن قد كثف من زياراته لباكستان وأفغانستان وإستقر على التفرغ للساحة والتخفف عن مسئولياته المهنية فى المملكة. يقول أبوالرضا أنه فى شهر مارس طرح أبوعبدا فكرة قدومه و تفرغه فى باكستان لأعمال تجارية ،خاصه بعدما و صلتة شكايات عن مشكلات مستمرة فى إدارة أمواله بمكتب الخدمات.
وبرغم هذه الشكايات مع تلمس أبى عبدا حالة عدم الإنضباط السائدة فى المكتب وقد بدأ

يعايش واقعه على نفس الساحة، ويطلع على خفايا ما يدور فيه عن قرب، إلا أنه إستمر يتولى كافة مصاريف الإخوة العرب، وكما أكد لى ذلك الدكتور عبدا رحمه ا وقدر ميزانية هذه المصاريف بـ 200 ألف دلار سنوياً تتضمن معيشة الإخوة العرب فقط حتى لايلجأوا للأخذ من التبرعات الخاصة للمجاهدين الافغان} .

 يدل ذلك المقطع أن مكتب الخدمات كان يعتمد حتى مارس 86 على تمويل شبه كامل من أبوعبدا ، بمعنى آخر كان مكتباً خاصاً بشكل ما.

لذلك كان تفرغ أبوعبدا للعمل الجهادى كارثة حلت بمكتب الخدمات، مع أنه إستمر، أى أبوعبدا ، فى إعالة موظفى المكتب. لم تستمر هذه الأزمة طويلاً فقد تكونت لدى المكتب قنواته التمويلية الخاصة. كما إستفاد من حالة النشوة العارمة التي أثارتها معركة أبو عبدا في جاجي، وتدفق الأموال الشباب من السعودية خاصة و الدول الخليج عامة. وكان مكتب الخدمات هو المستفيد الأول منها بلية سياف، أما أبوعبدا فظل معتمداً على ماله الخاص وأموال محبيه وأصدقائه فى المملكة السعودية.

لاشك أن أطرافاً فاعلة ، فى مقدمتها حكومة المملكة السعودية ، رأت فى مكتب الخدمات ونشاطاته مجالاً مؤقتاً لمزاحمة أبوعبدا وعدم إستفراده بالساحة.وكذلك رأى الإخوان الدوليون. ثم أنشأوا بعد ذلك العديد من قنوات المزاحمة الميدانية من مختلف الأنواع ونشروها فوق ساحة بشاور، والساحات الأفغانية، فزاحموا الرجل فعلاً كما زادوا الساحة المخبولة، بأمواج من الفوضى المجنونه !!.

(فى **رمضان 1407**) قبل أن تبدأ معركة جاجى الشهيرة كان أبو عبدا قد بدأ يستقل سرياً بعمله العسكرى تفادياً للفوضى المصاحبة لمكتب الخدمات. ولكن الدكتور عبدا عزام حاول أن يظل العمل مشتركاً، حتى لا يفلت أبوعبدا من إطار مكتب الخدمات بما يعنيه ذلك من مضاعفات. وبذل الدكتور عزام مجهوداً لفرض نفسه ومكتب الخدمات على المعسكرات (السريه)التى حاول أبوعبدا أن ينشئ فيها كوادر عمله العسكرى القادم.

وكان لهذا التدخل غير المحمود أثاراً فى حوادث فوضوية أدت إلى إنفجار أبوعبدا فى نهاية الأمر،وهو الرجل الصبور دمث الخلق. واجههم بثورة غضب نادرة وعارمة، قائلاً لأعضاء مكتب الخدمات، ولجنتهم العسكرية (وكانوا قد أستقدموا أحد عناصر الإخوان المسلمين فى الأردن للإشراف عليها وهو الأخ نور الدين ،وكان ذو خبرة سابقه فى منظمة التحرير) قال أبو عبدا لهم: (أنا حتى الآن لم أتكلم. . ساكت عنكم. . وفضائحكم مسجلة).

ويقول أبوهاجر:(ومن حينها بدأ عبدا يتجه للإنفصال بعمله والمضى فى إتجاه جديد) .

إذن مضى أبو عبد ا فى طريق جديد، وإن ظلت العلاقات طيبه بينه بين الدكتور عزام ومكتب الخدمات. ولم يوافق على إعلان الإنفصال حفاظاً على وحدة الصف.

ويقارن أبوهاجر بين سياسات أبوعبد ا والدكتور عزام فيقول:

{أبا عبدا يميل إلى سياسة التمركز.. يحب أن يجمع العرب فى مكان يدربهم فيه ويعدهم ليكونوا كتيبة جهادية جاهزة، أما الشيخ عبدا فكانت سياسته الإنتشار، فإذا جمع الإختلاف فى الطريق، مع الإختلاف فى أساليب التنفيذ وأساليب إختيار العناصر للتنفيذ، كانت النتيجة أن الواحد يريد عنصراً معيناً والآخر يريد عنصراً آخر. هذا عنده أسلوب للوصول، وذلك لديه أسلوب آخر، وبالتالى فالهدف لدى الأول غير الهدف لدى الآخر، وهكذا أتجه كل منها بإتجاه}.

هذا ما يراه أبوهاجر الذى عاش فى داخل التجربة مع الرجلين كمدير لمكتب الخدمات

أولاً ثم أحد أعمدة العمل الجديد لدى أبوعبدا فيما بعد.
أنه يصف خلافاً فى التفكير العملى لدى رجلين أحدهما خطيب مفوه والآخر رجل أعمال ناجح، ومن الطبيعى أن يتصرف كل منهما بأسلوب مختلف .
أما تميم العدنانى الذى كان على عكس أبوهاجر فى مسيرتة مع الرجلين، بمعنى أنه بدأ مع أبو عبدا الذى فرغه للعمل معه وشاهد جانباً من معركة جاجى ضمن رجال أبو عبدا ، إلا أنه تحول فيما بعد كى يعمل مع الدكتور عزام كمساعد أول.يقول تميم العدنانى:
{كنت أنا والشيخ عبدا نرى بأن يكون تجميع الشباب مباشرة مع الأفغان وفى خدمة الأفغان، ولعل أبا عبدا رأى أن القضية الأفغانية، قد تفيدنا أكثر مما نفيدها نحن فى الأفراد،
فكأنه يريد أن يجعلنا نستفيد من الجهاد أكثر مما نفيده، ونحن نريد أفادة الجهاد أكثر من الإستفاده منه، فهو خلاف شعرة، بسيط بالمفهوم وإن كان هنا جهاد وهنا جهاد}. . .
ونقول هنا بأن أبوعبدا كان أكثر عمليه فى توجهاته من الدكتور عزام نظراً لإختلاف الخلفية الوظيفة للرجلين.
فأبوعبدا يبحث عن المشروع المفيد ويختار له الرجال المناسبين بناء على رؤية لميدان العمل.
بينما الدكتور عزام منفعل وجدانياً نشط خطابياً مهتم بالتحريض وعاجز عن التنظيم.
ومع ذلك ظلت المدرستان تنطلقان من نفس المنطلق السياسى، وهو منطلق خاطئ من أساسة، نظراً لعدم خبرة الرجلين بتعقيدات العمل السياسى.

بن لادن ـ التجربة الأولى:

* **كان** لأبوعبدا تجربة أخرى فى جاجى عام1986حدثت فى أعقاب معركة جاور الشهيرة، حيث وجه السوفييت ضربه لذلك المنفذ الهام(جاجى)، لتأكيد تفوقهم سعياً وراء مكاسب سياسية فى التسوية الأفغانية المرتقبة.
وبينما شارك فى جاور ثلاثون ألف جندى (تقريباً) شارك فى ضرب جاجى **(شعبان 1406)** خمسة وثلاثون ألفا حسب مصادر المجاهدين.
وبتنسيق بين أبوعبدا والشيخ عبدا عزام حاول العرب المشاركة فى جاجى، ولكنهم أضافوا فاصلاً من الفوضى والتخبط أكثر من ذلك الذى قدموه فى جاور.
يقول أبوعبدا عن تلك المعركة (حسب ما جاء فى كتاب الانصار العرب):
{جاءت المعركة ونحن دون مستوى الإعداد لها، كان الشباب جدداً، معظمهم جاء من المملكة،لا يعرفون السلاح ولا الرصاص}.
ثم يضيف فى موضع آخر حول نفس المعركة:
{إستمر القصف بهذه الوحشية قرابة الأسبوعين دون أن تسقط أى طائرة للعدو. وتقدمت قواته وبدأت عمليات الإنزال فى ثلاثة مواقع، أحدها فى مكان (المأسده) الحالية قبل أن تكون، والثانى على"جبل الرماة" والثالث قبل"غوند الفتح" على اليسار فى إمتداد جبل خرشتل، بإتجاه الحزب}.
 وهنا بعض السمات المشتركة التى بين هذه المعركة وبين المعركة الرئيسية التالية بعد عام تقريباً من نفس التاريخ.
فمن ناحية المكان نلاحظ أن العدو قد إحتل نفس الجبال التى يحتلها فى كل مرة وأهمها جبل المأسدة، ثم جبل خرشتل، جبل الرماة، وربما غير العرب أسمه فى معركة 1987.
والملاحظ أن ذلك القطاع قد إتسمت عملياته العسكرية بالنمطية الروتينية، سواء عمليات العدو

أو عمليات المجاهدين. لقد إستقر ذلك النمط منذ وقت مبكر للغاية، ربما قبل أن يستقر سياف فى تلك المنطقة كي يمارس لعبته سيئة السمعة. كما أن إستخدام قوات الكماندوز لإحتلال الجبال المذكورة وعدة قمم غيرها قد صار ضمن ذلك الروتين، أما القصف الجوى فهو العمود الفقرى لعمليات العدو.

وسوف نلاحظ أنه فى المعركة الرئيسية القادمة أن روتين عمليات العدو لم يتغير، بينما الذى تغير هو أسلوب المجاهدين، الذين كانوا عرباً هذه المرة، أى لم يكونوا نفس مجموعات الفساد المتراكم، لدى سياف وغيرة ممن حوله مثل جماعة حكمتيار وإن كانوا أقل فساداً، فقد كان لهم عدة مواقف جيدة فى تلك المنطقة.

ويذكر أبو عبدا أن ريحاً باردة قوية هبت على المنطقة وأدت إلى إنسحاب القوة المهاجمة، إضافة إلى عدة قذائف مدفعية أطلقها مجاهدو (غوند الفتح1) أى جماعة حكمتيار ـ فأصابت أهدافها كما أن مجموعات من مشاة المجاهدين تقدموا للإشتياك مع قوات الكوماندوز، ولكن إنسحاب القوة بدأ على أية حال.

وهنا نلاحظ أيضاً أنه فى معركة جاجى الكبرى (1987) لم تحدث ريحاً كهذه. ولكن مدفعيات العرب أثرت كثيراً على القوة المهاجمة، كما أن إشتباكاتهم مع الكوماندوز السوفيتى كانت أكثر شراسه وفعالية.

إن العرب أظهروا فى المعركة الكبرى كفاءة فى إستخدام المدفعية وبسالة ماهرة فى إشتباكات المشاة. أما عنصر الطيران فلم يكن لدى العرب أوالمجاهدين مايمكن تقديمه، ولكن الموقف العام على الحدود لم يسمح للطيران السوفيتى إستخدام المجال الجوى الباكستانى بنفس الحرية التى أتيحت له وقت معركة جاور (1986) وقد أفاد ذلك العرب أيما فائدة.يقول أبوعبد ا عن تلك المعركة **(جاجى 1986)** :

{كانت المعركة درساً هاماً للمجاهدين عامة وللإخوة العرب خاصة عن أهمية الإستعداد والتدريب، إلا أنها لم تكن كافية لأخذ الخبرة والدروس المطلوبة}.

أما الدكتور عبد ا عزام فقد كتب عن نفس المعركة فى مجلة الجهاد **(العدد 19 ص 18)** فقال:

{وحدث أحدهم **(عسكرى فر من الجيش الأفغانى)** قصة عجيبة كالخيال فقال:

بينما دبابات الروس متجمعة ونحن فيها وحولها إذا أقبل رجل شديد بياض الثياب وإقترب منها يحمل (آر.بى.جى) وأحرق خمسة أو ستة أمامنا ومضى بسكينة وإطمئنان.

وقال : أقبل رجل آخريلبس الثياب البيضاء وبيده سكين دخل المكان الذى يتجمع فيه الروس وذبح ثلاثة بيده ثم مضى عليه السكينة والوقار...}.

لقد كان هناك دوماً المئات من الأفغان على إستعداد لتزويد الشيخ بسيل لاينتهى من تلك العجائب، أما تبنيه لها وترويجها عبر كتاباته وأشرطته فهو عمل يكفى لأن نفهم منه سبب تعثر برامجه العملية،وسبب إستقلال أبوعبد ا بعمله الجهادى بعيداً عنه وعن مكتب الخدمات. وبالتدريج صار الشيخ عزام مجرد رمز وتفرق العمل العربى فى ساحات النشاط العملى بلا ضابط . . وإن إستمر أبوعبد ا ومؤسستة الجهادية هى الكتلة الأكبر فى ذلك المجال.

البلدوزر . . فى جاجى

نشط أبو عبدا ، بعد أن إستجلب معدات ثقيلة، فى حفر أنفاق فى مركز سياف الحدودى فى جاجى، وفى إعداد بعض الطرق التى تساعد المجاهدين على التحرك فى المنطقة وحولها.

وبدأ العمل فى منطقة أسموها (العرين). إعتمد أبو عبد ا على شباب من الجزيرة فى تشغيل المعدات،ربما لعدم ثقته فى رجال سياف الذين سرقوا المعدات فى مناسبات سابقة تحت تغطية هجمات العدو، أو حتى عند رواج شائعات بهجوم وشيك.
كما يذكر أبوعبدا ، كان الشباب يضيقون بمثل ذلك العمل، ومتشوقون لعمل قتالى، لكنهم بصعوبه إستمروا فى العمل عدة أشهر حتى حلول فصل الربيع 1987.
عندها بدأت الأجواء تتهيأ للعمل العسكرى فى منطقة تتميز بالبرد الشديد والجليد خلال فصل الشتاء.كان أبو عبدا يطمح فى تحويل المنطقة المنيعة إلى مركز إعداد وتدريب للشباب العربى وفى نفس الوقت يقومون بأعمال عسكرية من وقت لآخر على مواقع العدو فى الوادى القريب، والذى يقع فيه حصن تشاونى الشهير.
فالمفروض إذن أن يكون العرين موقعاً خلفياً حصيناً للتدريب والخدمات الإدارية والطبيه، أما مجال العمل العسكرى فهو الوادى وخطوط العدو المتقدمة من سلاسل الجبال.
لكن حدثت مفاجأة عارضة حولت مسار عمل أبو عبد ا بشكل حاد، بل كانت أهم مفاجأة فى تاريخ العمل العربى فى أفغانستان.
حدث التحول الكبير عندما أرسل أبوعبدا شابان من أعوانه النشطاء (شفيق رحمه ا ، وأسامه أزمراى) أرسلهما لإستطلاع المنطقة إلى آخر الحدود التى يمكن للمجاهدين الوصول إليها.وذلك تمهيداً للنشاط العسكرى القادم الذى لم يكن متصوراً وقتها أن يكون مستقلاً.
عاد الشابان وقد وصلت جولتهما إلى جبل (المأسدة فيما بعد) وقد أذهلهما أنه يكشف بكل وضوح مواقع وخنادق وتحركات العدو فى الوادى.
لم يكن أرشميدس أكثر سعادة من أبوعبدا ومن حوله بهذا الإكتشاف. وكان القرار مباشر وغير قابل للنقض: أنه لاتراجع عن ذلك الجبل مهما كانت الصعوبات.
ولم يدر بخلد أبو عبدا آنذاك أنه قد أعلن الحرب فى وقتها على القوات الشيوعية فى الوادى، وأنه لحظة إتخاذه القرار فإنه إتخذ فعلياً قرار البدء فى معركة جاجى الكبرى، والتى بدأت بعد ذلك بعدة أشهر فى أواخر **رمضان 1407هـ الثلاثاء (1987/5/26).**
كان ذلك الجبل نقطة إرتكاز رئيسية للحملات العسكرية الشيوعية ضد مراكز المجاهدين الحدودية. وكان واحد من عدة قمم يتم إحتلالها بشكل تلقائى فى كل حملة خاصة حملتى85-86 على المنطقة، وكان ذلك الجبل أقربها إلى مراكز الشيوعيون فى الوادى.
ومن البديهى أنه يتمتع بتغطية مدفعية كاملة كذلك طرق التقرب إليه، ذلك لتوفير حماية كافية لقوات العدو عند إحتلاله.
على الفور أقنع أبو عبدا "أمير الجهاد/ سياف" بأن يقيم طريقاً وأنفاقاً فى ذلك الجبل الهام حتى يتمركز فيه المجاهدون فوافق له سياف، ويقول أبو عبدا فى ذلك:
{فكانت أسعد الأيام عندى لحظة موافقه الشيخ سياف أن ننتقل العمل فى ذلك المكان لأهميته العسكرية من جهه نظرى}.
ربما شعر أبو عبدا وقتها بأهمية تواجد عربى فى تلك المنطقة الهامة، التى تعانى من فساد عسكرى سياسى وتسيب فى شتى المجالات،وكان من حسن الطالع، بالنسبه له،أن يتم هذا الدور فى إطار (الشرعية) التى يمثلها سياف.
وسياف الذى ضايقه بلاشك ذلك الإقتراب الحميم للعرب، والذى سوف يؤدى بلاشك إلا إكتشاف زيفه، ولكنه لم يكن فى الوقت نفسه مستعدا للتفريط فى أبو عبدا ، الذى يمثل بالنسبه له

(نسراً يبيض ذهباً).
لذلك إتبع سياف سياسة مزدوجه خبيثة تجاه تحرك أبو عبدا : فهو شجعه ظاهرياً على العمل، ولم يدع فرصة تمر إلا وعمل على ضربه فى الصميم وإفشاله حتى يكون عبرة لغيره، ويعود العرب إلى مكانهم المحدد لهم فى المقاعد الخلفية، أو مقاعد كبار الزوار العابرين لجبهات الشريط الحدودى، وكل دورهم المطلوب هو جلب الدولارات فى حقائب السمسونايت.
كانت أول مؤامرات سياف على المواقع الجديد (المأسدة) أنه أرسل اليهم مدفعاً مضاداً للطائرات (زيكوياك) ذو فوهتين كى يضعوه فوق الجبل.
تلك المدافع فى حقيقه الأمر كنت أعتبرها (جاذباً) للطيران وليس مقاوماً له. فبمجرد تركيبها تصبح هدفاً دائماً وثابتاً للطيران فتكون بذلك مصدر خطر على المنطقة. إضافة إلى كونها نادراً ما تصيب الطائرات خاصة النفاثات الحديثة. وإذا أمكننا قبولها فوق الجبال فى المراكز الخلفية فلا يمكن قبولها بتاتاً فى مركز متقدم مثل (المأسدة) لأسباب عديدة. منها أنها ستكون فى متناول مدفعيات العدو خاصة الهاونات وفى ذلك خطر جسيم على أطقمها، ومن المحتم أن يقتل كثيرون منهم ثم يتحطم المدفع فى النهاية. ومنها أيضاً أن ذلك المدفع ثقيل الوزن من الصعب تبديل موقعه فوق الجبل، وإستخدامه فى هذا الوضع يعنى العزم على أتخاذ موقع دفاعى ثابت، وفى منطقة قريبة من خط التماس مع العدو، الذى مازال قوياً جداً أرضاً وجواً، والنتيجة الحتمية معروفة سلفاً هى تدمير المعدات وخسائر بشرية كبيرة وهو ماحدث تقريباً.
{والطريف أن المجاهدين الطاجيك عندما طلبوا من الأحزاب الأفغانيه مساعدات عسكرية عام 1993 أعطاهم سياف نفس النوع من المدافع مع عدد من الهاونات الثقيله عيار 120 مليمتر، وحصلوا على نفس النتيجة، فقد إستولى العدو على كل تلك الأسلحة وبدون قتال، فقد وضعوها فوق الجبال ووجدوا أنهم عاجزين عن مجرد إمداد طاقمها بالطعام فتركوها فى مواضعها حتى أخذها العدو !!. }
* بدأت معدات أبو عبد ا ، فى نشاط جم وهمة عالية، فى تحويل ذلك الجبل إلى حصن، فحفورا الجبال وأقيمت عدة غرف ثم مركز فوق الجبل وإلى جانب الزيكوياك الذى كان نواة تحويل الجبل إلى موقع للحرب الثابتة العقيمة، وضع هاون ثم غرفة لاسلكى، ثم مهدت الطرق لتربط (المأسدة) مع جبل خلفى أسموه العرين، والذى بدورة مرتبط بمركز سياف القابع على الحدود الدولية مع باكستان تقريباً.
أثارت خطوة أبوعبدا تلك زوبعة عاتية من الإعتراضات.
سياف الذى يمثل الشرعية قد أوحى لكل من سأله عن ذلك بأنه وافق (على مضض!!).
الدكتور عزام أعرب مراراً عن إعتراضه الشديد وخوفه على أبو عبد ا ومن معه من الشباب ولكنه لم يجد أذناً صاغيه من أبوعبدا ، فأرسل فى إستدعاء أبو أسامة (عبدالعزيز على) المجاهد القديم على أرض فلسطين و الرجل ذو القيمة المعنوية بين الإخوان، حضر الرجل وشاهد الموقع وأبدى وجهة نظرة قائلا:
{الموقع خطير و لا يصلح إلا كمركز خلفى لمجموعات خفيفة من مقاتلين العصابات ذوى التدريب العالى}.
ولكن (زيكوياك سياف)، والهاون وغرفه اللاسلكى، والغرفة المبنية تحت الأرض والمسقوفة بالحديد، قد ضربت بتلك النصيحة عرض الحائط، إن تجهيزات الموقع هى التى حددت طبيعة المعركة. لقد أختار أبو عبدا الجبل، لكن سياف هو الذى حدد بذكائه الشيطانى ، طبيعة

المعركة القادمة عندما أرسل ذلك (الزيكوياك) اللعين.
لقد عبر الدكتورعبدا عزام عن وجهة نظره وقتها بأنه غير موافق على ما يحدث، ولكنه لايريد أن يعود أبوعبدا إلى السعودية محبطاً مصاباً باليأس من الجهاد. كما أضاف رأياً آخر بقوله: (إن إمتلاك أبو عبدا للأموال تجعله يفعل ما يشاء) . وهو تعبير يحمل من المرارة و الإعتراض ما يكفى،كما يكشف إدراكا عميقا لحقيقة القدرة السحرية للمال فى صنع زعماء وطمس آخرين.
وفى الواقع فإن تجربة أبو عبد ا ، رغم سلامة النيات المصاحبة لها ، قد فتحت الباب من وقتها للأموال القادمة من المملكة كى تفعل ما تشاء من مشاريع قتالية. فكثر المغامرون وتعددت المشاريع، والتى كانت صغيرة الحجم، إلا أنها ساهمت فى مضاعفة حالة الفوضى والتخبط فى العمل العسكرى العربى.

فكاهة حماسية:

*كان الرأى السائد بين (المخلصين ذوى الخبرة) على قلتهم هو الآتى:
أ ـ إن أبوعبد ا سوف يمضى فى مشروعه حتى النهاية ولن يوقفه أحد أو يمنعه شيء، وافق من وافق أو إعترض من إعتراض.
ب ـ والحالة هذه فمن الأفضل الوقوف إلى جانبه لإسباب منها:
ـ حتى لاييأس الرجل ويعود إلى بلادة فيخسر الجهاد ذلك السند(المالى) الهام.
ـ لمحاولة ضبط العمل وضبطه فى مساره السليم أو على الأقل جعل الخسائر أقل ما يمكن.
كان ذلك تحديداً رأي صديقنا سلطان (أبو عبيده البانشيرى)، وذلك على أثر إجتماعات عقدناها فى إسلام آباد لعدة أيام، شارك معنا فيها (أبوحفص المصرى) وباقى أعضاء مجموعتنا (جماعة خوست) كما كانوا يطلقون عليها فى بشاور.
كان سلطان قد إندمج تدريجياً فى العمل مع أبو عبدا فى جاجى كما كان معجباً بالرجل وإخلاصه، ويرى ضرورة الوقوف إلى جانبه لأنه (مكسب للإسلام) على حد تعبيره وقتها.
كان موقف أبو حفص قريباً من ذلك وكلاهما، سلطان وأبوحفص، كان لهما الدور الأكبر فى معركة جاجى القادمة.
تفاوتت آراء الباقين، وكنت بالطبع من أشد المعارضين للموضوع جملة وتفصيلاً، ولكننا إتفقنا على أنه مادام المشروع ماضياً فى طريقه، وأن أبوعبيده باقياً فيه، فأضعف الأيمان هو تقليل الخسائر البشرية، ذلك بجعل (المأسدة) مجرد مركز خلفى ، مخفى عن العدو، أى لايستخدم فى رمايات مدفعية أو ما شابه ، فقط مركز خلفى لمجموعات صغيرة تقوم بعمليات على خطوط العدو بطريقه حرب العصابات.
لكن الإستعدادات الجارية فوق أرض (المأسدة) هى التى حددت طبيعة المعركة القادمة.
كانت عوامل عديدة تتفاعل وتصنع الأحداث وترسم شكل المعركة ونتائجها، وبقى دور القيادة ، بما فيها أبو عبدا ،منحصراً فى جانب إنقاذ ما يمكن إنقاذه.
فالشباب العربى ، وأكثرهم من الجزيرة ، والذين إستنفرهم أبو عبد ا وأيضاً الشيخ عبد ا عزام تحولوا أيضاً الى عنصر ضاغط وموجة للأحداث.
طاعتهم لهما حدود كما ذكر أبو عبدا ، وهم لايطيقون أشياء كثيرة،فهم مثلا:

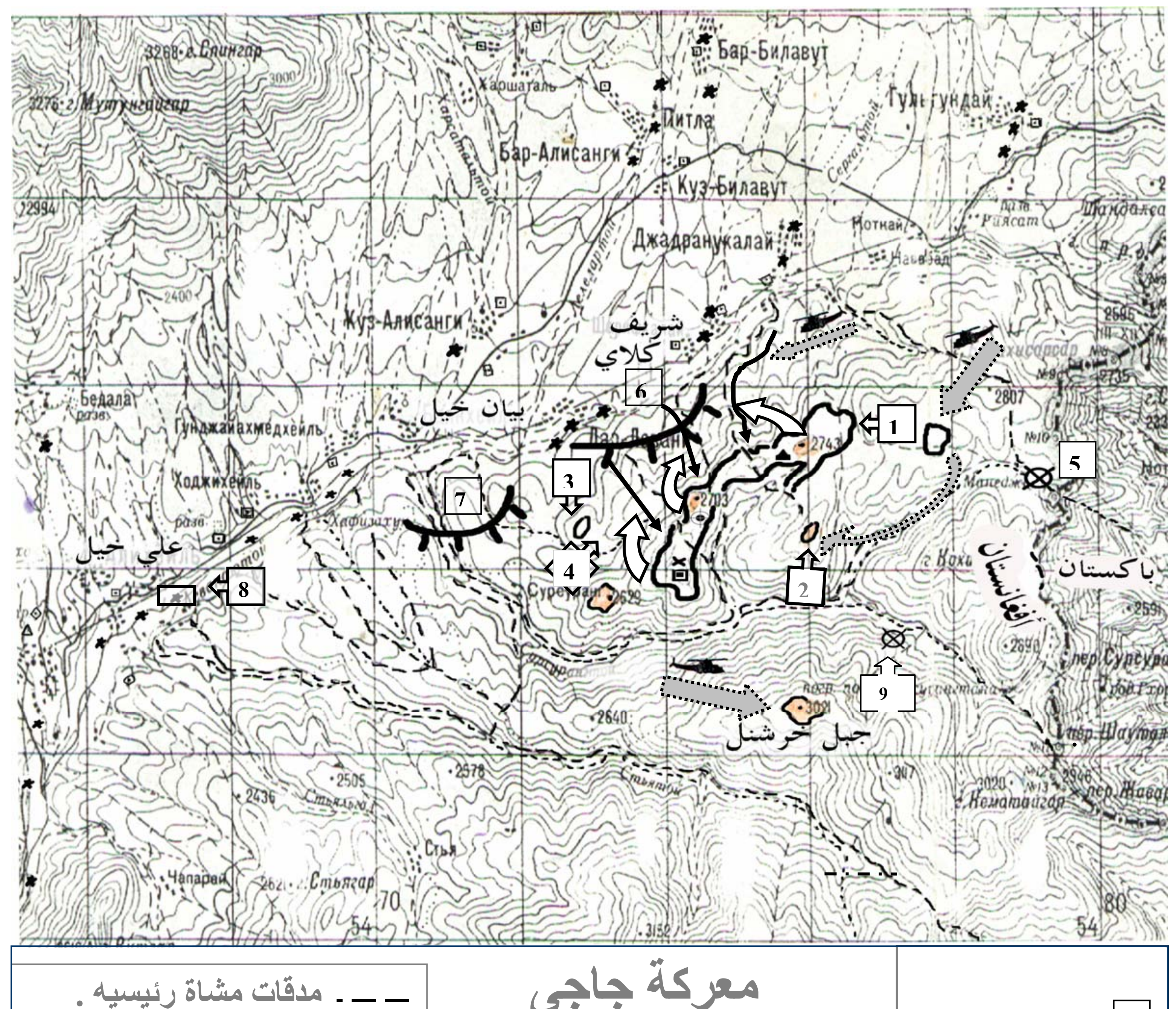
لايطيقون الإنتظارطويلاً، لذا يريدون المعركة بسرعة. لايطيقون التدريب. لايطيقون التجهيز للمعركة. لايطيقون كثرة الأوامر والنواهى. لايطيقون المعركة إذا كانت طويلة.
كما أنهم لايطيقون الأفغان أو البقاء معهم لمدة طويلة.
وبالفعل تحولت المأسدة إلى تجمع لشباب حديث السن عديم التجربة. تدريجياً إنسحب الأفغان من بينهم، عندما شعروا بخطورة الموقف، وإبتعاداً عن جلافة العرب الناتجة عن خلافات مذهبية. وحتى بين العرب أنفسهم ظهرت بوادر الفرقه كما العادة، ولولا تدافع الأحداث لتفاقم الوضع.
فها هو أسامة (أزمراى) أحد الشباب السعودى المؤسس يقول:
{ فى نفس الفترة إقترحت على أبى عبد ا أن يعطينى (غرفة بدر) مع مجموعة خاصة لها صلاحيات خاصة، وليس لها أية علاقة بالمأسدة !!. نعيش فيها ويكون لنا برامج مستقبلية من العمليات والرصد والإقتحام فوافق على ذلك}.
كما تم إخراج عبدالسميع، وهو شيعى أفغانى، أخرجه العرب ومجموعتة من المأسدة مع أنه شارك فى تأسيسها معهم.
كان أبو عبد ا قد بدأ التفكير فى حفر غرفة جديدة أقصى ميسرة المأسدة هى (المتقدمة).
وبعد أن إنتهى منها، شق الطريق نحو موقع (المتقدمة) التى حفرها الشباب وجهزوها وسموها (غرفه المصريين) أو المتقدمة ! ! .
* ذلك هو النمط ،الإنشطارى، الشائع لدى المسلمين العرب. فى البداية كان العمل مع الأفغان من أجل تثبيتهم، ثم بعد ذلك العمل منفردين لأن الطبائع مختلفة وكذلك المذاهب، وبعدها ننقسم لأن الجنسيات مختلفة وكذلك الطباع و طرق التفكير والعمل.. وهكذا حتى يصبح كل فرد (أمة فى ذاته)!!.
* كما كان المخلصون حريصين على أبو عبدا "فسايروه" رغم قناعتهم بخطأ ما يفعل.
كما ساير أبو عبدا جمهور الشباب الذى توافد حرصاً عليه ألا يرتد منتكساً عن الجهاد. فكان يستجيب لمطالبهم فى عدم الإنضباط. وكلما وصلتة خصومة بين فرد وقيادة المعسكر كان ينتصر للفرد. من ذلك السلوك نجد شكايات كثيرة من أبوهاجر وأبوعبيدة وهما اللذان توليا قيادة الشباب طوال الفترة التى سبقت المعركة الكبرى.
أول الإشتباكات التى إنطلقت من "المأسدة" تمت تحت ضغوط هؤلاء "الوافدون الجدد" من المملكة الذين تنقصهم التجربة والتدريب والإنضباط، ويكثر بينهم الإختلاف والتمرد الخ.
وكلهم لايعرف المنطقة ولم يسبق له العمل فيها، وكلهم أو معظمهم، لم يعرفوا بعضهم البعض سابقاً. ولم تكن القيادة تعرف شيء عن طبيعة أفرادها، وهؤلاء بدورهم لم يعملوا مسبقاً تحت إمرة تلك القيادة. ويالها من تجربة لقد كانت الأحداث تصنع نفسها، وضاعت المبادرة من يد أبوعبدا ومن يد الكوادر الأساسية العاملة معه، وصار الجمهور هو سيد الساحة وسيد نفسه ... وكما جاء فى كتاب " الأنصار العرب":
{حتى إذا سنحت الفرصه ووجد الإخوة الظرف الذى يخدمهم لتحقيق هذه الأشواق العارمة، حطموا الحواجز كلها، وخرقوا القوانين بطرفة عين وإغتنموا فرصة غياب أبي عبدا عن المأسدة أواخر شهر مارس87 فعصوا أوامره الصريحة وقرروا أن يخوضوا معركة هجوم قريب}
كان أبو هاجر وقتها أميرا للمعسكر، لذا سوف نقتطف من كلماته مايصور لنا هذه المأساة الهزلية، حيث يقول :

{وبعدما ألحوا علي طوال ثلاثة أيام حتى دمروني ، رضخت آخر الأمر ووافقت أن آخذهم في عملية ، وتهيأت ، ووجدت الشيخ تميم - وكان متحمسا - قد سبقنا ونزل تحت}.
وفي مجال مناقشة مع أحد المعارضين وهو " أبو محمود " يقول له أبو هاجر:
{لاتتعب نفسك يا أبا محمود، إن شاء ا سأمضي معهم وإن كنت أعرف أن هذا العمل خطأ ، ولئن يذهبوا معي خير من أن يذهبوا بدوني !!}
أما قائد العملية - الذي نصب نفسه بنفسه - فلم يجهز أي شيء للعملية ، حتى الأفراد والأسلحة.
* وبصعوبة أقنعه أبو هاجر أن يحدد الأسلحة التي يحتاجها وكذلك الأفراد . فأخذ سيف ا قائد العملية ، الأفراد الذين أراد إصطحابهم، إضافة إلى كل من أراد أن يذهب !!.
والصورة المرحة الأخرى يرويها أبو هاجر بقوله:
{وطبعاً كان الشيخ تميم من أول المتحمسين فسبقنا وهبط إلى تحت، وكأنني سمعت أنهم قالوا بأنه أرسل إلينا خبراً: "بأننا سنلتقي في الجنة" كانت عبارة ضحكت منها ، فكيف يكون القتال بهذه الطريقة وبهذه البساطة ؟}.
ويمضي أبو هاجر في سرد سلسلة المهازل التي حدثت في تلك العملية، وليس أقلها أنهم إكتشفوا أنهم ، جميعاً ، لايعلمون الطريق إلى العدو!! ولا طرق المنطقة!! ولحسن حظهم أن أبو عبدا عاد من سفره وإستدعاهم للعودة على وعد بعملية قريبة ، فبكى من بكى وإنهار من إنهار!!. أما الشيخ تميم فقد أقسم ألا يتذوق طعاماً حتى العملية القادمة !! وقد كان.فقد أرسلهم أبو عبدا في عملية صغيرة بعد يومين، رفعت معنويات"جماهير"المأسدة المتعطشين إلى القتال في سبيل ا

تاريخ حياة المأسدة :

إشتباك فى شعبان.. معركة فى رمضان.. إنتصارفى شوال

معركة شعبان .. كانت المحطة التالية في حياة " المأسدة " ، وتلك الحياة لم تكن طويلة على أية حال كونها إنتهت عمليا في أوائل شوال أي بنهاية معركة رمضان الكبرى .
كان أبو عبدا مهتماً بإستكمال تحصينات المأسدة بالشكل الكافي قبل شن ضربة قوية ضد العدو . أما الضربة نفسها فقد وضع فكرتها الأساسية " أبو خالد " وهو ضابط سابق في الجيش المصري ومن قيادات تنظيم الجهاد. وكان يرى أن هدف العملية هو : كسر الجمود في الموقف العسكري ، ورفع المعنويات بين العرب والأفغان ، وإنزال الخسائر بالعدو .
شارك " سلطان " في إختيار الهدف ، ثم شارك " أبو حفص " معهم في وضع الترتيبات وتفاصيل العملية .
كان أبو حفص معنا في " ميرانشاه " وقتها ونحن نجهز لتطوير عملنا في خوست حين تلقينا مكالمة هاتفية من بيشاور. وكان المتحدث وقتها هو أبو خالد المصري ، الذي إستدعانا جميعاً إلى جاجي للمشاركة في المعركة المقبلة ، وإختتم حديثه الهاتفي معنا بجملة(وإذا دعيتم فلبوا) رفضت الفكرة تماماً وكذلك فعل " عبد الرحمن " ، أما أبو حفص فقد لبى النداء قائلاً إنه سيعود إلينا مرة أخرى إذا وجد الوضع هناك غير مناسب أو عند إنتهاء العملية .. ولكنه في الواقع غادر العمل معنا بشكل نهائي . وكذلك فعل " سلطان " الذي كان من المفروض أن يعمل مع أبى عبدا بشكل مؤقت.



معركة جاجى

(26 مايو 1987)

1	المأسدة
2743	تبة القيادة.
	غرفة القيادة.
2703	بدر.
	الزيكوياك.
	غرفة المصريين.
	المتقدمه.

- مدقات مشاة رئيسيه .
- مدقات مشاة فرعيه .
- هجوم الكوماندوز السوفيتى.
- تحصينات العدو.
- دبابة.
- بوسطة (موقع العدو) .
- انزال قوات خاصة سوفيتية بالهيلوكبتر.

" عمليات إلتفاف و كمائن عربية "

- أبو حفص فى 30رمضان (87/5/29) من جنوب المأسدة.
- من شمال المأسدة(أبو حفص و أبو عبيده) فى أول شوال(87/5/30).
- من وسط المأسدة(أبو حفص)فى 8 شوال(87/6/6).

2	قبا.
3	الترصد.
4	تبة عبد السميع.
5	مركز قيادة سياف.
6	أم الخنادق.
7	النايمة.
8	حصن تشاونى.
9	مواقع عسكرية صغيرة للعدو (بوسطات).
10	غوند الفتح (حكمتيار)
11	محاوله سوفيتية فاشلة لاحتلال قبا (7 شوال 1407) (87/6/5)

* لم تكن الخيارات واسعة أمام "أبو خالد" وهو يتخير الأهداف للمعركة القادمة، كما أنه لم يستطع أن يحافظ على المبدأ الذي إستقر عليه الرأي بأن تكون "المأسدة" مجرد قاعدة خلفية تنطلق منها عمليات حرب عصابات ضد العدو في الوادي.
فالوادي لا يحتوى أية أهداف ذات أهمية إستراتيجية للعدو. فقط مواقع عسكرية مختلفة الأحجام ومحصنة بشكل جيد. وتبدأ بمواقع على حواف الجبال لحراسة الوادي من عمليات تسلل المجاهدين. أما عن شن عمليات عصابات ضد العدو فلم تكن هي الأخرى ممكنة بالنسبة للعرب. فهم يجهلون المنطقة تماماً، وكونهم غرباء عن المنطقة سوف يفضح حركتهم ويمنع إمكانية إختراقهم لمناطق العدو في العمق، حيث أن إكتشافهم يغدو سهلاً. كذلك فإن المنطقة ذات شهرة خاصة بكثرة "المنافقين" وجواسيس العدو. حتى مجموعات المجاهدين في المنطقة مخترقة إلى درجة كبيرة.لذلك كانت خطة "أبوخالد" تقليدية تماماً. لقد تخير موقعين للعدو قرر أن يتم الإستيلاء عليهما تحت ستار من التمهيد المدفعي. ثم ينسحب بعد أخذ الغنائم وتدمير المواقع.في تلك الفترة زود أبوعبدا جماعته بعدد كافٍ من وحدات اللاسلكي الصغيرة حتى صار بقدرته أن يوجه أي مجموعة في أي ناحية في أي وقت على حد قول أسامة أزمراي أحد الشباب السعودي الذين عاصروا ذلك العمل.
لقد كانت تلك نقلة نوعية بكل معنى الكلمة، لم تحدث قبلاً في الحرب الأفغانية. وقد تكلمنا عن معركة جاور فى أبريل1986 وكيف أن "حقاني" قائد الموقعة لم يكن فى قدرتة الأتصال مع مجموعاتة المنتشرة في دفاعات أمامية عن القاعدة. كذلك كان الأتصال منعدماً بين تلك المجموعات. وكيف أن ذلك كان متعمداً طبقاً للتخطيط الخارجي لتلك الحرب، لقد كان التفوق في "الإتصالات" واحداً من عوامل تفوق الأداء العربي في معركة جاجي الكبرى.
كذلك زود أبوعبدا جماعته بعدد كافي من المناظير القوية. كما كان لديهم منظاراً واحدا ً على الأقل للرؤية الليلية، فأقام العرب شبكة رصد قوية ، لأول مرة في تلك المنطقة.
وقد كان القادة الأفغان الكبار "سياف وحكمتيار.." يتتبعون أخبار العدو سابقاً من الأخبار التي ينقلها رعاة الغنم.. أو دوريات رصد تابعة للمجاهدين لا تمتلك وسائل رصد، ولا تتابع عملها إلا لساعات قليلة على أحسن الأحوال.لكن العرب أقاموا هذه المرة شبكة رصد قوية تعمل على مدار الساعة.. فكانت شبكة الرصد عاملاً ثانياً من عوامل التفوق العربي في تلك المعركة.
كان عدداً من الشباب العربي قد تدرب بشكل جيد على إستخدام الأسلحة الثقيلة المتوفرة وقتها خاصة الهاونات وراجمات الصواريخ "بي.إم **12**"وإستخدموها بشكلٍ مستقل عن الأفغان وبكفاءة ممتازة.ولولا ذلك لما تلقوا الدعم المدفعي المطلوب في وقته المناسب"عمداً أو تقصيرا" من جانب المجاهدين، فكانت مدفعية العرب عاملاً ثالثاً من عوامل التفوق.
على أية حال فإن عملية شعبان لم تتم، وإن حدث إشتباك صغير ولكن العملية لم تمض إلى غايتها بسبب ضيق وقت التجهيز.
يقول أحد أفراد العملية بأن أبا خالد وأبا حفص الذان خططا للعملية وكلاهما ضابط جيش سابق لم يراعيا الجانب التطبيقي، وإختلاف إمكانات الجيش عن إمكانات عصابات المجاهدين. الثغرة الأساسية أنهم فكروا بمثالية زائدة وإهتموا بالجانب التخطيطي أكثر من إهتمامهم بالجانب العملي والتطبيقي على حد قوله. لقد إنهارت العملية لأن الأسلحة الثقيلة وذخائرها لم تصل إلى مكانها المحدد في الوقت المحدد، وبالتالي لم تتم عملية إقتحام المواقع.
والمشكلة في الواقع لم تكن فقط في إنفصال التخطيط عن إمكانات التنفيذ، ولكن المشكلة كانت

سياسية أكثر منها عسكرية.
لقد ترك أبوعبدا صلاحية تحديد وقت المعركة للقيادة "الشرعية" للجهاد أي سياف الذي كان يشعر بالضيق والحقد لهذا التطفل العربي، كما لم يقصر في إتخاذ كل الوسائل لإجهاضه.
وقد واتته فرصة جديدة حين تدخل لتحديد وقت المعركة فأصر على أن تكون مبكرة جداً حتى لا يتمكن العرب من التجهيز بشكل كاف. وقد نجح في ذلك وأجهض معركة شعبان.
لقد أراد أبوعبدا أن ينسق مع سياف وحكمتيار كلاهما حتى يسهما في الإسناد المدفعي بقصف مواقع العدو المختلفة أثناء العملية، أما الإقتحام فسوف يقوم به العرب وحدهم.
جماعة حكمتيار وافقوا على المبدأ ولم يتم تحديد موعد للعمل على أساس أن المهاجم "العرب" هو الذي يحدد موعد إحتياجه للإسناد المدفعي، وكان مفهوماً أن العرب ما زالوا يعدون أنفسهم للهجوم.
أما سياف فلم يعطِ موافقة فورية بل قال :"أنا آتيكم يوم الأحد لأرى" وكان ذلك يوم السبت على أساس أنه سيأتي للمشاورة مع أبي عبدا . ولكنه أتى يوم الأحد كي يفاجيء أبا عبدا والجميع بقرار "هتاري" بأن المعركة غداً الإثنين "!!". فأجابوه قائلين كما ذكر أحدهم (قلنا ياشيخ.. نحن غير جاهزين.. لا يمكن!).
فتكرم فضيلته وأعطاهم يومين أو ثلاثة كأقصى حد لإستكمال الإعداد والتجهيز والبدء في التنفيذ، ولم يكن لهذا التعنت "السيافي" أي مبرر عملي، فلم يكن هناك أي داعي للإستعجال لأن المبادرة في أيدي المجاهدين.
كذلك فإن المهاجم "العرب" هو الذي يحدد الوقت اللازم لإنهاء إستعداداته للهجوم. بينما جماعة الإسناد المدفعي لا يحتاجون لمثل ذلك الوقت على إعتبار أن المدافع والذخائر موجودة فعلاً في موقع العمل قرب المراكز الخلفية.
لم يكن من مبرر سوى سوء النية ورغبة سياف في إفشال التجربة العربية في أول محاولة لها ، وقد نجح، ولكن مؤقتاً في شعبان ولكن جاءه الرد صاعقاً مع نهاية رمضان.
تحديد ساعة الصفر شاهدت خلافاً آخر، أو قل مؤامرة أخرى من سياف على العرب. لقد أصر الزعيم على أن يبدأ الهجوم صباحاً، بينما رأت المجموعات الأخرى "العرب وحكمتيار" أن يكون الهجوم قبل الغروب بساعة حتى لا يجد الطيران فرصة للتدخل وهو ما جرت عليه العادة في أفغانستان.
أمام إصرار العرب على الإستفادة من ميزة الهجوم المسائي إضطر سياف للتنازل عن إصراره على الهجوم الصباحي الذي لا تدعمه أي حجة مقبولة، ولا يبرره سوى سوء النية.
وأخيراً تمت العملية المجهضة في مساء الجمعة **19 شعبان 1407 الموافق 17 أبريل 1987.**
شاع خبر (المأسدة) العربية من بشاور حتى كابول والرياض.
وبدأ القصف الجوي عليها بعد محاولة شعبان المجهضة. وبدأ الشباب يناوشون "بوسطات" خط الدفاع الأول للعدو، ويوقعون فيها الخسائر فترتفع معنويات الشباب العرب. ثم يسقط منهم جرحى وشهداء فترتفع معنوياتهم أكثر وأكثر، ويزداد إقبال المتطوعين.
ولم يقصر أبوعبدا في إنتهاز الفرصة الدعائية المواتية، فخلال الشهر الذي تلا محاولة شعبان سافر مرتين إلى "المملكة" داعياً الشباب إلى الإنخراط في الجهاد، وداعياً الأغنياء إلى التبرع.
وسرت كهرباء قوية في عروق شباب الجزيرة، فإنساحوا كالسيل الجارف نحو هذا المشروع الجهادي الضخم، الذي رأوه "سعودياً" قبل كل شيء، فأثار حميتهم الدينية والوطنية معاً .

"أبوخالد" إعتبر القائد العسكري الفعلي للمأسدة، يعاونه أبوحفص، وأبوعبيدة، وأبوسهل الكبير وهو مصري خدم في الجيش أيضاً. وفي محاولة لتحويل قذائف "آر.بي.جي" إلى سلاح مضاد للأفراد أصيب أبوخالد ،الذي فقد عينه اليمنى، وأبوسهل الكبير الذي أُصيب بشظايا مختلفة ، وقد خرج كلاهما من المعركة حتى نهايتها. فتولى القيادة رسمياً أبوعبيدة يعاونه أبوحفص.
وبلغت العمليات تسع عمليات خلال شهر واحد.
أما السابع عشر من رمضان "ذكرى غزوة بدر الكبرى" فقد شن الشباب عمليـ ـ ـات قصف ورمايات بالأسلحة الخفيفة على عدد من بوسطات العدو فدمروا موقعاً للعدو وأُصيب خمسة من الشباب العربي بجروح.
وأثرت العملية سلباً في معنويات الجنود، فقاموا ليلاً بالهجوم على ضابط المركز وقتلوه مع إثنين من معاونيه وأسروا ضابط مخابرات المركز "الخاد" وسلموا أنفسهم للمجاهدين، وكانو **35** جندياً ومعهم **40** بندقية كلاشنكوف.
إستسلم الجنود لمعسكر حكمتيار، حيث تم التحقيق مع ضابط الإستخبارات ثم حولوه إلى العرب الذين حققوا معه مرة أخرى. وإستفاد العرب كثيراً من المعلومات العسكرية التي أدلى بها الضابط، فقد كشف لهم كافة المواقع العسكرية في المنطقة، فكان ذلك خير عون لمدفعية العرب، فكثير من تلك المواقع غير معلوم بالنسبة للمجاهدين. لذا في معارك رمضان إستطاعت مدفعية العرب من تحقيق مفاجئات مرعبة بالنسبة للعدو، حطمته معنوياً.
وفي العادة لا يهتم المجاهدون بمثل تلك المعلومات لدى الأسرى.
وصل أبوعبدا في نفس يوم **معركة الجمعه 17 رمضان**"**87/5/15**" ، فوجد المعنويات العربية في قمة تألقها والشباب في فورة الحماس. وكان هو أيضاً قد لمس تلك الروح في شباب المملكة هناك الذي يحترق شوقاً للمشاركة في "المأسدة" التي أضحت إسطورة المملكة ومطمح شبابها.
لذا بادر أبوعبدا في اليوم التالي بالإتصال مع جماعات الأحزاب في المنطقة للإشتراك في هجوم جماعي كبير. ولكن وكما يقول أبوعبدا :
{وكادت الإستعدادات تتم في الرابع والعشرين من رمضان.. وإذا بالأخبار تصلنا أن قوة قوامها تسعة آلاف رجل من جيش حكومة كابول قد تقدموا يريدون الهجوم على مواقع المجاهدين وقفل الطريق وإبادة القوة المتبقية في المنطقة..فكأننا التقينا على موعد}.
ويا لها من مصادفة رائعة!! أن يكون المجاهدون في قمة الإستعداد في الوقت الذي أوشكت فيه قوات العدو على الوصول إلى نفس المنطقة.
وعلى أية حال فإن ضابط "خاد" الذي حقق معه العرب كان قد أخبرهم أن القوات الحكومية سوف تهاجم المنطقة في العيد. وبالفعل فقد زادت الطلعات الجوية فوق المنطقة بغرض الإستطلاع والقصف.
يوم 27 رمضان 87/5/26:
بدأ العدو قصفاً مركزاً فوق المأسدة، وردت عليه راجمة"بي.إم12" تابعة للعرب. وفي اليوم التالي**28 رمضان** إشتد القصف بحيث لم يدع مجالاً للشك بأن المأسدة هي الهدف الرئيسي للعدو. وكان بها حوالي70 عربياً، ويقود الجميع سلطان "أبوعبيدة البنشيري" الذي أبقى في المأسدة 25 شاباً وأعاد الباقين إلى الخلف تفادياً لإصابات لا داعي لها.
في"**29رمضان**" آليات العدو تحمل أفراده إلى خط الدفاع الأول في الجبال تمهيداً لإقتحام

المنطقة، في الوادي تتحرك الدبابات والشاحنات بكثرة ويتزايد التراشق المدفعي بين المجاهدين والقوات الشيوعية.
ويظهر الأداء المدفعي المتفوق لمدفعية العرب خاصة راجمة الصواريخ "بي.إم12" التي يعمل عليها "أبوعبدالرحمن" **(وهو مهندس مصري خدم في الجيش وخاض حرب 1973 وكان أول وأهم نجم عربي في سماء المدفعية في أفغانستان حتى صار أسمه الذي يحمله حتى اليوم بين العرب هو "أبوعبدالرحمن بي.إم" ونظنه أكثر عربي أوقع خسائر مباشرة في الشيوعيين طوال تلك الحرب).**
جاء في كتاب "الأنصار العرب" ما يلي :

{ ويجمل أبوعبيدة محصلة التراشق الصاروخي ذلك اليوم والحال التي إنتهت إليه القوة وقد حل المساء.. ويقول: كان الإخوة موفقين في ذلك اليوم والحمد .. وعلى مرأى ومسمع منهم كانت الدبابات والسيارات تهرب في كل مكان، وحدث هرج ومرج شديد بين الجنود، ورأينا سيارات الإسعاف تأخذ من العساكر ثم تنسحب مرة أخري إلى تشاوني وكانت القذائف تلاحقهم حتى الغروب.. حينما توقفوا وراء الجبال، بإنتظار حلول الليل لتنزل القوات التي لم تنسحب إلى "تشاوني" متسللة إلى المراكز.. والحمد .. وكما روى الأسرى بعد ذلك، فإن الجنود والروس عندما نزلوا من السيارات وأرادوا دخول مراكز العدو مشوا على الألغام التي زرعها جنود الحكومة أنفسهم حول البوسطات، فأُصيب وقتل منهم والحمد ..} .

الخميس "30 رمضان" "87/5/28":

كان يوماً مجيداً من أيام العرب في أفغانستان، كان يوم أبوعبدا والمأسدة، لقد كان يوماً قاسياً حتى بدت الهزيمة قاب قوسين أو أدنى.
في الصباح هبط جنود الكوماندوز من طائرات الهيلوكبتر فيما بين المأسدة وخط الدفاع الأول للعدو، ثم بدأوا يتقدمون خلال عدة تباب ذات سفوح حرجية أخفت الكثير من حركتهم.
أبوعبيدة حرك كمين من الجهة اليسرى مكون من **9** أفراد يقودهم "أبوحفص". بينما تحرك هو مع أبوعبدا إلى الطرف الأيمن لمتابعة الوضع العام.
يبدو أن الكوماندوز "السوفييت" قد هاجموا القاعدة على شكل كماشة. فالمجموعة التي هاجمت الميمنة إستطاعت الإستيلاء على تلك القمة، ولكن أبوعبدا وأبوعبيدة نجيا بأعجوبة من القصف المدفعي المركز ثم من هجوم الكوماندوز.
أما الكوماندوز الذين تقدموا على الجانب الأيسر فقد إصطدموا بالكمين المتقدم وتكبدوا بعض الخسائر حسب إفادة أبي حفص.
بسبب الإرهاق الزائد والضغط العسكري الشديد قرر أبوعبدا وأبوعبيدة الإنسحاب من المأسدة، مع طلب تعزيزات من سياف وحكمتيار. ورغم الإنهاك الشديد وهول المعركة من قصف جوي ومدفعي مع تقدم كوماندوز الذين نجحوا في إحتلال الجزء الأيمن من "المأسدة"، إلا أن الشباب العرب قابلوا قرار أبي عبدا بإستياء شديد يقترب من الهيستيريا.. ولكنهم نفذوا الأمر بصعوبة.ومع ذلك لم يكن أبوعبيدة مستريحاً لقرار الإنسحاب، وأبوحفص كان يجد كل ذلك القصف فوق المأسدة لا يعتبر شيئاً بجانب ما حدث في معركة جاور.
ولكن بدأ أبوعبدا ينفذ بنفسه قرار الإنسحاب، وسط إنهيار نفسي للشباب، الذين فضلوا البقاء حتى الموت. فرمى بعضهم سلاحه على الأرض مغضباً، والشيخ تميم أخذ يبكي ويشد شعر رأسه ولحيته وإضطر أبوعبدا إلى دفعه دفعاً نحو السيارة التي تقل الشباب، حتى شباب

الكمين نفذوا أمر الإنسحاب بصعوبة تحت ضغط أبي حفص.
وقبل رحيله بذل الشيخ تميم آخر محاولاتة للشهادة بأن خرج في العراء تحت القصف لمدة أربع ساعات يتلو القرآن ويدعو ا بحرقة أن يهبه الشهادة في هذا اليوم الأخير من أيام رمضان.
ولا شك أن هذه الهستريا الرافضة لقرار الإنسحاب هي دليل آخر على ضعف الإنضباط وضعف الثقة في القيادة.. إضافة إلى ضعف الفهم العسكري، فالجيش المتماسك ذو القيادة الجيدة، يستخدم الدفاع والهجوم كليهما كإجراءات تكتيكية "وربما إستراتيجية" للقضاء على قوات الخصم أو المحافظة على القوات الصديقة.
والأرجح أن قرار الإنسحاب من المأسدة كان صحيحاً من الوجهة العسكرية. فقد كان في المأسدة خمسة وأربعون شاباً معظمهم "أو كلهم تقريباً" لا يعلم شيئاً عن المنطقة التي يقاتل فيها كما أن أكثرهم لم يتدرب تدريباً كافياً، وفجأة ،يخوضون قتالاً ضد عدو متفوق بشكل كاسح في جميع النواحي، بينما القوات الصديقة الأخرى -المجاهدين- لا تكاد تظهر فاعلية تذكر في القتال الأرضي، و تساهم بشكل أقل من اللازم بكثير في القصف المدفعي.
* وفي ذلك الوقت العصيب، كان هناك شخصاً يتباطأ في تنفيذ قرار الإنسحاب، ذلك هو "أبومحمود السوري" الذي يعمل على جهاز المخابرة في غرفة متخندقة في وسط المأسدة تدعى "بدر".. ذلك التباطؤ كان بداية الأعمال الظاهرة التي أدت إلى تحويل مسار المعركة، ومنع الكوماندوز من إحراز نصر كامل.
يصف أبومحمود لحظة الإنسحاب بقوله : (بدأت الفوضى تدب فينا.. في غرفة "بدر" قام أحد الأخوة الأفغان النشطين بتفجيرها حتى لا يغنم العدو شيئاً.. أحرقوا موقع "الزوكياك" في الأعلى بعدما فككوا المدفع ودفنوا بعضه في الأرض ودحرجوا بقية معداتة الثقيلة أسفل الوادي حتى لا يستخدمه العدو.. وكان لدينا غرفة أخرى فيها مواد غذائية قام الأخ أبوماهر السوري بإطلاق قذيفتي "آر.بي.جي" عليها. أما غرفتي -غرفة القيادة أو غرفة الإتصالات أو الضيافة كما كنّا نسميها أحياناً- فأصررت على ألا يفعلوا بها أي شيء من ذلك، فقد كانت مليئة بالأجهزة وبالأسلحة الفردية.. عدا عن مستودع السلاح المليء.ويمضي أبومحمود في قصته عن تعبئة تلك المواد وتحميلها على البغال ثم طلب سيارة لتحميل الباقي، كل ذلك وهو يتجاهل نداء اللاسلكي من القيادة وحتى لا يرغموه على ترك ما في يديه والإنسحاب. يقول أبومحمود:وقتها كان الأخ أبوعبيدة وأبوحفص في حيرة لا يستطيعان إتخاذ قرار فقلت لهم: يا جماعة نحن لدينا الإمكانيات لمقاتلة العدو عن قرب برشاشاتنا الخفيفة وننسحب إذا إستدعى الأمر عبر المناطق الجبلية المشجرة، فلنفرغ السلاح الآن وبعدها نمشي، فوافقاني على ذلك. وعندما إتصل الشيخ سياف وإتصل أبوعبدا يريدون أن نعطيهم آخر الأخبار قال أبوعبيدة: ما زال هناك مجال وعندنا سعة والعدو ما زال بعيداً. ومع الغروب كنّا قد أفرغنا السلاح والذخائر في الشاحنة..).
وفي الحقيقة أن أبامحمود بهذا التثاقل -أو الحرص الشديد على المعدات والأسلحة- كان قد ألغى أمر الإنسحاب الذي أصدرته القيادة. وكلمة أبوعبيدة: ما زال هناك مجال وعندنا سعة. كانت تعني حقيقة إلغاء قرار الإنسحاب رسمياً ـ بصفته القائد العسكري ـ وبدء مرحلة الدفاع عن المأسدة.كان قد تبقى تسعة من الشباب العرب في المأسدة وإكتشفوا أن هناك من10-15 مجاهداً من بدو المنطقة. وفي الواحدة ليلاً أرسل "أبوعبد ا " 15 شاباً إلى المأسدة..

فتوافرت بذلك قوة كافية للدفاع.. ويقول أبوعبيدة (فازددنا و الحمد إطمئناناً تلك الليلة) .
وبينما أبوعبيدة وقواته المدافعة تنام قريرة العين فوق جبل المأسدة على بعد أمتار معدودة من مئات من جنود الكوماندوز الروس المدعومين بكافة أسلحة الدعم برية وجوية، كان الإضطراب والجدال يسود مركز القيادة الخلفي عند سياف. وكانوا ما زالوا يناقشون قرار الإنسحاب.. ولم يدركوا أن القرار قد أُلغي عملياً ببقاء أبوعبيدة ورجاله في مواضعهم هناك، وإنقسمت الآراء لدى سياف حتى حسم الأمر كالعادة بفرمان "هتلري" كعادته وقرر الدفاع عن المأسدة حتى آخر عربي، وقال:
(لا بد وأن نخوض هذه المعركة وألا نتراجع عن المأسدة لأنها الخط الأول هناك، ومهما دفعنا من تضحيات فهي أرخص جداً من سقوط المعسكر وسيطرتهم على طريق القوافل!!).
ثم يأمر سياف قوة تعزيزية من الشباب العرب لنجدة إخوانهم في المأسدة !!... والغريب أنهم نفس الخمسة عشر الذين حركهم أبوعبدا !!.
وكانت مؤامرة أخرى من سلسلة مؤامرات سياف على العرب في جاجي. ولكن الأحداث سارت بما لا يشتهي.. فقد نجح العرب في معركتهم.
وصلت إذن مجموعة عربية جديدة قوامها خمسة عشر شاباً.. وصلوا ليلاً ونظم أبوعبيدة دفاعاً دائرياً حول المعسكر.. ولعله شعر بالإرتياح لوصول تعزيزات عربية أخرى، وشعر بالإرتياح أكثر لعدم وصول "نجدات" جديدة من رجال سياف أو حكمتيار، كما حدث في صباح اليوم الأخير من رمضان - حينما إحتدمت المعركة فوق جبل المأسدة فأرسل الزعيمان كل منهما 30- 40 مقاتلاً إلى المأسدة.. كل ما فعلوه هو أنهم صاحوا مكبرين بملء حناجرهم في وسط المأسدة، وصعدوا متجمهرين إلى القمة فأتتهم قذائف الهاون فمزقت بعضهم أشلاء فحمل الباقون جثث زملائهم وإختفوا عن الأنظار- وهكذا إنتهت المشاركة الأفغانية في المعركة.
"فيما عدا مقاتلي البدو الذين ذكرناهم".
ويقول أبوعبيدة أن رجال سياف وحكمتيار كانوا يطيعون قادتهم فقط ولا إعتبار لديهم لقيادة العرب التي تتولى الأمر في المأسدة، كما كانوا غير منظمين وغير مدربين، فكانوا يزيدون الوضع إضطراباً وضعفاً ويسقط منهم القتلى والجرحى بلا فائدة ترجى.

الأول من شوال 1407 الجمعة "87/5/29":
يوم النصر الحقيقي للعرب في جاجي.. وإن كان قد بدأ من نفس النقطة العسيرة التي إنتهى إليها اليوم السابق 30 رمضان.
وصل عدد العرب إلى حوالي25 فرداً، وهو نفس عددهم بالأمس، إذن قرار الإنسحاب لم ينفذ عملياً. وقد إنضم إليهم أقل من عشرين أفغانياً "جماعة البدو". ثم وصل أبوعبدا مع أبي الحسن المدني برفقتهما 8- 10 من العرب.
بدأ الصباح هادئاً، كأن لم يكن حرباً بالأمس، ولا قتالاً ضارياً هذا اليوم. بعد الصلاة، وتبادل التهاني بالعيد المبارك. بدأت عملية إستطلاع الموقف، وتحديد خطة العمل وتوزيع المهام، ورغم وصول أبوعبدا " أسامة بن لادن"، إلا إنه فوض الأمر بالكامل إلى أبي عبيدة.
كان الروس يتخندقون على تبة القيادة في الجناح الأيمن، كما إكتشف العرب محاولات تسلل روسية من الجناح الأيسر.
فوضع أبوعبيدة "سيف ا المغربي" كي يناوش الروس في الميمنة بواسطة رشاش جرينوف.

ثم أرسل مجموعة يقودها أبوعبدا نفسه ومعه أبوالحسن المدني وعدد قليل من الشباب لمنع الكوماندوز الروس من التسلل من الطرف الأيسر للمعسكر ،أو المتقدمة كما يطلقون عليها، وقرر هو وأبوحفص أن يقودا مجموعة أخرى تتسلل بين الشجيرات وتلتف حول الجناح الأيمن الذي يحاول الروس الإستحكام فيه، قبل أن ينهوا تحصيناتهم ويصير دفعهم مستحيلاً. وكان ذلك أشهر وأنجح كمين للعرب في الحرب الأفغانية - ولم يتكرر ذلك الموقف بعد ذلك أبداً مع العرب.

كانت هناك عدة مشكلات أخرى لدى العرب، فإلى جانب الإرهاق الزائد عن الحد نتيجة قلة العدد والمجهود المتصل لعدة أيام تحت ظروف قتالية غير مواتية ولا متكافئة - وجدوا أنفسهم في صباح العيد وليس لديهم طعام، فقد إحترق كل شيء بالأمس تمهيداً للإنسحاب.. وفي هذا الصباح الحاسم، لم يجدوا ما يقتاتون به سوى بضع حبيبات من الليمون "!!". وهكذا خاضوا قتالهم الظافر صبيحة ذلك العيد.

تحرك أبوعبيدة وأبوحفص بالكمين للإلتفاف حول الجناح الأيمن. ولكن الروس هناك الذين ضايقهم "سيف ا المغربي" بالجرينوف طالبوا معاونة مدفعية ضده. فنزلت قذيفة مباشرة أودت بثلاثة من الشباب العربي - ولم ينج من مجموعتهم سوى شخص رابع كان قد ذهب لإحضار زيت لتنظيف السلاح.

أغلق أبوحفص جهاز المخابرة حتى لا يتأثر أفراد الكمين بتلك الأخبار السيئة التي إستهل بها اليوم. ولكن سيف لم يصب وظل يعمل على الرشاش. وكان بذلك يؤدي خدمة كبرى في مساعدة الكمين وجذب أنظار الكوماندوز في الميمنة.. مع حماية أجناب الكمين.

أما أبوعبدا وأبوالحسن ومجموعتهما فقد خاضوا قتالاً باسلاً ضد الكوماندوز الذين إعتبروا أن الإستيلاء على الميسرة سوف ينهي المعركة تماماً لمصلحتهم، فسوف تصبح منطقة الوسط واقعة في تطويق من ثلاث جهات ولن تستطيع المقاومة طويلاً. ولكن نجحت مجموعة أبو عبدا تماماً في تجميد حركة التسلل. وإن كان الموقف لا يمكن أن يستمر طويلاً على ذلك الحال، فقد وصل الروس إلى أقل من مئة متر من مواقع أبي عبدا . وواصل أبوعبيدة تحركه مع جماعته المكونة من ثمانية أفراد سبعة منهم مصريون ."إستشهد منهم ثلاثة في نفس الكمين"، وكان بينهم شاباً سعودياً واحداً يدعى "مختار" -واصل الحرب إلى نهايتها- ومن الأفضل أن نتابع جانباً من قصة ذلك الكمين التاريخي على لسان الذين قادوه. أبوعبيدة وأبوحفص.. كماء جاء في شهاداتهم التي أوردها صاحب كتاب "الأنصار العرب".

يقول أبوحفص الذي ولاه أبوعبيدة قيادة الكمين:(أثناء صعودنا على الهدف نفسه أرجعت أخانا عبدا وتقدمت أنا كعنصر إستطلاع في الأمام، وكانت المنطقة مملوءة بالأشجار ولذلك أصبح مدى الرؤية الممكنة قصير جداً.. وعندما إقتربنا من قمة التبة سمعنا صوتاً.. فأعطيت الإخوة إشارة التشكيل الخطي مع التمركز في وضع كمين ولم نلبث أن رأينا إثنين من الكوماندوز ينزلان في نفس الإتجاه الذي صعدنا منه لكنهما إنحرفا عنّا، ففضلت أن نتركهما حتى تتم المهمة المطلوبة وواصلنا التقدم، فسمعنا صوتاً آخر من جديد لكنه أقوى من الأول.. فأعطيت الإشارة للتشكيل الخطي من جديد مع عدم إطلاق النار إلا إذا تلقوا الأمر مني.. وبدأ الصوت يقترب ويقترب.. ونزلت أمامنا مجموعة لا أذكر خمسة كانوا أو ستة.. ولم يعد بيننا وبينهم إلا عشرة أمتار تقريباً.. لكن.. وكأنها ضربة واحدة طلعت رشقة من كل الأسلحة التي معنا تقريباً مع بعضهم بإتجاههم. لا أدرى من الذي أطلق أول ما أطلق هل هو مختار أم غيره،

لكنني أحسست أنها جماعية. كنّا قد ضربنا في نفس الوقت.. حتى أنا لأنهم ظهروا لي.. فنزلوا جميعاً يتدحرجون وسطنا تماماً.. ومباشرة عملنا إلتفاف حولهم وأخذنا نخلص على من لا يزال حياً.. خصوصاً وأن أحدهم كان يحمل قاذفة لهب معه أراد أن يفتحه فضربته في دماغه..
وبنظرة سريعة عرفنا أنهم روس.. أحدهم ضابط.. والبقية تابعون له، وأظن أن هؤلاء كانوا قيادة القوة الموجودة فوق التبة..).
وإذا صدق ظن أبي حفص، وهو أمر غير مستبعد يدل على ذلك الإنهيار السريع الذي أصاب القوة الروسية فوق الجبل، نكون أمام مساندة إلهية لهؤلاء العرب الشجعان. وكان الأفغان قد أبلغوا قبل بداية تجمع القوة أنهم أسقطوا طائرة هيلوكبتر فوق حصن "تشاوني" يعتقد أن بها طاقم قيادي جاء للإشراف على العمليات، وأن صدق ذلك أيضاً، يكون الهجوم الشيوعي قد تلقى ضربات قاصمة في مستوى القيادة، وذلك أهم بكثير من أية خسائر أخرى في المعدات. وقد يبرر لنا ذلك، إضافة للخسائر الكبيرة من ضربات المدفعية وعمليات الكمائن المتحركة، وتلك مبررات معقولة للنهاية المتهالكة لتلك الحملة الشيوعية.
يقول أبوعبيدة : (أدار العدو "الجرينوف" علينا وبدأ يتعامل معنا بالقنابل اليدوية ونحن متجهون إليهم في حالة إشتباك، والحمد قُذِفَتْ علي قنبلتين واحدة على يميني والأخرى على يساري فأصابت هذه اليسرى سني فكسرته وأصابتني التي عن يميني بشظايا في جنبي. وأُصيب أبوسهل الصغير بشظية صغيرة في رأسه، وأعطيت جهاز المخابرة لأبي عبيدة وقلت له: أكمل.. إطلع للأمام.. والإخوة و الحمد طلعوا للأعلى، ورأى أبوحفص أحد الروس فقذفة بقنبلة يدوية فلما خفض جسمه ليختبيء في الخندق كان أبوحفص قد جرى عنده وقتله وهو فوق رأسه، وحصل للعدو هرج ومرج والحمد .. وبدأوا ينسحبون. ووقتها كان أبوالحسن وأبوعبدا يردون العدو من جانبهم، فأصبح الذين تقدموا على "المتقدمة" بيننا وبينهم، وصرنا و الحمد خلفهم..
فحصل لهم ذعر رهيب.. وأحسوا أن هناك مقاومة من خلفهم ومن أمامهم.. فرجعوا جرياً من جانب اليمين.. وكان أبوزياد يراهم من فوق قباء وينادي: الآن يجروا.. يهربوا.. إلحقوهم.. إلحقوهم.. أما أنا فإنسحبت مع أبي سهل.. ورأيت أبا الفضل رحمه ا يتعامل معهم وهو واقف.. ولعله أُصيب أو أتته شظية وهو في حالته تلك، ورأيت منصور أيضاً يتعامل معهم بقنبلة يدوية وهو واقف.. فأُصيب في رأسه أيضاً.. وجرى عبدا ناحية اليمين ولم أعد أراه.. وهكذا إنسحبت مع أبي سهل إلى المأسدة.. ونزلنا من هناك إلى بشاور للعلاج).

<u>بعد ظهر ذلك اليوم الجمعة الأول من شوال</u> 1407 **<u>ـ (1987/5/29)</u>**
كان العرب قد كسبوا معركتهم فعلاً ضد الكوماندوز السوفييتي، ولكن المعركة لم تكن قد إنتهت وإن كانت نتيجتها قد تحددت نهائياً بعد ذلك الكمين الناجح الذي قاده أبوحفص. ولكن أحداً لم يدرك ذلك في وقتها لأن ضجيج المعركة كان في أوج عنفوانه، كما أن المعركة إستمرت عدة أيام أخرى.
* ونعتقد بأن الكمين الأول للعرب (في 30 رمضان ـ الخميس 1987/5/28) كان له دور كبير للغاية في عدم سقوط المأسدة في ذلك اليوم والسبب هو أن القوة الروسية التى إحتلت ميمنة الجبل سادها الشك في سلامة ظهرها وطرق الإمداد إليها الذي يمر عبر سهل مليء بالأشجار ويتخلله مجاهدون.

ولهذا أصبحت حركتهم أشد حذراً وكان لا بد من تأمين مؤخرتهم أولاً قبل إجتياح باقي الجبل، وبهذا كسب العرب فرصة المبيت فوق الجبل وعدم إتمام إنسحابهم ثم ترتيب دفاعاتهم من جديد.

أما كمين الأول من شوال فقد زلزل القوة الروسية التي تهاجم الجبل، فقد هوجمت القوة التي تحتل الميمنة وقتل بعض أفرادها داخل الخنادق التي إستحكموا فيها على القمة بواسطة الكمين العربي. أما القوة الروسية التي تزحف بإصرار نحو الميسرة فقد فوجئت بالقتال يدور على خطوطها الخلفية، ومواضع زملائهم على القمة اليمنى يجتاحها العرب. فإضطروا إلى الفرار في ذلك اليوم.. فأضافوا عيداً جديداً إلى عيد الفطر ذلك العام.

وسوف نلاحظ كميناً آخر قاده أبوحفص أيضاً يوم التاسع من شوال في المنطقة ما بين المأسدة وخط العدو الدفاعي، وهو منطقة تلال مشجرة، فأوقع في العدو خسائر جديدة. ونظنها كانت كافية تماماً لإقناع العدو أنه لا داعي للإستمرار في مواجهة العرب الذين يتبعون لأول ، وآخر مرة ، في أفغانستان أسلوب القتال بالكمائن المتحركة كوسيلة دفاعية عن القواعد الخلفية.

لم تكن القوات الشيوعية جاهزة لمواجهة ذلك الأسلوب رغم كفاءاتها الساحقة في إجتياح الحصون الثابتة مهما كانت منيعة.. فإنسحبت تلك القوات في العاشر من شوال.

لقد خسر العرب أكثر أفرادهم في الدفاع الثابت فوق الجبل خاصة مواقع الرشاشات الثقيلة.. وتكرر ذلك في كل معارك أفغانستان. ولعلنا ندرك الآن خطورة اللجوء إلى الدفاع الثابت وحده في مواجهة عدو متفوق براً وجواً.

وحقق العرب أكبر إنتصاراتهم بواسطة الكمائن المتحركة "والغارات".

وهو أسلوب رئيسي من أساليب حرب العصابات.

وأثبتت معركتي جاور ثم جاجي أن الأسلوب الأمثل للدفاع عن القواعد الرئيسية للمجاهدين، ليس هو الدفاع الثابت بل هو الدفاع المتحرك بواسطة الكمائن سريعة الحركة خفيفة التسليح، التي يمكن عند الضرورة تزويدها بصواريخ مضادة للطائرات تطلق من الكتف، وأيضاً صواريخ سلكية مضادة للدروع عند توافر هذه الأسلحة وطبقاً للإحتياجات الميدانية. ومن البديهي أن قواذف "آر.بي.جي" والرشاشات الخفيفة والقنابل اليدوية تعتبر أسلحة رئيسية لأفراد الكمين.

°السبت2شوال1407 ـ 1987/5/30"

في الثاني من شوال، حاول العدو تكرار محاولة التقرب من جديد إلى جبل المأسدة.

ولكن العرب أمسكوا بالخيط الصحيح.

أبوحفص الذي تولى القيادة بعد إصابة "سلطان" إتخذ عدة إجراءات سليمة دعمت تماماً موقف العرب.. فقد فرغَ المأسدة من الأفراد ثم قام بدفع مجموعات منهم إلى الأمام في كمائن متقدمة ومتحركة. وعاد أبوعبدا وأبوالحسن "أبطال الدفاع عن الميسرة". عادا إلى جبل قباء خلف المأسدة وموازي لها تقريباً ومرتفع عنها بحوالي مئة متر تقريباً وهناك بدأ أبوعبدا في توجيه مدفعية المجاهدين نحو مواقع العدو.

كانت مدفعية العرب ناجحة جداً في تلك المعركة. ولكنهم لم يوجهوا جهداً كافياً في تطوير وتوسيع قدراتهم المدفعية فيما بعد ووضعها في خدمة المجاهدين. ولو فعلوا لأثروا كثيراً في مجريات المعارك. لكن للأسف لم تنتبه القيادة العربية لذلك، كما أن مزاجية العرب الإستشهادية طمست دور المدفعية العربية التي لم تتألق في حرب أفغانستان سوى في معركتي مطار

خوست في عامي"1990-1991 "حيث أثبتت كم هي مؤثرة وفعالة في تحويل مسار المعارك وبشكل أفضل بكثير من دور المشاة الذى طبع العمل العربي، الذي لم يكن مبدعاً بشكل خاص، حيث كان تكراراً عادياً لدورالمشاة الأفغان الذين تفوقوا دوماً بميزة معرفة الأرض، وقوة تحمل أكبر، إلا في تلك الفترات التي أُصيب فيها الأفغان بتراجع معنوي، فكان العرب نجوم المشاة بلا منازع وأبطال الإقتحامات، كما حدث خاصة في جلال اباد، وفي أماكن لا تحصى كانت أقل شهرة وأكثر بعداً عن الأضواء.

* بقي بعض العرب في مواقع الرشاشات الثقيلة فوق المأسدة. رغم القصف الوحشي عليها براً وجواً.. وفي اليوم الثاني من شوال سقط في المأسدة عدداً من الشهداء العرب، لكن رغم الإرهاق الهائل إلا إنهم أدركوا بالفطرة أنهم قد حققوا نصراً بطرد الكوماندوز من فوق جبل المأسدة؛ لذا كانت المعنويات مرتفعة جداً فوق الجبل. فهناك أشلاء ودماء ورعب قائم لا ينقطع، ولكن كانت هناك ضحكات أيضاً.. فمثلاً هناك الشاب السعودي أبوحذيفة الذي يزيد وزنه عن المئة كيلوجرام.. ورغم ثقله الزائد فإنه يتحرك دوماً صوب مواطن الخطر.. ورغم بحثه الدائم عن الشهادة إلا أنه يختبيء بسرعة ورشاقة عند سماعه صفير القنابل الهابطة فوق موقعه، وكان يخشى الطائرات بشكل خاص. وحكى لنا أحد زملائه أن أبا حذيفة أراد الإحتماء من قصف الطائرات فتوجه مسرعاً إلى أحد الخنادق البرميلية، إلا أنه وجد زميلاً له داخل الخندق فجذبه من قفاه ورماه خارج الخندق ونزل هو مكانه وهو يعتذر إليه قائلاً:أخي.. إني أوثرك على نفسي بالشهادة!!.

جاء فى كتاب الأنصار العرب :{.. مع إشتداد القصف بقيت منبطحاً قرب واحد من الخنادق البرميلية هناك حيث جلس أبوحذيفة فيه فرأيت أخانا "برغش" يجرى مسرعاً إلى الخندق ويريد أن يحتمي من القصف وهو لا يدري وجود أحد فيه. فلما إرتمى على أبي حذيفة أعتقد ذاك أن القذيفة سقطت عليه.. فكدت أموت من الضحك}..

.. لم تتوقف مؤامرات سياف على العرب، وهو يرى نجاحاتهم خطراً مباشراً على مكانتة، بعدما ظهر جلياً حجمه الحقيقي على ساحة المعارك، وللأسف فإن أباعبدا ، في ذروة المعركة ، ظل يعامله كقيادة شرعية تأمر وتنهي.

أما الدكتور عبدا عزام فكان موقفه أشد غرابة، فقد لازم سياف في قيادته الخلفية، وساند كافة مقترحاته "العسكرية!!".، التي لم تكن مجدية ولا صحيحة، ولا تهدف إلا إلى الإضرار بالعرب.

لقد إضطر أبوعبدا ،الرجل الدمث المهذب، أن يخضع لمحور الشرعية المتمثل في سياف "الشرعية السياسية" والشيخ عبدا عزام "الشرعية الدينية والأدبية". وكلا الزعامتين إجتمعا على ضرورة إنسحاب العرب من المأسدة.

أبوعبدا رغم إدراكه بأن الشباب العامل في خطوط القتال قد بلغ به الإعياء مبلغه، كما أصبح عددهم ضئيلا جداً بالنسبة للإحتياجات الفعلية للمعركة، والقتل والجرح قد خفض عددهم بسرعة، وحرص أبوحفص على تقليل العدد لتفادي الإصابات، وقد كان محقاً، فالشيوعيين يصبون فوق رؤوس العرب مئات الأطنان من القنابل.

ولكن أبوحفص بعد نجاحاته الكبيرة والسريعة أصبح رقماً صعباً يصعب تجاوزه. وتشبث أبوعبدا بتلك الورقة "أبوحفص" فرفض إتخاذ قرار قبل حضوره وعرض أفكاره أمام الزعماء.

وكان أبوعبدا الذي لا يرغب في المواجهات الساخنة أو قطع حبال المودة، قد أدرك أن ترك المأسدة في أيدي سياف سوف يؤدي إلى فقدانها - طبقاً لتجربة السنوات الماضية وأداء سياف ورجاله في المنطقة المنكوبة "جاجي".
ويظهر أن أباعبدا كان يراهن على إفتقار أبوحفص إلى الدبلوماسية وتلك ميزة ،إلى جانب نجاحاته العسكرية، سوف تمكنه من التصدي "للقيادة الشرعية" التي تفرض هيمنتها بلا مبرر. ولا شك أن الشرعية التقليدية كانت في فزع من معارك "جاجي" التي ستنتج حتماً نوعاً جديداً من "الشرعية الميدانية" ذات المصداقية التي لا يمكن دحضها.
تم إستدعاء أبوحفص إلى القيادة الخلفية حيث سياف والشيخ عبدا عزام. وأبوعبدا محاصر بينهما.. وخارج القيادة هناك مئة شاب عربي في إنتظار أن يسمح لهم أبوحفص بالمشاركة في المعركة.. فالنجاح يجلب النجاح ويجذب الشباب.وقد صار أبوحفص وقتها أشهرمن مونتجمري على حد وصف أحد أصدقائه "أبو جهاد المصرى".
يقول أبوحفص عن ذلك الإجتماع التاريخي: {دخلت على الجماعة وجدت الدكتور عبدا عزام قام جزاه ا خيراً وأكرمني إكراماً شديداً في هذا اليوم. وكان الأستاذ سياف موجوداً والشيخ تميم العدناني وأبوعبدا كذلك، فطلبوا مني باديء الأمر تقريراً عن الوضع.. فجلست أشرح لهم وأقدم تصوراً عاماً، فجمعوا اللجنة العسكرية للأفغان من الحزب والجمعية والاتحاد وجلسوا معي أيضاً.. فأتيت بالخرائط وشرحت لهم آخر تطورات الموقف ومواقع القوات وأهدافها المتوقعة.. فلما إنتهينا من ذلك وجدتهم يحاولون كل المحاولات ليسحبوا العرب من المكان. وفي الحقيقة كنت أريد أن آخذ الإخوة فأدخل المنطقة التي بيننا وبينهم "الشيوعيين" وأعود لعمل الكمائن من جديد.
لكن الأستاذ سياف قال لي : هناك الآن مجموعات مسلحة وجاهزة من الأفغان تنتظر في الخارج وأنت ستشتغل بهم.. فقلت له : يا شيخ هذا النوع من العمل يحتاج إلى أشخاص متفاهمين تماماً وأنا لا أستطيع التفاهم مع الأفغان.. وكل ما أطلبه أن تسمحوا لنا بمجموعتين فقط من العرب كل واحدة منها 15 شخصاً مع حرية التحرك في المنطقة.. فقال: وألا تكفي مجموعة واحدة من عشرة أشخاص.. ووجدت الدكتور عبدا مصمماً ومتشبثاً بذلك الرأي لا أدرى لماذا!!. فأخذت أوضح لهم أن العشرة لا يصلحون، فلو أن واحداً منّا جرح لن نستطيع نحن العشرة حمله بين الجبال!!. وقلت لهم: أنا لا أتنازل عن أن يكونوا مجموعتين من 15 شخصاً لكل منهما، وبعد المحاورات والمفاوضات وافقوا على مجموعة من 15 شخصاً ومجموعة أخرى تكون إحتياطية لها.. وكان ذلك إقتراح أبي عبدا ..}.
لقد تمكن أبوعبدا بمهارته التساومية التي أكتسبها من عمله التجاري من إنقاذ الموقف. فلم يكن أبوحفص العنيد ليتنازل عن مطالبه أمام قيادة هزلية يكن لها كل إحتقار.
ولا نناقش موقف الدكتور عبدا عزام الذي ينطلق "غالباً"من إشفاق على أرواح الشباب العربي ،وعلى حرص أيضاً على هيبة زعامة سياف، وربما أيضاً حرص شخصي على مكانته الأدبية المهيمنة آنذاك على التواجد العربي الجهادي والإغاثي. ولكننا نناقش موقف "سياف"ومقترحاته التآمرية. فقد أدرك بغريزة الشر والتآمر المتأصلة لديه أن مكمن الخطر كله يكمن في أبي حفص -خاصة بعد إختفاء أبي عبيدة الجريح. فأراد أن يكبله بمجموعة من اللصوص الأفغان المتكدسين حوله في جاجي والذين لا يعرفون أيضاً المنطقة كما ظهر في

الأيام الماضية.
تلك المجموعات بالتأكيد لن تسمع أو تطيع لأوامر أبي حفص، فتلك هي طبيعتها خاصة إذا كان قائدهم ليس من عشيرتهم. ناهيك عن إختلاف اللغة وهو مبرر كافٍ لديهم كي يتصرفوا على هواهم، أيضاً فهم غير مدربين على ذلك النوع من القتال، وإن كانوا مدربين على السطو والقتل، ولم يكن مستبعداً أن يقوموا بإغتيال أبي حفص عند أول فرصة تسنح لهم، سواء أمرهم سياف بذلك أو المخابرات الباكستانية المتواجدة دوماً بكثافة حول سياف وتوجهه بعيداً عن أعين العرب.
ولم تكن تلك المخاطر لتخفى على أبي حفص كما رأينا، وقد أدرك سياف أن ذلك الشاب العربي يفهمه جيداً. وكان يعلم أنه واحد من مجموعتنا التي ناصبها العداء ونشر حولها الإشاعات ، ولكنه لم يجرؤ فى ذلك الموقف على إظهار موقف عدائى صريح وفضل أسلوبه التآمري المعتاد.
لذاك لجأ سياف إلى إضعاف أبي حفص عن طريق إضعاف المجموعة المصاحبة له ،فبدلا من ثلاثين يطالب بعشرة فقط، وبدون أي مبرر عسكري أو منطقي، والغريب أن يتحزب الدكتور عزام لتلك المواقف السيافية، الوقحة والجاهلة!!.
ولنا أن نلاحظ ذلك الذكاء البديهي الخارق لأبي عبدا في إقتراحه الذي فض به النزاع. فقد أرضى سياف ظاهرياً وحقق ما يريده أبوحفص عملياً..
فالإقتراح يقضي بتحرك أبوحفص مع مجموعة من 15 عربي، على أن تكون هناك مجموعة مماثلة في الإحتياط.
ظاهرياً يبدو أنه حافظ على ما طالب به سياف، وعملياً فإن مجموعة الإحتياط سوف تنخرط فوراً في العمليات عند أول طلب يوجهه أبوحفص لاسلكياً.. وهكذا حلت المشكلة.. ونادراً ما نجد ذلك الذكاء التفاوضي بين المسلمين.
.. ومع ذلك فإن السوفييت إكتشفوا بلا شك محدودية الخطر الذي يواجههم، وكونه لا يتخطى المساحة المحصورة بين جبل المأسدة، وبين الخط الأول للشيوعيين وهي عدة تباب محدودة المساحة، ولكن كمائن العرب جعلتها شديدة الخطورة.
الخطر التالي في الأهمية هو مدفعية العرب، والتي على قلتها أوقعت خسائر كبيرة في المعدات والرجال.والحل الذي رآه الروس ونفذوه هو : إحتلال قمم مرتفعة إلى الشمال والجنوب من جبل المأسدة وإلى إتجاه حدود باكستان.
كانت القمة الأولى على نفس السلسلة التي يترصد منها العرب ويوجهون مدفعيتهم وهو جبل خاف المأسدة وأكثر إرتفاعاً بحوالي مئة متر. فأخذوا القمة الشمالية لتلك السلسلة ليكونوا جيراناً غير مرغوب فيهم للعرب في مركز قباء.
وكانت القمة الثانية إلى الجنوب من المأسدة فوق قمة خرشتل والتي لا تدانيها في الإرتفاع قمة أخرى في مسرح العمليات النشط "إرتفاعها 3021 متر فوق سطح البحر" ، وكان التفكير السوفييتي سليماً في علاج المشكلة.. فمواقعهم الجديدة تكشف جبل المأسدة من الخاف، وبالتالي سوف تكتشف حركة الإمداد والطرق المستخدمة وبالتالي وقفها بالمدفعية والطائرات وربما بالوحدات المحمولة جواً. تلك المواقع السوفييتية الجديدة من القمم العالية سوف توفر لهم أيضاً إمكانية رصد مواقع مدفعية المجاهدين وبدقة سواء ليلاً أو نهاراً، ثم توجيه نيران

الطيران والمدفعية الثقيلة إليها وتدميرها.
الجمعة 8شوال 1407ـ "1987/6/5":
في الثامن من شوال تمكنت القوات الشيوعية من الإستيلاء على قمة خرشتل، لكونها خالية من المجاهدين، الذين قاموا بمحاولات شكلية لإستعادة القمة المذكورة، وبالطبع لم تنجح.
أما القمة الأخرى المجاورة "لمركز قباء" على نفس الجبل فقد تنبه العدو إلى وجود المجاهدين فوقها فهاجمهم بالمدفعية ثم بالمشاة.
وقد إستطاع **العرب** إبقاء مركزهم مختفياً عن أنظار العدو وإستخدموه كنقطة ترصد ممتازة.
(يقول الأخ أبوعبدالرحمن السريحي أمير الموقع وقتذاك: في البداية لم نكن نتعرض للقصف لأن مكاننا لم يكن معروفاً للعدو بالتحديد، ولكن إخواننا الأفغان لم يكونوا يعبأوا بالمسألة التكتيكية كما هو معلوم، فجاءت مجموعة منهم وإلتقت بمجموعة أخرى وأخذوا يعانقون بعضهم على القمة تماماً، ووقتها كان رصد العدو قد إتخذ له مكاناً مقابلاً لنا بالضبط وعلى جبل خرشتل الذي يرتفع عنّا قليلاً، فرأوهم وكشفوا المكان، وبدأت الطائرات بقصف الموقع قصفاً شديداً. كانوا يرمون على الإخوة قذائف زنة 500 كيلو أما إختصاصنا نحن فكان قذائف زنة طن!!!. لكن موقعنا كان والحمد جيداً ـ **كتاب الأنصار العرب**).
لم ينجح مشاة العدو في إحتلال "قباء" نتيجة لمقاومة العرب، فإكتفوا بأن يحتلوا إحدى القمم المرتفعة فوق نفس السلسلة وتمركزوا فيها.
في نفس الوقت صدرت الأوامر للعرب بالإنسحاب من المأسدة على أن يحتلها مجاهدوا سياف وعددهم 280شخصاً بقيادة حاجي شير علم وجميعهم من بغمان ولا علم لهم بمنطقة جاجي "!!!" .وبقي أربعة من العرب كمعاونين لشير علم.
إذن فقد تولى رجال سياف مهمة الدفاع الثابت عن المأسدة، بينما تولى شباب أبي عبدا مهمة الدفاع المتحرك عنها.
في يوم التاسع من شوال "السبت 1987/6/6":
أرسل أبوهاجر رسالة إستغاثة لاسلكية بأن هناك تقدم جديد للعدو تجاه المأسدة. فأسرع أبوحفص وجماعته إلى هناك، حيث علم أن المحاولة أتت من المنتصف أي مقابل موقع بدر فوق الجبل.
يقول أبوحفص : (سألت من أين التقدم؟ قالوا من جهة "بدر". فالعدو الذي ترك المواقع القريبة من المأسدة كان قد إحتل سلسلة أمامية موازية يستطيع عبرها تأمين طريق إمداداته وتحريك دباباته وقواته خلال الوادي.. وحاول أن يتقدم من السلسلة إلى بدر.. فوزعت الإخوة الذين معي إلى مجموعتين: واحدة أعطيتها للأخ أبا عمرو، وأخذت الثانية.. ومعي أبوعبدا " **شخص آخر غير بن لادن**"إلى القيادة، وبعدما حددت لأبي عمرو مكاناً ينصب فيه الكمين ونزلنامن جهة بدر أخذت مجموعتي نحو المنطقة التي بين السلسلتين في محاولة للإلتفاف وقطع الطريق الذي يتحركون عليه).
أبوعبيدة "سلطان" الذي عاد مرة أخرى إلى المأسدة. وكان يتابع أفراد الكمين من فوق القمة ويساعد في الدفاع الثابت عنها - يقول عن ذلك الكمين:(وبعد قليل إتصلنا بالإخوة فكانوا والحمد قد كمنوا للقوات المتقدمة في مجموعتين: الأولى بقيادة أبي عمرو الأردني والتي قتلت ترصدهم وأخذت منهم السلاح، فلما إرتدوا -يقصد العدو- قابلهم أبوحفص بمجموعته وإشتبكوا معهم وقتلوا منهم ثلاثة أو أربعة وأخذوا سلاحهم أيضاً.. وقتل في هذا الإشتباك

أبوحفص الأردني رحمه ا ..).
يظهر من إفادات من حضروا الكمائن الأخيرة أن معظم قوات العدو كانوا من الشيوعيين الأفغان وأن وجود الكوماندوز الروس أصبح قليلاً، أو أن الأمر إقتصر على مهمة الإشراف الميداني على العمليات.وهذا يؤكد الإستنتاج الذي ذهبنا إليه من معركة الكوماندوز حول جاور وهو أن السوفييت لا يقدمون جنودهم -وحتى قوات الصفوة من الكوماندوز- إلا في العمليات المضمونة، أما إذا كان الخطر شديداً فإنهم يقدمون الجنود الحلفاء، وتلك قاعدة إستعمارية قديمة جداً، ولكننا نعيد إكتشافها في كل مرة.

العاشر من شوال الأحد (1987/6/7):

بدأت قوات العدو تنسحب من السلسلة المواجهة للمأسدة.يقول كتاب "الأنصار العرب" :
{في ذلك اليوم.. العاشر من شوال كان أبوحفص يجيب بالمخابرةعلى "خالد" في العرين -يقصد أبوعبدا - وينقل إليه ما لديه من تطورات..ويقول:
"بعد الضرب وتدمير إحدى المدرعات وإحدى الناقلات الكبيرة أظن أن بعض الدبابات إتجهت إلى "تشاوني" لكي تفر من المنطقة التي كان عليها القصف وهناك بعض الدبابات دخلت بعض الأحراش والقرى .. يا أخي.. الشاحنة التي كانت مشتعلة أتى لنا خبر أنها إنفجرت لأنها كانت تحمل ذخيرة".
وحتى آخر ذلك اليوم كانت بقية المحادثات اللاسلكية تؤكد على هدوء الوضع هناك.. وعلى إستقرار الحال وإرتفاع المعنويات.. فيما كانت المعركة الدامية تلملم أطرافها، وتتجه نحو النهاية بقدر ا المقدور}.
حتى العاشر من شوال بلغ عدد الشهداء العرب 13 شهيداً والجرحى 20 جريحاً. ثم سقط ثلاثة شهداء في الأيام القليله التاليه: أما المجاهدون من شباب باكستان فقد فقدوا شهيدين فقط.
أما قيادات الأحزاب الأفغانية فلم تشارك فعلياً في معارك المشاة، بل إكتفت بمساندة مدفعية لم تكن كافية بأية حال، ولولا إشتغال العرب على بعض الراجمات والهاونات لكانت نتائج المعركة لصالح العدو.
قيادات الأحزاب تلك بادرت كعادتها إلى الأكاذيب والمبالغات لتعويض التقصير والخيانة على الأرض.فقد أذاعوا أنهم فقدوا 70 شهيداً، 200 جريح "!!".
ثم تابعوا مبالغاتهم السخيفة حول كمية الخسائر المادية والبشرية لدى قوات العدو.
من الأشياء الملفتة للنظر تلك الكميات الضخمة من الذخائر التي إستخدمها العرب والأفغان في المعركة، حيث لم يكن من أعمال البطولة والفداء لدى سياف وحكمتيار سوى فتح أبواب المخازن للعرب، وهي المخازن التي كانت سوف تفقد كما هي العادة عند كل عملية، حيث يبادر "المجاهدون" إلى نهبها وتحميلها على سيارات وبيعها في أسواق القبائل خاف قمة مواقعهم الحدودية على الجانب الباكستاني، في أسواق "تري منجل" وغيرها. ثم يفجرون بعض ما تبقى من ذخائر ويدعون أن العدو قد دمر كل شيء "!". رغم أن العدو لم يصل أبداً إلى مراكزهم على خط الحدود لا لشيء إلا لإعتبارات سياسية أولاً ثم إعتبارات عسكرية تتعلق بتأمين طرق الإمداد الوعرة.
لقد أطلق العرب في تلك المعركة 15 ألف قذيفة على قول الدكتور عبدا عزام. وتراوحت الإفادات الأخرى ما بين تسعة آلاف إلى14 ألفاً. وحتى لو إعتمدنا أقل تلك التقديرات،

فالرقم يدل على غزارة وعنف الرماية، ولا نستبعد أن العرب بالغوا كثيراً في الإستخدام. ولكنهم بلا جدال قد سطروا في تلك المعركة أسطع أوراقهم في أفغانستان. المعركة التي إكتشف فيها العرب أنفسهم وقدراتهم، كما إكتشفها أعداء الإسلام الذين كانت أعينهم ترصد بكل دقة، أدق التفاصيل على الساحة الأفغانية عامة والعربية خاصة.
والذي يظهر بعد تلك السنوات التي مضت على معركة جاجي الكبرى، أن أعداء الإسلام قد إستفادوا من دروسها أكثر مما إستفدنا نحن.. والدليل هو أن مستوى أداءنا "بشكل عام" لم يتطور إلى الأمام، بل راوح مكانه أو تقهقر. أو قفز هنا أو هناك قفزات لم تؤثر في المسار العربي المجاهد. فإنتهى المطاف إلى تصفية شاملة تقريباً لذلك التواجد قبل أن يتبلور إلى كيان عملاق له وجوده المستقل والمؤثر، ليس فقط على ساحة أفغانستان، ولكن وبلا مبالغة على ساحة العالم أجمع. والذي لا يقتنع بذلك عليه أن يعيد قراءة أحداث تلك المعركة مرة أخرى.. وليفكر قليلاً.
ولكن ماذا حدث للمأسدة بعد ذلك؟.. لقد إنتهى دورها القتالي عملياً، ويمكن إعتبار ذلك نجاحاً للعملية الشيوعية، كما أنه فشل للفكرة الأساسية من إنشائها.. ولكن العرب إستمروا في المنطقة لسنوات لأغراض التدريب أساساً. ولنقرأ التقرير التالي الذي كتبه (سلطان) -أبوعبيدة- عن رؤيته لنتائج معركة المأسدة، ودورها المستقبلي.
****

<u>تقرير عن الوضع الحالي في منطقة جاجي والمركز الجديد "المأسدة":</u>

لقد أدت المأسدة دورها الإيجابي في صد الهجوم على تلك المنطقة، بفضل ا تعالى، وكانت سبباً في تغيير سير المعركة بدون شك، بإذن ا تعالى كما أدت دورها الإيجابي أيضاً في إزعاج العدو وكسر معنوياته قبل المعركة وذلك بعمل بعض المعارك على مراكز العدو المتطرفة وعمل برنامج إزعاجي أيضاً بالأسلحة الثقيلة. ولكن إختلف الأمر والوضع بعد المعركة الأخيرة.

لقد حققت الحملة الأخيرة بعض الأهداف التي قامت من أجلها وهي :

- **سد نقاط الضعف** التي كانت عليها مراكز العدو قبل المعركة وعلى سبيل المثال زرع كميات كبيرة من الألغام في طريق المجاهدين المؤدية إلى مراكزهم وتعزيز المراكز بالأسلحة الثقيلة والأفراد، وإقامة مركز جديد على إمتداد مراكزهم نحو طريق إمدادات المجاهدين.
- وبما أن العدو قد حقق بعض أهدافه من تعزيزات وزيادات في الأسلحة والتحصينات والأفراد.
- وبما أن العدو مصر على بقائه ومصر على سد وإغلاق إمدادات المجاهدين على الطريقة اليهودية.. رويداً رويداً.
- وبما أن طريق إمدادات المجاهدين يعتبر الشريان الحيوي للمجاهدين بالداخل، إذن لا بد من عمل معركة تحرير لجميع المراكز بضربة واحدة وذلك بالتنسيق مع جميع الأحزاب لأن الأمر يهم الجميع.

وتحرير وإقتحام هذه المراكز ليس بالأمر العسير ولا المستحيل، بل هو أيسر بكثير من المعركة الأخيرة وإن شاء ا تتم في ساعات قليلة ومعدودة، وليس ذلك على ا بعزيز.

كما أنه سوف يأتي بغنائم للمجاهدين لم يسبق لها مثيل من بداية الحرب.

دور المركز الجديد "المأسدة" في المرحلة المقبلة.

ليس لها أي دور في المرحلة المقبلة إلا أنه يقوم بدور مركز الإنذار المبكر والترصد والإستطلاع على تحركات العدو وتقوم به مجموعة أو مجموعتين من الإخوة العرب، مع وجود مجموعات من الأفغان للحراسة فقط على أركان المركز.

تدريب الإخوة العرب على الأسلحة الثقيلة وممكن إستخدامه على بعض تدريبات التكتيك فقط

كيفية التصرف في الإخوة العرب:

بعد التدريب الجيد الكامل يوزعوا على جبهات جيدة على شكل مجموعات، لفترات محددة ومعينة ثم إنتقالهم إلى جبهات أخرى. ويتم ذلك بالتنسيق مع أمير الجماعة كلها.

وبالنسبة لموضوع التدريب، يجب أن يكون على أسس علمية ومدربين متخصصين حتى ولو يتم التعاقد مع مدربين من أوروبا حتى تكون هذه الأرض لتجهيز الإخوة تجهيزاً يليق بحجم الحدث الحالي أو المقبل -إن شاء ا - ولن نستطيع أن نرتفع إلى مستوى الأحداث إلا بالتدريب الجيد المبني على أسس علمية وثقافية وعسكرية وسياسية. وإلا نكون نلعب في الحلقة المفرغة : من تجربة فاشلة لتحرير أفشل والعياذ با . وا أعلم .

أبوعبيدة ـ 1987/9/12.

****

ونعلق فيما يلى على بعض ما جاء في تقرير أبي عبيدة :

أن الهجوم الشيوعي كان يستهدف المأسدة وليس المنطقة كلها وذلك رداً على التحدي الذي تمثله.

- نجح العدو في تقوية مواضعه العسكرية، في مقابل أن العرب توقفوا عن العمل العسكري، أما "المجاهدون" فقد إستمروا على ما هم عليه من تفكك وفساد.

- عسكرياً يمكن تحرير كل المواقع التي تبدأ من قرية "علي خيل" في إتجاه الشمال الشرقي، حيث يسير الوادي الضيق الذي لا يتجاوز إتساعه عشرة كيلومترات في أوسع نقاطه.

ولكن متى تغلبت العوامل العسكرية على المتطلبات والتوازنات السياسية؟ فلوا إحتكمنا إلى العوامل العسكرية، فالقوات الشيوعية المدعومة بالسوفييت كانت هي الأقدر على سد ذلك المنفذ، حيث لا يبعد خط الحدود عن المراكز الشيوعية بأكثر من ثمانية كيلومترات في بعض النقاط.

ولكن الوضع السياسي لباكستان لا يمكنها من تحمل ذلك، وكذلك الوضع الدولي. ببساطة سوف تمتد الحرب إلى باكستان ومن يستطيع بعدها أن يكبح التطورات اللاحقة؟.

- نشاطات المجاهدين في ذلك المنفذ الحدودي الحساس والمجاور لمناطق باكستانية قبلية غير مستقرة قبلياً وطائفياً يجعل قبضة الإستخبارات الباكستانية على مجريات العمليات أكثر إحكاماً من أي منطقة أخرى. فلم تكن تتحكم في القضايا الإجمالية، بل تمد أصابعها جميعاً إلى أدق التفاصيل.

يشير أبو عبيدة إلى أهمية التدريب العسكري ...وهو مانفذه فعلا تحت إشراف أبو عبدا على قدر ما أتيح لهما من قدرات .ولعل أبو عبدا قد تمكن من تكوين أهم الكوادر التدريبية ذات

الخبرة ،وكان ذلك مكسبه الأكبر من الحرب الأفغانية التي بذل فيها الكثير .
أما تكوين الكوادر ثقافيا وسياسيا فإنه لم يتم أساسا أو أنه قام بشكل غير مكتمل وغير صحيح.
بعد تقرير أبو عبيدة الذى كتبه بعد حوالي أربعة أشهر من معركة جاجي نقدم تقريرا كنت قد وضعته بعد أيام قلائل من نهاية المعركة الرئيسية وكانت بعض تداعياتها الصغيرة مازالت تحدث.
وقد كتبت التقرير التالي في مدينة ميرانشاه الحدودية قبل التوجه إلى منطقة خوست في محاولة لترتيب برنامجنا العسكري هناك والذي كان في حالة من الضعف والتعثر ،نتيجة هبوط معنوي وعسكري عام شمل المنطقة بعد معركة جاور الأخيرة والتي لم تفصلها سوى ستة أشهر عن الحملة الشاملة على مواضع المجاهدين حول خوست"عام 1985م".
وخمدت العمليات حول خوست لغياب حقاني عنها،بعد أن ذهب إلى مركزه في"سيرانا"الواقعة جنوب مدينة "جارديز"عاصمة باكتيا وأيضا على بعد كيلو مترات قليلة عن الطريق الإستراتيجى بين جارديز وخوست . وهو الهدف القادم للسوفييت كما توقع حقاني،وقد كان مصيبا في ذلك، فقد شهدت نهاية ذلك العام أشهر الحملات في حرب أفغانستان لكونها كانت التغطية العسكرية/ السياسية للإنسحاب السوفيتي من أفغانستان على أثر توقيع إتفاقية جنيف في إبريل **1988**م.
ويذكر التقرير التالي البوادر المبكرة لتلك الحملة والمتمثلة في إحتلال قمة جبل"سناكي" وسوف نعلق لاحقا حول ذلك الإجراء العسكري بعد إستعراض التقرير.

****

تقرير: <u>معركة جاجي تجربة من أفغانستان</u>

ينبغي أن تكون الأعمال التكتيكية موافقة للخطة الإستراتيجية العامة.
وكل عمل تكتيكي مهماً كان باهرا،يكون عديم الجدوى إذا خرج عن إطار الإستراتيجية العامة.
هذه قاعدة عسكرية معروفة ويمكن طرحها بصيغ مختلفة مثل: كل الأعمال التكتيكية الناجحة هي شئ من العبث مالم تكن هناك إستراتيجية شاملة للعمل.
والحرب نوع من العمل السياسي ولكن وسائله عنيفة،إذن فالإستراتيجية العسكرية تهدف في النهاية إلى النصر الجزئي أو الكلي على العدو بهدف إرغامه على قبول أوضاع سياسية معينة ما كان ليقبل بها لولا إستخدام القوة المسلحة لإجباره على ذلك.
بهذا تكون لكل عملية عسكرية محدودة،أو تكتيكية آثارا محدودة نحو هذا الهدف النهائي وخطوة محدودة نحو تحقيقه.
وسوف نحاول تقصي تطبيق هذه المبادئ على معارك جاجي التي بدأت من أواخر شعبان حتى أوائل شوال1407هـ وبلغت ذروتها في أواخر رمضان"26 / 5 /87م" تقريبا.
في محافظة بكتيا وعلى الطرف الجنوبي الغربي منها في أوائل عام1987 إستطاعت القوات الحكومية إحتلال مرتفعات في منطقة"سناكي"بعد معارك عنيفة تبادل فيها الطرفان إسترداد الموقع ثلاث مرات متوالية.وأستخدمت الحكومة حوالي80% من القوات المتوفرة في منطقة

خوست إضافة إلى مساندة الطيران ولكن لم ترد أنباء عن إستخدام قوات سوفيتية على الأرض.
ونتيجة المعركة كان إستقرار القوات الحكومية فوق التلال وتهديدها لطريق المجاهدين الذي
يبدأ من نقطة صدقي ثم جاور ثم عبور فرع ضيق نسبيا لوادي خوست عند منطقة سناكى
لكي يستمر الطريق بعد ذلك إلى"سرانا"وهي مركزقيادة المجاهدين الرئيسية في مناطق
زدران الملاصقة لجارديز عاصمة الولاية ثم يتجه الطريق إلى منطقة زورمات ليعبر من هناك
وادي فسيح في طريقه إلى لوجار ثم يتفرع إلى مناطق كثيرة في أفغانستان.
بعد المعركة أصبح على المجاهدين أن يعبروا طرقا أكثر وعورة ليتفادوا المرور من"سناكي"
أي أن هذا المعبر الهام قد أغلق جزئيا.
وفي نفس الوقت من العام توسعت القوات الحكومية كثيرا في الزحف نحو طريق المجاهدين
القادم من منطقة"جاجي"وإستمرت في التوسع في إقامة الحصون الجبلية ونشر قواتها في
كمائن كثيفة في الوادي المقابل لمراكز المجاهدين في جاجي وقرب طريق قوافل المجاهدين.
الذي إزداد طولا وتعرجا تفاديا للمراكز الحكومية ومدافعها. وكانت القوات الحكومية تعتمد على
قلعة (تشاوني) الشهيرة كقاعدة إسناد وتموين بعد أن أصبحت هذه القلعة في مأمن من هجمات
المجاهدين منذ أكثر من عام بإستثناء مناوشات غير مؤثرة.
تحرك الحكومة في"جاجي وسناكي" يتماشى تماما مع الإستراتيجية السوفيتية المعلنة الهادفة
إلى إغلاق الحدود بين أفغانستان والدول المجاورة لحرمان المجاهدين من الإمدادات القادمة
عبر الحدود،أي حصرهم تمهيدا للتصفية النهائية.
وهذه الإستراتيجية للسوفييت تهدف إلى تكريس حكم موالٍ لهم في أفغانستان وتحويلها إلى
دولة تابعة لهم على نمط جمهورية منغوليا أو فنلندا،ولن يتحقق هذا الهدف إلا عبر تحطيم
المقاومة الإسلامية في أفغانستان بعد حصارها وإغلاق المنافذ عليها.
في المقابل كانت معارك المجاهدين على هذين المحورين الهامين إنعكاسا لتفكيرهم الإستراتيجى
و بالأصح إنعدام وجود إستراتيجية لعملهم الجهادي من الأساس ،إنكفائهم من الهجوم إلى
عمليات الدفاع العقيمة،مع إنعدام الخط الإستراتيجي للعمليات.
مثلا في مرتفعات "سناكي"وجهت القوات الحكومية معظم قواتها في خوست.
مايقرب على 80% من المشاه والمدرعات.لتعزيز النقاط التي إحتلوها على جبال"سناكي"
وتأمينها، وإستمر هذا الموضع شهرين تقريبا.
ورد المجاهدين بحشد معظم قواتهم في المنطقة مع تعزيزات من الجوارلإسترداد تلك
المرتفعات وقاتلوا ببسالة شديدة وإستعادوا المواقع عدة مرات.ولكون تلك المرتفعات ملاصقة
تماما للوادي حيث تحتشد القوات الحكومية التي تدفع بالجنود وتوفر تغطية مدفعية مركزة،فقد
رجحت كفة القوات الحكومية وإستمرت في السيطرة على الجبال رغم الخسائر الفادحة التي
منيت بها القوات المحتشدة في الوادي نتيجة القصف الصاروخي للمجاهدين.
وطوال الفترة التي إستغرقتها معارك سناكي كانت الأهداف الحيوية في وادي ومدينة خوست
مكشوفة وذات حماية ضعيفة وكان يمكن توجيه ضربات مؤلمة جدا ضد هذه الأهداف،ولكن
لم يبذل المجاهدون مجرد المحاولة في ذلك. وكانت القوات الحكومية تعمل بإطمئنان طوال
الوقت بدون قلق من هجمات على المؤخرات حيث أكثر الأهداف حساسية ترقد بلا حماية.
لقد كانت القوات الحكومية في موقف هجومي نشط طوال الوقت وإلتزم المجاهدون موقف

الدفاع الذي أصبح سمةً غالبة لعملياتهم.
وبعد شهرين إنسحبت القوات الحكومية من الوادي وتركت المواقع الجبلية في سناكي على ماهي عليه،ومضت أسابيع بدون أن يفكر المجاهدين في محاولة إسترداد المرتفعات وكأنها أصبحت أمرا واقعا،وظلوا في إنتظار أمر واقع جديد تفرضه القوات الحكومية عليهم.

وفي جاجي:

بعد معارك سياف الفاشلة في جاجي(بدأت في رمضان 1404هـ الموافق مايو84م وإنتهت في أواخر نفس العام)،وحالة من الإحباط تخيم فوق المنطقة،وزاد حصن شاوني قوة وأخذ ينشرالحصون والمراكز حوله وفي إتجاه طريق المجاهدين الذين يعتبر من أهم طريقهم إلى داخل أفغانستان.
وحاول حكمتيار تحريك الوضع في المنطقة عام 1986م وصادف نجاحا محدودا أحاطه كعادته بهالة دعائية صاخبة، ولكن الوضع ظل كئيبا والقوات الحكومية تزحف وتوسع رقعة سيطرتها بهدوء وبدون إزعاج على نمط بقعة الزيت،وبلغت الحشود الحكومية في الوادي حدا غير مألوف في بداية عام 1987م.
وفي المقابل كان المجاهدون يخْلون المنطقة فيما يبدو كأنه إتفاق صامت أو خيانة هادئة،أو إهمال وتسيب يبلغ حد الفوضى.
خاصه وأن المنطقه تحتوى مركز القياده الرئيسية "لسياف" رئيس إتحاد أحزاب المجاهدين .
كذلك رفيقه اللدود حكمتيار الذي زاد تواجده في المنطقة لمعادلة تواجد سياف وكلاهما في تنافس للتظاهر أمام العرب،العنصر الذي ظهر على الساحة الأفغانية المضطربة لكي يزيدها خبالا،وهذا التركيز الزائد للزعيمين الكبيرين في المنطقة كان تواجدا دعائيا للحصول على أموال المتحمسين العرب وكان هذا التواجد يزداد بتزايد الضيوف العرب ويقل حتى يتلاشى في حال غيابهم.
وهذا ما حدث هذا العام حيث أخذت القوات تنتشر وتتقدم منذ نهاية 1986 وبلغت ذروتها في بداية 1987م حيث لم يكن هناك عرب وبالتالي لاسياف ولا حكمتيار.
وتمدد القوات الحكومية إلى هذا الحد الكبير بلا مقاومة أو حتى إستنكار لفظي من المجاهدين لايدل على غياب الإستراتيجية فحسب بل على غياب القيادة الفعلية،وعلى فساد القيادات الحالية إلى درجة العفونة.

العرب في جاجي:

لايكاد توجد محافظة أفغانية لم يدخلها المتطوعون العرب،ولكن أكثر الأماكن التي إرتبط إسمها بإسم العرب في أفغانستان كانت هي منطقة"جاجي"وكان لسياف الفضل الأول في ذلك، فعندما وثّق سياف تحالفه مع السعودية والإخوان المسلمين تعاون الثلاثي في تنصيب سياف "ملكا"للجهاد في أفغانستان. وساهم الذهب السعودي في شراء قادة المجاهدين والقومندانات لصالح حزب سياف، وساهم الإخوان عبر جهازهم الدعائي المتمثل في"الصحف الإسلامية"في أفغانستان، وساهمت شخصيات مؤثرة بحسن نية في هذا المخطط مثل الدكتور"عبدا عزام" الذى شحن الشعور الإسلامي بجرعات عاطفية، و"أسامة بن لادن" الذي مول بسخاء مشروعات سياف وعبدا عزام .
وبوجه عام ساد الحشد العربي في أفغانستان مواصفات عامة أثرت فيما بعد في مجرى

الأحداث،من هذه السمات.
 العاطفية المفرطة والحماس المتدفق بدون أي إستعداد عقلي لتقصي الأمور.
 إنعدام التدريب العسكري،وعدم الرغبة فيه إكتفاء بالحماس.
 عدم وجود رباط تنظيمي بين المتطوعين مما جعل من العسير قيامهم بأي مجهود مشترك ومنظم .
 عدم وجود رؤية سياسية لدى الشباب المتطوع وأيضا لدى كبار القادة العرب المتواجدين بصورة مؤقتة مثل مندوبي الإخوان المسلمين أو بصورة دائمة مثل الدكتور عبدا عزام، وبالتالي إنعدمت الإستراتيجية العربية وتكاثرت الإجتهادات المتضاربة.
 رغم تضارب المدارس الفكرية للمتطوعين العرب فقد إجتمعوا على خطأ فادح في فهم "الشهادة"والنظر اليها كهدف وغاية من الجهاد وليست مكافأة من ا على أداء الجهاد بإخلاص. وقد أسفر ذلك عن سلبيات كثيرة وخطيرة وحول الجهاد لديهم إلى مجهود عدمي لا إلى حركة إيجابية في الحياة والكون كما ارادة ا تعالى.
ومن الآثار السلبية لهذا الفهم عدم الإهتمام بدراسة فنون الحرب والتدريب عليها ودراسة مايتعلق بها من علوم إنسانية وتطبيقية.
ورغم وجود هذه السلبيات إستطاع الشباب العرب تحقيق نصر تكتيكي في معارك جاجي "1987م"هو بمقاييس أداء المتطوعين العرب في أفغانستان يعتبر عملا رائعا، أما بمقاييس مايحدث في أرجاء البلاد فالمعركة تعتبر عادية من حيث حدتها ونتائجها وإن تميزت ببعض المميزات نذكرها فيما بعد.
كما ذكرنا سالفا ليس هناك للمتطوعين العرب إستراتيجية للعمل في أفغانستان بل إن أحزاب المقاومة الأفغانية ليس لديها مثل هذه الإستراتيجية.
وفي هذا الإطار المحزن فإن الإنجازات التكتيكية كافه مصيرها الضياع.ينطبق هذا على الإنجازات الأخيرة للعرب في جاجي أو أي إنجازات آخرى في معارك بطولية قادمة للعرب أو الأفغان.
كانت البداية عندما لاحظ "أسامة بن لادن" أثناء زيارته لجاجي إن معسكر سياف يكاد يكون خاليا من المجاهدين الذين تعللوا بشدة البرد مع عدم وجود ملاجئ،وشعر الرجل بتدني المعنويات وإنعدام التنظيم. وبإخلاصه الزائد حاول تعديل الموقف وتقوية المجاهدين خاصة وأنه لاحظ تقدم القوات وإنتشارها في الوادي المقابل للمراكز،فإستورد معدات شق طرق وحفر متقدمة وأدوات بناءوحديد تسليح قوي من الخارج وأنفق بسخاء حتى أنشأ في النهاية مركز حصين أُنفقت فيه ملايين وكانت المشكلة عدم وجود مجاهدين للمركز الجديد"!!"..
وبالتعاون مع عبدا عزام أرسل الرجلان رسائل إستنفار إلى السعودية واليمن لدعوة الشباب إلى القدوم إلى أفغانستان لإنقاذ الموقف والجهاد بالنفس.
وبدأ العشرات يتدفقون على المراكز يتفجرون حماسا ورغبة في الشهادة وكان لابد للبحث لهم عن معركة تشبع رغباتهم، لقد كانت أهداف العرب في هذا التجمع الجهادي كالتالي:
1ـ بالنسبة للشباب كانت الشهادة الهدف الأول والأخير.
2ـ بالنسبةلأسامة بن لادن كان هدفه حث شباب بلاده "السعودية" على الجهاد وترغيبهم فيه.
3ـ بالنسبة للدكتور عبدا عزام فهدفه منذ البداية إستثارة مشاعر الشباب الإسلامي نحو الجهاد،ولهذا أنشأ مجلته"الجهاد"منذ سنوات، والتي تدعو الشباب إلى الجهاد.ورفعت شعار

"إلحق بالقافلة" أي قافلة الشهداء،أي كرست مفهوم الشهادة كهدف للجهاد!!.
ومنذ البداية لفت البعض نظر "بن لادن" إلى خطورة إتخاذ موقع ثابت ومحصن للعرب في مقابل القوة المحتشدة في الوادي لإن ذلك سيعرضهم لخطر الإبادة،إلى جانب إمكانية حصارهم نظرا للمسافة الواسعة التي تفصل معسكرهم عن باقي مراكزالمجاهدين القريبة من الحدود الباكستانية.
وساهم عدد من المتطوعين ذوي الخبرة في إعادة تدريب الشباب وتنظيمهم وإنعكس ذلك على جودة الأداءالقتالي عندما إحتدمت المعارك.
وكان العدد الإجمالي للمتطوعين العرب وقت المعارك حوالي120 شخصا شارك منهم فعليا حوالي50 شخصا إستُشهد من المشاركين 16شخصا.وإلى جانب القوات الكثيفة المحتشدة في الوادي من القوات الأفغانية دفع الروس بأعداد كبيرة من جنود الكوماندوز الذين حملتهم المدرعات إلى قرب منطقة الإشتباك وتقدموا صوب معسكر العرب من عدة محاور.
وكانت الملاحظة البارزة في تلك المعركة تدني مستوى مشاركة سلاح الطيران،فمنذ شهر إبريل 1987م صعدت باكستان مواجهتها لإختراق الطائرات الروسية وأسقطت عدة طائرات ودفعت بقواعد صواريخ"كروتال"المضادة للطائرات صوب الحدود الأفغانية كما فقدت باكستان طائرة"إف16 "في اليوم الأول من رمضان نتيجة لصاروخ"سام"سوفيتي حيث ركّبت روسيا سرا عدة قواعد منه في منطقة خوست.وأدى هذا التصعيد المتبادل إلى إنكماش فعالية الطيران الروسي قرب الحدود وأتاح ذلك فرصة للمجاهدين في هذه المناطق لإستعادة جزء من زمام المبادرة ، ولكن الفرصة لم يستغلها أحد ماعدا العرب الذين إستفادوا منها بدون علم بوجودها أصلا.
وعلى الجانب العربي كانت الملاحظات البارزة هو تفوق العرب كماً ونوعاً على القوات الشيوعية في مجال الإتصالات اللاسلكية ومعدات الرصد"التليسكوبات القوية الحديثة".
وقد إنعكس ذلك بوضوح على مجرى العمليات وكان من ضمن عوامل أدت إلى ميل الكفة في صالح العرب.فقد أتاحت جودة الإتصالات ودقة الرصد إلى توجيه ضربات قوية براجمات الصواريخ كان لدى العرب خمسة منصات تعمل واحدة منها تحت إدارتهم المباشرة والباقي بإدارة رجال الأحزاب وكذلك نيران هاونات العرب تحسن مستوى إدائها خاصة في المراحل الأخيرة. وقد إستطاع العرب من مواقعهم الجبلية المتحركة وبإستخدام منصة الصواريخ من توجيه ضربات دقيقة ضد طرق تحرك الدبابات والمشاه بشكل صدم قيادة العدو.
وقدم ضباط أفغان من سلاح المخابرات تم أسرهم معلومات قيمة عن مراكز القيادات وتجميع القوات وتركز المدفعية، وبواسطة مناظير الرؤية القوية لدى العرب أمكن تحديد هذه الأماكن وضربها بالراجمات .
مفاجأة أخرى حققها العرب ضد القوات الشيوعية كانت إتباعهم تكتيكا قتاليا ربما كان إستخدامه يتم لأول مرة في تلك المناطق الحدودية التي يعتمد مقاتلوها على المواجهة المباشرة والشجاعة الفردية أكثر من إعتمادهم على المهارة التكتيكية. كان هذا الأسلوب هو الحرب في مجموعات فدائية صغيرة تلتف حول قوات الكوماندوز المتقدمة وتهاجمها من الخلف وقد إدى هذا التكتيك إلى إرباك القوة المهاجمة وتهديد خطوط حركتها بل تهديدها بالتطويق.
وهنا كان للمفهوم السلبي"للشهادة" لدى المتطوعين العرب أثرا إيجابيا في صمودهم وتصميمهم

على التصدى للقوات المهاجمة مستفيدين من أوراقهم الرابحة وهي:

- قوة الإتصال المتقدم.
- قوة الرصيد المتقدم.
- الموقع المتحكم،حيث كانت الجبال المتحكمة تحت سيطرتهم.
- إستخدم تكتيك الإلتفاف حول القوات المهاجمة.
- حرية الحركة المحدودة لطيران العدو نتيجة للموقف مع باكستان.

لقد منيت القوات الشيوعية بخسائر كبيرة، وبعد فشلها في الوصول إلى معسكرات العرب بعد عدة هجمات قوية إضطرت إلى الإنسحاب إلى قلعة تشاوني ومنها إلى جارديز وكذلك فعلت باقي القوات المحتشدة في الوادي،وبقيت في المنطقة عدة قلاع جبلية حصينة للقوات الحكومية تمارس سيطرة جزئية على طريق قوافل المجاهدين بواسطة المدفعية.

ملاحظات على الجانب العربي في المعركة:

أولا-الإيجابيات:

1ـ قوة المعنويات كانت العامل الأول والحاسم في المعركة.
2ـ إنضمام عدد قليل من العرب ذوي الخبرة إلى المعسكر أنقذ المتطوعين من كارثة محققة لإنعدام الخبرة لديهم ونقص التدريب لدى معظمهم.
3ـ التفوق العددي والنوعي في ناحيتي الإتصال والرصد أحرز لهم تفوقا على العدو في هذه المجالات وبالتالي زاد فعالية نيرانهم وحقق مفاجأة تكتيكية للعدو .

ثانياً_السلبيات:

1ـ إنعدام النظرة الإستراتيجية للعمل العربي في الجهاد الأفغاني .
2ـ فقدان المبادرة منذ البداية. فقد بدأ الموقف وتطور بناء على إنفعالات وخطوات غير مدروسة وبدون خطة عملية. فعملية إختيار المواقع كانت خاطئة وعليها تطور الوضع برمته.
3ـ عواطف الشباب المتأججة والشعارات التي رفعت لحشده (ياخيل ا   أركبي) جعلت من المحتم على القيادة العامة "أسامة بن لادن" أن يستجيب لهذه العواطف ويتعجل المعركة قبل أن تنضج ظروفها. وهكذا وقعت القيادة تحت ضغط الجنود وهو ما لاينبغي أن يحدث في أي معركة، ذلك بالإضافة إلى خطئه في إختيار المكان وتجهيزه مع عدم توافر قيادة عسكرية ذات خبرة لديه قبل بداية العمل.
4ـ سيطرة تفكير الحرب النظامية على العمل العسكري للعرب. فكانت المعركة من جانب العرب معركة نظامية من حيث التجهيز بالمعدات والتكتيكات المتبعة،وبالكاد فإن عمليات الإلتفاف التي نفذوها هي التي تذكر بأننا أمام حالة حرب عصابات وليس أمام جيشين متصارعين.

وليس التمييز بين المدرستين العسكريتين النظامية واللانظامية"حرب عصابات"تمييزا نظريا بل إنعكس على الواقع في آثار مادية بارزة ومؤثرة منها:

أـ ضخامة التكاليف المادية التي تكبدها العرب. فليس مبالغة القول بأنها كانت عشرات الملايين من الدولارات. وليس من المعقول أن يقبل هذا المستوى المبذر من الإنفاق في معركة واحدة،ليس لها من هدف غير إثارة العواطف بدون خطة عملية متكاملة.كما أنها

من وجهة عسكرية ليست معركة حاسمة "أو إستراتيجية" بل مجرد إشتباك تكتيكي عادي .
في نفس الوقت فان تمويل العرب يعتمد على تمويل شبه شخصي أي أنه مهما كان فإنه تمويل محدود لاينبغي السماح بإستنزافه في معارك نظامية ضد دولة عظمى ذات موارد غير محدودة.
هذا يعني توقف العمل الجهادي العربي قبل أن ينضج أو حتى قبل أن يجد البداية الصحيحة.
ب ـ مستوى الخسائر البشرية في صفوف العرب كان عالية إلى درجة لاينبغي السماح بها مهما كانت عاطفة الشباب نحو الشهادة . والإستجابة لهذه العواطف الجياشة لاتعني السماح بإعدامهم. والزج بهم في معارك من هذا النوع لاينبغي أن يتم قبل مرور فترة طويلة من الإعداد مع توزيع أعباء القتال بين المجاهدين العرب والأفغان،وهذا مالم يحدث في هذه المعركة حيث أصر العرب على الإنفراد ولم يبذلوا المجهود الكافي لإشتراك الأفغان،فتحملوا هم أعلى نسبة من الخسائر في الأرواح،وقد فقد العرب 16شهيدا من أصل 50مقاتلا،أي بنسبة 32% أي لكي يكونوا متعادلين مع القوات الحكومية في نسبة الخسائر فينبغي أن يكون قد قتل من القوات الشيوعية (1280) جندي اذا كانت القوة المهاجمة أربعة آلاف جندي فقط- وهذا هو أقل تقدير لهذه القوات وبهذا تكون نسبة الخسائر32% للطرفين.ومن المشكوك فيه أن يكون سقط من العدو هذا العدد من القتلى أو حتى نصفه،وبهذا نكون،كمدافعين،قد تكبدنا أضعاف الخسائر البشرية للمهاجمين وهذا عكس كل منطق عسكري،ومعنى هذا أن عملنا لم يكن صحيحا تماما من وجهة النظر العسكرية وكان علينا أن نتصرف بطريقة مخالفة ونقاتل بأساليب أخرى .
والعقلية النظامية جعلت خسائرنا البشرية باهظة وإستهلكت قوتنا الإقتصادية، فلو ان"أسامة بن لادن"قد أنفق في هذه المعركةمن"1:10"من أمواله فإن الأتحاد السوفيتي لم يفقد جزء من مئة مليون من أمواله في هذه المعركة،وهذا خطأ فادح في طريقة إدارتنا للمعركة.
فإدارة الحرب بالطرق غير النظاميةحروب العصابات تحتم علينا أن نحقق في العدو خسائر بشرية ومادية أعلى بمراحل كثيرة مما نفقده نحن،وإلا فإن الهزيمة والفناء هي مصيرنا المحتوم.
ولكنها في النهاية فقدان الرؤية السياسية والنظرة الإستراتيجية،والتصرف العاطفي الإنفعالي وقد تكون النتيجة الهزيمة أو التوقف في بدايات الطريق.
ويمكن ملاحظة أن التقييد الجزئي لحرية الطيران في سماء المعركة قد ساهم في إبقاء نسبة خسارة العرب عند هذا الحد، وفي حالة الأوضاع الطبيعية للطيران وتمتعه بحرية مطلقة كالتي كان يمتلكها في معارك جاور في أبريل1986م،فان الخسائر البشرية للعرب كانت ستتضاعف بطريقة لايمكن تخيلها.

5ـ <u>إنعدام العمل السياسي:-</u>

كما ذكرنا ليس هناك عمل عسكري لاتقوده إستراتيجية سياسية،ويرافقه عمل سياسي. فالروس في هذه العملية وكل عملية تكتيكية أخرى هدفهم السياسي الإستراتيجي واضح ومعلوم.ويجري تحقيقه أو محاولة تحقيقه عبر حملات عسكرية متوالية بل ترافقه حملات سياسية على مستويات مختلفة خارجية ومحلية.فقبل العمل في منطقة قبلية مثل جاجي يقوم الروس بزرع العملاء والجواسيس وجمع الأخبار التفصيلية عما يدور فيها وإرسال ضباط في ثياب مدنية للتجول في ربوعها بصحبة العملاء،بل يجري فحص المؤخرات في باكستان وإستطلاعها وتنظيم عمليات التجسس والتخريب فيها بالإضافة إلى العمل العسكري المباشر ضدها بالقصف

الجوي والمدفعي ويستمر هذا التمهيد حتى تنضيج ظروف المعركة فيقذفون بقواتهم في هجمات ساحقة وتفوق كاسح وكثيرا ماتنتج هذه الحملات في تحقيق أهدافها السياسية المرسومة أما بشكل جزئي أو كامل.
فماذا فعله العرب تمهيدا للمعركة من ناحية سياسية؟
منذ البداية لم تكن المنطقة تصلح سياسيا لمثل هذا العمل من ناحية العرب لأسباب كثيرة منها:
- أهالي المنطقة في معظمهم متعاونون مع العدو.
- تجمعات الأحزاب مخترقة بالجواسيس وغير منظمة.
- القيادات العليا "سياف،حكمتيار"جعلت المنطقة مجال تنافس دعائي لسلب الأموال من العرب.
 أهالي المنطقة في جاجي والطرق المؤدية اليها من باكستان مليئة بالعناصر المتعاونة مع الشيوعيين وعلاقتهم بالعرب لاتتعدى في أحسن الأحوال إبتزاز أموالهم وإن أدى ذلك إلى إغتيال العرب أحيانا.
القيادات"سياف،حكمتيار،رباني"لهم مراكز تنافسية في جاجي كما ذكرنا وكان تحفزهم لإستثمار نتائج المعركة سياسيا لمصلحتهم وعلى الوجه التالي:
1 ـ في حالة هزيمة العرب وإندحارهم وهو ماكانوا يرجونه ويتوقعونه فسوف تتحقق أهدافهم في إبعاد العرب عن الساحة الأفغانية والتخاص من مضايقاتهم التي لاتنتهي وحصر دورهم في التمويل فقط وتزويد القادة بالملايين السائلة التي تجري في أيديهم لتعزيز نفوذهم الشخصي.
وكانت جهات عربية ـ خاصة السعودية ـ ترجو أن يتم تصفية العرب في هذه المعركة حتى تتوقف الضغوط المعنوية عليهم في مساعدة الجهاد.وهم يرتدون زيا إسلاميا زائفا ويسعون نحو تحقيق أهداف أمريكا في هذه المنطقة وفي كل مناطق العالم من أفغانستان حتى نيكاراكوا.
2 ـ في حالة إستمرار العرب لوقت طويل في المنطقة يجري إبتزاز أموالهم وهذا ماحدث فعلا قبل المعارك وأثنائهاحيث كانوا يطلبون أموالا طائلة لمجرد المساندة المدفعية التي كانت شاحبة وغير مؤثرة في البداية ثم تكثفت أثناء المعركة وتحت ضغوط باكستان عليهم لرد الهجوم الشيوعي عن الحدود الباكستانية .
3 ـ لم يكن من المتوقع إطلاقا إنتهاء المعركة بهذا الشكل، بإندحار القوات الشيوعية بدون تحقيق هدفها بإقتحام وتدمير المواقع كما هي السياسة المتبعة في مثل هذه الحملات (سياسة التفتيش والتدمير) مع خسائرها الكبيرة وهذا أعتبر نجاحا وإنتصارا لعرب.
وحرص سياف طوال المعركة على الظهور بمظهر القائد الذي يعطي الأوامروقد علق العرب بالفعل توقيت أعمالهم بإذن القائد سياف وقد أعترفوا بخطئهم هذا فيما بعد وعملوا على تفاديه.
أثناء المعركة لم يكن لدى الأحزاب قوات قادرة على صد الهجوم ومنعه من الوصول إلى قاعدة مراكزهم ثم الوصول إلى الحدود الباكستانية لهذا تعلقوا بالعرب لينقذوهم من هذه الورطة التى ستحرق أوراقهم مع حكومة باكستان التى تستأجر مجهوداتهم، ويمكن أن توقع بهم عقوبات قاسية إذا لم يستطيعوا حماية الحدود الباكستانية،ففتحوا خزائن ذخائرهم للعرب لكي يقاتلوا بينما تولوا هم إذاعة البيانات العسكرية خاصة سياف لكي يظل أمام الرأي العام الإسلامي القائد المغوار.
وبعد إنتهاء المعارك سارع سياف بإرسال مندوبه في (مكة) لكي يبلغ الصحف السعودية بما يشبه البلاغ إلى المخابرات العربية بإن هناك عربا تحت قيادة عسكرية ومعسكر واحد يقاتلون

في جاجي وأنهم فقدوا خمسة عشر شهيدا(**جريدة سعودى جازيت بتاريخ87/6/20**) .
وبهذا ضرب عصفورين بحجر واحد،فأمام جماهير السعودية هو القائد،وأمام الأنظمة فهو الحارس الأمين الذي يبلغ ويرشد عن مواطن الخطر القادم لمتطرفين يجهزون صفوفهم لإرهاب الأنظمة العربية الإسلامية!!خاصة النظام الإسلامي السعودي الملكي!!!.

كتب فى ميران شاه ـ الإثنين 1987/6/29م

****

أزمـ ـة إستخبـارات

هكذا جاء عام 1987م والسوفييت في وضع أفضل على الحدود مع باكستان.لقد إستطاعوا التضييق على خطوط الإمداد الرئيسية للمجاهدين. فهذه"جاجي" يتوسعون فيها تدريجيا وبصمت،موقع هنا وقمة هناك ، وبهدوء تصبح طرق إمداد المجاهدين ضيقة من المنبع نفسه ، وسط صمت تآمري من مجاهدي المنطقة العاملين بشكل مباشر تحت إمرة الإستخبارات الباكستانية ISI وبتواجد يعتمد على الصدفة من جانب سياف وحكمتيار طبقا لمبدأ الإبتزاز المالي من العرب.
وفي سناكي حصلت مواجهات عسكرية دامية حول تلك القمة بدأت تلك المواجهات في شهر ديسمبر86،ومع حلول شهر يناير 87صار الإحتلال أمرا واقعا وإكتفى المجاهدون بحفر خنادق في مواجهة العدو حتى لايتوسع أكثر من ذلك. وحيث إن عملية إمداد المجاهدين بالسلاح كانت أحدى المهام الرئيسية للإستخبارات الباكستانية،فيمكن أن نصف ذلك التضييق الحادث في قناة الإمداد،وعند المصبات الرئيسية في جاجي وسناكي فشلا ذريعا لتلك الأجهزة أو إنها مؤامرة سياسية يجري تنفيذها بهدوء لفرض واقع جديد في أفغانستان طبقا لإتفاق أمريكي سوفيتي. وهذا كان واقع الحال وقتها فقد كان ضجيج السياسة في أعلى وتيرة له حول إطروحات التسوية القادمة .
وإنخرط بالطبع قادة الأحزاب الأفغانية السبعة في الضجيج الحادث ،مع مراعاة تسجيل المواقف الإعلامية،مع البحث الحثيث عن دور في النظام القادم في كابل،الذي لم يعد هناك من شك من أنه سوف يكون خليطا من كافة التيارات،ولن يكون إسلاميا بالمفهوم الذي تروج له دعايات الأحزاب البيشاورية.
ولكن الإستخبارات الباكستانية كانت تعيش أزمة عميقة أفقدتها التوازن لفترة،ولم تستعيد ذلك التوازن المفقود سوى بشكل محدود بعد ذلك.
سوف نستعرض بعض ملامح تلك الأزمة من خلال إستعراض ومناقشة بعض ما جاء لدى العقيد محمد يوسف في كتابه"فخ الدب"الفصل الثالث عشر بعنوان"الدب يتراجع"يقول العقيد:
{في أواخر مارس1987م رقي الفريق أختر إلى رتبة فريق أول ـ وكان ذلك يعني أن عليه أن يترك منصبه كمدير عام للمخابرات ويستلم مهام منصبه الجديد كرئيس لجنة أركان الحرب المشتركة. ولم ترحب الأحزاب بترقيتة ولا المجاهدين،ولا أنا،ولا الفريق أختر نفسه. ولمدة ثمان سنوات كان الفريق أختر هو المخطط الإستراتيجي للجهاد. وتحت قيادته العامة كانت الحرب قد وصلت إلى مرحلة يبدو فيها النصر في متناول يد المجاهدين. وكان رأيه الذي أبداه للرئيس في البداية هو الذي جعل باكستان تؤيد الجهاد الأفغاني،وهو الذي إجتهد

ونجح على الجبهة السياسية في إبقاء بعض مظاهر الوحدة بين قادة الأحزاب ولكن كان ذلك فقط كشرط للوصول إلى النصر العسكري قبل الدخول إلى المناوشات السياسية التي ستشغل المجاهدين عن القتال لم يكن قادة الأحزاب والقادة الميدانيون يستطيعون التعامل مع المعارك السياسية والعسكرية في نفس الوقت . ولم يكن أحد أكثر منه فهما للتأثير السئ الذي سيحدثه إدخال السياسة على الجهاد }.

والفقرة السابقة نموذجية لكتابات ،رجال الإستخبارات والساسة المحترفون، التي تلبس الحق بالباطل في خلطة مضللة تخدم أهدافا بعينها أما شخصية أو حزبية أو دولية.

فالحقيقة هي أن أختر عبد الرحمن قد تم عزله في عملية"رفسة إلى أعلى"وهو إسلوب إبعاد حقيقي يأخذ شكل ترقيه إلى منصب أعلى ظاهريا.

كان منصبه كمدير لجهاز الإستخبارات(isi) يجعله أقوى شخصية في الدولة بعد الرئيس ضياء الحق،والمرشح لخلافتة كما كان مفهوما وقتها،بل وعند الضرورة يمكنه خلع الرئيس بواسطه مؤامره صغيرة ـ لو أراد ذلك - بحكم منصبه وسلطاتة في جهازه الرهيب وعلاقاته الواسعه داخل الجيش.

لذلك فقد وضعه ضياء الحق تحت نظره طول الوقت حتى بعد أن عزله من رئاسة الإستخبارات وحوله إلى مركز صوري في القوات المسلحة،فما زالت علاقات أختر تمكنه من حبك"مؤامرة صغيرة"تؤدي بالرئيس وتضعه هو-أي أختر-في مكانه.

وقد حافظ ضياء الحق على صديقه الحميم وذراعه اليمين سابقا ـ تحت أبطه طول الوقت حتى قتلا معا في حادث الطائرة بعد سبعة عشر شهرا تقريبا من تاريخ عزل أختر عن منصبه.

ويكرر العقيد يوسف مرات عديدة مايؤكد أن رأي أختر عبدالرحمن كان هو الفيصل في قرار الرئيس ضياء الحق بمساندة الجهاد الأفغاني.ولايمكن أن يكون ذلك صحيحا لمن يدرك أساسيات الوضع السياسي الداخلي في باكستان وطبيعة علاقتها مع الولايات المتحدة.

فلم يكن ضياء الحق-أو غيره من زعماء باكستان-ليجرؤ على تحدي الرغبات الامريكية في إحدى القضايا الحيوية"لأمنها القومي"وفيما يتعلق بأحد أهم فصول الحرب الباردة ـ وحروب الوكالة،بين الغرب والشرق.

لقد جاءت نصائح أختر متوافقة مع الرغبات الأمريكية الملحة.

فكانت فرصة مواتية أيضا للجنرال ضياءالحق لتحقيق مكانة دولية وأطماع أقليمية على حساب جارته اللدود أفغانستان،وهذا كله ـ ولحسن حظ الجنرال ضياء ـ تحت إسم "الجهاد" إذن فهو سيحظى بمكانة إسلامية رفيعة وربما دخل الجنة أيضا(!!).

إرضاء أمريكا وأرضاء ا معا،وتحقيق مكاسب مادية وسياسية هي مجموعة من المصادفات السعيدة التي تحققت في القضية الأفغانية فأقدم عليها بشغف ضياء الحق وغيره من قادة الدول الإسلامية بل والجماعات الإسلامية التاريخية أيضا.

لقد حقق ذلك الأقبال التاريخي على القضية الأفغانية مكاسب طائلة لقادة الأحزاب الأفغانية، ولمئات من قادة الجبهات،ولكن الفواتير دفعها الشعب الأفغاني مضاعفة ومازال.لقد دمرت دولة أفغانستان ماديا،وتفتت شعبها وتحطمت قواه وكسب الجميع إلا الشعب الأفغاني الذي مازال حتى الآن تحت وطأة الحرب الأهلية،التي تدار برعاية دولية.

إن معظم الضباط المحترفين يعانون عادة من سذاجة سياسية،ويتضح ذلك في عدة نقاط من

كتاب العقيد يوسف . ويتجلى ذلك من شرحه لدور رئيسه أختر عبدالرحمن في مصادرة الدور السياسي للأحزاب الأفغانية،وإدعائه إن ذلك تم حتى لايتورط الزعماء الأفغان في منازعات تعطلهم عن القتال(!!).
لم نسمع من قبل عن حركة مقاومة تسعى إلى تحرير بلادها من جيش إحتلال، ثم تعطي قرارها السياسي كي تتصرف به دولة مجاورة حتى لايعطلها العمل السياسي ، وخلافاته ، عن القتال!!.
ليس ذلك فقط بل إنهم تنازلوا أيضا لتلك الدولة عن حقهم في وضع إستراتيجية عسكرية لعملهم القتالي!!.ليس هذا فقط بل إن الكثير الكثير من العمليات التكتيكية تلقوا الأوامر بها والمعدات اللازمة لها من تلك الدولة والجارة الصديقة !! فماذا بقي من وظائف القيادة كي تمارسها تلك الأحزاب؟.. وهل منع ذلك من حدوث خلافات وصدامات؟
بالطبع لا.. بل إن الإشتباكات الداخلية بين أتباع الأحزاب في داخل أفغانستان أصبح منذ أواسط الثمانينات هو الشكل الرئيسي للقتال داخل البلاد. وكان لباكستان وإستخباراتها يد طويلة في إشعال وإدارة أهم تلك الإشتباكات وأكثرها دموية،بل لانشك في إن ذلك تم بتوصية أمريكية لعرقلة أي إنتصار إسلامي في أفغانستان،بل إن السوفيت تعاونوا أيضا في هذا المجال لتحقيق نفس الهدف لأن نقطة الإلتقاء الأساسية بين أمريكا والسوفييت كان منع الإسلام من الوصول إلى الحكم في كابل ،وتعاونت معهم باكستان لنفس الهدف بل والسعودية والإخوان وباقي المنظومة الأمريكية.
وعن الأسباب الحقيقية لعزل أختر عبدالرحمن عن رئاسة جهاز الإستخبارات الباكستانية يقول العقيد يوسف:{كاد الفريق أختر أن يحقق معجزة، فكان إحتمال إلحاق الهزيمة بالسوفيت على أيدي المجاهدين قد أصبح راجحا.كان السوفيت يتكلمون عن سحب قواتهم وكان صاروخ ستنجر مستعملاً ضدهم، وفى حالة النصر العسكرى سيكون أختر هو البطل، فقد كان أول من أيد فكرة تأييد المجاهدين وهو الذي وضع إستراتيجية الحرب وأشرف على تنفيذها،وسيكون النصر منسوبا إليه.وأنا أعتقد إن ضياء الحق رقى أختر حتى يكون النصر لضياء الحق، وكان ذلك سيزيد من سلطته الشخصية وسمعته بدرجة كبيرة،وسوف ينظر اليه على أنه المنتصر في أعظم جهاد خلال قرون وكان ذلك سيجعل مركزه كرئيس غير قابل للهجوم من أي خصم.وعندما تطابقت هذه الإعتبارات مع رغبة أمريكا ووزارة الخارجية الباكستانية لإزالة أختر،كان قرار إزالته غير قابل للرجوع،ولم يكن أختر أول ضابط كبير ينحى جانبا عندما شعر الرئيس أنه يمثل تهديدا ولو خفيفا مباشرا أو غير مباشر لمصالح الرئيس الشخصية}.
إذن فقد إقتربت ساعة النصر،وتستعد أمريكا أن تتلقى التهاني لنفسها فقط،ولسوء حظ ضياء الحق أنه كان يفكر بنفس الطريقة ويجهز نفسه للقفز إلى صدارة موكب الإنتصار،فبدأ بإزاحة أهم منافسيه على الساحة الداخلية ـ صديقه الحميم وذراعه اليمنى-أختر عبدالرحمن-ولكن أمريكا لم تكن لتتركه كي يتوج نفسه ملكا لباكستان بل ربما خليفة للمسلمين. ولم لا؟ وهو صاحب أعظم نصر لأكبر جهاد إسلامي منذ قرون.
فبادرت إلى قتله في أغسطس 1988م وبرفقته أختر عبدالرحمن .
ولم يكن لأمريكا أن تترك شخصية إسلامية تصعد إلى صدارة الزعامة الشعبية على موجة الجهاد الظافرة في أفغانستان، فقتلت الدكتور عبدا عزام الذى رأت فيه مشروع زعامة

إسلامية تتفوق على كل من سبقها خلال هذا القرن من زعامات شعبية إسلامية من جانب أهل السنة.
يقول العقيد يوسف:(وحل الفريق أول"حميد جول"محل الفريق أختر في المخابرات منذ أبريل 1987وبقي في ذلك المنصب سنتين،وكان منصبه السابق هو مدير المخابرات العسكرية في رئاسة الجيش العامة وكنت قد سمعت الكثير عن كفاءته في عمله وقوة شخصيته،وبالنظر إلى الخاف أشعر بالشفقة تجاهه الآن، فقد كان مقدرا له أن يشرف على سلسلة من الكوارث التي برغم الأنسحاب السوفيتي من أفغانستان أدت إلى الفوضى الموجودة اليوم،وأثناء فترة خدمته في المخابرات إنتزع النصر من قبضته، وحل الجمودالحالي).
والذي يهمنا الآن عند رصد أحداث عام 1987م هو أن نسجل أن معركة جاجي العربية حدثت في وقت كانت الإستخبارات الباكستانية والمكلفة بتوجيه"الجهاد الأفغاني"كانت في حالة إنعدام وزن وإنتقال من قيادة إلى قيادة،بل من أسلوب إلى إسلوب جديد في العمل.
ثانيا إن نهاية ذلك العام شهد واحدة من أبشع المؤامرات على جهاد الشعب الأفغاني،وهي مؤامرة فتح طريق"جارديز/ خوست"أمام القوات السوفيتة كي تشكل نصرا مزعوما يسهل للقيادة السوفيتية قرار الإنسحاب من أفغانستان.
أما "الجمود الحالي" الذي يشير اليه العقيد يوسف فهو الوضع في جلال أباد بعد عمليات المجاهدين الفاشلة عام1990م.
عن بداية تولي حميد جول رئاسة المخابرات وأفكاره الجديدة التي حملها معه،يقول العميد يوسف:{ولأنه كان جديدا على المنصب أراد جول أن يبدأ العمل فورا،وكان أيضا في حاجة إلى بعض الوقت ليستقر في منصبه الجديد ويقابل قادة الأحزاب وليبدأ في فهم الإسلوب الأفغاني، وحتى يستطيع أن يميز بين ما يمكن تحقيقه وما لايمكن تحقيقه. وبسبب خلفيته كجندي مدرعات كان من أنصار أن يكون للجيش قوة متحركة ضاربة كإحتياط،وهي تشكيل يمكنه أن يتحرك بسرعة إلى أماكن الأزمات وتؤثر على سير المعركة في اللحظة الحرجة والتي من خلالها يمكن إستغلال نجاح العمليات.وهي فكرة جيدة وضرورية من أجل النجاح في حرب نظامية، وربما تكون مطلوبة في حرب عصابات ولكنها مستحيلة بالنسبة للمجاهدين الأفغان. وفي البداية لم يكن عند الفريق جول أي فكرة عن الخلافات بين الأحزاب وبين القادة الميدانيين.ولا عن تأثير ذلك فيما يمكن تحقيقه عمليا. كما لم يكن يدرك بعد أن القادة الميدانيين لايسمحون لمجاهدين من حزب آخر بالمرور خلال منطقتهم فضلا عن أن يسمحوا لقوة كبيرة أن تأتي وتستلم العمليات في منطقتهم، وبينت له هذه المشاكل،ولكنه وبخني لكوني إنهزاميا ومعارضاً . وإنبعاثاً من ولائى للرئيس ، بذلت جهوداً مضنية لتجميع المجاهدين من كل الأحزاب لتدريب هذه القوة الضاربة.
ولمدة أربع أسابيع كافحنا من أجل إيجاد حل لمشاكل التمويل والإمدادات والقيادة والتحكم لهذه القوة ولم نحرز تقدما كبيرا،وعندها كان الفريق جول قد بدأ يفهم بعض معـ ـالم الشخصية الأفغانية ووافق معي أن نترك هذه الفكرة نهائيا في الوقت الحاضر}.
لقد أثار العميد يوسف في الفقرة السابقة قضية تكوين قوة عسكرية ضاربة على مستوى عال من التدريب والتجهيز والخبرة، ونرى أن مثل هذه القوة يشكل مطلبا حيويا بالنسبة لحرب عصابات تسعى نحو الحسم العسكري للحرب. وكان الفيتناميون آخر من طبق تلك الفكرة

بنجاح كبير.
ويبدو أن الفريق جول كان مازال غشيما بمهنته الجديدة، والسياسة المطلوب منه تنفيذها فى المجال الأفغاني، حيث لم يعد ذلك الحسم مطلوبا كما أنه لم يكن مطلوبا في السابق أيضا .
فلم يكن سلفه أخترعبدالرحمن قائدا لحرب عصابات ذات قضية دينية أو وطنية،ولكنه كان مجرد مدير لجهاز إستخبارات يستأجر جهود رجال القبائل الأفغانية في توجيـه ضربـات عسكرية للسوفييت طامعا في تحقيق إنتصار عسكري كبير علي قدر الإمكان،يرفع من سمعته العسكرية أولاً ويعزز طموحه السياسي ثانياً وربما أفاد بلاده ثالثا.
والفارق شاسع جدا بين رجل إستخبارات يقود حرب عصابات من مكتبه ولأهداف شخصية أولا ثم وطنية ثانيا،وبين زعيم حقيقي يقود شعبية من أجل قضية سامية في حرب عصابات تسعى نحو النصر.
ذلك الفارق الشاسع هو الذي أدى إلى تمزيق الشعب الأفغاني وإنحراف جهاده إلى مجرد عملية إرتزاق في حرب بالوكالة بين التكتلات الدولية. فلم يكن ممكنا بالتالي تحقيق تلك الفكرة الأساسية والفعالة في تكوين قوة مركزية قوية ضاربة من رجال العصابات تكون أداتهم الرئيسية في تحقيق حسم عسكري على العدو خاصة في مراحل القتال المتوسطة والأخيرة.
لقد إصطحب العميد يوسف رئيسه الجديد "حميد جول" إلى زعماء الأحزاب كي ينفذ من خلالهم ذلك المشروع الحيوي-ولايمكن أن ينم ذلك عن سذاجة من العميد الذي عمل مع هؤلاء الزعماء لمدة أربع سنوات متواصلة-وهو لايجهل بالطبع إن هؤلاء إنما يمثلون العصارة المركزة للفساد والخيانة في أفغانستان، وأن ما يشغلهم فقط هو مصالحهم الشخصية وتكديس الأموال والسلاح والمتاجرة بالدماء الأفغانية في "بازار" "حروب الوكالة " الدولية .
إن تشكيل قوة مركزية ضاربة كان بلا شك خطرا مباشرا يهدد مكانة هؤلاء الزعماء،فتلك القوة سوف تكون محور العمل وثقل الحركة ومهوى أفئدة الأفغان،ومطمح القوى الدولية،فسوف تزوى شمس هؤلاء الزعماء المصطنعين في بيشاور .
وعلى الجانب الآخر فإن قادة الداخل-في معظمهم،لن يرحبوا بالفكرة بعد أن تحول القتال إلى "عمليات مقاولة"حيث تتم كل عملية على حدة بناء على إتفاق منفصل مع الإستخبارات الباكستانية في مقابل كميات معلومة من السلاح والأموال.
كما أن اللعب على كل الحبال أصبح وقتها لعبة مفضلة إتقنها كثيرون . فهم مع القوات الشيوعية يوما،في السرأو في العلن،ثم مع أحزاب بيشاور يوما آخر. ومع كل إنتقال يجنون الأموال والسلاح والسيارات.
كان أكثر ما يخشاه زعماء بيشاور-وكذلك حكومة باكستان-هو أن تبرز قيادة ميدانية في أفغانستان تتجمع حولها مجموعات المجاهدين ثم تستقل بقرارتها العسكرية والسياسية وليس أفضل من تلك القوة المركزية كي يبزغ من خلالها زعامة شاملة للمجاهدين .
وكم قامت زعامات بيشاور-بمساعدة باكستانية في أغلب الحالات-بعمليات إغتيال لزعامات ميدانية بارزة كانت محل شك في سعيها نحو الإستقلال بالقرار والتخطيط.
أما عن عدم سماح أكثر قيادات الداخل لقوات أخرى بعبور أراضيها أو إستخدامها في العمليات فهو أمر صحيح؛ وسببه كما ذكرنا هو التنافس على المقاولات القتالية، فكل"قومندان" يسعى إلى الإستئثار بأرباح العمليات في منطقته. ولكن الأمر لم يكن كذلك في بدايات الجهاد حيث لم يكن الجهاد قد تحول إلى إرتزاق وكانت المشاعر الدينية في أوجها، وكانت الساحة

تذخر بعدد كبير من العلماء.
وقد قامت الأحزاب الأفغانية بمجهود مبرمج لإتلاف ساحات الجهاد في أفغانستان وتحويل مسارها العقائدي إلى مسار إرتزاقي منحرف. ذلك إلى جانب فقدان المخلصين في عمليات الصدام الدامي مع القوات الشيوعية.
.. العميد يوسف هو الآخر ترك الخدمة في أغسطس من نفس العام 1987 وكان يشغل منصب رئيس مكتب أفغانستان في جهاز إستخبارات IsI ـ والسبب كما ذكر أن لجنة الترقيات في الجيش قد تخطته في الترقية فلم يحصل على رتبة لواء وكان ذلك في شهر أبريل 1987وقد أُصيب يوسف بخيبة أمل وشعر أن كرامته العسكرية قد أُهينت. ولكنه بقي عدة أشهر في منصبة حتى يساعد من يخلفه في أداء عمله الجديد، أو كما يقول (كنت مستعداً للبقاء عدة أشهر لمساعدة خلفي حتى يستقر في عمله ولكن ليس أطول من ذلك. بما أنني كنت وجهت الحرب لمدة طويلة -وأظن أنني نجحت إلى درجة معقولة-).
.. كان التغيير الحادث في قيادة ذلك الجهاز الخطير(IsI) هو تكريس لسياسة جديدة تجاه أفغانستان، تبناها ضياء الحق طبقاً لضغوط أمريكا عليه، رغم أنه إستمر في المقاومة السرية ما إستطاع إلى ذلك سبيلاً.
كان ضياء الحق وصديقه أختر يكونان محوراً فاعلاً ومخططاً تجاه أفغانستان بدون أي إعتبار لوزارة الخارجية الباكستانية، التي لم تكن تخفي إمتعاضها، بل وكانت تتبنى دوماً سياسة أمريكية بحتة.
يقول العميد يوسف عن الحالة السياسية قبل وبعد إستقالته :
{وكانت جهودي موجهة إلى العمليات ولكن تدخل السياسة في ميدان المعركة كان جزءاً من حياتي اليومية، ودائماً كان يبدو أن السياسة تعرقل المجاهدين ولا تساعدهم. كان وزير الخارجية الباكستانية "صاحب زاده يعقوب خان" ملتزماً أشد الإلتزام بمحادثات جنيف التي تتبناها الأمم المتحدة بين باكستان والإتحاد السوفيييتي. وكان يجتمع بقادة الأحزاب ليطلعهم على التقدم الذي تم في هذه المحادثات، ولكن كنت أشعر بالإحباط عندما رأيت أنه سيخبرهم فقط بالأشياء المعلنة والتي تكون وسائل الإعلام قد نشرتها، ولم يعلمهم أبداً بالخبايا ولا بما ينوي أن يفعله ولم يكن مستعداً لقبول وجهة نظرهم. وكانت وزارة خارجيتنا مصممة على عقد صفقة، ولم تكن مستعدة تحت أي ظروف أن تسمح للمجاهدين بحق الإعتراض على أي إتفاق. وبنهاية 1986 كانت الثقة والإحترام بين الأحزاب ووزارة الخارجية في أدنى مستوى لها}.
وفي الواقع فإن ولاء قادة الأحزاب السبعة كان معظمه منصباً على أختر عبدالرحمن شخصياً بصفته المرجعية العليا التي تمنحهم كل شيء وتحدد لهم المهام وترسم لهم الأدوار. أما ضياء الحق فقد كانت صلته بهم معنوية غالباً، فقد كان بعيداً عن المسائل التنفيذية. وكان غالباً ما يستخدمهم في تفادي الضغوط الأمريكية عليه، فالأمر الذي يريد أن يرفضه ضياء الحق فإنه يطلب من قادة الأحزاب أن يرفضوه، ويتظاهر هو بالرضوخ لرغبة الزعماء الأفغان. وأحياناً يكون المطلوب هو إظهار الإختلاف وعدم الإتفاق حول نقطة معينة إذا كانت مواجهة أمريكا برفض قاطع هو عملية خطيرة. وبإختصار لقد أجاد ضياء الحق إستخدام القادة الأفغان السبعة في ألاعيبه السياسية مع أمريكا، وحتى مع وزارة الخارجية الباكستانية نفسها.
كما إستخدم حكمتيار وحزبه في كثير من الضربات تحت الحزام للأمريكيين داخل أفغانستان

وأحياناً على الأراضي الباكستانية، وإشتملت تلك الضربات العديد من عمليات الإغتيال لشخصيات أفغانية أو غربية.لذلك نرى أن القادة السبعة كانوا على علاقة غير ودية مع الخارجية الباكستانية، ولكن بعد عزل أختر عبدالرحمن ورضوخ ضياء الحق تدريجياً لمطالب أمريكا، تراجع القادة الأفغان وتسابقوا كالعادة في المسار الجديد نحو تسوية سياسية وحكومة مشتركة مع الشيوعيين.
عن المرحلة السياسية التي تلت إستقالته وإبعاد أختر يقول العقيد يوسف :
{كانت كرامتي كجندي قد جرحت، ولكن الأهم من ذلك إستطعت أن أحس بالمناخ العام يتغير إلى إتجاه سياسة كانت في نظري ستضعف الجهاد في ذات الوقت الذي كان يجب فيه الإستمرار في بذل الضغط العسكري. وبدأت أشك أن الهدف لا يزال هو النصر العسكري. كانت رائحة الترتيبات السياسية والتنازلات قد بدأت تفوح في الهواء. حتى الرئيس ضياء الحق كان قد بدأ يتكلم مع المجاهدين عن حكومة إئتلافية مع نجيب ا .
وبالنسبة لي فإن ذلك شيئاً بغيضاً. عندما ظهر إحتمال النصر في الأفق، بدأ الأمريكيون يفترضون أن الحرب قد إنتهت لصالحنا وبدأوا يركزون جهدهم وتفكيرهم في كيفية منع الأحزاب الأصولية من إستلام السلطة في كابول}.ويوضح العقيد يوسف{أن أمريكا إعتبرت خلع نجيب وإستلام حكومة أصولية مكانه، كان بمثابة إستبدال عدو بعدو آخر، وقد شاركهم السوفيت نفس الرأي، يدفعهم الخوف من تأثير حكومة إسلامية في كابول على إستقرار جمهوريات آسيا الوسطى الواقعة تحت إحتلالهم}.
ومع ذلك فقد بذلت الحكومات الأفغانية التي تلت نجيب وترأسها زعماء أحزاب أفغانية، خاصة الحكومة الحالية التي يرأسها رباني ويساعده فيها سياف بذلوا جهداً كبيراً في إجهاض التحرك الجهادي فيما وراء النهر خاصة طاجيكستان وقد تجاوبت معهم قيادة حزب النهضة الإسلامية في طاجيكستان وهو الحزب الذي تصدر الحركة الإسلامية ودعا إلى الجهاد في بداية المجازر الشيوعية وهجرة المسلمين إلى أفغانستان عام 1992.
وهكذا أُجهضت مجهودات المجاهدين العرب في نقل تجربتهم الجهادية إلى ما وراء النهر ومضت "النهضة" في ممارسة دور تهدئة الأوضاع، وفي عام 1994أوقفت مشروعاً حاولنا فيه إنشاء قوة جهادية مدربة جيداً ومسلحة من الطاجيك لتقوم بدور القوة المركزية التي تحدثنا عنها آنفاً، تحت ضغط من مسعود ورباني وسياف على سيد عبد ا نورى زعيم النهضة الطاجيكية .. لقد أوضحت الأحداث بعد فتح كابول أن وصف بعض قادة الأحزاب الأفغانية "بالأصولية" لم يكن سوى خدعة أمريكية لجميع مسلمي العالم.
****

البحث عن ستنجر

كان الغائب الأكبر عن معارك جاجي العربية هو صاروخ ستنجر. حتى إسمه لم يرد له ذكر قبل وأثناء وبعد تلك المعركة التي كانت الأعنف في تلك المنطقة الحساسة. ذلك رغم أن ذلك الصاروخ قد دخل الخدمة الفعلية في أفغانستان منذ سبتمبر الذي مضى (1986) .
إن غارات الطيران السوفييتي ضد مواقع العرب كانت قوية -رغم أنها لم تصل إلى عنف الغارات على جاور كما ذكر أبوحفص- إلا أن طائرة واحدة لم يتم إسقاطها. وبالتأكيد كان هناك عدد من صواريخ ستنجر فوق جبال جاجي الشاهقة والتي يعبرها الطيران الشيوعي بشكل

روتيني. وكما ذكر العميد يوسف فإن باكستان قد وضعت عدداً من تلك الصواريخ على حدودها مع أفغانستان، وجاجي واحدة من أهم تلك النقاط.
كما لم تسقط طائرة واحدة طوال نشاط العرب في المنطقة قبل العمليات وبعدها بقليل أي ما يزيد عن ستة أشهر، رغم وجود أربعة مدافع "أورلكان" عيار20 مليمتر في تلك المنطقة، وعلى أقل تقدير.
وقد لاحظنا كيف أن سياف وجماعته قد أوهموا أباعبدا في زيارته لهم في رمضان 1984م 1404هـ. أنهم قد أسقطوا أربعة طائرات في سويعات قليلة، ولا شك عندي أنهم كاذبون وربما أسقطوا طائرة واحدة في أحسن الظروف. أما أثناء معركة جاجي وقد إزداد أبوعبدا خبرة، وإزداد عدد العرب معه فوق مساحة واسعة من المنطقة فلم يعد ممكناً ممارسة تلك الألاعيب.
رأينا أن المجاهدين قد أعلنوا ،قبل بداية العمليات بقليل، عن إسقاط طائرة هيلوكبتر كانت تحاول الهبوط في حصن تشاوني - وهي الطائرة الوحيدة التي تم الإبلاغ عن إسقاطها، ومع ذلك يبقى ذلك الخبر في موضع الشك، حتى لو كان ستنجر قد إستخدم وقتها، ذلك لأن حالة التوتر الشديد في المنطقة، وحالة الإستنفار والحشد الذي تقوم به القوات الشيوعية ما كانت تسمح لأحد بالإقتراب داخل الوادي إلى المسافة التي تمكنه من إسقاط تلك الطائرة فوق حصن تشاوني. وإذا كانت الطائرة قد أُسقطت فعلاً فإن ذلك يكون قد تم نتيجة عملية قصف مدفعي عشوائي على الحصن أسفر عنه ،بالمصادفة، إصابة الطائرة. ولكن ستنجر لم يكن هناك حتماً.
ليس من شك بأن مشاعر سياف لم تكن ودية تجاه ما يفعله أبوعبدا والشباب العربي معه وكذلك حكمتيار- لكن ذلك في ظني لم يكن السبب في أنهم أخفوا "ستنجر" عن ساحة المعركة.
نعم كان القادة الكبار يرغبون في رؤية هزيمة ماحقة تحل بالعرب وتبعدهم عن تلك الساحة التي هي منجم ذهب بالنسبة لهم. ولكنهم مع ذلك باعوا بالثمن مساعدة مدفعية لأبي عبدا وكان يمكنهم عمل ذلك بالنسبة لصواريخ ستنجر، فقد كان يمكنهم إستخدامها وإرغام أبوعبدا على دفع ثمنها. ولكن مشكلة سياف وحكمتيار أنهم أفهموا العرب أنه لا علاقة لهم بأمريكا وأنهم لا يتسلمون مطلقاً أي مساعدة منها لا بشكل مباشر أو غير مباشر، وأن الأحزاب المنحرفة: مجددي/جيلاني/محمدي. هم فقط الذين يتعاملون مع أمريكا ويتلقون منها أموالاً وأسلحة عبر باكستان.
وقد ظل العرب -بما فيهم الزعماء الكبار، الدكتور عبدا ،وأبوعبدا ، يصدقون ذلك تماماً حتى عام 1990 حينما هاجم القادة الأصوليين الولايات المتحدة ووصموها بخيانة الجهاد لكونها أوقفت شحنات الأسلحة المقدمة إليهم "!!".
فلنقوم الآن برحلة سريعة مع صاروخ ستنجر في 1987عام وما قبلها بصحبة العميد يوسف.
وضمن الفصل الحادي عشر من كتابه المذكور عن بداية قصته مع صاروخ ستنجر يقول العميد: {لمدة ست سنوات تقريباً كانت الأسباب السياسية هي التي منعتنا من الحصول على صواريخ ستنجر. بعد أن إستلمت مهام عملي في المخابرات بفترة قصيرة وقبل أن أتعرف على العوامل السياسية الموجودة، طالبت بتزويد المجاهدين بهذه الصواريخ في وقت مبكر من عام 1984جاءت لجنة أمريكية لزيارتي في روالبندي، وكانت مختصة بتقديم تقرير للكونجرس

الأمريكي عن حرب أفغانستان، وسألني أحد أعضاء الوفد عن أي سلاح أرى إستعماله لمواجهة خطر الطيران السوفييتي المتزايد، فأجبت دون تردد: صاروخ ستنجر. وعندما عادوا إلى السفارة الأمريكية سألوا مسؤول **CIA** هناك لماذا لم يحصل المجاهدون على هذا السلاح حيث أن العميد يوسف قد أيد تزويدهم به وبشدة. وكانت إجابة **CIA** هي أن الحكومة الباكستانية هي التي تعارض إدخاله في الجهاد. وكانت هذه هي نصف الحقيقة فقط؛ لأن الحكومة الأمريكية أيضاً كانت معارضة، ولكن كنت قد لمست وتراً حساساً بدون قصد.
وإتصل بي مسؤول **CIA** فوراً ليحتج أن الوفد يبدو مقتنعاً أن **CIA** هي التي كانت تحول دون وصول ستنجر إلى المجاهدين، بينما قال أنني أعلم جيداً أن حكومتي هي السبب.
في ذلك الوقت لم يكن عندي أي علم بذلك، ولكن كان من الواضح أنني قد سببت مشكلة بجهلي.
في مساء نفس اليوم كان يجب أن أشرح للفريق أختر الذي فعلته. وأكدت له إنني لم أكن أعلم عن أي دوافع سياسية لعدم قبول ذلك السلاح وإنني بنيت طلبي علي إعتبارات عسكرية فقط . وطلب الفريق عقد إجتماع مع الوفد لشرح وجهه نظرنا ،ولم أحضر هذا الإجتماع}.
وأهم ما نلاحظه في تلك الفقرة حالة التعتيم السياسي الذي كان يعيش فيه العميد يوسف رغم حساسية المنصب الذي يشغله. وهذا يشير إلي إنه كان محصورا في المجال الفني العسكري ، وهي زاوية ضيقة جدا من زاوايا الحرب عامة ،وحرب العصابات بشكل خاص. وذلك يبرر القصور الواضح في إدراك العميد يوسف لكثير من أحداث التي مرت به ، ولم يكن لها أي تفسير في المجال العسكري بل جذورها الصلبه متواجدة في المجال السياسي ،كما هو الحال في قضيه صاروخ ستنجر التي لم يدرك العميد يوسف سببها سواء سبب منع ذلك السلاح حتي ذلك الوقت المتأخر "سبتمبر1986" كذلك سبب إختيار ذلك الوقت تحديدا ،وأهداف أمريكا أساسا في ذلك وإن كان قد ساورت العميد يوسف بعض الشكوك حول الإعذار والتبريرات الواهيه لكل من أمريكا وباكستان حول قضية ستنجر .
يمضي العميد يوسف في روايته قائلا :(لم تنكر الحكومة الباكستانية إن ستنجر هو السلاح المثالي الذي يسستطيع به جندي المشاه إسقاط طائرة. ولكنها تري إنه جيد أكثر من اللازم . كان أحسن سلاح من نوعه في ذلك الوقت ،وكانت القوات الأمريكية قد حصلت عليه منذ وقت قريب ،فكانت تقنيته لاتزال سرية جدا).
ولعل عبارة " جيد أكثر من اللازم " تذكرنا بتوجيهات ضياء الحق لصديقه أختر عبد الرحمن بإنه يريد أن تنضج حرب أفغانستان فوق نار هادئة. ولكن تبريرات أخري يسوقها ضياء الحق ، كما جاء في الفقرات التالية : (وكان الرئيس ضياء الحق يري، وإن كان قد غير رأيه في عام1986 ،أن إعطاء المجاهدين هذا السلاح المتقدم سيناقض السياسة المتبعة لتسليح المجاهدين، وهي أن تكون كل الإسلحة من أصل شيوعي ، ولن يمكن إخفاء وجود ستنجر في أفغانستان لوقت طويل ويمكن أن يقع صاروخ في إيدي العدو، ففي تلك الحالة كيف لباكستان أن تستمر في التظاهر بأنها لاتسمح للولايات المتحدة بتأييد الجهاد مباشرة ؟. وهناك سبب آخر لم يعترف به أحد وهو إن الرئيس ضياء الحق كان قلقا من إحتمال وقوع السلاح في أيدٍ إرهابية وأن يستعمل السلاح لإسقاط طائرته الخاصة وكان له أعداء كثيرون وكانوا قد حاولوا إسقاط طائرته قبل ذلك.
ومن المتناقضات إن الرئيس كان محقا حيث إنه قتل في حادث إرهابي نفذ بتخريب طائرته

ولكن بدون إستعمال صاروخ ستنجر).
ونقول هنا أن حجة ضياء الحق بأن تكون الأسلحة المقدمة للمجاهدين من أصل شيوعي قد إنهارت منذ وقت مبكر فأسلحة كثيرة كانت صناعة صينية ومصرية منذ عام 1981م،وقد كشف السادات بنفسه عن أول صفقة أسلحة عقدها مع المخابرات الأمريكية لصالح المجاهدين"!" الأفغان.أما الأسلحة الصينية فكانت تشكل القاسم الأعظم لتسليح المجاهدين حتى نهاية الحرب ولم يكن كل ذلك ليخفى على السوفييت .
أما حجة ضياء الحق بأنه يخشى على أمنه الشخصي من صواريخ ستنجر فهو عذر لايقل تفاهة عن العذر السابق.وكما ذكر الكاتب فإن ضياء الحق قد قتل في حادث إرهابي وبسلاح أمريكي أكثر تطورا لم يصل إلى المجاهدين مطلقا وهو غاز الأعصاب .
ورغم تفاهة تلك الحجة إلا أن ضياء الحق كان يدعمها بشيء من المصداقية العملية في حادث تم إكتشافه في أوائل الثمانينات عندما قبضت المخابرات الباكستانية على بعض أعضاء في حزب الشعب الباكستاني-وفي حوزتهم صاروخ"سام 7"وبالتحقيق تبين إنهم حصلوا عليه من أحد قادة المجاهدين داخل أفغانستان بعد أن أقنعوه أنهم مجاهدون من كشمير ويحتاجون إلى ذلك السلاح"للجهاد"ضد الهند وقد تسبب الحادث في أزمة كبيرة في العلاقات بين باكستان وذلك القائد- "وقد أخبرني صديق باكستاني أن ذلك القائد كان هو جلال الدين حقاني ولكنني لم أحاول أن أتأكد منه شخصيا حول صحة ذلك" .
وربما إكتشفت السلطات الباكستانية محاولة أخرى على الأقل من نفس النوع -لذلك أصبح الرئيس الباكستاني أكثر حساسية تجاه الصواريخ المضادة للطائرات .
ونواصل القراءة فى روايات العميد يوسف حول "ستنجر" حيث يقول:
{ولكن الذى لم تذكره **CIA** للوفد الزائر هو أن وجهه نظر الحكومة الباكستانية كان مطابقاً لوجهه نظر الحكومة الأمريكية،حيث كانت هى الأخرى مذعورة بنفس الدرجة من إحتمال وقوع السلاح فى يد من لاينبغى أن يحصل عليه. فإذا زود به المجاهدون فمن المؤكد عاجلاً أو آجلاً أن العدو سيحصل على واحد، إما فى العمليات أو عن طريق عميل للخاد أو حتى أن يبيعه المجاهدون، حيث أن بيع صواريخ ستنجر واحد يكفى لإغناء رجل بقية عمره.
وكان الأمريكيون على حق فى خوفهم من إنتقال التقنية إلى السوفييت، وكانوا أيضاً قلقين من إحتمال وقوع السلاح فى أيدى إرهابيين يمكن أن يستعملو ضد طائرة ركاب، وبذلك الخصوص كان عندهم خوف شديد من حصول إيران عليه الأمر الذى كان محتملاً جداً فى ظروف حرب أفغانستان.
وقد تبين أنهم كانوا محقين لأن كلا من السوفييت والإيرانيين حصلوا على صواريخ ستنجر عام 1987 ولكن خوفهم من إستعماله ضدهم لم يكن له أساس}.
وهنا نقول أيضاً حول خوف الأمريكيين من إنتقال التكنولوجيا إلى السوفييت، أن صاروخ ستنجر الذى وصل إلى أفغانستان كان متخلفاً تكنولوجياً بالنسبه للأجيال المتقدمة التى تلته.
وحسب ما أعلن فقد كان هناك جيلاً تالياً من صواريخ ستنجر يفوقه بكثير من حيث مزاياه التى منها قدرته التمييز بين الطائرات الصديقة والمعادية، مع عدم إنطلاقه على طائرات صديقه حتى لو أراد الرامى ذلك.
هذا ولم يكن السوفييت متخلفين تكنولوجياً عن الولايات المتحدة فى هذا المجال الثانوى ،

الصواريخ المضادة التى تنطلق من الكتف، وقد كانوا متساويين تكنولوجياً بل حتى متفوقين فى بعض المجالات التسليح الرئيسية مثل الصواريخ الإستراتيجية عابرة القارات المتعددة الرؤوس النووية ، وغيرها كثير من مجالات التسليح المتطورة سواء التقلدى أو النووى.
ولكن الحملة الأمريكية الدعائية حول ستنجير كانت مضلله جملة وتفصيلاً، وكانت تهدف إلى تأثيرات نفسية سياسية تجارية ، خاصة بالتنافس فى مجال السوق الدولية للسلاح.
وقد أوهمت العالم بأن الإنتصار فى أفغانستان ضد السوفييت قد تحقق بفضل الولايات المتحدة وتكنولوجياً صاروخ ستنجر ، بينما يقول المسلمون أن النصر الذى حدث فى أفغانستان إنما تم بفضل ا ، ثم دعاء المظلومين المستضعفين ودماء المخلصين من المجاهدين.
والفارق شاسع بين وجهتى النظر، كما هو الفرق بين الإيمان والكفر. ولكن بما أن الكفر هو الذى يحكم العالم فقد تعرض المجاهدون ، العرب خاصة، إلى أكبر "حملة تفتيش" فى التاريخ الحديث من الملاحقات والتصفيات على مستوى العالم كله وليس على بقعة محدودة كما كانت محاكم التفتيش منذ ستة قرون ضد مسلمى الأندلس.
إن تلك الحملة الدعائية المسعورة التى أشعلتها أمريكا حول صاروخ ستنجر كانت أكبر ترويج فى التاريخ لتكنولجيا السلاح الأمريكى ، مستفيدين بذلك من النتائج الخارقة للعادة والتى تحققت فى أفغانستان . ولاتقارن تلك النتائج بما أحرزه السلاح الأمريكى من نتائج ودعائية فى حرب الأيام الستة عام1967وما حققه الجيش الإسرائيلى ضد الجيوش العربية المحيطة به. فلم تستطيع أمريكا ولاإسرائيل رغم السيطرة اليهودية على الإعلام الدولى أن تقنع العالم أن هناك حرباً فعلية قد حدثت فى تلك الأيام الستة، فقد كسبت إسرائيل الحرب بغارة جوية على مصر إستغرقت أقل من نصف ساعة، بينما قضت باقى الأيام الستة فى الركض خلف الجيوش العربية المنهزمة، وتأمين مواقع عسكرية فوق الأراضى المحتلة التى فاقت المساحة الأصلية لإسرائيل عدة مرات .
وبغير حياء عندما شنت أمريكا وحلفاؤها حملة مطاردة المجاهدين العرب لطردهم من باكستان، ثم ملاحقتهم دولياً ـ أثاروا مرة أخرى قضية ستنجر وخوفهم من حصول هؤلاء "الإرهابيين" من "العرب الأفغان" على ذلك الصاروخ الرهيب كي يهددوا به المصالح الأمريكية فى العالم.
وفى نفس الوقت نجح مسلموا "البوسنة والهرسك" فى الحصول على عدد من صواريخ روسية مضادة للطائرات تطلق من الكتف، وهى نمازج مطورة لاتقل فعالية ، إن لم تزد ، عن ستنجر الأمريكي ولكن الأعلام الدولى/ اليهودى تمويلا وتوجيها/ تجاهل ذلك تماما حتى تخلو الساحة الدعائية للصاروخ الأمريكى، حفاظاً على حصة أمريكا من سوق السلاح الدولى "ثلاثة أرباع السوق". ومن جهة أخرى طمس دور المجاهدين المسلمين، بل ، وهذا هو الأهم ، نزع فتيل الجهاد من الإسلام وصد المسلمين عن ذلك الطريق الذى هو المخرج الوحيد لضياعهم الحالى. يستمر العميد يوسف فى رواية قصته مع ستنجر فيقول:
{وفى أواخر عام 1985كنت أعتبر صاروخ ستنجر هو أهم قضية لم تحل بعد لإلحاق الهزيمة بالسوفييت فى الميدان. وأصبحت مطالبتنا بالحصول على سلاح مؤثر مضاد للطيران أكثر إلحاحاً ، وكما بينت من قبل فقد خدعنا أولاً بمدافع أورليكان، ثم بصواريخ بلو بايب، وكان السئولين المدنيين فى كل باكستان والولايات المتحدة دائماً يجيبون قائلين:" أفترض أن السوفييت حصلوا عليه، أو إفتراض أن إرهابياً إستخدمه ضد الرئيس، هل يستطيع أن تضمن

أن هذه الاشياء لن تحدث؟." بالطبع لم أستطيع أن أضمن لهم شيئاً مثل ذلك، ولكن حيث أن صاروخ ستنجر كان قد سرق فيما بعد من قاعدة أمريكية فى ألمانيا الغربية فإن قوة مثل تلك الحجة مشكوك فيها، كل الذى كنت أعلمه أنه بدون هذا السلاح فإن معنويات المجاهدين لن تصمد إلى الأبد. وبإحدى عجائب القدر كان سقوط جاور المؤقت ونجاح السوفييت والأفغان حول"على خيل" هوالذى حول وجهات النظر إلى جانبى.

بالرغم من أننى تلقيت نقداً شديداً لتحويل هذه المنطقة إلى منطقة محصنة بالدفاع الجوى عنها دفاعاً تقليدياً ، إلا أن هذا الخطأ ، إن كان هناك خطأ ، هو الذى جاب لنا صواريخ ستنجر، وكانت هذه الصواريخ سبباً لقلب ميزان المعركة لصالحنا، فكان القتال العنيف القريب من الحدود الباكستانية فى شهر إبريل 1986هو الذى سبب ذعراً جعل الجميع ينسون مخاوفهم ويعطونا الذى كنا نريده، وإستغللت هذه الفرصة إلى أقصى حد للإلحاح بكل مطالبى على كل من الفريق أختر و**CIA** وعضدت موقفى بآراء المحللين الأمريكيين الذين كانوا يقولون أن المجاهدين لن يستطيعوا الإستمرار فى القتال مع ذلك المعدل من الإستنزاف وأن النقص فى الرجال يتزايد وأن الرجال فى الميدان تعبوا من الحرب وأن الأجيال الجديدة كانت مترددة فى المشاركه فى الجهاد.

ولم أكن موافقاً على هذه المزاعم كلياً، ولكنها ساعدتنى، بمنتصف تلك السنة، فكان الرئيس قد إقتنع، وفجأة كنا سنحصل على ستنجر }.

على أننا هنا لانوافق كلياً، ليس فقط على المزاعم الأمريكية، بل وعلى مزاعم العميد يوسف، لنناقش بعض القضايا التى وردت فى الفقرة السابقة، وإن كانت لاتتصل مباشرة مع الصاروخ بطل موضوعنا " ستنجر ". ولكن ما العمل وقد جعلت أمريكا ، والإستخبارات الباكستانية من ذلك خرافة تطعن فى جهاد شعب كامل، بل وفى مبدأ الجهاد ذاته. وجعلت مصير الجهاد، فى أذهان المسلمين خاصة ، يتعلق بعوامل تكنولوجية، وليس إيمانية، بل إستخداموا أسطورة "ستنجر" لطمس المعالم الفنية لحرب العصابات التى هى فن الحرب الخاص بالطرف الضعيف مادياً وتكنولوجياً ولكنه القوى معنوياً وإيمانياً ضد الطرف الأقوى مادياً وتكنولوجياً ولكنه الأشد خواءاً معنويا وإيمانياً.

<u>وكأن أمريكا تريد من المسلمين خاصة، وبعد التجربة الأفغانية أن يعتقدوا بأنه لاجهاد بالمعنى الإسلامى الصحيح إلا تلك الحرب التى توافق عليها أمريكا، ولا نصر فى مثل ذلك الجهاد إلا بالمعونه الأمريكية والتكنولوجيا الأمريكية ـ خاصة ستنجر الرهيب.</u>

وأخشى القول بانهم نجحوا إلى درجة ما ـ ودليل واحد على ذلك هو أن المجاهدين الطاجيك عندما دفعتهم المذابح إلى أفغانستان كان أول ما بحثوا عنه بلهفة هو صاروخ ستنجر "!!"، وكانوا فى أشد الدهشة عندما عارضناهم فى ذلك لدرجة أنهم أساءوا الظن بنا ، ذلك على الرغم أنهم لم يواجهوا الطيران تقريباً حتى ذلك الوقت وحتى مناطقهم الجبلية التى قصفت من الجو لم تتضرر كثيراً.

من الواضح ضعف إدراك العميد يوسف لتعقيدات الوضع السياسى المحيط به، وهاهو مرة أخرى يبرهن عن ذلك بقوله :

(فقد خدعنا أولاً بمدافع اورليكان ثم بصواريخ بلوبايب) ولم يكن الأمر خدعة بل كان سياسة عليا تضعها الولايات المتحدة ثم تفرضها على صاحب القرار السياسى فى باكستان "ضياء

الحق" ثم يبدأ أختر عبدالرحمن فى تحويلها إلى قرارات تنفيذ تأخذ مجراها عبر مكتب العميد يوسف إلى أن تصل إلى خطوط الجبهات فى أفغانستان.
ولكن العميد يوسف عندما كان يرى تلك الغرائب التى لاتتفق مع المنطق العسكرى كان يعتبرها خدعة أو يحاول مقاومتها وغالباً مافشل فى ذلك. فلننظر إلى فقرة أخرى من نفس الكتاب حول ما قاله عن مدافع أورليكان وصواريخ بلوبايب ، لنرى كيف يصف لنا العميد ذلك الجانب الإستخباراتى الغامض الذى تلاعب بمصير المسلمين وجهادهم فى أفغانستان.

يقول العميد عن دور المخابرات الأمريكية ، فى الفصل الخامس من الكتاب:

{ ثانيا: كان هناك الطمع، ممثلا فى عدد من الدول وبعض الأفراد ينظرون إلى الجهاد كفرصة عظيمة لبيع أسلحة لم يرغب أحد فيها، وهى أسلحة قديمة الطراز وحتى فى بعض الأحيان أسلحة خطرة الأستعمال، وعندى شك قوى أن نظاماً تسليحياً فرض علينا فقط لأن أحد أعضاء الكونجرس الأمريكى كان سيستفيد كثيراً إذا تمت الصفقة.
ثالثاً: أن الكثير من مسئولي **CIA** الذين كان لهم دخل فى برنامج شراء الأسلحة لم يكن عندهم خبرة عسكرية كما لم يكن عندهم أدنى فكرة عن طبيعة القتال فى أفغانستان، ولذلك لم يفهموا إحتياجات المجاهدين.
وناضلنا نحن فى المخابرات الباكستانية ضد قبول أسلحة كنا نعلم أنها غير مناسبة لحرب العصابات، ونجحنا فى واحدة فقط.
كان من يسمون بالخبراء العسكريين فى **CIA** يشعرون أننا يجب أن نكون شاكرين لكل سلاح نحصل عليه، وإن ناقشنا قيمته فى ميدان المعركة كانوا يسموننا إعتراضيون. لاشك أن رجال السياسه كانوا يفرضون رأيهم ،ولاشك أن هناك من أصبح ثريا بسبب هذه الصفقات، ولكن فى النهاية كان على مسئولية تزويد المجاهدين بأفضل الأسلحة والمعدات قدر إستطاعتى، فقد كانوا يدفعون حياتهم ثمناً للأخطاء فى تقدير إحتياجاتهم.
فى منتصف 1984 عرضت **CIA** علينا المدفع المضاد للطائرات من طراز أورليكان من عيار 20 مليمتر السويسرى التصميم، وطلبت أنا والفريق أختر تفاصيل إضافية عن خواص ذلك السلاح، التى بطريقة ما نسيت **CIA** أن ترسلها لنا فى البداية.
وبعد مناقشات كثيرة بيننا داخل المخابرات الباكستانية قررنا أن السلاح غير مناسب لأفغانستان وبين لهم أن السلاح وزنه 1200 رطل "حوالى 545 كيلوجرام " ولذلك فهو ثقيل جداً حيث يتعذر إستعماله، وكان سيتطلب حوالى 20بغلا لنقل مجموعة مكونه من ثلاث مدافع ، ولذلك كان سيثقل حركة المجاهدين.
وكان ملائماً أكثر للدفاع عن مواقع ثابتة، ولم يكن ممكنا للبغال أن تمشى على الطرق الجبلية المنحدرة لذلك فإن إستعمال السلاح سيكون محدوداً فى أماكن معينة مما يجعله عبئاً على المجاهدين أكثر منه فائدة لهم.
وكذلك أوضحنا لهم أن السبطانه طويلة جداً لايمكن تحميلها طولياً على ظهر فرس أو بغل، بل كان يجب أن توضع عرضياً على ظهره مما يحول دون دخولها الشعاب الضيقة حيث تشتبك فى الشجر والزروع. ثم إن لهذا السلاح معدل إطلاق عال جداً ولابد من إستعماله من مجموعات من ثلاثة مدافع، ومع عدم وجود سيطرة نارية لدى المجاهدين كان ذلك سيعنى إستهلاكا عالياً للذخيرة وكانت الذخيرة بخمسين دولار للطلقة الواحدة ومعدل الرمى ألف طلقة

فى الدقيقة.
لذاك ظننت أن الأمريكيين الذين يتنبهون عادة إلى التكاليف سيتوقفون. وأخيراً قلنا لهم أن هذا السلاح يتطلب تدريباً خاصاً لمدة طويلة، لكن ضرب إعتراضنا عرض الحائط، وقيل لنا أن الأسلحة قد تم شراؤها فعلاً، وقال لهم الفريق أختر أن هذه مشكلتهم هم وأن على الأسلحة أن تبقى فى الولايات المتحدة، ولكن الرد أنها الآن أصبحت مسأله سياسية حيث أن أحد أعضاء الكونجرس الذى يعتبر من أكبر مؤيدى المجاهدين كان مصمماً على أن تتم الصفقة، لذلك فإن إلغائها الآن سيسبب إحراجاً كثيراً. فيما بعد إستلمنا ما بين أربعين إلى خمسين مدفعاً وكان يجب توزيعها فى مجموعات من ثلاثة على شكل مثلث بجانب القواعد القريبة من الحدود.
وكان بعض القادة يحبون هذا السلاح للسمعة والمظاهر فقط ولم يكن مؤثراً جداً فى العمليات}
****
يشير العميد يوسف فى المقطع السابق إلى الفساد فى الإدارة الأمريكية سواء فى الإستخبارات CIA أوأعضاء الكونجرس، ويشير فى غير موضع إلى أن الفساد فى ذلك القطاع الأمريكى كان أكثر من الفساد المتواجد على الجانب الباكستانى، وهذه مسألة لاتعنينا كثيراً، فالفساد كان مؤكداً ورأينا مالا يحصى من آثاره. الأهم بالنسبة لنا كان الإفساد المتعمد الذى حول الجهاد إلى حرب بالوكالة، كما حول المجاهدين إلى مرتزقة.
ولنا أن نلاحظ حقيقة قديمة تقول بأن نوعية الأسلحة وكمية الذخائر تتحكم فى نوع العمليات العسكرية ومدى المعارك فى أية حرب. لقد بذل الأمريكيون جهدهم فى الإمساك بذلك الزمام رغم مايدعيه يوسف من مقاومة. وهى أمر مشكوك فيه بدليل الفكرة التالية وهى مكملة للمقطع السابق حيث يقول : {ثم كان هناك الهاون المصرى، كان هذا السلاح مداه أطول قليلاً من الهاون عيار 82 مليمتر الذى كان عندنا بكميات كبيرة، ولكن مداه أقصر من قاذفات الصواريخ، فلن يكن ذو قيمه لدينا. كان عندنا سلاح هاون جيد وكان عندنا قاذفات صواريخ وكان آخر شيء نحتاجه هو سلاح له عيار مختلف وله ذخيرة مختلفه، الأمر سيزيد الأمر تعقيداً، كما أن ذلك السلاح سيحتاج إلى تدريب مختلف، كالعادة وقعت كل إعتراضاتنا فى آذان صماء وإن كنت نجحت فى تأخيره حتى بعد خروجى من المخابرات الباكستانية}.
ما يقوله العقيد غير صحيح فقد شاهدت إستخداماً لذلك الهاون فى عام 1981 قرب مدينة جارديز ، عيار 105 مليمتر وكان المجاهدون يدعونه هاون مصرى وسط أى عيار متوسط . وبالتأكيد فقد أثبتت أفغانستان أهميه الهاون القصوى فى حرب الجبال، وكذلك عدم جدوى بل وضرر أن يستخدم المجاهدون عياراً أكبر من 82 مليمتر، لصعبه النقل وندرة الذخائر.
فكيف يفسر العقيد يوسف وجود الهاون المصرى المتوسط فى ذلك الوقت المبكر؟ ولم يكن قد تولى مهام منصبه بعد ، وللحقيقه فلم أشاهد ذلك الهاون مرة أخرى أبداً حتى نهاية الحرب ، لكنه كان موجوداً داخل أفغانستان ،وبلا ذخائر تقريباً، ولقد قرأت أن منظمة التحرير الفلسطينيه قد مرت بمأساه مشابهه مع نفس الهاون أثناء عملها فى الأردن قبل مجزرة سبتمبر 1970م، لكن الشئ الذى لم يتحدث عنه العميد يوسف فى كتابه هو تلك الذخائر المفخخة التى أودت بحياة مئات من المجاهدين العرب والأفغان، وهى ظاهرة تفشت بشكل وبائى بعد إنسحاب السوفييت فى فبراير 1989، وقد كانت موجوده قبلاً بشكل محدود، وسوف نتحدث عن تلك

الظاهرة فى حينها، حيث شكلت ظاهرة "إغتيالات متعمدة" للمجاهدين لترويعهم وإيقاف الحرب وفرض تسوية أمريكية وسوف يأتى الحديث عن ذلك فى حينه.
والذى لم يذكره أيضاً العميد يوسف هو تلك الكميات الضخمة من الأسلحة التى إستحوزت عليها باكستان لنفسها بشكل علنى، وهذا ما حدث على سبيل المثال لصفقة مدافع أرلكان حيث صادرها الجيش الباكستانى لنفسه، فلم نشاهد فى أفغانستان أكثر من ثمان مدافع على أكثر تقدير أثنان منها فى قاعدة جاور حيث وصلتها المدافع بعد معركتها الشهيرة، وأربعه مدافع تقريباً فى جاجى وقد وصلت أيضاً بعد معارك العرب هناك، ولم يسمع أحد على الإطلاق أن هناك طائرة شيوعية واحدة قد خدشت بواسطة هذه المدافع السويسرية التى إلتزمت بالحياد السويسرى الشهير طوال الحرب الأفغانية. وسوف نرى أن العقيد يوسف يعترف بإستيلاء باكستان على عدد من صواريخ ستنجر للدفاع عن حدودها مع أفغانستان ، وفى ظنى أن النسبة الأعظم من تلك الصواريخ قد إستحوزت عليها باكستان، لنفسها. لعل ذلك يفسر إصرار يوسف وأختر على مطالبه أمريكا بأفضل أسلحة.
ومن أورليكان ينتقل العميد إلى صاروخ بلوبايب البريطانى فيقول:
{ولعل أبرز مثال على طغيان السياسة والأمور المالية على التقييم العسكرى كان بخصوص السلاح الإنجليزى "بلوبايب" وهو صاروخ أرض جو كانت **CIA** تعلم جيداً أن أهم متطلباتنا هى سلاح مضاد للطائرات فعال ويمكن للمقاتل أن يحمله معه.
وفى منتصف عام 1985 عرضوا علينا بلوبايب ومرة أخرى إعترضنا على أسس علمية، بالرغم من أن بلوبايب يستطيع تدمير الطائرات المقبله حيث أنه لايحتاج الى تتبع الغازات الساخنه الخارجه من الخلف كمصدر للحرارة، إلا أن الرامى عليه أن يقوم واقفاً للإشتباك مع الهدف، قد يكون ذلك مقبولاً للحظات قليلة إذا كان السلاح من النوع المسمى "إطلقه ثم إنساه" وهذا يعنى أن الرامى يسدد ويرمى ثم يختبيء، بينما يقوم الصاروخ بالبحث عن الهدف من تلقاء نفسه، أما فى حالة البلوبايب فيجب أن يظل الرامى واقفاً ليسدد ويرمى ثم يوجه الصاروخ إلى الهدف بصرياً بإستعمال جهاز تحكم يدوى، كنا نعلم أنه كان مخيباً لأمل البريطانيين فى حرب فكلاند وأنه يعتبر قديم الطراز وأنه يجرى إستبداله بسلاح إسمه "جافلين" ،الذى له نظام توجيه أحسن بكثير. شرح لنا ضابط مدفعية بريطانية، أن السلاح فيه مشكله كبيرة، وهى أنه لايمكنه الإشتباك مع الطائرات التى تتحرك عرضياً بالنسبة للرامى، ولكن فقط يشتبك مع الطائرة المقبلة أو المدبرة، وكذلك لم يكن قابلاً للنقل على ظهر رجل لمسافة تذكر نظراً لشكله ووزنه الثقيل. كان له عيب آخر لهم وهو أن التدريب عليه يستغرق وقتاً طويلاً ولم نكن نريد أن نضيع وقتاً كبيراً للتدريب على سلاح بدأ إستبداله بسلاح آخر لأنه غير مؤثر فى ميدان المعركة. بجانب كل ذلك يجب أن يعود مشغل السلاح كل سته أشهر لإعادة تدريب على جهاز التدريب وهذا شئ مستحيل بالنسبه للمجاهدين.
وأعتقد أن **CIA** عقدت صفقه مع البريطانيين لشراء ذلك السلاح لأنهم أصروا على إرسال فريق منهم إلى باكستان حتى يعرضوا علينا كيف يعمل "البلو بايب" وكان العرض كارثه.
فبعيداً عن الضغط والإثارة والخوف الذى يرتبط بمعركة فعليه، حصل خبراء **CIA** على نتائج سيئة جداً رغم أنهم كانوا يسددون على شعلات تهبط ببطء بإستخدام مظلات.
ولكنهم أصروا مع ذلك أن نقبل السلاح، وقد أنجزوا ما أرادوا فيما بعد لأنهم تخطوا الفريق

أختر، ذهبوا مباشرة إلى الرئيس ضياء الحق الذى نظر إلى الموضوع نظرة سياسية وهى أن قبول السلاح البلوبايب سوف يجعل من بريطانيا مؤيداً مباشراً للجهاد وأن المجاهدين سيستفيدون من ذلك على المستوى الدولى، فإضطررنا إلى قبول عدة آلاف من هذه الصواريخ، مرة أخرى كان المجاهدون هم الخاسرون بينما كان آخرون يبعدون آلاف الأميال عنهم ويربحون الملايين}.

مرة أخرى يخفى عنا العميد يوسف شطراً من الحقيقه، فالمجاهدون لم يخسروا شيئاً لسبب بسيط هو أنهم لم يستلموا صاروخاً واحداً من تلك الآلاف التى يتحدث عنها، فكل ما شهدته أفغانستان هى تلك الإثنى عشر صاروخاً التى أطلقها رجال العميد يوسف فى سماء جاور ولم تحدث خدشا واحداً فى أى طائرة سوفيتية، وكما رأينا سابقاً فقد أصيب عدد من رجال العميد كما قتل عدد من المجاهدين نتيجة ردة فعل الطيران السوفيتى.

وبعد ذلك أسدل الستار نهائياً على "بلوبايب" فأين ذهبت تلك آلالاف من الصواريخ؟؟. فى مخازن الجيش الباكستانى بلا شك، وربما أعادت الإستخبارات الباكستانية بيعها فى السوق السوداء الدولية للسلاح. ونستطيع التأكيد بأن النسبه الكبيرة من الأسلحة التى وصلت إلى باكستان بأسم المجاهدين لم تصل إليهم مطلقاً، فهى إما صودرت بشكل مباشر لصالح الجيش الباكستانى، أو أعيد توجيهها إلى مسالك أخرى كما رأينا فى صفقات السلاح التى تحولت إلى إيران للحصول على ثمنها لتمويل حركة الكونترا فى نيكاراجوا بأمريكا الجنوبية، أو أنها سرقت وبيعت لمصلحة ضباط باكستانيين فى الإستخبارات أو الجيش بالتعاون غالباً مع كبار المسئولين فى الأحزاب الأفغانية.

أما ضياء الحق فلم يكف عن ترديد الأكاذيب على قادة مخابراته. وهؤلاء إما تظاهروا بالغباء أو أنهم يعانون من الأمية السياسية عندما يصدقون مثل تلك الترهات.

فضياء الحق يصور صفقة "بلوبايب" على أنها رشوة لبريطانيا العظمى حتى تؤيد" الجهـ ـاد الأفغانى" سياسياً. ولابد أن يكون المستمع مجنوناً حتى يصدق ذلك، أو أن يكون موظفاً لدى الرئيس ضياء فلا يجرؤ على الكلام.

فمن المعلوم أن بريطانيا العظمى تحولت بعد الحرب العالمية الثانية وتحديداً بعد حرب السويس إلى مجرد "ذيل سياسى" للولايات المتحدة. وفى عهد رئيسة الوزراء "مارجيت تاتشر" التى كانت تحكم بريطانيا وقتها، شهدت علاقات بريطانيا مع الولايات المتحدة ما هو أكثر من التبعية، فقد كانت تاتشر أمريكية أكثر من "ريجان" الرئيس الأمريكى.

فالتأييد البريطانى المطلق للسياسة الأمريكية فى أفغانستان قد بدأ منذ اللحظة الأولى حتى اللحظة الأخيرة، فلم يكن هناك إذن أى ضرورة لإستخدام الرشوة لشراء تأييد سياسى مؤقت. ولكن يمكننا أن نصدق أن تاتشر قد تفرح بهدية صغيرة من "ريجان" تتمثل فى صفقه أسلحة، خاصة ذلك الصاروخ الذى كلف الخزينة البريطانية غالياً، بينما يعتبر صاروخاً عديم الجدوى. وتخليص بريطانياً من عدة آلاف من تلك السلعة البائرة يعتبر هدية " مبهجة"، وريجان يشعر بالسعادة بلا شك إذا أدخل السرور على قلب شريكته فى السياسة الدولية مارجريت تاتشر خاصة إذا كانت الهدية لن تكلف الميزانية الأمريكية فلساً واحداً، فقد دفعت التكلفه بالكامل من الخزينة السعودية الصديقة. ومن متابعة حقيقة للعلاقات الأمريكية السعودية، خاصة خلال حرب أفغانستان، يصعب أن نتخيل أن الولايات المتحدة قد تكلفت سنتاً واحداً

فى تلك الحرب، رغم إدعاء العميد يوسف أن الحرب تكلفت على جانب المجاهدين ثلاثة مليارات من الدولارات دفعت مناصفة بين الحكومة الأمريكية والسعودية، إضافة إلى عدة ملايين دفعها أثرياء عرب معظمهم من السعودية. والشئ الأرجح إلى درجه اليقين هو أن نفقات الحرب كلها قد دفعتها الحكومه السعودية.بينما الأموال التى خرجت رسمياً من الخزينة الأمريكية قد تحول مسارها فى الطريق إلى مغامرات سرية أخرى قامت بها المخابرات الأمريكية **CIA** فى أماكن أخرى من العالم. وما قامت به أمريكا بعد حرب تحرير الكويت بأن أرغمت السعوية ودول الخليج الأخرى على دفع تكلفة تلك الحملة العسكرية مضاعفة، لشاهد على نوع العلاقة السياسية والمالية التى تربط الطرفين. فالخزينة السعودية لم تكن إلا فرعاً رئيسيا للخزينة الأمريكية أو خزينه**CIA** بوجه خاص، فى مشاريعها السياسية والإستخباراية فى العالم أجمع، "وميزة" الخزينة السعودية أنها لاتخضع لمساءلة الكونجرس الأمريكى، ولا يمكن أن تسبب حرجاً سياسياً للرئيس الأمريكى وجهاز إستخباراته، وبالطبع فإن الملك السعودى يتمتع فى بلاده بمنزلة ،من لايسأل عما يفعل وهم يسألون.

****

ستنجر فى الميدان

يحكى العميد يوسف قصة الإستخدامات الأولى لصاروخ ستنجر، التجربة الأولى كانت فى جلال آباد بتاريخ 86/9/25، فقد أرسل يوسف "مجاهدين" أفغان بعد إتمام تدريبهم، فكانوا 35 رجلاً ومعهم ثلاث صواريخ ستنجر، أصاب إثنان منها طائرتى هيلوكبتر كانتا على وشك الهبوط فوق مدرج المطار، أما الصاروخ الثالث فقد سقط أمام الرامى بعدة أمتار. المصور المرافق للمجموعة تمالك أعصابه بصعوبة وتمكن من تصوير الدخان المتصاعد من حطام الطائرات. وفيما بعد عرض ذلك الفيلم على الرئيس ريجان، وسلمت السبطانة التى أطلق منها أول صاروخ إلى **CIA** ليحولوها إلى قطعة عرض مناسبة.

تلك أذن إصابتان من ثلاثة فى جلال آباد فى أول عرض فى تاريخ صواريخ ستنجر منذ تصنيعها، لقد دخل الكومندان غفار، قائد المجموعة ، تاريخ الحرب الأفغانية من بوابة تكنولوجية واسعة.

أما زميله درويش قرب كابل فقد كان تعيس الحظ .(فبعد بضع أيام من إنتظار هدف مناسب بدون جدوى تغلب شعوره بالإحباط وأطلق صاروخاً على طائرة نفاثة تطير بسرعة عالية فى أقصى مدى السلاح تبتعد عن الرامى، أخطأ الصاروخ الهدف كما أخطأ صاروخان آخران أطلقا بعده).

كانت تلك التجربة الأولى حول كابل والثانية على نطاق أفغانستان نتيجتها صفر من ثلاثة.

فالموجة الأولى من الصواريخ، ضد كابل وجلال آباد ، ومجموعها ست صواريخ قد أصابت هدفين فقط، أي بنسبة نجاح مقداها 33% وقد إهتمت الدعاية الأمريكية بنسبة الإصابة وبالغت كثيراً فيها كما سنرى.

قام بعمليات الموجة الأولى قائدان من حزب حكمتيار، والموجة الثانية قام بها قادة من حزب يونس خالص وهو القائد محمود من جلال آباد والقائد أرسلان من كابل ، يقول العميد يوسف: (وقد تأكدت ثقتنا فيهم فيما بعد عندما نجح كلاهما فى إصابة أهداف بإستعمال ستنجر).

ولم يوضح العميد عدد هذه الأهداف أو نسبة النجاح، ويشير ذلك إلى أنها منخفضة فآثر

الصمت عنها. وسوف نرى من الأحداث التى توافرت عنها "تأكيدات" كم كانت نسبة الإصابة بذلك الصاروخ متدنية جداً إذا قيست بالمبالغات الأمريكية الدعائية.

ويعبر العميد عن تبرمه من حالة الإنفلات الأمنى لدى الأفغان وهى ظاهرة طبيعية جداً فى ذلك المجتمع، خاصة إذا صاحبها نوع من المباهاة وإستعراض البطولة الفردية فيقول العميد يوسف :{ولكن نجاحات محمود غطت عليها تصرفاته غير المسئولة بعدها، كان عدم تعقله مساوياً لإعلان العالم كله أن صواريخ ستنجر تستخدم الآن فى أفغانستان ضد السوفييت، ذلك بعد أن حقق إصابته الأولى قريباً من سد سروبى، فأعطى مقابلة مكلفة وفاضحة لأحد الصحفيين حيث أعطاه معلومات سرية جداً بما فيها الموقع العام لمعسكر التدريب وتفاصيل سياستنا بمكافأة كل إصابه مؤكدة بإعطاء القادة صاروخين إضافين، بل وصل محمود إلى حد أن سمح للصحفي أن يلتقط صورة لمجاهد يحمل صاروخاً}.

هناك عمليه أخرى لم يذكرها العميد حدثت فى إبريل 1987، فى منطقة أورجون، وفيها كمن جلال الدين حقانى ورجاله "لقافلة" من طائرات الهيلوكبتر تحضر بشكل منظم إلى المدينة، التى كانت هادئه جداً منذ معارك 1983 الطاحنة. وقد حضرت ثلاث طائرات على مسـ ـافة قريبة جداً، أقل من عشرة أمتار ،فوق الكمين، ففتحوا عليها نيران جميع الأسلحة، وأطـ لقوا صاروخ ستنجر كان يحمله واحد من أشهر قادة حقانى هو "إسماعيل التركسـ ـتانى" لكن الطائرات بادلتهم إطلاق النار وتمكنت من الفرار بدون أن تصاب "!!".

وهذه حادثه مؤكدة نسبة النجاح فيها صفر، ونقل إلينا مجاهدى حقانى أن صاروخ ستنجر قد إستخدم أثناء معارك سناكى فى الشتاء "86 ـ 87" ولكنه لم يحقق إصابات.

ومع ذلك يقول العقيد: { ومن المعلومات التى جمعناها أثناء عمليات المجاهدين الفعلية كان معدل الإصابة هو 70 إلى 75 بالمائة" وأرجعت هذه النتائج الممتازة إلى مستوى التدريب العالى و تصميم المتدربين على النجاح، وحب المجاهدين الطبيعى للأسلحة، والأساليب المغامرة التى إستعملناها ضد الطيران بصاروخ ستنجر، وعلى النقيض كانت الوحدات الحدودية قد زودت بعدد من صواريخ ستنجر للرد على حالات كثيرة من خرق المجال الجوي الباكستانى، وحسب علمى فقد أطلق الجيش الباكستانى 28 صاروخاً ضد الطيران المعادى بدون إسقاط طائرة واحدة}.

□ إن العميد لاشك يبالغ فى إنجازات المجاهدين كى يبالغ فى دورة الشخصى ودور جهاز التجسس **ISI ومن** أجل ذلك وقع فى التناقض. ففى فقرة سابقه قال بأن المدربين الباكستانيين قد حققوا نسبة إصابة ، أثناء التدريب طبعاً ، بلغت95% بينما حقق الجيش الأمريكى 60% ـ 65% من الإصابات فى ظروف غير عادية،وإعتبر الأمريكيون تلك النسبة مقبولة .

كيف يستطيع العميد يوسف أن يقنع القارئ بأن الضابط الباكستانى المحترف والخبير قد حقق 95%من نسبة الإصابات أثناء التمرين ولكنه فشل تماماً فى تحقيق أية أصابه من مجموع 128 صاروخاً ؟؟. بينما المتدربون الأفغان قد حققوا نسبة 70% أثناء العمليات الفعليه !!.

نقول للعميد يوسف، أن نسبة الإصابات الفعلية التى حققها المجاهدون الأفغان فى العمليات بصواريخ ستنجر، طبقاً للمشاهدات العملية ، لا يمكن أن تتعدى نسبه 20% بأى حال. ذلك لايمنع أن بعض الرماة المشهورين فى أفغانستان قد حققوا نسبة إصابة أعلى من ذلك

بكثير ، ولكنهم قلة معروفة على نطاق أفغانستان كلها، وعدد الصواريخ التى أطلقوها هو عدد قليل بالنسبة لعدد الصواريخ الإجمالى الذى دخل أفغانستان. كما أن عدد صواريخ ستنجر الذى دخل أفغانستان فعلياً لايقارن بعدد تلك الصواريخ التى إحتجزتها باكستان لنفسها.

ولعلنا نلاحظ ما قاله العميد بأن قوات باكستان على الحدود أطلقت 128 صاروخاً ولنا أن نلاحظ أنه فى ذلك الوقت لم يكن قد أطلق من تلك الصواريخ فى كل أفغانستان عشرون صاروخاً أو أقل. ويقول العميد يوسف أيضاً:

{ كان إتفاقنا مع الأمريكيين هو أن يزودونا كل سنة بـ 250 جهازاً إطلاق مع 1000 إلى 1200 صاروخ }.

لايمكن أن نتخيل أو نصدق ، طبقاً للمعايشة الميدانية ، أن مثل هذاالعدد من الصواريخ (1000 ـ 1200) قد إستخدم فى كل أفغانستان طوال مدة الحرب التى مضت منذ دخول ذلك الصاروخ إلى الخدمة الفعلية "فى **86/9/25**"إلى يوم سقوط النظام الشيوعى فى كابول "فى **92/4/26** ".

يروى العميد ، بشئ من التشفى التقليدى بين أجهزة الدولة المتنافسة،يروى عن فشل الجيش الباكستانى فى تحقيق نتائج باهرة كتلك التى حققها العميد يوسف بواسطة تلامذته من قادة المجاهدين فيقول:{ فى أوائل 1987 زعم الجيش الباكستانى أنه أسقط طائرة بصاروخ ستنجر، وسبب ذلك إثارة عظيمة، كان قائد الفيلق فى بشاور، اللواء أسلم بيك ، رئيس أركان الجيش الباكستانى الآن و اللواء الوحيد الذى لم يركب طائرة الرئيس فى "بهاول بور" فى أغسطس 1988 ،يريد أن يقطع إجتماعاً ليخبر رئيس الوزراء بنفسه.

فى ذلك الوقت كنت فى بشاور طلبت من حكمتيار أن يتحرى الوضوع حيث كان المفروض أن الطائرة سقطت فى منطقته ، وكان حكمتيار على إتصال بقاعدته بواسطة الراديو، فأخبرونى بعدها بدقائق أن الطائرة لم تسقط هناك.وفى مساء ذلك اليوم تلقيت مكالمة عن الفريق أختر الذى كان يريد منى أن أرتب إعادة الحطام إلى باكستان، وذهل عندما أخبرته أنه لم تكن هناك طائرة ، وأصر أن أرسل ضابط إلى هناك ليتأكد بنفسه. وفعلت ذلك وأكد الضابط ما قلناه، الأمر الذى أحرج الجيش الباكستانى جداً، وكانوا يريدون أن يثبتوا زعمهم بإرسال ضابط إلى المجاهدين ليحضر قطع من حطام طائرة أخرى كدليل على أنجازهم، لكن لحسن الحظ تغلب التفكير الراجح فى النهاية. أرسلت الولايات المتحدة فريقاً خاصاً ليعرف لماذا لم يستطيع الجيش الباكستانى تحقيق نتائج بصاروخ ستنجر، ورفض كبار ضباط الجيش أن يقبلو النتائج التى حققها المجاهدون، قالوا إنها دعاية فقط، وعندما أصر الرئيس والفريق أختر على أنها نتائج حقيقية ، زعموا أنهم أعطوا صواريخ من طراز قديم لاقيمة لها}.

تحت وطأة الخيانة الباكستانية للمجاهدين العرب، وتواطؤها ضدهم ومطاردتهم بأوامر إسرائيل، فلسنا فى حالة مناسبة للدفاع عن أى من أجهزة الدولة الباكستانية، بما فيها الجيش، ولكن للحقيقة نقول أن الجيش الباكستانى قد أصاب فعلاً طائرة شيوعية بواسطة صاروخ ستنجر ، وقد كنا بغير قصد ، شهوداً على الحادث فيما يبدو، هذا ما سجلته فى مفكرتى:

الخميس 87/4/16 منطقة بارى ـ خوست.

(صلينا الفجر فى مسجد المركز، وطلبت تأجيل الرحلة إلى بعد الظهر حتى أنال قسطاً من النوم فقد كنت مرهقاً. وصلت طائرات العدو النفاثه قبل السابعة بقليل ، خرج عبده "عبدالرحمن" مع

أبو سهل للمشاهدة ، وكنا نستريح داخل المغارة، وفجأة صاحا مكبرين، لقد أسقطت طائرة بصاروخ، قمت من نومى مسرعاً ونظرت إلى السماء وشاهدت دخان أبيض كثيف فى السماء والجميع يكبرون، كانت الطائرة قد إختفت خلف الجبال فى إتجاه مدينه خوست، ولم نرى تحديداً ماذا حدث لها.
ولكننا خمّنا أنها سقطت، فلم يكن لدينا شك فى ذلك رغم أننا لم نشاهد عملية السقوط نفسها ، كما خمنا أن ذلك الصاروخ قد أطلقه أحد المجاهدين من فوق جبل "منان" وهم جماعة البدو الشهيرين فى المنطقة، ثم جاء مجاهد وأخبرنا أن الصاروخ إنما أطلق من جانب باكستان وهذا محتمل أيضاً ، بعد قليل وصلت **8** طائرات شيوعية إلى سماء المنطقه، طائرتان منها أخترقا الحدود عميقاً داخل باكستان ولم نشاهدها تعود مرة أخرى، أحد المجاهدين قال أنها ربما فرت إلى هناك وهبطت في أحد مطارات باكستان كما حدث فى مرات عديدة سابقة. فى اليوم التالى سمعنا فى الراديو أن باكستان قد إسقطت طائرة نفاثة، وأعتقد أن المجاهد كان على صواب).
لهذا أرجح أن ما قاله اللواء "أسلم بيك" كان صحيحاً وإن كان لايمتلك دليلاً مادياً على ذلك لكون الطائرة إما سقطت فى مكان بعيد لايستطيع الحصول منه على جزء من حطامها، أوأنها تمكنت من الهبوط فى مطار بعيد ، ليس خوست لأننا لم نسمع عن ذلك وقتها ، ويبقى الإحتمال الأكبر أنها سقطت لأن خط الدخان الأبيض الكثيف الذى سحبته خلفها يشير إلى ذلك.
من كتاب العميد يوسف يتضح أنه لا يشعر بالود تجاه اللواء أسلم بيك بل يوجه إليه إتهامات مبطنة، عن تورطه فى إغتيال ضياء الحق.
والعميد يوسف كان مهتماً بإثبات فشل الجيش الباكستانى عامة واللوء أسلم بيك خاصة، فى مجال حرفية العمل العسكرى بالمقارنة مع جهاز إستخبارات**ISI** الذى يعمل فيه. لقد بذل حكمتيار تأييده المباشر لسيده المباشر "العميد يوسف" فنفى سقوط الطائرة، رغم أن دخانها الأبيض كان ينسحب من فوق مركزه فى قاعدة "جهاد وال" التى كانت إلى جوارنا بمسافة ليست كبيرة، ورغم أن حكمتيار ينسب إلى نفسه كل عمل يقوم به المجاهدون فى أفغانستان، من أى جهة كانوا، وكان من المتوقع أن يصدر حكمتيار بياناً ينسب فيه إلى نفسه "وجماعته" عمليه إسقاط الطائرة، ولكنه فضل الصمت طبقاً لأوامر العميد ، ولكنه عوض عن ذلك بطريقة مضحكة أوقعته فى مأزق حرج مع باكستان، ولنقرأ القصة فى كتاب العميد يوسف حيث يقول: { وفى أوائل عام 1987 بلغنى أن طائرة من طراز **F16** من سلاح الجو الباكستانى قد أسقطت بالقرب من ميرانشاه وأن الحطام وقع داخل أفغانستان، وزعم التقرير أن الذى أسقط الطائرة هو صاروخ ستنجر أطلقه المجاهدون، وكانت هناك مشاجرات كبيرة بسبب الحادث إنقلب الجميع ضد المخابرات بصيحات مثل :
ألم نقل لكم، كان يجب ألا يحصل المجاهدون على تلك الأسلحة، إنهم لم يدربوا جيداً، إنهم لايستطيعون أن يفرقوا بين طائرة سوفيتية وطائرة باكستانية، وكنت أشك فى الأمر منذ البداية، حيث أنه لم يكن هناك فريق لإطلاق ستنجر فى تلك المنطقة، ولكن يمر خلالها.
وأخبرت الفريق أختر ذلك لكن الشائعات زادت، بما فيها من يقول أن الصاروخ أطلق من داخل باكستان. إستمر الهلع لمدة 24 ساعة، حتى بينت التحريات أن الذى أسقط الطائرة هى طائرة باكستانية أخرى، وكان هناك حرج شديد عندما تبين أن سلاح الجو الباكستانى وليس

المجاهدين هو الذى كان فى حاجة لمراجعة قدرته على تمييز الطائرات}.
لم يشر العميد يوسف إلى أن المتهم الأول فى ذلك الحادث كان حكمتيار، الرجل الأول للإستخبارات الباكستانية فى أفغانستان.والفتى المدلل لكل العهود فى باكستان، والإكتشاف المبهر لعائله بوتو.
ومرة أخرى كنت شاهد عيان للقضية المؤرخة فى مذكرتى فى يوم الأربعاء "الأول من رمضان 1407هـ ـ الموافق 87/4/26 "وفيه : { تناولنا سحورنا الأول لهذا الشهر المكون من شاى وخبز وبعض الدوغ ، "الماء المتبقى فى الحليب بعد تخثره" ، ثم صلينا الفجر بقينا فى المسجد حتى شروق الشمس، ثم دخلنا للنوم فى المغارة.
إستيقظنا عند إرتفاع الشمس بسبب أصوات الطائرات التى من كثرتها توقعنا أنها سوف تهاجم المركز، خرج كل من فى المركز لمراقبة حركة الطائرات، لم أجد العرض مثيراً فدخلت إلى المغارة محاولاً النوم مرة أخرى. ولكن أخرجتنى الصيحات بأن طائرات قد أصيبت وهى تهوى محترقة، خرجت بسرعة كبيرة كى أشاهد المنظر، فإذا طائرة داكنة اللون خلفها شريط طويل من الدخان الأسود، وهى تدور على شكل قوس حاد فوق جبال "جهادوال" التى يشغلها حزب حكمتيار، وهى تصدر ذلك العواء التقليدى للطائرة وهى تهوى إلى الأرض، وكالعادة هتف الجميع مكبرين، وهتفت معهم، وقد سألت الجميع بعدها، هل سبق لأحدهم أن شاهد فى أفغانستان تلك الطائرات كبيرة الحجم ذات اللون الداكن؟.
لقد كان اللون والشكل غريبان علينا، ولكن رغبتنا الجامحة لأن تكون تلك الطائرات شيوعية جعلتنا نتعلل بأنها نوع جديد من الطائرات. لقد أصيبت تلك الطائرة فى نفس المكان تقريباً الذى أصيبت فيه الطائرة الماضية منذ عشرة أيام وما هى إلا دقائق حتى شاع الخبر بأن جماعة حكمتيار من فوق جبلهم فى معسكر "جهاد وال" قد أسقطوا طائرة شيوعية بواسطة صاروخ ستنجر، وعبر جهاز اللاسلكى وصل الخبر إلى مقر قيادة حكمتيار فى بشاور، وفى ثوان وصل الخبر إلى وسائل الأعلام، فقد كان حزب حكمتيار هو الأكثر تمرساً بالإحتكاك السريع مع الإعلام الباكستانى والدولى : تناقل المجاهدون الخبر بسرعة بين المراكز .
وقرب العصر تحركنا صوب ميرانشاه وطوال الطريق نسمع نفس الخبر يتكرر حتى تمنيت وقتها لو كانت تلك الطائرة التى سقطت هى طائرة باكستانية، وقلت لأصحابى فى السيارة أن ذلك لو حدث فلن تتفاهم باكستان مع حكمتيار سوى بلغة "الحذاء".
قرب الحدود كان آخر مركز للمجاهدين يدعى مركز "ميش" ويشغله مجاهدون من وزيرستان حيث أخبرونا أن الطائرة التى سقطت باكستانية وأن إثنان من الطيارين قد قفزا منها بالمظلات على مسافة ليست بعيدة عن المعسكر فى أتجاه خوست، فضحكت بشماتة وأنا أتصور الورطة التى أوقع فيها "الحزب الإسلامى" نفسه فيها.
فى اليوم التالى :**الخميس الثانى من رمضان 1407 ـ 30 ابريل 1987**
قابلنا الضابط :عمر فى ميرانشاه وأكد لنا خبر الطائرة الباكستانية والطياران اللذان هبطا بالمظلات. وقال لنا بأن مسئولين كبار من الباكستان قد ذهبوا إلى موضع الحطام لأخذ الأجزاء الهامة ونقلها إلى باكستان}
****

ستنجر : هروب وإغتيال

مع مقارنة أعداد صواريخ ستنجر التى طلبتها باكستان للمجاهدين، وتلك الأعداد المتوقع أنها إستخدمت فعلاً، فالنتيجة المنطقيه هى أن معظم تلك الصواريخ الأمريكية، قد إحتجزتها باكستان لنفسها، أى عدة آلاف من صواريخ ستنجر. وقبلها كانت قد إحتجزت عدة آلاف من صواريخ "بلوبايب" البريطانية بدعوى أنها غير فعالة، بعد أن أستخدموها فى معركة جاور بلا نتيجة. تلك الآلاف من صواريخ الكتف المضادة ماهو مصيرها؟. وهل يبقيها الجيش الباكستانى فى مخازنه لسنوات طويلة، خاصة وأنها زائدة عن إحتياجاته الدفاعية ؟ أم أنه سوف يطرحها فى السوق السوداء ، بما عرف من فساد تقليدي عميق فى شتى نواحى الحياة العامة والمؤسسات فى باكستان؟.

وهل تصل تلك الآلاف المؤلفه الى دول صديقه؟.. أم معاديه ـ لأمريكا طبعاً؟.. أم إلى منظمات إرهابيه ؟.. أم لأعلى سعر فى السوق السوداء بغض النظر عن نوع المشترى وذلك هو قانون السوق السوداء؟.

فى الفصل الحادى عشر من كتابه يروى العميد قصه إستيلاء السوفييت على عدد من صواريخ ستنجر، وإستيلاء إيران على عدد آخر.

وهناك قصص أخرى كثيرة عن مجاهدين باعوا تلك الصواريخ لحكومة كابل، ولكن العميد إما لم يعاصرها أو أنه فضل أن يتجاهلها وفضل أن يسجل تلك الأرقام المشرفة لعمله فيقول: (فى فترة العشر شهور من أول إطلاق إلى الوقت الذى تركت فيه الخدمة فى المخابرات فى أغسطس 1987. كان 187 صاروخ ستنجر قد إستعمل فى أفغانستان من هذه الصواريخ أصاب 75 بالمئة هدفهم).

ونعود إلى أول حوادث "هروب" صاروخ ستنجر، ويرويها العميد بقوله: { بالرغم من تأكيدنا المتواصل على الأمن وعلى ضرورة عدم وقوع صواريخ ستنجر فى أيدى العدو، وقع الأمر المحتوم، وفقدنا صاروخ ستنجر مرتين، المرة الأولى للسوفييت ثم إلى إيران.

كنا قد دبرنا فريقاً ليعمل فى منطقة قندهار تحت قيادة "ملا ملانج" " الجزار"الذى كان سيئ السمعة. وفى طريقه عائداً إلى قاعدتة ومعه خمسة صواريخ ستنجر وقع فى كمين نصبته له القوات الخاصة السوفيتية "سبتزناز"، وبالرغم من أننى أعطيته توجيها بنفسى عن كيفيه التحرك التكتيكى والبقاء منتبهاً فقد خرق كل قواعد الأمن، كان قد وضع جهازين للإطلاق مع أربع صواريخ مع مجموعة متقدمه، بينما تبعها هو مع بقية القوة ومعه الصاروخ المتبقى.

كانت المجموعة المتقدمة قد توقفت وفاجأتهم القوات الخاصة وهم نائمون، فهبطوا إليهم بالطائرة العمودية ونزل الجنود من الطائرات وقتلوا وأسروا كل المجموعة ماعدا مجاهداً واحداً هرب. لابد أن السوفييت قد حصلوا على مكافأة جيدة عندما عادوا ومعهم تلك الغنيمة الثمينه، وترددت لشهور فى نشر صواريخ ستنجر فى الولايات المتاخمة لإيران، لأنه كان هناك إحتمال أن تباع بعض الصواريخ أو أن تعطى للإيرانيين، ولكن بعد أن علمنا أن السوفييت قد حصلوا على بعض صواريخ ستنجر فقررت أن أغامر بنشر الصواريخ فى تلك المناطق، وأدخلت السلاح فى هيرات وشندند ومناطق أخرى مناسبة وقريبة من الحدود الإيرانيه، كان تورن "عقيد" إسماعيل من هيرات هو أول قائد من هذه المنطقه حصل على صواريخ ستنجر عن طريق نائبة العقيد السابق علاء الدين الذى جاء إلى باكستان للتدريب

وأخذ الصواريخ معه، بعدها إخترنا قائداً أقل أهمية من حزب يونس خالص، وبعد التدريب أعطيناه شاحنتين، جديدتين و أرسلنا معه حراسة حتى الحدود، حيث أعطى وصفاً تفصيلياً للطريق الذى يجب أن يسلكه إلى ولاية هلمند، قيل له ألا يذهب داخل إيران تحت أى ظرف، وبدون عذر رجع هذا القائد إلى كويتا بعد رحلة قصيرة داخل أفغانستان بحجه جلب مزيد من الأسلحة تاركاً القافلة لتكمل الطريق بدونه. وواجهوا صعوبة فى عبور نهر هلمند فإنحرفوا عن الطريق المحدد لهم ،إما بقصد أو بدون قصد ، وإنتهى الأمر بأن قبضت عليهم قوات حرس الحدود الإيرانية " الباسداران" داخل إيران، وكان معهم أربع أجهزة إطلاق مع 16 صاروخاً.

وفشلت محاولات متكررة من يونس خالص وربانى اللذان كانت لهما إتصالات جيده مع الإيرانيين فى إعادة الصواريخ ولكن كانوا يؤجلون إعادتها بحجة ثم أخرى، وإلى هذا اليوم لم نرى هذه الصواريخ مرة أخرى.

ولا أدرى إن كان معروفاً أن إيران حصلت على هذه الأسلحة عام 1987، كل ما أستطيع أن أدعو ألا تقع هذه الصواريخ فى أيدى منظمة إرهابية، وبالطبع كانت هذه هى آخر مرة حصل فيها يونس خالص على صواريخ ستنجر أثناء مدة خدمتى}.

لقد إستجاب ا لدعاء العميد لم تقع تلك الصواريخ من يومها حتى الآن (1995) فى أيدى "منظمات إرهابية".

وكان ذلك الإصطلاح الرنان يطلق وقتها على منظمات المقاومة الفلسطينيه التابعة لمنظمة التحرير ، أما وقد تحولت تلك المنظمة وزعيمها عرفات إلى قوات أمن تابعة لأسرائيل ومخصصة لإستئصال بقايا الإسلام فى أراضى فلسطين المحتلة، وتحول العداء اليهودى الأمريكى إلى الشباب العربى الذى قاتل فى أفغانستان، ونعته بالإرهاب، ونعت المنظمات الجهادية فى العالم العربى والإسلامى بنعت منظمات إرهابية على إعتبار التعريف اليهودى "للجهاد" بأنه إرهاب، وعليه فإن " المنظمات الإرهابية" أى المجاهدون المسلمون،لم يحصلوا ولم يستخدموا تلك الصواريخ حتى الآن رغم مرور أكثر من ثلاث سنوات على إنهيار النظام الشيوعى فى كابول . وكما ذكرنا قبلاً فإن الولايات المتحدة بالتعاون مع باكستان ومنظمات الأمم المتحدة قد قاموا جميعاً بحملة واسعة لجمع ماتبقى من صواريخ ستنجر من أيدى الأفغان بحجه صيانتها من من الوقوع فى أيدى إرهابيين إسلاميين. وهذه الضجة كما قلنا دعائية ونفسية أكثر منها عملية واقعية ـ لقد قدم العميد لفصله الممتع عن ستنجر ، رقمه الحادى عشر ، بمقوله لنقيب بريطانى ومدرس لحرب العصابات ويدعى "توم وينتر بنهجام" قالها عام 1932 وفيها :إن الطائرات مؤثرة ضد المعنويات أكثر شيء، فهى تخيف وتتعب وتحطم الأعصاب وفى الواقع فهى لاتقتل عادة رجال كثيرون.

نعارضه بمقوله مشابهه فنقول: (إن صواريخ ستنجر مؤثرة على معنويات الطيارين أكثر شيء فهى تخيفهم وتحطم أعصابهم وفى الواقع فهى لاتسقط عادة طائرات كثيرة).

****

تعليق: إنتهت الحرب الأفغانيه ، وحاولت المخابرات الباكستانيه **ISI** تجميع صواريخ ستنجر بالشراء ، ودفعوا مليونى روبيه باكستانيه لقاء الصاروخ الواحد .وكان لدى القائد محمود فى جلال آباد والذى ذكره العقيد يوسف، عشرة صواريخ رفض بيعها ، فرفعوا له السعر أضعافا مضاعفة لكنه رفض تسليمها فهددوه بأنهم قادرون على تحطيمه حتى فى أفغانستان ، فقابلهم بتهديد مضاد بأنه يعرف كيف يحطم مصالحهم فى محافظة ننجرهار إذا شعر منهم بأى

خطر ، فسكتوا عنه. ولكن القائد محمود أغتيل ، وبرفقته القائد سازنور، فى خريف عام 1996 وكانا فى طريقهما إلى بوابة الحدود فى تورخم ، فى كمين نصبه لهم فريق أفغانى معادى لهم ، وتبين أن باكستان كانت وراء الكمين بأوامر أمريكيه طبعا ، ولم يكن السبب الأوحد هو حيازة صواريخ ستنجر
بل السبب الأهم هو أن محمود وسازنور ومعهما قائد ثالث ، فى جلال آباد هو فضل الحق مجاهد ، وجميعهم وضعوا أسامه بن لادن تحت حمايتهم فى جلال آباد ،
وقد أغتيل زميلهم الثالث فضل الحق فى بشاور وهو خارج من الصلاة فى المسجد .
وكالعادة ...الفاعل مجهول .. ولكن الجميع يعرفونه !! .
****

أفغانستان فى السياسة(عام 1987)

نعود مرة أخرى إلى بداية عام 1987، لنرى الوجه السياسى الذى أطل به ذلك العام بالنسبة للقضية الأفغانية.

وسوف نطالع تلك الملامح السياسية من خلال تقرير أرسلته من أسلام أباد، حيث كنت أسكن وقتها ، إلى أبوظبى حيث مجموعتنا المتواضعة التى تعيش هناك، وترى معى أفغانستان برؤية ليست شائعة ولامستحبة من باقى المتعاطفين مع الأفغان.

وسوف نرى بعض التنبؤات التى صحت بشكل مذهل ، ربما لم يخطر فى ذهنى وقتها أنه سيتم بذلك الشكل ، مثل المخاطر التى سوف يتعرض لها الإتحاد السوفيتى فى حال إنسحاب الجيش الأحمر من أفغانستان.

وهناك أشياء أخرى لم تتحقق رغم ظهور دلائل خادعة منها مثل تحسن مستوى الأداء العسكرى، وزيادة التقارب بين الأحزاب الأفغانية أو المساعدة الغربية "الأمريكية" للمجاهدين من أجل رفع مستوى التسليح والتنظيم والعمليات، كان ذلك يتردد وقتها فى بدايات ذلك العام ولكن لم يتحقق منه شيء تقريباً.

وهذه هى الصورة كما سجلتها فى فبراير 1987. من إسلام آباد.
****

بسم ا الرحمن الرحيم

نحمده ونستعينه نستغفره ونتوب إليه ونصلى ونسلم على رسوله الكريم.

الوضع الحالى فى أفغانستان:

التسوية من جانب روسيا: الحديث عن إنسحاب للقوات وليس تسوية، البرنامج هو:
"حكومة وحدة وطنيه " تحت قيادة "برشام" تضم ملكيين ـ علمانيين ـ وطنيين ـ ممثلين عن المجاهدين المعتدلين.
ـ إستدراج المجاهدين إلى وقف إطلاق النار وتمديده فترة بعد أخرى لإتاحة الفرصة للمترددين لكى يلحقوا بالتسوية.
ـ وقف إطلاق النار هو النقطة المفصلية فى عرض السوفييت لأنه يمكنهم من تكريس الوضع القائم حالياً حكومة وحدة وطنية بقيادة "البرشام" وتفتيت مجموعات المقاومة من الداخل.

ملاحظات حول البرنامج الروسى:

- إستبعاد تام لأى دور سياسى للمجاهدين .
ـ تكريس سيطرة الشيوعيين مع مشاركة شكليه لأطراف أخرى غير إسلامية .وطنية ملكية . . الخ.
ـ إبراز الطابع الإسلامى لأفغانستان فى الناحية الرسمية لسحب البساط من تحت أقدام المجاهدين، ومفهوم الإسلام عندهم مفهوم فلكاوى بحت.

وسائل تنفيذ البرنامج الروسى:

1ـ الوسيلة الأولى تكثيف العمل العسكرى وزيادة عدد القوات الفعالة خاصة الكوماندوز وإستخدام أسلحة وذخائر لم تستخدم عالمياً حتى الآن والهدف إضعاف المقاومة إلى أقصى حد لإرغامها على القبول أو تقليل خطرها فى مرحلة ما بعد الإنسحاب.
2ـ زيادة الضغط على باكستان داخلياً بالتعاون مع الهند. وأصبحت الآن مشكلة أقليم السند غاية الخطور، والحشود الهندية ،وصلت مرحلة لم يسبق لها مثيل، وقفت بالوضع على حافة الحرب.
3ـ تم تليين موقف قطاع هام من الدول العربية المحافظة والتى كانت معادية للسوفييت وأستفاد الروس بذلك من تفاعلات حرب الخليج.
وبهذا تم حرمان المجاهدين من قطاع هام مناصر لهم مادياً وسياسياً.

هل ينسحب الروس فعلا ؟

يرجح معظم المراقبين إحتمال عدم الإنسحاب رغم وجود أسباب قوية تدفعهم لإتمام الإنسحاب.

أسباب تدعو للإنسحاب:

1ـ الحرب أصبحت ورطة لا نهاية لها فالشعب الأفغانى بوجه عام مصمم على المقاومة والإمدادات مازالت غزيرة مؤثرة من الجانب الغربى، وتصعيد السوفييت بإستخدام أسلحة حديثة وقوات أكثر تقابل بتصعيد مقابل يتمثل فى أسلحة غربية حديثة ومساعدات لتنظيم الأفغان وطرق قتالهم.
2ـ تأثيرات الجهاد الأفغانى ظهرت فى مناطق الجنوب السوفيتى بطريقه لاتدع مجالاً للشك بأنها تشكل خطر جسيم فى المستقبل، وهذه أهم نقطة فى إعتبار المخططين السوفييت.
3ـ الوضع الإقتصادى السوفيتى لايتحمل هذا الإستنزاف إلى مالانهاية، ولابد من وضع حد، خاصة والقيادة الجديدة ترغب فى رفع مستوى الدخل للمواطنين.
4ـ أمام الروس فرصة سانحة للتمدد فى العالم الإسلامى خاصة في الشرق الأوسط نتيجة للأخطاء القاتلة للسياسة الأمريكية، وتورطهم فى أفغانستان يقف عقبة رئيسية أمام هذا البرنامج الطموح وحطام سمعتهم كدولة مسالمة تساعد الدول المتخلفة وصديقة لها.
5ـ القوى المتشددة داخل القيادة السوفيتية "سياسة وعسكرية" والتى تدفع فى إتجاه التشدد فى أفغانستان هى نفس القوى المناوئة لزعامة جورباتشوف، وإنهاء الحرب يضعف هذه القوى ويبعدها عن مجال التأثير ويمكن لجورباتشوف من فرض برامجه الأصلاحية فى النظام السوفييتى.

أسباب تدعوا لعدم الإنسحاب:

يتبنى هذه الأسباب ويدافع عنها التيار القديم المتشدد والذى يخوض صراع بقاء ضد جورباتشوف وهذا الصراع لم يحسم بشكل نهائى الآن، وربما إنتهى بازاحة الزعيم السوفيتى

1

بنفس الطريقة التى أزيح بها خروشوف لأنه كان يحمل طابعاً إصلاحياً مشابها.

الأسباب هى:

أ/ ضياع هيبة الدولة السوفيتية أمام شعوب مستعمراتها خاصة المناطق الأسلاميه فى الجنوب التى تنظر بتعاطف إلى الجهاد الأفغانى وأعجاب لتصدى الأفغان للجيش الأحمر الذى بدا لأول مرة عاجزاً عن قهر شعب متخلف شبه أعزل ولكن مصمم علي المقاومة بدافع إسلامى قوى.

ب/ضياع هيبة الجيش الأحمر أمام شعوب أوروبا الشرقية المتقدمة التى أذلها جيش حديث ولكنه عاجز عن إخضاع شعب ضعيف فى أفغانستان. [2]

جـ / عودة الجيش الأحمر بهذا الشكل المخزى سيفتح المجال لمطالب تعديل وإصلاح فى صلب النظام لايمكن التنبؤ بمداها. [3]

موقف حكومة باكستان:

الرأى النافذ الآن هو مجاراة الروس فى التحرك السلمى علنا وفى المحافل الدولية مع مجاراتهم أيضاً فى العمل الخفى لتخريب هذا التواجه عملياً أو الأستفاده منه فى إتجاه مخالف لما هو معلن.

وهناك تيار معارض لهذا التوجه يخشى من إمكان نجاح الهجوم السلمى للسوفييت والتمكين لحكم شيوعى فى أفغانستان يكون تهديداً خطيراً لوجود باكستان كدولة متماسكة .(تهدد بالتقسيم فى بلوشستان ـ السند ـ صوبة سرحد).

فى المجال السياسى:

أ ـ وافقت باكستان على كل العروض السوفيتية ولم يتبقى غير الاتفاق على جدول "مناسب" لإنسحاب القوات السوفيتية وهو الشيء المنتظر أن يتقدم به الروس فى (جنيف).

ب ـ أخطرت باكستان أحزاب المجاهدين أن التسوية وشيكة وعليهم الإستعداد لذلك بما يشكل أحتمال إغلاق منافذ الحدود بواسطة قوات دولية.

جـ ـ دفعت باكستان أحزاب المقاومة إلى السعى نحو تشكيل حكومة منفى ونقل ثقل عملها الإدارى إلى داخل أفغانستان.

فى المجال العسكرى:

أ ـ يجرى تدريب الأفغان على تكتيكات عسكرية حديثة وفعالة فى إستخدام أساليب حرب العصابات وفى إستخدام وحدات صغيرة ومتحركة ـ أساليب الإغتيال والتخريب. [4]

بـ زودت المجاهدين بمعدات حديثة خاصة صواريخ "ستنجر" وأجهزة إتصالات حديثه.

جـ ـ مارست ضغوطاً لأعطاء فرصه لقادة الداخل البارزين في تنظيم عملهم ومد نطاق نفوذهم بدون عرقله من جانب أحزاب بشاور. [5]

د ـ إعطاء دورات خاصة للقادة على أساليب حديثه في القيادة العسكرية والتنظيم.

واضح من موقف السوفييت وباكستان و"أمريكا" أن الأطراف المتصارعة ليست فقط غير مخلصة فى إحداث تسوية سياسية، بل تسعى إلى جعل مكاسبها أقصى ما يمكن فى حالة حدوث مثل هذه التسوية. لهذا يتم تصعيد العمل العسكرى من كلاهما بينما يتزايد الحديث عالمياً عن تسوية فى أفغانستان.

موقف أحزاب المقاومة:

ـ تحسن التقارب بين هذه الأحزاب أفضل من أى وقت مضى ويعزى ذلك إلى

الموقف الباكستانى أساساً.

ـ تحسن أداء بعض الأحزاب يشكل ملحوظ. إتخذت خطوات صحيحة فى المجال التنظيمى العسكرى ويعتقد أن حكمتيار أسبق فى هذا المجال يليه ربانى وخالص وهم يمثلون عماد العمل العسكرى فى الداخل ـ كما تقارب موقف سياف مع حكمتيار سياسياً وأن إختلفت القدرات العملية كثيراً فى صالح الآخر. [6]

ـ يعتقد أن بعض القادة كأشخاص ، ليس لديهم مانع فى المشاركة فى حكومة إئتلافيه فى كابل. ولكن ضغط الرأى العام مازال قوياً وستكون النتيجة إنفصالهم عن قاعدتهم المؤثرة، وإن كان قطاعاً من أتباعهم سيلحق بهم ويتعاون مع الأمر الواقع فى كابل.

كما أن باكستان لاتوافق ، حتى الآن ، على مثل هذا العمل ولايجرؤ هؤلاء على عصيان رغبات باكستان لأن العواقب ستكون وخيمة.

ـ نوع العمليات فى الداخل تحسنت بشكل ملحوظ نتيجة لإرتفاع مستوى التدريب والمعدات بالنسبة للسابق وان كانت بعض المناطق قد سحقت إلى حد كبير.(بعض مناطق الشمال، هيرات، قندهار، كونار. . .)

<u>تنبؤات للعام الحالى:</u>

1 ـ التسوية بشكل عام موضوع مشكوك فى نجاحه والرأى الغالب يرجح فشله.

2 ـ فى حالة نجاحه فإن عملية إقراره عملياً سيستغرق زمناً طويلاً ولن يتم فى وقت قريب.

3 ـ ستسعى أمريكا إلى عرقله إندفاع باكستان وراء التسوية بشكل يهدد مصالح أمريكا ورغباتها فى إستنزاف السوفييت وعدم السماح لهم بالإندفاع الحر فى الشرق الأوسط.

وقد لمح السفير الأمريكى فى إسلام آباد بأن ، البرنامج النووى لباكستان لايعتبر سلمياً، وهى فى لغة العلاقات بين البلدين دليل على ممارسة ضغط سياسى.

4 ـ الفرصة متاحة أمام المجاهدين فى تسجيل صعود فى المجال العسكرى وإستنزاف الجيش الروسى بشكل أفضل من السابق نتيجة لتحسن المستوى العسكرى للمجاهدين نسبياً.

5 ـ التهديد القائم بإغلاق الحدود مع باكستان له نواح إيجابية كثيرة منها تطوير التكتيك العسكرى للمجاهدين بطريقة لا تستنزف الذخائر والطعام ، بالإضافة إلى نقل مركز ثقل عملهم من باكستان إلى داخل أفغانستان، ثم التقارب السياسى بين زعماء التنظيمات.. [7]

6 ـ توجيه ثقل العمل إلى داخل أفغانستان أصبح شعار المرحلة رغماً عن الجميع (ويحظى بمباركة الأطراف الرئيسية: "أمريكا ، باكستان ، الأحزاب" والأطراف الثانوية وأيضاً العرب).

7 ـ المراكز القوية فى داخل أفغانستان سوف تزداد قوة وتنظيماً وسوف يتتبع تأثيرها خاصة مسعود فى بانشير الذى يتمتع بوضع ممتاز حالياً ويعتبر الأفضل تنظيماً وفعالية، وجلال الدين حقانى فى الجنوب "بكتيا" و ملا ملانج"قندهار" ، ومن المحتمل أن يتم التنسيق بين هذه الجهات هذا العام ولو على شكل بسيط. [8]

ولكن فقدان أى من هؤلاء القادة سيعتبر ضربة خطيرة للعمل فى المنطقة.

مواقف العرب المتعاونيين مع المجاهدين:

أ/ الدكتور عبد ا عزام

وهو الشخصية المحوريه طوال السنوات الماضية وقد تعرض لنكسة خطيرة، وفقد كل فعاليته تقريباً، وقد تكاتف ضده كافة قادة الأحزاب وقدموا فى خريف العام الماضى شكوى ضده للحكومة الباكستانية مطالبين بإبعاده من باكستان.

ولكن عبدا نصيف "**سكرتير منظمة المؤتمرالإسلامى**" مع الباكستانيين توصلوا إلى تقليص دوره وإبعاده عن العمل المباشر.

رفض عبدا عزام الإبتعاد عن الساحة الأفغانية بعد فقده مصادر التمويل، وإنصراف معظم الشباب الذين معه، إعتكف فى معسكر "صدى" وهو معسكر إقامة للعرب قرب معسكر لسياف. ويذهب من وقت لآخر إلى الجبهات.. كما أبعد عائلته من باكستان خوفاً من التهديد . وهو نفسه يشعر بالخطر ولا يزور بشاور إلا خفية . وقد أصدر مؤخراً بياناً للنفير العام تم توزيعه فى السعودية ودول أخرى.

ولايتوقع أن يتمكن الدكتور عبد ا من لعب أى دور فاعل بعد أن فقد مصادر تمويله ومصادر علاقته مع الأحزاب وإنصراف الشباب المتعاونيين معه بإستثناء عدد قليل.

وليس لدى الدكتور تصور للعمل المستقبلى لأنه فقد الثقة فى أى دور يمكن للعرب أن يؤدوه فى أفغانستان خاصة بعد التجارب المريرة التى مر بها. ٥

ب/ أســامة بن لادن "أبوعبدا "

وهو من كبار الممولين لسياف والدكتور عبدا عزام سابقاً. وهو شاب صغير السن شديد الإخلاص والتدين لدرجة نادرة المثال ، كما يصفه الذين يعرفونه عن قرب .

ولما يأس من عجز سياف وفشل مشروعات الدكتور عبدا قرر مباشرة العمل بنفسه وإقام موقعاً عسكرياً متقدماً للمتطوعين العرب فى منطقة "جاجى" وقرر أبوعبدا إستنفار العرب من السعودية واليمن وإسقدامهم للعمل تحت قيادته فى هذه المنطقة.

ـ تسبب المعسكر فى إثارة ضجة فى السعودية تدخل على أثرها المسئولون السعوديون على أعلى مستوى ممكن لدى الباكستان لطرد السعوديين من هذه المنطقة، وعلى أثرها تم التضييق على كل العرب المارين في مناطق القبائل والقبض عليهم، كما دفعت رشاوى كبيرة لزعماء القبائل للمساهمة فى هذا المجهود.

ـ موقع المعسكر خطأ عسكرى جسيم وتم إقناع أبو عبدا بالإنسحاب منه إلى موقع خلفى أكثر أمنا وقد أنفق فى المعسكر عدة ملايين فى أعمال الإنشاءات، إلى جانب عشرات الملايين ثم معدات حديثة لشق الطرق والكهرباء.

ـ سافر أبو عبدا الي السعودية حالياً، وليس من المعلوم المعاملة التى سيلقاها ١٥ هناك.

مواقف متفرقة من العرب:

ـ مازال الوضع القديم على حالة من ناحية إبتعاد أى جماعة إسلامية من دخول الساحة الأفغانية على نمط ما حدث فى فلسطين أو حتى قريباً منه.

ـ فقد سياف الدعم العربى القديم، وهذا الدعم لم يتم تحويله إلى جهة أخرى ، ويعتقد أن قطاعاً هاماً إنسحب من العمل.

ـ المجموعات القليلة الباقية تعتقد بأهمية العمل فى الداخل وقد تبعثرت على قطاع

واسع من الجبهات ومختاف الأحزاب فى عملية يائسة لايجمعها برنامج ولايحدوها أى أمل، نتيجة للهوة الواسعة بين الآمال السابقة والواقع الذى فرض نفسه فى النهاية وليسوا على إستعداد للأعتراف به وبالتالى التعامل معه.

موقف مكتب علاج المجاهدين

أ/ المجهود العلاجى:

يكتسب مستشفى ميرانشاه أهمية لكنه يعتبر مستشفى شبه ميدانى لمنطقة خوست بالذات وباقى مناطق باكتيا بوجه هام، ونتيجة لعمليات خوست الحالية وحدوث حالات جرحى كثيرة وشهداء فقد أجرى المستشفى عمليات كثيرة وسيظل الموقف مشتعلاً فى المنطقة لأن القوات الشيوعية تحاول عرقلة الطريق الممتد من جاور حتى جارديز. وهو طريق حيوى ولمجاهدى باكتيا وسبعة عشر ولاية أخرى. وفى المقابل سيطور المجاهدون عملياتهم فى خوست هذا العام بعد أن هدأوا فى هذا القطاع بعد معارك جاور فى العام الماضى، وقد إنضم الدكتور محمد "منذ أول فبراير" إلى الدكتور عادل للعمل فى المستشفى، وسيحاولان إعادة تشغيل مستشفى سيرانا وتناوب العمل فيه.

ـ أبدى د/ عبدالرحمن إستعداده فى تحمل رواتب أطباء مستشفى بانشير، وكان ثلاثة أطباء طلبوا العمل فى هذا المستشفى من خلال مكتبنا العلاجى.

ـ هناك محاولة لإستقدام طبيبات من مصر للعمل فى الداخل أو فى مناطق الحدود فى أوساط النساء والأطفال المهاجرين ومن المستحب معرفة إستعداد اللجنة لديكم فى المشاركة فى هذا المشروع سواء فى الرواتب أو نفقات السفر أو أى نفقات أخرى. 11

ب ـ المجهود الثقافى:

ـ الكتابة والنشر عن الأوضاع الحالية ليست يسيرة حتى الآن لعدم إتضاح كثير من المواقف والتفاصيل بشكل كاف، كذلك سياسة النشر التى تعتمد على مواقف الدول. لهذا فالإنتظار أفضل حالياً.

ـ قريباً نبدأ فى تصنيف كتيب عملى صغير من واقع التجربة التاريخية فى أفغانستان.

ـ مصدرنا الأول لتزويدنا بالوثائق التاريخية غير موجودة حالياً فى المنطقة ، نحن فى إنتظار وصوله لعقد إتفاق معه بهذا الخصوص. **12**

جـ / عيادة "رمضان" المتخصصة:

أمام هذه العيادة فرصة مواتية للغاية للقيام بدور فعال فى مجال تخصصها لأسباب:

1 ـ أنها تمثل الآن رغبة الجميع فى العمل ومازالت العيادة التجسيد العملى الوحيد الموجود على الساحة والذى يمتلك سابقة ناجحة للعمل.

2 ـ وجود تصور نظرى وعملى متكامل وخبرة عملية متخصصة لدى أطباء العيادة، يكفل لهم إنطلاقة ممتازة هذا العام.

3 ـ تم الإتفاق مع جلال الدين على إفتتاح العيادة فى مكانها القديم. وسوف تتسع تدريجياً خلال هذا العام على مساحة واسعة جداً مستفيدة من معدات نقل وإتصال موجودة ـ أو

يمكن الحصول عليها.

4 ـ ستتوسع العيادة من ناحية المعدات، وقد وعدنا جلال الدين بتزويد العيادة ببعض المعدات الحديثة جداً والتى وصلت مؤخراً.

5 ـ التوسع العددى سيكون محدود جداً من ناحية العرب أو الأفغان ولو أن الظروف تغرى بالتوسع ولكن من غير المتوقع التوسع بشكل كبير قبل عام على الأقل.

د/ النشاط التعليمى:

تم الإتفاق مبدئياً مع الشيخ جلال الدين على الفصل التعليمى المقترح ومكانه ومناهجه والخطوات التنفيذية متروكة إلى حين إنتقال عياده "رمضان" إلى ميرانشاه فى طريقها إلى خوست، حيث تتعلق المدرسة بشكل ما بهذه العيادة.

هـ / عيادة الشمال المتخصصه : 12

وهى عيادة قيد الإنشاء وهى على غرار عيادة رمضان لكن بشكل أكثر تخصصاً بشكل لم يسبق له مثيل. لهذا فالمعدات مكلفة وبعضها يتم إستيراده من الخارج، إمكانية نجاحة العملية جيدة ـ وقد عرض مديرها الفكرة على حزب حكمتيار ـ وقد أعجبوا بها كثيراً سوف يتم التعاون التام معها فى كل شئ ـ ما عدا تمويل المعدات الحديثة ونفقات الأفراد غير الأفغان ـ تكاليف العيادة والأفراد والعمليات ـ تتراوح بين مئتين ـ ثلاثمائة ألف روبيه.

نعتقد أن المبلغ متواضع جداً بالنسبة للفكرة المبتكرة والحساسة.

منطقة إنشاء العيادة هى أقصى نقطة فى الشمال.

ز/ رحلة بانشير الأخيرة:

توجه أربعة أعضاء فى المكتب إلى بانشير لمدة شهرين فى الشتاء الماضى ـ تمكن إثنين منهم الوصول بينما عاد الآخران نتيجة المرض.

وأسفرت الرحلة عن إقامة علاقات ممتازة مع مسعود وفتحت جميع مجالات التعاون بلا تحفظ.

والإستفادة من ذلك متروكة للمستقبل والتطورات المقبلة.

الوضع المالى للمكتب:

الميزانية الطبية (630 دولاراً)

تم صرف ألف دولار للدكتور محمد الذى نقل عائلتة إلى ميرانشاه كراتب عن شهر فبراير.

ـ الدكتور عادل طلب مبلغ صغير لمصروفاته الشخصية وطلب تحويل مبلغ إلى أهله ولكنه سافر قبل أن يوضح لنا مطالبه تماماً.

ـ لم تصرف أى مبالغ أخرى.

الميزانية التعلمية

لم يصرف منها شيء حتى الآن.

ميزانية العيادات المتخصصة

ـ مبلغ 120 ألف روبية الأخيرة سنستلمه قريباً.

ـ مبلغ 150 ألف روبية باقى من العام الماضى.

نرجو تحديد ميزانية العام الجديد للعيادات المتخصصة إرسالها فى أقرب فرصة

حيث يبدأ موسم العمل فى أوائل مارس المقبل.

الوضع المالى لمسئول المكتب:

وضع سئ جداً نتيجة لتأخير إستلام مستحقاته من عمله فى أبوظبى وجميعها ديون مترتبة عليه

- مصروفاته الشخصية بما فيها إيجار البيت تم سحبها من المبلغ المرصود لديه لأعمال أخرى وهذا وضع فى غاية السوء مادياً ومعنوياً.

- نأمل إتخاذ الإجراءات اللازمة بما فى ذلك إستعجال المستحقات القديمة لدى جهة العمل فى أبوظبى. " **14**"

نسأل ا لنا ولكم السداد والتوفيق.

"ولاتهنوا. . . ولاتحزنوا. . . انتم الأعلون إن كنتم مؤمنين.

والسلام عليكم ورحمة ا وبركاته

أخوكم

أبو وليد

إسلام آباد الأربعاء 1987/2/18

على هامش التقرير:

واصلت موسكوا هجومها السلمى منذ إنتهاء حملة جاور فى إبريل 1986.

وأعلن جورباتشوف صراحة فى إجتماع اللجنة المركزية ، فى أعقاب المعركة، عزم بلاده على الإنسحاب من أفغانستان. ولم يترك جورباتشوف أى شك لدى منافسيه الأمريكان فى عزمه على الإنسحاب عسكرياً وإن أبقى باب التنافس السياسى مفتوحاً حول حصه النفوذ فى أفغانستان ، مع تدعيم كل طرف موقفه من خلال تسليم ودعم حلفائه أى أن الحرب سوف تستمر لفترة ولكن بعد "أفغنتها" بالكامل، كى تصبح مجرد حرب أهلية، تدور بالنيابة وتحت إشراف حميم من أمريكا والسوفييت كلاهما، مع إتفاق واحد أكيد هو إستبعاد الإسلام من أى دور سياسى فى حكم البلاد، ولكن لابأس من إستخدام الشعارات الإسلامية / فى كلا المعسكرين/ للإستفادة من الشعور الدينى لدى الأفغان لجعل الحرب أكثر سخونه وتفريغ الإسلام نفسه من محتواة خاصة بعد إبتذال فريضة الجهاد بإساءة إستخدامها فى حرب بالوكالة، لصالح قوى الكفر الدولية.

لابد للإنسحاب العسكرى ألا يكون فجائياً ولابد له من تغطية عسكرية وإنتصارات حقيقة أو وهمية ، لحماية هيبة الدولة المنسحبة خاصة إذا كانت دولة عظمى مثل الإتحاد السوفيتى. كان الجيش هو الركيزة الأساسية لتماسك الدولة داخلياً، نظراً لتعدد الإعراق والأجناس ، والإحقاد التاريخية والمشاكل الإقتصادية التي يعانى منها الجميع.

لقد راهن جورباتشوف على أن إنسحاب قواته سوف يخلخل تماسك الشعب الأفغانى، الذى تجمع تحت شعار الجهاد لمواجهة غزو خارجى لدولة كافرة، فإذا إنسحب الجيش السوفيتى فالخلافات سوف تعود وكذلك القتال الداخلى خاصة وأن جميع القوى الداخلية مسلحة حتى أسنانها، وأمنت لنفسها مصادر دعم خارجية. ومنذ أواسط الثمانينات والقتال الداخلى بين الأفغان ينافس قتالهم مع السوفييت وأحياناً يتفوق عليه.

وفى شمال أفغانستان على سبيل المثال، إتضح لنا بعد نهاية الحرب أن هدنة 1983 بين

السوفييت ومسعود كان لها بنوداً سرية، تتمحور فى تهدئة "الجهاد" لصالح . الحرب الأهلية،
وفى مقابل تواطؤ خفى من السوفييت وحكومة كابل، وربما مساعدات لمسعود كى يحول الشمال إلى مملكة طاجيكية ، خاصه المناطق ذات الأغلبيه الطاجيكية.

وجرى تجهيز قوى أوزبكية ، وهذا ماظهر بعد سقوط نظام كابل ، فقد كان زعيم الميليشيا الشيوعى الأوزبكى عبد الرشيد دوستم، جاهزاً منذ سنوات لأداء نفس دور مسعود ولكن فى المنطقة ذات الأغلبيه الأوزبكية ، بل أن الطرفين مسعود دوستم تحالفاً بسرعة عندما بدأت أركان النظام فى كابول تتهاى فى مارس 1992 وإنتقلت قوات مسعود بواسطة طائرات دوستم إلى كابل، كى يقاتل الإثنان ضد زعماء "البشتون" وأخطرهم آنذاك هو حكمتيار الذى زحف هوالآخر مع ميليشيات شيوعية "بشتونية" هى ميليشيات القائد "عبدالجبار" من قندهار، وكذلك معاونة جنرالات بشتون فى وزارة الداخلية والإستخبارات "خاد".

كانت رهانات الحرب الأهلية على أساس عرقى رهانات واقعية ، ولم ننتبه وقتها إلى ذلك بالشكل الكافى بل ظنناه غير ممكن أو إحتمال ضعيف النجاح.

كانت أمريكا هى الأخرى تجهز لحرب أهلية من طرفها بإستخدام أوراقها الأفغانية، وسوف نرى نموذجاً واضحاً لذلك فى عام1991 فى معارك كونار بين جميع الأحزاب الأفغانية من جانب وتنظيم جميل الرحمن السلفى الذى تموله وتوجهه السعودية.

هذا بالإضافة إلى معارك لم تكد تنقطع بين قادة تنظيمات بشاور داخل أفغانستان بتحويل وتوجيه من قادة التنظيمات أنفسهم وطبقاً لمطالب باكستان وباقى الممولين.

كان جورباتشوف يعتقد وقتها أنه يمتلك الأوراق الأقوى لكون حكومه كابل تمثل الأمر الواقع، وأنها قادرة على توحيد باقى الفصائل الماركسية المتناحرة، وهو مالم تتمكن من إتمامه. كذلك راهن جورباتشوف على تآكل قاعدة المجاهدين فى الداخل وتزايد المتعاونيين مع الحكومة والمجاهدين فى نفس الوقت "العملاء المزدوجين" فقد تنامى ذلك الداء حتى وصل إلى طبقة الدرجة الأولى من قيادات الداخل،وأعداد ضخمة من "المجاهدين" العاديين، حتى صار الأكل من الطرفين شعار الغالبية من المسلحين فوق أرض أفغانستان. وكان ذلك على المدى البعيد فى مصلحة الحكومة الشيوعية فى كابل، إذا إستطاعت التماسك لفترة معقولة، وهو الإحتمال الذى رجحه جورباتشوف، خاصة أنه يؤمن لتلك الحكومة الإمدادات الكافية من السلاح والمال.

كان جوباتشوف مستعداً لإقتسام "الكعكة" الأفغانية مع أمريكا على أن يكون له الجزء الأوفى منها. فالملك ظاهر شاه مع أعوانه مع قاده بشاور المعتدلين يمكنهم أخذ بعض الحقائب الوزارية غير الحساسة.

أما القادة المتشددون فالسوفييت لايرحبون بهم إطلاقاً خوفاً على "جنوبهم الإسلامى" من تلك الشعارات الخطيرة التى يرددها هؤلاء.

أمريكا هى الأخرى لم تكن ترحب بهؤلاء المتشددين لأسباب مختلفه أهمها أن هؤلاء يمثلون مصالح باكستان فى المنطقة أكثر من تمثيلهم المصالح الأمريكية، وقد يمثل ذلك إختلالاً فى موازين تلك المنطقة الحساسة.

سبب آخر أن هؤلاء الزعماء إذا وصلوا إلى السلطة أو قريباً منها قد يقعون تحت ضغوط مسلمى العالم ومطالبتهم بتطبيق حقيقى للإسلام. وفاء بالتعهدات الرنانة التى أطلقها هؤلاء

الزعماء أيام الجهاد، ولايمكنهم تجاهل تلك الضغوط بشكل كامل، وهو مالا ترضاه أمريكا.

مع بداية هذا العام 1987 طرح "نجيب" رئيس الدولة فى كابل مشروعاً لحكومة موسعة، فإستعد المعتدلون للمشاركة، بينما شعر "الأصوليون !!" بالخطر فإتخذوا عدة خطوات للتنسيق فيما بينهم، ولكنها لم تستمر طويلاً، وإنتهت قبل أن تمشى فوق الأرض.

وكنت أظن وقتها أن المعجزة قد تحققت وأن هؤلاء القادة قد يتصرفون برجوله. ولكنهم مثل الأسماك التى لاتستطيع أن تعيش خارج مستنقع العمالة، فإرتموا كما كانوا تحت "بساطير" الإستخبارات الباكستانية وسيدهم العتيد الفريق أختر عبد الرحمن ومن بعده "منذ أغسطس 1987" الجنرال حميد جول .

من المفروض أن حميد جول الذى ترأس جهاز الإستخبارات الرهيب **ISI** هو أيضاً من رجال ضياء الحق المخلصين، ولكنه جاء لتنفيذ سياسة جديدة للرئيس فيها نسبة أكبر من الخضوع للمطالب الأمريكية، وبها مزيد من التراجع للطموحات الشخصية لضيـ ـاء الحق والمصالح الوطنية لباكستان. ولكن تلك السياسة مازال فيها مجال للضرب تحت الحزام، كان لابد لأمريكا أن تقتل ضياء الحق في أغسطس1988 ثم تستبعد حميد جول بعد ذلك بأقل من عام مع بدايات معركة جلال آباد المأساوية فى صيف 1990.

"1".."2".."3"..تلك التنبؤات الثلاث كانت قاتلة في دقتها حيث تحققت بحذافيرها.. لقد كانت ثلاثة أسباب جوهرية تدعو جورباتشوف لعدم سحب قواته من أفغانستان.

ولكنه رغم تلك المخاطر فقد جازف وإنسحب من أفغانستان، بينما لم تحقق رهاناته بإستمرار نظام كابول تحت ثوب فضفاض من حكومة "وحدة وطنية"ذات قاعدة واسعة، حسب مصطلحاته آنذاك.

كان قرار جورباتشوف ورهاناته الأفغانية خاطئة تماماً، لذا فقد دفع الثمن بالكامل، بل أن الإتحاد السوفييتي كله قد دفع الفواتير مضاعفة، وإنتهت زعامة جورباتشوف، وإنتهى الجيش الأحمر كما إنتهى الإتحاد السوفييتي ذاته الذي لم يستطع تحمل الإصلاحات فقد تهاوى وتناثر ركامه الهائل في أشهر معدودات بعد الإنسحاب من أفغانستان. والمذهل أن نظام كابول إستطاع أن يستمر أشهراً عديدة بعد إنهيار الأتحاد السوفييتي والسبب في ذلك هو المساعدة الأمريكية لذلك النظام الشيوعي، وتلك إحدى المفارقات الغريبة في مأساة العصر الأفغانية.

4.. تدريب الأفغان على تكتيكات قتالية جديدة، وإستخدام أساليب الإغتيال والتخريب، أو تزويدهم بمعدات جديدة متقدمة.. كلها توجهات شاع وقتها -في بداية 1987- أن الإستخبارات الأمريكية سوف تدخلها في مجال الحرب الأفغانية في مرحلتها الجديدة التي على وشك أن تبدأ، ولكن تلك التنبؤات أو الأخبار تم تسريبها عمداً كي تتداول في الساحات الخلفية السياسية والصحفية والحزبية.

والذي ظهر لنا فيما بعد أن أمريكا قد دربت فعلاً عدداً كبيراً من الشباب الأفغاني الذي هاجر إليها، وعدد آخر جندته الأحزاب المعتدلة في بشاور لصالح الإستخبارات الأمريكية إضافة إلى عدد من الضباط الأفغان السابقين من مختلف الرتب، وحتى بعض الجنرالات الأفغان القدماء ،خاصة عدد من هؤلاء المشاهير العاملين مع السيد أحمد جيلاني.

ويمكن القول أن أمريكا بدأت من وقتها -وربما قبل ذلك بقليل- في تشكيل جيشها الأفغاني

الخاص. والذي ما زال تحت تصرفها حتى الآن -ولكنه ظل بعيداً عن ساحات القتال المباشر إلا في بعض العمليات القليلة- مثل عملية القمة الجليدية"1990" التي رتبتها المخابرات الأمريكية بالتنسيق مع تنظيم الجيلاني، وإستخدمت جزء من جيشها الخاص، في عملية عسكرية واسعة لقطع الطريق "مؤقتاً" بين جلال آباد وكابول. ويقول الأمريكان أنهم حققوا فيها نجاحاً كبيراً -ولكننا لم نتأكد من ذلك من أي مصدر آخر، وظلت العملية سراً غامضاً تماماً - وربما كانت أحد ألاعيب الخيال الأمريكي وجهازها الإعلامي.

ولكننا شاهدنا منذ ذلك التاريخ "1987"عدداً من الأفغان الذين يحملون جوازات سفر أمريكية، يقيمون علاقات وثيقة ومباشرة مع قادة ميدانيين، ويمدونهم ببعض المعدات الحديثة ، لاسلكية وغيرها، ويعطونهم أموالاً على أنها من تبرعات "الأفغان"!!! في أمريكا.

وليس ذلك كما يتصور البعض -من بركات الجهاد- بل كان بيعاً للجهاد ولدماء المسلمين في أفغانستان وأنصارهم من العرب والمسلمين.

ونكرر مرة أخرى بأن الشعب الذي لا يمول جهاده، إنما يبيع ذلك الجهاد في حقيقة الأمر كي يتحول من "جهاد في سبيل ا " إلى "جهاد في سبيل الممولين"، خاصة إذا كانوا غير مسلمين.

.. الجيش الأفغاني الذي تمتلكه المخابرات الأمريكية كاد أن يتحول إلى حقيقة واقعة. وذلك ضمن مشروع أرادت تنفيذه عام1994 تحت إشراف الأمم المتحدة. فقد قررت تشكيل حكومة قوية في كابول وتضع تحت تصرفها جيش قوامه 80 الف رجل. والهدف الأساسى من هذا الإجراء هو القضاء على بقايا التواجد الجهادي العربي، خاصة معسكرات التدريب القليلة والمتبقية على مسافات قريبة من حدود باكستان. وكذلك لغرض حماية أكثر صرامة على حدود أفغانستان الشمالية لمنع تسرب السلاح والمتدربين،إلى آسيا الوسطى الذين تدرب معظمهم وتسلح من معسكرات العرب قد نأتي على ذكر ذلك الجانب عند وصولنا إلى أحداث ما بعد عام 1992،خاصة دور العرب في حرب طاجيكستان.

ولكن ثورة طلاب الشريعة الأفغان "طالبان" التي تفجرت في أغسطس 1994 في قندهار وسيطرت في مدة وجيزة على ثلث البلاد أحبطت الخطة الأمريكية الخاصة بتكوين جيش أمريكي وحكومة أمريكية في كابول.

لقد قامت الأمم المتحدة بإرسال لجان إلى مناطق أفغانستان الجنوبية لجمع الأفراد المتطوعين للإنضمام لجيشها الخاص "الجيش الأمريكي" مقابل راتب مقداره ثلاثمائة دولار أمريكي شهرياً للفرد، وذلك مبلغ ضخم جداً لا يحصل عليه وزير في كابول، وقد تدافع الأفغان نحو "التطوع". أما في خوست فقد قامت إدارة المدينة،بإيعاز من جلال الدين حقاني، بطرد تلك اللجنة وإيقاف نشاطها في المنطقة.

أما التدريب على عمليات التخريب والإغتيالات فلم يصل إلى علمنا أن أشخاصاً محددين من الأفغان قد تلقوا مثل هذه التدريبات، وإن كان من المرجح أن المخابرات الأمريكية قد دربت بعض المخلصين لها من بين "أفغان الغرب" على أمثال تلك العمليات.

ولقد حافظ ضياء الحق حتى الرمق الأخير على ألا يتصل الأمريكان بشكل مباشر مع الأفغان بخصوص التدريب أو توزيع الأسلحة والأموال، لأن ذلك ببساطة يعني فقدان دوره في القضية وبالتالي فقدان الأرباح المترتبة عليها.

5 ـ .. هل مارست الولايات المتحدة ضغوطاً على باكستان من أجل إعطاء دور أوسع

لقيادات الداخل الميدانيين؟.. ذلك أمر غير مستبعد لعدة أسباب منها :
تهميش أحزاب بشاور هو تهميش لدور ضياء الحق وباكستان في قضية أفغانستان، لصالح الدور الأمريكي بالطبع.
أحزاب بشاور وجهازها البيروقراطي تمثل نسبة فاقد كبيرة في المعونات المتجهة صوب جبهات القتال ، إلى جانب نسبه الفاقد على الجانب الأمريكي والباكستاني، وذلك لا يتناسب مع مرحلة قادمة تنوي فيها أمريكا تقليل الدعم تدريجياً إلى درجة الإيقاف التام، وهو ما حدث فعلاً بعد الإنسحاب السوفييتي. فلو حذفت نسبة الفاقد لدى الأحزاب لتوفرت نسبة لبأس بها من المعونات لجبهات القتال. وذلك عنصر إقتصادي مهم. وعنصر سياسي أيضاً حتى لا تضعف المقاومة إلى درجة الذبول والموت فيستأثر السوفييت بالساحة الأفغانية كلها.
طريقة التوزيع الجديدة قد تعطي فرص أفضل للاستخبارات الأمريكية لعقد روابط مع عدد من قيادات الداخل بشكلٍ مباشر، وقد تمكنوا من ذلك فعلاً في المرحلة الجديدة.
السياسة الجديدة ستخلق محاور قوية متكافئة في الداخل ومستقلة تسليحياً ومالياً ولها إرتباطاتها الإقليمية والدولية وبالتالي يستحيل إتحادها مستقبلاً.. وهو ما حدث فعلاً.
6 ـ.. تحسن أداء الأحزاب وإتخاذ خطوات صحيحة على المجال العسكري والتنظيمي، وتقارب سياف مع حكمتيار.. تلك الملاحظة كانت من أتعس ما كتبت من تعليقات أثناء الحرب الأفغانية.. فلم يكن لها نصيب من الصحة.. لقد إتخذ القادة الأصوليون بعض الإجراءات وأدلوا بتصريحات تعبر عن رفض لما يحدث ورغبة في تصحيح المسار.. وتخيلت وقتها أنهم وإن باعوا بلادهم ودينهم إلا أنهم لن يفرطوا في مراكزهم ومكانتهم العالية ذات القيمة الدولية. وأن التوجه الجديد يسعى إلى تهميش دورهم كثيراً وربما إقصائهم تماماً عن أي دور سياسي في أفغانستان. لذا وبدافع الحرص على المكانة وبشيء من العنجهية القبلية ربما تعاونوا معاً على إفشال اللعبة كلها أو الحصول على شيء ذا قيمة من الغنائم السياسية.
لذا خمنت وقتها أن الخطوات الجريئة التي أعلنوا عنها قد تكون صحيحة على الأغاب لأن ليس أمام هؤلاء القادة حل آخر سوى التنحي على جانب المسار وإنهاء خدماتهم.
لكن تصوري ذلك لم يكن صحيحاً.. ورضخ الأصوليون وبقوا على هامش اللعبة في تواجد شكلي على سطح العمل الأفغاني، ولكن ظهرت لهم قيمة فعلية بعد عجز نظام كابول عن الإستمرار وتهاويه تحت الضربات الأخيرة للمجاهدين في معارك خوست 1990 ثم فتح خوست والهجوم على جرديز ـ 1991 ثم تمرد مليشيات دوستم على النظام وتحالفها مع مسعود في الإستيلاء على مزار شريف "مارس 1992" ثم سقوط النظام في أبريل1992 فكان لا بد لأمريكا من إحياء دور قادة بشاور وإرسالهم بسرعة إلى كابول لإستلام الحكم قبل أن يقرر أفغان الداخل "المجاهدون" إختيار حكومتهم الخاصة.
وهكذا تتضح لنا القاعدة الذهبية القائلة بأن الإستمرارية داخل اللعبة السياسية هي ربح في حد ذاتها.. لأن الذي يخسر اليوم قد يكسب غداً ولكن الذي ينسحب من اللعبة لن يكسب أبداً.
(وهي حكمة نسبها مايلز كوبلاند في كتابه لعبة الأمم إلى وزير الداخلية المصري في العهد الناصري زكريا محي الدين).
7 ـ.."التهديد القائم بإغلاق الحدود مع باكستان له نواحٍ إيجابية كثيرة "**.**
كان ذلك هو المفروض.. فإغلاق الحدود يعني توقف معونات السلاح والمال وصعوبة حركة المجاهدين، وربما أدى ذلك إلى توقف الجهاد خاصة وأن كابول لها خطوط جوية وبرية

مفتوحة بلا حساب مع موسكو.
وكما ذكرنا فإن إحزاب بشاور لم تتخذ أي خطوات جدية، ولم تتجاوز التصريحات الرنانة والإجتماعات المظهرية الجدباء. لكن ظهرت في ذلك العام ظاهرتين إستثنائيتين، الأولى تشكيل وحدات شبه نظامية من المجاهدين وتدريبهم وتسليحهم بإشراف باكستان لصالح عدد من القادة البارزين" والثاني" زيادة كمية الأسلحة والذخائر المنقولة من باكستان إلى داخل أفغانستان زيادة غير مسبوقة وإستمر ذلك حتى عام1988 ، خلال أشهر الصيف وهو موسم نقل الأسلحة.
الظاهرة الأولى تتفق مع ميول القائد الجديد لجهازISI حميد جول الذي يرغب فى تكوين قوة مركزية ضاربة ،حسب قول العميد يوسف.
.. وقد وضعت قوة كبيرة من هذا النوع تحت تصرف حكمتيار -أي بشكل عملي تحت تصرف باكستان، لذا لم يكن لها دور يذكر في تطوير العمل الجهادي، بل أدت دوراً معاكساً لمصالح الجهاد بل والمصالح الوطنية للأفغان، وذلك في عدة أحداث سنذكرها في موضعها. ونظن أيضاً أن باكستان ساعدت جلال الدين حقاني في تكوين مجموعة واحدة من ذلك النوع، وقد شاهدنا تدريبها وتجهيزها ونقول أنها لم تكن مناسبة لأي مهمة فى الجبهات وكانت أقرب إلى وحدات "الشرطة العسكرية" على أحسن الإفتراضات. أو "جيش المحمل" على أسوأ الإحتمالات، ("جيش المحمل" إصطلاح أُطلق على الجيش المصري في عصر إنحطاطه أيام الإحتلال البريطاني، حيث كانت مهمته الكبرى طوال العام هي إستقبال وتوديع قافلة الحجاج، ومصاحبة "الجمل" الذي يحمل كسوة الكعبة المشرفة التي كانت تخرج سنوياً من مصر في إحتفال مهيب عماده ونجمه اللامع هو الجيش المصري الذي لا يجيد غير تلك المهمة.وجيش المحمل هذا هو الذي قاتل ضد اليهود في فلسطين عام 1948 فلا عجب إذن أن حصلنا على تلك النتيجة).
ولكن حقاني إستطاع بمبادرته الشخصية أن يكون وحدتين أخريين من مقاتليه التقليديين في وحدتين جيدتى التسليح، وكانتا أدواته الرئيسية في خوست وجرديز وحقق بهما أفضل الإنجازات العسكرية في تلك الحرب.
8ـ..المراكز القوية في أفغانستان سوف تزداد قوة وتنظيماً وسوف يتسع تأثيرها.. خاصة مسعود في بانشير... وجلال الدين حقاني "باكتيا".. وملا مالانج "قندهار"..
حدث هذا التوقع بالفعل فمسعود توسعت رقعه نفوذه، ولكن بوسائل لم نتأكد منها بشكل قطعي إلا بعد إنتهاء الحرب نتيجة عدم الثقة في ناقلي الأخبار كما لم تتاح لنا الفرصة لزيارة مسعود ومنطقة بانشير.. لقد شن مسعود حملة لا هوادة فيها لتدعيم نفوذه الشخصي، وأباد عدداً كبيراً من أفضل قادة الشمال لمجرد إنتمائهم إلى تنظيم غريمه حكمتيار، وبصرف النظر عن فائدتهم القتالية، حتى أنه قتل بعض قادته البارزين خوفاً من المزاحمة على الزعامة.. وهو شيء فعله حكمتيار أيضاً الذي قضى على عدد من أفضل قواده العسكريين وعزل آخرين في أعمال إدارية بعيدة عن الجبهات.
أما حقاني في باكتيا فقد أُصيب بنكسة عسكرية في نهاية ذلك العام "1987" نتيجة المؤامرة الدولية لفتح طريق "جرديز/خوست" ولكنه من بعد تلك المعركة اتخذ لنفسه مساراً جديداً وحقق أفضل إنجازاته وأكبرها في السنوات التي تلت عام **1988.**
منطقة قندهار التي لم يتحقق فيها أي تقدم يذكر حتى نهاية الحرب، وإن شهدت الكثير من المعارك الطاحنة، التي أبدى فيها سكان المنطقة ضروباً من الشجاعة "الجنونية" التي يتميزون

بها تقليدياً، ودارت أكثر تلك المعارك ضد القوات الشيوعية. وأحياناً ضد بعضهم البعض، وهي الظاهرة التي تفشت كالوباء في أفغانستان ولم ينج منها -حسب علمي- سوى محافظة باكتيا -كذلك تقرر مصير الحرب في تلك الولاية وإنبثق الحسم العسكري منها- وذلك من مآثر حقاني "القائد المظلوم"، الذي إلى جانب قدراته العسكرية كان سياسياً من الطراز الأول خاصة في شئون القبائل، فاستطاع أن يحافظ على القبائل الشرسة في باكتيا بعيداً عن مزالق القتال الداخلي.

أما إحتمال أن يحدث تنسيق القادة الثلاث فهو لم يحدث بالطبع.. وإن كانت المراسلات بينهم متبادلة من، وقت لآخر وفيها تعبير عن رغبة في التنسيق المشترك وتلك أمنية قديمة لدى القادة الميدانيين في الداخل بدأت تبرز عملياً في مؤتمراتهم التي بدأت منذ عام1990وقد جوبهوا بنيران حامية من منظمات بشاور وإتهامات بأن تحركهم نابع من واشنطن - وقد كانت أحزاب بشاور وعيونها في الداخل وكذلك الإستخبارات الباكستانية وأسيادها في واشنطن ضد تلك الفكرة على طول الخط.

9ـ .. "الدكتور عبدا عزام.. والأب الروحي للتواجد العربي في أفغانستان والرجل الذي حقق عالمية "الجهاد الأفغاني". كان يعاني بصمت معاناة هائلة من الأحزاب الأفغانية، ومن حكومة باكستان، والحكومات العربية، خاصة السعودية، ومن مواطنيه وأفراد أسرته الذين إلتفوا حوله لمؤزارته فأضروه بقصر نظرهم وتفاهاتهم الصغيرة. وحتى مكتب الخدمات الذي أسسه في بشاور أخذ يتفتت وتأكله الصراعات والفوضى الداخلية، وعجز عن القيام بدوره الذي تأسس من أجله. ومشاريع المكتب في داخل أفغانستان أو على الحدود لم تتوقف عنها النكسات لحظة واحدة، وأصبحت مطمعاً للأفغان الباحثين عن الثروة، فإنتزعوا منها ما إستطاعوا بالقوة أو الخديعة.

أبوعبدا "أسامة بن لادن" أطلق رصاصة الرحمة على مكتب الخدمات عندما قرر وقف مساعدته المالية للمكتب، والتفرغ بنفسه للعمل الجهادي العسكري في جاجي.

كل تلك الأسباب جعلت الدكتور عزام يزحف قريباً من جاجي ويبقى في معسكر صدى "التابع لسياف" ، كي يكون قريباً من أبي عبدا الذي إستقر في جاجي، يبنى فيها التحصينات لسياف، وحتى لا يطير الرجل وثروته من بين يديه.

ثم تجمعت بعض عناصر "الإخوان الدوليين" حول الدكتور عزام للشد من أزره، ولمراقبة أبي عبدا عن كثب ومحاصرة تحركاته في أفغانستان وإجهاضها.. فجاءت عدة كوادر عسكرية إخوانية من التي عملت سابقاً مع منظمة التحرير، وجاء أيضاً بعض الشباب للعمل في مجلة "الجهاد" التي أصدرها الدكتور عزام وبعضهم للعمل في مكتب الخدمات لوضع يدهم في أحشاء مشاريع الدكتور عزام من الداخل.

إستقلال أسامة بن لادن بالعمل، كان ضربة مالية موجعة لمشاريع الدكتور عزام، فتعثرت أعمال مكتب الخدمات إلى درجة كبيرة.

مثل الآخرين ربما تصور الدكتور عبدا أن أبا عبدا سوف يصدم أو يفشل ثم يمل وينصرف. فآثر الرجل الصبر حتى تنتهي تجربة جاجي.

ولكن التجربة العسكرية "التي إنتهت في أوائل شوال1407هـ" إعتبرت نجاحاً ساحقاً للعرب ولأبي عبدا ، (رغم أنني أعتبرتها في ذلك الوقت خطوة كبيرة في الإتجاه الخاطيء).

المهم هو أن الدكتور عزام الذي تولى إصدار النداءات الحماسية الشرعية لإستنفارشباب

السعودية واليمن لمؤازرة أبي عبدا في جاجي ثم التغطية الخبرية المثيرة والصاخبة التي تولتها مجلة الجهاد التي يصدرها مكتب الخدمات، كلها أعطت إنطباعاً عاماً بأن معركة جاجي هي ضمن مشاريع الدكتور عزام ومكتب الخدمات، فإنهالت التبرعات على الدكتور عزام ومكتبه، فإنتعش مرة أخرى وإستطاع لعدة سنوات تالية أن يعمل مستقلاً عن أبي عبدا الذي عمل هو الآخر بشكل مستقل تماماً حتى نهاية الحرب.

أي أن معركة جاجي أفادت الدكتور عزام ومكتبه للخدمات كثيراً ،ورب ضارة نافعة، وكذلك كان الأمر بالنسبة لسياف الذي مثل أمام الرأي العام الإسلامي المتحمس القيادة الشرعية التي عمل العرب تحت رايتها وقيادتها الحكيمة في معركة جاجي.

وإستفاد سياف هو الآخر إستفادة دولية ضخمة من معركة جاجي والفترة التي تلتها، وساعده في ذلك الجهاز الإعلامي والدعائي للإخوان الدوليون. وربما كان الأقل إستفادة مالياً ودعائياً هو أسامة بن لادن نفسه، الذي لم يكن يسعى إلى جمع التبرعات وإن كان يتلقى أحياناً تبرعات من محبيه في السعودية والواثقين فيه كي ينفقها على مجاهدي أفغانستان.

من الآثار السلبية لمعركة جاجي على أسامة بن لادن كانت الحملة الدعائية المضادة التي شنها عاملون فى مكتب الخدمات والتي صورت الدكتور عزام على طرف نقيض من أبي عبدا . فالولاء للأول يستدعي البراءة من الثاني.

ولما كان الدكتور عزام أوسع شعبية بما لا يقارن فقد أُضير أبوعبدا بشكل كبير.

10 ـ .. في بدايات ذلك العام 1987 سافر أبوعبدا إلى السعودية، وقد توجس محبوه من سفرته تلك. لأن سفارة السعودية في إسلام آباد بذلت جهوداً وبذلت أموالاً حتى تعمل الشرطة والإستخبارات والميليشيات الباكستانية على منع "شباب المملكة" من التوجه إلى معسكر صدى للتدريب. ثم إقتنعوا بأن يغمضوا أعينهم عن ذهاب الشباب إلى جبهات القتال أما التدريب العسكري فلم يكن مسموحاً به!!. وكأن الهدف كان إغتيال شباب المملكة على أيدي القوات السوفييتية.

وقد بذل الدكتور عزام مجهوداً في تهدئة خواطر سفير المملكة في إسلام اباد وإستجاب لبعض مطالبه الخاصة بمنع التدريب على بعض الفنون العسكرية وفي مقدمتها المتفجرات..

وقد زار بعض مسئولي السفارة السعودية معسكر صدى ومواقع سياف في جاجي حيث يعمل أبوعبدا ويظهر أنهم إطمأنوا، فتركوا الأمور تسير على ما هي عليه، بل أبدى بعضهم تشجيعاً وحضر بعض مسئولي المملكة خصيصاً لزيارة تلك المواقع، قبل المعارك بالطبع، حتى أن بعضهم تحمس بشكل ظاهر.. وقدم سفير المملكة "الخازندار" بعض خدماته.. وإستمرت الأمور تجري في مسارها المحتوم.

11ـ .. "محاولة لاستقدام طبيبات من مصر".. لم يتحقق ذلك لا من مصر أو من أي دولة عربية أو إسلامية في العالم.. وظلت المرأة العربية المجاهدة التي صاحبت زوجها العربي المجاهد حبيسة بيتها، ولم تساهم بأي دور حتى داخل الجالية العربية نفسها.. والطبيبات منهن كانت خدماتهن مقصورة على نساء الجالية العربية.

هناك عدد محدود جداً من النساء العربيات قمن بدور ما لخدمة المرأة الأفغانية المهاجرة.. وعلى رأس هؤلاء زوجة الدكتور عزام نفسه التي كان لها دوراً كبيراً وبارزاً في تأسيس عدد من المشاريع النسوية.

لا داعي للتذكير بأن عشرات الطبيبات الأوربيات قد قطعن أفغانستان طولاً وعرضاً.. أما

الطبيبة العربية فلم تقترب من الحدود الأفغانية، بل لم تكد تغادر منطقة سكنها في بشاور .
(بعضهن أقتربن من الحدود لفترات قصيره فى إستثناء لا يعتد به).

12ـ .. في بداية ذلك العام 1987 بدأت في وضع مذكرة تناقش بعض القضايا الحركية التي أثارتها التجربة في أفغانستان. وكانت موضع نقاش داخل مجموعتنا الصغيرة ومع عناصر كثيرة خارجها.. وإنتهيت من تلك المذكرة في بدايات عام 1988، وأطلقت عليها اسم "تجارب على الطريق" وقد أصدرتها باسم مستعار وتم توزيع عدد محدود جداً منها على المهتمين من الشباب.

أما أفراد جماعتنا في الإمارات فكانوا يحلمون بدراسة تاريخية موثقة عن أحداث أفغانستان.. وكان هناك عدداً محترماً من تلك الوثائق لدى الصديق المرحوم "نصر ا منصور" الذي شغل منصب سكرتير الأتحاد الإسلامي لمجاهدي أفغانستان لعدة سنوات قبل أن ينفصل ويتحول إلى معارضة ما يحدث من إنحراف ومهازل.. ولكنني لم أتمكن أبداً من الحصول على تلك الوثائق لأسباب مختلفة.

13ـ .."عيادة رمضان المتخصصة".. كان ذلك أسماً رمزياً -شيفرة- يدل على مجموعتنا العاملة في خوست، والتي بلغت أوج نجاحها في رمضان1405هـ من هنا أخترنا لها أسم رمضان،وكونها عيادة ربما نتيجة الأمل في أن تصبح علاجاً للعمل العسكري العربي والأفغاني، وأيضاً لأن مجموعتنا في أبوظبي كانت قد تخصصت في العمل الطبي المناصر للجهاد الأفغاني، وهو أكثر مجالاتها نجاحاً رغم إمكاناتها الضئيلة، ولكنها كانت سباقة ومبدعة في عملها. فأثارت مجالات جديدة تابعتها فيها باقي الجهات العاملة ولكن بإمكانات ضخمة فتفوقوا علينا كثيراً من ناحية الكم ونادراً ما أدركونا من جهة النوع.. نظراً للاختيار الدقيق لعناصرنا الطبية العاملة التي كانت في غالبها متميزة ومتحمسة، فإستطعنا إلى حد ما -وأكثر من طرف آخر- ربط الخدمة الطبية بالعمل القتالي، وهي الفلسفة الرئيسية لعملنا -التي ترمي إلى ربط كل المساعدات بإحتياجات العمل القتالي- وأن تلك الإحتياجات لا بد من إكتشافها ميدانياً وبالمعايشة الفعلية وليس عن طريق السماع من زعامات بشاور المزيفة -بل والخائنة-.

على كل حال كان لدينا تخيل مبدئي للعمل -ثبت كونه صحيحاً كما برهنت الأحداث- وهو تخيل يتناسب مع الإمكانات المتاحة لدى العرب المتحمسين للجهاد الأفغاني ولكن لسوء الحظ لم نستطع نحن -ولا غيرنا- تجميع تلك الطاقات وإستخدامها مجتمعة. لذا ضاعت منا فرصة أفغانستان التاريخية ولم نحقق منها سوى جزء يسير من الفوائد للإسلام والمسلمين.

ونلاحظ أن توسعنا العددى كان محدداً لعاملين: الأول قلة الإمكانات المالية، والثاني قلة الكوادر الملائمة للعمل سواء من العرب أو الأفغان.

ويحتاج الشباب المجاهد دوماً -كما رأينا في أفغانستان- إلى البرهنة على صحة البديهيات!!.. من تلك البديهيات أن العنصر البشري المتفوق "معنوياً ثم فنياً ومادياً" هو أساس كسب المعارك. وأن كثرة الأفراد وكثرة الأموال قد تؤدي إلى عكس المرجو منها.
وسوف نعرض لاحقاً بعض تفاصيل عن عملنا العسكري لذلك العام.

ـ .. "النشاط التعليمي.." وهي محاولة جديدة من جانبنا لربط العملية التعليمية بالعمل القتالي.. وملخصها دمج العمليتين معاً مع إعطاء أولوية خاصة لأبناء الشهداء.

الفكرة تبدأ بتكوين مدرسة لتعليم العلوم الشرعية وضم أكبر عدد ممكن من أبناء الشهداء إليها، وأن يتلقى الطلاب فيها إلى جانب العلوم الدينية علوماً عسكرية نظرية وعملية. ثم

يستكمل الطلاب تدريبهم العسكري في معسكرات خاصة داخل الأرض المحررة.. ثم يشاركون دورياً في العمليات العسكرية في إطار وحدة خاصة لإستيعابهم عسكرياً وإكسابهم الخبرات القتالية. وكان من المفروض أن ننشيء نحن تلك الوحدة العسكرية.

نشأت تلك الفكرة من خلال حوار بيني وبين عبدالرحمن بعد رحلتنا الفاشلة إلى سيرانا وتفجر الخلافات بين مجموعتنا.. وتسليمنا معاً بأن العمل مع العرب لا فائدة فيه.. ولا بد من البحث عن مخرج آخر.

وإهتدينا إلى أن أفضل عناصر المجاهدين هم طلاب العلوم الشرعية(طالبان)، حيث يتوفر فيهم الحافز المعنوي والصفاء الخلقي والفدائية.. وكان ذلك واضحاً في عدد كبير من المعارك، ولكن أحداً لم يلق ضوءاً كافياً على ذلك العنصر الفريد.. وأضفنا إليهم أبناء الشهداء لتوافر عنصر الكراهية للشيوعيين والرغبة في الثأر إلى جانب عنصر التعليم الديني.. فَتَحصل بعد لتدريب على مقاتل أقرب إلى المثالية يمكن أن يحقق الكثير في ميدان المعركة.

لقد وافق معنا على الفكرة جلال الدين حقاني وتحمس. لنا وعرض كل إمكاناته للمساعدة في تنفيذ المشروع.

ولكن وضع مجموعتنا إستمر في التراجع وتلقينا ضربة رئيسية مع دخول "أبوعبدا " إلى ميدان العمل العسكري، ذلك أنه إجتذب أعضاء مجموعتنا القليلون بحيث لم يتبقَ عملياً سواي وعبدالرحمن. وأصبحت توجهات أبوعبدا الميدانية كفيلة بتهميش -وربما تحقير- أي تحرك آخر.. حاولت مع عبدالرحمن مقاومة إتجاه الأحداث والتحركات العربية والأفغانية التي كنّا نراها غير صحيحة وتتجه نحو كارثة بالقضية الأفغانية. وإستمرت محاولاتنا بإستماتة حتى كانت الضربة القاضية بإستشهاد عبدالرحمن في نهاية مايو1988 - فابتعدت عن المشاريع الميدانية حتى عام1990 ، حيث بدأت بشكل جديد، مستفيداً من العناصر الإيجابية المتاحة عربياً وأفغانياً.. وكانت جماعة أبوعبدا ضمن العناصر الإيجابية العربية وظل حقاني هو العنصر الأفغاني الإيجابي الذي راهنت عليه حتى نهاية الحرب، ولم يكن أمامي أي بديل آخر، وقد كان رهاناً صائباً، وأظنه كان عنصراً أساسياً في حسم الموقف الأفغاني كله بوسائله العسكرية وإنتصاراته في خوست وجرديز.

14ـ .. "عيادة الشمال المتخصصة".. وهي فكرة جزئية جداً لمجاهد باكستاني هو الدكتور "عابد" الذي شارك في عدة معارك في مناطق حقاني في بكتيا حيث تعرفنا هناك. ولكنه تحول إلى العمل مع حكمتيار متأثراً بدعايات الجماعة الإسلامية الباكستانية. ولكنه ظل محافظاً على شخصية مميزة وتفكير غير تقليدي. من أمثال تلك الفكرة التي فاجأني بها في بداية ذلك العام.. إنه ببساطة يريد أن ينسف جسر "حيرتان" فوق نهر جيحون "أموداريا" الذي يمثل المنفذ الرئيسي لإمدادات الجيش السوفييتي.

هالتني الفكرة في البداية، وظننت بإستحالتها لأول وهلة. لكنه إستمر في دفاع مستميت عن فكرته عارضاً عدداً كبيراً من النقاط الفنية التي تؤيد إمكان "التنفيذ" ولكننا لم نناقش بالمرة أهمية الهدف وحيويته فلم يكن ذلك موضع شك لذا لم نكد نتطرق إليه في أحادينا التي إمتدت ساعات طويلة على مدى أيام.

وفي النهاية رسمنا خطة للتعاون معه على قدر المتاح لنا من إمكانيات. وقدمت إليه جزءاً من إعتمادات العمل العسكري لجماعتنا -وكانت تلك المجازفة لا بد منها.

وأشرت عليه بمقترحات للتحرك في الخليج عبر جماعتنا -بدون التصريح بتفاصيل تضر

بالعملية- وبالفعل تحرك إلى هناك بعد فترة وجيزة وحصل على معونات إضافية، سافر بعدها إلى أوروبا وإشترى جزء من المهمات الضرورية للعملية ومعظمها معدات غوص وقوارب..

وقضى عابد أكثر من عام في عمل دؤوب شمل إلى جانب توفير المعدات، جمع المعلومات عن الهدف، وتدريب إثنين من أصدقائه لمساعدته في العمل. ثم تحرك في ربيع 1988نحو شمال أفغانستان، مع قادة تابعين لحزب حكمتيار حتى وصل إلى منطقة قريبة من الهدف. وهناك تعرض لخيانة مأساوية من جانب أحد قادة حكمتيار الذى باع مجموعة "عابد" للدولة في مقابل مكافأة مغرية. ولكن "عابد" نجا بأعجوبة بينما تم أسر رفيقاه.. وقتل أحدهما عندما حاول الفرار.. وتبقى الآخر الذي وصل إلى كابول حيث تم تعذيبه ونزع الإعترافات منه، وظهر على تليفزيون كابول وهو يسرد ما يعرفه من تفاصيل عن العملية ورئيسها "عابد".

وكان ذلك بعد توقيع إتفاقية جنيف عام 1988 التي تعهد فيها السوفييت بالإنسحاب.

وقد كلمني عابد قبل تحركه للعملية في أنه مصر على تنفيذها وأيدته في ذلك قائلاً بأن نسف الجسر سوف يعني سياسياً قطع العلاقة المادية بين أفغانستان والسوفييت. وعسكرياً قد يربك - ولو لفترة- عملية الإنسحاب نفسها فيتمكن المجاهدون من إستغلال الفرصة وإيقاع المزيد من الخسائر في صفوف الجيش السوفييتي المنسحب. ولكن عملية المطاردة تلك لم تحدث إطلاقاً..

وكان ذلك أحد فقرات الخيانة الكبيرة التي تمت في الحرب الأفغانية وإشتركت فيها الأطراف الدولية مع باكستان وقيادات بشاور.. ومسعود أيضاً الذي أذهلني موقفه آنذاك وبدأت نظرتي إليه تتغير بعد أن كنت أحترمه كقيادة عسكرية شابة وقديرة. ولم تكن خلفيات عمله في الشمال واضحة بالنسبة لي ولم أكتشفها إلا بعد فتح كابول، حيث ظهر مسعود الحقيقي هناك.

وإستنتجت أنه بعد عام1983 وهدنته مع السوفييت أن مسعود مثل معظم قيادات أفغانستان السياسية والعسكرية قد بدأ لعبته الخاصة ومستفيداً من الحرب لتحقيق مشاريعه في الشمال..

ورغم أنني سمعت مثل تلك الأقوال أثناء الحرب إلا أنني لم استطع تصديقها كما لم يقم عليها دليل واضح عندي.. وكنت قد إعتدت على الإفتراءات والإشاعات المتبادلة، والتقارير غير الدقيقة، فكان من الصعوبة أن أثق في أي شيء أسمعه إلا بعد بحث طويل من زوايا مختلفة.

المهم أن مغامرة "عابد" قد إنتهت بالفشل المأساوي، وأظنها كانت آخر مساهماته العسكرية في جهاد أفغانستان.

15ـ .. ذكرت قصة تركي العمل كمدير لمكتب جريدة الاتحاد في إسلام اباد.. ولكن ظللت أكتب لجريدة من وقت إلى آخر عن أوضاع أفغانستان كما كنت أفعل قبلاً. ولم يكن العائد ليكفي .. إضافة إلى أن مستحقاتي المتأخرة لدى الأتحاد -وكانت عبارة عن راتب أربعة أشهر تقريباً- ولم أستلمها إلا بعد عام ونصف. تفرغت مرة أخرى لإدارة أعمال مكتبنا في أبوظبي، وهي مشاريع مساندة المجاهدين الأفغان. وتشمل مجالات تمتد من الإعلام إلى العمل العسكري الذي كان مفهوم ضمناً أنني مسؤولة المباشر إلى جانب العمل الإعلامي، وذلك مروراً بالعمل الطبي الذي صار من أنجح مشاريعنا حتى أن جماعتنا في أبوظبي إتخذوا لهم أسماً شبه رسمي وهو "لجنة علاج مجاهدي أفغانستان". ثم مشاريع التعليم وهو التخصص الذي تركناه بالكامل بعد فترة وجيزة بعد أن تولته وكالة "إسراء" للإغاثة.. وسارت فيه كأحسن ما يمكن في مثل

تلك الظروف التي كانت مضادة لأي عمل إسلامي جاد.

في النصف الثاني من ذلك العام"1987" أرسل الإخوان الدوليون شخصية طبية بارزة إلى بشاور عن طريق وزارة الصحة الكويتية وهو الدكتور "البوز" الإخواني القديم. وقد تحمس عضو مؤثر في لجنتنا وهو الحاج سيف وهو زميل قديم للدكتور المذكور. وأمر أن تضم خدماتنا الطبية تحت إشراف د/ البوز الذي ترأس "الهلال الأحمر الكويتي" في بشاور. وكان يرى في ذلك تخفيفاً من أعبائنا المالية المتهالكة والمهددة، وذلك لصالح النهوض بمستوى العمل الطبي وإستمراريته في خدمة المجاهدين.

كان رأيه صحيح نظرياً ، ولكنه أدى إلى إنهيار أفضل مشاريعنا الطبية آنذاك وهو مستشفى ميرانشاه . فسرعان ماغادر أطباؤنا الشباب المستشفى وتركوا الساحة كلها بعد وقت قصير..

ولم يلبث د/ البوز أن أثار زوبعة في بيشاور خاصة في الوسط الطبي بين شباب الأطباء العاملين في الهلال الكويتي خاصة " وبعضهم سلفيون بشدة " فثارت عدة أزمات عنيفة إقتربت من درجة الفضيحة . لم يستمر د/ البوز طويلا في الساحة البيشاورية ، وعاد إلى مركزه الرفيع في الكويت . ولكنني لخلافاتي الشديدة مع لجنة أبو ظبي نتيجة قراراتها الطبية ونتيجة عدم التزامي بالتعليمات الصادرة لي من أبوظبي ، صدر قرار بفصلي من العمل معها.

وبالتالي إنقطعت فوراً المساعدة المالية التي كنت أتلقاها منهم ، لكونها أموال مسلمين ولاتصرف في وجهتها الصحيحة لكوني غير ملتزم بالأوامر .

كان ذلك في نهاية عام 1987، في ذروة مأساة حقاني في جبال سرانا في ديسمبر من ذلك العام ، وقد تخلى عنه الجميع حتى قبيلته "زدران" التي ظهرت فيها الخيانة . فبعضها قبض أموالاً من السوفييت وفسح لهم مجال التقدم ، وآخرون قبضوا أموالاً أمريكية عبر باكستان ولم يتعرضوا للقوة المتقدمة وإنسحبوا بلا مقاومة .

كنت عائداً من أفغانستان صوب منزلي في إسلام أباد ، وفي أحد الباصات كنت أدون ملاحظاتي حول الأحداث الجارية ، فكتبت عبارة معناها ." أعاني وصديقي جلال الدين من موقف متشابه .. فكلانا يقف وحيداً بعدما تخلى عنه قومه" .

وكم كانت ملاحظة حزينة وصادقة .. ولحسن حظ كلانا أننا إستطعنا بعد فترة إعادة ترميم الجسور القديمة وإستخدامها بنجاح .. حتى جاء نصر ا والفتح بإنسحاب السوفييت عام1989 ثم إنهيار نظام كابول عام 1992 .

....

خوست .. مسيرة متعثرة وصواريخ جديدة:

(عوضين25)، (مديولي S.S)، (عويس الإكسبريس)

بدأت مع عبدالرحمن في ذلك العام 1987 تنفيذ فكرة العمل على تكوين مجموعة أفغانية من طلاب العلوم الدينية وأبناء الشهداء ، على أن يبدأ مشروعنا هذا في خوست ثم نتوسع تدريجياً حسب توافر الإمكانيات والأفراد .

وكنا قد وصلنا إلى قناعة بأنه لايمكن العمل مع العرب لمشاكلهم الكثيرة ، وقد أكدت لنا تجربة العام الماضي في "جرديز" صحة تلك النتيجة . كانت الخلافات بيننا وبينهم فكرية ومزاجية . فكلانا لم ينتمي قبلاً لجماعات إسلامية ، على عكس معظم العرب الذين تعرفنا عليهم. ويبدو أن أجواء تلك الجماعات تزرع في أفرادها "مرض الإختلاف" وهو حالة فكرية

ونفسية تجعل الشباب مثل الأسماك التي تعيش في مياه مستنقع الخلافات ، فلا يستطيعون الحياة خارجها ولو لفترة قليلة . وحتى إذا خرجوا إلى بيئة جديدة - كما حدث في إنتقالهم من بلادهم إلى أفغانستان - فمن خواصهم العجيبة إفراز مستنقعات خلافية جديدة ، وبسرعة فائقة.

هذه الطبيعة "الخلافية" للشباب قللت نزعتهم العملية وأضعفتها ، وإنشغلوا في برامج جدالية بدلاً من البرامج العملية .

الحالة "الخلافية" و "الجدالية" لدى الشباب أورثتهم نوعاً من القلق وعدم الإستقرار في مجال الفكر والعمل . فالشباب يغيرون توجهاتهم الفكرية في فترات متقاربة ، فينتقلون بين الجماعات كما تنتقل النحلة بين الأزهار بينما تحمل دوماً في أرجلها بذور أزهار جديدة !! .

ولا مجال هنا لبرنامج عملي .. وإن كان لابد من عمل فهو نزوات طارئة يجري تقريرها أثناء فورة حماس ونقاش حاد ، ويتم تنفيذها بسرعة بإعتبارها آخر عمل في الحياة .

والحديث الأول لدى الشباب هو تكوين جماعة أو تشكيل تنظيم .. والنتيجة هي مزيد من التمزق للأمة وإنعدام النظام في العمل الإسلامي .

إختلاف الحالة المزاجية كان سبباً ثانوياً ولكن ذو تأثير ملموس . فبينما كنت وعبدالرحمن نميل إلى العمل في جو من المرح ، كان ذلك لدى معظم الزملاء نوعاً من التصرف الجاهلي ومن دلائل ضعف الإيمان . أما إذا حاولنا التفكير في موضوع صعب وتجميع معطياته الواقعية ، نجد من الزملاء من يصف ذلك بأن ذلك مناقض للإيمان ، ويضع ذلك في صيغة قاطعة كحد السيف قائلاً :"إن الفكر مناقض للإيمان". وعندما سمعت ذلك لأول مرة شعرت أننا لانفهم الإسلام بنفس الطريقة ، وأن ذلك سيجعل مسيرتنا معاً شبه مستحيلة ، وهذا ماحدث فعلاً .

كان في خطتنا أن نتمركز في منطقة "باري" ، وأن نتخذ مركز "سمير جول" مقراً لنا نستخدمه في تدريب المجموعة الجديدة - أو الدفعة الأولى منها - ثم ننطلق في عمليات مناوشة ضد خطوط العدو الدفاعية في الجبال ، وضد المطار إذا سنحت الفرصة . لقد كان ذلك هو الشيء المتاح لنا في ذلك الوقت .

وإن كنا في البداية أردنا أن نجعل الأولوية في العمل هي ضد المطار وأن ندرب مجموعتنا الجديدة على أساليب مهاجمته بالصواريخ، ثم جعل جبل تورغار هدفاً ثانياً وأن نهاجمه أساساً بالهاونات من مواقع متحركة بإستمرار.

إنتابنا شكوك منذ العام الماضي وتأكدت هذا العام أن المطار يقع ضمن إتفاق واسع النطاق وأن قرار العمل فيه ليس سهلاً كباقي القرارات مثل مهاجمة خطوط العدو الدفاعية فوق الجبال. وقد شعرت أن هناك قوة خفية تضغط لجعل عمليات "خوست" محصورة في مناطحة تلك الجبال، بدون الإستيلاء عليها، على الأقل بدون الإستيلاء على المفاتيح الرئيسية فيها مثل جبل تورغار المفتاح الجنوبي والرئيسي للمدينة. والآن "جبال سناكي" التي إستولى عليها العدو في نهاية العام1986 الماضي وتجمد العمل عليها وتحول إلى مناوشات وإستنزاف لا فائدة فيه. وظهر أن "القوى الضاغطة الخفية" كانت تعلم أن العدو لا بد أن يبقى في سناكي كمقدمة للهجوم القادم للسوفييت للمرور من جارديز إلى خوست عبر طريق "جدران"وهي المؤامرة الكبرى التي شهدها شتاء هذا العام.

كنا نشعر دوماً أن هناك قوة طرد كبيرة تدفعنا بعيداً عن المطار.. فالمنطقة التي يمكننا العمل فيها تخضع لمجموعتين، الأولى جماعة "مالي خان" الذي أصبح صديقاً لنا هذا العام، ولكنه لم يفسح لنا المجال بالكامل بل تركه مواربا فقط.. المجموعة الأخرى مجموعة الشهيد

"دادمير" والتي تولاها أخوه "وزير" ورغم علاقتنا الطيبة معهم فلم يكن عملنا ضد المطار موضع ترحيب أو حماس. وكان الرد الجاهز أن ذلك العمل يجلب لهم القصف الجوي ضد مراكزهم الخلفية.

وقد أدهشنا ذلك الرد لأن المفروض أن تلك المراكز هي للقتال، ولكنها في الحقيقة كانت تحولت إلى فنادق كبيرة لشرب الشاي وتعاطي "النسوار" وإتصالات خفية مع"حكومة خوست" وأخرى علنية مع الإستخبارات الباكستانية.

وحتى صديقنا حقاني الذي كان متحمساً لعملنا بشكلٍ عام ويساعدنا قدر ما يمكنه من أجل إستمراريتنا إلا أنه لم يظهر إصراراً على العمل ضد المطار كما لم يصارحنا بحقيقة الأمر، وإكتفى بإلقاء اللوم على قيادات المنطقة من قبائل "جربز" أمثال "مالي خان" و "وزير".. وغيرهما.

بدأنا أعمالنا لهذا العام بإجتماعات مطولة في "بيتنا السري" في إسلام اباد.

كنت قد عدت لتوي من أبوظبي، بينما عاد إخواننا من بانشير بعد أن شاركوا مسعود في هجوم ناجح على قوة حكومية في مدينة "نهرين" في ولاية "بغلان" حيث إستشهد منهم "أبودجانة" المصري الذي تعرفنا عليه في "جرديز" العام الماضي.

من الوجوه الجديدة معنا "أبوسهل" المصري أيضاً والذي إنقلب على سياف بعد موالاة شديدة وتعرف على جماعتنا في رحلة بانشير، ثم إنضم إليهم آملاً أن يجد عملاً ميدانياً أفضل. وتغير كنيته إلى "أبوسهل الكبير" تمييزاً له عن "أبوسهل الصغير" الذي إستشهد في معارك مأسدة جاجي في رمضان من نفس العام.

.. من أهم النقاط التي بحثناها في إجتماعات إسلام اباد كانت :

- تطوير التعاون مع مسعود، الذي وافق على مشاركة العرب الميدانية معه، ورأى فيه إخواننا أنه مثال للعمل العسكري المنظم على أسس علمية.

وإتفقنا مبدئياً على تكوين مجموعة في بانشير تقاتل هناك وتستفيد من تجربة مسعود.

- إتفقنا أيضاً على العمل في خوست وتطوير برامجنا هناك بإعتبار السهولة الكبيرة في الإتصال والإمداد لقربها من الحدود، وكذلك تعاون حقاني معنا وقوته في المنطقة التي توفر لنا مرتكزاً جيداً.

- طرحت مسألة العمل مع "أسامة بن لادن" -أبوعبدا - وكان سلطان "أبوعبيدة" قد بدأ إرتباطه العملي معه، وكان معجباً به أشد الإعجاب، وقد بلغ إرتباطه الأدبي بالعمل معه درجة يصعب معها أن يتراجع.

وكان ذلك إيذاناً بانفصاله الكامل عنّا، مع الحفاظ على رباط المشورة. وشرح لنا مشاريع أبي عبدا في جاجي، وتحصين ذلك الجبل المتقدم "المأسدة فيما بعد". وتناقشنا مطولاً حول سلبيات ذلك العمل من الوجهتين السياسية والعسكرية معاً. وقد أقرنا سلطان على ذلك ورأى أن تواجده ضرورياً حتى نحافظ على أبي عبدا ضمن الساحة الجهادية وفي نفس الوقت تقليل المخاطر الكامنة في عمله الجديد، وضرورة ألا يتعدى كونه قاعدة خلفية "سرية" لمجموعات حرب العصابات ضد العدو في الوادي المقابل.

كنت أرى في مشروع جاجي إهداراً للوقت والمال.

وكانت معظم الآراء إلى جانبي في ذلك فبقي سلطان وحيداً في خندق أبي عبدا ، ولكن ما

أن بدأت معارك جاجي في شعبان، حتى وجدت نفسي وحيداً مع عبدالرحمن في جبال باري في خوست بعد أن ذهب الجميع إلى جاجي، وكان ذلك من أسباب تعثر أعمالنا العسكرية في ذلك العام.
كانت إجتماعاتنا تلك تعكس رغبة متزايدة لدى الشباب العربي في البحث عن مخرج من الهراء الدائر على الساحة الأفغانية، مع البحث عن دور عربي فعال للحالة الإسلامية في أفغانستان وخارجها.
حضر تلك الإجتماعات عصام الليبي الذي كان جسده معنا بينما عقله وقلبه مع سياف الذي لم يكتشف حقيقته إلا بعد أن دخل معه إلى كابول بعد الفتح. وقد جرح عصام في معارك جاجي وشاركنا أيضاً أبوصهيب المصري الذي كان السبب المباشر في إحباط مشروعنا الجماعي في العام الماضي، وقد فجر عدة مشاكل معهم في بانشير أيضاً أثناء بعثتهم الأخيرة.
فكانت علاقته ما زالت متوترة مع أبي سهل الكبير كما هي متوترة أيضاً مع صديقنا عبدالرحمن.
وشاركنا أبوجهاد المصري، الذي كان على أعتاب السفر إلى مصر لإكمال مشروع زواج طال إنتظاره، ولم يعد منه إلا بعد إنتهاء معارك المأسدة.
دعانا سلطان لزيارة المأسدة، ولكن وقت عملنا في خوست كان قد أزف فإعتذرنا عن ذلك. ولكن أبوحفص ذهب في زيارة سريعة وعاد كي يؤكد ما ذهبنا إليه بخصوص العمل هناك.

إذا دعيتم فلبوا

في مارس 1987وصلت ميرانشاة الحدودية بصحبة عبدالرحمن وأبي حفص الذي فقد الكثير من إنسجامه في داخل مجموعتنا المحدودة. فمن جهتي، فقد تلقى عبر أصدقائه الكثيرين تحذيرات من العمل معي، بعضها كما ذكرنا وصله من السعودية وأكثرها من بشاور. ومن جهةعبدالرحمن فرغم صداقتهما القديمة وشهرتهما الثنائية في بشاور كأحسن ثنائي في كرة القدم والشهرة التي أحرزاها معاً في معركة "شهرناو" بين الأفغان في شتاء 1984 إلا أن العلاقات بينهما شابها الفتور.
كان برنامجنا الأول في تلك الرحلة يتلخص في البحث عن شخصية مناسبة من طلاب العلم الأفغان كي نبدأ معه إختيار أفراد المجموعة الأفغانية الجديدة وقد رشحنا بعض الأسماء التي نعرفها وبدأنا في البحث عنهم.
النقطة الثانية كانت إستطلاع الجانب الشمالي من جبال خوست في منطقة "جاني خيل" لبحث إمكانية إستخدامها في قصف مطار المدينة.
وقد أفادنا أحد قادة المنطقة بإمكان ذلك وأنه شخصياً سبق له أن فعل ذلك فقررت الذهاب معه للتأكد من ذلك، وكان القائد هو مولوي "أليف جول" من أصدقاء حقاني الموثقين.
وكان ذلك هاماً لكون المنطقة هناك مرتعاً للمنافقين.
بدأنا تدريجياً في ترتيب أمورنا الإدارية في "ميرانشاة" وتخصيص منزل لنا نضع فيه المعدات والأسلحة ونستقبل أفرادنا ونخصص له حارساً موثوقاً وكان هو صديقنا القديم موسى وهو شاب أفغاني مثقف ضعيف البصر ولكن ذو روح جهادية عالية ومخلص لإخوانه ومحب للعرب.
في صبيحة أحد الأيام إستدعينا على عجل إلى مكتب حقاني لتلقي مخابرة تلفونية عاجلة

من بشاور. ذهبت مع أبي حفص وعبدالرحمن وكان المتكلم هو "أبوخالد الضابط" الذي شرح لنا بإختصار أن هناك عملية وشيكة سوف يقوم بها العرب في "جاجي" ونحن مدعوون للمشاركة فيها وإختتم حديثه معي بعبارة "وإذا دعيتم فلبوا" وهو جزء من حديث شريف حول الدعوة إلى طعام.

كان أبوحفص قد تحدث معه أولاً وكان يرجو أن يكون ذهابنا جماعياً لكنني رفضت بشدة، ولكنه طلب الذهاب لمدة محدودة ليستطلع الأمر، فإذا كنت المعركة قريبة شارك فيها وإذا كانت بعيدة حضر إلينا مرة أخرى كي يطلعنا على تطورات العمل هناك.

وبشيء من الخجل طلب منّا أن يسافر راجياً ألا يسبب ذلك أي مشاعر سيئة لدينا.. واعداً بالعودة..

في اليوم التالي سافر أبوحفص فجراً لكنه لم يعد إلينا بعدها أبداً -أقصد للعمل- وكنت أشعر بذلك قبل سفره، لقد واتته الفرصة لكي يتخاص من العمل معنا. وإنضم بذلك إلى صديقنا سلطان فتشكل منهما العمل العسكري لأبي عبدا منذ معركة المأسدة وحتى الآن.

 بالطبع تأثرت معنوياتي وكذلك عبدالرحمن، وحاولنا التغلب على مشاعر العزلة والإحباط بإظهار المزيد من التحدي والإصرار على برامجنا القتالية، التي ما زالت تبحث عن بداية جديدة مناسبة. وهو ما لم يحدث مطلقاً حتى إستشهد عبدالرحمن فوق جبل تورغار في ربيع العام التالي.

لم أذهب مع مولوي "أليف جول" لإستطلاع مناطق "جاني خيل" والسبب أنه غير برنامجه وبدأ في أعمال أخرى. وبمراجعه الخرائط مع ضابط المدفعية "عبدالملك" الذي يعمل مع جماعة "سمير جول" التي نقيم معها في باري ثبت لنا أن ذلك العمل غير ممكن بغير الدخول في عمق مناطق يسيطر عليها العدو. ومعني ذلك أننا يمكن أن نقوم بذلك مرة واحدة فقط وهو ما لا يناسب برنامجنا الذي يبحث عن ضغط دائم معظم الوقت ضد المطار. إضافة لذلك لقد مال تفكيرنا أكثر إلى الضغط على المطار بشدة من منطقة باري بهدف إستدراج العدو لمطاردتنا فيها وإحتلال المزيد من الجبال، وفي المقابل نكون جاهزين لإستقباله بكمائن قوية مجهزة سلفاً وهجمات معاكسة بالتعاون مع مجموعات المجاهدين في المنطقة، وكان عماد تفكيرنا آنذاك هو "جماعة منان" من البدو وهم الأكثر إعتمادية لدينا في المواقف الصعبة، بينما لم تكن جماعة "سمير جول" التي نقيم معها تشكل لدينا إعتبار كبير، وذلك بالنظر إلى تاريخها في العمليات.

 على جانب آخر فإن الشخصيات التي كنّا نبحث عنها من أجل تكوين مجموعتنا الجديدة لم يكن منها أحد متواجداً آنذاك في المنطقة. وهكذا تعطل عملنا عدة أسابيع.

ولنقلب الآن بعض صفحات المذكرات التي كنت أدون فيها نقاط سريعة عن أحداث تلك الأيام. الصفحة الأولى من المذكرة تبدأ بتاريخ الأربعاء 15 شعبان 1407هـ الموافق 15 أبريل 1987م .

يوم الأربعاء 15أبريل1987 حضرت السيارة إلى بيتنا في ميرانشاة، وهي من نوع "بيك أب" الشائع الآن في منطقة الحدود، حملنا أغراضنا العسكرية والمدنية في الصندوق الخلفي وكنّا ثلاثة من العرب، إضافة لي كان معي عبدالرحمن وأبوسهل الكبير الذي جاء إلينا في زيارة مؤقتة هي الأولى له في المنطقة. رافقنا شاب في مقتبل العمر هو "لاله".

والشاب قائد لأحد المجموعات في المنطقة وكذلك والده أيضاً ويدعى "سيد أحمد"

على غير بعيد من المنفذ الحدودي دخلنا أحد الطرق المهجورة التي لم نكن نلتفت إليها فإذا بها تقودنا إلى قرية "مؤقتة" بناها هؤلاء الذين لا يرغبون في الهجرة إلى باكستان، كان سيد أحمد هو سيد هذه القرية، حيث إستقبلنا بحفاوة بالغة وحضر مجلسنا كل رجال القرية، ومعظمهم من المسنين. أحضروا لنا شاي بالحليب مع "الكيك"، وهي من مظاهر الاحتفال بالعيد في تلك المناطق. وفي نهاية الجلسة الترحيبية سلمنا سيد أحمد عدداً لا بأس به من قذائف الهاون -حسب ما أوصاه حقاني- كي نستخدمها في عملياتنا القريبة. ثم ودعتنا القرية بالدعاء والبكاء.. فسالت عبراتنا معهم.

مضت بنا السيارة في ذلك الطريق الخشن، المحبب إلى نفوسنا أكثر من أي طريق آخر على ظهر الكرة الأرضية، حتى صرنا نحفظ أحجاره وأشجاره، ونتفقد ما غاب منها أو زاد عليها. كانت عودتنا إلى باري بعد غياب مهما كان قصيراً كانت عودة مشحونة عاطفياً.. وكثيراً ما تدمع أعيننا، خاصة عبدالرحمن الذي كانت عاطفته تجاهها أشد سخونة. وعادة ما تنطلق عقيرته بأناشيد حماسية أو عاطفية من أمثال"يحن إلى أرض المطار فؤادى"، أما إذا سخنت الإشتباكات فالأغاني الإسكندرانية هي المفضلة لديه.

مرت سيارتنا أمام "مركز منان" حيث أصدقاؤنا البدو ، وما أن عبرت سيارتنا المركز وسارت في الطريق الذى يواجه تورغار حتى دوي إنفجار قريب، فجفلنا للمفاجأة حيث كان الهدوء الساحر يغمر المكان بسكينته المعتادة. ظننا في البداية أنها قذيفة هاون جاءت من تورغار قريباً من سيارتنا، ولكن الإنفجار كان ناتجاً عن إنطلاق صاروخ من فوق الجبل في إتجاه تورغار. ولم يلبث أن جاءهم الرد سريعاً من هناك،عبارة عن إثني عشر قذيفة هاون ثقيل وكانت سيارتنا تتهادى داخل قوس النيران حتى وصلنا إلى مركز سمير جول. بينما هبط "لاله" وبعض رجاله قريباً من مركز منان حيث إتخذوا مركزاً قريباً في أحد الشعاب الضيقة الوعرة، وقد صار ذلك المكان واحداً من أهم مراكز إدارة العمليات في خوست كلها.

ومنه أُديرت معارك الفتح وفيه حفرت مغارات لتخزين الكميات الأساسية من الذخائر وعرف وقتها بإسم "مركز خليل" على إسم شقيق حقاني الأصغر الذي أسس ذلك المركز في صورته الموسعة النهائية.

في ذلك الوقت كان المركز عبارة عن عريش صغير من الطين داخل الشعب الضيق. ما أن وصلنا مركز "سمير جول" حتى بدأت مراسم التحية والإستقبال من أصدقائنا القدماء، وكان لا بد أن نشرب الشاي حسب التقاليد المتبعة، فشربناه بسرعة لأننا لا بد أن نصعد الجبل قبل غروب الشمس كي تقر أعيننا برؤية "تورغار" عدونا الأول، والهدف الأقرب لنا.

كان الوقت ضيقاً فقررنا إستئناف الملاحظة غداً. ونزلنا إلى المركز.. الجميع يشعر بإرهاق الرحلة وكان من المفروض أن ننام مبكرين كي نبدأ تجوالنا فوق الجبال من الصباح الباكر، وقد فعل عبدالرحمن وأبوسهل ذلك بسرعة عجيبة وتعالى شخيرهما داخل تلك الغرفة الطينية الصغيرة ذات الباب الخشبي والتي أكرمونا بالمبيت فيها في ليلتنا الأولى فقط، لأنها غرفة زعيمهم الروحي "عجب نور" الذي كان غير متواجد يومها.. ورغم كرم الضيافة والمبيت في تلك الغرفة ذات النجوم الخمسة التي ميزتها الأولى والأخيرة أنها فقط خارج المغارات، وما سوى ذلك فهي تتمتع بنفس مزايا المغارة من حيث وفرة البراغيث، كذلك الفرش والأغطية عديمة اللون ولكن ذات الرائحة النفاذة. أصابني أرق شديد في تلك الليلة

ظللت أفكر في برنامجنا القادم ضد تورغار، وتوظيف ذلك في برنامجنا لتكوين مجموعة أفغانية جديدة. فى الثالثة صباحاً غلبني النوم.

الخميس 1987/4/16:

صلينا الفجر في مسجد المعسكر، طلبت من جماعتنا تأجيل تجوالنا الجبلي إلى ما بعد الظهر لكوني مرهقاً ولم أنم ليلة الأمس. ثم جاء حادث إسقاط طائرة أفغانية في صباح ذلك اليوم ،"التفاصيل فى موضع سابق إضافة إلى القصة التي أوردها العميد يوسف حول نفس الموضوع".

المهم كان الحادث سبباً في إشاعة جو من الإثارة والبهجة في مراكز المجاهدين، وتناقلت أجهزة اللاسلكي الخبر فيما بينها مع التبريكات الضرورية. كانت بداية مشجعة في يومنا الأول، وكانت نهاية اليوم لا تقل إثارة وتشجعياً عن بدايته حتي أنها منعت عنّا النوم لفرط السعادة.

بعد الظهر تحول موكبنا الصغير بقيادة "سمير جول" الذي قادنا عبر قمم الجبال إلى موقع ممتاز يتحكم تماماً في مدخل باري من مدخل قلعة "بوري خيل" المهدمة. وقال سمير جول أنه ينوي وضع دوشكا في هذا الموضع ويحفر لها مكان لمبيت طاقمها وحمايتهم من القصف. كان فكرة رائعة لمراقبة ذلك المدخل الحيوي للوقاية من الهجمات المفاجئة وكذلك تسرب الجواسيس أسعدتني الفكرة ولكنها للأسف لم تُنفذ أبداً. فوق الجبل تكلمنا طويلاً مع "سمير جول" حول عمليات إجتياح "باري" والتي قامت بها الحكومة والطرق التي سلكتها والجبال التي إحتلتها لتأمين قواتها المتقدمة، والأهداف النهائية للقوات .

وظهرت لنا صورة واضحة لثوابت العمل الحكومي عسكرياً، وبدأنا نفكر في تفاصيل كمين واسع لإستدراج قوات الحكومة مرة أخرى إلى باري والقضاء عليها داخل شعابها وفوق قممها.. وهو الشيء الذي أدهشني دوماً عدم قيام المجاهدين به. وكان في برنامجنا إصطحاب سمير جول، لكونه حضر جانباً من تلك المعارك، وعدد من شباب "منان" في جولات تفصيلية لتحديد خطة الكمين، بحيث يناسب أوضاع المجاهدين وطابعهم العجيب في القتال.

أما في الوقت الحالي فكان موقع تورغار على خريطة عملنا هو عمليات إستنزاف وإرهاق. فقررنا إتخاذ أسلوب الخداع والقصف من مواقع متغيرة بواسطة الهاون ، وهوأسلوب غير متبع هنا، فمواقع الرماية ثابتة يتم تسجيلها في مواقع العدو وقصفها بالمدفعية والطيران من وقت لآخر وبشكل وقائي، أما الرماية المعاكسة عليها أثناء الإشتباك فهي خطيرة جداً وسريعة لكونها معلومة الموقع. كذلك كانت لدينا صواريخ الكاتيوشا بطرق إطلاق منوعة سواء بالتوقيت أو عن بعد بإستخدام "رومت كنترول" من نوعين مختلفين، أحدهما صنعناه بأنفسنا في ورشتنا في ميرانشاة ولكننا لم نجربه ميدانياً حتى الآن. أما النموذج الآخر الذي صنعه زملاء لنا في بشاور فقد أثبت نجاحه في العام الماضي، وإن ظلت الشكوك تراودنا في أنه قد يخذلنا في أحد المواقف الحرجة، فقد علقت في أنفسنا مرارة تجربة عام 1985 في استخدامه ضد مطار خوست وكراهية عبدالرحمن "للرومت كنترول" جعلتني أعطيه لقب "عدو التكنولوجيا" وهو لقب كان يشعره بالفخر "!!".

قررنا بناء مركز وهمي نجعل العدو يكتشفه ونغريه بقصفه أرضاً وجواً بواسطة إطلاق صواريخنا قريباً منه مع رفع راية عالية على قمة قريبة كما هي عادة المجاهدين في المراكز الكبيرة "!!".

وعلى الصعيد النفسي فيمكننا إرهاق حامية تورغار بإبقائهم في حالة إشتباك وهمي طوال الليل عن طريق الأضواء الخادعة التي تُدار بالتوقيت أو عن بعد. أو التي تتحرك فوق ظهر

أحد الدواب ليلاً "حمار مثلاً".

خطر لنا إنشاء إذاعة في الجبل المقابل لتورغار والموازي له بفاصل أقل من ألفي متر بين الجبلين. فقررنا شراء عدة ميكروفونات ومسجل.. وإدارة الإذاعة بواسطة شخص أو عن بعد و لكننا قررنا الإستعانة بأحد أصدقائنا العرب ذوي الخبرة الألكترونية.

تداولنا هذه الأفكار وأمثالها ونحن فوق القمة المواجهة لقلعة "بوري خيل" بينما "تورغار" بجثته الصخرية المهيبة يرقد على ميمنتنا، على مسافة حوالي خمسة كيلومترات ولكننا نشعر بثقله كاملاً.. فوق قلوبنا.. وكخطوة أولى لبرنامجنا العدائي ضد تورغار أرسلنا أحد مجاهدي "سمير جول" كي يضع "مصباح كيروسين" قرب أحد الأشجار فوق قمة في إتجاه تورغار بحيث يسهل رؤيتها عليهم. فمشى المجاهد حتى إختفى عن أنظارنا وسار مسافة أبعد مما حددنا له حتى شعرنا بالقلق عليه. ولكن سمير جول طمئننا بأن هذا الشخص خبير بالمنطقة، فتشاغلنا عنه وما زال القلق ينهشنا حتى عاد إلينا في المركز قبل الغروب بقليل وقد أنجز مهمته.

عاد متهلل الوجه رغم العرق الذي يغمره، وبشرنا بأنه أنجز مهمته. فقلت له "يبدو أنك وضعت المصباح فوق تورغار نفسه"، فإنفجر الجميع بالضحك، وشاركنا الرجل الضحك بروح رياضية.

بعد العشاء جلسنا جميعاً لتناول الشاي معاً وإستعراض الموقف الحالي في المنطقة وخطة عملنا المستقبلية التي ما زالت قيد البحث. وفجأة سمعنا قصفاً بالهاونات وكأن المنطقة التي كنّا فوقها كانت هي المستهدفة.. وبالتدريج إشتد القصف وشاركت فيه قطع عديدة من المدفعية والهاونات، ثم شارك الرشاش الثقيل "شلكا" من عيار23مليمتر الموجود فوق تورغار الذي صب صليات طويلة متتابعة فرفع وتيرة المعركة. قمنا إلى سلاحنا تحسباً أن يكون ما يحدث هو مجرد تغطية لتقدم قوات معادية من طرف "بوري خيل" ولم يلبث أن جاءنا مجاهد وهو يركض لاهثاً وهو يصيح علينا "تورغار بسيار جنك". أى أن هناك معركة شديدة في تورغار.

وقفنا متحيرين لبرهة ثم تذكرنا "المصباح"!!.. أخذنا نضحك في دهشة.. هل يمكن أن تكون كل هذه الرمايات على المصباح؟؟.

صعد مجاهدون فوق قمة الجبل الذي نتمركز تحته وعادوا يؤكدون أن الرمايات كلها في منطقة المصباح.. فجلسنا نضحك ويهنيء بعضنا البعض، وأطلقنا عليها "معركة تورغار والمصباح السحري".. وجلسنا نتحدث حتى منتصف الليل حول برامجنا بعد هذه البداية المشجعة والنجاح غير المتوقع.. فقد إستمر العدو يقصف بعنف حتى منتصف الليل تقريباً!!.. كما قصف ليلاً على فترات متقطعة.

الجمعة 87/4/17 :

كان لنتائج الأمس أثراً حسناً في نفوس الجميع فقررنا الإسراع في تطبيق برنامجنا الجديد. خاصة وأن عدد من الشباب الأفغاني قد تجمع معنا تحت قيادة أحد طلاب العلم، وصديق قديم لنا ومقاتل شهير أيضاً هو "والي جان". وله موقعة بطولية مشهورة حيث صمد بمفرده فوق قمة أحد جبال ليجاة أمام قوة كبيرة للعدو أرادت الإستيلاء على القمة تحت قصف مدفعي شديد. ونظراً لعدم وجود خنادق إضطر المجاهدون إلى ترك القمة والإنسحاب إلى الخلف، ولكن والي جان رفض الإنسحاب وإستمر يطلق النار على القوة الشيوعية بواسطة رشاشة الخفيف "بيكا". حتى فقد العدو كثيراً من رجاله ولم يستطع الإستيلاء على القمة رغم

كل محاولاته، حتى جاء الليل فإنسحب العدو عائداً من حيث أتى.

عاد المجاهدون إلى القمة للبحث عن "والي جان" الذي ظنوه قد قُتل. ولكنهم وجدوه مغشياً عليه وقد غمرته الدماء وأُصيب بالجروح في جميع أنحاء جسده. ولحسن الحظ أنها لم تكن قاتلة، وعاد "والي جان" إلى الجهاد مرة أخرى.

كنّا بحاجة إلى مجموعة كاملة من ذلك الطراز، ولكننا للأسف لم نجد سوى واحد فقط. ولكن والي جان رشح عدداً من معارفه الذين يثق فيهم وإن كانوا ليسوا من طلاب العلم، وليست لهم تجربة سابقة في القتال، ولكنهم شبان طيبون. وأحضر أربعة منهم في بداية العمل، ولم يتعد المجموع سبعة أشخاص.

رافقنا "والي جان " في تجربة الأمس وتحمس معنا للأفكار الجديدة، ولكن التجربة أثبتت عدم قدرته على تنفيذها، فقد إكتشفنا مرة أخرى عدم مناسبة ذلك الأسلوب للأفغان الذين يفضلون الهجوم المباشر والمعارك القصيرة التي تعتمد على المواجهة وإظهار الشجاعة -وفي هذا يشترك العرب معهم- ويضيف الأفغان رغبتهم في الحصول على غنائم من العمليات الكبيرة. كما أنهم مثل العرب لا يطيقون التمهيد الطويل للمعارك، سواء كان ذلك التمهيد تدريباً أو مناوشات.

نقطة أخرى في برنامجنا لم تكن تتناسب مع طبيعة الأفغان القتالية وهي فكرة إستدراج العدو إلى عمق مناطقنا الجبلية ثم الإطباق عليه ومنعه من الخروج والقضاء على قواته في منطقة تناسبنا ولا تناسبهم.

فقد لاحظنا عيباً خطيراً لدى الأفغان أن إنهيار خط تواجدهم الأول "لا نقول دفاعهم" يعني إنهياراً كبيراً قد يكون شاملاً، بمعنى ضياع منطقة شاسعة وتفريغها من المقاومة. والغريب أن نفس القاعدة تكون صحيحة في بعض الأوقات حتى على الجيش الأفغاني نفسه.

على أية حال لقد تغير تصورنا بالنسبة لموضوع إستدراج العدو، فلم نكد نعمل لعدة أشهر في المنطقة حتى تأكدنا أن العدو في خوست قد فقد تماماً أي قدرة أو رغبة في الهجوم وأن عملية "سناكي" هي آخر ما يمكن لقوة خوست العسكرية أن تفعله، وهي تركيز كافة طاقتها النيرانية وبمساعدة طيران كابول فوق قمة جبلية قريبة من الوادي ثم تحتلها وتتحول إلى الدفاع الساكن وبمساعدة الطيران والمدفعيات الخلفية من الوادي.

أشارت المعلومات لدينا ولدى المجاهدين أن معنويات القوة في خوست في أدنى مستوياتها حتى أننا إلتقطنا مخابرة للعدو مع كابول يهدد فيها بأنه يعاني من أزمة تموين خانقة وأنه قد يضطر إلى التسليم!!.

ولكن وضع المجاهدين وقتها لم يكن يقل سوءاً. كما أن ثقلنا في العمل لا يسمح بعمل هجومي من أي وزن ذو قيمة. وإن كنّا نستطيع خلال وقت قصير أن نتحول إلى أفضل مجموعة إزعاج في المنطقة كلها.

كان تقييم المجاهدين صحيحاً بأن وضع خوست وصل أدنى مستويات القوة وأنها مهيأة للسقوط. ولكن لم تبذل أي محاولة لمجرد بحث القيام بعمل مشترك ضد المدينة لفتحها. وبدلاً من ذلك إنتظر المجاهدون حتى الشتاء حيث بدأت الحملة الساحقة والخائنة لفتح الطريق وإعادة تموين المدينة وتجديد دفاعاتها.

كنّا في ذلك الوقت نشعر بحسرة شديدة على المجهود العربي الكبير الذي ضاع هباءاً في جاجي. وكنّا نشعر أن ذلك المجهود لو كان قد وضع هنا في خوست، لفعلنا بالتعاون مع

مجموعتين أو ثلاث من المجموعات الموثوقة هنا الشيء الكثير.
في يوم الجمعة المذكور توجهنا في سيارة سمير جول إلى ميرانشاة لشراء بعض المعدات، وإحضار باقي معداتنا التي تركناها هناك حتى نبدأ في أقرب وقت برنامجنا الجديد. في الطريق وقبل قرية "شاميت" دخلنا يميناً في وادي غير ممهد حيث مركز "ميش" على بعد مئتي متر. وهو مركز نعرفه منذ عامنا الأول في المنطقة، ولكن هذه المرة حفروا مغارة كبيرة في الجبل بعمق ثلاثون متراً ويتفرع منها مغارة أخرى ذات باب مغلق. أعجبني كثيراً هذا المجهود الذي لا يتوافق مع معيشتهم الهادئة في ذلك المركز الذى هو صورة طبق الأصل من حياتهم العادية في قرى وزيرستان. فهنا الدجاج والماعز وجلسات الشاي الطويلة، وتوديع المسافرين بالأحضان والتوصيات للأهل، وإستقبال القادمين بالأحضان والسؤال عن الأهل. كانت تستهوينا الزيارات لقريتهم هذه كما كنّا نسميها، وبعد ذلك كنّا نتعمد زيارتهم للترويح عن أنفسنا والإستمتاع بطريقتهم الرائعة في تجهيز الشاي بالحليب.
في طريقنا إلى "ميرانشاة" كان سمير جول يستمع إلى أخبار راديو لندن بالباشتو وأخبرنا أن الإذاعة تقول أن طائرتين للشيوعيين قد أسقطتا بالأمس واحدة أسقطها المجاهدون وأخرى أسقطتها باكستان - تذكرت عندها أن صديقنا أبوسهل كان يصر أنه شاهد طائرة أخرى مصابة قبل تلك التي شاهدناها، وقد صاح علينا وقتها لكننا كنّا نائمين وتكاسلنا، وإلى أن خرجنا كانت طائرة ثانية قد أُصيبت، والأرجح أن صاروخاً قد أُطلق عليها من باكستان. ولكن ظللت في حيرة فمن أسقط الطائرة الأولى إذن؟ لأنه في مثل هذه الأحوال ينتشر الخبر عن إسم الرامي الذي أطلق الصاروخ وليس فقط الإنتماء الحزبي لمجموعته.
في ميرانشاة علمنا أن مولوي جلال الدين حقاني قد غادر في إتجاه "الأورجون". وعلمنا فيما بعد أنه خرج في مغامرة مع صاروخ ستينجر لم تكلل بالنجاح.
مع عبدالرحمن وموسى بدأنا في شراء ما نحتاج من أدوات كهربائية وخيمة وسارية طويلة من أعواد البامبو، كما إشترى والي خان حمارين.
وأعددنا "رومت كنترول" الذي صنعناه بأنفسنا ،وكنّا نطلق عليه أسم الكركور، كما كتب عبدالرحمن على جوانب صندوقه الخشبي عبارات مماثلة لتلك التي تكتب على صناديق الشاحنات في مصر من أمثال "ملك الملوك إذا وهب" - "الحلوة دي من المنصورة"... إلخ.
حاولنا الإتصال تلفونياً مع بشاور لإستدعاء "بلال" وهو مهندس إلكترونيات، من أجل مساعدتنا في مشروع "الإذاعة الدينية" الموجهة إلى تورغار.

<u>الأحد 87/4/19 :</u>

صعدت إلى نقطة المراقبة مع سمير جول بينما ذهب عبدالرحمن مع والي جان وإثنان من أفراد المجموعة في أول تمرين على الطبيعة لنصب صواريخ موقوتة وكان الهدف هو تورغار، عادوا إلينا في الواحدة ظهراً. إنطلق الصاروخ الأول في الثانية وخمس دقائق والثاني في الثانية وثمانية عشر دقيقة. سقط الصاروخان إلي خلف الجبل. بعد قليل بدأ "تورغار" يرد على النيران ولكنه بدلاً من أن يقصف المنطقة التي أطلقنا منها فقد إطلق نيرانه على منطقة "توده شني" التي يتواجد بها عادة مركزاً أو أكثر للمجاهدين. لم يتصور العدو أن القصف جاء من منطقتنا الجديدة ،غرب تورغار، فلم تكن قد إستخدمت قبلاً. إستنتجنا أنهم لم يكونوا متواجدين في نقاط المراقبة وأن ترصدهم ضعيف، إما بسبب الإهمال والتراخي أو بسبب هبوط

المعنويات. لم نكن سعداء لأن الصواريخ عادة تعبر الجبل وتسقط إلى الخاف، لذا كنّا نفكر في الإعتماد أكثر على الهاون في عملياتنا القادمة. ولكن ضابط المدفعية "عبدالماك" الذي كان قد خدم في خوست طويلاً، قال بأن الرماية خاف الجبل أهم من ضرب حافته العليا، لأن في الخاف توجد الخدمات الإدارية الخاصة بالجبل، في قرية "شهيد كالاى" حيث تخزين المهمات والذخائر والسيارات وغيرها.

كانت ملاحظة هامة إكتشفت أنها تكاد تكون قاعدة في حرب الجبال في أفغانستان، أن هناك مناطق ومنشآت إدارية لصيقة حاف خط الدفاع الجبلي.

والقمم الهامة "مثل تورغار" يكون لها نقطتها الإدارية الخاصة. وقد يوجد مركز إداري ملاصق في منطقة متوسطة تتمكن من خدمة عدة قمم يقدم لها خدماته ويتكون المركز من عدة غرف للتخزين والمبيت، ولم يلجأ العدو أبداً إلى حفر خنادق أو مغارات للأغراض الإدارية كما فعل المجاهدون، وذلك لشعوره الكبير بالأمن. فالنقاط الإدارية يستحيل أحياناً أن يحدد مكانها المجاهدون لكونها محجوبة عن رؤيتهم وبالتالي لا يمكن لهم أن يقصفوها ، فيما عدا القذائف الطائشة التي قد تسقط على تلك المراكز بلا قصد.

هذه المراكز الإدارية لم تكن مهيأة بالمرة للقيام بأي دور عسكري حتى ولو كان للدفاع عن نفسها، ربما نتيجة هذا الشعور الأكيد والطويل بالأمن والذي رسخ قاعدة من الإهمال كما سنرى في عمليات فتح خوست حين تم تطويق خط الدفاع القوي في الجبال والإلتفاف خلفه وضرب مراكزه الإدارية الخلفية، وحتي أن أكبر قواعدة الإدارية وتدعى "فارم باغ" قد تم الإستيلاء عليها بدبابتين فقط لا يساندهما أحد من المشاة "!!".

إذن سقطت صواريخنا خاف الجبل، وربما أدت إلى إصابة ما.. ربما.. ا أعلم.. كنّا نتمنى دوماً أن نرى الأثر المباشر لعملنا.. ولكن كنّا نصبر أنفسنا بأنه في حالات كثيرة فعلت القذائف الطائشة أعمالاً هائلة تعجز عنها القذائف الدقيقة التي سبق التخطيط لها

<u>في يوم الأربعاء التالي :87/4/22</u> تأكّدتْ لدينا تلك الأمنيات والتبجيل لتلك الطلقات التائهة. فقد وصل إلى مركزنا خمسة من جنود الجيش الفارين من فوق جبل تورغار. وقد إستجوبناهم مطولاً ونحن نحتسي معهم الشاي،حول أوضاعهم في المدينة عامة وفوق تورغار خاصة. فأخبرونا أن قائدهم قد قُتل منذ عدة أيام وكان قد عاد لتوه من دورة تدريبية في الأتحاد السوفييتي.

"وكم تمنينا أن تكون صواريخنا التائهة هي السبب". وأضافوا بأن القوة التي تحمي تورغار هي من تشكيل يدعى "سيباه إنقلاب" أي "دعائم الثورة" وعددهم سبعون شخصاً معظمهم من كبار السن. وأن الرائد عجب مزاري قد تولى قيادة اللواء الحدودي "لواء سرحدي" بدلاً عن القائد الذي قُتل وأن تورغار يقع ضمن مسئولياته.وسوف يمر معنا ذلك الإسم "عجب مزاري" فيما بعد. الضابط "عبدالماك" رجل دمث الخاق متين البنية منظم للغاية يحمل حقيبة سوداء صغيرة بها مجموعة من خرائط المنطقة ومجموعة أدوات هندسية مما يحتاجه رجل المدفعية.

كانت الخرائط بغيتنا،هذه المرة حصلنا على نسخة من الخرائط التي كانت بحوزة أطقم الهيلوكبتر في الطائرتين اللتين فرتا في عام1985 إلى ميرانشاة. ينقصنا فقط توضيح عدد من مواقعنا ومواقع العدو فوق تلك الخريطة.. فكانت لنا جلسات مفيدة وممتعة ومطولة مع ذلك

الضابط الهادي‏ء -رحمه ا - الذي أفادنا كثيراً في ذلك الجانب، وفي فهم المنطقة والعدو بشكلٍ أفضل.

يوم الإثنين 87/4/20

إختبرنا "الكركور" لأول مرة عملياً فنجحت التجربة، وإستطاع الكركورالعجيب أن يعمل إلى مسافة أربعة كيلومترات -على شرط عدم وجود عوائق بين المرسل والمستقبل.
فرحنا كثيراً بإنتصارنا التكنولوجي. ونظراً لأن عملياتنا الأخرى تتقدم بشكلٍ لا بأس به فكرنا في التقدم خطوة أخرى إلى الأمام. فقررنا مثلاً إشراك بعض المجموعات الصديقة في مشروعات إزعاجية موسعة.. وغير مكلفة.. حتى نكتسب قدرة العمل الموسع بين هذه المجموعات فتكون قادرة أثناء العمليات الكبرى التي نسعى عليها بأن تحقق الإنسجام والتفاهم الضروري لنجاح تلك العمليات.
خطوة أخرى على نطاق مجموعتنا الصغيرة فقد قررنا تدريب أحد أفرادها "محمد كريم" على عمليات القنص. فقد كان حاد البصر بشكل غير عادي.. وقد إكتشفنا ذلك مصادفة.. ولكنه كان ضعيف البنية أكثر من اللازم.. قررنا تدريبه على الرماية لمدة شهر مع الإهتمام بتغذيته والكشف طبياً عليه.. ثم نشتري له بعد ذلك بندقية "دراجانوف" روسية مخصصة للقنص.

.. الثلاثاء 87/4/21 :

خطوة عملية نحو التنسيق مع الجوار. تحركنا صوب مركز الشاب "لاله" للتفاهم معه للعمل في منطقة دروازجي ضد المطار ومراكز الجيش فوق الجبال هناك.
"لاله" نفسه لم يكن هناك ولكن كان في زيارة المركز عدد من إخوته وأبناء عمومته، وكانوا قادمين لتوهم من منطقة دروازجي ،إلى الشرق من تورغار، وكان ذلك من حسن الطالع.
وتكلمنا معهم طويلاً مستفسرين عن نشاطهم هناك والأوضاع حولهم. فأفادوا بأنهم قد تسللوا عدة مرات عبر ثغرات خط الدفاع الحكومية ودخلوا إلى عمق المنطقة وقاموا بزرع عدد من الألغام أوقعت خسائر بالعدو، وعلى عكس ما كنّا نتخيل فليست كل المناطق ملغومة وأنهم يعلمون مسالك عديدة آمنة. الجانب السيء من تلك الأخبار السعيدة هو قولهم بأن القومندان "وزير" منعهم من العمل في المنطقة، فشكوه إلى جلال الدين حقاني الذي ضغط على "وزير" الذي إضطر إلى السماح لهم بالعمل مرة أخرى على شرط أن يخبروه مسبقاً قبل تحركهم في أي عملية - إلى هنا والأمر يظهر عادياً بل ومطلوباً من أجل ضمان حد أدنى من التنسيق لأن العمليات الحساسة كهذه يكون لها عادة ردود فعل عنيفة من العدو، ومن الأفضل أن تكون باقي المجموعات في المنطقة مهيأة لإستقبال ضربات العدو المعاكسة التي هي غالباً غارات بالطيران مع القصف المدفعي. ولكن المشكلة تأتي عندما نفذت المجموعة ذلك الشرط وأخطرت "وزير" فوقعت في كمين شيوعي وتصدت لها نيران عنيفة من جبل تورغار ومن الطيران أيضاً. فإستنتجت الجماعة أن "وزير" قد أبلغ الحكومة وقرروا عدم إخطاره مستقبلاً عند قيامهم بأي عملية.كان ذلك صدمة -تعودنا عليها- لمشاريع العمل الجماعي. ولكننا لم نيأس وتوجهنا سيراعلى الأقدام إلى مركز منان القريب.
كان المركز يحتوي على ثلاثة شبان تحت العشرين من شباب البدو يرأسهم "دولتي" وهو من أقرباء منان. وكان لديهم خمسة أسرى"أو هاربين" من الجيش الحكومي متواجد منهم

واحد فقط في المركز ويقوم بخدمة المجاهدين الثلاثة !!.

إستعرناه منهم بصعوبة لأجل إستجوابه، مع وعد مغلظ بإعادته غداً صباحاً. ولولا صداقتنا القديمة ما سمحوا لنا بإصطحابه. لكونهم في حاجة إلى من يطهي لهم الطعام والشاي، ويعد لهم الإفطار والسحور في شهر رمضان الذي بات على الأبواب .

لم يكن هناك مجال للحديث عن عمليات مشتركة مع هؤلاء الشبان الثلاثة، فقد أخبرونا أن الجميع قد غادروا إلى باكستان إستعداداً لرمضان وأن الوضع سيبقى كذلك إلى ما بعد العيد. وأن عملياتهم تقتصر على رماية الصواريخ من فوق قمة جبلهم ضد جبل تورغار ثم تلقي الرد المناسب من تورغار -وربما الطيران أيضاً- ضد مركزهم. وهذا أقصى ما يمكنهم.

وفي العادة فإن قصف الصواريخ كان يقوم به شخص واحد بمساعده واحد أو اثنين من الجنود الهاربين. بينما ينشغل الباقون في أعمال الطبيخ والغسيل.

إذن هو ركود قادم في رمضان على ما يبدو.. وسيكون من حسن الحظ إذا لم تهاجم الحكومة خلال رمضان للإستيلاء على قمم جديدة، أو لتلغيم قمم خطرة وممرات هامة للمجاهدين.

الأربعاء ليلاً كان البرنامج إستخدام "الكركور" في إطلاق صاروخ ضد تورغار ثم تشغيل فانوس كهربائي لجذب أنظار العدو إلى المنطقة لقصفها ،وهي منطقة خالية بالطبع.

والنتيجة هي: أن العدو قد إنزعج كثيراً من الصاروخ -ولا ندري السبب- ولكنه لم يلاحظ ضوء المصباح ، يبدو أنه كان أضعف من اللازم، فعملت جميع الهاونات التي على تورغار وقصفت "توده شني" مرة أخرى.. وإستطعنا إحصاء ستة مدافع هاون فوق الجبل.

وكان ذلك من أهداف عمليتنا الليلية، أي إستطلاع قوة المدفعية فوق تورغار وهي ما يسميه العسكريون -عملية إستطلاع بالنيران- وكان الليل هو الوقت الأنسب حيث تظهر بوضوح مواضع إطلاق المدفعية.

منذ يوم سقوط الطائرة "أو الطائرتين" لم تظهر طائرات معادية في سماء المنطقة أي منذ "87/4/16" وكانت تلك فترة غياب غير عادية، حيث كانت الطائرات تقوم بعدة غارات يومياً. توقعت وقتها أن تكون منطقتنا "القريبة نسبياً من الحدود" قد أصبحت تحت غطاء مظلة صواريخ باكستانية مضادة للطائرات. وكنت قد سمعت سابقاً أن باكستان قد حركت وحدات صواريخ "كروتال" مضادة للطائرات إلى قرب حدود أفغانستان. ولكنها لم تستخدم مطلقاً ، حسب علمي. ولكن منذ حادث إسقاط الطائرتين شعرت أن الموازين "في الجو" قد تغيرت إلى ما فيه مصلحتنا.. فماذا لو قمنا الآن بهجوم كبير على المدينة أو على هدف حيوي مثل تورغار أو سناكي؟؟.

ولكن من الأفضل أن أناقش ذلك مع صخور باري الصديقة!!.

عموماً المجاهدون يتركون المنطقة تدريجياً، والعدد أصبح الآن قليلاً جداً فماذا سيحدث في رمضان؟.. كان الأمر كئيباً على نفوسنا.. لن نستطيع أن نفعل الكثير.إستفزاز العدو أكثر من اللازم، والمنطقة خالية من المجاهدين قد يؤدي إلى أن يتقدم إلى مواضع جديدة خطيرة على المجاهدين، أو أن يقوم بعملية محدودة ضد مركزنا، الذي هو متقدم كثيراً عن غيره، ومعزول حالياً مع قلة عدد من فيه، فعملية حصارنا وأسرنا لن تكون صعبة، ويمكن أن تقوم به وحدة صغيرة من الجيش أو يقوم بها عدد صغير من المنافقين الذين لا تخلو منهم المنطقة.. وكان

ذلك هاجسنا الأكبر.
كنّا نعلم أن عيون العدو مفتوحة جيداً على هذه المنطقة الحساسة. وأن خريطة الحركة بها تصله يومياً -أو لحظياً- فله نقاط رصد على محاور حركة السيارات والمدخل الحدودي. وقد صدق حدسنا فبعد سنوات عثرنا على خرائط للعدو عليها مواقع لنقاط ترصد داخل باري وقبل وبعد المدخل الحدودي في غلام خان.

الخميس 87/4/23 :

قابلت في ميرانشاة شاب عربي قادم من "جاور" أخبرني أنه تسلم لتوه رسالة تفيد أن "110" عربياً إشتركوا في معركة جاجي إستشهد منهم شاب سعودي ظهر لنا أنه يقصد معركة شعبان "87/4/17" التى لم تنفذ لأسباب فنية وقد ذكرناها آنفاً، وبالطبع لم يشارك هذا العدد الذي ذكره كما لم يستشهد أحد. ويظهر لنا كيف يتم تناقل الأخبار بين العرب.

الجمعة "87/4/24" :

عبرنا نقطة "غلام خان" بدون تفتيش وعند إقترابنا من قرية صغيرة لوح لنا أحد الرجال بلهفة وهو يشير إلى السماء، وفهمنا بسرعة ماذا يعني، فهبطنا بسرعة وغطينا زجاج سيارتنا بأرديتنا "البتو". ودعانا الرجل لشرب "الدوغ". بعض المجاهدين أشاروا إلى الطائرات مرة أخرى، كانت داكنة اللون وأضخم من الحجم المعتاد للطائرات الأفغانية الفضية. وصاح الرجال وهللوا: طيران إسلام.. طيران إسلام.
لقد كانت طائرات باكستانية. شعرنا بالفرح ولأول مرة نرى طائرات باكستانية في المجال الجوي الأفغاني. شعرت أن باكستان بدأت تأخذ طابعاً هجومياً، بعد موقفها المخزي في السنوات الطويلة الماضية ولم يكن تصوري صحيحاً فما هي إلا أيام إلا وإنتكست روحهم الهجومية بعد أن سقطت إحدى طائراتهم فوق مراكز المجاهدين.
إقترح علينا اليوم الضابط عبدالملك أن نضرب المدينة في صباح يوم(87/4/27)، حيث ستقام هناك إستعراضات عسكرية بمناسبة ذكرى الإنقلاب الشيوعي. وإقترح علينا أن نوقت . صواريخ على المدينة من مدخل "بوري خيل". وإفقنا على الفكرة وقلنا أننا سنبحث في إجراءات أخرى خلال الأيام الباقية.
في الواقع الفكرة كانت غائبة عن ذهننا تماماً.

السبت "87/4/25" :

أثناء تجوالنا فوق جبال المنطقة في مواجهة تورغار -فقدنا الطريق- وكنّا في منطقة توده شني - صادفنا في أحد الوديان مجموعة من المجاهدين تحمل هاون وقذائف فوق أحد الجمال. تعرفنا عليهم وكان بعضهم يتكلم العربية. كانوا في الطريق لقصف تورغار دعونا لحضور العملية فإعتذرنا لهم بأن لدينا أعمال أخرى. دلونا على الطريق إلى مركزهم حيث يتواجد الكومندان "مالي خان" الشهير.
"مالي خان" كان شخصية هامة في المنطقة ومن كبار قادة قبيلة "جربز" التي تسيطر على أراضي شاسعة في مواجهة الواجهة الجنوبية لوادي خوست . وهي أهم المناطق التي يعمل منها المجاهدون .
كانت فرصة سانحة للتعرف عليه مباشرة ، وكنا قد سمعنا عنه كثيراً في السابق . وأكثر ما سمعناه عنه لم يكن في صالحه.ولكن بعضهم قال بأنه من أوائل من قاوموا الحكومة الشيوعية وأن عدة حملات عسكرية تحركت نحو قريته " توده شني " لإلقاء القبض عليه. وقد سبب

ذلك ويلات للقرية إنتهت بها إلى صورتها الحالية ، مجرد أطلال تقطع نياط القلب حسرة وحزناً . ولكن مالي خان قاومهم وقتل منهم كثيرين ، وظل في الجبال يثير الذعر في قلوب قوات الحكومة. "والي خان" صديقنا في مجموعتنا الجديدة قال بأن مالي خان كان متواطئاً في تسليم جبل تورغار للقوات الحكومية عام 1984 بعد أن تمكنوا من الإستيلاء عليه وإستعادته من الشيوعيين في عملية مشتركة بين حقاني ومالي خان . وكان صديقنا "والي خان" حاضراً في تلك العملية وقال عنها : (لقد كان مالي خان مسيطراً على أعلى قمة من الجبل ، وكانت جماعتنا تسيطر على الجانب الشرقي من الجبل . وحاولت القوات الحكومية إستعادة الجبل عدة مرات لكنها فشلت وخسرت الكثير من الجنود . وبعد عدة أيام من المحاولات ، فوجئنا فجر أحد الأيام أن القوات الحكومية تحتل القمة العالية التي كانت في حوزة مالي خان، بهدوء وبدون قتال .. لقد باعها لهم !!).

في غرفة طينية ضيقة على حافة وادي وعر في أحضان قمة صماء شامخة كان مركز مالي خان ، في عمق الجبال آمناً لكنه لايسلم من قصف الطائرات كما يظهر من آثار الإنفجارات . قابلنا مالي خان، ضخم الجثة طويل القامة ذو إبتسامة ساخرة لاتكاد تفارقه ، يتكلم بنبرة عالية ولهجة لاذعة لاتوقر أحداً . حتى أنه عندما علم أننا نعمل مع جماعات حقاني بدأ فوراً في إنتقاده لحقاني ، وقال بأن الدبابة والمصفحة التي بحوزة حقاني قد إشتراها منه - أي مالي خان - مقابل ستمائة ألف روبيه باكستانية .

ولما علم أن عبدالرحمن متزوج من أفغانية ضحك مجلجلاً وقال بلهجة مكشوفة لم نعتد عليها هنا: حذار أن تكون من نساء كابول اللاتي إن غاب عنهن أزواجهن بحثن عن أقرب رجل كي يعاشرهن !!. أحمر وجه عبدالرحمن وشعرت أننا قد نقع في كارثة فغيرت الموضوع بسرعة إلى نقطة تشد إنتباه الجميع ، فسألت مالي خان أن يقرضنا عدداً من الصواريخ وأن يشارك معنا في قصف المدينة في يوم عيد الإنقلاب الشيوعي ، فعاد الجو إلى طبيعته مرة أخرى .. وإعتذر "مالي خان" بعدم وجود صواريخ لديه - وقد كنت أتوقع منه ذلك - ولكنه عرض علينا أن نشاركهم عمليات قصف بالهاون على تورغار ومراكز حكومية أخرى - فإعتذرنا بدورنا. إنه شخصية قوية واثقة من نفسها مرحاً ساخراً من كل شيء.

وربما أعطى إنطباعاً خاطئاً لمستمعيه أنه رجل نذل ، ولكنني إعتقدت وقتها أنه رجل يمكن الإعتماد عليه . لم تثبت أي تجربة تالية صحة إستنتاجي . رغم أن الرجل حتى الآن "1995" وفي المرات القليلة التي نقابله فيها في خوست التي تولى فيها منصب رسمي متواضع كان يعاملنا بمنتهى الترحاب والمودة ويعاتبنا في كل مرة على أننا لم نتعلم لغة الباشتو كما لم نعلمه اللغة العربية لذا نحتاج دوماً إلى مترجم . قضينا الليلة في مركز مالي خان ، ونمت نوماً عميقاً مع شعور عجيب بالراحة .

الأحد 87/4/26 :

في الصباح الباكر أخذنا بعض المتفجرات وفي نيتنا التوجه إلى مغارتنا القديمة "مغارة علي بابا" التي كنّا نراقب منها المطار في عامنا الأول1985كانت رحلة مثيرة للذكريات الجميلة التي ظلت أجمل ذكرياتنا في أفغانستان. كنّا نتفحص الصخور بشوق، وكذلك الطرق والمدقات الصغيرة، ومن فوق الصخور السوداء التي تقبع تحتها مغارتنا تطلعنا بشوق إلى مطارنا الحبيب ويشدو عبدالرحمن بأغنيته المفضلة في ذلك الموقف: "يحن إلى أرض المطار فؤادي"..

لقد وجدنا بعض آثار عملنا القديم.. قطع صغيرة من الأسلاك واللاصق الكهربائي وبعض

الأوراق.. حفرنا للمتفجرات من أجل توسيع المغارة قليلاً فقد كنّا نتوقع إستخدامها هذا العام.. ولكن الصواعق الكهربائية كانت تالفة فلم تنفجر.. فعدنا أدراجنا إلى مركز "مالي خان" لنشرب معه الشاي وضحكنا كثيراً وطلب منّا قضاء شهر رمضان في مركزه.
ولم يكن ذلك ممكناً بالطبع.

الإثنين 87/4/27 :

يوم الإنقلاب الشيوعي لم نقم بعملية ما.. لكن علمنا أن جماعة مجددي قصفوا المدينة بألف صاروخ إستلموها من باكستان.. فيما بعد علمنا أن الخسائر كانت مقتل سيدة في إحدى القرى "!!" ولم يصب أي هدف ذو قيمة.. وقد شاهدنا جزءاً من القصف من فوق إحدى القمم أثناء عودتنا، كانت الصواريخ تسقط في مناطق جرداء من الوادي.. لو أن المسئول عن تلك العملية تعرض لمحاكمة عسكرية لكان الإعدام أقل عقوبة له.
مالي خان سار معنا مودعاً مسافة لا بأس بها. وإلتقطت له صورتين بالكاميرا التي كنت أحملها معظم الوقت.

 حضر أبوحفص من جاجي في زيارة غير متوقعة وشرح لنا أنه قد أُنيطت به مسئوليات كثيرة في المأسدة وأنه يعتذر عن العودة إلينا -كان ذلك مفهوماً- ثم دعانا لمشاركتهم في المعركة القادمة لديهم. وقص لنا عن تأجيل معركة شعبان. ولكننا إعتذرنا أيضاً بإنشغالنا ببرامجنا هنا.

 جماعة جلب الدين حضروا في مظاهرة كبيرة من عدة سيارات تطلق النار في الهواء وذلك بعد المغرب، وبعد العشاء أطلقوا قذائف كثيرة ثم عادوا بنفس الضجيج، والعجيب أن رد العدو عليهم كان ضعيفا جداً.

بعد أيام إكتشفنا آثار موقع رمايتهم، لقد إستخدموا أعداد كبيرة من قذائف عيار 82 مليمتر لمدفع عديم الإرتداد. وهي في غالبها مضادة للدروع وتم إطلاقها من مسافة أبعد من مداها النهائي وبذلك لم تصل إلى العدو. وقد كان المستهدف -السعيد- من تلك الغارة هو "تورغار" الذي تركهم يكملون الإحتفال بسلام. ولم يطلق نيرانه إلا بعد عودتهم إلى قرب مركزنا كي يلوثوا المنطقة بقشر البطيخ الذي أحضروا معهم كميات كبيرة منه.

الثلاثاء 87/4/28 :

قبل الظهر عاد الطيران لأول مرة منذ سقوط طائرة "أو إثنين" يوم"87/4/16 " - قصفت الطائرات قاعدة جاور ومواقع حول سناكي.
ناقشنا اليوم ثلاثة تعديلات مقترحة في صواريخ الكاتيوشا.

 التعديل الأول يجعل الصاروخ ينفجر على سطح الأرض قبل أن يغوص فيها حتى يصبح مناسباً أكثر ضد جنود المشاة.

 التعديل الثاني يجعل الصاروخ ينفجر عندما يصل إلى أقصى إرتفاع له ويتحول وضعه أفقياً قبل أن يميل نحو الهبوط، ويمكن إستخدامه ضد المواقع الجبلية العالية فبدلاً من أن يعبرها هابطاً خلفها فإنه ينفجر في الجو فوقها. كما يمكن أيضاً تهديد الطائرات به حيث أن تفجره في الجو على إرتفاع عالٍ سوف يسبب دائرة خطر واسعة نظراً لعياره الكبير "107"ملم.

 التعديل الثالث هو إستخدامه في فتح ثغرات في حقول الألغام العميقة.

تناقشنا طويلاً ووضعنا بعض الرسومات المقترحة لصواعق التفجير الجديدة للنوعين

الأول والثاني خاصة. ثم خضنا نقاشاً حول تسميات الصواريخ الجديدة - التي أصبحت صواريخ عربية. فإتفقنا على التسميات التالية:
النوع الأول : أطلقنا عليه "عوضين- 25" كي نعارض به التسميات الروسية لطائرات الميج والسوخوي الحديثة "ميج ـ 25" و "سوخوي ـ 25".
النوع الثاني : أطلقنا عليه مدبولي S.S كي نعارض أيضاً تسميات صواريخهم طويلة المدى ولكن تساءلنا وماذا تعني لنا "s.s" فإتفقنا أنها إختصار لعبارة "سيب وأنا أسيب" التي كنّا نستخدمها كثيراً في معارك الطفولة أثناء محاولات فض الإشباك.
والنوع الثالث : أطلقنا عليه "عويس الاكسبريس".
وقد وصلت هذه التسميات المرحة إلى عرب "جاجي" وضحكوا منها كثيراً وهم الذين تعودوا على التسميات الضخمة والجادة جداً.. مثل المأسدة-قبا-العرين... إلخ. بينما لم نستخدم مطلقاً في أي وقت أي تسمية جادة لا على الأماكن ولا على الأسلحة "المتطورة"التي إستحدثناها.
في الليل سمعنا في الراديو ثبوث رؤية هلال رمضان في السعودية وباكستان. صلينا التراويح خاف إمام المركز ثم أوصينا صديقنا القديم العجوز "حاجى جربز" ـ وهو إسمه الحركى لدينا ـ أن يشترى لنا "معزة" كى نذبحها في الغد إبتهاجاً بشهر رمضان الكريم.

الأربعاء -الأول من رمضان 1407هـ "87/4/29":
سقطت اليوم طائرة باكستانية قرب معسكر جهاد وال - كما قصصنا في موقع آخر. كان ظني في وقتها أن التحركات الكثيفة للطائرات الأفغانية كانت بهدف إستدراج الطائرات الباكستانية لمطاردتها -خاصة وأنها إخترقت الحدود الباكستانية-كالمعتاد- مرات كثيرة هذا الصباح. فلما تعمقت الطائرات الباكستانية داخل أفغانستان أطلقوا عليها من خوست صاروخ سام مضاد للطائرات. وكانت أنباء قد أُشيعت بين المجاهدين أن مثل هذه الصواريخ قد وصل خوست، ولم يكن ذلك صحيحاً. على مسافة قريبة من المعسكر خرجنا في تمرين ترفيهي على الرماية مستخدمين بنادق الكلاشنكوف والرشاش الخفيف "جرينوف" وقاذف "R.P.G"
كانت النتائج جيدة والمعنويات مرتفعة.
بعد العصر غادرنا إلى ميرانشاة.. فالأخوة أبوحفص وأبوسهل يرغبان في الإسراع إلى جاجي لأن المعركة أصبحت وشيكة.
السبت 4 رمضان "87/5/2":
بقي عبدالرحمن في ميرانشاة لتأمين وضع عائلته. وعدت منفرداً إلى باري مع شخصين من المركز في سيارة محملة بالعتاد. طلبوا منّا رشوة في نقطة المرور الأولى رغم وجود تصريح مع السائق. وصلنا إلى مركز منان الخلفي حيث أنزلنا الذخائر. ولكن كانت أجواء توتر شديد تسود المكان.
فشباب المركز -بقيادة دولتي- قد أخرجوا راجمة الصواريخ إلى جانب طريق السيارات، وكانوا يقصفون بها في إتجاه الوادي إلى الغرب من مدخل "بوري خيل". وعلمت أن هناك قوة كبيرة من المشاة تساندها ست دبابات قد وصلت إلى خط الجبال الأول وهم على وشك التعمق داخل المنطقة ونياتهم غير معلومة.
كان تورغار هو الآخر يقصف بشدة على مركز منان محاولاً إسكات الراجمة طائرات العدو

المقاتلة ظلت تحوم في الجو حتى الغروب ولكن لم تقصف.
أظن أن "هناك شيء سيحدث في باري في رمضان".. لكن هذا الشيء حدث في الغد.

الأحد 5 رمضان 1407هـ "87/5/3":

في الصباح الباكر قصفت الطائرات مرتين مواقع حول مركز منان.. توقعنا تحركاً للقوات الحكومية. تحركت بسرعة مع "والي جان" إلى نقطة ترصد "سمير جول" وهي النقطة التي إختارها لوضع رشاش دوشيكا للتحكم في مدخل الوادي. لهذا صعدنا إلى هناك لملاحظة تحرك القوة والتصدي لها هناك أو لتأخيرها بعض الوقت. وصلنا مرهقين وكانت هناك رمايات كثيفة بمختلف الأسلحة، وجميعها من طرف العدو فقط فلم يكن في المنطقة سوى راجمة منان، ولم تكن قد بدأت العمل نتيجة لقصف الطيران على مركز منان.

غلبنا النوم حتى أيقظتنا الشمس المحرقة، كنّا نشعر بالإرهاق، وزادني إرهاقاً نزلة برد أعاني منها منذ يومين. في الثانية ظهراً عدنا إلى المركز، التوتر يسود مجموعتنا الصغيرة، جماعة منان المجاورة لنا ضئيلة العدد مثلنا أيضاً. في السادسة مساءاً وصل عبدالرحمن ومعه عدة أشخاص. أخبرني أن أبا حفص وأبا سهل ما زالا في ميرانشاة وسوف يغادران غداً إلى بشاور ومنها إلى جاجي. صعد عدد من جماعتنا مع جهاز مخابرة صغيرة فوق قمة جبل مركزنا لإبلاغنا عن تحركات العدو. كان التوتر يمنع الجميع من النوم. ولكنني فضلت الذهاب إلى النوم بعد صلاة العشاء - لكوني مرهقاً أولاً وتحسباً أن تنشب معركة ليلاً بينما أعاني من هذا الإرهاق الزائد.

في الثانية عشر والثلث أيقظني أحد أفراد مجموعتنا وهو في حالة توتر شديد، وكانت الرمايات عنيفة جداً وتبدو قريبة، خاصة في هذا الليل، قال صاحبنا "القوة وصلت"
كنّا متفقين منذ نهار الأمس على الخطوات الواجب إتخاذها في حال تقدم القوة إلى المنطقة وكانت.

- إخلاء المركز تماماً من المعدات والذخائر إلى أحد المراكز الخلفية سواء عند منان أو أحد المراكز خلفه.
- الإنضمام إلى جماعة منان، والجماعات الصغيرة الأخرى والعمل معاً ضد القوة حسب مقتضيات الموقف.

سبب قرار إخلاء المركز هو إمكانية التقدم إليه من طرف بوري خيل عبر طريق واحد ما يلبث أن ينقسم إلى طريقين ينتهيان عند طرفي مركزنا، أي أننا سوف نقع في كماشة مهلكة إذا تقدمت القوة نحونا. وكان لدينا شعور غامض بأننا المستهدفون من العملية الحكومية. فهم يعرفون بتواجدنا من الجواسيس، ومن عملياتنا الكثيرة المؤذية.

وكنّا قد نقلنا بعض محتويات معسكرنا إلى الخلف منذ الأمس. وبدأنا فوراً في وضع ما تبقى من ذخائر وأسلحة في سيارة بيك أب وبعض الأمتعة فوق "أسطول الحمير" الخاص بنّا والمكون من حمارين فقط. وحملنا كل شخص أمتعته الخاصة وأسلحته وسرنا ليلاً إلى مركز منان الذي يبعد عنّا مسيرة ساعة إلى جنوبنا الغربي.

وفي الطريق إشتدت فجأة حدة الرمايات إلى الشمال من معسكرنا حتى أن "سمير جول" توقع أن تكون القوة قد وصلت معسكرنا وأنها تقوم بتطهير المغارات والرماية داخلها. ولم يكن ذلك صحيحاً. بعض الأشياء غير الهامة أخفيناها بين الأشجار وبعض الحفر الصغيرة

المخفية جيداً.

الإثنين "6 رمضان" 87/5/4 :

في الثانية والنصف صباحاً تناولنا سحورنا المكون من الشاي الأخضر وقطع قليلة من الخبز. كنّا نحمل معنا أجهزتنا الحساسة داخل أغطية "البتو" وكان لا بد من وضعها في مكان نطمئن عليها فيه. وكانت حالة الفوضى الحالية لا تناسب ذلك فقررنا إستئناف المسير حتى مركز ميش لنترك بضاعتنا الثمينة هناك، ومن ثم العودة ثانياً إلى مركز منان للمشاركة في العمليات. لذا تحركنا بعد السحور حتى وصلنا مركز ميش في الرابعة والنصف صباحاً.

دخلنا إلى المغارة لأخذ قسط من الراحة. وفي الثامنة والنصف أيقظتنا الطائرات التي قصفت قريباً منّا، فقتلت إمرأة وطفل في قرية مجاورة . كان القصف في باري قد توقف تقريبا بعد منتصف الليل بقليل. فظننت أن القوة الحكومية قد إنسحبت بعد أن وضعت ألغاماً في مناطق محددة كانت تسبب تهديداً لها.

وكان ذلك الظن صحيحاً، فقد كان ذلك هو هدف العملية تماماً.

وعلمنا فيما بعد أنهم وضعوا ألغاماً في جبلين، الأول هضبة صغيرة على يسار مدخل "بوري خيل" كانت مجموعتنا قد نصبت فوقها صواريخ كاتيوشا عدة مرات فأصابت مساكن "الروس" في خوست. والهدف الثاني كان جبلاً مرتفعاً إلى الخلف قليلاً من الوادي، ولكن مجموعتنا أيضاً إستخدمته في رماية صواريخ كاتيوشا ضد مركز "جنداد" الحكومي. وهو مركز كبير نسبياً. لم تتوافر لنا تلك الصورة كاملة إلا بعد شهرين تقريباً.

ولكن الذي توافر في وقت قريب هو أن مجموعة من شباب البدو "الكوتشي" التابعين لمنان قد هاجموا القوة ليلاً فخلعوهم من فوق الجبل المرتفع قبل أن يستكملوا تلغيمه، وغنموا بعض الأسلحة وفككوا الألغام السلكية التي ركبتها القوة الحكومية فوق الجبل، ولم تتح لهم وضع ألغام أخرى تحت سطح الأرض لأن هجوم الكوتشي لم يترك لهم فرصة لإنهاء العمل بالكامل.

هذا الجبل إتخذه جلال الدين حقاني مركزاً للترصد والإتصالات اللاسلكية وإدارة العمليات. وقد أدار منه أهم العمليات وذلك من عام 1989 وحتى فتح خوست عام 1991.

الثلاثاء "7 رمضان" 87/5/5 :

مع عبدالرحمن قضينا وقتاً في ملاحظة المنطقة من فوق الجبال وعاد كل شيء إلى هدوء تام فيما عدا زيارات الطيران المتفرقة التي قصفت جاور وسناكي وبعض مواضع منطقتنا. بدأت مجموعتنا في إعادة مهماتها مرة أخرى إلى المركز.

الأربعاء (8 رمضان) 87/5/6 :

أكثر من حضروا بالأمس غادروا إلى ميرانشاة تمهيداً لقضاء باقي رمضان والعيد. عادت المنطقة موحشة أكثر من ذي قبل. حتى أنني إقترحت على عبدالرحمن الذهاب إلى جاجي لمشاركة إخواننا هناك، ما دام الوضع عندنا سوف يخمد إلى ما بعد العيد، وإقترحت أن يكون عملنا في جاجي ضمن جماعة يونس خالص. ولكن عبدالرحمن إستقبل الإقتراح ببرود، ولم أكن شخصياً متشجعاً لدرجة كبيرة، فأغلقنا الموضوع.

.. في الأيام التالية إنشغلنا بتطوير صواريخنا الجديدة. وإستدعى ذلك عدة زيارات إلى ميرانشاة -حيث ورشتنا الصغيرة- وأخيراً إنتهينا من تصنيع الصواعق الجديدة لنموذجين هما " عوضين-25" و "مدبوليs.s " بينما أجلنا العمل في النموذج الثالث حيث يحتاج إلى عمليات أكثر تعقيداً.

"الصاروخ عويس الأكسبريس كان من المفترض أن يستخدم لفتح ثغرات فى حقول الألغام" .

الأربعاء "15 رمضان" 87/5/13

قمنا بتجربة الصواريخ في باري بعد أن وجهناها نحو "تورغار".
الصاروخ "عوضين-25" عبر الطريق وسقط على سفح تورغار المقابل لها وإنفجر - لقد نجحت التجربة، وأشعل نيراناً في المنطقة حتى سمعنا إنفجاراً آخر، فإستنتجنا أن الأنفجار الأول لم يكن كاملاً وأن الإنفجار الآخر ناتج عن إشتعال النيران - ولكن الأرجح أن الصاروخ إنفجر كاملاً ولكن النيرات تسببت في إنفجار داخل حقول الألغام المحيطة بمواقع تورغار فوق القمة.أما (مدبولي s.s) فقد سقط من تأثير إنطلاق زميله عوضين. ولما كان الإنفجار يحدث في حالة الوضع الأفقي فقد إنفجر في التو واللحظة. وفي الواقع أنه كان يشكل خطورة كبيرة عند التشغيل .

الخميس 16 رمضان "87/5/14" :

تناولنا طعام الإفطار في ميرانشاة عند الدكتور عادل طبيب العظام في المستشفى الذي أخبرنا بأن أبا سهل قد أُصيب بشظايا في بطنه بينما فقد "أبوخالد" عينه اليمنى في جاجي. أثناء تجربة على قذيفة "آر.بي.جي" وقال بأن صديقنا أبوصهيب قد تولى منصب المدير الإداري في الهلال الأحمر الكويتي في بشاور. بينما تولى صديقنا فضل ا منصب مدير الإدارة الطبية.
كانت العلاقات بين حقاني والهلال الكويتي الذي يتولى إدارة مستشفى ميرانشاة قد وصلت إلى نقطة الإنفجار حتى قرر حقاني أن يستبعد الهلال الكويتي من مستشفى ميرانشاة. وكانت هناك شكاوى كثيرة لمجاهدي المنطقة من الطريقة التي يعاملون بها في بشاور من طرف أطباء الهلال الكويتي. وأخذت الخلافات طابعاً مذهبياً نتيجة لتصرفات أطباء الهلال الكويتي من السلفيين الذين عاملوا الأفغان بخشونة في موضوع التمائم. كما لم يعتبروا العادات القبلية لدى الأفغان خاصة في زيارة المريض ومرافقته لخدمته والعناية به. ومحاولة تطبيق قوانين المستشفيات العربية على الأفغان ذوالأنفة والإعتزاز بالنفس والتقاليد الجبلية. إتصلنا بحقاني لإخباره بالتغيرات الجديدة في إدارة الهلال الكويتي والتي يمكن في ظلها حل المشكلات القائمة بينهما.

الإثنين 20 رمضان " 87/5/18" :

تحركنا صباحاً في سيارة إسعاف من ميرانشاة إلى "بنون" على بعد 60 كم. ومن هناك إستقلينا طائرة "فوكر" إلى بشاور قطعت المسافة في25 دقيقة. رافقني في الرحلة الطبيبان عادل ومحمد حسن. كنّا في عجلة لرؤية العرب الذين أُصيبوا في جاجي. وهناك وجدت أبا سهل راقداً في سريره يتألم ولكن إصابته غير خطيرة، وقص لي عن حادث الإصابة، ثم زرت "أبا خالد" الذي لم نتحدث معه طويلاً لأنه كان يعاني نفسياً ولا يظهر رغبة في الكلام.
لم يكن هناك مصابون آخرون من جاجي، وإن كانت صالات المرضى مليئة بإصابات الجبهات ومعظمها إصابات بليغة جداً حتى بدت إصابات أصحابنا كأنها خدوش لا تذكر.
كان الجميع في جاجي. ذهبت إلى بيت سلطان حتى آخذ إبنتي من هناك فقد كانت برفقة زوجته. لم يكن قد عاد بعد من جاجي. قطعنا رحلة إلى إسلام اباد في جو خانق الحرارة والرطوبة. وأفطرنا في الباص مع الركاب الذين كان يحمل بعضهم خبزاً وتمراً بينما لا نحمل

معنا شيء.

من المفروض أن يصل "أبوجهاد" من مصر قريباً مع زوجته كما علمت. وكنّا قد جهزنا له بيتاً في إسلام اباد. وفي الحقيقة أنه كان سيشغل بيتنا السري الذي أصبح خالياً لإنشغالنا جميعاً في الجبهات. وكان أبوجهاد قد أصبح عضواً مهماً في مجموعتنا الصغيرة. وفي الباص كتبت عدة أبيات في قصيدة زجلية بمناسبة زواجه وكانت موهبتي الشعرية في أوجها.

وفي مذكرتي للأيام العشر الأخيرة من رمضان ما يلي :

.. غادر أبوسهل إلى جدة من مطار إسلام اباد وكان في حالة معنوية سيئة لدرجة أنه لم ينتظر حتى أودعه بعدما أوصلته بسيارتي إلى المطار وكان برفقتي إبني خالد.

.. وصل أبوجهاد "أو جيهه كما كنّا ندعوه" ومعه زوجته، كان كل شيء في البيت جاهزاً ما عدا الثلاجة.

.. كان العيد يوم الجمعة بعد أن إكتمل رمضان ثلاثون يوماً.

الإقليم الحدودي رأى الهلال قبل ذلك بيوم.

الجمعة الأول من شوال 1407هـ - "87/5/29" :

سافرنا إلى بشاور، فوجدت سلطان مصاباً في المستشفى. كان قد أُصيب بالأمس في معارك جاجي "الإلتفاف حول الكوماندوز السوفييتي" وكانت إصابته خفيفة، وحكى لي تفاصيل العملية وهو راقد على سريره.

"أبوسهل الصغير" الذي أُصيب في نفس العملية بشظية صغيرة جداً إستقرت في المخ، يرقد في غرفة الإنعاش "وقد نُقل بعد ذلك إلى كراتشي لإجراء عملية في المخ لعلاج نزيف أدى إلى وفاته في نهاية الأمر".

الثلاثاء "87/6/2" :

سافرت إلى الإمارات ،وكان لا بد لي أن أفعل ذلك مرتين سنوياً حتى تستمر إقامتي هناك سارية المفعول..

كانت رحلة سريعة، خالية من المنغصات على غير العادة، ولم أنجز فيها أشياء تذكر. قابلت هناك صديقنا الدكتور "عابد" الذي ما زال يسعى لإستكمال مشروعه للغوص في نهر "أموداريا" -أو"جيحون"- في شمال أفغانستان. وهو المشروع الذي أطلقت عليه. "عيادة الشمال المتخصصة" كان ينجز تقدماً بطيئاً.

وقابلت صديقي القديم "عفيفي" الذي رافقني إلى "الأورجون" في أفغانستان عام 1983 وقد عاتبته -بصفته إخوانياً- أن جماعتهم تركت مسئولياتها في الجهاد. فتبسم من جهلي وأخبرني بما لا أعلم وهو أن "الجماعة" هي التي تقود معارك جاجي! وأنها تخوض معارك ضارية في أنحاء عديدة من أفغانستان.. ويكفي أن جهاد أفغانستان يقوم على أكتاف قيادات أخوانية كبيرة مثل سياف وحكمتيار وربانى.

تعجبت من تلك الجرأة في تضليل شباب الإخوان. فسألته كيف يعرف عن أمور أفغانستان أكثر مما أعرف رغم أنني أعيش هناك تقريباً.. فأجابني بنفس الإبتسامة الواثقة المشفقة من جهلي وقال بصوت منخفض: لأن الجماعة تعمل في السر ولا تنشر أخبارها على الملأ. وما أقوله لك الآن لا يعرفه إلا الخاصة!.

ظننت وقتها أننا نعيش في كوكبين مختلفين وتوادعنا ونحن ما زلنا أصدقاء ولكن بدون أن يقتنع أحدنا بصاحبه.

السبت "87/6/6" :

من مطار دبي غادرت إلى إسلام آباد. صليت الفجر في البيت.

الإثنين "87/6/8" :

بدأت مع أبي جهاد تحركنا الجديد بعد عيد الفطر. سافرنا إلى بشاور سوياً. حيث أتوجه إلى باري مع عبدالرحمن الذي يسكن مع عائلته في ميرانشاة. بينما يتوجه أبوجهاد إلى جاجي لتقييم الوضع هناك وتقديم دراسة حوله، وأيضاً لمساعدة أبي حفص وسلطان.

في رحلتي هذه إصطحبني إبناي خالد "13 سنة" وعبدالرحمن " 8سنوات" فقد إنتهى العام الدراسي،ولم يقوما بزيارة أفغانستان منذ عام 1985 بسبب المعارك الشديدة عام 1986 أما أبني الأكبر وليد "16 سنة". فقد كان من المفروض أن يلحق بنا بعد أسبوع عندما ينتهي من الامتحانات.

إضطررنا للبقاء عدة أيام في ميرانشاة لتجميع عدد من أفراد مجموعتنا وحتى ننتظر "والي جان" الذي كان على وشك الإنتهاء من حصاد محصول القمح -وكان ذلك ضرورياً لأسرته- التي لا تملك أولاداً غيره، وكان يعمل في زراعة قطعة صغيرة من الأرض استأجرها قرب ميرانشاة.

السبت 87/6/13:

في العاشرة صباحاً تحركنا صوب باري. دخلنا أولاً مركز ميش حتى نأخذ بعض أدواتنا التي تركناها هناك. كان الأولاد في قمة السعادة، عبدالرحمن جالس في المقدمة بيني وبين السائق كي يسأل عن كل شيء، ولا يتوقف عن توجيه الأسئلة والإدلاء بالتعليقات وربما النصائح والأفكار الجديدة "!!".

بينما خالد في الخلف يتكلم مع الجميع، وينزع منهم الأسلحة يتفحصها. وقد أوصيناه ألا يتكلم مع جنود الميليشيا عند الحواجز حتى لا يسببون لنا المشاكل إذا عرفوا أننا عرب ، ولم تكن المشاكل خطيرة في تلك الأيام فقد أصبح العرب أمراً واقعاً.. ولكن يطلب منهم بعض الرشاوى للسماح لهم بالمرور.

وصلنا إلى باري، إخترنا الإستقرار في مركز جديد خلف مركز منان بمسافة قليلة وهو مركز "عيد جول"، وهو عبارة عن عدة مغارات متوازية في هضبة ترابية لا تثير الإنتباه رغم مجاورتها لطريق السيارات.

أشاع الأولاد جواً من المرح والطفولة بكثرة تنقلاتهم هنا وهناك ومحاولتهم ترويض الحمير رغم أنها مروضة أصلاً، ولكنها لم تكن تطيع أوامرهم إذا ركبوها بل تتوجه بهم على هواها. أو لا تتحرك على الإطلاق مما يثير حنقهم، خاصة عبدالرحمن الذي يتميز بالعصبية.

قررنا قصف موقع "جنداد" بالصواريخ في الغد.

الأحد "87/6/14" :

وضعنا الصواريخ فوق أسطول الحمير وتحركنا في الثانية عشر ظهراً. ودعني الأولاد وهم في قمة الإنفعال، وأرادوا الحضور معنا ولكننا رفضنا.

أنزلنا حمولة الحمير قرب الجبل الذي صعدت إليه القوات الحكومية في رمضان.

ثم حملنا الصواريخ والأدوات وصعدنا بها إلى قمة الجبل في رحلة صعود شاقة.

وجدنا فوق الجبل أوتاد خضراء كثيرة وأسلاك متراكمة.. وهي معدات فرش الألغام الوتدية ولكننا لم نجد ألغاماً.. لماذا لم يجمع البدو هذه الأشياء؟.. لم نجد جواباً لذلك.. ربما لم

يلاحظوها، أو أنهم جمعوها في مكان واحد تمهيداً لأخذها فيما بعد.. وكتبت في مفكرتي وقتها يبدو أن جنوداً أُصيبوا بالألغام التي وضعوها.. ولا أذكر سبباً لهذا الإستنتاج.

إخترنا مكاناً مناسباً بعيداً عن أعين تورغار القابع إلى اليمين. ثم وجهنا سبعة صواريخ كاتيوشا على حصن جنداد ورتبنا لها عدة دوائر كهربائية بالتوقيت. إنطلق الصاروخ الأول.. وبعد عدة دقائق جاء الرد من دبابة تورغار فضربت على جبلنا عدة قذائف غير دقيقة، ولم نكن مكشوفين لها بشكل مباشر وهو ما يجعل نيران الدبابة غير ذات قيمة. فقط الهاونات يمكنها تهديدنا.. وهو ما حدث من هاونات "جنداد" ولكنها أيضاً غير دقيقة.. تأخر إنطلاق باقي الصواريخ عن الوقت المحدد، وبعد ساعتين أو أكثر ذهبنا لإستطلاع الأمر، وبعد بحث ظهر أن الأسلاك كانت من النوعية الباكستانية الرديئة، وقد تقطعت خيوطها المعدنية من داخل الغطاء البلاستيكي الخارجي.. أخلينا جميع الأفراد إلى مواقع إختباء مناسبة .لأن الموقع تحت المراقبة المشددة من العدو. بينما أطلق عبدالرحمن الصواريخ الستة وهو في مكان قريب إلى جوارها.توالت الهاونات على القمة، ولكن الجميع كانوا في مواقع آمنة. صلينا المغرب والعشاء أسفل الجبل وعدنا إلى المركز ليلاً. فوجدت الأولاد يترقبون بلهفة، وما أن شاهدوني حتى تعلقوا بي يسألوني عن المعركة، وماذا فعلنا وكم من الكفار قتلنا.

كانوا يسمعون الإنفجارات والقصف من العصر وحتى العاشرة ليلاً. كانوا يتصورون كل تلك القذائف الكثيرة هي من جانبنا نحن على العدو. وفي الحقيقة أن صواريخنا السبعة لم يصل صداها إليهم قط. ولم أشأ أن أقوله لهم أن كل ما سمعوه من ضوضاء إنما كانت قنابل تنهمر فوق رؤوسنا فقط. على كل حال كانت معنوياتنا جيدة جداً، فلم يتصوروا غير أن كل ما سمعوه كان قنابلنا نحن وأننا قتلنا كفاراً كثيرين.. وما أجمل أحلام الطفولة.

الإثنين "87/6/15" :

في الصباح طلب الأولاد الصعود فوق قمة قريبة مليئة بالشجيرات، ولم تكن مرتفعة كثيراً.. سمحت لهم على ألا يبتعدوا كثيراً. وبقيت ممداً تحت شجرة قريبة من باب مغارتنا. لم يلبثوا أن صاحوا من القمة القريبة طالبين صعود قمة أعلى. فأمرتهم أن يصعدوا القمة التالية لهم ثم ينزلوا فوراً بعدها.

ولكن مرت ساعة كاملة ولم يعودوا ولم أسمع منهم صوتاً صحت عليهم مرة ومرات. لم أسمع جواباً.. شعرت بالقلق فأخذت سلاحي ومعداتي وصعدت الجبل، وقضيت وقتاً عصيباً في البحث والصياح وإطلاق الصفير من صفارة معي نستخدمها في الإشارات الصوتية. كانت طائرات قد عبرت فوقنا على إرتفاع منخفض ولكنها قصفت في أماكن بعيدة في جاور وسناكي زاد ذلك قلقي على الولدين فماذا عساهم فعلوا خاصة وأن الطائرات مرقت من فوق القمة التي كانو فوقها.

وأخيراً سمعت ردهم من أسفل الجبل قريباً من شعب ضيق بالأسفل. نزلت إليهم مسارعاً كانوا بخير ولكن خالد كان قد أُصيب بالتواء في قدمه، فما أن مرقت الطائرات من فوقهم حتى قفز من فوق صخرة بأعلى القمة كان يقف عليها، ودعا أخوه عبدالرحمن بالنزول سريعاً إلى الأسفل لأنه تخيل أن الكفار سوف يقصفون ذات القمة التي هم فوقها لأنهم شاهدوهم وحددوا موقعهم. أثناء الهبوط السريع أُصيب خالد بالتواء شديد في قدمه أعجزه تقريباً عن الحركة. أما عبدالرحمن الذي كان ضئيل الحجم كثيراً فقد إبتكر على عادته دوماً شيئاً جديداً فقد تمدد على جانبه وأخذ يتدحرج إلى أسفل الجبل مثل جزع شجرة بدون أغصان، أُصيب ببعض جروح

طفيفة، ولكنه تورط مع أخيه الأضخم منه جثة، كيف يساعده في العودة إلى جانب أنه فقد إتجاه السير. ساعدت خالد في المسير. كنت قد أعطيته منظاراً عسكرياً كي يشاهد مع أخيه معالم المنطقة مع وادي خوست، الغطاء الجلدي لأحد العدسات كان قد فُقِد منه، فأنبته تأنيباً شديداً. وشعرت بالحزن الشديد بعدها خاصة وأنه تأثر من كلامي الجارح له. بين هذه الشعاب المجهولة وجدت مركزاً صغيراً لمجاهدين قالوا أنهم تابعون لتنظيم سياف، عرفنى واحد منهم.

في المعسكر علمت أن "عيد جول" سوف يغادر ظهراً إلى ميرانشاة، فطلبت منه أن يأخذ الأولاد معه، فقد بدأ تواجدهم يشكل "عبئاً أمنياً".

خرجت معهم في جولة في المنطقة وإلتقط لهم بعض الصور. كان من المفروض أن يتولى مكتب حقاني في ميرانشاة أمر ترحيلهم إلى بشاور ثم أسلام اباد.

تحركنا لعملية جديدة قبل أن يغادرنا عيد جول ودعت الأولاد قبل ذهابي.

وبالنسبة لي كانت لحظة فراق مؤلمة.. فصورتهم مطبوعة في كل أرجاء المعسكر وتعودت على شغبهم الطفولي.. لقد أشاعوا جواً من البهجة والسلم في مكان خاطيء نتوقع فيه القتل في كل لحظة.

وصلنا مكان العملية بعد العصر، الوقت ضيق ومفروض أن ننتهي قبل المغرب من إطلاق ستة صواريخ على تورغار مستخدمين "الكركور" هذه المرة.

ضبطنا إتجاه وزاوية الإطلاق للصواريخ، وجلست تحت شجرة صغيرة إلى يسارها كي أكمل التوصيلة النهائية مع الكوكر، إرتكبت خطأ في التوصيل فانطلقت أربعة صواريخ في الحال فوجدت نفسي مغطى بكومة كبيرة من التراب الساخن، وكنت من حسن حظي بعيداً عن اللهب الخلفي للصواريخ وإلا تحولت في لحظتها إلى كتلة كبيرة من اللحم المشوي.

غادرت مع أحد زملائنا إلى نبع ماء كان يقع إلى جانبه مركز قديم لجماعة منان وكنّا نسمي هذا النبع "كوتشي أب" -على وزن مشروب سفن أب الشهير. أطلق عبدالرحمن ومعه والي جان صاروخين على التتابع ضد تورغار.

صلينا المغرب قرب ذلك النبع، وصادفتنا أمطار شديدة أثناء العودة، تسببت في كثير من المصاعب لنا، ولكنها أوقفت نيران العدو عن متابعتنا وكان تورغار قد بدأ الرد علينا، بالدبابة أولاً ثم بالهاونات، ولكنه أخطأ في تحديد المكان.



وصلنا إلى المعسكر، وكتبت في مفكرتي هذه الكلمات:

"أشعر بالإرهاق، شربت شاياً فقط قبل النوم.. تذكرت الأولاد لأنني نمت في نفس المكان الذي كانا ينامان فيه إلي جانبي.. إرهاق اليوم بدني وعاطفي.. وخطأ مني كاد أن يؤدي إلى كارثة.. لكن ا سلم.. يوم عجيب!!.

الأطفال فى مغامرة جهادية

من اليمين:
خالد"الشهيد لاحقا"، وأخيه عبدالرحمن ـ فى مغامرة بين مواقع منان و عيد جول .
بارى ـ خوست. (13يونيو 1987)

الثلاثاء "87/6/16" :

هذه أسطر كتبتها في ذلك اليوم .. "هذا ما أسميه يوم إداري للراحة والاستجمام .
نمت عدة ساعات بعد شروق الشمس .. قررنا برنامج لتدريب مجموعتنا الصغيرة .
ذهب عبده مع والي جان لإستعارة هاون منان ، وبقيت لإستكمال المذكرات والكتابة .
لم نتمكن من إستعارة الهاون .. أصبحنا بلا عمل فالمخزن ليس به شيء.
نعم توقف العمل مؤقتاً لإنتهاء ذخائرنا . قام عبدالرحمن بتدريب مجموعتنا الصغيرة على إستخدام الكلاشنكوف والأسلحة الخفيفة وبعض تكتيكات المشاة . الغريب هو أننا إكتشفنا أن بعضهم لايعرف إستخدام الكلاشنكوف ، وأن أحدهم يعرف فقط إطلاق الكلاشنكوف ولايعرف كيفية فكه وتنظيفه !! . بعض أفرادنا القدماء الذين كانوا معنا قبل إجازة العيد لم يعودوا نظراً لإنشغالهم في أمور معاشية لعائلاتهم المهاجرة في باكستان ، وتدبر والي جان أمر توفير بعض الأفراد الجدد . وفي كل الأحوال لم نحصل على النوعية التي نريدها - "الطلاب" .
ولم يكن التدريب منتظماً لكون الأفراد غير ثابتين . فبدأت مع عبدالرحمن مناقشة الأمر من جديد ، وظهرت فكرة دفع رواتب شهرية للأفراد - حتى يتفرغوا للعمل العسكري ، وتنضبط إجازاتهم . لابد إذن من الإحتراف !! .

الثلاثاء "87/7/7" :

عدد المجموعة يتناقص مرة أخرى ، وأبوجهاد يسافر غداً حتى لايتأخر عن زوجته التي مازالت غريبة على أجواء هذه البلاد . وكان قد نقل إلينا تقريره عن جاجي ، ويتلخص في أن المكان فقد قيمته العسكرية بعد العمليات ، وإن كان يصلح كمنطقة تدريب . وأن المسئولين العرب هناك قرروا توزيع الشباب على مناطق أخرى بعد أن تزايد عددهم وقد يشكل ذلك مخاطر أمنية .
كنت أرى في جاجي طاقات عمل كبيرة - للعرب - تبحث عن برنامج عمل . وكان لدينا في خوست برنامج عمل لايجد طاقات لتنفيذه . وكانت الثقة والتفاهم بين الجبهتين غير كافية لتوليد عمل مشترك. والخلاف الأساسي كان في البداية سياسياً فيما يتعلق بتقييم قيادات الأفغان "الأصولية". ومع الوقت تضاعف الخلاف لكون جماعة أبي عبدا تحولت إلى تجمعاً للسلفية الحديثة -ذات الطابع السعودي- وإن كانت تضم الكثير من مصر وشمال أفريقيا خاصة وبعض المناطق الأخرى.. لم نشعر بذلك في بداية الأمر لكوننا لم ننشأ في أحضان .الحركة الإسلامية، فقد كنت وعبدالرحمن نعتبر أنفسنا مسلمين من منازلهم - أو "أبناء شوارع" أكثر من كوننا أبناء "حركة".. التي كنا نتبادل الشكوك وعدم الإستلطاف مع أتباعها.
- زارنا اليوم في المركز شقيق "مالي خان" ثم زارنا "عبدالرحمن" وهو طالب مهذب ورقيق وهو من قبيلة "جربز" وكان برفقة شاب أكبر منه سناً بقليل ويدعى "محمد أمين" وقد إكتشفنا متأخرين أنه كان طالباً. ولكن ملامحه العدوانية وحدته في التصرفات -رغم تكلفه التهذب معنا، جعلنا نتشكك فيه. كنّا نعيش في أجواء توتر مكتوم داخل المنطقة. فقد كان كثيرون لا يعجبهم تواجدنا ونشاطنا، في وقت يعاني فيه المجاهدون ومعنوياتهم وحتى عددهم إنحساراً ملحوظاً منذ معارك جاور.. وشعرنا أن قبيلة جربز تحاول الحفاظ على حالة الهدوء في المنطقة.. ربما لتستفيد من المساعدات السرية لحكومة خوست.. مع الإبقاء على إشتباكات محدودة جداً وغير مؤثرة ضد المواقع الجبلية للحكومة، كي تحافظ على إمدادات السلاح

والذخائر من باكستان.

لم يكن للمجاهدين أي برنامج هجومي في باري أو أي مكان آخر حول خوست، ولا ندري ما هي إستعداداتهم في جارديز التي أصبح إمدادها سيئاً بعد إحتلال العدو "لسناكي" كما لم نسمع حديثاً عن إستعدادات خاصة لتأمين طريق "جرديز/خوست" رغم تهديدات الحكومة باقتحامه لم تكد تتوقف منذ حملة 1985 ثم حملة جاور 1986.

ونحن أيضاً توقفنا عن الحديث عن مشروعنا الطموح -والخيالي- بتحصين الطريق وعمل مشروع هندسي معقول لتجهيز مواقع دفاعية ومخازن ومغارات طبقاً لاحتياجات خطة دفاعية يضعها حقاني وقادة المجاهدين على طول الطريق، وجميعهم من قبيلة زدران، وهذا يجعل الوصول إلى قرارات والإلتزام بها أمراً سهلاً.. وكنا نتصور للعرب -وأبوعبدا خاصة- دوراً محورياً في تلك الخطة والتجهيز الهندسي لها فنياً ومالياً.. وإشراك الشباب العربي فيها قتالياً. على أن تعايش كل مجموعة المنطقة التي سوف تعمل بها فترة كافية. لا أن يحضروا فجأة وقت القتال وهم لا يدرون شيئاً عن طبيعة المنطقة ومعالمها ، وهكذا ظلوا في معظم مشاركاتهم في أفغانستان مع إستثناءات قليلة. وكنّا نرى أن جاجي إمتصت مجهود أبي عبدا ومن حوله وضللته عن الوجهة الصحيحة ،وفي هذا نجح سياف.

وكنت أرى أن المكان الصحيح للأعمال الهندسية الجبارة والمكلفة والتي قام بها أبوعبدا في جاجي، مكانها الصحيح كان طريق "جرديز/خوست" الإستراتيجي، وليست فنادق جاجي التي لا تحمي سوى أمن باكستان.

.. لقد عرض علينا "عبدالرحمن" ومحمد أمين أن نشاركهم في عملية تسلل إلى داخل المدينة ليلاً للقيام بعملية هناك. ولكن شكوكي زادت، فلما أصروا علينا زادت شكوكي. لم يكن مناسباً أن نرفض، فوعدنا بإمدادهم بالمعدات اللازمة ولكن الدخول إلى المناطق العميقة هناك ليس من برامجنا الآن.

فإقتنعا بصعوبة، وطلبوا معدات توقيت وبطاريات وأنهم سيأتون لإستلامها وقت العملية.

الخميس "87/7/9" :

في الصباح وصل "محمد أمين" و "عبدالرحمن جربز" طالبين أن تكون العملية اليوم، جهزنا لهم 4 ساعات توقيت مع مجموعة بطاريات واحدة. شرح لهم عبدالرحمن عملية التوصيل وكان من المفروض أن يطلقوا أربعة صواريخ من مكان متقدم بعد "بوري خيل" ضد مساكن السوفييت.

تحمس عبدالرحمن للخروج معهم، وطلب أن نخرج جميعاً فحذرته أننا لم نثق بهم ولا نعرفهم بشكلٍ كاف، وربما كان في الأمر خدعة. فطلب عبدالرحمن أن نصاحبهم حتى لا يظنوا أننا خائفون، فقلت له إذا كان لا بد فليخرج أحدنا ويبقى الآخر في المعسكر.. وأن الذي يخرج منّا يصطحب معه شخصين من مجموعتنا وأن يتوقف قبل بوري خيل حتى يحمي الطريق ويضمن سلامة عودة الآخرين؛ لأن العدو إذا رتب كميناً لنا فسوف تكون أنسب نقطة للكمين هي قلعة بوري خيل وسوف يتمكن بسهولة من أسر المجموعة أو إبادتها قبل أن يتمكن أحد من المعسكر هنا أن يقدم لهم أي مساعدة.

فطلب عبدالرحمن أن يقوم بهذه المهمة وأن يصطحب معه "عبدا محمد" الأمريكي وشخص آخر من مجموعة "والي خان" ويدعى أيوب. بينما يتحرك "والي خان" وثلاثة من مجموعته مع "محمد أمين" و "عبدالرحمن جربز". تحركت المجموعتان عصراً. وبقيت في

المعسكر للحراسة حتى الواحدة ليلاً حيث عاد عبدالرحمن ومجموعته أولاً، ثم تبعه والي خان ومجموعته برفقة محمد أمين وعبدالرحمن بعد ساعة تقريباً. كانت الحكومة تقصف مدخل الوادي عند "بوري خيل". ولكن المفاجأة أن والي خان قد عاد ومعه أسيرين.. فأثار لنا مشاكل كبيرة مع قبيلة جربز.

لقد ظهر الأسيران فيما بين المجموعتين، في نفس المكان الذي توقعت فيه الكمين، ولكنهما لم يكونا مسلحين. لم يشاهدهما عبدالرحمن، ولكن شاهدهما "والي جان" وجماعته. بدأ محمد أمين وعبدالرحمن جربز التحقيق مع الشابين اللذين إدعيا أن لهما أراض في وادي خوست وبيوت يذهبان للإطمئنان عليها من وقتٍ إلى آخر. إقتنع أمين وعبدالرحمن بما سمعا خاصة وأن الشابان هما من نفس القبيلة. ولكن "والي جان" شهر سلاحه عليهما وألقى عليهما القبض حتى يتم التحقيق معهما.. فمن الشائع بين الناس أنه لم يتبقَ في خوست سوى المتعاونين مع الحكومة الشيوعية بينما هاجر الباقون. وربما كان الشابان من جواسيس الحكومة.

غادرنا محمد أمين وعبدالرحمن جربز والإمتعاض بادٍ عليهما. وتم إحتجاز الأسيرين في مغارتين منفصلتين. وقام والي جان بإستجوابهما على إنفراد. أكبرهما سناً ويبدو شرساً مثل لصوص الجبال كان مثيراً للحنق والشبهة معاً. والثاني ليناً لدرجة لا يمكن تحديد شيء مفيد مما يقوله.

حتى الصباح لم يكن أحدنا قد نام سوى لدقائق قليلة، فالقلق والتوجس وخشية التطورات وردود فعل قبيلة جربز التي نعيش فوق أراضيها قد أضجت مضاجعنا.. لذا قررنا أن نرسل الأسرى مبكراً جداً إلى مركز منان الخلفي حتى لا نكون "كعرب" طرفاً في مشكلة قبلية حساسة كهذه.

الجمعة "87/7/10" :

إستيقظت بصعوبة لصلاة الفجر.. ثم نمت بعدها مباشرة حتى أيقظني عبدالرحمن لشرب شاي الصباح. وفدت علينا جماعة من طرف "مالي خان" تناقشوا مع والي خان بخصوص الأسيرين ثم غادروا متجهمين.

نمت مرة أخرى من الإرهاق داخل المغارة، بينما نام عبدالرحمن في المسجد حتى أيقظه إثنان من عساكر العدو "!!". ولحسن حظه وحظ الجميع أنهم أتوا كي يستسلموا لنا.. وإلا لو أرادوا ذبحنا لما منعهم شيء. فكل من في المعسكر لا يتعدون ستة أشخاص جميعهم نائمون بعد ليلة كاملة من السهر والتوتر.

من مركز "عيد جول" دارت الإتصالات اللاسلكية بشأن الأسيرين بين مراكز حقاني في باري وجاور وميرانشاة. وجاء وفد من قبيلة جربز إلى مركز عيد جول من أجل بحث إطلاق سراحهما حتى أوشكت المشكلة أن تتفاقم.

جاء مولوي نظام الدين من ميرانشاة إلى مركز عيد جول لبحث المشكلة ثم تقرر عقد شورى موسعة بين قيادات المنطقة ليكون القرار ملزماً لقبيلة جربز. مكث عبدالرحمن مع والي جان في مركز عيد جول حتى الثانية عشر ليلاً حتى يدليا بأقوالهما عند اللزوم.

لقد كنّا حريصين أن نكون بعيداً عن المشكلة.

بقيت في حراسة المركز منفرداً حتى الثانية والنصف ليلاً.. وكتبت في مفكرتي قائلاً عن تلك الليلة: "الليل في غاية الروعة.. القمر مكتمل..أشعر براحة نفسية كبيرة في السهر"..

السبت "87/7/11" :

عاد الشيخ نظام الدين إلى ميرانشاة وطلب إرسال الأسيرين إليه في ميرانشاة. الجو مرتبك والإحتمالات مقلقة -خاصة وأن مولوي نظام الدين- المعروف بالشدة- قد طالب بإعدام الأسيرين لأن إعترافهما بأنهما قادمان من خوست يكفي لإثبات تعاونهما مع الحكومة الشيوعية.

وصل خمسة رجال من ميرانشاة بهدف الإنضمام إلى جماعة "والي خان" ولكن بشرط واحد أن يستلموا منه السلاح مع بقائهم في ميرانشاة طوال الوقت ويحضرون فقط وقت الشدة أي عند الحملات الحكومية.. رفضنا العرض بلا تردد. وصلنا خبر هروب أحد الأسيرين وهو الشخص السيء فيهما. كنّا نخشى أن تهاجمنا جربز ليلاً.. لذا قررنا أن نترك المركز ليلاً ونبيت فوق هضبة مقابلة مرتفعة قليلاً. فمركزنا بمداخله المنخفضة يسهل كثيراً محاصرته وأسر من فيه أو قتلهم.

الهضبة المقابلة بشجيراتها الكثيرة وإمتداداتها الرحبة وسيطرتها على طريق السيارات الذي يمر في الوادي يجعلنا في موقف أفضل كما أنها تحتوي على مخزن سري لذخائرنا وبعض قطع الأسلحة المهمة. وهذا يساعد على القتال لفترة معقولة حتى يتدخل أصدقاؤنا القريبون.

الأحد 87/7/12 :

نقاش حامي في الصباح حول جدوى إنتقالنا ليلاً إلى موقع تبادلي -خاصة وأن أمطاراً هطلت علينا ليلاً- وما أن وصلنا معسكرنا الأصلي حتى كنّا مبتلين تماماً.. والجميع غاضبون، ويفضلون البقاء في المركز مهما كانت النتائج رغم وضعه الدفاعي البائس لكونه منخفض عن كل ما حوله مع جبهة أمامية واسعة وطريقان يطوقانه من الجانبين.

كتبت وقتها تلك الملاحظة:" مفهوم العمل غير واضح لدى الأكثرية التي تميل إلى الدفاع السلبي وعدم المبادرة بأي عمل. نبدو أمام مشكلة حقيقية تواجه الجهاد عامة بدت لنا مجسمة لأول مرة" ثم كتبت الفقرة التالية: "تناقشنا ظهراً في موضوع إنشاء القوة الخاصة شكلها وتمويلها.. ثم كتبت عدة صفحات حول المفهوم الإجتماعي للعبادات. قضيت طوال اليوم في الموقع المقابل وتجولت فيه قليلاً، أشعر بضيق ورغبة في عدم فعل أي شيء.. شعور مزعج للغاية.. العدد الموجود قليل جداً.. لم نفعل شيئاً اليوم.. إتفقنا على تشغيل الهاون بعد الغد بعد إستطلاع موقف قبيلة "جربز" من مجموعتنا بعد مشكلة القبض على جاسوسين منهم".

الإثنين "87/7/13" :

غادرنا "أيوب" إلى ميرانشاة. ولم يعد "قاضي" من جاور. كما أن أحدا من الذين غادروا لم يرجع إلينا مرة أخرى.

لا جديد في موقف جربز سوى أنهم أرسلوا وفداً لمفاوضة "والي جان" فقال لهم أن "الأولاد" قد هربوا وعليكم أن تتكلموا مع القيادة في ميرانشاة. في الحقيقة أن الذي هرب هو واحد فقط تحركنا في جولة إستطلاع وإكتشفنا أماكن جديدة للكمائن.

الثلاثاء "87/7/14" :

خرجنا جميعاً في عملية بالهاون.. إستخدمنا أربع طلقات فقط، ثم هطلت علينا أمطاراً غزيرة لم تمكنّا من الإستمرار كما منعت العدو من الرد علينا.. الفائدة المنظورة للعملية كانت في تحسن معنوياتي كثيراً بعد الحالة السيئة التي كنت عليها بالأمس.

الأربعاء "87/7/15" :

زحفت إلى داخل مخزننا السري فوجدت جميع الأدوات اللاسلكية والكهربائية فى المغار

مطمورة بالتراب والبطاريات متناثرة والجرينوف محشو بالأتربة. الشيء الوحيد المعتنى به كان صرة حريرية بداخلها كيس بلاستيكي مملوء "بالنسوار" -مثل الدخان- يتعاطاه الأفغان عن طريق الفم. فقطعت الكيس بالسكين ونثرت محتوياته بغيظ على أرضية المغارة. رتبت الأشياء وأخذت الجرينوف لتنظيفه.

الخميس (87/7/16) :

في الصباح إنهمكنا في تنظيف الهاون. بعد الظهر خرجنا لتجهيز موقع جديد للرماية على تورغار - كان "عبدا محمد"ـ أمريكى من أصول إفريقية وجندى سابق فى المارينز ـ مصمماً على الحضور معنا، فأخبرناه أننا سوف نصحبه معنا في يوم الرماية، أما اليوم فسوف نختار الموقع ونجهزه فقط.. لم يكن مقتنعاً، ولم يكن في المعكسر أحداً غيره للحراسة، فقد تركنا الطباخ العجوز "حاجي يوسف" منفرداً. وعند خروجنا في المهمة لم يكن "عبدا محمد" موجوداً فتحركنا تاركين المعسكر بلا حراسة آملين أن يكون صديقنا الأمريكي متواجداً في مكان قريب وسوف يعود للحراسة. ولكن صاحبنا عندما عاد ولم يجدنا ذهب للبحث عنّا!!. ولما كان يعرف أننا نجهز لعملية على تورغار، فقد توجه مباشرة إلى هناك!!.

كانت جولتنا ناجحة ومفيدة، رجعنا إلى معسكرنا عند المغرب فلم نجد صاحبنا "عبدا " وعبثاً حاولنا البحث عنه، ولكن "حاجي يوسف" أخبرنا أنه أخذ سلاحه وسار خلفنا بعد مغادرتنا المعسكر بنصف ساعة تقريباً.

أنتظرنا حتى العشاء ، ولم يحضر فلم يعد بد من الخروج للبحث عنه .

خرج الجميع للبحث عنه ، وبقيت مع شخص واحد لحراسه المعسكر.

عادت مجموعات البحث في منتصف الليل بلا نتيجة. كان تورغار نشطاً فقد ضرب بالرشاشات الثقيلة عدة مرات "وهو دليل أنه يرى هدفاً قريباً ومكشوفاً"، كما أن هاونات تورغار قد قصفت بشدة مدخل "بوري خيل"ومناطق أخرى في إتجاه قرية "تودة شني".

لم يبقَ لدينا أمل في رؤية صاحبنا هذه الليلة ولا ندري إذا كنّا سوف نراه مرة أخرى أم لا.

كان أكثر ما نخشاه أن يختطفه المنافقون ثم يبيعونه لحكومة خوست، إذا حدث ذلك فإنها ستكون ضربة سياسية هائلة سوف تستفيد منها موسكو وكابول في تأييد دعاويها ضد المجاهدين. بل إنه سيكون حدثاً عالمياً مدوياً أن يؤسر أمريكي كان جندياً سابقاً في المارينز بينما كان يقاتل مع المجاهدين الأفغان!!.

الجمعة "87/7/17" :

بقيت في الحراسة حتى الثانية صباحاً. وتولى عبدالرحمن الحراسة حتى الرابعة صباحاً خرجت المجموعة كلها للبحث مرة أخرى عن "عبدا " بينما بقيت منفرداً في مركزنا التبادلي وذهب عبدالرحمن إلى المركز القديم. ذهب "والي جان" إلى مركز منان للبحث عن عبدا وإخطار المجاهدين هناك عن فقدانه. عادت المجموعات بلا نتيجة حتى كانت الساعة الرابعة حين سمعنا طلق ناري في مكان قريب من المعسكر. نهضنا بسرعة مع السلاح، وصعدت بسرعة إلى مكان مرتفع فوق مدخل المغارات. ولكن المفاجأة أن رأينا "عبدا " قادماً متهلل الوجه -ومضطرب أيضاً- ومعه حوالي خمسة من جماعة "مالي خان".

قص علينا "عبدا " قصة ضياعه، فقال أنه ظن بإمكانه أن يدركنا في الطريق.. ولكنه لم يجدنا كما أنه فقد الطريق فواصل السير إلى الأمام. وعند إنحداره من فوق إحدى القمم شاهد في مواجهته مباشرة قمة جبل تورغار وتعرف عليه بالعلم الأحمر المرفوع فوق

أعلى نقطة فيه. فتراجع بهدوء إلى الخلف وهو ما زال ينظر بإتجاه تورغار، ولكن جنود الحراسة إكتشفوا وجوده فأطلقوا عليه الرشاشات الثقيلة والهاونات، ولكنه لم يصب وتمكن من هبوط الجبل من الجانب الآخر. وحاول أن يبحث عن طريق العودة مرة أخرى وهو ينادي علينا. ولكنه وجد نفسه مرة أخرى تحت سفح جبل تورغار نفسه، فعاد من حيث أتى ومشى في إتجاه مخالف ليجد نفسه مرة أخرى تحت سفح تورغار!!.

ثم أدركه الليل فنام في مكان قريب وقد هيأ نفسه للإشتباك في أية لحظة. وفي الصباح واصل البحث اليائس بين الشعاب وفوق القمم حتى قابله إثنان من جماعة "مالي خان" فظن أنهما من المنافقين فحذرهما من الإقتراب منه وقد هيأ رشاشه للعمل، وكذلك إحدى قنابله اليدوية.. أدرك الرجلان أنه غريب، ولم يسبق لهما أن شاهدا شخصاً في مثل هذا اللون وهذه اللغة الغريبة. فأسرعا إلى مركزهما فخرج معهما عدد من المجاهدين وعادوا ليحاصروا عبدا وينزعوا سلاحه ثم يصطحبوه إلى مركزهم البعيد.

لم يكن هناك جدوى من التحقيق معه.. ولكنه ذكر أمامهم إسمي وأسم عبدالرحمن وكانوا يعرفوننا جيداً فعرفوا على الفور أنه أحد ضيوفنا فأحضروه إلينا.. وما أن شاهد "عبدا " مركزنا من بعيد حتى إستبد به الفرح.. وكان مجرداً من سلاحه، فإختطف بندقية أحد مرافقيه وبسرعة البرق أطلق منها طلقة في الهواء ثم أعادها إليه، ولولا سرعة عبدا الفائقة التي إكتسبها من الملاكمة التايلاندية التي يتقنها - لكان قد تحول إلى كمية من الثقوب الدامية.

فقد سحب الباقون أسلحتهم وجهزوها للإطلاق عليه فقد ظنوه منافقاً وأنه سوف ينكشف أمره إذا رأيناه وأنكرناه، فيحاول أن يقتلهم ويهرب.. وقد صرحوا لنا بذلك في بداية حضورهم جميع أفراد مجمعتنا -بما فيهم عبدالرحمن- كانوا ثائرين ضد عبدا وطالبوا بإبعاده. وكنت أفضل ذلك أيضاً ولكن بعد قليل من الوقت وبهدوء حتى لا نجرح مشاعره. وظل عبدا مرتبكاً ويشعر بالذنب حتى غادرنا بعد أيام. لقد كان "عبدا " حسن الحظ أن وقع في يد مجموعة "مالي خان" الذي تربطنا به علاقة ودية وصداقة. ولكن جربز في نفس الوقت كانت تأمل في أن نقابل ذلك المعروف، بمعروف مماثل بأن نسعى إلى إطلاق أسيرهم المتبقي لدى جماعة حقاني.. صحيح أننا أعطينا المجموعة التي أحضرت صديقنا عبدا هدية صغيرة عبارة عن ألف روبية باكستانية كما جرت عادة القبائل في إعطاء "حلوان" لمن يعود بالشيء المفقود.

ولكن ذلك لم يكن كافياً. وكانوا يتصورون أن في مقدورنا فعل المزيد، ولكننا لم نفعل، لذا كنّا على وشك الوقوع في مشكلة كبيرة معهم في الأيام التالية لأنهم إعتبرونا سبباً فيما حدث أو على الأقل لم نرد لهم جميل الصداقة القديمة وجميلهم في إعادة عبدا إلينا وعدم تسليمه لحكومة خوست مثلاً، أو على الأقل قتله وسلب سلاحه.

وفي الأيام التالية تعرض معسكرنا لعمليات إستطلاع عديدة ومتعمدة إكتشفنا بعضها.. وقام بها عدد من رجال جربز المسلحين. ورأيت واحدة من تلك العمليات بنفسي بينما كنت كامناً خلف بعض الأشجار عندما تلصص أحد رجال جربز وأخذ يعاين معسكرنا بدقة ويرصد الطرق المؤدية إليه من مركز منان.وقد طردنا عدداً من المتلصصين. وبدأ شعور الخطر يتزايد وتتوتر الأعصاب أكثر حتى وصلت إلى أزمة بين "والي جان" وبيننا حتى أنه حاول تحريض جماعته علينا "!!".وإنفجر الموقف بيننا عند قيامنا بعملية بالهاون ضد تورغار. قررنا بعدها أن تكون الأخيرة مع"والي خان" والبحث عن بديل آخر للعمل مع تشجيع والي خان ومجموعته

على الإستمرار بدوننا.
لأن مواقع رمايتنا متغيرة دائماً فقد كان العدو يعاقب غيرنا فتأتي معظم رماياته على المواقع الثابتة الشهيرة بالذات مراكز "منان" و "مالي خان". أما مجموعتنا فنادراً ما يجدها العدو في المكان الذي يتوقعه. وإن وقعنا أحياناً تحت نيرانه مصادفة وبشكل عابر ومؤقت.
وأخيراً إتخذت جربز أول إجراء ضد مجموعات حقاني في المنطقة فقد منعوا سياراتهم من دخول المنطقة، وطالبوا بالإفراج عن أسيرهم أولاً وإلا: لا مرور ولا عمل لحقاني ورجاله في مناطق جربز كلها!!.
كان لا بد لنا من ترك مركزنا والإنضمام إلى المركزين المتقاربين للقائدين "منان" و "عيد جول" تحسباً لأي تطورات قادمة. فمركزنا البعيد المنعزل يسهل مهاجمته وأسر من فيه، خاصة وبه عرب يصلحون كورقة هامة جداً في عملية المساومة ولي الأذرع بين جربز وحقاني. وكان عددنا وقتها سبعة أشخاص فقط بما فيهم الطباخ العجوز.

الثلاثاء "87/7/21" :

قررنا إخلاء مركزنا اليوم وبدأنا بالفعل نقل إمتعتنا والذخائر إلى مركز عيد جول مستخدمين .أسطول الحمير.. إحدى سيارات مجاهدي جربز طلبنا منها نقل بعض أمتعتنا في طريقها إلى مركز "عيد جول" ولكنهم رفضوا -على عكس روح التعاون التي كانت سائدة في المنطقة- فإعتبرنا ذلك بداية المواقف العدائية تجاهنا.
مجموعة من مسلحي جربز تمر من الطريق المقابل لمعسكرنا فيسألهم أحد أفرادنا عن وجهتهم فيجيبون بتحدٍ "نبحث عن عربي تائه".
كان التحدي وروح العدوان واضحة في العبارة. وكان علينا ألا نتأخر في مركزنا هذا -بل قررنا وقف عملياتنا ومغادرة المنطقة كلها- حتى تستقر الأوضاع وحتى نجد بديلاً آخر غير "والي جان" ومجموعته.
أنهينا الإنتقال إلى مركز "عيد جول" ولكن أخذنا أهم معداتنا إلى مركز ميش -الأقرب إلى حدود باكستان، حيث غادرنا إلى هناك بواسطة سيارة عيد جول. "قضينا ليلة ممتعة في القرية الآمنة" كما كنّا نسمي مركز ميش ورجاله الطيبين.

الأربعاء "87/7/22" :

بعد صلاة الفجر تناولنا الشاي بالحليب وهو الأجود من نوعه في مراكز المجاهدين.
حاولنا إلتقاط بعض ثمار "الجور" من الأشجار الشوكية ولكنه لم يكن مستساغاً. في الخامسة غادرنا بسرعة في سيارة سمير جول. الذي كان يرجو أن ينفذ من طوق حصار "جربز"مستفيداً من الوقت المبكر قبل أن تستيقظ صقور القبيلة. ولكنه كان مخطئاً فما لبث أن إنطلقت خلفنا سيارة "بيك أب" تحمل ضوءاً أحمر في قمتها على غرار سيارات الشرطة وتابعتنا بسرعة.
فتوقف سمير جول، فتوقفوا على مسافة حوالي عشرين متراً من سيارتنا وإنهمك سمير جول معهم في حديث حار إستمر حوالي عشر دقائق. فأخبرت عبدالرحمن أن هؤلاء الناس يريدون أسرنا لمبادلتنا مع أسيرهم عند حقاني.
كان الموقف بالنسبة لنا مهيناً ومريراً.. كيف نؤسر ونحن بسلاحنا عائدون من الجهاد؟.. لكي يتم مقايضتنا مع جاسوس؟.. قررنا المقاومة حتى الموت.. وبهدوء أعددنا بنادقنا سريعة الطلقات.. ومن سوء الحظ أننا لم نكن نحمل قنابل يدوية، التي هي سيدة تلك المواقف.
كان أمراً جيداً على أية حال أن تمكن "سمير جول" من إقناع رجال جربز بأنه لا يحمل عرباً

وأن كل من معه هم من وزيرستان.
كان رجال جربز على إستعداد لقبول الخديعة، فلم يكونوا جاهزين لمزيد من التصعيد مع حقاني، خاصة وأن القبيلة سوف تنقسم حتماً في قضيتين، الأولى: منع المجاهدين من "الجهاد" في مناطق جربز مهما كان السبب، والثاني: إحتجاز مجاهدين عرب لمبادلتهم بمشبوه من جربز.
كان رجال جربز الذين طاردونا بسيارتهم يعرفوننا تحديداً -أنا وعبدالرحمن- ولكنهم تظاهروا بتصديق "سمير جول" وإكتفوا بما قاموا به كنوع من الإنذار لحقاني.. فمرت الأزمة بسلام.
تفادى سائق سيارتنا نقطة "غلام خان" لأنها اليوم تضايق السيارات. فمر بنا من طرق التهريب الجانبية. حتى وصلنا إلى بيت حقاني ولكنه كان في بشاور. قابلت "غازي مرجان " وهو مندوب حقاني في الإمارات وصديق قديم لنا، وكان بصحبته شابين من الإمارات. ما أن تعرفا على شخصيتي حتى بدأ معي نقاشاً متحذلقاً فيه كثير من اللمز حول مقالاتي في الإتحاد و "الأهداف الخفية خلفها" وما تحمله من "تشكيك في الجهاد".. كنت وقتها في حالة تؤهلني لإرتكاب حماقة كبيرة. ففضلت الإنسحاب بسرعة.. لأن قتلهما لن يفيد بشيء.. فهناك الكثيرون جداً من ذلك الصنف الرديء.
وكنّا في تلك الأيام نحمل أسلحتنا بشكل إعتيادي في شوارع ميرانشاة مثل باقي المجاهدين الأفغان. حتى سحبت الحكومة الباكستانية هذا الإمتياز في عهد "السيدة بوتو" قبل إنتهاء الجهاد بقليل.

الجمعة "87/7/24" :

وصل الشيخ جلال الدين من بشاور فجلست مع عبدالرحمن نناقش معاً فكرة تكوين قوة جديدة من المحترفين لتلافي السلبيات التي ظهرت لنا مع إعطاء الأولوية أيضاً لطلاب العلم وأبناء الشهداء طبقاً لفكرتنا القديمة.
وإقترحنا أن نبدأ بعشرين شاباً. وحسب تصورنا للمجموعة وتسليحها ومهامها فإن العدد يصل إلى حوالي ثمانين شخصاً عند إكتمالها.
وقال حقاني أنه يمكنه أن يمول مئة شخص تمويلاً كاملاً ولكنه يأمل في الوصول إلى مجموعات من خمسمائة مجاهد في هذه القوة، وأنه قد تكلم في أشخاصاً حول مشروع مماثل ولديهم الإستعداد لتمويل هذا العدد الذي ذكره.
ثم طلب مني حقاني أن أساعده في مجلة تصدر باللغة العربية تصدر مرة واحدة كل ثلاثة أشهر. ويكفي أن أشارك في صياغة الموضوعات بعد أن يترجمها آخرون لأنه كان يعلم أنني لا أرغب في الكتابة.
وفي نهاية الجلسة سألني حقاني إن كان عندي مشاكل في دفع إيجار البيت -وكأنه يعرض المساعدة المالية- فتعجبت لسؤاله الذي لم يسبق له أن وجه لي مثله.. وشكرته قائلاً بأن أصدقائي في الإمارات يتكفلون بذلك.
في اليوم التالي غادرت ميرانشاة متوجهاً إلي إسلام اباد، تاركاً عبدالرحمن يتابع موضوع القوة الجديدة مع حقاني .

□□□□□□□□□□□□□□□□□□

غراب واحد... وسط البلابل

هجمت علينا التنظيمات العربية في صيف وخريف ذلك العام **1987** فقضت علي الأمال الضئيلة التي كانت تداعب مخيلتي في إمكان الاستفادة من التواجد العربي في تكوين قوة مؤثرة على الساحة الأفغانية أولاً ثم الساحة الإسلامية -على إتساعها- كخطوة ثانية.

كانت مجموعتنا ما زالت ترتبط بإجتماعات ولقاءات من وقت إلى آخر في مكتبنا السري في إسلام اباد، الذي شغل أبوجهاد وزوجته طابقه العلوي.. وبقينا نلتقي من وقت إلى آخر في الطابق السفلي لمناقشة ما يجري على الساحة الأفغانية، ونتبادل المقترحات والآراء.

كانت تلك الجلسات كثيرة الفائدة لنا جميعاً -وما زال من بقي حياً ممن شارك فيها يتذكرها بكل خير- كنا نتفق أحياناً ونختلف أحياناً أخرى ولكن أحداً لم يكن ليلقي رأياً جزافياً - ولم تؤثر إختلافاتنا في الآراء على علاقاتنا الشخصية التي سادها الإحترام، ومقدار لا بأس به من الثقة.

أعتقد أن هذا المنتدى كان فريداً من نوعه في الوسط العربي آنذاك. ولكننا تعرضنا لإعصار شديد إقتلع هذا التجمع بحيث لم يرجع قط إلى صورته الأولى.. وإن تمكنا بعد فترة من الإبقاء على شيء من اللقاءات المثمرة على الأقل في مجال الفكر وإن لم ننجز غير القليل في مجال المشاريع الجهادية.

أقبلت علينا عاصفة "الجماعات" أو "التنظيمات" الإسلامية بحيث لم تبق أحداً من مجموعتنا إلا وإنضم فعلاً أو أصبح مرشحاً للإنضمام.. وفجأة تقدموا إلينا -لي ولعبدالرحمن- بطلبات إنضمام إسوة بالآخرين..كان بعضهم مثل أبو جهاد وأبو حفص يتصوران بأنني أعمل ضمن "تنظيم سري" وأنني في فترة ما سوف أدعوهم إلى الإنضمام إلى ذلك التنظيم!!.

كان ذلك تفكيراً عجيباً، فقد كنت أتصور أننا نتعامل ونتكلم بطريقة مفتوحة تماماً لا تخفي خلفها أسرار أو ألاعيب من أية نوع.

على كل الأحوال بقيت وعبدالرحمن خارج دائرة "الجماعات" فزادت عزلتنا أكثر من ذي قبل. وكانت فترة قاسية في بدايتها. وبالتدريج نجحنا في الإبقاء على نوعٍ من التفاهم ومحاولات التعاون ،على الساحة الأفغانية.

كانت "جماعة الجهاد" المصرية هي الأسبق في التواجد على ساحة بشاور خاصة بعد وصول الدكتور عبدالمعز "أيمن الظواهري" والذي كان طبيباً ناجحاً بقدر ما كان تنظيمياً نشطاً.. وقد كان لنا عدة لقاءات تبادلنا فيها عدداً من الأفكار المفيدة -فقد كان ذلك المجال، العمل الجهادي العربي ، مجهولاً لي تماماً.

لقد تمتعت في لقاءات مع الدكتور عبدالمعز بمتعة "الإكتشاف الجديد". كما كان الرجل شخصية ناضجة ومحبوبة. وإكتشفت أيضاً فجوات فكرية واسعة بيني وبينهم، كان مناقشة بعضها مفيداً لكلينا، وبعضها الآخر لا جدوى أو فائدة حتى من مجرد طرحه للبحث.

لقد وجهت إليهم إنتقادات عديدة إستمعوا إليها بصبرٍ وسعة صدر. وشرحوا لي وجهات نظرهم بإسهاب. لقد إستطعنا أن نتحاور بشكل جيد بعيداً عن المهاترات العربية المعتادة. وشارك أكثر إخواننا القدماء في تلك المناقشات، ومن المصادفة البحتة أنهم جميعاً مصريون ولم يكن ذلك مقصوداً بالطبع ولكنه الشعور الوطني الدفين والعميق في العقلية الإسلامية المعاصرة. ونتج عن تلك المناقشات إضافة عدة صفحات في مذكرة كنت أجهزها في ذلك الوقت تحت عنوان

"تجارب على الطريق" تبحث أساساً في قضايا حركية تهم "المجاهدين".
ومع كل ذلك ظل يكمن بداخلي شعور "غراب وسط سرب من البلابل"!!.
كان عبدالرحمن "غراباً" آخر إلى جانبي، لكنه للأسف لم يستمر طويلاً وسرعان ما صرت الغراب الوحيد.. ومازلت ذلك الغراب حتى الآن.
.. تمحور عدد لا بأس به من الشباب المصريين حول تنظيم "الجهاد".. وتمحور عدد أقل مع عرب من جنسيات مختلفة حول أبوعبدا في تنظيمه الجديد "القاعدة".. وتمتع إثنان من مجموعتنا بعضوية مزدوجة في الكتلتين، وسبب ذلك في شيء من البلبلة بين المتابعين للأمور "التنظيمية" فوق ساحة بشاور. وكان هؤلاء هم إخواننا سلطان وأبوحفص. لكنني لم أحاول قط التدخل أو الإستفسار حول عملياتهم التنظيمية. وكانت الأخبار تأتيني عبر "أحاديث بشاور" بين الشباب والتي كانت تتناول أدق الأسرار.. وذلك قضى بالطبع على كل الأسرار.. فكانت ساحة مفتوحة أو مفضوحة بكل معنى للكلمة.. وما أسعد أجهزة المخابرات العربية والدولية التي لم تجد أية مشكلة تذكر في عملها ضد هؤلاء الشباب.
الآمال القليلة التي تبقت عندي تبخرت بسرعة، ولم أعد آمل في شيء بالنسبة للعرب في أفغانستان. وبت أشعر بإقتراب نهاية مأسوية لنا -كعرب- وللأفغان كأصحاب قضية من المفروض أنها إسلامية - ولكنها على وشك أن تفقد هويتها وأن يفقد الشعب الأفغاني مستقبله.
وبدلاً أن يعمل العرب -المتطوعون في القتال- على سحب السفينة الأفغانية إلى بر الأمان، فإذا بهم ينجرفون بأقصى طاقتهم للإسراع بالسفينة في مسارها الخطر نحو هاوية من الشلالات الدولية المهلكة(وهكذا فعلوا لاحقا عندما ذهبوا للجهاد فى البوسنة والشيشان).
كانت معنويات عبدالرحمن أفضل بكثير من معنوياتي، وعاتبني بقوله كيف نتوقف عن العمل بعد أن فتح ا علينا بمعرفة أشياء كثيرة.. من المفروض على من يعلم أن يعمل وإلا لا فائدة من علمه.
لقد أثرت كلمته في نفسي كثيراً.. وما زلت أتذكرها في المواقف المحبطة الكثيرة التي مرت بي بعد إستشهاده. ولكننا إضطررنا إلى التوقف لعدة أشهر حتى نجد وسائل جديدة للعمل.
وقررنا حذف العرب تماماً من تفكيرنا.. والبحث عن منفذ أفغاني جديد بعد فشل تجربتنا مع مجموعة "والي خان".. وكان ما زال يحدونا أمل في إمكانية إحراز نصر عسكري على السوفييت في أفغانستان!!.
.. لم يلبث وضعي الإقتصادي أن تعرض لأزمة خطيرة، عندما قررت جماعتنا في أبوظبي . لجنة علاج مجاهدي أفغانستان. أن توقف راتبي لأنني لا أنفذ توجيهات إدارة اللجنة في أبوظبي، وبناءاً عليه إعتبر راتبي إهداراً لأموال المسلمين. كان من العسير جداً أن يستوعبوا حدة التحولات على الساحة الأفغانية، وأن ما هو ممكن في شهر رمضان قد يصبح مستحيلاً في شوال. وأن ما نتصوره منطقياً في أبوظبي هو المستحيل السابع في أفغانستان.. وهكذا.. لقد أصبحت فجأة في عداد المتسولين أو الضائعين نتيجة لأن بعض أصدقائي لم يصدق أو يتصور صحة تلك البديهية.أصبحت عاجزاً عن دفع الإيجار السنوى لمنزلى، وبدأ صاحبه يطالبنى بدفع ألف دولار فوراً .
وفي أحد الليالي المظلمة وأنا أتجول هائماً حول بيتي في إسلام اباد، فإذا بمن يدس في يدي ألفاً من الدولارات الأمريكية دفعة واحدة!!.
لقد كان صديقي الدكتور عبدالرحمن -مدير وكالة إسرا للإغاثة- والوحيد الذي علم بالمأساة التي

أعيشها. فلما حاولت أن أرفض أقسم أيماناً مغاظة أنها ليست منه، ولكنها تبرعات موقوفة لمن يقعون في تلك الأزمات من المجاهدين العرب. حاصرني عبدالرحمن كما حاصرتني ظروفي الصعبة فقبلتها شاكراً.. ولكن إلى متى؟..
كنت أظن أن مشكلتي تلك مأساة كبيرة حتى علمت بالمأساة الحقيقية التي يعيشها صديقنا الشيخ جلال الدين حقاني في جبال "ساتي كاندو" و "سرانا" جنوب جرديز.

الخميس "87/12/24" :

إتصل بي من بشاور كل من "أبي خالد" وعبدالرحمن، وأخبراني أن حقاني في سرانا يعاني بشدة من ضغط حملة عسكرية سوفييتية عنيفة وأن موقفه حرج، وأن الوضع العام خطير.
وطلبت أن يحضر عبدالرحمن إلى "إسلام آباد" حتى نتشاور، فقد كان آخر قراراتنا هو التوقف حتى نعيد ترتيب أوراقنا من جديد.

الجمعة "87/12/25" :

في التاسعة والنصف صباحاً وصل "عبدالرحمن" وبصحبته أبوأنيس وأبلغانى بعض التفاصيل عما يدور عند حقاني من خلال عدد من العرب والأفغان الذين عادوا من "سرانا" وما حولها، قال أبوأنيس أن حقاني لا يجد حوله أحد -حتى أكثر رجاله فروا من المعركة- وكان يسأل عن مجموعتنا "مجموعة خوست" بالإسم فرداً فرداً. وأن الدكتور عبدا عزام كان متواجداً عنده وعاد مؤخراً.. وكالعادة أرسل "مكتب الخدمات" قواته غير المدربة والفوضوية، فوصل إلى منطقة المعارك مئة عربي لم يروا المنطقة قبلاً ومعهم بعض طلاب العلم الأفغان على نفس الحال فزادوا الطين بلة. وسببوا فوضى إضافية وعانوا الكثير من الأهوال فقُتل بعضهم، ثم عادوا جميعاً.. أما القوات السوفييتية فقد وصلت إلى قرب "سرانا". ورغم هول ما إحتوته تلك المعلومات إلا الأخطر كانت القنبلة الإخبارية التي ألقاها أبوأنيس بدون أن ينتبه إلى ذلك ولكنه زودني بالمفاتح الرئيسي للموقف كله. وقد كان يجول في خاطري ولكنه الآن يأتي في وضوح قاطع. وأظن أن أحداً غيري لم يلتفت لقنبلة أبوأنيس.
قال أبوأنيس : (أن أحد المتنفذين الحكوميين في السعودية قد أخبر من حوله، أن الحملة السوفييتية "ولم تكن قد بدأت بعد" سوف تبدأ من "جرديز" متجهة إلى "خوست" عبر طريق "زدران". وأن أمريكا وافقت على أن تساعد الحملة على بلوغ هدفها بسلام، وأن باكستان سوف تضمن ذلك. والهدف من ذلك سياسياً هو توفير غطاء معنوي للسوفييت كي يوقعوا في مؤتمر جنيف القادم على الإنسحاب من أفغانستان وذلك حتى لا يظهر الإنسحاب السوفييتي من أفغانستان على أنه هزيمة عسكرية. وكان لا بد من الحفاظ على كرامة المؤسسة العسكرية وهيبتها حتى لا يتعرض كيان الإمبراطورية للخطر).
غادرنا إلى بشاور فوصلناها في الثالثة عصراً. زارنا أبوخالد ليلاً وتكلمنا بعض الوقت ولما علم أننا في طريقنا إلى ميرانشاة وعد بأنه سيحضر إلينا بعد عدة أيام مع الشباب أبوحفص وأبوجهاد وهما الآن تابعان له تنظيمياً ضمن جماعة "الجهاد" المصرية.

السبت 26/ 87/12:

كان أبنائي الثلاثة في صحبتي، فقد أرادوا "الإستمتاع" بإجازة منتصف العام الدراسي في داخل أفغانستان "!". ولم أشأ أن أفسد متعتهم وخططهم الجهادية "!". تحركنا في التاسعة صباحاً نحو ميرانشاة في أحد الباصات، وبرفقتنا خمسة من طلاب العلم سوف يجري تسليحهم وإرسالهم نحو مناطق القتال. كانت معنويات أبنائي طيبة وهم مقبلون على مغامرات جديدة.

شعرت بتحسن لا بأس به في معنوياتي، رغم تأكدي من عدم قدرتنا على فعل شيء ذا قيمة، ولكن قد يظهر شيء من خلال هذا التجمع العربي الكبير في ميرانشاة والذي شمل كل مفاتيح العمل العربي الرئيسية، أبوعبدا والدكتور عزام وتميم العدناني وأبوالحسن المدني، بعضهم متواجد حالياً وبعضهم يتحرك في دوائر مركزها ميرانشاة.
وصلنا ميرانشاة ولم ألبث أن قابلت أسامة بن لادن "أبوعبدا " لأول مرة، فقد كان كلانا يسمع عن الآخر بدون أن يشاهده.
أعطى أبوعبدا أهمية لمجموعتنا "مجموعة خوست". التي هي شخصين فقط في واقع الأمر لكنه وضع إعتباراً لعلاقاتنا الجيدة ومعرفتنا بالمنطقة ومجموعاتها العاملة. وكان هذا عملاً طيباً منه ومجاملة لطيفة لنا، وإلا فإنه ليس في حاجة حقيقية لنا ويمكنه العمل بدون الإلتفات إلينا فعنده ما يكفي من الأموال، كما أن مئات الشباب يتدفقون عليه من كل صوب خاصة من الجزيرة واليمن للعمل تحت إمرته. كان بلا شك يدرك مشاكلنا وضعفنا كمجموعة متعثرة ذات مشاريع وطموحات أكبر من طاقتها.في نفس الوقت فإن تكتل الدكتور عبدا ، المواجه الآن أمام أبي عبدا ولكن بدون أجواء ساخنة من المواجهة، لم يلتفت إلينا أصلاً لإعتراضه على شخصي وبناءاً على عداوة الإخوان المسلمين وسياف لشخصي الضعيف..
تبادلت وجهات النظر مع أبي عبدا ، ولخصت له أهداف الحملة السوفييتية في ثلاث نقاط هي:
1- تحطيم جلال الدين وقيادته لقبيلة زدران.
2- تموين خوست لإنقاذها من السقوط أو الإستسلام.
3- إغلاق الحدود مع باكستان قبل مفاوضات جنيف التي من المقرر أن تعقد جلسة جديدة بعد شهرين ونصف تقريباً.
.. بالنسبة للنقطة الأولى فقد كنت دوماً منفرداً بها -ولم يساندني فيها أحد تقريباً- وهي أن عالم الدين المقاتل "جلال الدين حقاني"، والقبيلة الجبلية المتماسكة والمقاتلة "جدران" والولاية الجبلية صعبة التضاريس وفيرة المياه كثيرة وديان الإتصال الطبيعية "باكتيا" هي ثلاثة مصادفات سعيدة ونادرة وكانت أكثر من حيوية لمصير الجهاد فى أفغانستان.
كانت المصادفات الثلاثة كارثة بالنسبة للسوفييت، لذا فإن التخلص من حقاني قد يتيح إستقراراً أكبر لنظام نجيب في كابول، وبالتالي حصة سياسية أكبر في أفغانستان.
لنفس السبب تمسكت باكستان بحقاني، ولم تغتاله كما فعلت مع كثيرين غيره، لأن إهتزاز باكتيا وسيطرة الشيوعيين عليها سوف يؤثر بعمق ليس فقط على نتيجة الحرب بل وعلى إستقرار الإقليم الحدودي الباكستاني الذي تسكنه قبائل البشتون.
وفي ظني أن باكستان حاولت مرة واحدة ،على الأقل، إغتيال حقاني بعد الإنسحاب الروسي وقبل هجومه النهائي على خوست.
ولكن فشلت العملية ثم وقع المحظور وإستولى حقاني على خوست ولم يعد قتله مجدياً، فقد أخذت تداعيات الإنهيار تأخذ مجراها ولم يستطع أحد في واشنطن أو موسكو أو إسلام اباد أن يوقف سقوط النظام الشيوعي في كابول.
خوست تمثل النقطة الأضعف في نظرية الأمن الشيوعية في أفغانستان والتي تقضي بالمحافظة على المدن الرئيسية صامدة وتحت سيطرة النظام. لأن عجز المجاهدين عن إسقاط إحداها سوف يجبرهم في النهاية ،خاصة بعد منع المساعدات الخارجية عنهم، إلى التفاهم على حل

سياسي للصراع بدلاً من خوض حرب لا نهاية لها ولا أمل في كسبها.
في المقابل فإن سقوط خوست في أيدي المجاهدين ،خاصة إذا تم ذلك قبل إتمام الإنسحاب السوفييتي، وسواء سقطت بعمل عسكري أم إستسلمت للمجاهدين تحت وطأة الحصار فإن ذلك سوف يضع قيادة الكرملين في مأزق عسير يصعب التخلص منه. فهي إن وافقت على الإنسحاب من أفغانستان بعد سقوط إحدى مدنها الرئيسية، فسوف يغري ذلك بمهاجمة باقي المدن بل ومهاجمة القوات السوفييتية المنسحبة وبذلك يتحول الإنسحاب إلى كارثة عسكرية وهزيمة ساحقة تهون إلى جانبها الكارثة الأمريكية في فيتنام.
أما إذا رفضت قيادة الكرملين الإنسحاب من أفغانستان تحت تأثير سقوط مدينة رئيسية "خوست" فسوف يؤثر ذلك حتماً على الوضع الدولي بأسره وإنهيار سياسة التعاون مع الغرب والتي بدأها جورباتشوف، ثم مزيداً من الضغوط على الإقتصاد السوفييتي المترنح والذي لم يعد يتحمل المزيد.
.. أما عن النقطة الثالثة وهي إحتمال إغلاق الحدود، فقد ظهر لي بعد الحرب أن ذلك الإحتمال لم يعد ممكناً كما أنه تم إستبعاده نهائياً من تفكير القيادات السياسية العسكرية السوفييتية بسبب الصعوبات العسكرية والمضاعفات السياسية لذلك العمل. ونظراً لطول الحدود "1400كم" وطبيعتها الجبلية التي يستحيل السيطرة على عمليات التهريب والنفاذ منها.
ولكن المعقول في مثل تلك الظروف، هو عرقلة خط الإمداد الواصل من حدود باكستان إلى منطقة المعارك. وهو ما ذكرنا أن الهدف من عملية الإستيلاء على مرتفعات "سناكي" في بدايات ذلك العام.وفي المعارك الحالية فإن خط الإمداد الواصل إلى حقاني أخذ مساراً طويلاً جداً عبر منطقة ."الأورجون".. وكان من المعقول أن يتدخل السوفييت لعرقلة ذلك الخط وكان ذلك يسيراً. ولهذا إقترحت أن ندعم حراسات ذلك الخط كما سنرى. ولكن السوفييت لم يحاولوا قط عرقلته لأسباب نجهلها. وربما ترتبط بالخطوط العامة لإتفاقهم مع أمريكا وشريكتها باكستان.
بدأنا فى تحديد أولوياتنا فى ظل تلك الظروف وحددنا ثلاث محاورللعمل وهي:
1- المحافظة على طرق الإمداد مفتوحة خاصة الطريق المار عبر أورجون والإتفاق مع قادة المنطقة الموثوقين من أمثال . مولوي" أرسلان رحمانى" "ومولوي محمد حسن" "ومولوي بخترجان".
2- دعم عسكري مباشر لجلال الدين حقاني على شكل مجموعات مقاتلة مشتركة من عرب وأفغان.
3- شن هجمات على خوست.
.. كانت نقاطاً جيدة على أساس حرب طويلة المدى، ولم نكن ندري أن المعركة التي نحن بصددها كانت على وشك الإنتهاء. وعملياً لم نستطع نحن أو غيرنا أن نفعل شيء لمساعدة حقاني، أو لمنع القوة السوفييتية من العبور من جرديز إلى خوست عبر مناطق قبيلة "زدران".
.. لقد كان حقاني يجني آثار إهمال العرب في مساعدته في مشروع تحصين طريق جرديز خوست. بل إن القضية الإسلامية في أفغانستان كانت تتأثر من جراء الإهدار المتعمد لطاقات العرب في دهاليز مجدبة "من أمثال جاجى".
وفي إعتقادي لو أننا بدأنا في تنفيذ ذلك المشروع منذ طرحناه لأول مرة عام 1985، لكنّا الآن ، في ديسمبر 1987- نخوض معركة مصير -أو ديان بيان فو- أفغانية،تحسم الحرب عسكرياً

بهزيمة ناصعة للقوات السوفييتية.
لم يكن العرب يطيقون التفكير للحرب، أو الإعداد الطويل لها، أو التدرج عبر مراحلها المنطقية. كان أسلوبهم الغالب هو التوجه الفجائي غير المرتب أو المنظم إلى منطقة المعركة للمشاركة فيها.وكما وصفتهم سابقاً بقوات "المقاومة الشعبية" المهلهلة والتي كنّا نراها في مصر في معارك هزائمنا أمام إسرائيل، يتسكعون في حواري المدن المصرية يصفرون لتحذير الجمهور من إشعال الأضواء. مطلقين صيحتهم الشهيره المدويه "طفى النور".. لم يدرك أحد من العرب مسئوليته عما يحدث من هزيمة لحقاني في جبال "ساتي كندو" و "سرانا".
في ظني أن أباعبدا والدكتور عزام يتحملان مسئولية لا يستهان بها عما حدث في مأساة باكتيا في شتاء ذلك العام 1987.
 بعد صلاة المغرب إجتمعنا عند أبي عبدا بجماعة حكمتيار وقائد قواته في مضيق دوامندو الإستراتيجي الذي يتحكم في مدخل وادي خوست من جهة "جرديز". وكان بصحبة جماعة حكمتيار شاب مصري ممشوق القوام ويرتدي "غترة فلسطينية" ويتصرف بطريقة سينمائية إستعراضية.
أبدى رجال حكمتيار رغبة في المساعدة، ولكنهم قدموا لأبي عبدا "فاتورة سخية"بالمساعدات التي من المفروض أن يقدمها لهم.
لم تكون جروح جاجي قد إندملت، وما تعرض له الرجل وهو في أحلك المواقف من إستنزاف لمجرد تقديم مساندة مدفعية عادية ما زالت ماثلة أمام عينه.
كان أبوعبدا يتميز بقدرة هائلة على ضبط إنفعالاته، فتخلص بمهارته الدبلوماسية مبقياً على خيوط العلاقات سالمة، ولكن بدون أن يتورط في أي وعود محددة، ولكن الجفاء كان ملحوظاً في اللقاء.

الأحد "87/12/27" :

بعد صلاة الفجر جاء أبوعبدا إلى بيتنا الذي نتخذه مركزاً في ميرانشاة، وبصحبته أبوأنيس وشفيق.
وتكلم معنا مجدداً في إتفاق الأمس وإحتياجات العمليات المقبلة. وإقترحت أن نستأجر بيتاً مناسباً ليكون مقر قيادة ومتابعة للعمل على المحاور الثلاث التي إتفقنا عليها. وإقترحت إستئجار بيت "عبدا خان" لذلك الغرض وهو بيت واسع ومناسب لإستقبال أعداد لا بأس بها من الشباب مع وجود جزء صغير شبه منفصل يصلح كسكن خاص لعائلة. أو يستخدم للإجتماعات الخاصة.
وكان حقاني يشغل ذلك البيت لفترة من الوقت، وكان لنا فيه ذلك القسم الخاص شغلناه عام 1986، وبعض أسرى الكوماندوز من الجنود بقوا في ذلك البيت عدة أشهر.
والغريب أنني إقترحت على أبي عبدا إقتراحاً مماثلاً قبل نهاية الحرب بأشهر قليلة حتى يتابع مع أركان حربه "سلطان وأبي حفص" مجرى عمليات عربية أفغانية مشتركة تدور في مدينة "جارديز" ومحافظة لوجار في وقت واحد. هو إقتراح لم يجد طريقه إلى التنفيذ.
عبدا خان نفسه كان قد عاد من بشاور في نفس اليوم حاملاً كمية لا بأس بها من الأخبار الكاذبة والإشاعات. مثل أن باكستان قد جمعت قادة الأحزاب وأنبتهم وطالبتهم بمغادرة بشاور إلى الجبهات للقتال ضد السوفييت!!. سياف وصل اليوم إلى ميرانشاة. كان ذلك مثار دهشتي، ودليل آخر على إنتهازيته التي لا تحتاج عندي إلى دلائل جديدة.فهو لا يطيق غياب بن لادن

عن ناظريه، أو أن يتحرك يوماً في الإتجاه الصحيح بالإمكانيات الهائلة التي بين يديه الآن، والتي لم تعد مجرد أموال بل أيضاً عشرات الشباب المتحمس والمندفع.. والقادر أيضاً على جمع المزيد من التبرعات من بلاد الجزيرة عامة والمملكة خاصة.
لقد كان سياف يدرك -كما أدرك تماماً- خطورة أن يجد أبا عبدا وإمكاناته مكاناً في مسارح العمليات التي يتحرك فوقها حقاني، عندها قد تنقلب الساحة الأفغانية رأساً على عقب.
وقد نجح سياف تماماً في منع ذلك اللقاء طول مدة الحرب، وظلت علاقة أبي عبدا وجماعته مع حقاني سطحية، قد يشوبها أحياناً شكوكاً وهواجس.. أو "عدم إستلطاف"!!.
سياف قدم أيضاً سلاحاً إلى مجموعة الطلاب الأفغان الذين قدموا لمساعدة حقاني تحت قيادة شاب نشط وذكي يدعى "توريااليه"،وقد تخيلت أنا وعبدالرحمن أن توريالية وجماعته قد يكونون ضالتنا المنشودة إذا إستطعنا الإحتفاظ بهم بعد إنتهاء الإعصار الحالي. ولكن سياف كان قد سبقنا إليهم وأغرق إنعاماته على "تورياليه" فأصبح من أتباعه المخلصين.
قدم سياف أسلحة وذخائر إلى أبي عبدا حتى يستخدمها العرب في معاركهم المنتظرة في المنطقة.
وفي الواقع لم يكن لسياف أي تواجد يذكر في خوست أو مناطق القتال الحالية، فسبب له ذلك حرجاً بالغاً أمام العرب عامة وأبي عبدا خاصة، وكان مرتبكاً للغاية وهو يحاول أن يستر عجزه ذلك عن أعينهم المحدقة به، ودعوتهم له، وبغلظة أحياناً أن يتحرك ويفعل ذلك لمساعدة حقاني ولإنقاذ الموقف.
فتارة يقدم سلاحاً، وتارة أموالاً لمجموعات مختلفة من الأفغان حتى تتحرك بإسمه أمام العرب في هذا الموقف العصيب. وتارة أخرى يهون من شأن المعركة الدائرة، وتارة ثالثة يهاجم حقاني ويتهم العرب بأنهم ضخموا من أهميته بدون ضرورة!!.
ثم ظهر عجزه بصورة مذرية أدهشت حتى الشباب العرب الصغار، خاصة صديقانا أبوأنيس وشفيق. فعندما أعلماه أنهما في طريقهما إلى منطقة باري -ولم يكن يدري أنهما ذاهبان تحديدا إلى مركزنا هناك- حتى قال لهما: "إنتظرا إلى الغد حتى آتي معكما "!!.وجاء إلينا الشابان وهما يتساءلان بدهشة بريئة:كيف أن أمير الجهاد في أفغانستان ليس له مركز في منطقة هامة كهذه، ثم يطلب من شابين من العرب الغرباء أن يصطحباه إليها؟؟..
.. زارنا منان الكوتشي في بيتنا اليوم، كان قد قام ورجاله بهجوم على أحد مواقع العدو "البوسطات" وغنم بعض قطع السلاح، وعرض بيعها لأبي عبدا الذي أخذ يشتري بعض الأسلحة لجماعته. كان لدى منان عدد إثنين جرينوف مع زوكياك واحد. وافق أبوعبدا على الشراء.

الإثنين "87/12/28" :

قابلنا أبوعبدا في بيت الشباب العرب وشرحنا له الخطة الموسعة في باري وضرورة الإسراع في تطبيقها.
وكانت تقضي بوضع المطار تحت قصف صاروخي دائم على أسلوبنا القديم وبإستخدام "الرومت كنترول" الذي وصل في ورشة بشاور إلى درجة مناسبة للعمل. كما إقترحنا مهاجمة جبل تورغار بهدف الإستيلاء عليه.وعمل بهذا الحجم لا تتوقعه القوات الحكومية في هذه الظروف، وسوف يربك حساباتهم ويشتت القوات التي تركزت كلها على طريق "جرديز- خوست" لإنهاء المقاومة عليه وتأمينه.

وسوف تضطر هذه القوات إلى إجراء تغيير جوهري في خططه عملها، كما أن حالة الإرتباك هذه سوف نحاول إطالتها بالتمسك بالجبل ومحاولة التقدم في إتجاه المطار نفسه براً أو مهاجمة المزيد من مواقع الخط الدفاعي الجبلي مستفيدين من موقع تورغار الذي يتوسط ذلك الخط ويعلوه إرتفاعاً.
ونأمل أن تؤدي عملية الإرتباك هذه إلى فرص مفيدة يمكن إستغلالها في وقتها، وعلى أضعف الإحتمالات فسوف يؤدي عمل مباغت وجريء مثل ذلك إلى تخفيف الضغط عن حقاني، حتى وصول مزيد من الإمدادات والمقاتلين إليه.
وإقترحت أن تشارك مجموعة منان في هذه العملية وأن نكلفهم بجزئية مناسبة لهم تماماً وهي فتح ثغرة في حقول الألغام حول تورغار، وأن نقدم لهم مكافئة مغرية مقابل ذلك -وإقترح أبوعبدا مبلغ مئة وخمسون ألف روبية باكستانية- وإقترحت أن نقوم نحن العرب بالهجوم على مواقع الشيوعيين فوق تورغار والإستيلاء عليها والتمسك بها إلى فترة محدودة حتى تستلمها منّا مجموعات موثوقة من طرف حقاني، ثم نستأنف نحن خطوات هجومية جديدة حسب تطورات الوضع في وقتها.
لكن منان لم يحضر إلينا اليوم كما وعدنا بالأمس.

الثلاثاء "87/12/29" :

أرسل أبوعبدا رسالة مع أحد السيارات إلى بشاور لإحضار أدوية من هناك، وإحضار أجهزة التحكم عن بعد "الكراكير" من ورشة الألكترونيات في "بابي". من المفروض أن نجهز اليوم باقي المعدات وفحص صلاحيتها في ورشتنا في ميرانشاة. من واجبنا اليوم تجهيز الطلاب الأفغان الجدد بالسلاح وغيره. إشتريت ملابس عسكرية لأولادي الثلاثة ولي من سوق ميرانشاة.. كانت الأسعار منخفضة جداً لأن كميات كبيرة قد وصلت إلى مخازن الأحزاب وبيعت كالعادة في الأسواق.

- أرسلنا سيارة إلى باري تحمل مجموعة مشتركة من الشباب العرب والأفغان إلى مركز "مالي خان" في باري.
- في ميرانشاة قابلنا "مولوي عبدالحليم" من جماعة "سمير جول" وكانت معنوياته منخفضة، فمعظم مجموعته خارج الجبهة وليس عنده أسلحة.
- نبحث اليوم عن منان لإتمام الاتفاق حول العملية.
- وصل تميم العدناني من زيارته لحقاني وأخبر جماعتنا بأن "سرانا" -حيث مركز قيادة حقاني ومعقله الرئيسي- قد سقطت "تقريباً" في أيدي السوفييت.
- وصل أبوالحسن المدني وعقدنا معه لقاءاً عند أبي عبدا في الليل. أخبرنا أبوالحسن بمعلومة لم استطع إستيعابها في وقتها وإن كانت الآن أكثر وضوحاً، فقد قال بأن باكستان ترعى برنامجاً كبيراً للرد على الحملة من خلال جماعة "سيد أحمد جيلاني" بالذات، وأن الجنرال رحيم وردك سوف يشرف عليه، وهو أكبر جنرال في جماعة الجيلاني. وقال أبوالحسن أيضاً أن باكستان تضغط لتحريك الجميع نحو الدفاع ضد الحملة.

كما أن الجيلاني سوف يعقد مؤتمراً عاماً غداً في أعظم ورسك - وهي مدينة كبيرة في جنوب وزيرستان يعبرها المجاهدون وهم في طريقهم إلى الأورجون. الذي أعجب له الآن من خبر البرنامج العسكري للجنرال وردك، هو أن ذلك البرنامج قد كشف الأمركيون عبر صحافتهم عن تنفيذه بعد ذلك متعاونين مع رجلهم الجنرال وردك،وتم الإعلان بعد ذلك بعدة أشهر،

فكيف يتمكن هؤلاء الإخوة في السعودية -مثل أبوالحسن وقبله أبوأنيس- أن يحصلوا على معلومات دقيقة وحساسة عن مشاريع حالية أومستقبلية على ساحة أفغانستان ولا يستطيعون في الوقت ذاته إتخاذ قرارات مناسبة لتحركهم أو حتى تقييماً سياسياً وعسكرياً صحيحاً للأوضاع.
أما عملية الجنرال وردك فقد كانت، حسب المصادر الأمريكية، أكبر عملية تخطط وتشرف عليها **CIA**.وأطلقت عليها تسمية "القمة الجليدية"ـ كتبوا عنها ولم نستطع نحن التحقق من صحتها عبر المصادر الأفغانية،فلم أجد أحدا رأى أو سمع عنها شيئا.
 قرر أبوعبدا أن يسافر إلى "أعظم ورسك" لمقابلة جيلاني للتنسيق معه. لم يطلب أبوعبدا مشورتي في ذلك الأمر لذا فضلت الصمت.
 مجموعة عربية سوف تتحرك تحت قيادة "نور الدين"، من إخوان الأردن، نحو مضيق"دوامندو" فأوصيناهم بالتنسيق مع جماعة يونس خالص هناك لإستطلاع الأوضاع ثم العودة إلينا في أقرب فرصة لتجميع قواتنا للعمليات الرئيسية في باري، خاصة وأن طريق جرديز/خوست قد أصبح مشبعاً بالمجموعات "كما كنّا نتصور وقتها" ولم يكن ذلك صحيحاً لأن المجموعات الكثيفة التي تحركت بعد إستلامها أسلحة وأموالاً وطعام وملابس، تلك المجموعات كلها تقريباً هربت بما حملت ولم تتوجه إلى العمليات. لم يكن أحد يتوجه صوب الطريق. وإتضح لنا فيما بعد أنه كان خالياً، بل يجري إخلائه بإستمرار.

الأربعاء "87/12/29" :

أعددنا صندوق المعدات الكهربائية وأدوات التوقيت والإصلاح السريع وغيرها وأخذناها معنا في سيارتنا إلى باري متوجهين صوب مركز منان، وحركنا أسطول الدواب الذي تطور الآن وتم تعزيزه فأصبح يتكون من حصان واحد وبغلين.
صلينا المغرب في مركز منان وتحدثنا معه عن فكرتنا في مهاجمة تورغار وسألناه عن حقول الألغام في مواجتنا أو السفح الخلفي للجبل من جهة المدينة والوادي حيث من الممكن أن نستخدمه في هجوم ليلي. "ولم نعرض عليه فكرة المكافأة المالية". فقال إن السفح الخلفي خالي من الألغام، وقد كان في إمكان البدو التحرك في كل مكان وتجميع مثل تلك المعلومات عن الجانب الآخر من مواقع العدو.
ولكن الخبر المزعج الذي نقله لنا هو أن العدو يسيطر الآن على سلسلة "زرمانكي" الممتدة على غرب تورغار، ولا يمكن الإلتفاف حول تورغار أو مهاجمته من الأمام أو الجانب الغربي، إلا بعد مهاجمة الجبلين معاً أو البدء "بزرمانكي" من وضع صعب جداً إذا كان تورغار ليس واقعاً على الأقل تحت نيران مدفعية كثيفة. كان ذلك تعقيداً جديداً يواجه برنامجنا ضد تورغار ،ولكن تبقى فقرة المطار قابلة للتنفيذ.
 سمعنا خبراً بأن حقاني وجماعته طهروا ثلاثين موقعاً في "سرانا". لم يكن ذلك منسجماً مع ما علمناه من وضع حقاني سابقاً.. ظهر أن الخبر مجرد إشاعة.
وليد، إبني الأكبر "15عاماً"، توجه مع مجموعة عرب وأفغان إلى مركز مالي خان وكان تسليحه بندقية نصف آلية من طراز "سيمينوف" الروسي. كانت تلك تجربته العملية الأولى في الجبهات في ظروف التوتر الشديد. كان سعيداً بالأجواء الجديدة ومندهشاً بطفولة. أما أخواه

خالد وعبدالرحمن فقد تركتهما في ميرانشاة رغم إحتجاجاتهما الشديدة.

الخميس "87/12/31" :

كان الصباح بارداً كما هي العادة في مثل ذلك الوقت من العام.. غداً يبدأ عام ميلادي جديد وسط أجواء غير مشجعة ألقت بظلالها على نهايات ذلك العام1987.وقفنا على طريق السيارات في إنتظار أية سيارة تنقلنا في طريقها إلى ميرانشاة لإحضار ما تبقى من معدات وأفراد، وأيضاً مناقشة التطورات الجديدة التي أضافها منان أمس إلى معلوماتنا. ما زال الصباح مبكراً جداً، ولكن من عمق أحد الشعاب جاء موكب من السيارات الفخمة التي يستقلها قادة الأحزاب عادة. كان موكب"صبغة ا مجددي" فقد شاهدنا نفس الموكب أمس قبل العصر وهو متوجه إلى باري، حيث أحد مراكزهم في داخل ذلك الشعب الطويل والمنيع، والذي يحوي عدة مراكز ضخمة، لا تشارك بشيء في العمليات في المنطقة. كنّت وعبد الرحمن نطلق على ذلك الشعب إسم "شارع الصحافة".

رآنا مجددي وعرف من ملابسنا العسكرية ونصف العسكرية أننا عرب، فنزل من سيارته لمصافحتنا. وقد تعرف علي، وكانت علاقتنا تعود إلى عام 1980حينما زار دولة الإمارات مع الوفد المرافق لسياف.

إنتحي بي جانباً عندما سألته عن أخبار القوات السوفييتية وأين وصلت الآن، وقال لي هامساً: (للأسف علمت أن القوات تمكنت من دخول خوست مساء أمس، حيث دخلت آليات كثيرة جداً من شاحنات ودبابات ومصفحات وغيرها، قال بعضهم أن عددها 150 آلية وقال آخرون بل400 آلية).

قفز إلى ذهني فوراً بأن عملياتنا المقترحة ضد المطار قد فقدت الكثير من أهميتها طالما أن الطريق البري صار مفتوحاً للإمدادات.

في ميرانشاة تأكدنا من صحة الخبر من عدة مصادر أخرى. عدت إلى البيت مع عبدالرحمن وشفيق وأبوأنيس لمناقشة الوضع. وتوقعت أن تحاول القوات السوفييتية إغلاق المنافذ والوصول إلى مدخل "غلام خان" المؤدي إلى منطقتنا "باري" ومدخل "صدقي" المؤدي إلى "جاور".قررنا الإستمرار في البرنامج القديم مع إستعداد لمقابلة القوه داخل باري، بتجهيز كمائن وحقول ألغام. والأهم هو تعريف مجموعاتنا بالمنطقة نفسها عن طريق الدوريات المستمرة في أنحائها.

سرت إشاعات بأن القوة لم تصل إلى خوست، فسبب ذلك إضطراباً في تفكيرنا وتقديرنا للموقف. ولكن إتضح فيما بعد أن ما أخبرنا به صبغة ا مجددي كان صحيحاً.

كانت إطلالة متجهمة لعام من الصدمات والأحزان.. أنه عام 1988 الذي على وشك أن يبدأ بعد ساعات معدودة.

(إنتهى الكتاب الثانى)

خوست ـ معسكر الفاروق"الثلاثاء 19سبتمبر 1995

ملحق المقالات

(الحرب المعاكسة)على الإسلام في باكستان

* طرح شعار أسلمة الدولة بدون القدرة على تنفيذه،منح القوى المناوئة فرصة للطعن في الإسلام.
* مذهب بوتو أو (البوتيزم) نتاج طبقة الإقطاع، وتعادي الإسلام لأسباب شخصية بحتة.
* الشعارات الإسلامية ليس لها صدى شعبي وأصحاب المصالح لا يكترثون.

رسالة باكستان / مصطفى حامد ـ 1986/6/29

* **نشأت** باكستان على أساس فكرة إسلامية ومع إقتراب خروج الإنجليز من الهند جاءت فكرة التقسيم كمحاولة لتجنب المجازر التي كان يشنها الهندوس ضد المسلمين.

كانت الهند قبل الإحتلال الإنجليزي لها عبارة عن مملكة إسلامية عريقة، وخلال فترة الإحتلال الإنجليزي مكن الإنجليز للهندوس جميع الفرص للصعود إلى الصدارة الإقتصادية والسياسية في الهند مقابل سحق القواعد الإسلامية إلى الحضيض، وبحيث فقدت في الغالب مقومات الحياة البشرية السوية.

وفي نهاية الحرب العالمية الثانية بدأت فترة الإنحسار الكبرى للإمبراطورية البريطانية التي كانت لا تغرب عنها الشمس لكي تنكمش في تواضع جم وتدريجياً داخل حدود الجزر البريطانية وتبدأ كفاحها في نهاية الأمر للحفاظ على إيرلندا وفوكلاند آخر ما تبقى من رموز وأمجاد العهود الغابرة.

ومع إنسحاب الإنجليز من الهند ظهرت باكستان بطرفيها الشرقي والغربي لكي يتجمع فيها مسلمو شبه القارة الهندية ومع ذلك بقي في الهند حوالي 60مليون مسلم لم ينزحوا إلى باكستان.

<u>الإسلام والدولة:</u>

ورغم قيام باكستان على أساس كونها دولة للمسلمين إلا أنها لم تحكم منذ إنشائها وحتى الآن طبقا للقوانين الإسلامية، وظلت القوانين الأوروبية بشكل عام هي المسيطرة. ومن ناحية سياسية إحتفظت باكستان بصداقة تقليدية للغرب تطورت إلى الإنضمام للأحلاف العسكرية مثل حلف بغداد في الخمسينات.

ومنذ محمد علي جناح مؤسس دولة باكستان ظلت الحكومات المتتالية والتي أعقبته وكلها حكومات عسكرية (أيوب خان،يحى خان)،على علاقة طيبة بالإسلام شعار الدولة ورمز وحدتها. وكان الإستثناء البارز لتلك السياسة التقليدية لحكام باكستان هو عهد ذو الفقار علي بوتو الذي لم يكن عسكرياً ولكنه إتخذ نهجاً إشتراكياً موالياً للصين وإتبع سياسة معادية للتيار الإسلامي في باكستان. كان بوتو وما زالت عائلته حتى الأن من أكبر الإقطاعيين في إقليم

السند وكان التناقض بين نهجه الإشتراكي وأصله الإقطاعي واضحاً، خاصة أنه والعائلة حتى الآن أيضاً، أبعد ما يكون على النهج الاشتراكي في حياتهم الاجتماعية. فما زالت تقاليدهم الإقطاعية العريقة متبعة في حياتهم الخاصة والعامة. لهذا عزى البعض التوجه المعادي للإسلام من جانب بوتو أو ما يطلق عليه (البوتيزم) بأنه نابع من حقد بوتو على المجتمع المسلم الذي ترأسه فجأة. فرغم أنه في ذروة القيادة وذروة الثروة إلا أنه كان موضع إزدراء في وجدان الشعب الباكستاني لكونه (إبن زنا). ومع أنها جريمة لا يعتبر هو شخصياً مسئولاً عنها، إلا أنها وصمة لا تُمحى في مجتمع شرقي محافظ مثل المجتمع الباكستاني.

لهذا جاءت البوتيزم ذات طابع إنتقامي لتدمير المجتمع وإستبدال قيمه الراسخة والتي لن تمنح الإحترام لمن تخطاها مهما بلغ من الثروة أو القوة السياسية.

لقد إستقطبت البوتيزم قطاعاً ضخماً من الساخطين في المجتمع الباكستاني وأغلبهم من أبناء الطبقات الدنيا من برجوازية المدن الذين رغم حصولهم على التعليم والإلتحاق بوظائف الدولة إلا أن فرص الإرتقاء أمامهم محدودة جداً فالتحالف القائم على قمة المجتمع قد أحكم قبضته الإقتصادية والسياسية بحيث أصبح من المتعذر جداً على (القادمين الجدد) الحصول على مكان الصدارة بغير تغيير قوانين اللعبة بالقوة وإغتصاب مواقع الصدارة.

والحياة الديمقراطية حالياً ما زالت في بدايتها المبكرة ولا تحظى بثقة كبيرة من جانب القوى الجديدة في المجتمع حيث ما زالوا يعتقدون أنها وسيلة لتثبيت الأمر القائم فعلاً على التحالف الوثيق بين الإقطاع والرأسمالية والمؤسسة العسكرية.

رحلة التوبة:

البوتيزم بنفسها إنتاج إقطاعي رغم إدعاءاتها العريضة بالاشتراكية..

بوتو قد أوضحت الطبيعة الإنتهازية للبوتيزم خاصة بعد عودتها الأخيرة إلى باكستان وذهابها في رحلة التوبة الشهيرة من لندن في طريقها إلى باكستان حيث مرت بالبيت الأبيض ثم الكرملين عبر بيت ا الحرام في الأراضي المقدسة.. ثم عادت لترفع في وجه النظام الحاكم جميع الشعارات المتناقضة التي لا يمكن جمعها إلا في وعاء آخر غير البوتيزم. فرفعت شعار الإسلام فقالت موجهة لضياء الحق أنا موسى العصر وأنت فرعون اليوم، أنا الحسين وأنت يزيد، سوف أحاربك بصبر آل البيت... إلخ.

ومن جهة أخرى نادت بتطبيق الإشتراكية كوسيلة لإنصاف المظلومين مع تأكيدها بأن لا مخرج لباكستان من تخلفها الإقتصادي بغير الإعتماد على مزيد من القروض من الدول الغربية..!!.

ورغم الأصباغ الإسلامية في خطابات الآنسة بوتو إلا أنها وجهت نقداً مريراً للشريعة الإسلامية خاصة في مجال الأحوال الشخصية ووصفتها بأنها قوانين متخلفة ولا تناسب العصر وتتعارض مع حقوق الإنسان!!.

دفاع عن الزنا:

تبنت الآنسة بوتو والتنظيمات النسائية التابعة لها قضية إمرأة زانية تنظر أمام المحاكم، وجعلت أجهزة البوتيزم من الزانية شهيدة!!ورمزاً لظلم الشريعة وإهدارها للقيم الإنسانية رغم أن الزانية التي تحاكم غير معرضة إطلاقاً لتطبيق الحد الإسلامي عليها لسبب واحد وهو أن المحاكم

الباكستانية لا تطبق القانون الإسلامي حتى الآن.
وما دام الأمر كذلك فما مبرر تصعيد قضية هذه المرأة ومهاجمة الشريعة الإسلامية بل وشخص رسول الإسلام صلى ا عليه وسلم؟.
يرى البعض أن البوتيزم في هذه القضية تدافع عن (مؤسسها). وأن الآنسة بوتو في ظل هذه القضية تدافع عن والدها شخصياً وعن جدتها التي تعرضت لمحنة الزنا من قبل.
على أي حال الحرب المعاكسة ضد الإسلام في باكستان تتمحور أساساً حول حزب الشعب ومنهج البوتيزم التي تديرها الآنسة بوتو، وحول هذه البؤرة تتجمع العديد من التيارات المتناقضة والتي يجمعها هدف واحد وهو ضرب الإسلام في باكستان، لأنه العصب الذي يجمع الشتات العرقي والقومي في هذا البلد في كيان واحد، فاستطاع الثبات حتى الآن وسط قوي إقليمية بالغة الضخامة -عددياً على الأقل- هذه القوى هي الهند-الصين-الإتحاد السوفيتي.
جميع القوى الإنفصالية في باكستان والممثلة في أحزاب إنضوت تحت زعامة البوتيزم وحزب الشعب بصفته الحزب الأفضل تنظمياً والأكثر دناميكية ويضم في صفوفه أكبر عدد من المتعلمين والمثقفين. بينما الأحزاب الأخرى في الغالب قبلية محدودة الفكر والخبرة، بل إن بعضها رغم هالته السياسية إلا أن برنامجه الأساسي هو الإنفصال بالمناطق الحدودية -فقط لإقامة دويلات للهيروين- ستكون حسب بعض تصريحاتهم السياسية العميقة - أغنى من دول الخليج النفطية!!.
هذا الشتات الملتف حول البوتيزم والذي يحتوي أيضاً أحزاباً ماركسية صغيرة لديه فرصة طيبة للنجاح في المجتمع الباكستاني وذلك لعوامل كثيرة محلية وإقليمية وعالمية.

فشل الأسلمة :

هناك عوامل محلية تساعد هذا التيار المعادي للإسلام ولباكستان كدولة إتحادية رباطها الوحيد هو الإسلام، من هذه العوامل فشل التجربة الإسلامية التي قادها ضياء الحق لأسلمة الدولة. وقد رفع هذا الشعار في مواجهة البوتيزم التي جاء نظام ضياء الحق على أنقاضها وأعدم مؤسسها. وكما هو الحال في جميع التجارب السياسية يكون من العسير جداً على ضباط الجيش الذين وصلوا إلى كراسي السلطة تطبيق نظرياتهم الفكرية على أرض الواقع ، إذا كان لهم نظريات أصلاً. ولكونهم يتحركون عادة بدون سند شعبي أو حزبي له إرتباطات شعبية عريضة، فتطبيق النظرية يكون في حاجة إلى كوادر تؤمن بالنظرية وتعمل على تطبيقها.
لهذا تلجأ النظم الإنقلابية العسكرية في مرحلة لاحقة من إستيلائها علي السلطة إلى تكوين تنظيم سياسي يكون أداتها لتطبيق أفكارها في السياسة والحكم والإقتصاد. مثل هذه التنظيمات التي يدعو إليها ويكونها الحاكم المتسلط تكون بطبيعتها ملجأ للإنتهازيين وخدام كل العهود وفي النهاية يتكون تنظيم ضخم عديم الفعالية وتنحصر جهوده في النهاية التصفيق للحاكم وترديد شعاراته (التاريخية)، وتدريجياً ينعزل الحاكم وحزبه عن الشعب حتى يحدث إنفجار جديد أو إنقلاب عسكري يعيد نفس اللعبة تقريباً.

البرلمان والحزب:

بعد ثمانية سنوات من حكم ضياء الحق تمت كثير من الإنجازات الإقتصادية وتمت تقوية الجيش إلى درجة كبيرة ونالت البلاد درجة من الإستقرار لم تشهدها من قبل، كل هذا صحيح. أما تطبيق شعار أسلمة الدولة الذي نادى به ضياء الحق فلم يكد يتحقق منه شيء.
وبعد رفع الأحكام العرفية في نهاية 1985م والإنتقال إلى المرحلة الديمقراطية بشكلها الحالي،

فقد الرئيس الكثير من سلطته التى إنتقلت إلى البرلمان ورئيس الوزراء، وهنا بدأ الرئيس إنتقاداته لمجلس الشيوخ والبرلمان على إعتبار أنهما مسئولان عن تأخير إعتماد القوانين الإسلامية الضرورية لأسلمة الدولة. وطالب أكثر من مرة بتشكيل ضغط شعبي على البرلمانيين من أجل الإسراع في إصدار القوانين الإسلامية.
هذه الضغوط التي يطالب بها الرئيس ضياء الحق من الممكن توفيرها تحت شعار الإسلام والذي يحرك الجماهير بسهولة. ولكن تبقي مشكلة من فرعين الجزء الأول منها: أن إهتمامات أعضاء البرلمان ليست إسلامية بوجه عام. والذي يشغلهم أساساً هو تمثيل القوى التي أوصلتهم إلى البرلمان. وأغلب النواب ينتمون إلى طبقة كبار ملاك الأراضي وكبار أصحاب رؤوس الأموال. وهذه القوى ذات مصالح أكثر منها قوى منشغلة بفكر أو أيدلوجية.
والفرع الآخر للمشكلة أنه حتى لو صدرت هذه التشريعات فمن يطبقها؟ هل هو حزب الرابطة الإسلامية الذي شكله ويتزعمه رئيس الوزراء؟ أم سينفذ هذه القوانين الجهاز البيروقراطي العتيد ذو السطوة على كل نظام والذي هو من المواريث الثقيلة للحكم الانجليزي؟.
كلا الهيئتين، حزب الرابطة والبيروقراطية ليسا مؤهلين لتطبيق القوانين الإسلامية.
فالحزب يمثل نفس القوى التي يمثلها البرلمان، والبيروقراطية تحكم من أجل الإبقاء على الدولة البروقراطية الأزلية التي تبقى مهما كان نظام الحكم عسكرياً أو مدنياً، والدولة البيروقراطية مناقضة تماماً للدولة العقائدية.

الشارع معزول:

الشارع الباكستاني بدوره بعيد تماماً عن قضية أسلمة الدولة أو تطبيق الشريعة الإسلامية فهو يسمع الشعارات قادمة من أعلى وربما لأجل ذلك لا يثق فيها كثيراً. والقوى الإسلامية في المجتمع ممثلة بالتنظيمات الدينية بعيدة إلى حد كبير ومنعزلة عن حركة المجتمع ولم تتبنى تلك القضية بين أوساط الشعب إلى جانب أن جزءاً هاماً من تلك القوى الإسلامية قد تحالف مع النظام الحالي منذ البداية ،خاصة الجماعة الإسلامية، لهذا فقدت الكثير من مصداقيتها أمام الشعب الذي يعتبر دعوتها إلى أسلمة الدولة أو تطبيق الشريعة جزء من صفقة سياسية مع النظام أكثر منها دعوة عقيدية مخلصة. ربما كان هذا الظن غير صحيح ولكنه الأمر الواقع، فمن الصعوبة أن تحصل حركة متحالفة مع نظام يحكم بالقوانين العسكرية على ثقة الشعب الذي ينفر من الحكم العسكري ومظاهر الغلظة التي تصاحبه.
خلاصة القول أن قضية أسلمة الدولة أو تطبيق الشريعة الإسلامية في باكستان ستبقى شعاراً يتردد بدون وجود قوة سياسية وإجتماعية قادرة علي تطبيقه أو دفعه نحو التطبيق.
إذن الحكومة والمعارضة: لا الطرف الأول جاد، أو يستطيع تطبيق الشعار،ولا الطرف الثاني تورع عن تجريح الإسلام والتطاول على مقدساته بل وحتى عن سب الرسول الكريم.

(إنتهى التقرير) .

....

الإيدز الصهيونى يدخل الحرب ضد مصر

..وننقل الفقرات التالية عن **مجلة المسلمون الصادرة بتاريخ 1994/2/4** في مقال بعنوان:
الإيدزالصهيوني يدخل الحرب ضد مصر.. والفارق ليس كبيرا بين ما حدث في مصر
وما حدث في باكستان وأيضاً في معسكرات المهاجرين الأفغان هناك.. تقول المجلة:

{ الصهاينة أيضاً دخلوا في معركة (الإيدز) ليغزوا بها مصر في حرب لا هوادة فيها.
قرائن عديدة تشير بأصابع الإتهام إلى الصهيونيات اللاتي لم تتوقف أفواجهن السياحية عن زيارة مصر برغم إحجام السياح الأجانب. بل إن ثلث (الفلاشا) القادمين من أثيوبيا إلى الكيان الصهيوني مرضى بالفعل، فإنه لم يكن من الصعب على الموساد أن يخطط لغزو مصر من خلال الإيدز.
في عام1986 م فجر الأمريكي (جون كاليندر) أستاذ علم المصريات بالجامعة الأمريكية بالقاهرة مفاجأته في أروقة الجامعة وأعلن إصابته بهذا المرض اللعين من صديقه الأمريكي (لورانس إيلا) الذي توفى خلال الفحوصات الطبية عليه. كان كمن يهوي بمطرقة حديدية على رؤوس المصريين. فقد عاش المصريون خمس سنوات منذ إكتشف الفرنسي (لك مونتنيه) فيروس الإيدز المتسبب في فقدان المناعة المكتسبة وحتى إعلان (كاليندر) وهم يعتقدون أنهم بقيمهم وتعاليمهم الإسلامية بعيدون تماماً عن هذا المرض الخطير، لكنهم إستيقظوا الآن والمرض في وسط قاهرتهم.
بالطبع ضربت وزارة الصحة المصرية حصاراً على (كاليندر) حتى تم ترحيله من مصر.
ورحل (كاليندر) لكن مصر كانت قد عرفت الإيدز ودخلت في قائمة الدول التي إبتليت بهذا الطاعون الجديد. وبدأ المسلسل الدامي الذي لم يخل من مفاجآت وأحداث شهيرة قد ساهمت في توغل هذا الخطر الرهيب.
.. (وليم تشارلز) أمريكي آخر جاء إلى مصر سائحاً هذه المرة وقابل الكرم المصري المضياف بحقارة وشذوذ. إلتقط هذا السائح المريض بالإيدز ستة أطفال مشردين في الشوارع، وبعد أن منحهم الرعاية والمال مارس معهم علاقة جنسية شاذة، بعدها تاه الأطفال في الشارع وتاه معهم هذا المرض المخيف.
.. لقد فجرت الجاسوسة الصهيونية (فائقة مصراتي) الحقيقة في وجه الجميع لتؤكد بالدليل الشكوك حول الصهاينة. إعترفت الجاسوسة في تحقيقات رسمية بأنها ،وهي المريضة بالإيدز أقامت علاقات مشبوهة مع50 شاباً مصرياً بهدف نقل عدوى الإيدز لهم بالطرق العلمية التي جرى تدريبها عليها في الموساد، وأن تلك العلاقات كانت تدوم ثلاثة أيام لتضمن إصابة الضحية بالإيدز.
.. هذه الإعترافات الدامغة شدت الجميع لأنباء صحفية جاءت هذه المرة من (هولندا) حيث أشارت إلى قيام الكيان الصهيوني بإعداد مركز له هناك يخطط لنشر الإيدز في مصر، وتم تجنيد أكثر من 50 فتاة لهذا الغرض. وفعلاً بدأ هذا المركز في التنفيذ من خلال ثماني فتيات قدمن إلى مصر بجوازات سفر أوروبية من خلال فوج سياحي هولندي وعشن في أكبر المدن المصرية أياماً طويلة، وا وحده يعلم ماذا فعلن بشباب مصر.

عصابة نساء الإيدز:

وإذا كان الخطر القادم عبر الصهاينة حقيقياً وخطيراً، بل رهيباً، فإن الجهات الأمنية في مصر كشفت بالصدفة عصابة نسائية لممارسة البغاء معظم عضواتها مصابات بالإيدز،وجميعهن من إحدى الدول العربية وتم ترحيلهن فعلاً. عاش أفراد تلك العصابات أكثر من20يوماً في مصر يمارسن البغاء وفي أرقى الفنادق القاهرية مع أجانب ومصريين ولا يعرف مصيرهم إلا ا ، ولولا أن مدير أمن الفندق شك في سلوكهن وأبلغ عنهن الجهات الأمنية، فإن ا وحده يعلم ماذا كان يمكن أن يحدث من خلال تلك الشبكة (الإرهابية).

و..تضاربت الأرقام:

أمام هذه الوقائع والأحداث تتضارب الأرقام عن أعداد مرضى الإيدزفي مصر. وزير الصحة المصري الدكتور علي عبد الفتاح صرح في مؤتمر علمي أنهم لا يتجاوزون المائة. الوزير السابق راغب دويدار قال أن عددهم 113 مريضا. جهات رسمية أكدت أن المصريين المصابين بالإيدز عددهم 205 من بينهم 37 سيدة و12 طفلاً. أكاديمية البحث العلمي أكدت نفس الرقم، بل حددت مصادر الإصابة.

وقالت في تقرير لها أن 23 حالة عادوا لمصر من عملهم بالخارج مصابين، وأن 41 حالة أصيبوا عند العلاج من الفشل الكلوي بسبب تلوث الأجهزة، إلى جانب 89 مريضاً توفوا بالفعل. وأشارت مصادر الأكاديمية إلى أن إكتشاف معظم الحالات تم بالمصادفة حيث اكتشف95 حالة من خلال المسح الطبي الشامل، و9حالات من المتبرعين بالدم،و15حالة من الكشف الدوري على مرضى الفشل الكلوي، و7 حالات فقط من المتقدمين للفحص الإختياري، أما الأجانب المقيمون في مصر فقد وصل عدد المرضى منهم إلى 176 حالة.

..الدكتور مجدي بدوان الباحث بطب عين شمس له رأي آخر من خلال رسالته العلمية التي حصل بها على رسالة الماجستير حيث أكد أن المرضى المصريين لا يقل عددهم عن عشرة آلاف مريض، بل قد يصلون إلى 15 ألف حالة.ويؤكد ما قاله تقرير البنك الدولي أن الحالات المعلنة في جميع دول العالم هي عشر الحقيقة. كما أشار إلى أن إحصاءات منظمة الصحة العالمية توقعت أن يكون في مصر 509 حالات منذ عامين.

أرقام عالمية مخيفة:

وبرغم خطورة تلك الأرقام، إلا أنها بالمقياس العالمي ضعيفة للغاية، فطبقاً لتقرير البنك الدولي الذي حصل عليه من الدول بشكل رسمي، فإن أكثر من مليون و800ألف ماتوا بالإيدز، وأن عدد المصابين عام 1990 وصلوا إلى 9 ملايين والآن حوالي 15 مليوناً، وفي عام 2000 سيصلون إلى26 مليوناً. المنظمات الطبية تقول أن الأرقام الصحيحة هي ثلاثة أضعاف تلك الأرقام،وأكد تقريرالبنك الدولي أن جميع الإستراتيجيات العالمية فشلت في مكافحة الإيدز، وعلى كل بلد أن ينجو بنفسه لأن 1.5 بليون دولار تصرف سنوياً لمواجهة الإيدز في العالم منها 200 مليون دولار فقط في دول العالم الثالث التي تضم 85% من الإصابات }. (أ هـ)

الحرب فى كابول

العام السابع لحظر التجول فى كابول ولكن القتال لم يتوقف

* تضاعف سكان العاصمة ثلاث مرات والحياة مستحيلة بدون " صناعة " التجسس .
* قصة تذاع لأول مرة: إغتيال الجاسوس الخاص لبابرك كارمل .
* حلاق كابول الذى تحول الى أهم شخصية فى الوزارة.. كيف قتله المجاهدون ؟
* سلاح الهيروين أخطر الأسلحة فى الحرب الكابولية .

رسالة افغانستان /مكتب الاتحاد

منذ سبع سنوات وكابول تعيش فى حالة حرب. ومنذ اليـوم الأول" لثـورة إبريـل" وعاصـمة أفغانستان تعيش ظروف مدينة تحت الإحتلال.. فى البداية قام الضباط الشيوعين من حزب خلق بإحتلال العاصمة وإبادة معارضيهم بلا رحمة، ثم مواجهة جهاد الريف بأقصى طاقات العنـف من جانب ضباط صغار فى حالة مراهقة ثورية .

ونتيجة للإنتكاسات الفادحة للشيوعيين الأفغان وإنكفاء الثوريين إلى مجازر داخليـة بـين الرفاق القدماء ، تدخل الجيش الأحمر ليتحول هو الآخر إلى جيش إحتلال لا يرحم بدعوى أنـه يقدم خدماته "للرفاق" الأفغان فى كابول .

فقد كادت حركة الجهاد الشعبية أن تطبق عليهم قادمة من الريف والجبال .

منذ ذلك اليوم والهم الأول للسوفييت هو تأمين العاصمة وإبعادها عن متنـاول المجاهـدين وإستئصال قواعدهم المتجذره فيها .

وأقام الجيش الأحمر النطاق العسكرى الأول للدفاع عن العاصمة .وعندما أكتشفوا أنه غيـر كاف أقاموا خط الدفاع الثانى ثم الثالث حتى لا يصبح فى مقدور أسلحة المجاهـدين الثقيلـة أن تطال العاصمة .

لقد نجح الروس جزئيا فى ذلك ومع هذا ظل فى مقدور المجاهدين التسلل عبر النطاقـات الثلاثة وأصابة المراكز الحساسة فى المدينة بصواريخ الكاتيوشا ،وفى مرات عديدة إسـتطاعت وحدات كبيرة من المجاهدين القيام بعمليات ليلية ناجحة داخل المدينة نفسها وتدمير منشآت هامة مثل محطات الكهرباء والبترول والجسور وأحيانا ثكنات عسكرية ومراكز حراسة .

الـروس فى المديـنـــة:

أما الدفاع الداخلى عن المدينة فقد تولت المخابرات السوفييتية بـشكل مباشـر تنظيمـة وتدريب الكوادر اللازمة لذاك. وكان تدريب جهاز الإستخبارات الأفغانى وتطويره لتولى مهامه فى العمل الداخلى والخارجى من أفضل إنجازات المخابرات السوفيتية فى أفغانستان، خاصة بعد عثورهم على الدكتور نجيب الرجل المناسب لهذا العمل والذى يتمتع بثقتهم الكاملة.

نجح نجيب والسوفييت فى إقامة شبكة تجسس هائلة داخل كابول . نجحت الـشبكة فـى زيـادة الصعوبات فى وجه العمليات الفدائية للمجاهدين ولكنها لم تستطيع منعها. لقد ساعدت ظـروف المعيشة القاسية فى تجنيد عدد كبير من السكان للتعاون مع الحكومة. فى سبيل الحصول على الهبات المالية الكبيرة والمساعدات المعيشية المختلفة خاصة الطعام والمسكن وهمـا، سـلعتان نادرتان لا يمكن التمتع بهما أو حتى الحصول على الحد الأدنى منهما بدون التعاون مع الحزب الحاكم وجهاز الإستخبارات .

وبقى الكثير من موظفى الحكومة على علاقة سرية بالمجاهدين وعانى الجيش مـن نفـس المشكلة. وسبب هذا الخلل فى توجيه ضربات قاسية للنظام وجيش الإحتلال .

وخلال هذه الثغرة إستطاع المجاهدون من إدخال أسلحة وذخائر إلـى العاصـمة بكميـات كبيرة رغم ان نقاط التفتيش على الطريق تقع على بعد500متر من بعضها البعض .

ولا شك أن عمليات المجاهدين داخل العاصمة تمثل عملا بطوليا يثير الدهشة خاصة أنهـا تتم رغم الإجراءات الأمنية الصارمة التى ربما لم تخضع له مدينة أخرى فى العالم علـى مـر التاريخ .

قد لا يثير ذلك الدهشة نتيجة للسمعة الرديئة للنظام السوفييتى نفسه فيمـا يتعلـق بحقـوق الإنسان، وسمعة الجيش الأحمر منذ إنشائه فى التعامل مع أعداء حكام الكرملين.كما أن الحزب الحاكم فى كابول ليس فى حاجة لتوصية روسية كى يبطش بمواطنيه فهو قـد أعلـن الحـرب ضدهم منذ أول يوم من ثورة نيسان (إبريل) المجيدة!!.

سكان كابول هم الوحيدون فى العالم الذين يحتاجون إلى تأشيرة لدخول مدينتهم أوالخروج منها .

سكان كابول أيضا ينفردون بين سكان العواصم والضواحى فى العالم بكونهم فى حاجة إلى تصريح من جهاز الأمن لإستقبال ضيوف فى منازلهم .

ويلزمهم لكى يتم هذا العمل الذى يبدو بديهيا ومن ضرورات الإنسان منذ الخليقة، يلـزمهم إبلاغ رجال الأمن سلفا لكى يملأوا إستمارات خاصة تشمل بيانات عن الزوار وعددهم والغرض من الزيارة والوقت المحدد لهذا العمل .

وفوق هذا بيان عن الموضوعات التى سيتناولها الزوار أثناء وجودهم عن المضيف!!.

<u>كابوس العاصمـــة:</u>

الحملات المباغتة وسيلة تلجأ لها سلطات الأمن للتأكد مما يدور داخل البيوت.

لهذا وطبقا "للقانون"فمن المحظور على سكان العاصمة السعيدة إغلاق أبـواب منـازلهم مـن الداخل حتى يمكن مداهمتهم فى أى وقت للتأكد من هوية السكان والنشاطات الدائرة فيه.

ومع هذا فإن تعدد سكان كابول قد تضاعف ثلاث مرات منذ ثورة إبريل وحتى الأن، فبعد إن كان 700ألف نسمة تعدى الأن مليونين.

ولا يرجع ذلك الطابع "المضياف" لسلطات المدينة ورجال الإستخبارات فيها بقدر ما يرجع إلى مجهودات الجيش الأحمر فى تدمير الحياة المدنية فى المحافظات المحيطـة بكـابول حتـى يجعل معيشة المجاهدين فيها صعبة .

لهذا يعمد الجيش الأحمر إلى إحراق هذه المحافظات وإخلائها من السكان . وبالفعل هاجر معظم السكان إما إلى باكستان أو إلى العاصمة "كابول" التى تحولت إلى أكبر سجن لـيس فـى أفغانستان بل فى العالم كله. حيث يعيش السكان العام السابع لحظر التجـول الـذى يمتـد مـن العاشرة ليلا حتى الرابعة صباحاً.

فى لقاء مع إحدى مجموعات المجاهدين العاملة فى كابول يقول قائد المجموعة "عبد القهار" :

رغم الإجراءات غير العادية التى تتخذها المخابرات السوفييتية والأفغانية "خاد" فان ثغرات كثيرة موجودة وتتيح لنا العمل فى كابول وتحقيق عمليات كبيرة وناجحة. ونضع فى إعتبارنا أن العناصر البشرية المتعاونة مع النظام ورجال الأمن أنفسهم مصابين بالفساد ويغلب عليهم الطمع والجشع والسعى وراء المال بشتى الطرق، وتجتذبهم الشهوات المختلفة.

وكذلك الجنود السوفييت يغلب عليهم الفقر الشديد والتلهف للكماليات والسعى إلى الحصول على أنواع من الأطعمة لا تتوفر فى بلادهم ، وميلهم شديد تجاه المخدرات خاصـة الهيـروين. كما أن رواتبهم ضئيلة للغاية لا تكاد تكفى لشراء السجائر.

هذه بعض الثغرات فى صفوفهم ونستطيع بعد سبع سنوات من التمرس أن نتحرك بحريـة رغم الصرامة الظاهرية لإجراءات الأمن .

حـــلاق كارمل :

"عبد القهار" يذكر أطراف من العمليات التى قاموا فـى كـابول وهـى روايـة يكـشفها المجاهدون لأول مرة.

حتى حكومة كابول لم تعرف أسرار العمليةحتى الآن. إسم العملية "حلاق كارمل" لأن الضحية كان يعمل حلاقا لدى بابرك كارمل الذى كان على قمة السلطة فى كابول. ورغم ان كارمل كان رئيسا للجمهورية وسكرتيرا عاما للحزب الحاكم، إلا أنه أتخذ صديقا حميما يعمل حلاقا فى كابول، وإسمه "عبد الستار ". كانت علاقة غريبة تربط الرجلين فأحدهما يمتلك كل مفاتيح السلطة فى كابول ـ تحت إشراف الروس طبعا، والآخر لا يملك غير مفاتيح دكانه المتواضع بأحد شوارع العاصمة البائسة.

الحلاق عبد الستار كان رجلا ملما بالسياسة، ربما من كثرة مناقشاته مع الزبائن على عادة الحلاقين فى كل مكان. ونتيجة لإختلاطه وصداقته الحميمة مع "كارمل" رئيس حزب "بارشم" الشيوعى أصبح عبد الستار "بارشميا" متحمسا .

وأيضا كعادة معظم الحلاقين فى العالم الثالث كان عبد الستار مغرما بالنميمة ونقل الأخبار وكان يسلى رفيقه الكبير بنقل أخبار المدينة وما يدور فيبها .

وإكتشف كارمل فى صديقه عبدالستار حاسة متميزة فى إلتقاط الأخبار وميل غريزى للتجسس، فعينه رسميا عضوا قياديا فى جهاز تجسس خاص مرتبط به مباشرة، مهمته نقل أخبار العاصمة وكل ما يجرى فيها إليه مباشرة . أصبح عبد الستار يخرج من دكانه ليجد سيارة روسية من طراز(فولجا) فى إنتظاره وبداخلها سائق مع إثنين من الحرس لتنقله إلى حيث شاء من أرجاء العاصمة ثم إلى القصر الجمهورى حيث صديقه المفضل "كارمل" لينقل إليه آخر الأنباء التى كانت دائما مفيدة وقيمة بالنسبة للزعيم. فزادت عنده حظوة عبد الستار وتوسعت صلاحياته وأصبح له من الأهمية والشهرة ما يحسده عليها كثير من الوزراء .

بعد قليل علمت كابول بالشخصية الجديدة وأطلق عليه البعض لقب "حلاق كابول" ونتيجة لنشاطاته وخطورته قرر المجاهدون التخلص من"عبد الستار".

فى مساء أحد الأيام أغلق عبد الستار دكانه وتمشى قليلا حتى منطقة "بولى سوختا" حيث تنتظره يوميا سيارته "الفولجا" الروسية.

ولكنه وجد سيارة أخرى فى نفس المكان تنتظره وقف عبد الستار مترددا فنزل السائق من السيارة وطلب منه الصعود وأخبره بأن السيارة الفولجا قد تعطلت وأن الزعيم أرسل إليه هذه السيارة وفيها إثنين من الحرس الحزبى . تقدم عبد الستار مترددا نحو السيارة فوجد شخصين على المقعد الخلفى قدما اليه بطاقات هوية تثبت أنهم حرس خاص من"حزب بارشام". شعر الحلاق بالراحة وركب فى المقعد الخلفى وسط الحرس . وإنطلقت السيارة تخترق شوارع العاصمة ثم تدخل طرقا فرعية فى مناطق خالية . شعر عبد الستار بالرعب عندما رأى السيارة تسلك طرقا غير مألوفة ولا تتجه فى خط سيرها المعتاد فطالب السائق بالتوقف ولكن بدون

جدوى . فمد يده ليسحب مسدسه ولكن حرسه الخاص على جانبيه بادراه بضربات شديدة على الرأس حتى فقد الوعى.إستمرت السيارة فى سيرها حتى دخلت أحد البيوت النائية. أخرجوا "عبد الستار" من السيارة وأدخلوه فى إحدى غرفات المنزل ليجد أمامه لجنة تحقيق .
قدم المحققون أنفسهم إلى عبد الستار بأنهم أعضاء فى حزب خلق الشيوعى وأنهم إختطفوه لتعاونه مع حزب بارشام وأنه سيعاقب على ذلك مالم يتعاون معهم . شعر عبد الستار أن الأمل لم يضيع فى أن يفلت من المصيبة التى وقع فيها . وأوضح لمعتقليه أنه كان صديقا مع معلمهم الأكبر"نور محمد طراقى "، وأن طراقى كان من "زبائن المحل " وأنه شخصيا/عبد الستار/يكن إحتراما كبيرا لحزب خلق ولمؤسسة الراحل "طراقى".. كانت مقدمة طيبة للتعاون أخذ عبد الستار بعدها يشرح للمحققين طبيعة عمله مع "كارمل" والشبكة التى يديرها للتجسس فى كابول وأعطى بيانات كافية عن كل شيء.وفى النهاية كان يشعر بالراحة لأنه أرضى المحققين وسوف يحصل على المكافأة وهى الإفراج عنه على أقل تقدير. ولكن رئيس المحققين كشف له بأن المختطفين هم من المجاهدين ولسوا من حزب خلق . كانت صدمة هائلة للحلاق عبد الستار أفقدته الوعى مرة أخرى وربما فارق الحياة قبل أن تستقر رصاصات المجاهدين فى رأسه . وتم دفنه فى فناء المنزل . ولم يدر كارمل نفسه شيئا حتى الآن عن مصير صديقه الحميم عبد الستار .

جنود فى محنـــة:

يعانى الجنود السوفييت من مشاكل عديدة من بينها التفاوت الكبير بينهم وبين الضباط سواء فى المستوى التعليمى أو المرتبات أو الإمتيازات التى تقدمها الدولة.. وحتى فى نوعية الأطعمة التى يتناولونها. يقص الأسرى الروس لدى المجاهدين بأنهم يتعرضون بشكل روتينى للضرب والإهانات . ومع ذلك يتعرضون دائما للخطر نيابة عن الضباط الذين يتجنبون المناطق الخطرة على قدر الإمكان . بعض هؤلاء الجنود فضل الفرار من الجيش وتسليم نفسه للمجاهدين فقط من لأجل التخلص من جحيم الحياة العسكرية . الجانب النفسى لهؤلاء الجنود لا يقل سوءا عن وضعهم المادى خاصة وأنهم يخوضون حربا ليس لها مبرر من وجهة نظرهم . فالدعايات التى سمعوها فى بلادهم عن أنهم ذاهبون لمقاتلة الأمريكان والصينين، إكتشفوا زيفها بعد أيام قلائل من وصولهم أراضى أفغانستان . فالمحاربون والضحايا والقرى التى تحرق كلها أفغانية والحرب كلها ليست إلا حرب روسية ـ أفغانية. فأصبح الهم الأكبر للجنود الروس هو الحفاظ على سلامتهم الشخصية بقدر الإمكان والخروج سالمين من حرب لا ناقة لهم فيها ولا جمل .
وتحت وطأة الظروف المادية والنفسية السيئة وأهوال الحرب التى لا ترحم ضد شعب لم يعتدى يوما على الدولة السوفييتية .. لجأ كثير من الجنود نحو المخدرات وبشكل متزايد .
والمخدرات فى افغانستان تزرع تحت رعاية الدولة وسلطات الإحتلال فى المناطق الزراعية الواقعة تحت سيطرتهم . صناعة الهيروين تلاقى مساعدة ملموسة على المستوى الرسمى.ويتوجه كل هذا الإنتاج إلى أسواق الغرب عبر أراضى باكستان . كنوع من الحرب الصامتة بين الكتلتين الأعظم .
وكان الجنود السوفييت وقد أحرقهم لهب الحرب إحترفوا تدخين الهيروين.لاحظت مجموعات المجاهدين العاملة فى كابول الإندفاع المحموم للجنود السوفييت نحو تدخين الحشيش والهيروين، وحيث أن مرتبات الجنود لا تفى بالثمن،فقد لجأوا إلى مخازن الجيش الأحمر لتعويض النقص،

وبدأت البنادق الآلية والذخائر المختلفة وحتى الأحذية والملابس تأخذ طريقها إلى الأسواق وأيدى المجاهدين فى مقابل جرعات قليلة من المسحوق الأبيض.

الجرعـة القـاتلة:

يقول قائد إحدى المجموعات العاملة فى العاصمة كابول بأن بعض الجنود السوفييت قد دفعوا حياتهم ثمنا لجرعة هيروين لم يتناولوها. حدث ذلك مرة فى ديسمبر1985حين ذهب أربعة من المجاهدين إلى منطقة "دار الأمان" فى العاصمة حيث توجد وحدة حراسة سوفييتية مكونة من جنود مشاة وعدة دبابات.

إقترب المجاهدون من جندى سوفييتى وبدأوا معه حديثا وديا عرضوا عليه شراء أى شيء يرغب فى بيعه فى مقابل تزويده بالهيروين . لم يصمد الجندى طويلا أمام الإغراء وضرب معهم موعدا فى الغد لإجراء المقايضة .

فى اليوم التالى ذهب معهم الجندى إلى إحدى الشوارع الجانبية لإتمام الصفقة .وأثناء المساومة صاح أحد المجاهدين الذى كان يتظاهر بمراقبة الطريق وحذرهم بأن الضابط السوفييتى قائد الموقع قادم نحوهم . إنتاب الذعر الجندى المسكين وهو يبحث عن مخبأ ينجيه من الخطر القادم .

سحبه واحد من المجاهدين إلى حفرة عميقه على جانب الطريق لكى ينزل إليها ولم يفكر الجندى طويلا ونزل فى الحفرة ..ونزل خلفه ثلاثة من المجاهدين قاموا بخنقه وإستولوا على سلاحه وبضائعه التى أحضرها للمقايضة ..ومات الجندى ولم يظفر بجرعة الهيروين الموعوده.

إحدى المجموعة العاملة فى كابول تسعى إلى توفير الهيروين للجنود السوفييت فى مقابل أسلحة وذخائر للمجاهدين .

أفاد أعضاء هذه المجموعة أنهم ساعدوا ألفى جندى سوفييتى فى التحول إلى مدمنين خلال السنوات الست الماضية .

صفقـــة الزيت:

إحد العمليات التى نفذها "مجاهدو كابول " أسموها صفقة الزيت . وفى هذه الصفقة تم الإتفاق بين المجاهدين وجنود سوفييت على شراء صفقة كبيرة من زيت الأكل الذى يستخدمه الجيش فى إعداد الطعام . فى مقابل كمية من المخدرات والهيروين . وتم الإتفاق على أن يتم التبادل فى حديقة قرب منطقة "قلعة جبار خان". حضر الجنود بسيارتهم إلى باب الحديقة ثم أنزلوا "البضاعة" وأدخلوها بين الأشجار. وأثناء أنتظارهم لقبض الثمن حاصرهم المجاهدون وأبادوهم بالسلاح الأبيض . ومن المصادفات أن يقتل جنديان سوفييتان فى منطقة "قلعة ميرازى" أثناء صفقة آخرى .

تســرب المعلومات:

ولا تقل المعلومات التى يتم تسريبها إلى المجاهدين أهمية عن الأسلحة والذخائر التى تصل إليهم عبر صفقات الشوارع الخلفية فى كابول .

وعبر هذه المعلومات استطاع المجاهدون إحباط عمليات هجوم واسعة قامت بها القوات السوفييتية والحكومية . وأشهر الأمثلة على ذلك حملاتهم ضد بانشير والتى كادت أن تنتهى بكوارث نتيجة لتسرب أخبارها منذ وقت مبكر إلى المجاهدين . وآخر عمليات تسرب المعلومات أدت فى يوم 26أغسطس الماضى إلى تدمير أكبر مستودع للفرقة الثامنة المتمركزة فى منطقة

"كارغا" على بعد10كيلومترات غرب العاصمة، وإستمرت النيران مشتعلة فى المستودع لعدة ساعات وأسفرت عن تدمير عدد من الصواريخ والذخائر و الأسلحة المختلفة .
وقد عزى راديوا كابول الحادث إلى "خطأ فنى" من جانب أحد العاملين بالقاعدة . وليست كل الأحداث يمكن إرجاعها إلى أخطاء فنية. فعملية تسرب المعلومات الحساسة من داخل الحكومة والجيش حقيقة لا جدال فيها. ففى أبريل1985 تمكن المجاهدون من إغتيال الضابط الأفغانى"جول محمد" فى ضواحى العاصمة ، وهو ليس ضابط عادى لأنه أخو رئيس الوزراء أسد ا سرورى. لقد تمت العملية بناء على تسرب معلومات عن تحركات الضابط المذكور وأطلق عليه المجاهدون النار بواسطة مسدس مزود بكاتم صوت، وعندما حاولت داورية سوفييتية التدخل أثناء إكتشافها للحادث تم إعتراضها بواسطة مجموعة الحماية المرافقة للمجاهدين وقتل ثلاثة من أفراد الداورية وتمكن المجاهدون من الإنسحاب بسلام من موقع الحادث . من الدلائل على خطورة الوضع فى كابول هو ما أذاعته السلطات الأفغانية من أن الجيش الأفغانى قد شن مائة عملية عسكرية كبيرة ضد المجاهدين داخل العاصمة وما حولها من مناطق وذلك خلال العام الماضى فقط .

وصمـــة عـــار:

وحتى الدكتور نجيب مؤسس الإستخبارات السرية "الخاد" وسكرتير الحزب الشيوعى الحاكم أشار فى خطبة له فى المسجد الجامع فى مدينة هيرات إلى أن "هروب أبنائنا وإخواننا من صفوف الجيش وإنضمامهم إلى الأشرار" وهو/الإسم الرسمى للمجاهدين /يعتبر إشارة خطر ووصمة عار فى جبيننا جميعا .
ولكن الدكتور نجيب لم يتطرق فى خطبه التي يلقيها فى المساجد التى تسيطر عليها الدولة إلى أعماق ألازمة التى يعانيها نظامه، الذى يعتمد كليا على مدافع جيش الإحتلال وبنادق أكثـر من مئة ألف جندى سوفييتى .

(أ ـ هـ)